د. عبد الهادي حميتو

# حياة الكُتَّاب وأدبيات المحضرة

## صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية

## الجزء الأول

المملكة المغربية - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
1427هـ / 2006م

الكتـاب: حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة
المؤلف: د. عبد الهادي حميتو


الطبعة الأولى: 2006

رقم الإيداع القانوني 2006/2162

ردمك: 9-5080-0-9954
الإخراج الفني والطباعة : دار ابي رقراق
الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10، شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط
الهاتف: 83 75 20 037 - الفاكس: 89 75 20 037

# حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة

# تقديـــم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين.

وبعد، فإن أفضل الأذكار كتاب الله العزيز، وأشرف العلوم ما كان إليه ينسب، وخير الخلق في هذه الأمة بعد نبيها وصحابته وأهل بيته، من يسّر الله كتابه للذكر على أيديهم، فكانوا في خير أمة أخرجت للناس خيار هذا الخيار، إذ عكفوا على قراءته وتعلمه وتعليمه ، وتلاوته وأدائه برواياته وحروفه، وتحقق من خلال جهودهم موعود الحق سبحانه في حفظه حين قال عز من قائل: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾، وهكذا سار القرآن مسار النور المشرق في الآفاق، يفتح الأمصار، ويقتحم الأقطار، حتى حفظه الإلْدة الصغار، قبل استكمال الإثغار، وأحصى القراء المهرة حروفه عددا، وصرفوا في خدمته وبث علومه نفائس الأعمار، وساروا بدعوته وتحت رايته، فبلغوا بها ما بلغ الليل والنهار.

وأن هذا الكتاب يتطرق إلى سير وتاريخ أولئك الأخيار، فاقتصر على قاصية البلاد الإسلامية في خدمة هذا الكتاب من خلال المؤسسات التعليمية القرآنية في المغرب الأقصى طيلة العصور الماضية، ووصف عناء القارئ المغربي في التعلّم والتعليم، بدءً بحروف الهجاء، وانتهاءً إلى حروف القراءة وإتقان علوم الأداء، وهو وصف ينطلق من المعايشة الطويلة الأمد لأجواء (الكُتاب) وآفاق (المحضرة):

**أولا**: من خلال الموروث العلمي والفكري المنظّر لها.

**ثانيا**: من خلال التجربة والمعاناة الميدانية، ثم المتابعة التي لم تنقطع أواصرها قط.

**ثالثا**: الإطلاع الكافي على مكونات الحياة الحضرية ومواصفاتها وأعرافها والوقوف على قدر هائل من أدبياتها، ويعكس في مرآته صور هذه البيئة الخاصة بتقاليدها وأعرافها وشعبيتها وجهادها اليومي.

وأحسب أنها فصول فيها الكثير من مجالات الإمتاع والمؤانسة، وجوانب فسيحة من الأدب والمحاضرة، وإن لم تكن في مقاييس أهل الأدب من النمط الرفيع، والطراز المونق البديع، فإنها في جملتها مع ذلك لا تخلو من طرافة ولطف، وإنافة وظرف، بالإضافة إلى كونها تمثل رصيداً من الموروث، من حقه أن يُسجَّل حتى لا يضيع، وأن يُجمع النظير منه إلى نظيره، والشكل إلى شكله، فلعله يحظى بالقبول من الخاصة إن لم يحظ به من الجميع.

وسوف يجد القارئ الكريم في هذه الفصول ما يشبه الكشكول الذي يمتزج فيه الجد بالهزل، وتقترن فيه الفائدة بالدعابة، ويتساوق فيه العلم والأدب، ثم هي إلى هذا كله إسهام متواضع في مجهود تتطلبه الساحة للتذكير بمآثر السلف، ووصل الحاضر بالماضي، وبناء المعاصرة والحداثة المنشودة، على أُسس من الأصالة المحمودة، حفظا لشخصية الأمة وهويتها، ومقومات وجودها واستمراريتها.

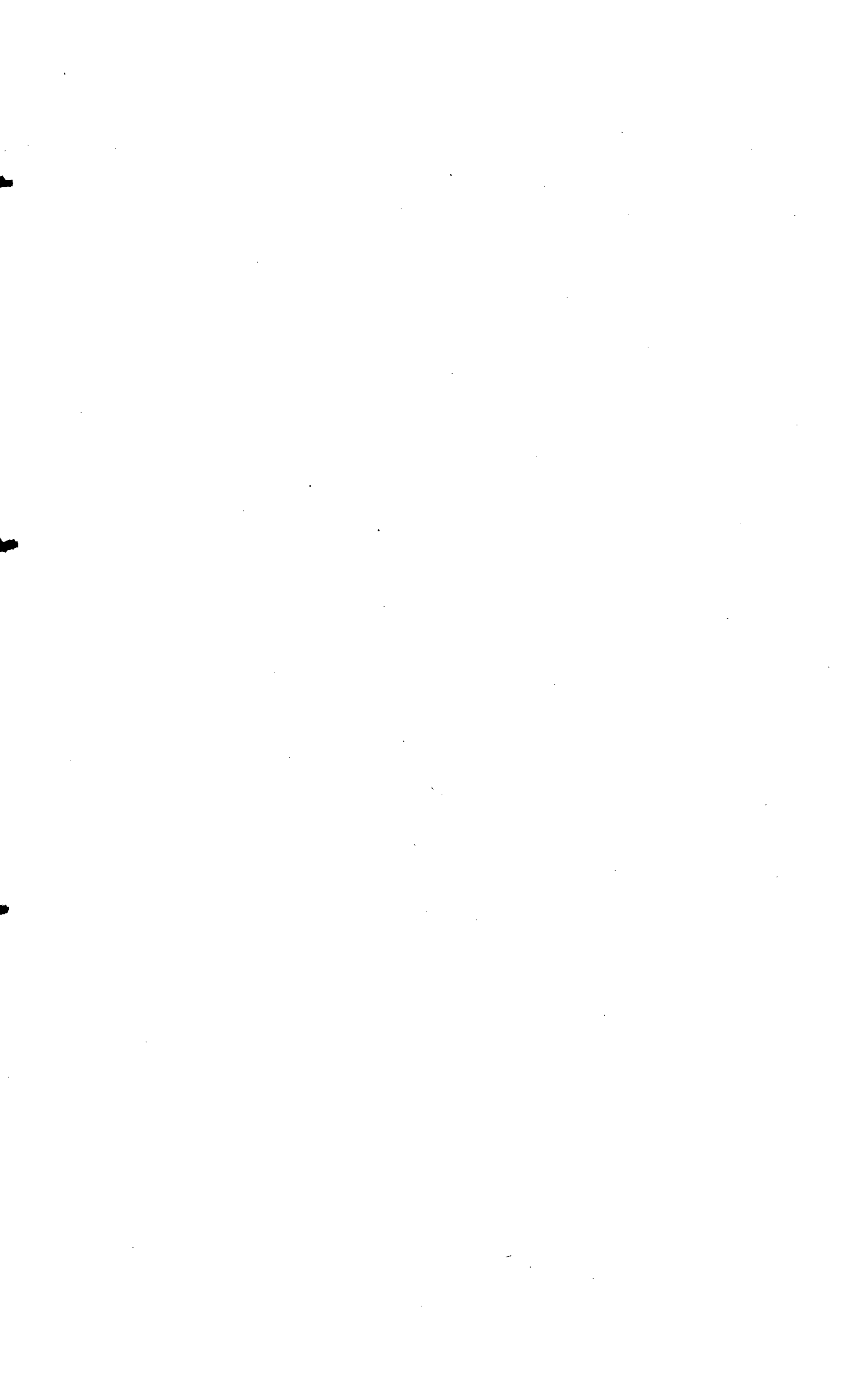


لقد قدم الباحث الفقيه الدكتور عبد الهادي حميتو مجهودات كبيرة في تأليف هذا الكتاب الذي يعتبر فريدا في بابه ممتعا في أسلوبه، مفيدا في مواضيعه فأحسن الله جزاءه.

جعل الله ثواب طبع هذا العمل في صحائف الأعمال الخالدة لمولانا أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس المنصور بالسبع المثاني وأن يقر عين جلالته بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن، وأن يشد عضد جلالته بصنوه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وأن يحفظ باقي الأسرة الملكية الشريفة إنه سميع مجيب.

أحمد التوفيق
وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية





# بين يدي الموضوع

الكتاب والمحضرة فضاء شعبي يعتني بتعليم الصغار انطلاقا من شعور ديني عام ينبثق من التعلق المتين والحب المكين لكتاب الله تعالى والرغبة في حفظه وتحصيله، ومن خلال هذا التعلق والحب تترادف المواهب يوما بعد يوم وحالا بعد حال، بحيث يتدرج بالناشئ الصغير من تلقينه مبادئ القراءة والكتابة للإستعانة بهما على الحفظ، إلى تمكينه من ملكة الأداء الحسن والإجادة في التلاوة، إلى تأهيله للتدبر في المعاني بعد تصحيح الألفاظ وتقويم الرواية، إلى توجيهه نحو التفقه في الدين وتعلم العقائد والأحكام، والتخلق بالأخلاق والآداب العامة، والأخذ التلقائي في العمل بمقتضى ذلك كله في المحيط الذي يعيش فيه.

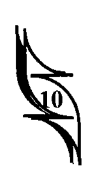
والكتاب والمحضرة اسمان لمسمى واحد تقريبا -كما سيأتي- أو هما على الأقل مرحلتان ليس بينهما فاصل مادي معين، وكلاهما يمثل المجال الزماني والمكاني الذي تتفتق فيه المواهب الأولى عند الناشئ الصغير، وترتسم الخطوط والمعالم الكبرى لمستقبله العلمي والتعليمي، وتتحدد في غالب الأحيان مياسم شخصيته وتوجهاته، وحدود مطامحه وآماله.

وللمحضرة حياة تتشكل ملامحها الأولى في مرحلة الكتاب، وهي حياة فريدة وخاصة، لها طابعها المتميز وسماتها المحددة، وأخلاقياتها وأدبياتها المرعية، وأعرافها وأهدافها التربوية وتقاليدها الاجتماعية، وأصولها العامة التي تقوم في أسسها على تراكم التجارب العملية، والممارسة المحضرية عبر التاريخ التربوي للمحضرة في تفاعلها مع محيطها الشعبي والطلابي، وضمن المنظومة التعليمية الموروثة التي تسهم

على رعايتها الجهات الرسمية المخولة، وتمدها بالعون المادي أحيانا، وبصيانة حقوقها وحمايتها من الحيف والإهتضام، وذلك بالسهر على تنظيم العلائق بين المشتغلين فيها وبين أولياء أمور روادها من التلاميذ الصغار، والطلبة الكبار، وفي أحيان كثيرة بتكريم رجال مشيختها والتنويه بهم عن طريق الجهات المعنية، والرعاية الراتبة، والظهائر الرسمية، والجوائز التشجيعية كما سوف نرى منها أمثلة زاهية.

وبين رواد هذه الكتاتيب وتلك المحاضر في العمق ما يشبه وشائج الأرحام، من العلاقات الودية والأخوية، والأواصر التكوينية المشتركة التي تنتج عنها بالطبيعة وحدة في المشارب، ووحدة في السيرة والسلوك، على نحو ما نرى سنابلَ الحقل، أو حبات العنقود والعذق في صورتها وشكلها، وفي حلاوتها وَنُسْغِهَا ونضرتها وعطائها.

وسوف يرى القارئ الكريم في الأبواب والفصول التالية شواهد صدق نواطق بما ذكرناه، تترجم عن تاريخ مجيد للكتاب والمحضرة في بلادنا، ولفئات المؤدبين، ومشاهير القراء المعلمين والمدررين، الذين ازدانت بهم المسيرة القرآنية في مختلف أطراف الإمتداد الجغرافي للمغرب والأندلس في عهد الوحدة بينهما، وفي جملة من الحواضر الشهيرة التي أعطتنا حشوداً لا حصر لها من حملة هذا الشأن وحفاظه والمنظرين له والقائمين عليه عبر القرون، وأستهل ذلك بالحديث عن أوليات التعليم القرآني ونشأة الكتاتيب في الصدر الأول انطلاقا من دار الهجرة النبوية بالمدينة المنورة، وانحدارا مع مسار الفتح الإسلامي في اتجاه هذه الديار، وذلك حتى نربط ما بين المدرسة المغربية ومحاضرها الناشئة وبين جذورها وأصولها التاريخية ومنابعها الأولى والله الموفق.



# الحياة في الكُتاب والمحضرة

تتشابه ملامح الحياة المحضرية في كل الجهات المغربية كما سوف نرى، سواء على مستوى التعليم الأولي في مرحلة (المسيد) بأطواره البدائية في التهجية والتكتيب والتنشئة الأولى على سلوكيات هذه البيئة الجديدة على الطفل، أم على مستوى (المحضرة) في تدرجها بالتلميذ أو تدرجه فيها في مختلف مراحل التحصيل.

ولعل هذا التشابه إن لم نقل التماثل ناتج عن طبيعة العمل، وطبيعة العلاقات القائمة فيه بين الأطراف، وهي علاقات راسخة تنبني على الخضوع الصارم للأعراف المحضرية السائدة، والتقاليد المتوارثة الجارية في هذا المجال عبر القرون، والمستقرة على أنماط من السلوك لا هوادة في الانصياع إليها. والتسليم بها، والإندماج فيها اندماجا كليا.

لقد توطدت في المحضرة من خلال الممارسة الطويلة الأمد، سلوكيات معينة وتحددت فيها مراسيم وأدبيات قارة، وترسخت بين أطرافها عادات وأعراف ترتبط بالجو المحضري العام وطبيعة العلاقة فيه بين الطالب ومحيطه، بينه وبين شيخ المحضرة، وبين شيخ المحضرة والجماعة التي يرتبط معها بنظام الشرط، ثم بينهما وبين المحيط المحضري بطرائقه المعتادة وأساليبه في التأديب والتلقين والتسيير، والأعراف السارية في تقسيم أوقات العمل، ونوعية النشاط القرائي ، وتعيين مواعد الراحة والعطل، ونمط

العيش الطلابي وتدبيره، والجو الطلابي المنبثق عن هذا الواقع الثابت المتحرك، وكأنما هو في حركته يراوح في مكانه، لولا علالات يستروحها في مناسبات تملي عليه نوعا من التصرف تخفف من وطأة الجد الدائم والعمل الدؤوب ليل نهار.

تلك هي حياة المحضرة بدءاً، وهي حياتها متدرجة، فيها الكثير من النمطية والتشابه، ولكنها أيضا حياة حافلة فيها العديد من مظاهر النشاط والغبطة والإحساس بالراحة، اعتباراً بما يتحقق من خلالها من أهداف وتطلعات تظل طوال الحياة المحضرية منتصبة بصورها الماثلة في خيال كل طالب يسعى إلى (الفصال) في يوم من الأيام، ليتوج بذلك هذه الحياة الحافلة بالجد والاجتهاد.

وإلى كل ما في المحضرة من هذا التنوع في مجال العمل، هنالك مراسيم أخرى يرتبط بعضها بالتسيير كنظام العقوبات، وبعضها بالتلقين، كالطرق المتبعة في التحفيظ والتصحيح، وبعضها بأوقات الاستجمام، وكل ذلك يشكل جوانب من الصورة الكاملة والهيكل المحضري العام كما يتمثل فيها ويتجسد بطرازه المتميز.

وسوف نرى بإذن الله معالم في واقع هذه الحياة مرتسمة في سير بعض الأعلام، أو مقترنة ببعض الأحداث، أو مبثوثة في بعض ما وصل إلينا من أدبيات، وليس غرضنا منها إلا التمثيل بما عساه يقربنا من تلك الحياة في مجاريها كما عاشها أو يعيش قريبا منها كل من عانى حياة المحضرة والكتاب، وسعد بالوجود في أحضانهما في ميعة الطفولة وأوائل الشباب.



كما سوف نرى أن طبيعة الكتاب والمحضرة، وخضوع العمل فيهما لجملة من الأعراف والتقاليد والأدبيات التي تحكم سيرهما وتتحكم في توجيههما يفضي إلى كثير من مظاهر التشابه بل التماثل في كثير من الجهات بين المراسيم المتبعة في هاتين المؤسستين الشعبيتين بحيث لا يكاد يختلف فيها شمال عن جنوب ولا شرق عن غرب في القديم والحديث.

وفي الأفق الذي عشنا فيه في سنوات ما قبل استقلال المغرب أدركنا بالمعايشة جملة من تلك المراسيم ما تزال على عهدها كما ظل العمل يجري بها، ويتلقاها الأخلاف عن الأسلاف، ويحرص الجميع على احترامها والحفاظ عليها، حتى أصبحت جزءاً من المنظومة المحضرية لا يعدل عنه ولا يسمح بالاعتراض عليه، إذ كان يمثل روح الأمة وقوام شخصيتها وهويتها.

غير أن رياح التطور الاجتماعي والسياسي والفكري التي هبت منذ أوائل القرن الماضي من جهة الشمال عاتية مع الهجمة الاستعمارية التي اجتاحت بلادنا، والتي قصت قبل ذلك أطراف المغرب وهيمنت على جيرانه في الجزائر وتونس وليبيا، قد عملت عملها في محاولة اقتلاع الأمة من جذورها، وتحويل خط سيرها، وتدمير هويتها الحضارية، وقيمها الدينية وروحها المعنوية، وذلك عن طريق طرح البديل الغربي في جميع المجالات، وصرف الناس إليه بالترغيب والترهيب، وتجفيف الينابيع التي تغذي التعليم الإسلامي، وسد الآفاق في وجهه، الأمر الذي كان له أثره البليغ مع الزمن في تراجع الاهتمام به، حتى أدى في كثير من الحواضر إلى اندثاره والاستبدال به، ومن هنا وجدنا المدرسة العصرية بمؤسساتها الزاهية الأنيقة، تحل محل المدارس التقليدية العتيقة، ورياض الأطفال والمدارس الحرة تعم وتنتشر على حساب الكتاب والجامع في الحواضر والبوادي

وتراءى للناس معلم هذه المؤسسات الجديدة ببذلته الزاهية وهندامه وأدواته الحديثة، في مقابل الطالب والمدرر والفقيه بجبته وعمامته، وزيه وعتاقته، فكان ما كان من زيادة الإقبال على ذاك، والزهد والانصراف عن هذا، حتى كاد لولا لطف الله أن ينقرض من الحواضر وكثير من البوادي ما كان معروفا فيها من التعليم القرآني.

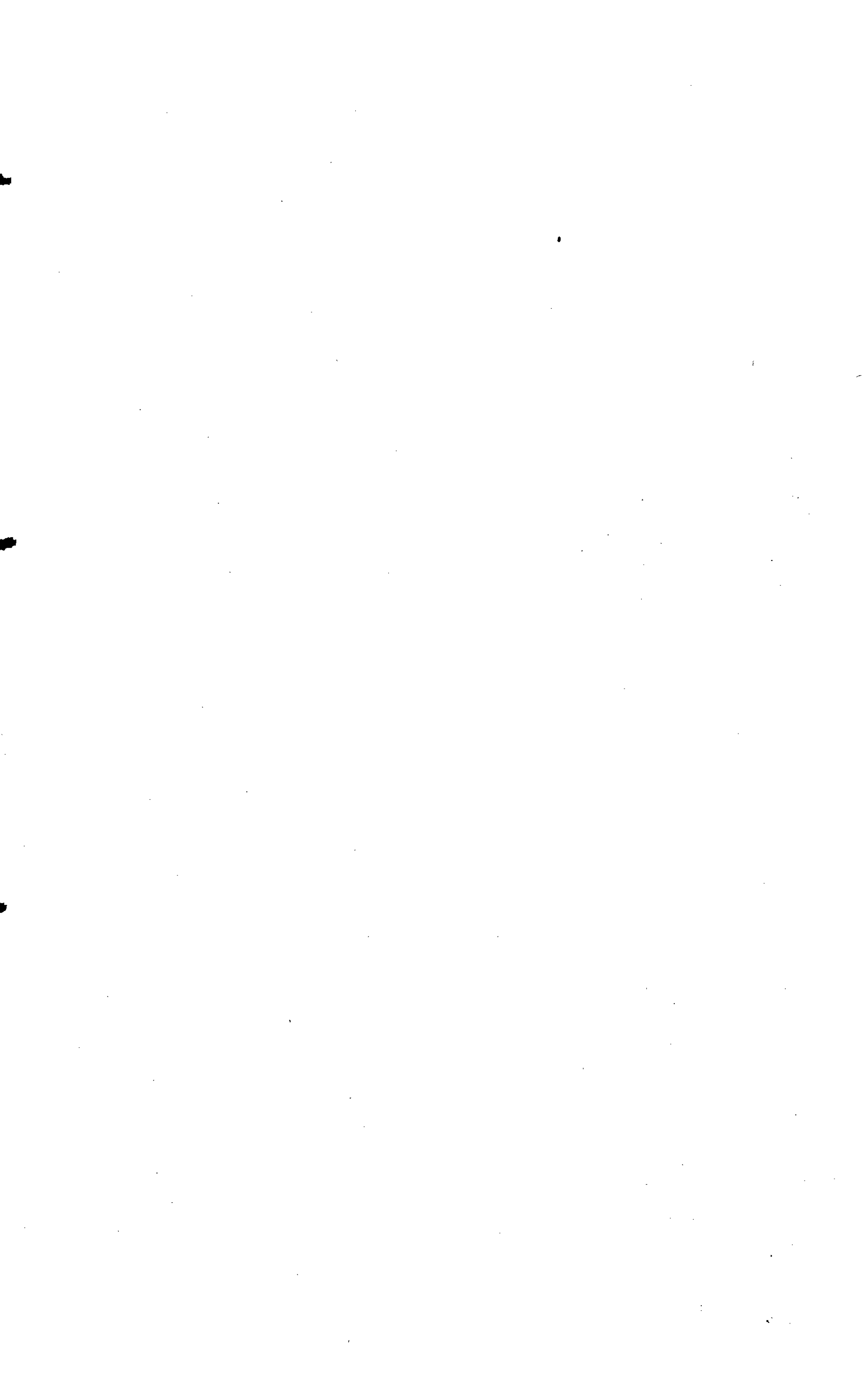
ثم تدارك الله سبحانه البلاد والعباد، بسعي حماة هذه البلاد، وعمل أهل الغيرة والدين فيها على إنقاذ ما تبقى من المؤسسات، وإحياء التعليم العتيق والأصيل، ودعم روافدها في البوادي والحواضر حتى تستطيع استرجاع مجدها الغابر، واستعادة مكانتها في قيادة الأمة، وتزويدها بما هي في حاجة دائمة إليه من الطاقات الدينية والعلمية، وحماية مقدساتها من السطو والتدنيس والامتهان، والحفاظ على هويتها وشخصيتها من التحلل والذوبان.

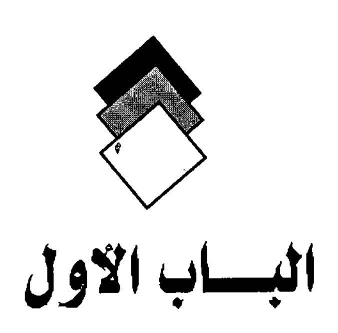
وهذه الحياة في الكتاب والمحضرة والجامع مهما يكن الرأي فيها وفي أساليب تعليمها، هي جزء من هويتنا وتاريخنا الحضاري، ولذلك فإن التعريف بها وبمراسيمها وتقاليدها وأعرافها هو تعريف بجوانب من مقومات شخصيتنا الاعتبارية، كما أن التأريخ لها من شأنه أن يربط صلات الوصل بين حاضر التعليم الإسلامي عندنا وبين ماضيه، وبين مؤسساته الحالية ومؤسساته العتيقة. كما أنه يحافظ على جملة من التقاليد الاجتماعية والشعبية، والأدبيات التي تقترن بها، مما يعتبر جزءاً قيما من تراث الأمة لا ينبغي أن يضيع ويدخل في طي النسيان، ورصيداً حضاريا مهما، يجب أن يحفظ له مكانه في ذاكرة الأمة وسجلات تاريخها. على أن جملة وافرة مما أصفه ما يزال قائما في عدد من الجهات، وإن كان في جهات أخرى قد أمسى في خبر كان، وكل هذا وذاك في حاجة إلى أن

يوصف ويدوّن، ويقوم وتستخلص منه الفائدة، وتجلى صوره ووقائعه للأجيال اللاحقة، إذ فيه الكثير الطيب مما ينتفع به، والجميل البديع مما يستطرف ويحاضر به، وفيه إلى جانب ذلك تسجيل لجهاد الأسلاف في تدبير أمر هذا المقوم الديني المجيد، والمحافظة من خلاله على انتماء الأمة ووجودها، ووحدتها الدينية وهويتها الحضارية والقومية، وشخصيتها الاعتبارية.

ومن هنا كان اهتبالنا برصد هذا الجانب من جوانب المسيرة الثقافية في بلادنا، ومن هذا الإحساس أيضا ينبع هذا الاهتمام الملحوظ في الجانب الرسمي سواء من حيث الالتفاتات المولوية المتتالية في تشجيع هذا النوع من التعليم الأولي، والسعي إلى تطويره والمحافظة على روحه وجوهره، أم من حيث العناية الملحوظة من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والمتمثلة في دعم ومتابعة هذا النشاط، واعتماد المنح المهمة له، وإعطاء المزيد من الرخص لفتح مؤسساته، وتنظيم المسابقات الدورية والسنوية المحلية والجهوية والمركزية لدعمه وتشجيعه ماديا ومعنويا، مما يبشر بمزيد من الإقبال عليه، والإفادة من الوسائل العصرية المتاحة في تطويره، وتزويد مناهجه وبرامجه بكل صالح ومفيد، حتى تتحقق الأهداف والغايات المرجوة منه بعون الله، والله سبحانه الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

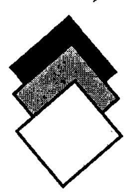


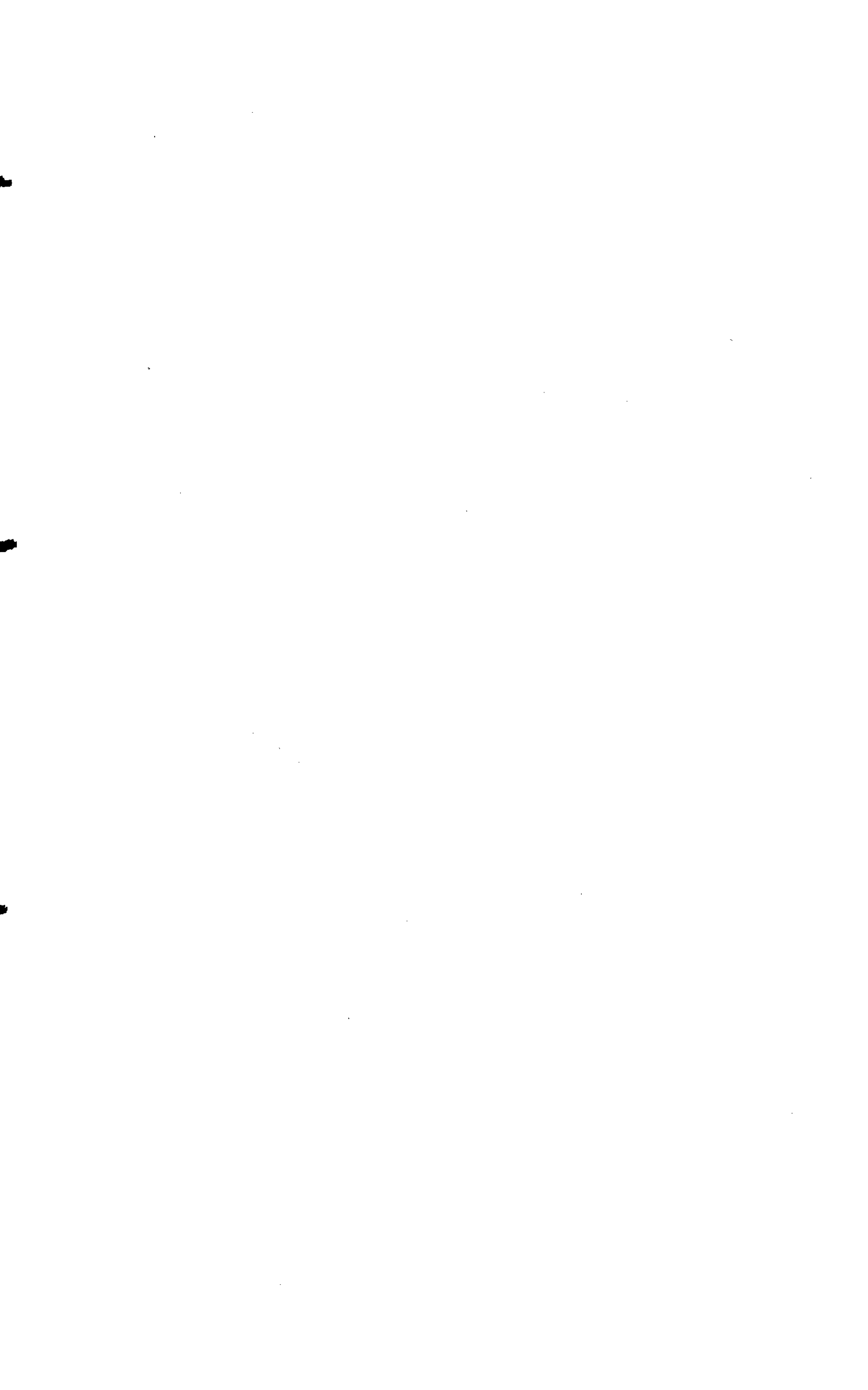




# الباب الأول

## أوليات التعليم في الصدر الأول ونشأة الكتاتيب القرآنية





# الفصل الأول

## أوليات التعليم القرآني ونشاة الكتاتيب:

ترتبط أوليات التعليم القرآني بأوليات الدعوة الإسلامية نفسها، حتى إنه يمكن القول عنها: إنها انطلقت من غار حراء، أي: من تعليم جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ - الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وهي آيات تضمنت أول مفردات هذا الشأن وأدواته، وهي القراءة والقلم والمعلم والمتعلم وموضوعات العلم، وذلك في قوله عز شأنه:

**﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ﴾**(1).

وفي حديث عائشة في الصحيح في هذه القصة قالت: «فرجع بها رسول الله ﷺ - يَرْجُفُ بها فُؤادُه» (2).

ثم حمي الوحي بعد ذلك وتتابع التعليم كما قال تعالى في سورة النساء:

**﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما ﴾**(3).

---

1- سورة العلق: الآيات من 1 إلى 5 .
2 - صحيح البخاري: باب كيف كان بدء الوحي 6/1
3 - سورة النساء الآية: 113



وكان رسول الله – ﷺ – أول المعلمين لهذه الأمة من الأميين: ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾(1).

وتعلم أصحابه من السابقين الأولين منه ما كان ينزل عليه، وعلمه بعضهم لبعض. فكان منهم الرعيل المبارك الأول من المعلمين، وقصة خبّاب الأرث في تعليمه لفاطمة بنت الخطاب في بيت زوجها سعيد بن زيد ومفاجأة أخيها عمر –رضي الله عنهم أجمعين– وهو يومئذ على دين قومه قصة مشهورة في كتب السيرة، وقد تكللت بإعلانه عن إسلامه بعد أن سمع من القارئ ما كان يقرؤه عليه من أول سورة طه، فما لبث أن شرح الله صدره للإسلام (2).

## مشاهير المعلمين من قراء الصحابة

وقد عقد لذكر المعلمين من الصحابة الشيخ عبد الحي الكتاني في كتاب التراتيب الإدارية بابا في منتهى الأهمية تحت عنوان: «ذكر معلم القرآن وفيه فصول»:

ونظراً لطول ما ذكره مستدلا له بأدلته من النقول، أقتصر منه على ذكر أسماء بعض المعلمين من قراء الصحابة ممن ساق أخبارهم في تعليم القرآن، ومنهم:

---

1- سورة الجمعة: الآية 2 .

2 – أنظر كتاب السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لأبي حاتم بن حبان البستي: 86-90 وسيرة ابن هشام 282/1-283 والإكتفاء للكلاعي 205/1-207 وتاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة: 655/2



1- عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «وكان يعلم أهل الصفة القرآن» (1).

2- أبان بن سعيد بن العاص، دفع إليه النبي ﷺ وردان جد الفرات بن يزيد بن وردان لما أسلم «ليمونه ويعلمه القرآن» (2).

3- أبو عبيدة بن الجراح: دفع إليه النبي ﷺ أبا ثعلبه الخشني.

قال: «لقيت رسول الله - ﷺ- فقلت: يا رسول الله، ادفعني إلى رجل حسن التعليم فدفعني إلى أبي عبيدة بن الجراح، ثم قال: دفعتك إلى رجل يحسن تعليمك وأدبك» (3).

4 - مصعب بن عمير من بني عبد الدار «هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن ويصلي بهم، بعثه رسول الله ﷺ مع الإثني عشر أهل العقبة الثانية ليفقه أهل المدينة ويقرئهم القرآن، فنزل على أسعد ابن زرارة» (4) وهو أول من سُمي «المقرئ» (5).

5 - معاذ بن جبل: «خلفه رسول الله ﷺ بعد فتح مكة بها مع عتاب ابن أسيد «يفقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن» (6).

وفي الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر عن معاذ أن النبي - ﷺ- بعثه قاضيا على الجند من اليمن «يعلم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم» (7).

---

1- التراتيب الإدارية: 40/1
2 - نفسه: 40/1
3 - نفسه: 41/1
4 - نفسه: 41/1
5 - السيرة النبوية للحافظ مغلطاي: 30 وحلية الأولياء لأبي نعيم: 107/1
6 - التراتيب الإدارية: 41/1
7- نقله في التراتيب الإدارية : 43/1



6 – عمرو بن حزم الخزرجي النجاري «استعمله النبي صلى – ﷺ– على نجران ليقفهم في الدين ويعلمهم القرآن، ويأخذ صدقاتهم، وذلك سنة عشر بعد أن أرسل إليهم خالد بن الوليد فأسلموا..» (1)

7– رافع بن مالك الأنصاري، روى الزبير بن بكار في أخبار المدينة أن رافعا لما لقي المصطفى – ﷺ– بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت، فقدم به رافع المدينة، ثم جمع قومه فقرأ عليه في موضعه، قال: وعجب المصطفى –ﷺ– من اعتدال قلبه» (2) .

وأما من جمعوا القرآن من قراء الصحابة وكانت القراءة تؤخذ عنهم فقد حفلت بذكرهم كتب علوم القرآن وطبقات القراء، وهم عدد كبير، ولا يتسع المجال هنا لذكر أسمائهم، وأهمهم من المهاجرين الخلفاء الأربعة، وأمهات المؤمنين، والقراء الأربعة الذين أمر النبي ﷺ فقال: « خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل»، ثم كان من بعدهم زيد بن ثابت كاتب الوحي لرسول الله – ﷺ– وجامع المصحف لأبي بكر الصديق ثم لعثمان رضي الله عنهم.

وفي حديث زيد بن ثابت أنه حفظ سبع عشرة سورة من القرآن قبل هجرة النبي –ﷺ– –قال–: فلما هاجر قرأت عليه فأعجبه ذلك (3).

ونحو ذلك جاء عن البراء بن عازب الأنصاري (4). وفي الحلية عن أنس –رضي الله عنه– ما يفيد تكوّن مدرسة قرآنية مختصة في هذا

1 – التراتيب 43/1

2 – التراتيب 43/1

3– المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم : 431/1 وتذكرة الحفاظ للذهبي 31/1

4 –صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر 328/10



الصدد خارج المسجد النبوي فقد «ذكر أنس سبعين رجلا كانوا إذا جاءوا إلى رسول الله أووا إلى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن» (1).

## مشاهير معلمي الكتابة من الصحابة

وقد ذكر إلى جانب هؤلاء المعلمين للقرآن طائفة اشتهروا بتعلم الكتابة وتعليمها فمنهم:

1- زيد بن ثابت، فقد صح أن النبي - ﷺ- قال له: تعلم لي كتابة اليهود، فإني لست آمنهم على كتابي، قال: فتعلمتها في سبعة عشر يوما(2).

وفي الروض الأُنُف للسُّهَيلي قال: «وكان في الأسرى -يوم بدر- من يكتب، ولم يكن في الأنصار يومئذ أحد يحسن الكتابة، فكان منهم من لا مال له فيقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غِلمة الأنصار (3).

2- عبد الله بن سعيد بن العاص الأموي.

وقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أن رسول الله - ﷺ- أمره أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسنا» (4).

3- عبادة بن الصامت الأنصاري:

وفي سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال: «علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن» (5).

---

1 - حلية الأولياء: 123/1

2 - التراتيب الإدارية : 202/1-205

3 - الاكتفاء: 84/3 ومثله في كتاب الكامل للمبرد: 154/1

4- الاستيعاب: 393 (المطبعة الهندية) 366/2 (بهامش الإصابة لابن حجر)

5 - التراتيب الإدارية: 48/1 نقلا عن سنن أبي داود.



4 – الشفاء أم سليمان بن أبي حتمة، قال أبو داود في سننه عن الشفاء قالت: «دخل علي النبي – ﷺ – وأنا عند حفصة، فقال: ألا تعلّمين هذه رقية النملة (1) كما علمتها الكتابة؟» (2).

5 – وولدها سليمان بن أبي حتمة ولاه عمر بن الخطاب الصلاة بالنساء في تراويح رمضان بالمسجد النبوي (3). وفي العتبية في سماع عيسى عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك مرفوعا أن النبي – ﷺ – قدر لمن يعلم الهجاء ثمانية دراهم ، وذكر ما زاد على ذلك من سور القرآن (4) .

## إنشاء دار للقُراء بالمدينة المنورة

ويعتبر إنشاء دار خاصة لهذا الشأن بالمدينة المنورة في زمن النبوّة الباكورة الأولى لنشأة المدارس القرآنية والعلمية في الأمصار الإسلامية، أو لنقل بأنها أول محضرة قامت على هذه الفكرة. ففي الطبقات الكبرى لابن سعد في ترجمة عبد الله بن أم مكتوم، أنه «قدم المدينة مهاجرا بعد بدر بيسير، فنزل «دار القراء» وهي دار مخرمة بن نوفل» (5).

وفي الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر في باب العبادلة في ذكر عبد الله بن أم مكتوم نقلا عن الواقدي أنه قال: «قدم المدينة مع مصعب بن عمير بعد بدر بيسير فنزل «دار القراء» (6).

---

1 – النملة: قروح تخرج في البدن في الجنب. أنظر لسان العرب – نمل: 680/11

2 – سنن أبي داود:

3 – طبقات ابن سعد: 150/4 .

4- كتاب أليس الصبح بقريب لمحمد الطاهر بن عاشور : 45 .

5 – أنظر تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة: 116/2 .

6 – نقله صاحب التراتيب الإدارية: 56/1 وأنظر المدهش لابن الجوزي: 45.

وقد تقدم أن مصعب بن عمير المذكور أقرأ بالمدينة قبل الهجرة بعد العقبة الأولى، وكان عليه الصلاة والسلام بعثه إلى الأنصار «فنزل في بني غُنم على أسعد بن زرارة يحدثهم ويقصّ عليهم، فلم يزل يدعو ويهدي الله على يديه حتى قلّ دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس، ورجع مصعب إلى رسول الله -ﷺ- وكان يدعى «المقرئ» (1).

فمصعب بن عمير الذي يعتبر أول سفير في الإسلام، وأول داعية أيضا دعا إلى الإسلام بالمدينة النبوية، يعتبر أيضا الرائد الأول في تأسيس هذه المحضرة القرآنية التي كانت تسمي «دار القُراء».

## دور المسجد النبوي في تكوين مدرسة المدينة: (أهل الصفة)

وقد نهض المسجد النبوي بهذه المأمورية أعظم نهوض ، فكان يستقطب إليه هذه الجهود الفردية والجماعية لينفخ فيها من روحه، وينفحها بالنفحة النبوية العطرة ليزيد في إذكاء جذوتها وتوزيع إشعاعها في كل اتجاه.

وفي حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي -ﷺ- إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع للمسجد ضجة، حتى أمرهم النبي -ﷺ- أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا» (2).

وقد قامت على صفة المسجد النبوي مدرسة أخرى كانت هي النواة الرسمية لمدرسة القراءات بالمدينة المنورة، وذلك على أيدي «أهل الصفة» وهي سقيفة كانت أمام المسجد النبوي خصصت للمهاجرين الجدد و«كانوا قوما

---

1 - حلية الأولياء: 107/1 .

2- أنظر مناهل العرفان: 234/1



من المهاجرين لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر، فنزلوا في صفة المسجد، وكانوا أربعمائة رجل يتلمسون الرزق بالنهار، ويأوون إلى الصفة بالليل» (1).

وكان النبي – ﷺ– يتولى أحيانا تعليمهم بنفسه، كما في حديث أبي طلحة الأنصار –رضي الله عنه– أنه «أقبل يوما فإذا النبي – ﷺ– قائما يقرئ أصحاب الصفة» (2).

وفي الحديث أنه «لما قدم عامر بن الطفيل على رسول الله – ﷺ– قال: ما هذه العُبَدَّى حولك يا محمد؟ أراد: فقراء أهل الصفة» (3).

وقد تخرج من مدرسة الصفة عدد كبير من قراء الصحابة كانوا هم الطليعة البارزة في المدرسة المدنية، ثم كانوا عماد هذه المدرسة في النصف الأول من المائة الهجرية الأولى.

وقد ذكر الحافظ أبو نعيم قائمة طويلة بأسماء جماعة من المشاهير منهم ممن عرف لهم وجود بالصفة المذكورة، ولولا ضيق المقام لذكرنا منهم أسماء جماعة كان لهم فيها بعد المقام المحمود في مدارس القراءات بالأمصار (4).

ولاشك أن هذه الأطر كانت بمثابة البذور الزكية أو الأصول والجذور الأولى التي تفرعت عنها عامة المدارس في علوم القرآن، كما أنها أتت أكلها المتمثل في ثمارها الزكية التي ظهرت في الصدر الأول في صورة بعثات تعليمية وتوجيهية كان لها الفضل الأكبر في نشوء المدارس الكبرى في مختلف البلاد الإسلامية (5).

---

1 – أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي المعافري، القسم الثالث: 1317

2 – حلية الأولياء: 322/1

3 – النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: 68/3

4 – أنظر الحلية: 352/1-353

5 – أنظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 212/1 .

ومن هنا يبرز الدور الرائد الذي كان يقوم به المسجد في هذا الشأن، فقد كان بمثابة المدرسة اليومية المفتوحة للجميع، وكان معظم هذا الاتجاه في التعليم القرآني والتكوين الشرعي يتم على مستوى الكبار، لتأهيلهم للقيام بوظائف الدعوة والتوجيه، والإمامة في الصلوات، وقد اقتضى ارتباط التعليم القرآني بأهدافه العليا وقيمه المثلى، أن تكون المساجد هي المحضن الأول لهذا التعليم، لتتحقق بذلك التربية العملية على التمرس بالشعائر الدينية علما وعملا، والالتزام بالآداب والأخلاق الفاضلة التي يقتضيها وجود الناشئ والمتعلم في رحاب المسجد، بحيث يتنامى في نفسه الشعور بالرقابة الإلهية، وحفظ السمت، والتزام السكينة والوقار في المسجد رعاية للمقام، وحفظا للسلوك العام، بالتأدب مع رواد المسجد، وعدم إزعاجهم برفع الصوت وكثرة الحركة وما إلى ذلك مما يخل بالأدب المطلوب.

وقد روي عن عبد الله بن نافع الزبيري أحد فضلاء أصحاب الإمام مالك بن أنس أنه قال:

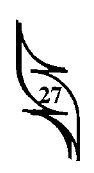
«كنت أقرأ على نافع بن أبي نعيم بعد الصبح، بالمسجد النبوي، فرفعت صوتي فزجرني وقال: أوما ترى مالكا؟ وذلك أول ما عرفت به مالكا» (1).

ويعني أو ما ترى حلقة مالك العلمية على قرب بالمسجد؟ وهذا يدل على أن حلقة نافع كانت تضم الكبار والصغار ممن تأهلوا لمستوى من الأخذ والعرض يتجاوز مستوى الكُتاب المخصوص بالصغار.

وقد جاء عن نافع بن أبي نعيم نفسه أنه كان يتردد على مثل هذه الحلقات القرائية وهو في ميعة الصبا بالمسجد النبوي، فروى الإمام الجعبري عن نافع أنه قال:

---

1 -ترتيب المدارك للقاضي عياض: 234/1



«كنت أقرأ على أبي جعفر المدني، وأنا ابن تسع ولي ضفيرتان» (1).

ونافع كما هو مذكور في ترجمته قد ولد عام سبعين من الهجرة (2) فهو إذن يتحدث عن العقد الثامن في جلوسه فيه إلى شيخه المدني، وهو متصدر للإقراء عند الحجرة النبوية بالمدينة.

ويقول شيخه أبو جعفر المدني عنه فيما رواه عنه تلميذه الآخر سليمان بن مسلم بن جماز مشيراً إلى نافع وهو يضحك: «أترى هذا، كان يأتيني وهو غلام له ذؤابة، فيقرأ عليّ، ثم كفرني؟!» (3).

وفي أثناء هذا الطور أخذت الحاجة تظهر ماسة إلى تخصيص كتاتيب وملحقات تلحق بالمساجد احتياطا لنظافة المسجد من جهة، وابتعادا بالصبية عن إزعاج من فيها والتشويش عليهم، وهي خطوة كان لابد منها، وخاصة حينما كثر عدد المتعلمين وأصبح الإشراف على الكتاتيب داخلا ضمن اختصاصات خطط القضاء كما سوف نراه.

---

1 - كنز المعاني للجعبري ورقة 11 (مخطوط)

2 - أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي 336/7 ترجمة 121

3 - وفيات الأعيان لابن خلكان: 275/6 ترجمة 814 .



# الفصل الثاني

## الكتاتيب القرآنية بالمدينة النبوية في الصدر الأول

تلك صورة مصغرة وموجزة عن حركة الإقراء والتعليم على مستوى الكبار، فهل واكبها نشاط مماثل على مستوى تأديب الصغار والعناية بتلقينهم القرآن ونصب المعلمين لهم في ذلك كما هو منتظر؟

الواقع أن العناية بتأديب الصغار كانت تساير هذا الشعور العام بالحاجة إلى معلمين أكفاء يتفرغون لهذه المهامّ. ومن ثم فنحن نقف على إشارات في غاية الأهمية تشير إلى اهتمامات مبكرة بأحوال الناشئة لمواجهة هذا التحول الجديد في الحياة الإسلامية بالمدينة ولتوفير الأطر والكفاءات اللازمة لسد حاجة الناس إلى المعلمين الذين يتفرغون لتعليم الناشئة.

وقد اتخذت لذلك جملة من الإجراءات منها:

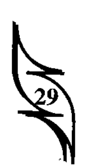
1 - تأسيس كتاتيب للقيام بهذه المهمة.

2 - تشجيع القائمين عليها بفرض أرزاق ثابتة لهم في بيت المال.

3 - استقدام أهل الكفاية ورعايتهم للنهوض بها.

4 - السماح بالمشارطة على التعليم بعد أن كانت الفتوى على الكراهة والمنع منها.

ففيما يخص النقطة الأولى، وهي تأسيس كتاتيب للقيام بتعليم الناشئة مبادئ القراءة والكتابة نجد في كتب السنة إشارات مبكرة إلى أن ذلك قد اقترن بأول عهود خلافة الراشدين.



ففي الخبر عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قيل له: «كيف كان المؤدبون على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله عنهم-؟ قال: «كان للمؤدب إجّانة -يعني إناء من حجر، يجيء كل صبي يوم نوبته بماء طاهر يصبه فيها- يمحون فيها ألواحهم، ثم يصُبّون الماء بحفرة في الأرض فينشف» (1).

فقوله: «كان المؤدبون على عهد أبي بكر وعمر..» يدل على أن التأديب قد أضحى لهذا العهد خطة شرعية، وأن المؤدبين كانوا متعددين، وأن مثل هذا العرف عندهم في الاحتياط للماء المحوّ من الألواح حتى لا تدوسه الأقدام، قد غدا داخلا فيما جرى به العمل بينهم، كما غدا على الصبيان المتعلمين الخضوع لنظام التناوب في تزويد الإجانة في يوم نوبتهم بما يلزمها من الماء، وتلك هي الأعراف الأولى التي تعتبر إحدى اللبنات في تكوين الحياة المحضرية الخاصة.

وقد تجمعت عندنا إشارات أخرى تدل على توافر خطوات مبكرة في قيام هذه الكتاتيب، وإطلاق هذه التسمية الاصطلاحية عليها بالمدينة المنورة وغيرها.

- فقد نص عدد من المؤرخين لهذا الشأن أن سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أول من جمع الصبيان في المكتب (2)، وأنه «أمر عامر بن عبد الله الخزاعي أن يلازم تعليم الصبيان بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى، ثم من الظهر إلى صلاة العصر، ويسرحهم في بقية النهار» (3).

---

1 - رسالة آداب المعلمين لابن سحنون ضمن كتاب التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني 355 وانظر كتاب:
- المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه: جامع جوامع الإختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وأدباء الصبيان: تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي: 89 .

2 - أنظر الفوائد الجميلة للشوشاوي: 285-286 وكتاب أليس الصبح بقريب لمحمد للطاهر بن عاشور 55 .

3- جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي: 90 .

• وفي شرح النفزاوي على رسالة ابن أبي زيد في الفقه ما يفيد أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أول من بنى مدرسة في الإسلام جمع فيها أولاد المسلمين وشارط عابد وقيل عامر بن عبد الله الخزاعي -رضي الله عنه- على رزق معلوم يأخذه من بيت المال، ليلازمهم على التعليم، وأمره أن يكتب في اللوح للبليد منهم، ويلقِّن الفهيم» (1) .

وهذا يفضي بنا إلى النقطة الثانية، وهي تشجيع السلطة الرسمية بفرض رزق معلوم لمعلمي القرآن في بيت مال المسلمين باعتباره من المصالح العامة التي يجب على أهل الولاية رعايتها والقيام بوظائفها.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أول من فرض للمعلمين رزقا قارا في بيت المال، ففي طبقات ابن سعد أنه «فرض للناس على قراءتهم القرآن» (2).

وفي تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النميري (173-262) ذكر لمجموعة من الكتاتيب التي كانت لهذا العهد معروفة بأسمائها في المدينة المنورة، ومنها "كتاب عروة" في بني زريق (3) وذكر عن دار عمار بن ياسر -رضي الله عنه- التي في بني زريق قوله: «ولها خوخة شارعة في كتاب عروة، وهي خوخة عمار نفسه» (4).

وقال ابن شبة: «واتخذ عبد بن زَمْعَةَ داره التي في «كُتّاب عروة»-- وعروة: رجل من أهل اليمن كان يعلِّم- إلى حدها الشامي دارُ حفصة، وحدها اليماني دار ابن مشنو، بابها لازقٌ في «كُتَّاب عروة» (5) قال:

1 - النفزاوي شرح الرسالة القيروانية: 30/1
2 - الطبقات الكبرى لابن سعد: 226/3 وكذا 350/3 .
3- تاريخ المدينة المنورة لابن شبة النميري: 130/1
4 - نفسه: 245/1 .
5 - نفسه: 253/1 .



«واتخذ عبد الرحمن بن مشنو داره التي في «كتاب عروة» حدها من القبلة: دبر دار عمار بن ياسر» وحدها من الشام: دار عبد بن زمعة، وحدها من الشرق «كُتاب إسحاق الأعرج» بابها لائط في «كتاب عروة» (1).

وقال ابن شبة في ذكر صلاة النبي - ﷺ- في مسجد قباء: «كان إسحاق بن أبي بكر بن أبي إسحاق يحدث أن مبدأ رسول الله - ﷺ- في مركبه إلَى قباء أن يمر على المصلّى... ثم يمر على مسجد بني زريق من "كتاب عروة» حتى يخرج إلى البلاط» (2).

قلت: هذا التحديد لسيره - ﷺ- بذكر المرور على «كتاب عروة» يدل على وجوده يومئذ في زمن النبوة.

كما أن في وجود «كُتّاب عروة» و«كتّاب إسحاق الأعرج» في حومة واحدة، ما يدل على وفرة هذه الكتاتيب وكثرة غاشيتها من الصبيان بالمدينة النبوية.

وقال في مكان آخر: « واتخذ رويشد الثقفي... دارا يقال لها: القمقم التي في «كتاب ابن زيان (3) و«اتخذ عمرو بن العاص -رضي الله عنه- داره التي بالبلاط بين دار خالد بن الوليد، وبين الكتاب الذي يقال له: "كتاب ابن الخصيب» (4).

وكان بالمدينة أيضا لهذا العهد «كتاب النصر» وعنده نزل آل قُسيط ابن يعمر (5) وكتاب لم يسمه ابن شبة ذكره عند ذكر دار آل عكاشة بن

---

1 - نفسه: 253/1 .
2 - نفسه: 253/1 .
3- نفسه: 56/1-57
4 - تاريخ المدينة: 249/1-250 .
5 - نفسه: 251/1 .

مصعب بن الزبير قال: «وهي الدار التي على باب الزقاق الذي فيه «الكتاب» الذي يخرجك إلى دور نفيس بن محمد.. (1).

وكان فيها «كُتاب أبي ذِبّان» وكانت بقربه دار نوفل بن عدي «وُجاه الكتاب الذي يقال له «كتّاب أبي ذِبّان» (2).

وهذه الكتاتيب -فيما يبدو- لم تكن كلها تحت رعاية الخليفة، وإنما غدت مورداً من موارد طلب الرزق بالعمل المشروع في التعليم والتأديب، ويبدو أنها كانت تدرّ على العاملين فيها دخلا مناسبا، وكان بعض العاملين بها ينتفعون من بعض الخدمات التي يؤديها لهم روادها.

وفي حديث أم سليم -رضي الله عنها- وهي زوج أبي طلحة الأنصاري وأم أنس بن مالك- أنها «بعثت إلى معلم الكتاب: أنّ أبعث لي غلمانا ينفشون لي صوفا، ولا تبعث إلي حرّاً (3).

وفي ترجمة علقمة بن أبي علقمة -مولى لعائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أنه كان له كتّاب يعلم فيه العربية والنحو والعروض (4).

وفي أخبار إمام دار الهجرة مالك بن أنس أن أسرته انتقلت به من ذي المروة إلى العقيق بقرب المدينة فعاش مع أخ له من تجارة البزّ، حتى وجهته أمه إلى الكُتّاب فحفظ القران على قارئ المدينة أول السبعة القراء: نافع بن أبي نعيم (5) ولذلك كان نافع يوصف ب «مؤدب مالك بن أنس (6).

---

1 - نفسه: 229 .

2 - نفسه: 231/1 .

3- صحيح البخاري -كتاب الديات:: 193/4

4 - ومات في خلافة أبي جعفر المنصور سنة 137 وقد روى عنه مالك بن انس، انظر طبقات ابن سعد: الملحق الذي ذكر فيه أهل المدينة: 342-343 ترجمة رقم 251 .

5 - انظر كتاب قراءة الإمام نافع عند المغاربة للمؤلف: 203/1 .

6 - انظر شرف الطالب في أسنى المطالب لابن قنفذ: 137 (كتاب الوفيات) وانظر ندوة الإمام مالك: محاضرة الأستاذ إبراهيم صالح من نيجيريا: 126/1 (نشر وزارة الأوقاف المغربية).

وفي ترجمة محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب الفقيه جاء ذكر أخوين من صبيان أهل المدينة قال أحدهما: جئته أنا وأخي شملة انقلبنا من (الكتاب)، فلما كان من الغد وانقلبنا من (الكتاب) قالت أمي: اذهبوا إلى ابن أبي ذئب، فأما أخي شملة فحلف أن لا يذهب إليه، وأما أنا فذهبت إليه (1).

## نشأة نظام الحلق والدراسة القرآنية

وقد نشأ في زمن الراشدين نظام الحلق القرآنية في المساجد، ويقال إن أول من أحدثه أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- لما ولي الإمارة بالعراق في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

## حلقة أبي موسى الأشعري بمسجد البصرة بالعراق

وهو الصحابي الجليل عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري اليماني، هاجر إلى النبي -ﷺ- عند فتح خيبر، وحفظ القرآن وعرضه على النبي ﷺ وكان من نجباء الصحابة. وكان من أطيب الناس صوتا بالقرآن، سمع النبي ﷺ قراءته بالليل فقال: لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود، وقال للنبي ﷺ: لو علمت أنك تستمع إلي لحبرته لك تحبيرا، وكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا رآه قال: ذكّرنا ربنا يا أبا موسى، فيقرأ عنده (2).

وقد ولاه عمر أميرا على البصرة، ومات عمر وهو وال عليها، وأوصى من يلي بعده أن يقره على ولايته سبع سنين فأقره عثمان رضي الله عنهما.

---

1 – طبقات ابن سعد – القسم المتمم لتابعي أهل المدينة: 414-415 ترجمة 350 .

2 – غاية النهاية: 442-443 ترجمة 1851 .

وكان القراء من أهل البصرة يسمون مصحفه «لُباب القلوب».

وقد كثر الآخذون للقرآن عنه في المسجد الجامع بالبصرة كثرة بالغة، فكان يجلسهم حِلقا حِلَقا، ولذلك قيل عنه: إنه أول من أحدث الحِلَق للقراءة في المساجد.

أخرج الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح عن أبي رجاء العطاردي قال: «كان أبو موسى يقرئنا فيجلسنا حِلَقا، عليه ثوبان أبيضان، فإذا تلا هذه السورة: ﴿اقرأ بأسم ربك الذي خلق﴾ قال: هذه أول سورة أنزلت على محمد -ﷺ-» (1).

وروى عبد الرحمن بن مهدي بسنده عن أبي رجاء قال:

«كان أبو موسى -يعني الأشعري- يعلمنا القرآن خمسا خمسا» (2).

توفي أبو موسى سنة 44 وقيل بعدها (3).

وكانت لعدد آخر من كبار الصحابة والتابعين حلق مماثلة في مساجد الأمصار الكبرى في المدينة ومكة والشام والعراق، ومنها: حلقة الصحابي الجليل أبي الدرداء: عويمر بن زيد رضي الله عنه بدمشق.

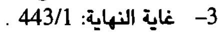
## أقدم أضخم محضرة في زمن الصحابة
## لأبي الدرداء في مسجد دمشق

قال الحافظ الذهبي في ترجمة أبي الدرداء -رضي الله عنه (ت 32 هـ).

---

1 - أنظر الإتقان في علوم القران للسيوطي: 23/1 .

2 - رسالة التنبيه على الخطا والجهل والتمويه لأبي عمرو الداني (مخطوطة).



3- غاية النهاية: 443/1 .



«قال سويد بن عبد العزيز: كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في (جامع دمشق) اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفا، ويقف هو في المحراب يرمُقُهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك.

وكان ابن عامر (1) عريفا على عشرة -كذا قال سويد- فلما مات أبو الدرداء خلَفه ابن عامر.

وعن مسلم بن مِشكَم قال قال لي أبو الدرداء: اعدُد من يقرأ عندي القرآن. فعددتهم ألفاً وستمائة ونيّفا، وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائما، وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء -رضي الله عنه-» (2).

وقال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء: «إن أبا الدرداء هو الذي سن الحِلَق للقراءة» (3).

## حلقة أبي عبد الرحمن السلمي

## شيخ الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي بمسجد الكوفة بالعراق

وكانت بالكوفة حلقة أبي عبد الرحمن المقرئ.

وهو عبد الله بن حبيب السلمي، قرأ على أُبيّ بن كعب وعثمان بن

---

1 - هو عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة وأحد القراء السبعة وأقدمهم وفاة، توفي سنة 118 هـ، ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي: 67/1 وغاية النهاية لابن الجزري: 425-426/1 ترجمة 1790 .

2 - معرفة القراء الكبار: 38/1-39

3- سير أعلام النبلاء: 249/2 .

عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. وقال أبو إسحاق السبيعي:

«كان يقرئ الناس في المسجد الأعظم بالكوفة أربعين سنة» (1).

وعن أبي عبد الرحمن أنه جاء وفي الدار جِلالٌ وجُزُرٌ قالوا: بعث بها عمرو بن حريث، لأنك علّمت ابنه القرآن، قال: ردوها، إنا لا نأخذ على كتاب الله أجرا».

وقال عاصم بن أبي النجود:

«كنا نأتي أبا عبد الرحمن ونحن أُغَيْلِمة أيفاع، فيقول: لا تجالسوا القُصاص غير أبي الأحوص» (2). وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقرأ عليه (3).

وكان أبو عبد الرحمن السلمى يروي قول رسول الله - ﷺ -: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ويقول: «ذاك الذي أقعدني هذا المقعد (4). وتوفي رحمه الله سنة 74 هـ وقيل سنة 73 هـ .

وعن إسماعيل بن أبي خالد قال: كان أبو عبد الرحمن -يعني السلمي- يعلمنا القرآن خمس آيات قال: وكان يقرئنا عشرين بالغداة وعشرين بالعشي، ويعلمنا أين الخمس؟ وأين العشر؟» (5).

---

1 - نفسه: 46/1 .
2 - نفسه: 47/1
3- نفسه: 48/1 .
4 - غاية النهاية: 413/1-414 ترجمة 1755 .
5 - رسالة التنبيه للداني (مخطوطه) 47/1



## حلقة أبي جعفر المدني شيخ نافع
## عند الحجرة النبوية بالمدينة

ثم كانت بالمدينة المنورة حلقة أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني.

روى محمد بن إسحاق المسيبّي عن أبيه عن نافع بن أبي نعيم قال:

كان أبو جعفر يقوم الليل، فإذا أصبح جلس يقرئ الناس، فيقع عليه النوم، فيقول لهم: خذوا الحصا فضعوه بين أصابعي ثم ضَمُّوها، فكانوا يفعلون ذلك، وكان النوم يغلبه، فقال: أراني أنام على هذا، فإذا رأيتموني قد نِمت فخذوا خصلة من لحيتي فمُدّوها. قال: فيمرّ عبد الله بن عياش مولاه فيرى ما يفعلون به: فيقول: أيها الشيخ، ذهبت بك الغفلة، فيقول أبو جعفر: إن هذا الشيخ في خُلُقه شيء، دوروا بنا وراء القبر موضعا لا يرانا» (1).

## يولَدُ بينهما مصحف!

وكان شيبة بن نصاح مولى أم سلمة رضي الله عنها أحد قراء المدينة وأحد شيوخ الإمام نافع في القراءة، وكان هو وأبو جعفر يقرئان في مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل وقعة الحرة سنة ثلاث وستين من الهجرة (2).

وعن محمد بن إسحاق المسيبي عن أبيه عن نافع قال:

زوَّج أبو جعفر ابنته من شيبة بن نصاح وكان مُقِلاً، فقيل لأبي جعفر: زوجت ابنتك شيبة وهو مُقِلٌّ، وقد كان يرغب فيها سَرَوات الموالي؟ قال: فقال أبو جعفر: إن كان شيبة مُقِلٌّ فسيملأ بيتها قرآنا!

---

1- نقله الإمام الذهبي في معرفة القراء الكبار: 60/1 .

2- أنظر كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد: 58-59.

وبهذا الإسناد عن نافع قال:

لما تزوج شيبةُ بنت أبي جعفر قال الناس: يولد بينهما مُصحَف» (1).

قلت: هذا من خفّة روح أهل المدينة، وذلك لأن شيبة كان إماما في القراءة.

وكانت امرأته ميمونة بنت أبي جعفر قارئة أيضا، تروى قراءة أبيها، قال الحافظ ابن الجزري في طبقات القراء:

ميمونة بنت أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني القارئ، روت القراءة عن أبيها أبي جعفر، روى القراءة عنها أحمد ابنها وثابت» (2).

وقراءة أبي جعفر من رواية ابنته ميمونة ما تزال معروفة في الكتب المطولة ككتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها لأبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري (ت 465 هـ) (3).

## الحاجة إلى المؤدبين بالأمصار وحكم الأجرة على التعليم

وقد كان التأديب عند المشارقة يشمل التكتيب وغيره، أو ربما يعني المرحلة الموالية منه بعد إتقانه. ويظهر أن الحاجة إليه قد ظهرت مبكرة منذ زمن الخلافة الراشدة لحاجة الدولة إلى الأطر الجديدة.

وقد تقدم لنا قول أنس بن مالك -رضي الله عنه: «كان المؤدبون على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم» (4) وذلك يعني توسع الخلفاء في تشجيع الحركة التعليمية ودعمها.

---

1 - نفسه: 59 .

2 - غاية النهاية في طبقات القراء: 325/2 ترجمة 3709

3- كتاب الكامل للهذلي (مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية).

4 - أنظر جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي: 89 .



وقد اقترن ظهور طبقة المؤدبين - وأكثرهم من الموالي الذين لا عشيرة لهم- بظهور الحاجة إلى اصطناعهم للحصول على خدماتهم في هذا الشأن لقاء أجور وجعالات، ومن ثم فقد ظهرت في فتاوي الصدر الأول أقوال لعلماء التابعين وغيرهم في كراهية ذلك تارة وإجازته أخرى. ومما جاء في إجازته قول الفقيه عبد الله بن وهب المصري -صاحب مالك:

«كنت جالسا عند مالك -رحمه الله- فأقبل إليه معلم الكتاب فقال: يا أبا عبد الله، إني رجل أعلم الصبيان، وإنه بلغني شيء، فكرهت أن أشارط، وقد امتنع الناس علي، وليسوا يعطونني كما كانوا يعطون، وقد أضررت بعيالي، وليس لي حيلة إلا التعليم؟ فقال مالك: إذهب فشارط. فانصرف الرجل. فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله! تأمره أن يشارط على التعليم؟ فقال مالك: نعم، فمن يحفظ لنا صبياننا ويؤدّبهم لنا؟ لولا المعلمون، أيَّ شيء كنا نكون؟» (1).

وفي مدونة سحنون «باب في إجارة المعلم» اشتمل على تفصيل مستند الإمام مالك في تسويغه للمشارطة على التعليم، وصدره بسؤال سحنون لابن القاسم: «أرأيت إن استأجرت رجلا يعلم لي ولدي القرآن يحذقهم القرآن بكذا وكذا درهما؟ قال: قال مالك: لا بأس بذلك، وقد: قال مالك في إجارة المعلمين سنةً سَنَةً لا بأس بذلك، وقال: فالذي يستأجره يُعلِمُ ولده الكتابة وحدها؟ لا بأس بذلك مثل قول مالك في إجارة المعلمين سنة سنة» (2). ثم ساق ابن القاسم جملة من الآثار عن فقهاء الصحابة والتابعين في ذلك تدل على أن التأديب شأن كان معروفا بالمقابل المادي.

---

1 - إيضاح الأسرار والبدائع لابن المجراد السلاوي (شرح أرجوزة الدرر اللوامع لأبي الحسن بن بري التازي (مخطوط خاص).

2 - أنظر المدونة الكبرى: 1690/5

فذكر عن عطاء بن أبي رباح أنه كان يعلم الكتاب على عهد معاوية ابن أبي سفيان ويشترط» (1).

وذكر عن ابن وهب عن ابن جريج قال: قلت لعطاء: أجر المعلم على تعليم الكتاب، أعلمت أحداً كرهه؟ قال: لا. قال:

وأخبرني حفص بن عمر عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب أن سعد ابن أبي وقاص ( ت 45هـ) قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه على ذلك الأجر» (2). قال:

وعن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن المثنى بن الصباح قال:
سألت الحسن البصري عن معلم الكتاب الغلمان ويشترط عليهم؟ قال: لا بأس به (3).

وقال عبد الجبار بن عمر: كل من سألت من أهل المدينة لا يرى بتعليم الغلمان بالأجر بأسا» (4) قال:

وقال ابن لهيعة عن صفوان بن سليم: إنه كان يعلم الكتاب بالمدينة ويعطونه على ذلك الإجر (5).

ومن مشاهير المؤدبين من التابعين الضحاك بن مزاحم الخراساني - صاحب الرواية عن ابن عباس في التفسير (6) وذكروا أنه كان له كتاب فيه ثلاثة آلاف من الأطفال يقرأون عليه القرآن، وكان يطوف عليهم وهو راكب

---

1 - المدونة: 1691/5
2 - المدونة الكبرى: 1691/5 وروي عن سعد أيضا قوله: كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله -ﷺ- كما نعلمهم السورة من القرآن» أنظر: (كتاب تربية الأولاد في الإسلام لعبد الله علوان: 158/1)
3 - نفسه: 1691/5
4 - نفسه: 1691/5
5 - نفسه: 1691/5
6 - وقيل إنما سمع تفسيره من سعيد بن جبير عنه عندما دخل خراسان هاربا من الحجاج بن يوسف الثقفي، يروي عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وغيرهم، أنظر تهذيب التهذيب: 225/10 .

حماره، لأنه كان أعرج، وذكر ابن قتيبة عنه أنه كان لا يأخذ على التعليم أجرا. (1)

ومن مشاهير المؤدبين من التابعين أيضا أبو القاسم البلخي، وقد كان صاحب كُتّاب يشتمل على ثلاثة ألف من الصبيان (2).

وممن اشتهر بالتأديب بالقران من أهل المدينة من شيوخ نافع في المائة الأولى: مسلم بن جندب الهذلي القارئ القاص، قرأ القرآن على عبد الله بن عياش المخزومي مقرئ المدينة، وقرأ عليه نافع بن أبي نعيم، وتأدب عليه عمر بن عبد العزيز (3). وكأن له في قراء المدينة الأثر الكبير، قال الحلواني عن قالون عيسى بن مينا: «كان أهل المدينة لا يهمزون حتى همز ابن جندب فهمزوا «مستهزئون ويستهزئ بهم» (4).

وقال الحافظ أبو عمرو الداني في الأرجوزة المنبهة: (5) مشيرا إلى هذا القارئ وأثره:

والقرشيون وأهل يثربا ** لا يهمزون ما خَلا ابن جندبا

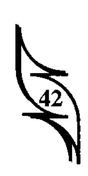
فإنه همز فاقتدى به ** قراؤهم والجُلّ من أصحابه

ذكر ذاك عنهمُ قالون ** عيسى بن مينا الثقة المأمون

وقد تضاعف عدد المعلمين في الأمصار أضعافا مضاعفة بانتقال دار الخلافة من المدينة إلى الشام بعد الأربعين من الهجرة، ثم إلى العراق بعد الثلاثين ومائة، وتعددت طبقاتهم واختلفت مراتبهم وأصنافهم.

---

1 – المعارف لابن قتيبة: 238-201-257 والعبر في خبر من غبر للذهبي 124/1 .
2 – أنظر التربية الإسلامية وفلاسفتها لمحمد عطية.
3 – معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبي: 65/1-66
4 – كتاب السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد: 66
5 – الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات: 237 رقم البيت: 852 .



وهذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150-255) يخصص لهم بابا في كتاب البيان والتبيين تحت عنوان: «باب في ذكر المعلمين» فيذكر فيه معلومات تدل على كثرتهم وطبقاتهم وتفاوت منازلهم، فيقول بعد أن تندر عليهم بأمثال لبعضهم نسبهم فيها إلى الحمق وضعف الرأي: «والمعلمون عندي على ضربين»:

منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة.

ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة، فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي (1) ومحمد بن المستنير الذي يقال له: قطرب (2) وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى؟ ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة الذين دونهم. فإن ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى، فإن لكل قوم حاشية وسِفلة، فما هم في ذلك إلا كغيرهم، وكيف نقول مثل ذلك في هؤلاء، وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء، مثل الكميت بن زيد، وعبد الحميد الكاتب، وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، ومثل عبد الكريم بن أبي أمية، وحسين المعلم وأبي سعيد المعلم؟

ومن المعلمين: الضحاك بن مزاحم. وأما معبد الجُهني وعامر الشعبي فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان، وكان معبد يعلم سعيدا، (3) ومنهم أبو سعيد المؤدب (4)، ومنهم عبد الصمد بن عبد الأعلى (5) وكان

---

1 – هو إمام أهل الكوفة في النحو، وسابع القراء السبعة المشهورين، وكان مؤدبا لمحمد الأمين ولي عهد الخليفة هارون الرشيد بن محمد المهدي، وتوفي بطوس سنة 189 هـ. ترجمته في معرفة القراء الكبار: 1/100-107 وغاية النهاية لابن الجزري: 1/535-540 ترجمة رقم 2212.

2 – توفي ببغداد سنة 206 هـ وكان يبكر إلى حلقة سيبويه فسماه قطربا تشبيها له بدويبة تدب على الأرض ولا تفتر. انظر ترجمته في كتاب الفهرست لابن النديم: 78-79.

3 – هو سعيد بن عبد الملك بن مروان، ويلقب بسعيد الخير. انظر المعارف لابن قتيبة: 157.

4 – هو محمد بن مسلم بن أبي الوضاح الجزرى نزيل بغداد كان معلم المهدي ثم موسى الهادي، أنظر المعارف: 239 وتاريخ بغداد: 1346 .

5 – كان مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك من بني أمية. انظر لسان الميزان لابن حجر: 4/21 .

معلم ولد عتبة بن أبي سفيان، وكان إسماعيل بن علي ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفّع ليعلّمه، وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما، ومنهم محمد بن السكن... ثم ذكر جماعة من المعلمين وقال: وقد قال الناس في أبي البيداء وفي أبي عبد الله الكاتب وفي الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا، وقد انشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف» (1).

هذه في الجملة صورة التأديب وشأن الكتاتيب في الصدر الأول نشأة وتطورا، وذلك شأن طبقات المؤدبين في الأمصار المشرقية في هذه المرحلة من التأهيل، وهي التي كانت في الغالب تفضي إلى جلوس المتأهل فيها في حلقات مشيخة العلماء في المساجد كل حسب ميوله ومؤهلاته.

وقد جاء في أخبار الإمام الشافعي (150-204 هـ) أنه قال عن نفسه:

«كنت في حجر أمي، فدفعتني إلى الكتاب حتى ختمت القرآن ودخلت المسجد» (2).

وجاء عن نافع القارئ أنه أحال من جاءه في حلقة إقرائه ممن هم دون المستوى المطلوب على من يأخذون على المبتدئين، فحكى أشهب

---

1 - البيان والتبيين: 245/1-252

والإشارة بالشاهد إلى قول مالك بن الريب:

فماذا عسى الحجاج يبلغ جهده ** إذا نحن جاوزنا حفير زياد؟
فلولا بنو مروان كان ابن يوسف ** كما كان عبدا من عبيد إياد
زمان هو العبد المقر بذله ** يراوح غلمان القري ويغادي

وقال فيه الآخر

أينسى كليب زمان الهُزا ** ل وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكة ما تُرى ** وآخر كالقمر الأزهر

أنظر المعارف: 238-239 والتنبيه والإشراف للمسعودي: 290 .

2 — أنظر دعوة الحق: البعد الثقافي والمجتمعي للوقف الخيري في الإسلام للأستاذ السعيد بوركبة: العدد: 363 ص 67 ذي القعدة: 1422 هـ يناير: 2002 م.

ابن عبد العزيز الفقيه عن نفسه أنه «جاء إلى نافع ليقرأ عليه فرآه صغيرا ولمس فيه شيئا من التقصير فقال له:

«إن كنت تريد تعليم الصبيان فأت سليمان بن مسلم -يعني ابن جمّاز صاحب أبي جعفر المدني» (1).

قال الحافظ أبو عمرو الداني تعليقا على هذا الخبر:

«وكانت مقرأة سليمان بن مسلم الهمز وإتمام المدات مثل مقرأة أهل الأندلس» (2).

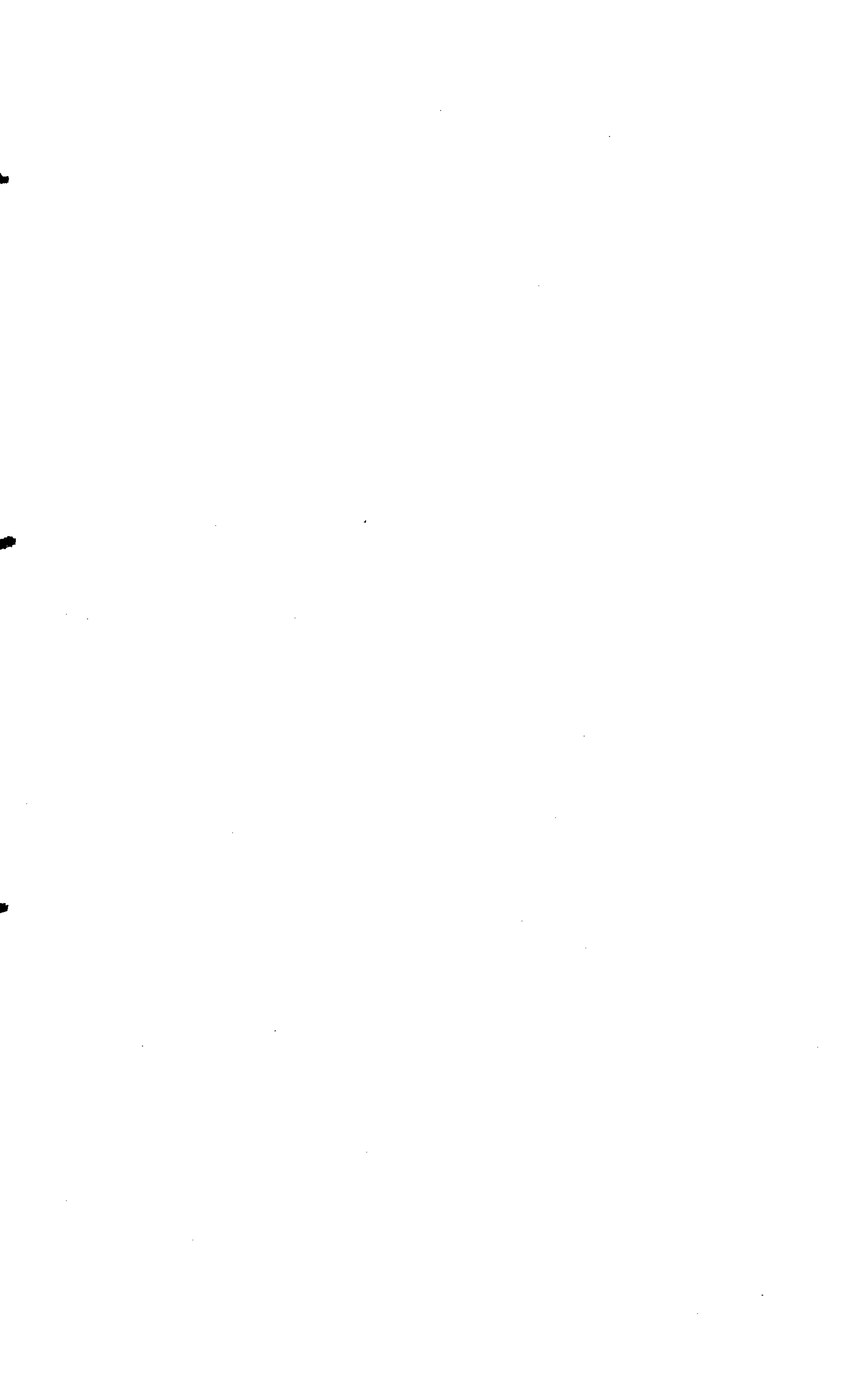
فهذا يدل على أن تعليم الصغار كان في المشرق شأنه في المغرب كما سيأتي كان يتم في هذه الكتاتيب باعتبارها المحضن الأول، ثم يتأهل منها للمرحلة الموالية.

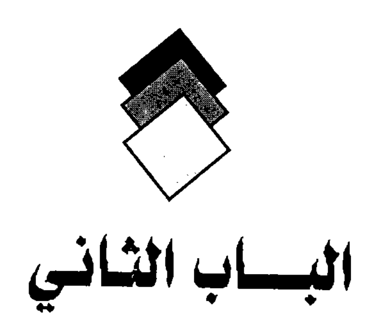
وهذه نظرة مماثلة نلقيها على الجهات المقابلة من الغرب الإسلامي لنرى كيف نشأ التكتيب والتأديب في هذه المناطق، وكيف تطور في مراحله الأولى حتى تتكامل عندنا الصورة لنتمكن من استكمال النظرة الشمولية عن هذا النشاط العلمي والتربوي في سيرورته التاريخية حتى استوى على سوقه وآتى أكله كما سوف نستجليه على مائدة العرض في هذا الفصل الموالي بعون الله تعالى.

---

1 - غاية النهاية لابن الجزري نقلا عن الإمام الداني: 206/2 ترجمة 2598.
2 - نفسه: 206/2

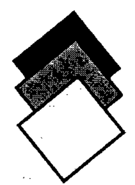


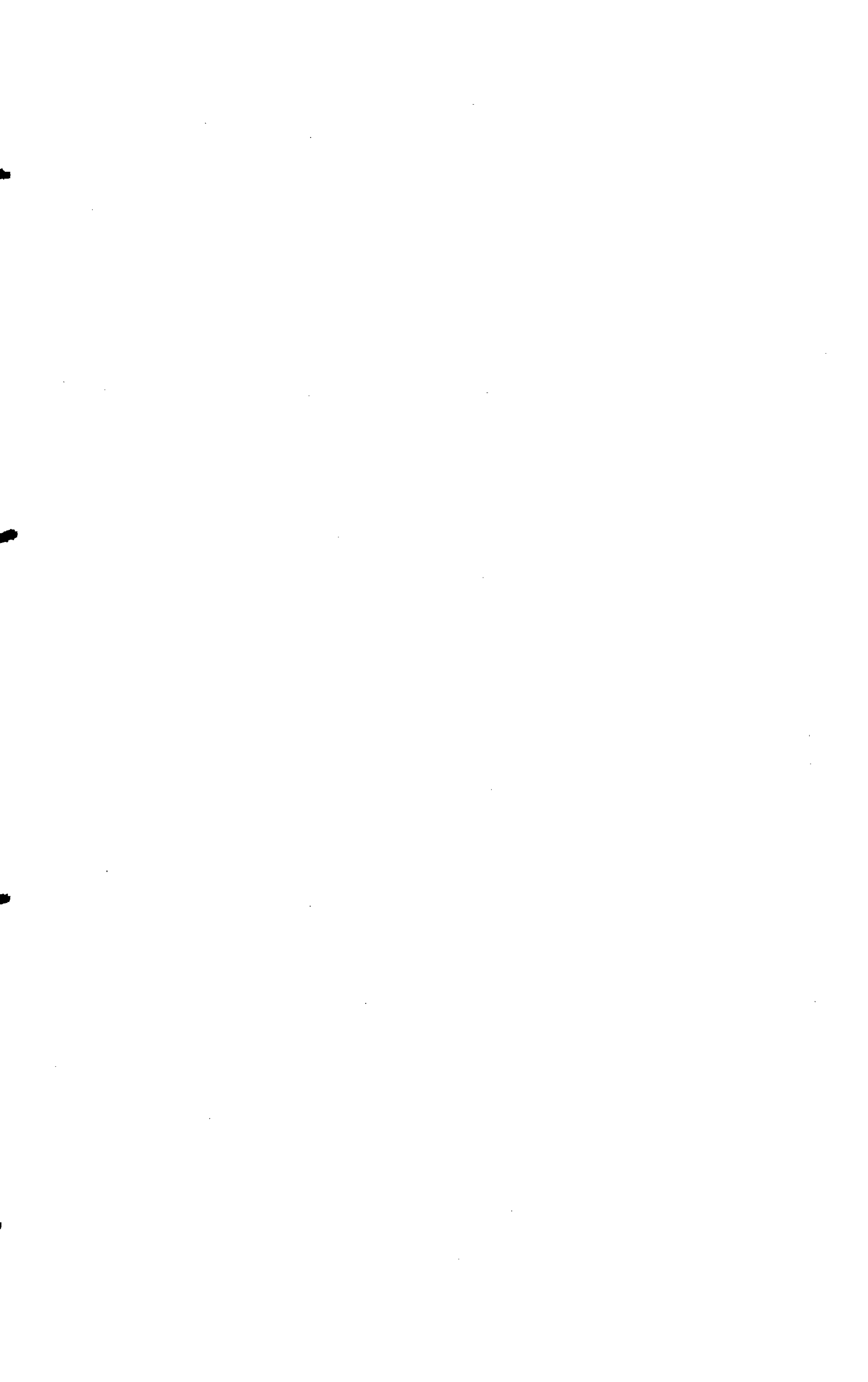




# الباب الثاني

## أوليات الكتاب القرآني
## في الأقطار المغربية في الصدر الأول
## عقب الفتح





# الفصل الأول

## أوليات الكُتّاب القرآني
## في الأقطار المغربية في الصدر الأول

لامراء في أن للقرآن الكريم في ضمير الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها مكانة عالية لا تعد لها مكانة أخرى في التقديس والتقدير، والإكبار والاعتبار، وذلك إنما هو ناشئ عن معرفتها الجازمة، ونابع من إدراكها التام واعتقادها الراسخ والبعيد الأثر في حياة مجتمعاتها على امتداد تاريخها، بمنزلة هذا الكتاب وموضعه من مقومات وجودها، ومكونات شخصيتها الدينية والثقافية والاجتماعية والحضارية، بوصفه مصدرا لشريعتها وأحكامها، ودستورا لقيمها وأخلاقها، وأساسا لبناء دولتها وقيام مؤسساتها، وسياجا لوحدتها، وعماداً لتقدمها ونهضتها، ومناطا لعزتها وسيادتها، وضمانة لبقائها واستمراريتها، وحصنا حصينا يحميها من ضياع هويتها، وفقدان سماتها وخصائصها والذوبان في غيرها، وذكرا لها في العالمين كما يدل عليه قوله عز وجل في هذا القرآن:

﴿ فاستمسك بالذي أوحي إليك، إنك على صراط مستقيم، وإنه لذكر لك ولقومك، وسوف تسألون ﴾ (1).

1 - سورة الزخرف: الآيتان:42-43



والجناح الغربي من البلاد الإسلامية، وهو هذا الوطن الكبير الذي يمتد عبر دول المغرب العربي ودول الجوار الإسلامية من حدود بلاد الكنانة شرقا إلى ضفاف الأطلسي غربا، وينحدر في اتجاه الجنوب على الساحل الغربي إلى حدود السينغال وما وراءها وجاورها، ينتظم جميعه مع ما في سائر الأوطان الإسلامية الأخرى ضمن هذه الرابطة القرآنية الوثيقة، وينخرط في سلك هذه الجامعة العتيقة التي تكون ذلك التلاحم المتين بين شعوب الأمة الواحدة، وتحفظ عليها مشاعرها وأحاسيسها بالوحدة الوجدانية، والوشيجة الأخوية، التي لا تقيم وزنا للفوارق الجنسية والعنصرية والطبقية، ولا تعتبر باختلاف الموقع أو تعتدّ باختلاف اللون والعرق ولغة الخطاب، وذلك انسجاما منها مع المبدإ القرآني العظيم، والميثاق الإلهي الرفيع الذي يشير إلى عالمية هذا الدين، في مثل قوله تعالى: ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون** ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير**﴾[2].

ولا ريب أن هذا الامتداد الجغرافي الذي أتيح لأمة القرآن في معظم أرجاء آسيا وإفريقيا وأجزاء من أوربا وغيرها إنما يعود الفضل فيه إلى هذه المزية، كما أنه كان مما زاد في تعميق هذا الشعور بوحدة الانتماء إلى هذا القرآن، وحضارة القرآن، ولغة القرآن، من ثم فقد توافرت الدواعي عند كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية على الالتفات إلى هذا الكتاب الكريم، والالتفاف حوله، وخدمته والعناية به من كل جانب من جوانبه.

وقد تميز كل جانب من الأجناس المنضوية تحت راية الإسلام عبر التاريخ الإسلامي ببروز عبقريته ونبوغه في ميدان معين من ميادين خدمة هذا الكتاب العزيز، في قراءته وحفظه، وفي العناية برسمه وخطه، وتجويده وأدائه، وتفسيره وبيان معانيه.

1 - سورة الأنبياء: الآية: 91

2 - سورة الحجرات: الآية: 13

## تفوق المغاربة في حفظ القرآن ودواعيه، واستئثارهم بالميدان عبر القرون

ولقد أصاب كبد الحقيقة وطبّق المفصل هذا الناظر في هذا الصدد إلى خصائص شعوب هذه الأمة حين نظر إليها في مرآة التنافس في خدمة هذا القرآن ثم التمايز والتفاضل في مستويات النبوغ ومجاليه فيها، وذلك في المقولة المشهورة على ألسنة الناس:

«نزل القرآن الكريم على رسول الله - ﷺ- فعمل به العرب، وقرأه المصريون، وكتبه الأتراك، وفسَّره الفُرس، وحفظه المغاربة» (1).

فهذه المقولة تصدِّقها شواهد الحال، وتزكيها بالنظر في تراثنا المكتوب والمصادر المعتمدة فيه في هذه المجالات، وما يزال في واقعنا فيما يخص بلادنا بالقياس إلى غيرها من سائر البلدان ما يدل على أن هذه الظاهرة هي إحدى خصوصيات بلادنا التي تعتزّ بها ولا تزاحم عليها طوال التاريخ الإسلامي وإلى يوم الناس هذا بحمد الله.

ولقد سبق لي أن نوهت بهذه الخصيصة في أطروحتي للدكتوراه، وذكرت أن أحدا لا يستطيع أن يماري في نظري بحق في مجال تفوق المغاربة في حفظ القرآن، والعناية البالغة بعلوم القراءة، وإحراز قصب السبق في مضمار الرسم والضبط، والمعرفة بوجوه القراءات وطرقها حتى قيل:

1 - مقولة شائعة دارجة على الألسنة تنظر إلى خصائص الشعوب واهتماماتها، وهي مما أخذناه سماعا من العلامة الفقيه الرحالي الفاروقي رحمه الله.

«إن علم القراءات هو الميدان الوحيد الذي سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة» (1)، وإن المتتبع لتاريخ القراءات في هذه المناطق، والمتصفح لتراجم القراء في كتب الطبقات، لا يخطئه أن يدرك هذه الحقيقة، ولا أن يجدها ماثلة واضحة للعيان، وإنه ليزداد يقينا بها كلما تقدم وتدرّج في الحقب التاريخية، حيث يلاحظ بجلاء استيلاء أئمة القراءة في المغرب على الأمد الأقصى، في تحقيق القراءات، وتحرير الروايات والطرق، والرحلة في طلبها إلى الآفاق، والعكوف عليها بالدرس والتصنيف والتأليف، وتقريبها من الطلاب والمتعلمين بالبَسْط والتيسير والتعريف، نظما ونثرا، إلى الحد الذي استأثر معه أئمتهم لقرون طويلة بمراكز الصدارة، واستحوذوا من خلال مؤلفاتهم فيها وقصائدهم السائرة في كل فرع من فروعها على ميدان القراءة وكراسي الإقراء، في المغرب والمشرق على السواء، بل تم لهم ذلك حتى في أعظم المدارس التي تخرجت منها طلائعهم الأولى في الحجاز ومصر والشام وغيرها.

وما تزال شواهد هذا النبوغ حية ماثلة إلى اليوم في مؤلفاتهم الجامعة التي وصلت إلينا، أو وصلت إلينا أصداؤها في هذه العلوم والفنون، والتي ما تزال حتى الساعة معالم نيّرة يُهتدى بها عند علماء هذا الشأن، ويعتمد عليها في جميع ما يتصل بالقراءة والتجويد والرسم والضبط والوقف والإبتداء ومعرفة عدِّ الآي وغير ذلك، وخاصة من لدن الهيآت العلمية التي تتولى مراجعة المصاحف الشريفة وإعدادها للطبع والنشر في كافة الأقطار الإسلامية (2). وما تزال أحفل كتب المتأخرين

---

1 - الدكتور عبد العزيز الأهواني في بحثه: كتب برامج العلماء في الأندلس: مجلة معهد المخطوطات 118/1 وانظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة للمؤلف: 28/1

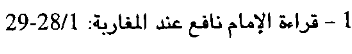
2 - الإشارة إلى مصنفات أبي عمرو الداني وأبي داود سليمان بن نجاح تلميذه وأبي القاسم الشاطبي وأبي محمد مكي وأبي عبد الله الخراز الشريشي وأبي عبد الله التنسي صاحب الطراز في ضبط المصحف الشريف وأبي محمد ابن عاشر صاحب فتح المنان في شرح مورد الظمآن في رسم حروف القرآن للخراز وغيرها من كتب المغاربة

بذكر مذاهب القراء كالنشر في القراءات العشر لابن الجزري، ولطائف الإشارات لفنون القراءات لأبي العباس أحمد بن علي القسطلاني، وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر لأحمد آلبنا الدمياطي وغيرها، من أصدق الشواهد على ما ذكرناه لأئمة القراء بالمغرب من شفوف في هذا الميدان، ونبوغ فيه على الأقران، كما تفصح عن ذلك أسماء مصنفاتهم الحافلة التي ظلت وما تزال عمدة كل باحث، ومنهل كل وارد، ورصيد كل قارئ، إذ صار أقصى ما يطمح إليه القارئ الجليل الشأن، أن يصل طريقه في القراءات بطرقهم، وأن يحظى في رحلته العلمية بسماع بعض مؤلفاتهم، والإجازة ببعض قصائدهم ومصنفاتهم» (1).

وإذن فإننا فيما ذهبنا إليه من تفوق المغاربة على غيرهم في مجال حفظ القرآن والعناية الكاملة بعلومه لسنا نجازف بهذا القول أو ننساق فيه مع العاطفة بادعاء ما لم يكن، أو بالمبالغة في الكائن الموجود، وإنما نحيل على واقع ما يزال إلى اليوم له امتداد وإن كان دون ما كان، فهو يدل على تمرّس طويل، وماض زاه وحفيل.

فكيف كانت البدايات في انتهاج هذه الطريق؟

للجواب عن هذا التساؤل لابد من العودة بالقارئ الكريم إلى عهود الانطلاقة الأولى التي تبتدئ مباشرة من الفتح الإسلامي لهذه المناطق والنظر في جهود البعثات العلمية التي كانت ترافق الحملات العسكرية ثم تشتغل بعد إتمام الفتح واستتباب الأمن مباشرة في عملها، والمؤسسات الأولى التي كان يجري فيها التوجيه الديني والتعليم القرآني، وأهمها في الصدر الأول المساجد والرباطات المعدة لنزول الجند وحراسة الثغور، وتتبع


1 - قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 1/28-29



ذلك يطول، وقد عالجناه بما فيه الكفاية في دراستنا عن قراءة الإمام نافع عند المغاربة عند حديثنا عن عوامل انتشارها وأسباب اعتمادها قراءة رسمية (1). وسنكتفي منها هنا بالإشارة والعرض لأحد عناصرها البارزة، وهي التي تهمنا وهي:

## إحداث مكاتب وملحقات لتعليم القرآن بأجنحة المساجد وساحاتها

اقتضت التطورات التي عرفها تعليم القرآن لهذا العهد - كما قدمنا في فصل سابق- اتخاذ مكاتب أو كتاتيب وملحقات خاصة لهذا الغرض في أجنحة المساجد أو في بعض أروقتها، وتعميم ذلك في عامة المداشر والقرى.

وكان من دواعي الاستكثار من هذه المكاتب والمحاضر ازدياد الرغبة في تعميم هذا التعليم، والوصول به إلى جميع الجهات والأطراف، كما كان من دواعي فصلها عن المساجد أحياناً الاحتياط لها، لما يمكن أن يحدثه وجود المتعلمين في المسجد في أثناء الصلوات من تشويش على المصلين، أو ما يؤدي إليه هذا الوجود من إتلاف للمرافق العامة للمسجد، كالفرش وآنية الوضوء والمياه ووسائل الإنارة، والمصاحف المحفوظة بالخزائن، بالإضافة إلى ما يمكن أن يترتب على ذلك من إمكان تنجيس المكان والفراش، لقلة احتياط الصبيان وتحفظهم من ذلك.

ويظهر أن فصل هذه الملحقات عن المساجد العامة قد اقتضى في بعض الأحيان تدخل السلطة القضائية إذ كانت شؤون المساجد تابعة لمأمورياتها وتحت مسؤولياتها.

1 - أنظر المجلد الأول من الدراسة من المقدمة إلى ص: 194 .

ومن بقايا ما وصل إلينا من أخبار هذا التدخل: رسالة من الإمام سحنون بن سعيد فقيه القيروان (ت 240 هـ) وهو يومئذ قاضيها (1) إلى نظيره محمد بن زياد بن عبد الرحمن اللخْمي قاضي الجماعة بقرطبة (2) يشير عليه أن لا يعلم معلم في المسجد، قال ابن لُبابة: لما يخاف من قلة تحفُّظ الصبيان (3).

ولا يتوقع أن يهتم سحنون بهذه القضية حتى يكاتب في شأنها نظيره بقرطبة إلا وقد عمت بها البلوى عندهم، وبعد أن يكون سحنون قد بدأ بذلك في إيالته القضائية بإفريقية وجهاتها.

وتدلنا بعض الإشارات أيضا في هذا العهد على أن بعض المعلمين في المساجد كانوا يستعملون هذه الملاحق لمهن أخرى كالخياطة، فاقتضى الأمر فصلهم عن هذه المساجد (4).

وبنظرة إلى الوراء قليلا يمكننا أن نتبين المسار الذي سار فيه هذا التعليم الأولي انطلاقا من عهد الفتح الإسلامي لإفريقية وتأسيس عقبة بن نافع -رضي الله عنه- لقاعدتها، وهي مدينة القيروان في عشرة السبعين من المائة الأولى من الهجرة.

وتدلنا بعض النقول على أن قيام الكتاتيب قد اقترن بهذا التأسيس مباشرة، فقد نقل المالكي في رياض النفوس عن أبي الحسن الدار قطني بسند يتصل بغياث بن شبيب قال:

---

1 - ولي القضاء بها لمحمد بن الأغلب سنة 233 هـ. أنظر البيان المغرب لابن عذاري: 109/1

2 - ولي القضاء لعبد الرحمن بن الحكم الأموي. أنظر كتاب قضاة قرطبة للخشني 128-134 .

3 - أنظر الوثيقة السادسة من الوثائق التسع للحسبة على المساجد في الأندلس بتحقيق الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف: ص 32 نشر كلية الآداب بجامعة الكويت - حوليات كلية الآداب الحولية الخامسة: 1404 هـ 1984 م.

4 - أنظر في ذلك كتاب رياض النفوس للمالكي: 336/1 وطبقات علماء افريقية لأبي العرب: 68 .

«كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله- ﷺ- يمرّ بنا ونحن غِلمة بالقيران، فيسلم علينا ونحن في الكُتّاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه» (1).

## متى دخل القرآن إلى المغرب، وعلى يد من؟؟

تحت هذا العنوان تساءل بعض المؤرخين الباحثين من علمائنا عن الخطوات المبكرة في هذا الشأن فقال:

«مما لا جدال فيه أن القرآن دخل المغرب بدخول الإسلام، وقد كان من عمل عقبة بن نافع عندما فتح بلاد المغرب سنة (62-63) وأراد العودة إلى المشرق، أن عين جماعة من أصحابه يعلمون الناس القرآن وشرائع الإسلام، وجعل على رأسهم شاكر بن عبد الله الأزدي -صاحب الرباط المشهور- على مراحل من مراكش (85 كلم).

ولما ارتد البربر -وجاء موسى بن نصير لفتح المغرب من جديد- كانت الركيزة الأولى لسياسته الرشيدة: تعليم القرآن ونشر الوعي الإسلامي في سائر الطبقات.

وقد اختار من جنده بضعة عشر رجلا من الفقهاء القراء، وندبهم إلى سائر الجهات ينشرون تعاليم الإسلام، ويشيعون بين الناس حب القرآن والتشبث بأهدابه.

ولقد نجحت هذه السياسة أيما نجاح، فلم تمض غير فترة قصيرة حتى رسخت العقيدة في النفوس، وتوطدت أركان الإسلام، ورفرفت راية القرآن في ربوع إفريقية

---

1 - رياض النفوس: 91/1 ومثله في مناقب الحضيكي: 403/2 .

وتذكر بعض الروايات أن أبا زرعة دفين سبتة- هو الذي أدخل القرآن إلى المغرب، وهي رواية يكتنفها كثير من الغموض، فلا ندري من هو أبو زرعة هذا؟ ولا في أي عهد كان؟ وكل ما قيل عنه: إنه كان على جانب عظيم من الفضل والصلاح، والمحتمل أنه أحد السبعة عشر الذين ندبهم ابن نصير إلى هذه المهمة، وإنما نسب إليه هذا العمل لكونه رأس الجماعة أو لأمر أخر نجهله.

وإذا جاز لنا أن نقول: إن شاكراً -صاحب عقبة- هو الذي وضع الحجر الأساسي للمدرسة القرآنية المغربية، فإن هذا البناء لم يتم إلا على عهد موسى بن نصير- أواخر المائة الأولى. على أن الروايات التاريخية تفصح بأن عمل شاكر هذا قد أقبر في مهده، وقضي عليه في بدايته -لقتل عقبة وعدد من رجاله- ولذا يعتبر موسى بن نصير الفاتح الحقيقي للمغرب، وهو الذي دشن المدرسة القرآنية التي سنتحدث عنها.

وفي عهده انتشرت هذه الكتاتيب التي كانت -وما تزال- الحصون المنيعة لكتاب الله، إلى جانب ما بنَى من مساجد، وكانت مهمتها مزدوجة بين التعليم والعبادة، ثم جاءت بعثة عمر بن عبد العزيز التي كانت تتكون من عشرة فقهاء من التابعين فنزلت كالغيث الوابل على أرض إفريقية والمغرب، فعززت هذه الحركة وزادت في نمائها. وإذا لم يقدر لأكثر رجال هذه البعثة أن يتجاوزوا حدود القيروان العاصمة، فإن حملتهم المباركة تجاوزت كل الحدود، فكانت المنطلق الفكري والديني في أقطار المغرب العربي وفي إفريقية كلها (1).

---

1 - أنظر القرآن والقراءات بالمغرب للأستاذ سعيد أعراب: 7-8 .



ومن المذكورين في هذا الشأن من أهل القيراوان: إسماعيل بن رباح الجزري (ت 212 هـ) قال المالكي في ترجمته:

«ذكر أبو عثمان سعيد بن الحدّاد قال: حدثني من أثق به قال:

كان إسماعيل في صغره يحضر (المكتب)، فإذا حفظ ما في لوحه غسل ما فيه من القرآن في إناء وشربه، فهذا كان دأبه حتى ختم» (1).

وعن ابن الحداد أيضا عن أبيه قال: حدثني محمد بن عبد الله قال:

كنت أخيط وأنا غلام حديث السن مع شباب عند معلمنا في المسجد المعروف اليوم بمسجد ابن أبي نصر، إذ أقبل إسماعيل بن رباح الجزري فقال لمعلمنا:

يا شيخ، بكم اكتريت هذا الحانوت؟

فقال له معلمنا: ليس هو بحانوت، وإنما هو مسجد!

فقال له إسماعيل: إن المساجد لم تبن للصنّاع، إنما بنيت للصلاة والذكر وتلاوة القرآن -أو كما قال رحمه الله تعالى- فَنَهَره معلمنا، فأقبل علينا فقال:

يا شباب، اقبلوا مني أنتم إذ لم يقبل مني معلمكم، لا تخيطوا في المسجد. ثم ولّى عنا، فكان يتردد إلينا كالغريم يسألنا في أن ننتقل عن المسجد ولا نخيط فيه قال: فما زال بنا حتى تركنا الخياطة فيه» (2).

فهذا الأثر يدل على شيوع التكتيب في القيروان، ولا سيما في المساجد، كما يدل أيضا على أن بعض المعلمين في هذه المساجد لم يكونوا يرعون جانب الاحترام لها، إذ يمارسون فيها مهنة الخياطة إلى جانب

1 - كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية لأبي بكر بن محمد المالكي: 334/1

2 - نفسه: 336 وأصله في طبقات علماء إفريقية لأبي العرب: 68-69



التعليم، ومن المهم أن نشير إلى أن احتراف معلمي الصبيان للخياطة قد ظل شائعا إلى يومنا هذا في كثير من البوادي والقبائل المغربية، ولا سيما في الملحقات التابعة لموضع التعليم، ولعل الضرورة أو الحاجة الملحة هي التي أفضت إلى هذا التلازم بين التأديب ومهنة الخياطة بصورة كادت تصبح عامة في جميع البلاد، ويرجع ذلك إلى قلة الدخل الذي يصل إلى المؤدب عن طريق التعليم وحده، كما يرجع من جهة أخرى إلى حاجة الناس إلى من يكفيهم هذه المؤونة، فلا يجدون أقرب إليهم ولا أوثق ذمة من الطالب (الفقيه).

ومن أصحاب الكتاتيب بالقيروان من التابعين: شقران بن علي الهمداني و«كان يقرئ في كتاب منسوب له بالقيروان، وكان يقرئ فيه بالمجّان» (1).

• ومنهم من أتباع التابعين الفقيه أسد بن الفرات قاضي القيروان (142-212هـ) وكان يشتغل في صباه بتعليم القران بقرية على وادي بجردة (2).

• ومن التابعين البهلول بن راشد الفقيه. وكان له بالقيروان مسجده الخاص الذي يقرئ فيه، وقد زاره فيه والي إفريقية هرثمة بن أعين في موكبه (3).

• ومن قراء القيروان ممن كان لهم الأثر الكبير في ميدان التأديب لهذا العهد:

محمد بن برغوث القيرواني المقرئ. قال الحافظ ابن الجزري: «محمد ابن برغوث أبو عبد الله القروي، مقرئ متصدر بجامع القيروان، أخذ القراءة

---

1 - القراءات بإفريقية: لهند شلبي: 131-132 .

2 - طبقات علماء إفريقية لأبي العرب التميمي: 81 ورياض النفوس للمالكي: 255/1

3 - ترتيب المدارك للقاضي أبي الفضل عياض: 95/3



عرضا عن أبي يحيى الوقار شيخ روى عن نافع بن أبي نعيم ، وسمع من أسد بن الفرات، روى عنه القراءة أبو تميم محمد بن أحمد التميمي، وتوفي سنة 272 هـ (1).

ويهمنا من هذا القارئ المتصدر بجامع القيروان لهذا العهد أنه هو الذي صدر إليه الأمر القضائي رسميا من لدن قاضي القيروان أبي العباس عبد الله بن طالب- فيما ذكره أبو عمرو الداني في كتابه طبقات القراء والمقرئين «أن ابن طالب أيام قضائه أمر ابن برغوث المقرئ بجامع القيروان: أن لا يقرئ الناس إلا بحرف نافع» (2).

وهذا معناه تحديد الإطار الرسمي للتعليم الأولي، وهي أقدم إشارة إلى رعاية الدولة المغربية للقرآن، وينبغي هنا أن نذكر بالرسالة التعليمية التي كان سحنون شيخ هذا القاضي قد أملاها على ولده محمد، وجعل منها دستوراً لهذا الشأن وسماها «آداب المعلمين»، فإن هذه الرسالة كما سبق لي أن نبهت في بحث لي في موضوعها تشكل «برنامج عمل» أو المنهاج الذي رسمه سحنون للتعليم الأولي، وسعى بمعونة حاشيته العلمية إلى تطبيقه وتعميمه والدعوة إليه بكل سبيل (3).

وهذه الرسالة تعتبر باكورة ما كتب في طرق التدريس في المدرسة المغربية، كما تعتبر لسان الدولة الرسمي يومئذ في تحديد المسار الذي ينبغي أن يسلكه القائم على التأديب بالتزام مذاهب أهل المدينة في القراءة والفقه والفتوى وعدم مجاوزة ذلك إلى غيره.

وها هو سحنون يقول في هذه الرسالة متوجها إلى القائم بالتعليم:

1 - غاية النهاية: 104/2 ترجمة رقم 3871 .

2 - نقله عياض في ترتيب المدارك: 313/4 .

3 - أنظر دراستنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 136/1

«وينبغي أن يعلم إعراب القرآن، وذلك لازم له، والشكل والهجاء والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والتوقيف والترتيب، ويلزمه ذلك.. ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة، وهو مقرأ نافع، ولا بأس إن أقرأهم لغيره» (1).

فالقراءة التي يلزم المعلم أن يعتمدها في رأي سحنون رسمياً هي قراءة نافع لا غيرها (2).

وهذا التوجه هو الذي شجع على ترسيم هذه القراءة في التعليم، وجعلها هي العمدة في المساجد الجامعة. ورشحها لتكون محور كل ما يوخذ بعدها من قراءات، ثم تكامل لها ابتداء من النصف الثاني من المائة الثالثة الشفوف على قراءة حمزة التي كانت قد انتشرت في إفريقية قبلها «ولم يكن يقرأ لنافع إلا خواص الناس، فلما قدم محمد بن خيرون (3) القيروان اجتمع عليه الناس، ورحل إليه القراء من الآفاق (4).

وقد تتابعت رسائل النوجيه في هذا الاتجاه في المدرسة القيروانية بعد سحنون، فكتب فيه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ) صاحب الرسالة في الفقه على مذهب مالك جملة من الرسائل، منها:

---

1- رسالة آداب المعلمين: 102. وقد تركت لفظ «القراءة الحسنة» كما هو في النص المطبوع، وأحسب أن اللفظ محرف عن «القراءة السّنية» إشارة إلى قول مالك المشهور عنه:
قراءة نافع سنة أو هي السنة. وروى ذلك عبد الله بن وهب وغيره. أنظر السبعة لابن مجاهد: 62 وجمال القراء السخاوي: 445/2 وإبراز المعاني لأبي شامة: 6 والتبصرة في القراءات لمكي بن أبي طالب: 45 وغاية النهاية: 337/2 .

2 – أنظر بحثنا في عوامل اعتماد قراءة نافع قراءة رسمية في كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة» 151/1-175

3 – هو محمد بن عمر بن خيرون أبو عبد الله المعافري الألبيري الأندلسي ثم القيرواني شيخ الإقراء بالقيروان، رحل من بلده إلى مصر فأخذ القراءة عرضا عن أبي بكر بن سيف صاحب الأزرق عن ورش عن نافع وجماعة من الرواة وغدا إماما في قراءة نافع: رواية ورش، وقدم القيروان فتصدر فيها وأقرأ القراءة، وألف فيها واجتمع عليه الناس، ورحل إليه القراء من الآفاق، إلى أن توفي سنة 306 بمدينة سوسة. أنظر غاية النهاية: 217/2 ترجمة 3314 .

4- غاية النهاية: 217/2 وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي: 799/2 ترجمة 1393 .

«رسالة فيمن تؤخذ عنه تلاوة القرآن» و«رسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن» و«أجوبة القرويين» (1).

وكتب تلميذه أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (403 هـ) «كتاب المعلمين والمتعلمين» (2) وكان لتلميذ القابسي أبي عمران الفاسي (ت 430 هـ) إسهام في الفتوى في قضايا التعليم ومن يعقد «الحضار» كما سيأتي، ثم كان -رحمه الله- وراء قيام أقوى حركة في التعليم والتوجيه غيرت مجرى التاريخ المغربي، وكانت ممهدة لقيام الدولة المرابطية على يد تلميذه بوادي نفيس بالمغرب: وجاج بن زلُّو اللمطي وتلميذه: داعية المرابطين: عبد الله بن ياسين ( ت 457 هـ).

---

1 - أنظر الديباج لابن فرحون: 136-137 .

2 - أنظر ترتيب المدارك: 8/8-9 وهو مطبوع بعنوان «رسالة في أحوال المعلمين» أو الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين.



# الفصل الثاني

## محضرة الغازي بن قيس الأندلسي في قرطبة، وأوليات الكُتاب في صدر دولة الأمويين بها

كان الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس في أول العشر الأخرى من القرن الأول الهجري في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي، وسرعان ما أخذت طريقها في إقامة المؤسسات الدينية كالمساجد والوظائف التي كانت تابعة لها. وفي جملتها تعليم كتاب الله تعالى، إذ لم تكد تنتصف المائة الثانية من الهجرة حتى أخذت الكتاتيب وملحقات المساجد تنتشر في الحواضر، ولا سيما في قرطبة أم المدائن الأندلسية وقطبها، وبدأت تتكون طبقات من رجال التعليم الأولي فيما عرف عند الأندلسيين بالمؤدبين، وهي تسمية تأثروا فيها بالمشارقة، وربما اعتمدوها للتمييز بينهم وبين القراء، وهم علماء القراءات أو المقرئون بالروايات للكبار.

نعم عرفت الأندلس نوعا من التعليم الراقي يدخل في هذا التعليم الرسمي الذي ينعت بالتأديب، وكان ظهوره في البداية مرتبطا بالقصور ودور الأمراء والكبراء، ثم لم يلبث أن تطور وغدا تعليما قريبا من العموم وخاصة في قرطبة حيث نشأت له أوقاف خاصة يصرف ريعها عليه؛ وكان أكثره تحت إشراف السلطة وتحت نظر القضاة.

ولعل الأخذ بنظام التأديب الرسمي قد كان في بدايته احتذاء للنموذج المشرقي في قصور الأمراء والولاة، وهو أمر يلفت النظر في تراجم



عدد من قراء المنطقة، خاصة أصحاب الرحلات العلمية منهم، إذ نلاحظ أن الواحد منهم بمجرد أن يعود من رحلته يجري انتدابه لهذه المأمورية، فيكون في الأكثر مؤدبا في بعض بلاطات الأمراء، أو يكون في ملحقات بعض المساجد الجامعة، إلى أن تطور الأمر إلى تعيين هؤلاء المؤدبين، وربما أرسل في طلب بعضهم إلى القيروان بإفريقية أو بلاد مصر أو غيرها لسد هذه الحاجيات..

فمن مشاهير المؤدبين بالأندلس من الرواد في الصدر الأول:

✓ **أبو محمد الغازي بن قيس الأندلسي شيخ المؤدبين بقرطبة:**

قال الحافظ ابن الجزري: «إمام جليل وثقة ضابط، كان مؤدبا بقرطبة، ثم رحل فحج وأخذ القراءة عرضا وسماعا عن نافع بن أبي نعيم، وضبط عنه اختياره (1)، والموطأ عن الإمام مالك بن أنس، وهو أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس، فيقال: إنه كان يحفظه بحيث لا يسقط منه ياء ولا واوا وصحّح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة (2).

قال ابن الفرضي: وانصرف إلى الأندلس فكان يقرأ عليه (3).

رحل الغازي بن قيس إلى المدينة في صدر أيام الإمام عبد الرحمن بن معاوية (4) وهو المشهور بصقر قريش الذي أعاد ملك بني أمية إلى الأندلس منتصف المائة الثانية (5) وتوفي الغازي في أيام الأمير الحكم بن هشام بن عبد الرحمن سنة 199 هـ (6).

---

1 – انظر تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد بن الفرضي: 578/2 ترجمة 1013 .

2 – غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري: 2/2 ترجمة 2534 وأصل الخبر في كتاب التنزيل لأبي داود أنظر مختصر التبيين لهجاء التنزيل: المجلد الثالث: 568-569 (سورة الأعراف).

3- تاريخ علماء الأندلس: 578/2 ترجمة 1013 .

4 – نفسه: 578/2 .

5 – بغية الملتمس للضبي: 12-13 .

6 –تاريخ علماء الأندلس: 578/2 وغاية النهاية: 2/2 ترجمة 2534 .

وذكر الشيخ المغراوي في جامع جوامع الإختصار والتبيان أن الغازي بن قيس كان معلما بمدينة الهجرة فحدّ في الحذقة القرآن كله خمسة دنانير ذهبية (1).

وهذا يدل على أنه كان يأخذ على التأديب أجرة من أولياء الصبيان.

ويستفاد من رواية عن الحافظ أبي عمرو الداني أن طريقة الغازي بن قيس وأسلوبه في الأداء لقراءة نافع وتلقينها للصغار كانا معروفين في زمن الداني (371-444 هـ) فقد قال في ترجمته للفقيه أشهب بن عبد العزيز المصري:

«روى القراءة سماعا عن نافع بن أبي نعيم، وقال له نافع: إن كنت تريد تعليم الصبيان فأت سليمان بن مسلم - يعني ابن جماز صاحب أبي جعفر المدني- قال الداني:

وكانت مقرأة سليمان بن مسلم الهمز وإتمام المدات مثل مَقرأة أهل الأندلس، أي: مثل رواية الغازي بن قيس، لأنه أول من أدخل مقرأته الأندلس وأقرأ بها، وعليها نقط مصاحفهم القديمة، وهي موجودة إلى الآن» (2).

فهذا الوصف القيم لهذه الرواية يعطينا تمثيلا تقريبيا لها، ويكشف لنا عن جانب من مقوماتها الأدائية، كما أن في قوله: «وأقرأ بها» ما يدل على ما لقيته قراءته بها من إقبال وسعة جمهور، ولا أدل على ذلك من قوله عن روايته: «مقرأة أهل الأندلس» بهذا التعميم، وقوله: «وعليها خط مصاحفهم القديمة».

---

1 - جامع جوامع الاختصار والتبيان: 67

2 - نقله ابن الجرزي في غاية النهاية: 296/2 ترجمة 2598 .



وأما قوله: «وهي موجودة إلى الآن» فإن كان مرجع الضمير فيه إلى القراءة فالأمر منطقي في الظاهر، لأن روايةً هذا شأنها قد أمست في زمنها «مقرأة أهل الأندلس» ليس من اليسير التخلي عنها إلى غيرها مهما تكن قوة الروايات الأخرى المنافسة لها، لا سيما والزمن بين وفاة الغازي (سنة 199 هـ) وبين زمن أبي عمرو (371-444 هـ) لا يكفي لذهابها وزوال أثرها بالكلية من ساحة الإقراء.

وأما إن كان مرجع الضمير إلى المصاحف، وأنها هي الموجودة إلى زمن أبي عمرو فالأمر أيضا مقارب، ومن شأنه أن يؤكد على عموم أثر مدرسة الغازي وأثر محضرته في عموم الآخذين بطريقته، إذ لولا ذلك لعفى عليها الزمان وانمحى أثرها من الأذهان، ولا أرى أنه كان يكتب لطريقته ومذاهبه في القراءة والأداء ورسوم المصاحف ونقطها كلُّ هذا الشيوع والذيوع والاستمرار لولا أنه كان مؤدبا متصدراً للإقراء والإفادة بهذه العلوم.

وتبرز أهمية الغازي في هذا التأديب في جملة أمور، منها:

1 - أنه من الرواد فيه في البلاد الأندلسية على العموم.

2 - أنه كان مقربا من الأمير عبد الرحمن الداخل ومعدوداً من مواليه.

3 - أنه كان من الرواة عن مالك بن أنس إمام المذهب ومن حفاظ الموطإ، وهو أول من دخل به.

4 -أنه كان قد قرأ القرآن على قارئ المدينة وإمامها نافع بن أبي نعيم، وضبط عنه اختاره.

5 - أنه ضبط مصحفه على مصحف نافع بن أبي نعيم بعرضه عليه ومقابلته به مرات كثيرة.

6 – أنه اشتغل بالتأديب بعد عودته فكان يقرأ عليه القرآن، وخاصة قراءة نافع.

7 – أنه كان إمام أهل الأندلس في رسم المصاحف وضبطها، والإشارة إليه في كتب الرسم والضبط كثيرة دالة على عميق أثره في المدرسة المغربية، وكان يعتمد في ذلك كله مذهب أهل المدينة.

يقول إمام هذا الشأن من بعده أبو عمرو الداني في كتاب «المحكم في نقط المصاحف» وهو يتحدث عن كيفيه كتابة الهمز:

«وقد تأملت مصاحفنا القديمة التي كتبت في زمان الغازي بن قيس صاحب نافع بن أبي نعيم وراوية مالك بن أنس –فوجدت جميع ذلك مثبتا فيها، مقيدا على حسب ما أثبت وهيئة ما يقيد في مصاحف أهل المدينة» (1).

وقال أبو عمرو الداني في ذكر وضع النقط بالحمراء والهمز بالصفراء:

« وعلى ما استعمله أهل المدينة من هذين اللونين في المواضع التي ذكرناها، عامة نقاط أهل بلدنا قديما وحديثا، من زمان الغازي بن قيس صاحب نافع بن أبي نعيم –رحمه الله– إلى وقتنا هذا، اقتداء بمذاهبهم، واتباعا لسَنَنهم» (2).

وقد ظلت رواية الغازي معتمدة في الأندلس لا يزاحمها غيرها إلى أن اشتهرت بها رواية ورش عن نافع بعد أن دخل بها من طريق أبي الأزهر عبد عبدالصمد العتقي الإمام أبو عبد الله محمد بن وضاح القرطبي قال أبو عمرو الداني: «ومن وقته اعتمد أهل الأندلس على رواية ورش، وصارت عندهم

1 – المحكم في نقط المصاحف: 8 .
2 – نفسه: 20 .



مدونة، وكانوا قبل ذلك معتمدين على رواية الغازي بن قيس عن نافع.. ومات ابن وضاح في ذي الحجة سنة ست وثمانين وقيل في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين (1).

وقد خلف الغازي على طريقته من تلامذته جيل من القراء والمؤدبين منهم:

✓ **حكم بن عمران القرطبي:**

قال أبو عمرو الداني في المحكم: «وممن اشتهر من المتقدمين بالنقط واقتدُي به فيه من المدنيين عيسى بن مينا قالون راوية نافع ومقرئ أهل المدينة... ومن الأندلسيين حكم بن عمران صاحب الغازي بن قيس» (2).

وقال في موضع آخر منه: «ورأيت في مصحف كتبه ونقطه حكم بن عمران الناقط: ناقط أهل الأندلس في سنة سبع وعشرين ومائتين، الحركات نقطا بالحمرة، والهمزات بالصفرة... على نحو ما حكيناه عن نقاط أهل بلدنا» (3).

ومما تتجلى فيه ريادة الغازي بن قيس في وضع أسس التعليم الأولي «التأديب» ما جاء عند ابن بشكوال في كتاب الصلة في ترجمة أصبغ بن إبراهيم للخمي من أهل قرطبة حيث قال: روى عن إسماعيل بن إسحاق الطحان... ومن راويته عنه قال: حدثني خالد بن سعد قال:

كان غازي بن قيس ههنا مؤدبا -يعني للأمراء- ثم مضى إلى المشرق فسمع من مالك، وكان يحفظ الموطأ ظاهرا. قال خالد: وسمعت ابن لبابة غير مرة يذكر أن المعلمين اجتمعوا إلى غازي بن قيس فقالوا: يا سيدنا، أفتنا في الحذقة؟ فقال لهم: الحذقة واجبة» (4).

---

1 – غاية النهاية: 20

2 – المحكم: 9 .

3 – نفسه: 87 .

4 – الصلة لابن بشكوال: 108/2 ترجمة 250 .

ولا يخفى ما في قوله «إن المعلمين اجتمعوا» من دلالة على كثرتهم، وما في قولهم له: «يا سيدنا» من دلالة على تقديرهم له، وكأنه عميدهم أو ممثلهم عند الجهات المختصة، وكذلك ما لموضوع الفتوى حول استحقاق الحذقة على التعليم وجواز أخذهم لها ومطالبتهم بها، مما يدل على أن رجال مدرسة الغازي من المؤدبين هم الذين جرى على أيديهم ترسيم مثل هذه الأعراف الوظيفية.

وقد ظل مسجد الغازي الذي كان يقرئ فيه معروفا بقرطبة في هذا الشأن، وربما كان يختار له من أئمة القراء من يقوم فيه بالإقراء. وفي ترجمة أبي العباس أحمد بن قاسم الإقليشي من أصحاب المقرئ الجليل أبي الطيب بن غلبون وابنه طاهر بن عبد المنعم بن غلبون، أنه «كان رجلا صالحا فاضلا، مجودا للقرآن، قائما بالروايات فيه، وكان ملتزما في مسجد الغازي بقرطبة لإقراء الناس عن شيوخ لقيهم بالمشرق (1).

ومن المؤدبين مع الغازي من هذا الرعيل بقرطبة:

✓ **محمد بن عبد الله القرطبي. قال ابن الفرضي:**

«رحل وقرأ القرآن على عثمان بن سعيد المعروف بورش صاحب نافع بن أبي نعيم المدني، واستأدبه الحكم بن هشام (180-106) لبنيه، وكان عالما بالقرآن، بصيرا بالعربية، ذا حظ من الزهد» (2).

ومن أعلام هذا الشأن بقرطبة في المائة الثالثة ممن شاركوا تلامذة الغازي في الساحة:

بيت ابن باز: ويعرفون بلقب ابن القزاز من أهل قرطبة:

وقد رحل أولهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن باز المعروف بابن

---

1- الصلة: 36/1 ترجمة 60 وسيأتي ذكر بعض المتصدرين في مسجده من تلامذة الأنطاكي مقرئ قرطبة

2 - تاريخ علماء الأندلس: 634/2 .



القزاز ودخل مصر فقرأ على عبد الصمد بن عبد الرحمن العتقي صاحب رواية ورش، وسمع منه كتابه الذي جمعه في قراءة نافع وحمزة، قرأ عليه أصبغ بن مالك، وخرج مرابطا إلى مجريط بالأندلس فتوفي في رجوعه منها بطيلطلة سنة 274 (1).

قال ابن الفرضي: «كان فقيها، عالما زاهداً ورعاً، مقدما في الفتيا، حدث عنه الناس..» (2).

ومن كبار الرواة عنه ولده:

✓ **أحمد بن إبراهيم بن محمد بن باز**. قال العلامة ابن الأبار:

«من أهل قرطبة، يعرف بابن القزاز، سمع أباه، وأخذ عنه القراءة التي دخل بها الأندلس ورواها في رحلته عن عبد الصمد بن عبد الرحمن صاحب ورش، سماه الرازي في الذين علا ذكرهم واشتهر اسمهم من المقرئين وقال: «كان مؤدب جماعة، وإمام المسجد الجامع» قال ابن الأبار:

وقال القاضي يونس بن عبد الله: أخبرني أبو بكر بن مجاهد -يعني اللبيري الزاهد- قال: كان إبراهيم بن باز مقرئا، حافظا لكتاب الله عز وجل، بصيرا بوجوه القراءات، وكان أهل بيته يقرأون القرآن ويكثرون تلاوته: بنوه ونساؤه، وكان له ابن متعبّد وابن آخر قارئ للقرآن، كان إماما في الجامع بقرطبة، قال أبو بكر: ولم أسمع في خلق الله أبصر منه بالوقف على التمام في القرآن، ولقد بَلغني أنه غدا في بعض الأيام إلى أبي الجعد أسلم بن عبد العزيز في حاجة عرضت له إليه، فحانت صلاة الصبح، فقدمه أبو الجعد فصلى به الصبح، وقرأ في الركعة الأولى منها سورة الرعد، فلما انفتل من الصلاة قال له أبو الجعد: ما سمعت أحدا يحسن مثل قراءتك لا بمكة ولا بالمدينة ولا في بلد من البلدان» (3).

---

1 -غاية النهاية: 23/1 ترجمة 97 .

2 - تاريخ علماء الأندلس: 9/1 ترجمة 10

3 - التكملة لابن الابار 11/1-12 .

ومن خريجي محضرة الغازي بن قيس:

1 - ***ولده عبد الله بن الغازي بن قيس.***

قال أبو الوليد بن الفرضي: سمع من أبيه وقرأ عليه، وكان عالما بالعربية والشعر والغريب، بصيرا بقراءة نافع بن أبي نعيم» (1).

وقال عياض: كان من أهل العلم بالعربية والتأدية لقراءة نافع (2).

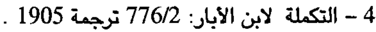
وقد اشتغل بالتأديب لأبناء الأمراء كما سيأتي إلى وفاته.

2 - ***عبد الله بن مهران المؤدب:***

بهذه الصفة اشتهر، وهي تدل على مكانته في هذا الشأن. قال ابن الأبّار: سمّاه الرازي (3) في المقرئين بقرطبة، وحكى أنه كان هو وعبد الله بن الغازي بن قيس مؤدبين للخلفاء -يعني من بني أمية- قال: وتوفي سنة 230 هـ وفي هذه السنة كانت وفاة عبد الله بن الغازي أيضا (4).

3 - ***أصبغ بن خليل القرطبي أبو القاسم.***

هو الفقيه الراوية الجامع بين الفقه والقراءة، وشيخ مشايخ قرطبة في زمنه. سمع بالأندلس الغازي بن قيس ويحيى بن يحيى الليثي وأضرابهما، ورحل فسمع من سحنون وغيره بالقيروان، وكان حافظا للرأي على مذهب مالك وأصحابه. وقد ذكروا أنه كان ضعيف المعرفة بالحديث، ولذلك لما حدث بحديث في إسناد القراءة عن الغازي بن قيس عن نافع ظن أن نافعا المذكور هو نافع مولى عبد الله بن عمر، فقال: عن الغازي عن نافع عن ابن عمر عن النبي -ﷺ-.

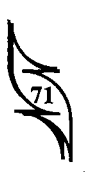


1 - تاريخ علماء الأندلس: 389/1 ترجمة 632 .

2 - ترتيب المدارك: 115/3 .

3 - الرازي هو أحمد بن محمد بن موسى بن بشير الرازي أبو بكر القرطبي (ت 344 هـ) له مؤلفات في أخبار الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها. أنظر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي: 95/1 ترجمة 135 .

4 - التكملة لابن الأبار: 776/2 ترجمة 1905 .



قال ابن الفرضي: «فظن أن نافع بن أبي نعيم القارئ هو نافع مولى ابن عمر» (1) وتوفي سنة 273 هـ (2).

**4 – *عبد الملك بن حبيب السلمي الفقيه المالكي المشهور صاحب الواضحة في الفقه المالكي.***

أخذ بالأندلس عن الغازي وزياد بن عبد الرحمن شبطون وصعصعة بن سلام، ورحل سنة 208 هـ فسمع بالحجاز ومصر والقيروان، وانصرف إلى الأندلس وقد جمع علما عظيما (3) وألف في فنون من العلم (4) ونزل ألبيرة، ثم نقله عبد الرحمن بن الحكم (206-238 هـ) إلى قرطبة، ورتبه مع يحيى بن يحيى في طبقة المفتين.

وهو من أقدم من ألف في علوم القرآن من الأندلسيين، فقد ألف تفسيراً، وذكر أنه ستون كتابا (5) وكتابا في القراءات (6) وكتابا بعنوان «القارئ» لعله في آداب القراءة أو فضائل القرآن، وألف إعراب القرآن وغير ذلك (7).

وأهم من هذا فيما يتصل بموضوع بحثنا أنه من أقدم واضعي ما يمكن أن نطلق عليه اسم علوم التربية عند المسلمين، وإلى القارئ الكريم هذا النص الذي وصل إلينا، وهو يدل على مبلغ نضج النظرة التربوية عند بعض فقهائنا ابتداء من هذا العهد، إذ توفي ابن حبيب رحمه الله سنة 230 هـ .

1 – تاريخ علماء الأندلس: 151/1 ترجمة 245 .
2 – انظر ترتيب المدارك: 250/4-252
3– تاريخ علماء الأندلس: 459/1 ترجمة 814 .
4 – ترتيب المدارك: 127-128 .
5 – نفسه: 128/4 .
6 – انظر معرفة القراء الكبار للذهبي: 486/1 طبقة 14 .
7 – انظر ترتيب المدارك: 128/4 .

# نص تربوي في نظام التعليم الأولي

# وتنظيم الاستحقاقات المادية للمعلم

قال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (ت 403 هـ) في رسالته في أحوال المعلمين والمتعلمين. قال ابن حبيب:

«ونحن نوجب للمعلم «الحذقة» ونرى أن يحكم له بها في النظر الظاهر (1) على قدر الغلام، وقدر درايته، وقدر حفظه في «حذقة الظاهر» وقدر معرفته بالهجاء والخط في «حذقة النظر»، وليس لها قدر معلوم، وليس كل الناس فيها سواء، وليس ذو الفقر من الآباء كغيره من أهل الغنى.

وإنما رأينا أن يحكم له بها، لأنها مكارمة جرى الناس عليها فيما بينهم وبين معلمي صبيانهم، بمنزلة هدية العُرس، ونحن نرى أن يحكم له بها على قدر الرجُل، وقدر المرأة، وليس لها قدر معلوم» (2).

وهذا النص التربوي القيم مضافا إلى الخبر الذي تقدم عن اجتماع المعلمين عند الغازي بن قيس، واستفتائهم له في شأن الحذقة، وإفتائه لهم بأن الحذقة واجبة، يدلان على سعة الطبقة التي كانت قائمة على التأديب منذ أواخر المائة الثانية، كما يدلان من جهة ثانية على نوع المشاكل التربوية التي اقترنت بتطور مهنة التأديب وخروجها من العفوية إلى التأطير القضائي والفقهي، المنظم للعلاقة فيها بين المستفيدين والعاملين، وبين

---

1 – لعله يعني بالنظر الظاهر وحذقة النظر وحذقة الظاهر شيئا واحدا، وهو تمكن الناشئ من القراءة السليمة في اللوح أو في المصحف، لأن تعبيره «بالنظر» يدل على أنه يريد القراءة وهو ينظر في المكتوب، إلا أن يكون أراد بالظاهر: القراءة عن ظهر قلب فتكون خلاف النظر، وسيأتي مزيد من البيان لهذا.

2 – أنظر الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين لأبي الحسن القابسي في كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي للدكتور محمد ناصر: 111/2 .

أولياء التلاميذ والمعلمين، وستأتي نقول أخرى عن ابن حبيب تدل على وفرة المعلمين للقرآن المستفيدين من العمل في هذه الخطة بوجه عام.

## أعلام المؤدبين بالأندلس لهذا العهد

ومن أعلام هذا الرعيل من المؤدبين بالأندلس:

✓ **نصر المصحفي النقاط:**

قال ابن الأبار: من أهل طليطلة، كان يقرئ القرآن وينقط المصاحف. أخذ عنه محمد بن عبد الجبار الطليطلي - من رفاق الإمام محمد بن خيرون الألبيري- المقرئ نزيل القيروان كما تقدم في عرضه على إسماعيل النحاس- فلما قرأ -يعني ابن عبد الجبار- بمصر على النحاس (1) أعجبته قراءته وحسن أدائه» (2):

✓ **محمد بن أحمد بن يحيى الزهري المعروف بالإشبيلي الزاهد:**

من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله. كان معلم كتاب.

روى عن محمد بن وضاح وإبراهيم بن محمد بن باز وجماعة قال ابن الفرضي: وكان يجتمع إليه أهل الحسبة والمعلمون ويقرأون عليه... توفي سنة 325 هـ (3).

✓ **محمد بن خمسين الثقفي الأحدب:**

من أهل قرطبة، روى عن ابن وضاح، وكان من كبار أصحابه، وسمع

---

1 - إسماعيل بن عبد الله النحاس صاحب الأزرق عن ورش، وفي إحدى طبعات التكملة «إبراهيم النحاس» وهو خطأ. أنظر ترجمة إسماعيل في غاية النهاية: 165/1 ترجمة 770 .

2 - التكملة: 211/2 ترجمة 580 .

3- تاريخ علماء الأندلس: 695-696 ترجمة 1212 .

من إبراهيم بن محمد بن باز وجماعة وقال بعضهم: كان معلم كتاب (1).

ومن أعلام أهل هذا الشأن:

✓ **زكريا بن يحيى الكلاعي الأندلسي.**

من أهل قرطبة من أصحاب ابن وضاح، وكان ضابطا لقراءة نافع رواية ورش عنه، عالما بألفاظ المصريين، رحل إلى مصر فأخذ القراءة عن مواس بن سهل وبكر بن سهل وحبيب بن إسحاق القرشي وأحمد بن إسماعيل التجيبي من أعلام رواية ورش، ورواها عنه عامة أهل قرطبة في عصره، وأخذوا عنه كتابه الذي صنفه في الأصول الأدائية وعملوا بما فيه، وتوفي بقرطبة سنة 300 (2).

قال أبو عمرو الداني: «روى عنه أصبغ بن مالك وجماعة من أهل قرطبة وعرضوا عليه، ولم يكن بالأندلس بعد الغازي بن قيس أضبط منه لقراءة نافع ولا أعرف بألفاظ المصريين من أصحاب عثمان بن سعيد -ورش- وله كتاب حسن في الأصول» (3).

وقد اطلع أبو عمرو الداني على كتابه المذكور، وقال في كتابه طبقات القراء والمقرئين في باب «داود» منه: «قرأت في كتاب زكريا بن يحيى الأندلسي المقرئ: حدثني حبيب بن إسحاق القرشي، قال: أخبرني أبو الأزهر (4). قال: رأيت داود بن أبي طيبة (5) في النوم فقلت له: إلى ماذا

1 - نفسه: 296/2 ترجمة 1213 ..

2 - التكملة: 327-328 ترجمة 884 .

3- نقله ابن الجزري في غاية النهاية: 294/1-295 ترجمة 193/4.

4 - أبو الأزهر هي كنية عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقي صاحب ورش، توفي سنة 231 هـ ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري: 389-390 ترجمة 1659 .

5 - قرأ على ورش وهو من جلة أصحابه المصريين، ومات في شوال سنة 223 هـ رنظر ترجمته في غاية النهاية: 279/1-280 ترجمة 1255 .

صرت إليه؟ فقال لي: رحمني الله بتعليمي الناس القرآن يا أبا الأزهر، فإذا جاءك أحد فلا تشدد عليه، قال: قلت له: في القراءة؟ قال: لا، ولكن إذا جاءك أحد فلا تردّه» (1).

✓ **أحمد بن شاب بن عيسى الأموي** من أهل قرطبة. كان مؤدب كتاب. سمع من مطرف بن قيس وإبراهيم بن باز وغيرهما، توفي سنة 317 هـ (2).

✓ **أصبغ بن مالك بن موسى الزاهد أبو القاسم.**

سكن قرطبة سمع من ابن وضاح كثيرا وصحبه نحو من أربعين سنة، وكان ابن وضاح يجله ويعظمه، وسمع من ابن القزاز وقرأ عليه القرآن، وكان إماما في قراءة نافع عابدا زاهدا، وكان هذا الغالب عليه، يجتمع إليه أهل الزهد والفضل ويسمعون منه. توفي سنة 304 هـ وقيل قبلها (3).

✓ **حبيب بن أحمد بن إبراهيم المعلم.**

من أهل قرطبة يكنى أبا سليمان، سمع من إبراهيم بن باز ومحمد بن وضاح، وكان معلم كُتاب (4).

✓ **محمد بن حزم القرطبي:**

روى عن ابن وضاح وغيره، وكان معلما للقرآن معنيا بالعلم والرواية. وكان أبوه معلما، وكانت له أخت تودب أيضا، وتجمعهم في التعليم دار واحدة (5).

---

1 - نقله ابن الأبّار في التكملة: 327-328 ترجمة 884 .
2 - تاريخ علماء الأندلس: 77/1 ترجمة 95 .
3 - أنظر ترجمته في تاريخ علماء الأندلس 153/1 ترجمة 248 وترتيب المدارك لعياض 174/5 وغاية النهاية: 171/1 ترجمة 799 .
4 - تاريخ علماء الأندلس: 227/1 ترجمة 382 .
5 - الذيل والتكملة لمحمد بن عبد الملك المراكشي: 157/6-158

✓ **أصبغ بن تمام بن الحرز أبو القاسم:**

من أهل قرطبة. قال ابن الفرضي: «كان من أهل القراءات والحفظ للقرآن، وكان مؤدبا.. توفي سنة 365» (1).

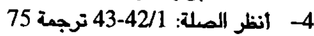
✓ **أغلب بن عبد الله بن منويل:**

من أهل طليطلة. قال ابن الأبار: «رحل إلى المشرق وقرأ بمصر على إسماعيل بن عبد الله النحاس هو وجاره محمد بن عبد الجبار الطليطلي، وعاد إلى بلده فأقرأ القرآن، وكان عالما بحرف نافع، وتوفي سنة 298 هـ. ذكره الرازي وقال: كان محمد بن خيرون الألبيري صاحبهما بمصر عند النحاس» (2).

وقال ابن بشكوال: «أخذ القراءة عرضا عن إسماعيل بن عبد الله النحاس وعن محمد بن سعيد الأنماطي وضبط عنهما حرف نافع: رواية عثمان بن سعيد ورش، ودوّن عنهما كتابه. ذكره أبو عمرو يعني:الداني» (3).

✓ **أحمد بن محمد بن عفيف الأموي.**

من أهل قرطبة، بدأ بالسماع في آخر عام تسعة وخمسين وثلاثمائة واستوسع في الرواية، وقرأ على أبي الحسن علي بن محمد بن بشر الأنطاكي نزيل قرطبة ومقرئ أهل الأندلس، وكان يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني بقرطبة، ويعلم القرآن فيه. وجمع كتابا حسنا في آداب المعلمين خمسة أجزاء، توفي سنة 420 هـ (4).



1 - تاريخ علماء الأندلس: 156/1 ترجمة 255
2 - التكملة لابن الأبار: 211/1 ترجمة 560 .
3- الصلة لابن بشكوال: 115/1 ترجمة 273
4- أنظر الصلة: 1/42-43 ترجمة 75



✓ **أحمد بن عبد الله بن شاكر الأموي**

من أهل طليطلة يكنى أبا جعفر، وكان معلّما بالقرآن (1).

✓ **أحمد بن عبد الله بن مفرِّج الأموي المكتب يعرف بابن التّياني يكنى أبا عمر.**

أخذ عن جماعة من علماء قرطبة وسكن إشبيلية، توفي في رجب سنة 450 هـ (2).

✓ **محمد بن رفاعة بن محبوب المكتب.**

من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله، رحل في آخر عمره حاجا، فمات بسبتة سنة 372 (3).

✓ **يوسف بن خلف بن سفيان الغساني البجاني المكتب.**

سكن قرطبة يكنى أبا عمر: كان يؤم في مسجده ويعلم القرآن، توفي بعد الأربعمائة (4).

✓ **محمد بن خليفة بن عبد الجبار بن خليفة البلوي المؤدب.**

من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله، سمع بمكة من جماعة، ثم انصرف إلى الأندلس فلزم التأديب بالقرآن (5).

## عدد كتاتيب قرطبة في أواسط القرن الرابع

وأشير هنا إلى أن تطور الأحوال وازدياد العمران بالحواضر الأندلسية قد اقتضى تدخل الدولة في تنظيم التأديب ورعايته ووضع الخطط لتمويله والإشراف عليه.

1 - الصلة: 45/1 ترجمة: 80 .
2 - نفسه: 61/1 ترجمة 120 .
3- تاريخ علماء الأندلس: 760/2 ترجمة 1337 .
4 - أنظر الصلة: 638/2 ترجمة 1492 .
5 - تاريخ علماء الأندلس: 790/2 .

وقد بدأ الإحساس بالحاجة إلى المؤدبين يتزايد بتزايد الحاجة إلى الأطر ذات الكفاءة العالية، وفي أواسط المائة الرابعة على عهد عبد الرحمن الناصر، (300-350 هـ)، ثم على عهد ابنه الحكم المستنصر (350-366 هـ ) عرف التأديب الرسمي ازدهارا واضحا برعاية الخلفاء له وتعميمه في جميع الحواضر والجهات.

وقد وصلت إلينا لمحات في بعض كتب التاريخ تصف هذه الرعاية.

فهذا ابن عذاري المراكشي يتحدث عن مآثر الحكم بن عبد الرحمن المستنصر فيقول:

«ومن مستحسنات أفعاله، وطيبات أعماله، اتخاذه المؤدبين يعلمون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالي المسجد الجامع، وبكل ربض من أرباض المدينة، وأجرى عليهم المرتبات، وعهد إليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم».

قال:

وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا منها حوالي المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من أرباض المدينة. وفي ذلك يقول ابن شخيص (1):

وساحة المسجد الأعلى مكلّلة ** مكاتبا لليتامى في نواحيها
لو مُكّنت سور القرآن من كلم ** نادتك يا خير تاليها وراعيها (2)

1 - هو محمد بن مطرف بن شخيص أبو عبد الله - كان من أعيان الشعراء المتقدمين، متصرفا في القول، سالكا في أساليب الجد والهزل، توفي قبل الأربعمائة. أنظر جذوة المقتبس للحميدي: 139 وانظر بعض أشعاره في مدح الحكم في المقتبس لابن حيان: 158-162-231 بتحقيق عبد الرحمن علي الحجي - دار الثقافة بيروت - لبنان.

2 - البيان المغرب لابن عذاري المراكشي: 2/240-241



ثم قال ابن عذاري:

«وزيادة في إكرام المؤدبين حبس الحكم حوانيت السراجين بقرطبة على المعلمين لأولاد الضعفاء» (1).

وهذه سابقة من مكرمات الحكم -رحمه الله- سوف يكون لها شأنها في مستقبل الأيام حينما تظهر الأوقاف على المدارس والكراسي العلمية التي تدرس فيها المتون على عهد الدولة المرينية.

وقد عرف عهدُ الخليفة الحكم إنجازات أخرى غاية في الأهمية، ومنها إحداث المراسيم الخلافية التي تصدر في صورة ظهائر تتضمن تولية بعض المؤدبين الرسميين لهذه المهام وإصدار المراسيم لهم بذلك متضمنة لمقتضيات تلك العقود، وقد أورد ابن حيان في المقتبس سجلا لاثنين منها: أحدهما يتعلق بتولية الفقيه القارئ أحمد بن يوسف القسطلي (2) تأديب ولي عهد الحكم أبي الوليد هشام المعروف فيما بعد بالمؤيد (3) والثاني يتعلق بتولية الشيخ الفقيه الراوية يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى الليثي إسماع الأمير أبي الوليد المذكور موطأ الإمام مالك بن أنس (4).

ولإعطاء صورة عن هذه المراسيم نسوق فيما يلي نص المرسوم الذي صدر بتولية أحمد بن يوسف المأمورية الأولى:

---

1- البيان المغرب: 249/2 .

2- هو أحمد بن محمد يوسف المعافري المعروف بالقسطلي من أهل قرطبة يكنى أبا القاسم. قال ابن الفرضي: «ورحل إلى المشرق سنة 342 هـ فسمع من أحمد بن سلمة الضحاك الهلالي المكتب وجماعة وانصرف في شعبان في سنة خمس وأربعين، واستأدبه أمير المؤمنين المستنصر بالله -رحمه الله- لولي عهده المؤيد بالله أمير المومنين..
وتوفي رحمه الله في صفر من سنة 368 هـ - أنظر علماء الأندلس: 107/1 ترجمة 164 .

3 - أنظر المقتبس لابن حيان: 76-77 .

4 - نفسه: 216-217.



# نص المرسوم الخلافي بالعهد
# إلى الفقيه المقرئ أحمد بن يوسف
# القسطلي (1) بتأديب الأمير هشام ولي عهد الحكم
# المستنصر الأموي

قال المؤرخ ابن حيان الأندلسي في حوادث سنة 361 هـ في كتابه «المقتبس» في شهر رمضان منها.

«وفي عشي يوم الأحد أول أيامه، أوصل الخليفة إلى نفسه الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف الملقب بالقسطلي، فأمره بالتأهب لتعليم ولده الأمير أبي الوليد هشام، وأحسن وصاته به، ورسم له في تعليمه وتدريجه رسوما أفاده عليها ولم يعدُ عنها، نفع الله الولد بها.

وكان قد أمر بتطرية الدار المعروفة بدار المُلك بقصر الزهراء وتنجيدها، وإقامة كل ما يحتاج إلى إقامته وإعداده بها، وفي الطريق إليها، وفتح باب غربي في فصل الفتيان بها، يقترب عليه الخروج منها إلى هذه الدار، فيكون قعوده مع مؤدبه المذكور في المجلس الشرقي منها، بأيمن طائر، فقُضي ذلك كله وأحكم شأنه.

فكان جلوس الأمير أبي الوليد مع معلمه في المجلس المذكور من الدار المحدودة يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان، واستخف الخليفةَ الحكمَ السرور بما هيأه الله من ذلك، إلى أن برز إلى هذا المجلس نهاره هذا لتقع عينه على ابنه، وتشاهد كيف صبره على الثِقاف الذي لَزَّهُ.

---

1- يقال فيه أيضا القشطيالي كما في ترجمة ولده عثمان الآتي ذكره في تلامذة أبي الحسن الأنطاكي شيخ محضرة قرطبة في عهد الحكم الأموي

فعاين من ركانة مجلسه، وطلاقة وجهه، وإقباله على معلمه، وسكون جأشه، ما قرَّت به عينه، وتجدَّدت معه مسرتُه، فبادر بإخراج مال واسع إلى صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر، ليفرقه على الضعفاء والمساكين وأبناء السبيل، شكراً لله تعالى على جليل مِنَّته عليه في قرة عينه وسُلالة مجده.

وعهد بعقد استئمار الفقيه أحمد بن يوسف معلم الأمير أبي الوليد هشام، بإجراء الرزق عليه: الراتب والحمولة والعَلوفة، وعهد بإقامة علوفة للأمير محددة العدد، موصوفة الأطعمة، تقدم إليه وإلى من معه من صبيانه كل يوم بموضع حِضاره ذلك.

وأمر بتقديم ذكاء الوصيف الكبير الخصي، ناظرا للأمير أبي الوليد، قيوما على جميع صبيانه متكفلا بشأنه (1).

وقد انتشرت القراءة والكتابة في البلاد الأندلسية لهذا العهد بانتشار الكتاتيب في المدن والقرى، وقد قيل إنه كان يتعذر أن يوجد فلاح أندلسي – فضلا عن غيره– لا يعرف القراءة والكتابة، في حين كان ملوك أوربا لهذا العهد لا يقدرون أن يكتبوا أسماءهم الشخصية في توقيعاتهم (2).

وهكذا كان عهد الحكم المستنصر العهد الذهبي الذي ازدهر فيه التأديب في قرطبة، ولاقى فيه المؤدبون من الحظوة والاعتبار ما لم يتقدم مثله أو يتأخر في زمن من الأزمان.

وكان يترصد الكفاءات العلمية في الأقطار كما قال عنه المالكي في رياض النفوس.

---

1 – المقتبس لابن حيان: 76-77 .

2 – دراسات في الأدب الأندلسي للكتور سامي العاني: 96 وانظر مجلة دعوة الحق العدد: 259 .



«وكان الحكَم ربما سمع بالرجل ينفع في بلد من البلدان، فلا يقرُّ له قرار حتى يكون عنده، وكان يقول: «لست أشتهي من دولة الشويعي (1) إلا أربعة: أبو القاسم ابن أخت الغساني المقرئ وابن الصيقل الشاعر وابن الجزار الطبيب وابن القصطلية المغبِّر. فأما أبو القاسم ابن أخت الغساني وابن الصيقل فقد وصلا إليه وأقاما عنده حتى ماتا، وأما ابن القصطلية وابن الجزار فلم يصلا إليه» (2).

وقال المالكي وهو يحكي عن حظوة أبي القاسم ابن اخت الغساني عند الحكَم:

«قرأ عند الحكم أمير المؤمنين –رحمه الله تعالى– «في ديوانه في سورة إبراهيم: ﴿ **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون**» فلما انتهى إلى قوله عز وجل:﴿ **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال** ﴾ نزل الحكم من فوق سريره – رحمة الله عليه– وهو يبكي وينتحب، وجثابين يديه» (3).

وكان ممن استقدمهم الحكم إلى قرطبة جماعة من القراء منهم:

– **أبو محمد القضاعي عبد الله بن محمد المعروف بمقرون** (290-378)، نزل بجاية ثم وهران ثم مالقة ثم قرطبة، قال ابن الجزري: قدمها بأمر الحكم أمير الأندلس في سنة 347 هـ فأقرأ الناس بها على باب

---

1 – تصغير تحقير الشيعي، وهو حاكم دولة الشيعة العبيديين بإفريقية يومئذ.

2 – رياض النفوس للمالكي: 477/2 .

وابن أخت الغساني المقرئ المذكور في النص هو: أبو القاسم حكم بن محمد بن هشام المقرئ من أهل القيروان، قرأ القرآن بها على الهواري المقرئ وقرأ الهواري عن ابن خيرون الألبيري نزيل القيروان. وقدم الأندلس في أول ولاية المستنصر –رحمه الله– فوصل إليه وأكرمه، ثم استأذنه في الجواز إلى بلده والح عليه في ذلك فأذن له، فجاز إلى القيروان، ثم امتحن مع عبيد الله الشيعي بأن سجنه من أجل صلابة كانت فيه في السنة كانت فيه في السُّنة.. ثم أطلق فجاز إلى الأندلس مرة ثانية فأكرمه أمير المؤمنين الحكم وأجرى عليه العطاء في ديوان قريش إلى أن مات. قال ابن الفرضي: وكان يقرئ القرآن، وقد كتب الحديث. وشهدته يقرأ ويقرئ ولم أكتب عنه شيئا.. ثم ذكر وفاته سنة 370 عن 82 سنة. (تاريخ علماء الأندلس: 222/2 ترجمة 375 . ورياض النفوس: 475-477).

3 – رياض النفوس: 477/2 .

المسجد الجامع، بحرف نافع من رواية ورش، وكان ينحو فيه مذهب المصريين» (1).

✓ ومنهم **ابن النعمان**، وهو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد ابن إبراهيم بن النعمان القروي (329-378 هـ) «مقرئ مجود صالح، أخذ القراءة عرضا عن أبي الفتح بن بُدْهُن البغدادي من أصحاب ابن مجاهد – وعليه اعتماده. قال الحافظ أبو عمرو الداني:

«نزل الأندلس » وأقرأ بها دهرا، وكان خيرا فاضلا محمودا، حسن الصوت، ذا حفظ للحروف، ولعدد الآي» (2).

✓ ولعل أهم من استقطبهم الحكم إلى قرطبة بعد ابن أخت الغساني ومقرون وابن النعمان: المقرئ الجليل: مقرئ أهل الأندلس وزعيم أكبر محضرة فيها إلى زمنه: **الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن بشر الأنطاكي**. ونظرا لأهميته في هذه المرحلة في بلورة التأديب الرسمي في البلاد الأندلسية في منتصف المائة الرابعة نخصه بالفصل التالي، والله المستعان.

---

1 – غاية النهاية: 456/1 ترجمة 1904.

2 – غاية النهاية: 132/2 ترجمة 2968 .

## الفصل الثالث

# محضرة أبي الحسن الأنطاكي بقرطبة ورجالها وامتداداتها في القرن الرابع

ومن أكابر المؤدبين وعلية المتصدرين للتعليم من المقرئين:

✓ **أبو الحسن بن بشر الأنطاكي نزيل قرطبة.**

وهو علي بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن بشر الأنطاكي أبو الحسن التميمي المقرئ.

قال الداني: «نزيل الأندلس ومقرئها» (1) وقال ابن الجزري: «نزيل الأندلس وشيخها. إمام حاذق مسند ثقة ضابط، ولد بأنطاكية سنة 299 هـ ولزم إبراهيم بن عبد الرزاق نحوا من ثلاثين سنة، وخرج من أنطاكية مع أمه إلى الحج في شوال سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وانصرف إلى دمشق، فوصل إليه موت شيخه ابن عبد الرزاق فنزل مصر وأقرأ بها، إلى أن وجه المستنصر بالله الحكم -بن عبد الرحمن الناصر أمير الأندلس- قاصدا إلى مصر، وكتب معه أن يجهز إليه مقرئا يقرئ الناس بالأندلس،

---

1 -نقله الحافظ الذهبي في كتاب معرفة القراء الكبار: 275/1 طبقة 9.



فوجه إليه بأبي الحسن، فقدم الأندلس مع أمه، ودخل قرطبة في شعبان سنة 352 هـ (1).

وقال ابن الفرضي: «قدم الأندلس في شهر ربيع الآخر سنة 352 هـ، فنزل من الخليفة الحكم المستنصر بالله ومن الناس المنزلة الرفيعة» (2) قال: «وكان عالما بالقراءات، رأسا فيها لا يتقدمه أحد في معرفتها في وقته.. وأدخل الأندلس علما جمّا من القراءات، وكان بصيرا بالعربية والحساب، وله حظ من الفقه على مذهب الشافعي.

قرأ الناس عليه، وكتبوا عنه، وسمعوا منه، وسمعت أنا منه.. وتوفي رحمه الله بقرطبة يوم الجمعة يوم تسع وعشرين من ربيع الأول سنة 377 هـ) (3).

## مكانة الأنطاكي وأثره في ميدان التأديب والإقراء

وكان لأبي الحسن الأنطاكي من الأثر في الأندلس ما يعز نظيره، ولذلك شهد له بإمامة قرائها كبار القراء وأئمة الإقراء كأبي عمرو الداني – وهو ممن أدركه وروى عنه بالإجازة، وكأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني الذي نزل قرطبة سنة 393 هـ بعد موت الأنطاكي فدخل مع أصحابه في سجال علمي في مسائل من الأداء والقراءة وألف فيها رسائل (4).

---

1 - غاية النهاية 1/564-565 ترجمة 2308 ،

2- تاريخ علماء الأندلس: 536/2 ترجمة 932 .

3- نفسه: 536/2 وانظر ترجمته في إنباء الرواة لأبي الحسن القفطي: 308-309 ترجمة 488 .

4 – ذكر له أبو الحسن القفطي: كتاب الرسالة إلى أصحاب الأنطاكي في تصحيح المدلورش (إنباه الرواة: 316/3) وقال: جزآن، وكتاب وجوه كشف اللبس التي لبس بها أصحاب الأنطاكي في المدّ لورش (إنباه الرواة: 318/3) ولعله هو المنشور باسم «تمكين المد في آتى وآمن وآدم وشبهه بتحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات: نشر دار الأرقم بالكويت: 1404 هـ – 1984 م.

وقد ذكره أبو عمرو الداني في صدر كتابه المحكم في نقط المصاحف عند ذكر من ألفوا الكتب في نقطها من الرواد فقال: «وأبو الحسن علي بن محمد بن بشر مقرئ أهل بلدنا» (1).

وقال عند ذكر مذهب من بيَّن غنة النون الساكنة والتنوين عند الراء واللام والياء والواو وأشار إلى كيفية الادغام: «وهذا كان مذهب شيخنا أبي الحسن علي بن محمد بن بشر نضّر الله وجهه- في نقْط ذلك» (2).

ومن ثناء أبي عمرو عليه قوله في ترجمة أحمد بن عمر بن أبي الشعرى الوراق القرطبي:

«كان أهل قرطبة يأخذون عنه ويقرأون عليه القرآن قبل دخول أبي الحسن الأنطاكي الأندلس ويعتمدون عليه.. وكان يكتب المصاحف وينقطها، وكان الناس يتنافسون في ابتياعها لصحتها وحسن ضبطها وخطها، وتوفي بعد سنة 350 هـ قال ابن بشكوال: ذكره أبو عمرو المقرئ (3).

وقال أبو عمرو في ترجمة عبد المجيد مولى عبد الرحمن الناصر:

«كان من أهل القراءات والآثار والرواية، وكان حسن الخط جيد النقل، توفي سنة 389 هـ وذكر أنه أخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن الأنطاكي وضبط عنه حرف نافع، وكان خيرا فاضلا فهما ضابطا ذا معرفة بالأداء ومرسوم المصاحف ونقطها، أخذ ذلك عن أبي الحسن، وكان أبو الحسن من أعلم الناس بذلك» (4).

وقال أبو عمرو الداني أيضا في ترجمة صاحبه خلف بن سليمان ويعرف بالحجام:

---

1 - المحكم في نقط المصاحف: 9

2 - نفسه: 74 .

3- يعني الداني: الصلة 11/1 ترجمة: 1 .

4 - الصلة: 364/1 ترجمة 818 وغاية النهاية: 466/1 ترجمة 1941 .



«وكان يكتب المصاحف وينقطها، أخذ ذلك عن الأنطاكي» وتوفي سنة 397 هـ قال وكان قد قرأ القرآن على أبي الحسن الأنطاكي المقرئ بحرف نافع برواية ورش وقالون عنه، وأتقن الروايتين وأقرأ الناس بهما» (1).

وقد ترك أبو الحسن الأنطاكي في ساحة الإقراء دَوِيًّا قويا، لا سيما في قراءة نافع التي وجد قراء الأندلس قد أخذوا فيها بموافقة أهل إفريقية والقيروان في الغالب، فألف كتابه في قراءة نافع وضمّنه مذاهب واختيارات في الأداء وقواعد التجويد مخالفة للشائع في البلد (2) كما ألف كتابا في رواية ورش ذهب فيه إلى مثل ذلك (3).

ومن جملة مذاهبه التي خالف فيها أهل القيروان إدغامه القاف في الكاف من غير إبقاء صوت القلقلة في قوله تعالى ﴿ ألم نخلقكم﴾ في سورة المرسلات. فقال أبو عبد الله محمد بن سفيان صاحب كتاب الهادي في القراءات يرد عليه:

«القراء مجمعون على خلاف ما قال، ولا يدغم منهم أحد القاف في الكاف حتى يبقى صوت القاف، وذلك أن القاف مجهورة، وهي حرف قلقلة واستعلاء، فلو لم يبق منها صوت لاختلّت، إذ كان إدغامها في حرف مهموس لا قلقلة فيه ولا استعلاء، ألا ترى أنهم أجمعوا على بقاء صوت الإطباق من الطاء إذا أدغموها في التاء في قوله «أحطت» و«بسطت» وهذا ما أقرّ به هو أنه إجماع من القراء (4).

هكذا ذهب أبو عبد الله بن سفيان في رده على الأنطاكي في هذه المسألة من الأداء واحتج فيها عليه بما ادعى أن إجماع القراء على خلاف قوله فيه.

---

1 - نفسه في الصلة: 158-159 ترجمة 359 .

2 - أنظر النقل عن كتابة في قراءة نافع في كتاب الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر بن الباذش: 1874/1

3- اشار إلى كتابه الذهبي في معرفة القراء: 275/1 والعبر 5/3 والمقري في نفح الطيب: 140/4 .

4 - نقله ابن الباذش في الإقناع: 185/1 .



وقد عكس عليه القضية أبو عمرو الداني فذكر الإجماع على خلاف ما قال، فقال في أرجوزته «المنبهة»:

وأجـــمع الكل بلا خـــلاف ** على اَدغـام القـاف عند الكاف
من غير صوت في ألم نخلقكم ** وأدغم البصـري من يرزقكم (1)

وهذان مذهبان في الآداء لكل واحد منهما مستنده في الرواية، وتوجيهه في اللغة والقياس، ولذلك قال أبو جعفر بن الباذش معقبا على هذين المذهبين:

« الأخذ بالبيان ليس عليه عمل، وأنت مخير في إبقاء الصفة مع الإدغام أو إذهابها، وكأنّ إجماعَهم على إبقاء الإطباق في «أحطت» يقوي إبقاء الاستعلاء هنا، وكلا الوجهين مأخوذ به» (2).

وأما القضية الثانية التي جرت إلى خصام نقدي عنيف بينه وبين قراء القيروان، ومعهم أصحاب مكي بن أبي طالب، وهي التي أسالت مدادا كثيرا وكانت سبباً لرسائل عديدة كما تقدم، فهي قضية المد فيما تقدم سبب المد فيه على حرفه نحو آدم وآمن وأوحي وأوتي وإيمانا وللإيمان.

فقد كان أبو الحسن الأنطاكي يذهب في ذلك كله إلى القصر لورش وغيره.

قال ابن الجزري: «وهو مذهب الشاميين والعراقيين، وأما مذهب غيرهم من سائر المصريين والمغاربة من طريق الأزرق عن ورش فزيادة المد في ذلك كله» (3).

---

1 - انظر: الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات لأبي عمرو الداني: 223-224 رقم البيت: 259-260 القول في المدغم المجمع عليه» .

2 - الإقناع: 185-186

3- النشر في القراءات العشر: 1/338-339



قال ابن الباذش: «و كان أبو الحسن الأنطاكي ينكر زيادة المد في الباب كله، وعلى ذلك كان شيخه إبراهيم بن عبد الرزاق وجماعة من نظرائه، وإلى إنكار ذلك ذهبت جماعة من المتأخرين منهم طاهر بن غلبون، واعتمدوا في علة إنكار ذلك على التباس الخبر بالاستفهام. وقد وضع أبو محمد مكي كتابا يؤيد فيه قول المصريين، وكذلك أبو عبد الله بن سفيان وضع كتابا على الأنطاكي خاصة، إلا أنه تعدى فيه الرد عليه إلى التحامُل والجفاء» (1).

وقد أبان أبو محمد مكي عن وجهة نظر الأنطاكي في هذه المسألة في رده على أصحاب الأنطاكي بعد أن نسبهم إلى عدم الفهم منهم لمراد الشيخ. فقال في رسالة الرد (2).

«وقد بلغني أن بعض هؤلاء المعترضين به نسب هذا الاعتراض إلى الأنطاكي –رحمه الله تعالى– وقد كان الأنطاكي أجل قدرا من هذا الاعتراض، فإن كان وقع له ذلك أو سمع منه، فإنما أراد التقريب على المبتدئين، لأنه خاف أن يشبعوا المد حتى يخرج عن حده في النقل، فقال معلما لهم: لا تمدوه لئلا يصير مثل الاستفهام، أو قال كلاما بهذا المعنى، لأنه –رحمه الله– وصل إلى بلد اختلفت قراءة قرائه وخرجت عن الصَوَاب، فلم يزل مقاله بهم حتى أصلح كثيرا مما فسد».

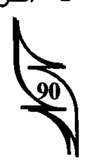
ثم قال مكي منظرا لمسألته بما يشبهها، وهو أيضا مما يهمنا في بيان تأثير الأنطاكي في مسار الإقراء في البلاد الأندلسية.

«وقد أخبرت عن أقرب تلاميذه إليه أنه قال:

كنا نُميل أكثر اللفظ في القرآن قبل مجيء الأنطاكي، فلما وصل ورأى ذلك منا، أمرنا أن نفخم كل ما كنا نميله، فما زلنا كذلك حتى رجعت

1 - الإقناع: 475/1

2 – انظر رسالته: «تمكين المد في آتى وآمن وآدم وشبهه لمكي: 45-46 .



ألسنتنا إلى التفخيم، فلما استقمنا على التفخيم رَدَّنَا إلى التوسط من اللفظ، وهذا من حسن سياسة منه -رحمه الله تعالى-» قال مكي: «وكذلك فعل في المد: وجد قوما يطوّلون المد جدا، فردهم عنه، ومنعهم منه، فظن الظان أنه إنما فعل ذلك لأن المد محصور في قدر لا يجاوز، وليس كذلك، إنما أراد أن يسوسهم بذلك كما فعل في الإمالة، هذا تأويلنا له رحمه الله لأنه لم يكن ممن يغيب عنه المقدار» قال:

«ونظير هذا من قوله: تقسيمه المد مقدار ألف، ومقدار ألفين، للتقريب على المتعلمين كما وضع من كان قبله، ولم يكن ممن يخفى عليه أن النفسَ وقدر الزمان الذي حدث في حين المد لا يُحصَر، ولا يعلم حقيقته إلا الله تعالى» (1).

وهكذا يتجلى لنا جانب من جوانب الخصومة النقدية التي اقترنت بمدرسة أبي الحسن الأنطاكي في الأندلس بفعل الاحتكاك بالمدرسة القيروانية ومزاحمتها لها في ساحة الإقراء، وتقاطع اختياراتهما في مجال الأداء في تعليم الرواية التي أخذ بها أهل افريقية والأندلس جميعا في تعليم الناشئة، وهي رواية ورش من طريق أبي يعقوب يوسف الأزرق من طريق المصريين منذ هذا العهد.

## زيارة الخليفة المستنصر للأنطاكي في مكتبه وأهم رجال محضرته

ولا أدل على الحظوة التي نالها الأنطاكي في قرطبة والأندلس من خروج الخليفة الحكم المستنصر في موكبه الرسمي لزيارته في موضع إقرائه، وسماعه في مكتبه لقراءة من اختير للقراءة بمحضره من تلامذة الأنطاكي النابهين.

---

1 - تمكين المد المكي: 45-46



وقد احتفظ لنا ابن الأبار بهذا الخبر في ترجمة خلف بن حسين بن مروان بن حيان من أهل قرطبة، وهو والد أبي مروان بن حيان مؤرخ الأندلس وصاحب كتاب «المقتبس» فقال:

– قرأ القرآن على الأنطاكي، وكان حسن الصوت بالقراءة، ولذلك فقد كان أحد من عيَّن الأنطاكي للقراءة يوم زاره الحكم المستنصر بالله» (1).

وبين يدي الآن أزيد من ستين اسما ممن رووا عن أبي الحسن الأنطاكي وأكثرهم من المشهورين المترجمين في كتاب الصلة لابن بشكوال، وسأقتصر منهم عل من كان له اشتغال مذكور في مجال التأديب والإقراء.

## أهم خريجي محضرة أبي الحسن الأنصاري في قرطبة

1 - أحمد بن بريل المقرئ أبو عمر القرطبي.

أخذ عن أبي الحسن الأنطاكي. وكان أحد القراء المجودين الحفاظ (الصلة: 20/1 ترجمة 36)

2 - أحمد بن طريف القرطبي ويعرف بابن الحطاب.

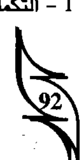
أخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن الأنطاكي وأبي الطيب بن غلبون. (الصلة: 36/1 ترجمة 69).

3 - أحمد بن سعيد بن عبد الله بن خليل المكتب من أهل اشبيلية (الصلة: 42/1 ترجمة 87)

وصف بالمكتب مما يدل على أنه كان يشتغل بالتأديب والتكتيب للصبيان.

---

1 - التكملة لابن الأبار: 241/1 ترجمة 821 .



4 - أحمد بن عبد القادر بن سعيد الأموي صاحب كتاب التحقيق في القراءات السبع:

أخذ عن أبي الحسن الأنطاكي المقرئ وغيره. أنظر (الصلة 39/1-40 ترجمة 76 وغاية النهاية: 70/1) .

5 - أحمد بن أبي عبد الملك المكتب من أهل قرطبة.

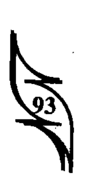
من شيوخ أبي عمرو الداني قرأ على الأنطاكي وأسند عنه الداني رواية ورش من طريق العتقي (التكملة 26/1 ترجمة 27) .

6 - أحمد بن محمد بن عبد الله أبو عمر الطلمنكي الإمام المقرئ المشهور صاحب الروضة في القراءات السبع.

أخذ عن أبي الحسن الأنطاكي وكان معدوداً في أصحابه. (الصلة 43/1-45 ترجمة 92).

7 - أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي يعرف بابن ميمون من أهل طيلطلة.

سمع بقرطبة من أبي الحسن الأنطاكي، ورحل إلى المشرق سنة 380 هـ وأخذ بمصر عن أبي عدي عبد العزيز بن علي المقرئ أحد أصحاب الأسانيد العالية في رواية ورش، كما أخذ عن أبي الطيب بن غلبون وأبي بكر محمد بن علي الأذفوي، ثم انصرف إلى طليطلة فاستوطنها ورحل الناس إليه بها. أنظر (الصلة: 21/1-22 ترجمة 37).



8 - أحــمــد بن مطرف بن هانئ الجـهني المكتب من أهل قــرطبــة.
قـال ابن بشكوال: كـان.. حـافظا مـجـودا للقـرآن، حـسن اللفظ به جدا، وكان من أصحاب أبي الحسن الأنطلاكي المقرئ مقدما فيه عندهم رحمه الله. (الصلة: 17/1 ترجمة 28).

9 - أحـمـد بن وليـد بن هشــام بن أبي المفــوِّز من أهل قــرطبــة.
قال ابن بشكوال: «أخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن الأنطاكي، وجوّد عليه حرف نافع برواية ورش وقالون، وسمع منه كثيرا من كـتـبـه، وأقــرأ زمــانا في مــســجـده إلى أن توفي. (الصلة: 15/1 ترجمة 22 .

10 - إبراهيم بن مبشر بن شريف البكري المقرئ.
« أخذ القراءة عرضا على أبي الحسن الأنطاكي، وكان يقرئ في دكانه قرب المسـجد الجامع بقـرطبـة وينقط المصاحف، ويعلم المبتدئين» (الصلة: 88/1 ترجمة 193).

11 - حماد بن عمار بن هاشم أبو محمد الأنصاري.
قـال أبو عـمـرو الداني: «عـرض على أبي الحـسن علي بن بشـر –يعني الأنطاكي– وعـرضت أنا عليـه (غـاية النهــاية 259/1).

12 - خلف بن حسين بن مروان بن حيان من أهل قرطبة.
تقدم أنه والد المؤرخ ابن حيان صاحب المقتبس، وأن الأنطاكي اختاره للقراءة بين يدي الخليفة في جملة من اختارهم من طلبته يوم زاره الحكم المســتنصــر في مكتــبـــه «التكملة: 295/1 ترجمة 802).



13 - خلف بن سليمان يعرف بابن الحجام أبو القاسم من أهل قرطبة.
كان من كبار أصحاب الأنطاكي وقرأ عليه القرآن بحرف نافع ورش وقالون، وأتقن الروايتين، وأقرأ الناس بهما، وكان يكتب المصاحف وينقطها، أخذ ذلك عن أبي الحسن الأنطاكي.
(الصلة: 161/1).

14 - سعيد بن سلمة بن عباس بن السمح من أهل قرطبة.
روى عن أبي الحسن الأنطاكي، وكان إمام الفريضة بالمسجد بقرطبة. (الصلة: 215/1 ترجمة 485).

15 - سعيد بن سليمان الهمداني أبو عثمان ويعرف بنافع .
أخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن الأنطاكي، وضبط عنه حرف نافع بن أبي نعيم وأقرأ به، وكان من أهل العلم بالقرآن والعربية، ومن أهل الضبط والإتقان. وشيخه هو الذي لقبه بنافع لكثرة ما قرأ عليه بحرف نافع، من رواية ورش وقالون ولم يكن ينتقل عنهما، فقال له: أنت نافع وسينفع الله بك، فكان كما قال. أنظر ترجمته في الصلة: 217/216/1 ترجمة 477 والذيل والتكملة السفر الرابع القسم الثاني 44 ترجمة 104 وغاية النهاية: 306/1 ترجمة 1344 وبغية الوعاة للسيوطي: 589/1 ترجمة 1242 .

16 - سعيد بن محمد بن شعيب الأديب الخطيب بجزيرة قبتور أبو عثمان القرطبي.
روى عن أبي الحسن الأنطاكي المقرئ، وكان من أئمة أهل القرآن، عالما بمعانيه وقراءاته. (الصلة 216/1 ).

17 - سليمان بن عبد الرحمن اللخمي المؤذن ويعرف بابن العجل.
«قرأ القرآن على الأنطاكي وأتقنه، وكان يقرأ عليه على باب المسجد الجامع، وكان أحد أئمة المسجد وأحد المؤذنين فيه» (تاريخ علماء الأندلس: 331/1-332 ترجمة 565).

18 - سليمان بن هشام بن وليد بن كليب المقرئ المعروف بابن الغماز.
«سكن قرطبة وأخذ بها عن أبي الحسن الأنطاكي روى بالمشرق عن أبي الطيب بن غلبون المقرئ وأبي بكر الأذفوي وأكثر عنهما وعن غيرهما، وهو من شيوخ أبي عمرو الداني. قال ابن بشكوال: «ذكره أبو عُمر بن الحذاء وقال كان أحفظ من لقيت للقراءات، وأكثرهم ملازمة للإقراء بالليل والنهار، وكان أطيب من لقيت صوتا بالقرآن. وذكره أبو عمرو الداني وقال: كان ذا ضبط وحفظ للحروف وحسن للفظ بالقرآن، وقد كان نوّه به سليمان بن الحكم المستعين، وأجلسه بالمسجد الجامع بقرطبة، وأصاب ثراء ورفعة. (أنظر الصلة: 194/1/195 ترجمة 441 وغاية النهاية: 317/1).

19 - عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد أبو القاسم الخزرجي القرطبي صاحب كتاب القاصد في القراءات.
أحد أقطاب مدارس الإقراء بالأندلس في المائة الخامسة. قرأ بقرطبة على أبي الحسن الأنطاكي ثم رحل إلى المشرق وتجول فيه نحواً من عشرين عاما وقرأ على قرائه، وقدم الأندلس سنة 400 هـ فأقرأ الناس بقرطبة وقرأ عليه أهلها وطال تصدره حتى توفي سنة 446 هـ (أنظر الصلة 333/2 ترجمة 710 وغاية



النهايــة: 367/1 ترجمة 1561 وانظر روايته لبعض المصنفات عن الأنطاكي في عنوان الدراية للغبريني: 389).

20 - عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المعروف بابن المشّاط من أهل قرطبة.

قال في الصلة: «أخذ القراءات عن أبي الحسن الأنطاكي، كان حسن الصوت بالقرآن.. واتصل بالمنصور محمد بن أبي عامر فأدناه وقربه، وولي له ولايات. توفي 397 هـ (الصلة: 307/1-308 ترجمة 678).

21 - عبد الرحمن بن مروان أبو المطرف القنازعي من أهل قرطبة. إمام جليل في العلوم، قرأ القرآن وجوده على أبي الحسن علي بن محمد بن بشر الأنطاكي المقرئ وأبي عبد الله ابن النعمان القروي المقرئ وأبي القاسم أصبغ بن تمام الخزاز المؤدب، وله رحلة إلى المشرق سنة 367 هـ، وقدم قرطبة سنة 371 بعلم كثير، وأقبل على الزهد والانقباض وإقراء القرآن وتعليمه...» (أنظر الصلة: 324/323 ترجمة 694 وترتيب المدارك: 292/7-293 وغاية النهاية: 350/1 ترجمة 1618 ).

22 - عبيد الله بن سلمة بن حزم اليحصبي المكتب أبو مروان من أهل قرطبة.

قرأ على أبي الحسن الأنطاكي وروى عنه، وهو من شيوخ الحافظ أبي عمرو الداني قال: وهو الذي علمني عامة القرآن. (ترجمته في الصلة: 301/1/302 ترجمة 666 ومعرفة القراء: 278/1 وغاية النهاية:487/1 ترجمة 2026).

23 - عبد المجيد مولى عبد الرحمن الناصر لدين الله أبو محمد القرطبي

قال أبو عمرو الداني: «كان من أهل القراءات والآثار والرواية.. أخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن علي بن بشر الأنطاكي، وضبط عنه حرف نافع، وكان خيرا فاضلا فهما ضابطا، ذا معرفة بالأداء ومرسوم المصاحف ونقطها، أخذ ذلك عن أبي الحسن، وكان أبو الحسن من أعلم الناس بذلك» (أنظر الصلة: 383/2 ترجمة 820 وغاية النهاية: 466/1 ترجمة 1943).

24 - عتبة بن عبد الملك بن عاصم أبو الوليد العثماني نزيل بغداد.

قرأ على أبي الحسن الأنطاكي سنة 377 هـ وهي سنة وفاته، ورحل فقرأ بمصر على كبار القراء ودخل بغداد. وأسند رواية ورش من طريق الأنطاكي وغيره وكان إماما فيها، وقد أسندها الحافظ ابن الجزري عنه من هذه الطريق في تحبير التيسير: 21-22. كما أسند عنه رواية الدوري عن الكسائي في كتاب النشر في القراءات العشر:170/1 وأنظر ترجمته في غاية النهاية: 499/1 ترجمة 2075 .

25 - عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني الحافظ صاحب التيسير في القراءات السبع، تقدم أنه سمع منه يسيرا لأنه أدرك من حياة الأنطاكي نحو ستة أعوام ولكنه أجاز له صغيرا، ولذلك يقول فيه: شيخنا كما تقدم. وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن الجزري في ترجمة الأنطاكي (غاية النهاية: 565/564/1 ترجمة 2308).



26- محمد بن البُلِّينة المقرئ أبو عبد الله ويعرف بالغازي.

قال ابن الأبار: ويعرف بالغازي لالتزامه مسجد الغازي بداخلها - يعني مسجد الغازي بن قيس بقرطبة- أخذ عن الأنطاكي وتقدم في تلاميذه، وكان حافظا هذّاذاً، ذكره الخولاني وحكى عنه أنه قرأ القرآن برواية ورش وقالون أزيد من عشرين ختمة.

وقال ابن بشكوال: «من أصحاب الأنطاكي المقرئ وممن شهر بالحمل عنه» وكان من المشهورين بالتجويد» واقرأ الناس بالمسجد الجامع بقرطبة».

وقال ابن عبد الملك: «تلا على أبي الحسن الأنطاكي وبذّ تلاميذه، تلا عليه بحرف نافع أبو عبد الله الخولاني، وكان مقرئا مجودا متقدما في إتقان الأداء، حافظا هذّاذاً، معروف الفضل.

وقال الذهبي: «هو من كبار أصحاب الأنطاكي وحذاقهم ومجوديهم، أقرأ الناس، مات في رجب سنة 425 هـ. (أنظر التكملة: 384/1 ترجمة 1067 والصلة: 2/517-518 ترجمة 1129 والذيل والتكملة: 144/6 ترجمة 376 وغاية النهاية: 220/2 ترجمة 3325) .

27 - محمد بن سعيد بن عمر بن سعيد بن نبات الأموي من أهل قرطبة.

روى عن أبي الحسن الأنطاكي وغيره، وكان يؤدب بالقران (الصلة 2/519-520 ترجمة 1136).

28 - ومن تلاميذه: هشام بن سليمان أبو الربيع الإقليشي المقرئ قال ابن بشكوال: له كتاب في اختلاف ورش وقالون وإسماعيل بن جعفر عن نافع بن أبي نعيم» (الصلة: 648/2 ترجمة 1424).



29 - محمد بن عبد الله البهراني المؤدب من أهل قرطبة.

روى عن أبي الحسن الأنطاكي وغير واحد. قال ابن الفرضي: كان معلم هجاء» (تاريخ علماء الأندلس: 781/2 ترجمة 1368).

30 - محمد بن عبد الله المقرئ المعروف بابن الصنَّاع من أهل قرطبة يكنى أبا عبد الله.

قال ابن بشكوال: «قرأ القرآن على أبي الحسن الأنطاكي المقرئ وجوّده عليه، وأقرأ الناس بالحمل عنه، وأخذ منه كتاب رواية ورش من تأليفه، أخبرنا بها عن أبي عبد الله هذا، شيخنا أبو محمد بن عتاب ووصفه لي بالفضل والصلاح وكثرة التلاوة للقرآن. وقال ابن حيان كان مشهورا بالفضل، مقدَّما في حملة القرآن، مبرز العدالة، توفي صبيحة يوم تاسوعاء من المحرم سنة 448 وأتبعه الناس ثناء حسنا، وأجمعوا أنه آخر من بقي بقرطبة ممن قرأ على الأنطاكي، وكان مولده سنة 357 هـ وكانت سنه على هذا الإحصاء: 91 سنة. ضبطه ابن الجزري فقال فيه: ابن الصناع بالنون. (أنظر الصلة: 535/534 ترجمة 1170 ومعرفة القراء الكبار: 330/1 طبقة 10 وغاية النهاية: 189/2 ترجمة 3194).

32 - محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى الأموي المكتب المعمر.

قال في الصلة: من أهل قرطبة سكن إشبيلية.. وقرأ القرآن على أبي الحسن الأنطاكي وغيره» الصلة 534/533/2 ترجمة 1166).

33 - محمد محمد بن يوسف بن محمد الأموي النجاد من أهل قرطبة، وهو خال آبي عمرو الداني.



أخذ القراءة عرضا بمصر على أبي أحمد عبد الله بن الحسين السامري، وبالأندلس عن أبي الحسن الأنطاكي وغيره، وقد أسند أبو عمرو الداني قراءة ابن كثير المكي من قراءته عليه بها من روايته عن الأنطاكي بسنده فيها. (أنظر ترجمته في الصلة: 521/520/2 ترجمة: 1137 وانظر سنده بقراءة ابن كثير عن الأنطاكي في كتاب النشر لابن الجزري: 117/1).

34 - وسيم بن أحمد بن محمد بن ناصر أبو بكر الأموي يعرف بالخنتمي.

قرأ بالأندلس على أبي الحسن الأنطاكي وبمصر على أبي الطيب ابن غلبون وأبي حفص بن عراك وأبي أحمد السامري وكان أحد شيوخ أبي عمرو الداني. (أنظر الصلة: 610/2 ترجمة 1415 وبرنامج التجيبي: 30-31 وكتابنا معجم شيوخ أبي عمر الداني إمام القراء بالمغرب والأندلس: 144 ترجمة 83).

35 - يحيى بن عبد الملك بن مهنأ؛ من أهل قرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها.

قال في الصلة نقلا عن ابن مهدي: كان رجلا صالحا خيرا صحيح المذهب، حافظا للقرآن، مجودا لحرف نافع، من أمثل تلاميذ أبي الحسن الأنطاكي وأضبطهم لما قرأ به عليه، غير متكلف في قراءته.

36 - عبد الله بن يوسف بن نامي من أهل قرطبة.

قال ابن بشكوال: روى عن أبي الحسن الأنطاكي وأبي عمر الطلمنكي ذكره ابن مهدي (1) وقال:

1 - هو من مصادره في الصلة إذ يقول في مقدمته: «وما كان فيه من كلام أبي عمر بن مهدي المقرئ فقرأت ذلك بخطه في كتاب تسمية رجاله الذين لقيهم ونقلته منه» (الصلة 9/1).

كان رجلا صالحا خيّرا فاضلا، لا يقف بباب أحد، **ولا يزول عن تأديبه بمسجد** أبي خالد بالمدينة، وكان مجودا للقرآن، قديم الطلب، حسن الخلق، وقرأ القرآن على مكي بن أبي طالب، ولد سنة 348، وتوفي سنة 435 هـ. (1).

37 - عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف أبو عمرو اللخمي المعافري، يعرف بالقشطيالي المكتب. قال في الصلة: «من أهل قرطبة، سكن إشبيلية، روى عن أبيه أحمد بن محمد، وكان من جلة المحدثين، ثم ذكر جماعة من شيوخه منهم أبو الحسن الأنطاكي وقال:

وكان أبو عمرو هذا حضيرا (2) للمؤيد بالله أمير المؤمنين هشام ابن الحكم عند أبيه أبي القاسم.

قال العلامة أبو بكر بن خير في فهرسته:

«وهذا المكتّب أبو عمرو المذكور، كان معلم هشام أمير المؤمنين، أتى إشبيلية، وسمع عليه الموطأ بمسجد ابن الرُّبِّ منها» (3).

ومن أعلام خريجي محضرته أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني بإشبيلية صاحب كتاب الكافي في القراءات وتوفي القشطيالي – رحمه الله– في صفر سنة 431 هـ وهو ابن ثمانين سنة (4).

هذه قرابة أربعين ترجمة لخريجي محضرة أبي الحسن الأنطاكي –رحمه الله– في قرطبة، وأكثرهم كان من أصحاب المحاضر المؤدبين بالقرآن، وقد اخترت أسماءهم من بين حشد كبير وجمهور عريض ممن

---

1 - الصلة: 262/1 ترجمة 594

2- يعني: شريكا له في الحضور في المحضرة وهو صغير، وقد تقدم وصف الكيفية في ذلك من خلال المرسوم الخلافي.

3 – فهرسة ابن خير: 77-78 .

4 – الصلة : 384/1 ترجمة 871 .



ذكروا بالرواية عن الأنطاكي، والمقصود هو التنبيه على أثر هذا الإمام في ميدان التأديب الرسمي الذي تبنته دار الخلافة بقرطبة في عصر ازدهار حكم الأمويين على عهد عبد الرحمن الناصر (300-350) ثم على عهد الحكم ابنه ( 350-366 هـ) إلى وفاة الأنطاكي -رحمه الله- سنة 377 هـ. ولنا موعد مع أثر هذه النهضة كما انعكس من خلال رجال من خريجي هذه المحضرة أو معاصريها لنرى كيف يخطو بالتأديب خطوات أوسع بعد مرحلة الكتاب في صدر المائة الخامسة.

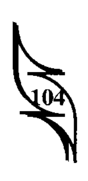


## فحول المحضرة المغربية في المائة الخامسة

## وتبلور الإطار العلمي للتاديب

وهكذا ظل التأديب على ما رأيناه إلى أواخر المائة الرابعة يترسم خطا الرواد الأولين من المشيخة المؤدبين، ويقف في الغالب عند مستوى تلقين مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم وفق الرواية الرسمية التي أخذ بها المغاربة وجعلوها أصل التعليم، وهي رواية ورش عن نافع من طريق أبي يعقوب يوسف بن عمرو بن يسار الأزرق المدني، لا يكاد المؤدب يرقى بالمتأدبين عنده إلى ما فوق هذا المستوى، أي: إلى الحد الذي يتوجه فيه اهتمامه إلى طرق الأداء، وأصول القراءة ومسائل الخلاف فيها، وقواعد التجويد، وحفظ المتون المصححة لها، فضلا عن الترقي إلى آفاق التأليف في هذه الميادين، ومناقشة قضاياها العلمية، ومذاهب الأئمة فيها، وما يتعلق بها من مآخذ وتوجيهات وتحريرات.

لقد كان الميدان حتى الآن في أمس الحاجة إلى نقلة نوعية جديدة من شأنها أن ترتفع بالقارئ المؤدب من صعيد الحكاية والترديد لما تلقاه عن شيوخه المؤدبين إلى يفاع الدرس والفحص، والتوجيه والتنظير، والإدلاء بالرأي الوجيه في التخريج والتصنيف والتوجيه، ويضاف ذلك كله إلى ما أتيح للقارئ في هذا العهد من اتساع الرحلة، وتنوع المشيخة وتأتي الطلب للسند العالي بالرحلة إلى الآفاق. والقراءة بأكثر من طريق، ثم الجلوس الطويل إلى هذه الحصيلة لاختيار أوثق الروايات فيها وأعد لها، وأقواها توجيها، والتأليف في ذلك، وقيادة مسيرة الإقراء والتأديب من



خلال ما أودع في تلك المؤلفات من وجوه الاختيارات، بحيث تغدو منذ الآن محور العمل ومدار الإقراء.

وهكذا سوف تعرف طلائع المائة الخامسة من الهجرة بزوغ فجر هذه الانطلاقة الفذة، وتشهد ظهور نُخبة من فحول أئمة هذا الشأن ممن تخرجوا في المحاضر المغربية، ثم استكملوا تكوينهم العلمي في المدارس المشرقية عن طريق الرحلة العلمية، ثم عادوا إلى آفاقهم محملين بزاد نفيس من تراث أئمة أهل المشرق ليعكفوا على دراسته من جديد، وتحرير طرقه ومذاهبه، ورسم الخطوط العريضة للاستفادة منه في تطوير عملية التأديب، حتى تتجاوز مستوى التحفيظ والتكتيب، وترتقي إلى مستوى التأصيل والدرس المقارن والاختيار والتوجيه كما ذكرناه».



## نص تاريخي لأبي حيان في نشأة المحاضر الكبرى في البلاد

ولقد كان الإمام المقرئ النحوي الجليل أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي (654-745هـ) أقدم من أشار إلى أهمية هذه النقلة التي وقعت في تاريخ القراءات لهذا العهد في الجهات المغربية، وكيف نشأ عنها تطور عام في مجال الإقراء والتأديب بحسب المتصدرين في كل منطقة، فقال في سياق الجواب عن سؤال عن كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمروا الدائي (444) ومنظومة حرز الأماني للإمام أبي القاسم بن فيره الشاطبي ( 590 هـ) وهل اشتملا على جميع الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن؟

فأجاب بأن الكتابين لم يشتملا على هذه الأحرف، وإنما هما نزر يسير منها، ثم عزا سبب قلة ما عند المغاربة من الروايات والطرق عن السبعة -يعني إلى هذا العهد- إلى بُعد الديار. ثم استدل لذلك فقال:

«وذلك أن بلادنا جزيرة الأندلس لم تكن من قديم بلاد إقراء للسبع لبعدها عن بلاد الإسلام، وانقطاع المسلمين فيها، ولأجل فرض الحج رحل نُوَيْسٌ (1) فاجتازوا بديار مصر، وتحفظوا ممن كان بها من المقرئين شيئا يسيراً من حروف القراءات السبع وكان المقرئون الذين كانوا إذ ذاك بمصر لم تكن لهم روايات متسعة، ولا رحلة إلى غيرها من البلاد التي اتسعت فيها الروايات، كأبي الطيب بن غلبون، وابنه أبي الحسن طاهر بن غلبون،

1 -تصغير ناس.



وأبي الفتح فارس بن أحمد، وابنه عبد الباقي، وأبي العباس بن نفيس، وكان بها أبو أحمد السامري، وهو أعلاهم إسناداً.

وسبب قلة العلم والروايات بديار مصر ما كان غلب على أهلها من تغلّب الإسماعيلية (1) وقتل ملوكهم للعلماء.

وكان من قدماء علمائنا ممن حج ورحل أبو عمر الطلمنكي (ت 427 هـ) مصنف كتاب «الروضة» فأخذ بمصر شيئا من القراءات السبع.

وكان قد رحل من القيروان للحج أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت 437 هـ) فأخذ عن أبي عَدّي (2) وعن أبي الطيب بن غلبون شيئا يسيراً من حروف السبعة.

ورحل أيضا أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسن الخزرجي (ت 446 هـ) المعروف بالأستاذ مؤلف كتاب «القاصد في القراءات».

ثم رحل أبو عمرو عثمان بن سعيد القرطبي المعروف بالداني (ت 444 هـ) لطول إقامته بدانية، فأخذ عن ابن خاقان وفارس بن أحمد وطاهر بن غلبون، وصنف كتاب «التيسير» وغير ذلك، ثم قال أبو حيان مشيراً إلى المحاضر التي تصدر فيها هؤلاء الأئمة.

وأقام الطلمنكي بغرب الأندلس يقرئ بتصنيفه «الروضة» (3).

وقدم مكي بن أبي طالب الأندلس، وأقام بقرطبة يقرئ بكتاب «التبصرة» (4) من تأليفه.

وأقام الداني بشرق الأندلس يقرئ بكتاب «التيسير»

---

1 -يعني ملوك بني عبيد الفاطميين الذين انتقلوا إليها من إفريقية في أواسط المائة الرابعة.

2 - هو عبد العزيز بن محمد من أصحاب ابن سيف صاحب الأزرق صاحب ورش.

3 - يعتبر من مصادر ابن الجزري في النشر، أسند منه رواية قالون.

4 - مطبوع مرتين.



وأقام صاحب «القاصد» أبو القاسم الأستاذ -بقرطبة يقرئ الناس بكتابه (1) فقرأ الناس على هؤلاء ورحلوا إليهم، إذ لم يكن ببلادهم من يضاهيهم، ثم تتابع الناس إلى الحج منهم:

- أبو عبد الله محمد بن شريح مؤلف كتاب «الكافي» (2).
- وأبو الحسين يحيى بن أبي زيد المعروف بابن البيّاز (3).
- وأبو بكر محمد بن المفرِّج الأنصاري، وغيرهم فقرأوا بمصر.
- وأبو محمد عبد الوهاب صاحب كتاب «المفتاح» (4).

ودخل بعض هؤلاء الشام وأخذوا عن الأهوازي (5) ورحل بعضهم إلى حَرَّان، وبعضهم إلى بغداد، فاتسعت رواياتهم قليلا.

- ورحل أبو القاسم يوسف بن جبارة الأندلسي (6) فأبعد في الشُّقّة، وجمع بين طرفَي المغرب والمشرق وصنف كتاب «الكامل».

وقد أقرأ القرآن بقراءة يعقوب أبو عمرو الداني، وكان قد قرأ بها بمصر» (7).

هؤلاء الأقطاب التسعة يضاف إليهم أربعة من أعلام المقرئين من المدرسة القيروانية وهم أبو عبد الله محمد بن سفيان (ت 415 هـ) صاحب كتاب «الهادي (8)» وأبو العباس أحمد بن عمار المهدوي تلميذه (ت حول

---

1 -يعتبر كتاب القاصد مفقودا إلى اليوم.

2 – مطبوع اكثر من مرة في مجلد.

3 – له كتابُ النُّبذ النامية في أسانيد القران العالية، مفقود.

4 – حققه بعض الباحثين ولم يطبع بعد فيما أعلم، وعندي مصورة منه.

5 – هو ابو علي الحسن بن علي الأهوازي (ت 446 هـ) صاحب كتاب الوجيز وغيره، وهو من شيوخ أبي عبد الله بن شريح صاحب الكافي.

6 – هكذا قال فيه، والمعروف أنه من مدينة بسكرة بالمغرب الأوسط كما في ترجمته، والمراد به أبو القاسم الهذلي صاحب كتاب الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها «ه،، مخطوط» توفي الهذلي سنة 465 بنيسابور.

7 – نقلنا النص لأبي حيان كاملا من كتاب منجد المقرئين لابن الجزري: 25-26 .

8 – ما زال مخطوطا.

440 هـ ) صاحب «الهداية (1) وأبو علي الحسن بن بليمة (ت 514 هـ) صاحب كتاب تلخيص العبارات بلطيف الإشارات» (2) وأبو القاسم عبد الرحمن بن الفحام (ت 516 هـ) صاحب كتاب التجريد (3)، هم رؤساء أهل الأداء في المدرسة المغربية وأئمة المحاضر العلمية التي قادت حركة التأديب في الأقطار والمناطق المغربية وأمدتها بما يمكن تسميته بالمواد الأولية التي تم على أساسها بناء الطراز المغربي في المحضرة القرآنية.

ونظراً إلى أن هؤلاء الأقطاب كانوا أصحاب مدارس فنية في الأداء، وأرباب مؤلفات علمية واختيارات في علوم الرسم والضبط والوقف والابتداء، وقد ارتفعوا باهتماماتهم إلى خدمة أصول القراءات، وتحرير طرق الروايات، والعناية برواية المصنفات، والتأليف في مسائل الخلاف، فقد عدلنا عن إدخالهم ضمن أصحاب المحاضر التعليمية الاعتيادية التي خصصنا لها هذا العرض، إذ رأينا أنهم أحرى أن تدرس آثارهم في ميدان القراءات ورواياتها وطرقها وأنواع علومها، بدلاً من دراستها ضمن المستوى الأوّليّ من التعليم، إذ كانت طبقتهم أعلى في المنزلة من طبقات المؤدبين، وبالتالي فقد كانت مجالاتهم أرقى في الاعتبار من مجال التكتيب والتأديب، وأعلى قدرا من أن يدمجوا في فئة أهله، لما في ذلك من التقصير بهم عن الآفاق السامية التي كانوا يحلقون فيها، إذ أرى أن حالهم أشبه بالحال التي يقول فيها أحد علماء مراكش الأفذاذ، وهو أبو العباس بن البنّاء المراكشي (ت 721 هـ) عن نفسه:

قصدت إلى الوَجازة في كلامي ** لعلمي بالصواب في الاختصار
ولم أحْذر فهوماً دون فهمي ** ولكن خِفْتُ إزراء الكبار

1 -مفقود.
2 - مطبوع في مجلد صغير.
3 - مطبوع في مجلد.



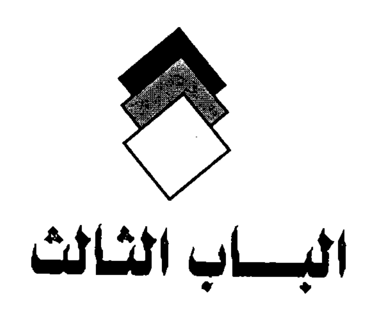
فشأن فُحُولة العلماء شأني ** وشأنُ البسَط تعليمُ الصغار (1)

نعم، شأن البسط تعليم الصغار، وكان هؤلاء الأقطاب من فحول قراء زمانهم، فلذلك كانت الرحلة إليهم من الآفاق في طلب علوم القراءات، على مستوى العرض ورواية المصنفات، والحصول على عوالي الأسانيد ورفيع الإجازات، ولذلك فسوف نتجاوز هذه الفترة التي تختص بهذا العهد في إفريقية والأندلس، لنمر إلى رصد نتائجها وثمارها الزكية كما تمثلت في الحواضر والجهات المغربية منذ أواسط المائة الخامسة إلى أواخر عهد الوحدة بين المغرب والأندلس، أي: في أيام دول برغواطة والمرابطين والموحدين والمرينيين (2).

---

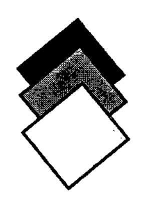
1 -أنظر الأبيات في الإعلام للمراكشي / 208 ترجمة 186 .

2 – للوقوف على جهود أقطاب هذه المدارس الادائية يمكن الرجوع إلى دراستنا الوافية بهذا الموضوع: قراءة الإمام نافع عند المغاربة في المجلدين: السادس والسابع.



# الباب الثالث

## كتاتيب ومحاضر نموذجية رائدة في سبتة ومراكش وفاس في عهد الوحدة بين الأقطار المغربية



ليس بالأمر القليل النادر أن نجد قارئا من أشهر القراء، أو عالما من أكبر العلماء، يبدأ حياته التعليمية (معلم كتاب) أو (مؤدبا) أو (فقيها مشارطا)، ولربما نجده يفعل ذلك في حياته الطلابية ليستعين به على مواصلة الطلب، فيشارط العام والعامين، حتى إذا جمع ما تحصل له من (الشرط) شد الرحال مرة أخرى إلى لقاء الشيوخ ومتابعة الأخذ عن العلماء وكبار المقرئين حتى يستكمل حياة الطلب.

وقد قدمنا في الحديث عن أبي محمد الغازي بن قيس أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس بالقراءة والأخذ عن نافع ومالك بالمدينة المنورة (1) -كيف كان - وهو بالمدينة يتلقى عنهما «معلما بمدينة الهجرة، فحدّ في حذقة: القرآن كله خمسة دنانير ذهبية» (2) وهذا معناه أنه قد جمع بين التعلّم والتعليم فضمن لنفسه موردا للعيش هناك يرتفق به في تحصيل الغاية من رحلته، وهي توسيع مداركه بالرواية عن العلماء.

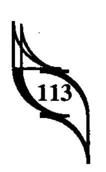
ولا يزال من المعهود في الجنوب المغربي، وخاصة في المدارس القرآنية الكبرى والمعاهد العلمية العتيقة، أن يجمع الطالب المشارط بين القيام بالتعليم في مساعدة الفقيه أو الشيخ بتكتيب الصغار وتحفيظ القرآن وتصحيح ألواح المبتدئين، وبين اتخاذه اللوح لنفسه يتابع فيه على شيخه في نفس المدرسة والمعهد، ويقرأ لوحه بالليل وأوقات الفراغ.

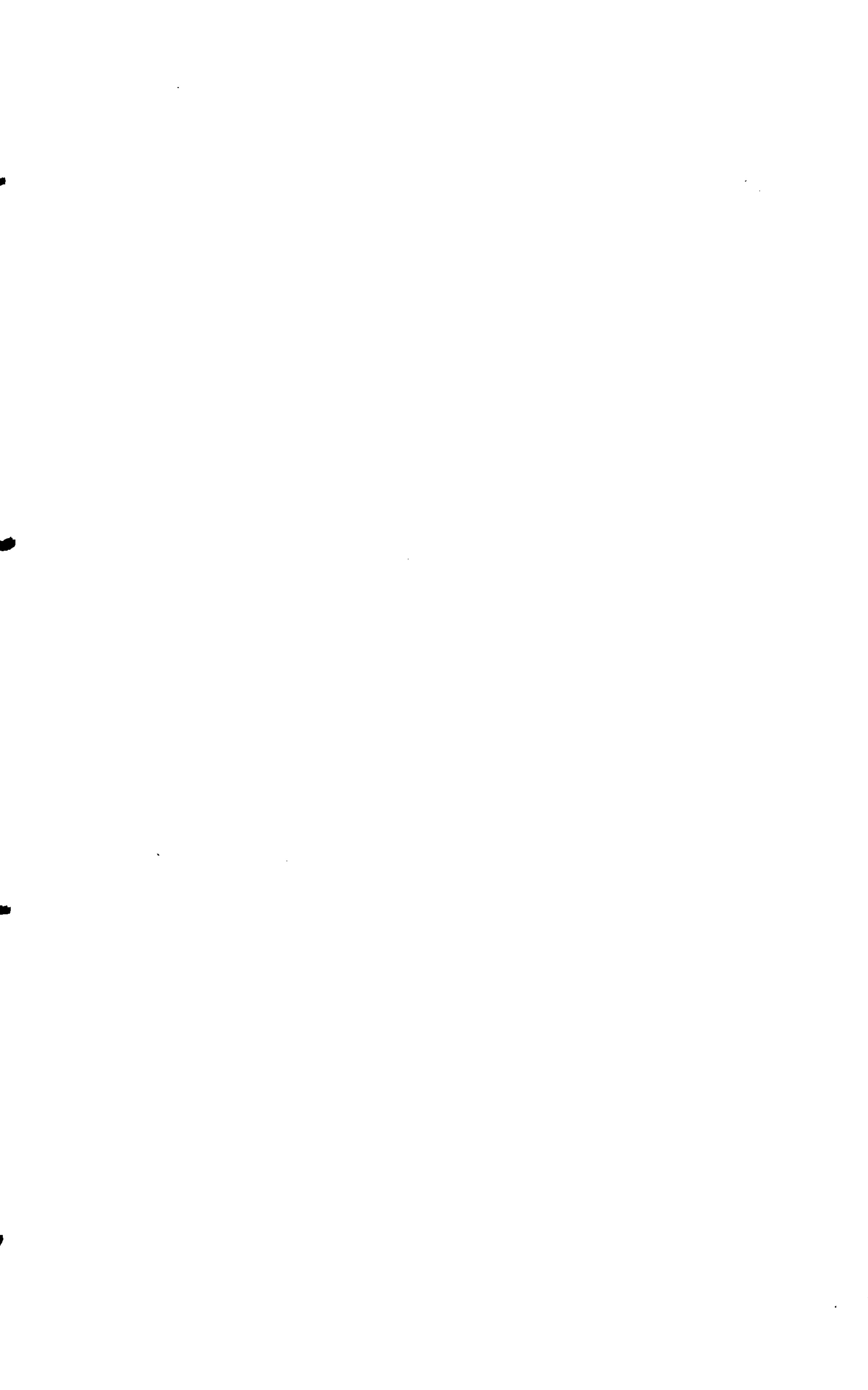
وأتابع هنا تلك الإشارات التي تقدم مثلها إلى طائفة من الأعلام من المغرب والأندلس الذين لم نجمهم في الميدان العلمي، وكانوا مع ذلك ممن تعاطوا التكتيب والتأديب في فترة ما أو بكيفية دائمة.

---

1 - غاية النهاية: 2/2 ترجمة رقم 2534 .

2 - جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي: 67





الفصل الأول

# مكتبون أعلام ورؤساء محاضر في مدينة سبتة في عهد الوحدة بين المغرب والأندلس

في مدينة نكور، وهي مدينة تاريخية على الضفة الغربية لوادي النكور وسط قبيلة بني ورياغل بالريف على بعد واحد وعشرين كلم من مدينة المزمة (الحسيمة الحالية)، وهي مدينة كانت أول الإسلام عامرة بها مسجد كبير وأسواق وحمامات (1)، ولد أقدم قارئ مغربي نقرأ في ترجمته أنه اشتغل بالتأديب، وربما في أواخر المائة الثالثة قبل ظهور حركة المرابطين منتصف المائة الرابعة.

ويتعلق الأمر بالقارئ **أبي علي حسين بن فتح**. قال ابن الفرضي في تاريخه:

«أصله من نكور، وسكن إشبيلية، يكنى أبا علي، قال لي أبو محمد الباجي: كان حسين بن فتح مؤدّبا بالقرآن، وكان له بصر بالغريب والنحو والشعر.. قال: وقال لي الباجي: «وعلى يديه أخذت مدينة سبتة» (2).

هذا إذن أقدم قارئ مغربي ذكر أنه كان يتعاطى التأديب بالقرآن في سبتة قبل أيام دولة برغواطة.

1 – انظر كتاب المغرب للأستاذ الصديق بن العربي: 193 رقم 293.

2 – لعله يعني أخذ عبد الرحمن الناصر الأموي لها. أنظر تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي: 134/1



# محضرة الإمام الحصري في سبتة

ونعطي ثاني مثال على ذلك من مدينة سبتة السليبة المطلة على سواحل الأندلس فهذه المدينة ذات المجد الإسلاميّ العريق كانت هي البوابة التي انطلقت منها حملات الفتح الإسلامي للبلاد الأندلسية، كما أنها ظلت طوال الحكم الإسلامي في الأندلس صلة وصل بين العدوتين، تمد وتستمد، وتفيد وتستفيد، وتعطي وتأخذ في كل مجال من مجالات العلم والعرفان، مما كانت الأقطار المغربية معرضا زاخراً له عبر العصور الإسلامية المتوالية، لا سيما حين بدأت أحوال أهل الأندلس في التدهور والاختلال وأحوال أهل إفريقية والقيروان في التضعضع والانحلال، فكانت هذه المدينة مهاجرا وملاذاً أمينا لعدد زاخر من العلماء والأدباء والقراء، الأمر الذي ظلت معه سبتة بمثابة الخزّان الذي يتجمع فيه العطاء من كل الجداول والسواقي، ثم يجرى توزيعه وتصريفه في البلاد وما جاورها من الحواضر والجهات.

وتعال معي لتشهد هذا التوجه نحو رعاية كتاب الله في سبتة عند بعض أمرائها في أحلك الظروف التي كانت تمر بها البلاد الأندلسية على عهد ملوك الطوائف الذين انتهى الحال بهم بعد سقوط خلافة بني أمية بالأندلس إلى ما قاله لسان الدين ابن الخطيب في أرجوزته: رقم الحلل في تاريخ الدول:

حتى إذا سِلك الخلافة انتثر ** وذهب العَين جميعا والأثر

قام بكل بقعة مَليك ** وصاح فوق كل غصن ديك (1)

1 - أرجوزة رقم الحلل لابن الخطيب (مخطوطة).



في هذا الزمن الرديء الذي اشتغل فيه ملوك الطوائف بطلب المتعة واتباع أسباب البذخ ووسائل الترف والنعيم، وتفننوا في ذلك كما تمليه عليهم الشهوات، تنطلق إحدى الشهادات من ملك من أولئك الملوك كان معهم على طرفي نقيض في الجد وحفظ السمت، ومحاولة رأب الصدع في عاصمة الأندلس قرطبة، وأعني به أبا الوليد بن جهور –رحمه الله–.

فقد حكى المؤرخ المغربي ابن عذارى المراكشي في كتاب «البيان المغرب» هذه الطرفة البديعة التي وقف عندها هذا الأمير الجليل حيث يقول عنه مسجلا هذه المفارقة العجيبة:

«وصل إلي في يوم واحد ثلاثة كتب من أمراء الطوائف: كتاب من ابن صُمادح –صاحب مدينة المرية– يطلب جارية عوّادة، وكتاب من ابن عبّاد – في إشبيلية– يطلب جارية زامرة، وكتاب من سواجات –صاحب سبتة– يطلب قارئا يقرأ القرآن، فوجّه إليه من طلبة قرطبة رجلا يعرف بعون الله بن نوح، وعجب أبو الوليد من ذلك، وقال:
«جاهل يطلب قارئا، وعلماء يطلبون الأباطيل» (1).

تلك كانت هي المأساة التي أدت عن قريب إلى تداعي تلك الممالك إلى السقوط والانهيار، وسهلت على أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الإطاحة بها وتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة ، انطلقت في البداية من محضرة في أقصى بلاد السوس على يد داعية المرابطين عبد الله بن ياسين.

أما المنعوت في القصة بالأمير الجاهل فهو «سواجات» أو «سقوط» البرغواطي أمير سبتة الذي انتزعها من الحموديّين بقايا الشرفاء الأدارسة



1 – البيان المغرب لابن عذارى: 250/3

ملوك فاس والمغرب بعد أن تضعضعت أركان دولتهم فيما كان قد بقي تحت أيديهم من ولايات، وأقام فيها إمارة مستقلة كانت تطمح إلى أن تحكم المغرب كله، لولا أن فاجأتها جيوش المرابطين فاكتسحوها في جملة ما اكتسحوه من الممالك المماثلة بعد انتصارهم على النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة سنة 479 هـ ببلاد الأندلس.

كان سقوط البرغواطي بطلبه لهذا القارئ من قرطبة على وجه الخصوص يمثل التوجه العام في هذه الجهات، ويلتقي مع المنحى المغربي السائد الذي وصفه العلامة ابن خلدون كما قدمناه، كما كان يؤسس لمجد علمي وقرائي باذخ عرفته مدينة سبتة، ثم جملة من الحواضر الأخرى في المغرب كفاس ومكناس وسلا ومراكش وسواها من المراكز العلمية التي سوف تصبح بعد الآن قبلة للقاصدين والنازحين من البلدان الأندلسية، لا سيما بعد انتقال قاعدة الحكم إلى مراكش وفاس على التداول بينهما.

وها هو سقوط في إمارته حتى وهي تعاني من الإحساس بقرب النهاية بفعل الهجمة المرابطية الوشيكة -يقود من خلال تشجيعه لهذا التوجه أقوى نشاط قرائي عرفته سبتة في هذا العصر، وتأتى لها أن تؤسس به للعهود الزاهية التي سوف تعرفها في أيام الموحدين ثم في أيام استقلال الحكم فيها على أيدي بعض علمائها من العزفيين في المائة السابعة.

فإلى جانب القارئ المنوَّه به المسمَّى بعون الله بن نوح القرطبي، وهو قارئ لا نشك أن سقوط قد بذل له من الحفاوة به والرعاية له ما أمكنه معه النهوض بجانب التعليم والتأدية الحسنة لحروف كتاب الله، وإن كانت تفاصيل هذه الرعاية لم تنقل إلينا فيما تحت أيدينا من مصادر، فسوف نضع أيدينا على تجربة أخرى مشابهة تمت على يد هذا الأمير نفسه

«سقوط البرغواطي» فتأثل لأهل القرآن في المنطقة بسببها مجد أثيل، وذلك باستقدامه وإيوائه للمقرئ القروي الجليل الإمام الشاعر الأديب أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري (ت 468 هـ) صاحب القصيدة الرائية في قراءة نافع، التي ستمسي بعد الآن وإلى عهد طويل عمدة قراء المحضرة والكتاب في تلقين أصول رواية ورش وقواعد أدائها، وتتعدد شروحها في المغرب والأندلس على السواء.

## الحُصْري والحُصريّة (كُتّاب نموذجي في قراءة نافع)

عُرف الإمام أبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري القروي الضرير شاعرا أديبا رقيق الحاشية صاحب موشحات آية في الإبداع، ومقطعات تسودها روح النكتة وخفة الروح، ولم يعرف عند الكثير من مؤرخي الآداب إلا شاعراً مدّاحاً ينتجع الملوك والكبراء بشعره على عادة الشعراء، فيرضى إذا وجد الحظوة والعطاء، ويسخط إذا مُني بالحرمان، وكذلك كان الشاعر الحصري الذي عرفه ابن بسام في الذخيرة، وزين كتابه بإيراد نماذج من أدبه فقال في سياق حديثه عن «سقوط»:

«وأفضت الدولة البرغواطية إلى الحاجب العزّ ابنه: شهاب أفلاكها، وخيرة أملاكها، أَهَبُّ للأدب ريحا، ونفخت دولته في أهله روحا، أعرض به الشعراء وأطالوا، ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا، وممن خيّم في ذَراه، ونال الحظ الجسيم من دنياه، الحصري الضرير، فإن له فيه ما أذهلَ الناظرَ عن الرُّقاد، وأغْنى المسافر عن الزاد، والحاجب يَكحُل عينيه بزينة دنياه، ويَفْتِق لَهاته بمواهبه ولُهاه (1)، وكان سَهل الجانب للقُصّاد، طَلْق اليد بالمواهب الأفراد(2) ».

1 - يشير إلى المثل المشهور: إن اللُّهى تفتح اللَّهى، ومعناه: أن العطايا تفتح اللَّهى جمع لهاه بالنطق بالمدح والثناء.
2 - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني 4/661-662 .

هكذا عرفه ابن بسام وعرَّف به، وعلى ذلك درج عامة من أرخ له ولأدبه، وفاتهم منه جانبه الأصيل، وفنه الذي ما بذل في غير سبيله إلا القليل، ذلك هو جانب القراءة والتجويد، والمعرفة الراسخة في قراءة نافع من روايتي ورش وقالون، ومسائل الخلاف فيها بين القرويين والأندلسيين، كما يتجلى ذلك من خلال ما أورده في قصيدته «الحصرية» الرائية التالية:

يقول عنه ابن بشكوال في الصلة والحميدي في الجذوة:

«كان عالما بالقراءات وطرقها، وأقرأ الناس القرآن بسبتة وغيرها» (1).

وقال الحافظ ابن الجزري بعد أن ترجم له في طبقات القراء:

«أستاذ ماهر، أديب حاذق، صاحب القصيدة الرائية في قراءة نافع» (2).

وقال الإمام السيوطي في البغية في طبقات النحويين واللغويين:

«كان من أهل العلم بالقراءات والنحو، شاعرا مشهورا ضريراً (3).

على أن الحصري نفسه يقدم إلينا نفسه كذلك من خلال المقدمة النثرية البديعة التي قدم بها لقصيدته الرائية المذكورة حيث يقول:

«ومن الحق والواجب، أن يدعو للمنصور والحاجب (4)، فهما فجرا هذا النهر من بحري، واستخرجا هذه الدرر من نحري، بصفحهما الجميل، وإحسانهما الجزيل، جزاهما الله حسن ثوابه، كما أجلساني لإقراء كتابه، وأخرجاني من ظلمة الشعراء، إلى نور القراء» (5).

---

1 – الصلة: 432-433 ترجمة 926 وجذوة المقتبس: 314 ترجمة 716 .

2 – غاية النهاية: 550/1 ترجمة 2250 .

3– بغية الوعاة: 176/2 ترجمة 1731 .

4 – المنصور: لقب من ألقاب الخلافة تلقب به سقوط أو «سقوت» البرغواطي وكان ربما لقب «المنصور المُعان كما في الذخيرة لابن بسام : القسم 2 مجلد 658/2 وأما الحاجب فهو ابنه العز بن سقوط.

5 – أنظر المقدمة النثرية بتمامها في كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 52/2-53 .

وإنما يهمنا نحن من مقتمته هذه ما أشار إليه من إجلاس الأميرين له لإقراء أهل بلدهما سبتة، وإخراجهما له من زمرة الشعراء، وإدراجه في صفوة القراء.

وتلك هي البداية لنشاهد الشيخ أبا الحسن في ميدانه الأصيل، وهو يتصدر حلقة التدريس في محضرته بالقيروان أولا، ثم ينتقل عنها إلى محضرته الجديدة بأهم جوامع سبتة تحت رعاية الأميرين، سقوط وابنه العز في دولتهما.

ولنتابع مع الحصري الحديث من خلال مقدمة قصيدته لنتمثل هذه النقلة وكيف تمت؟ ومن هم رجاله من مشيخة القراءة بالقيروان؟ وكيف كان تصدره بسبتة للإقراء باعثا على تفتيق عبقريته وطلوعه على هذه الآفاق بقصيدته الغراء التي وضعها منذ الربع الأخير من المائة الخامسة في فلك المجد، وجعل مدار الأمر عليها في معرفة أصول الأداء، على مذهب إمام أهل المدينة في الإقراء، على الرغم مما سوف يلاحظه عليها الآخذون بطريق أبي عمرو الداني من مخالفة بينها وبين مذاهبه في عدد كبير من مسائل الخلاف نحافيه منحى أهل بلده من قراء القيروان وتلامذة صاحب كتاب الهادي في القراءات» أبي عبد الله بن سفيان (ت 415 هـ) (1) وقد قيل إن الحُضري كان يحفظه عن ظهر قلب (2).

وقد ذكر شيخ الجماعة بفاس أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي (ت 1082 هـ) من شيوع استعمال القصيدة الحصرية في الإقراء بمضمنها: أن الناس كانوا بفاس يقرأون حرف نافع من «الحصرية» قبل قدوم الناظم - يعني ابن بري صاحب الدرر

1 - أنظر ترجمته في غاية النهاية: 147/2 ترجمة رقم 3038 .
2 - التكملة لابن الآبار: 151/3 ترجمة 379 .



اللوامع إلى فاس- حتى باب الراءات فيقرأونها من «الحرز» يعني من حرز الأماني للإمام الشاطبي، لأنه على طريق التيسير لأبي عمرو الداني الذي يأخذ أهل المغرب بطريقه في الرواية والأداء (1).

وهذه الإشارة القيمة من ابن القاضي تدلنا على القيمة العلمية للقصيدة الحصرية من جهة، كما تدلنا من جهة ثانية على مكانة الحصري انطلاقا من محضرته الجديدة بسبتة حيث تصدر للإقراء في مسجدها الجامع وأخذ عنه الناس كما يقول ابن بشكوال.

ولنستمع إلى الشيخ الحصري ليُمتِعَنا في مقدمة قصيدته بذكر الباعث على إنشائها، ومشيخته في القراءة، ومكانة قصيدته في تزويد قراء المحضرة والمؤدبين بها بأصول القراءة الرسمية في البلاد حسب الرواية السائدة، وهي رواية ورش عن نافع مقارنة إلى الرواية الثانية عنه، وهي رواية عيسى بن مينا المعروف بقالون المدني، يقول رحمه الله:

إذا قلت أبياتا حسانا من الشعر ** فلا قلتها في وصف وصل ولا هجر
ولا مدح سلطان ولا ذم مُسلم ** ولا وصف خِلّ بالوفاء أو الغدر
ولكنني في ذم نفسي أقولها ** كما فرَّطت فيما تقدم من عمري
ولابد من نظمي قوافي تحتوي ** فوائد تغني القارئين عن المقري

ثم يقول عن دواعي اختياره للنظم على النثر وجعل رواية ورش موضوعا لنظمه:

رأيت الورَى في درس علمي تزهّدوا **فقلت: لعل النظم أحظى من النثر
ولم أرهم يدرون ورشا قراءة **فكيف لهم أن يقرأوا لأبي عمرو؟
فألزمت نفسي أن أقول قصيدة **أبُثُّ بها علمي وأجري إلى الأجر

1 - ذكره ابن القاضي في الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع لابن بري في أول باب الراءات منه.

فـيـا رُبَّ عُـذر للبـخـيل بما له ** ومـا للبـخـيل بالمسـائل من عـذر
فـجـئت بـهـا فِـهـريةَ حُـصُـريةً ** على كل خـاقانية (1) قبلها تُزري
على مـائتي بيت تنيِّف تسـعـةً ** وقـد نظمت نظم الجُمـان على النحـر (2)
ومـا أعطيت بين القصائد حقها ** ولو كـتـبت بالمسك عُظما عن الحبـر
تنوب عن الكتب الضـخـام لقارئ ** وتسـهُل حـفظا للمـقـيمـين والسَّفْـر
وفـيـهـا من الذكـر المطهَّر جُملةٌ ** فـلا تقـرَهـا إلا وأنت على طهــر.

ثم يقول عن حاجة القارئ إلى علم العربية فضلا عن المقرئ:
وأحسن كلام العُرب إن كنت مقرئا ** وإلا فـتُـخْطي حين تقـرأ أو تُقـري
لقـد يَدَّعي علم القـراءات مـعـشـرٌ ** وبَاعِهُم، في النحو أقصُر من شِبْر
فـإن قـيل: مـا إعـراب هـذا ووزنه؟ ** رأيت طويل البـاع يقصُر عن فِتر
ثم يقول في القراءة التي كان عليها المدار في البلاد وشيوخه فيها:
أُعلِّم في شــعــري قــراءة نافـع **رواية ورش ثم قــالون في الإثر
وأذكـر أشـيـاخي الذين قـرأتُهـا **عليـهـم فـأبدا بالإمــام أبي بكر
قـرأت عليـه السـبع تسـعين خـتـمـة **بدأت ابن عشـر، ثم أتممت في عشر
ولم يكفني حـتى قــرأت على أبي **علي بن حـمدون جَلُو ليّنا الحَـبْر
وعـبـد العـزيز المقـرئ بن مـحـمـد **أثير ابن سـفيان وتلميذه البِكري

---

1 - المراد: قصيدة الإمام أبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني المقرئ البغدادي كان أبوه وزيرا للخليفة جعفر المتوكل على الله العباسي وأخوه محمد وزيراً للمقتدر بالله ونظم قصيدته الرائية المشهورة بالخاقانية في القراء والتجويد، وهي أول ما نظم فيه كما يقول الحافظ ابن الجزري، وهي مطبوعة مرات، ومطلعها قوله:
أقول مقالا معجبا لأولي الحجر ** ولا فخر إن الفخر يدعو إلى الكبر
وتقع في واحد وخمسين بيتا. وقد عارضها غير واحد من العلماء. أنظر ترجمة الخاقاني في غاية النهاية لابن الجزري: 2/320-321 ترجمة 3689 .

2 - الجُمان: صغار اللؤلؤ.



أئمــة مــصــر كنت أقــرأ مــدةً ** عليهم، ولكني اقتصرت على القصري

فأجلسني في جامع القيروان عن ** شـهادته لي بالتقدم في عصري

وكم لي من شــيخ جليل، وإنما ** ذكـرت دراريّاً تضـيء لمن يسـري

خذوا عن فمي علم الكتاب بقوة ** ولا تصلوني عن أيادي بالشكر

ولكن بإخـلاص الدعـاء، فـربّمـا ** جُبرت بكم إني فـقير إلى الجَبْر

تلك مقدمة القصيدة الحصرية، وهي تضعنا بإزاء واحد من صدور المقرئين من المدرسة القيروانية: مدرسة أبي عبد الله محمد بن سفيان الهواري صاحب الهادي في القراءات، وتضعنا أيضا أمام مؤدب متميز يتصدر للتأديب بالقرآن بجامع القيروان، ثم تضطره الأحوال إلى الهجرة عنها وتتقاذفه إلى أن يُلقي «عصا التسيار بمدينة سبتة المغربية ليعيد الكرة مرة أخرى، فيجلس للتأديب بالقرآن، ويصبح إمام محضرة» في شمال المغرب كان لها شأن عظيم في قيادة مسيرة الإقراء في القراءة الرسمية والرواية المحلية، وفي هذه المرة انطلاقا من هذا الإطار الفني الذي حدده لنا الشاعر المقرئ أبو الحسن الحصري في رائيته هذه، لتغدو منذ تاريخ نظمها في الربع الأخير من المائة الخامسة محور النشاط القرائي في الكتاب والمحضرة، يحفظ الصبيان أبياتها، ويتناشدونها، ويتداولها المعلمون والقراء بالحفظ والشرح والبيان، حتى تعددت شروحها في المغرب والأندلس على السواء (2).

---

1 - للتوسع فيما يتعلق بالحصرية في الوقوف على نصها الكامل وقيمتها العلمية وشروحها وإشعاعها يمكن الرجوع إلى كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة: العدد: 13 الجزء الثاني الصفحات من 1-94 .

2 - قام بشرحها جماعة من العلماء والقراء، منهم أبو جعفر أحمد بن علي بن الباذش (ت 540 هـ) وأبو الحسن محمد ابن عبد الرحمن بن الطفيل العبدري (ت 543 هـ) - حقق الشرح الأستاذ توفيق بن أحمد العبقري بمراكش- وشرحها محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري القرطبي (الذيل والتكملة: 89/6 ) وأبو عمرو مرجى بن يونس المرحيقي الغافقي (ت في حدود: 600 هـ) ومحمد بن سليمان بن أبي الربيع الشاطبي ·ت 672 هـ) ومحمد بن عبد الله بن مطروح السريني، وشرحها الجوهري وابن وهب الله وأبو عبد الله الخراز (ت 718هـ) وعبد الله بن الأنسيري. (أنظر قراءة الإمام نافع للمؤلف: 74/2).

وقد مات الحصري -رحمه الله- بطنجة سنة 488 هـ على الصحيح(1). وكانت إمارة (سقوط البرغواطي) قد أصبحت لهذا العهد جزءاً من الدولة المرابطية الجديدة بعد توحيد المغرب والأندلس على يد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين.

غير أن مدينة سبتة لم تفقد شيئا من توجهاتها العلمية ومكانتها، بل على العكس من ذلك قد أتيح لها أن تصبح مجازا يوميا من وإلى البلاد الأندلسية، الأمر الذي سهل عليها الإستفادة من التراث الأندلسي الواسع في العلوم. كما جعلها منزلا ومهاجرا لطائفة كبيرة من العلماء والقراء الأندلسيين النازحين إليها، والعابرين إلى الحواضر المغربية الأخرى كمراكش وسلا وفاس ومكناس وأغمات.

ولا أدل على مبلغ استفادة سبتة واستقطابها للحركة العلمية والقرآنية من هذه الإشارة التي تجدها في ترجمة القارئ الكبير أحد كبار الرواة المقرئين من أصحاب أبي عمرو الداني وأحد رواة كتبه وآثاره، وهو أبو عبد الله محمد بن عيسى بن فرج التجيبي المغامي الطيطلي (ت 485 هـ) فهذا الإمام الذي يقول عنه صاحب الصلة:

«لقي أبا عمرو المقرئ وعليه اعتمد، وروى عن أبي الربيع سليمان بن إبراهيم وأبي محمد مكي بن أبي طالب وغيرهم، وكان عالما بالقراءات ووجوهها، ضابطا لها، متقنا لمعانيها، إماما ذا دين وفضل، أخبرنا عنه عدد من شيوخنا، ووصفه بالتجويد والمعرفة...» (2).

1 - ذكره على الصواب في الصلة لابن بشكوال: 410/2 ترجمة 926. وما في غاية النهاية لابن الجزري أنها سنة 468 هـ مجرد تصحيف، لأن الحصري كان حيا عند نفي المعتمد بن عباد من إشبيلية إلى أغمات سنة 484 هـ وقد لقيه وهو في الطريق إلى المنفى وأهداه مجموعته الشعرية التي كان قد عهد إليه بجمع أشعاره فيها وسماها المستحسن من الأشعار» فلم يقض بوصوله إليه إلا وهو على تلك الحال كما يقول المقّري. أنظر نفح الطيب للمقّري 379/5 وقارن بالمعجب للمراكشي: 211 وغاية النهاية: 551/1 وانظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة 2/24-25

2 - الصلة 528/2 ترجمة 1225 .

ويروي أبو بكر بن خير الإشبيلي (ت 575 هـ) كتب أبي عمرو الداني من طريق شيوخه عنه، ومنها: «التيسير في القراءات السبع» و«التحديد في الإتقان والتجويد» و«الاقتصاد في القراءات السبع» و«فهرسة أبي عمرو الداني» وجملة «تواليف أبي عمرو وجميع رواياته عن شيوخه» (1).

هذا الإمام يقول عنه ابن بشكوال:

«وتوفي بمدينة إشبيلية في منتصف ذي القعدة من سنة 485 هـ، وحبس كتبه على طلبة العلم الذين بالعدوة» (2).

فتحبيس هذا المقرئ الكبير لمكتبته على طلبة العدوة، لاشك أنه يريد بهم طلبة سبتة، لأنها يومئذ هي الأوفر حظا من المكانة العلمية، والأقرب إلى البلاد الأندلسية، وهذا يدل على مقدار شهرتها لهذا العهد، واستفادتها من موقعها باعتبارها همزة وصل بين العدوتين، لا سيما منذ انتظامهما داخل وحدة سياسية ضمن دولة واحدة.

وهذه لمحات عن أهم المقرئين أصحاب الكتاتيب الرواد بسبتة في عهد الوحدة.

## محضرة ابن دُرّي بسبتة

هو علي بن محمد بن درى أبو الحسن الأنصاري الخطيب المقرئ.

خطب بالمسجد الجامع بغرناطة حين كان نزيلا بها، ونزل سبتة، وكان سلفه من طليطلة. وروى بها عن أبي عبد الله المغامي صاحب أبي عمرو الداني، وعن غيره.

1-فهرسة ما رواه عن شيوخه أبو بكر بن خير: 28-29-428-44-40-41.
2 – الصلة: 528/2 ترجمة 1225 .



قال ابن بشكوال:

«وكان مقرئا فاضلا ضابطا، عارفا بما يحدث، أخذ الناس عنه، وتوفي بغرناطة في شهر رمضان المعظم سنة 520 هـ (1).

ومن أهم الآخذين عنه أبو الفضل عياض، وقد ترجم له في الغنية فقال:

أحد مشايخ المقرئين والنحاة المقدمين، وكان فاضلا متواضعا، محببا إلى الناس، متصرفا في جوائج صغيرهم وكبيرهم، مقبول القول، مقضي الأرب عند الرؤساء، سكن بلدنا سبتة مدة كثيرة، وأقرأ بها.

قرأت عليه حينئذ القرآن برواية ابن عامر. ثم انتقل إلى غرناطة. ولقيته بعدها، وسمعت منه بعض كتابه في (مخارج الحروف) وحدثني بجميعه» (2).

وترجم له ابن الأبار في معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي وقال:

أخذ القراءات عن أبي عبد الله المغامي وأبي سهل نجدة بن سليم الضريرمن -أصحاب أبي عمرو الداني- وكان من أهل الضبط والإتقان (3).

## محضرة محمد بن أحمد الأموي بسبتة

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأموي المقرئ من أصحاب أبي الحسن الحصري. قال فيه تلميذه عياض: «الشيخ العدل أبو عبد الله، أخبرني بكتاب الهداية للمهدوي في القراءات، عن الشيخ أبي محمد عبد

1 - الصلة: 425/2 ترجمة 914 .

2 - الغنية في شيوخ عياض: 176 ترجمة 78 .

3 - معجم أصحاب أبي على الصدفي: 285 ترجمة 254 .



العزيز بن محمد القروي المؤدب (1) عنه.. كان قرأ أبو عبد الله المذكور على أبي الحسن الحصري الأديب وأحمد بن الجابرية وسمع البخاري.. وتوفي سنة 512 هـ (2).

## محضرة محمد بن عبد الله المعروف بالمَوْرُوري

من شيوخ عياض، ترجم له في الغنية وقال فيه: «الشيخ المقرئ من المتصدرين بسبتة لإقراء القرآن مدة عمره، وكان مسنّاً قائما بعلم القراءات واختلاف القراء.

قرأت عليه القرآن عدة ختمات، وتوفي رحمه الله في حدود خمسمائة (3).

## كتاب ابن الغمّاد الضرير بسبتة

هو علي بن محمد بن أحمد الجذامي المالقي أبو الحسن بن الغمّاد الضرير.

قال ابن عبد الملك:

« مالقي، سكن بسبتة... تلا بالسبع على أبي الحسن فتحون بن أبي البقاء، وأبي القاسم خلف ابن النخاس، وأبي محمد بن سهل صاحب ابن الصيرفي (4).

---

1 - هو شيخ الحصري الذي أشار إليه في الحصرية بقوله:

وعبد العزيز المقرئ بن محمد أثير ابن سفيان وتلميذه البكري.

2- الغنية: 91 ترجمة 27 .

3 - الغنية: 90 ترجمة 25 .

4 – ابن الصيرفي: هو أبو عمرو الداني صاحب كتاب التيسير.

تلا عليه أبو الحسن بن خلف، وأبو العباس بن المعذور، وأبو القاسم عبد الرحمن القراق السبتي» (1).

وقال ابن الزبير:

«روى عن المقرئ أبى بكر فرج بن أبي حديدة، أخذ عنه بإشبيلية، وعن المقرئ أبي الحسن بن كرز بغرناطة وغيرهم.

روى عنه أبو العباس أحمد بن محمد اليافعي السبتي المعروف بابن المعذور واعتمده» (2).

قال ابن عبد الملك:

«وكان مقرئا مجودا ضابطا، متصدرا لذلك، ضرير البصر -نفعه الله- نحويا ماهرا، انتقل إلى سبتة من مالقة أيام الفتنة التي أثارها بها أبو الحكم الحسين بن الحسين بن حسون (3)، وأقرأ القرآن، ودرّس العربية زمانا -يعني بسبتة- وتوفي بها عام 530 هـ» (4).

## كتاب عبد الله بن إدريس بن سهل المقرئ المُقعد بسبتة

من شيوخ عياض ترجم له في الغنية وقال: أبو محمد، قرأت عليه -رحمه الله- القرآن برواية نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بطرقها، وكان صالحا خيّرا، قرأ بسرقسطة على عبد الوهاب بن محمد بن حكم المقرئ السرقسطي وعلى أبي محمد بن سهل المقرئ وغيرهما، وسمع أبا علي الصدفي، وتوفي بسبتة سنة 515 هـ... (5).

1 - الذيل والتكملة: السفر 5 القسم الأول: 281-282 ترجمة 565 .
2 - صلة الصلة القسم الأخير ترجمة 175
3- يمكن الرجوع إلى أخبار هذه الفتنة إلى كتاب «أعمال الأعلام» لابن الخطيب: 254 .
4 - الذيل والتكملة السفر الثامن: القسم الأول: 313 ترجم 113 .
5 - الغنية في شيوخ عياض: 158-185 ترجمة: 60 .



## كتاب أبي عبد الله الأشقر الداني نزيل سبتة

قال ابن الأبار:

هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الأموي الداني نزيل سبتة، ويعرف بالأشقر.

أخذ القراءات عن أبي الحسن بن شفيع وأبي محمد بن إدريس وغيرهما.

وأقرأ القرآن بسبتة، وكان عالي الرواية، فاضلا، مجاب الدعوة، أخذ عنه أبو الصبر أيوب بن عبد الله، وقال: توفي في التاسع عشر من جمادي الآخرة سنة 559 هـ» (1).

## كتاب ابن المعذور السبتي

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن اليافعي المقرئ. من أهل سبتة المتخرجين على أعلامها، ثم دخل الأندلس وتجول فيها، وروى عن أبي الجسن شريح وغيره بإشبيلية، كما سمع من أبي الحسن بن هذيل ببلنسية وجماعة.

«وكان من جلة المقرئين، وكبار الأساتذة المجودين، تصدر للإقراء طويلا وتوفي سنة 575 هـ » (2).

---

1 - التكملة: 25/2 رقم الترجمة 73 .

2 - أنظر ترجمته في التكملة 128/1 ترجمة 320 والذيل والتكملة 2/462-463 ترجمة 682 .



## كتاب ابن الطويل الزقاق الإشبيلي

صاحبه هو قاسم بن محمد بن مبارك الأموي الإشبيلي أبو محمد الزقاق ويقال ابن الحاج أيضا، ويعرف بابن الطويل.

أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، وعن منصور بن الخير المالقي صاحب أبي عبد الله بن شريح وغيرهما، وله رواية واسعة عن جلة أعلام الأندلس في زمنه، تصدر للإقراء بسبتة وفاس (1).

قال ابن عبد الملك المراكشي:

«كان مقرئا مجودا، متقدما في صنعة التجويد متحققا بالنحو، ماهرا فيه، أديبا حافظا.. لقي مشيخة جلّة وقيد كثيراً، وعُني بالعلم عناية تامة، وصنف في السبع «البديع» وكان كثير من الشيوخ يؤثرونه على معظم ما صنف في فنة، وإنه لكذلك.

وأقرأ طويلا بإشبيلية وبفاس وبسلا وغيرها، وتوفي بسلا في شهر رمضان سنة 559 هـ» (2).

## كتاب أبي القاسم القرّاق ابن الجزار بسبتة

هو عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن عباس أبو القاسم الجذامي المعروف بالقّراق وبابن الجزار. قال ابن الجزري:

«مقرئ مصدر، نزل سبتة، قرأ على شريح وأبي القاسم بن رضا وغيرهما من الأئمة، وكان قائما على القراءات لفظا وخطا وتجويدا وإيرادا.

1 - جذوة الاقتباس لابن القاضي: 513/2 ترجمة 588 .

2 - الذيل والتكملة السفر الخامس القسم الثاني: 570-571 ترجمة 1104 .



سكن سبتة، وتصدر بها للإقراء، وبهامات سنة 581 هـ» (1).

قال الحافظ أبو جعفر بن الزبير:

«وأخذ القراءات عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الغماد الجذامي الضرير المالقي، أراه أخذها عنه بسبتة، ودخل الأندلس فأخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد وأبي القاسم بن رضا، وأبي الحسن علي بن لب العبسي وغيرهم.. قال:

وكان أحد أئمة القراءات، ومكثري الروايات، مع حسن الأداء وطيب النغمة وعذوبة اللفظ، والصدق والفضل، والمواساة لإخوانه.

أقرأ بمسجد (زقاق الخشاشين) من سبتة نحوا من ستين سنة» (2).

## كتاب مُرَجَّى بن يونس الغافقي المرجيقي بسبتة شارح الحصرية

قال ابن الأبار:

«كان من أهل المعرفة بالقراءات والعربية، وله شرح على قصيدة أبي الحسن الحصري الرائية في قراءة نافع.

أقرأ بسبتة، وأخذ عنه من أهلها أبو الفضل عياض بن محمد بن عياض، وأبو العباس العزَفي، وأبو الحسن الشاري» (3).

قال ابن الزبير: «من أهل حصن مرجيق من غرب الأندلس ويعرف بالمرجيقي.

---

1 – غاية النهاية: 375/1 ترجمة 1593 .

2 – صلة الصلة القسم المنشور بذيل الذيل التكملة: السفر 8 القسم: 538/2-539 ترجمة 56 .

3- التكملة: 725/2 ترجمة 1837 .

«اقرأ القراءات والعربية والأدب بسبتة وبطنجة، وكان يتردد بين البلدين، وعمر كثيرا، فقرأ عليه بهما الآباء والأبناء، وله تأليف مشهور شرح فيه قصيدة الحصري في قراءة نافع. وكان فاضلا ناسكاً، ذكره الشيخ أبو الحسن الغافقي وقال: سمعت عليه تأليفه المذكور، وقرأت عليه، وسمعت كثيرا، وتوفي في حدود سنة 600 هـ» (1).

## كُتَّاب أبي زكرياء الهَوْزني بسبتة

هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن خلف بن أحمد الهَوْزَني الإشبيلي (ت 602 هـ).

قال ابن الزبير:

«إمام كبير، مقرئ، من أهل إشبيلية، نزل سبتة، قرأ بالسبع في ثماني ختمات على أبي الأصبغ عبد العزيز ابن الطحان، وبالثمان: السبع وقراءة يعقوب على الخطيب المقرئ الجليل أبي الحكَم عمرو بن أحمد بن حجاج – من أصحاب شريح– في سبع وعشرين ختمة، وعلى المقرئ الخطيب أبي الحكم عمرو بن زكرياء بن بطال البهراني، قرأ عليه بقراءات السبعة وقراءة يعقوب في عشرين ختمة». قال ابن الزبير:

«وهؤلاء الثلاثة أتقن أصحاب شريح، وقرأ مع هؤلاء أيضا على المقرئ النحوي أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الحضرمي، تلا عليه في عدة ختمات، وأخذ أربعتُهم عن أبي الحسن شريح بن محمد.».

---

1 – صلة الصلة: 67/3 ترجمة 81 وانظر بغية الوعاة للسيوطي: 284/2 ترجمة 1988 .



«وكان الهوزني من أتقن أهل زمانه للقراءات، ذكره أبو العباس العزَفي فقال بعد أن حلاه بالإتقان: حامل راية الأدباء، وسابق حلبة المقرئين والقراء، أحفظ من قرأنا عليه لاختلاف القراءات، والمشهور والشاذ من الروايات، وإلى هذا الهوزني كانت الرحلة إلى مدينة سبتة في علوم القراءات والتجويد، لإتقانه ذلك. قال:

«وله أراجيز حِسان في القراءات والتجويد ومخارج الحروف رفعها إلى المنصور (1) عام 592 هـ وأجازه عليها» (2).

وذكر ابن الأبار أنه فقد بصره في آخر عمره -رحمه الله- وأنه كان من أهل الضبط والتجويد، شهير الذكر، وله أرجوزة في غريب القرآن» وتوفي في أوليات رمضان سنة 602 هـ (3).

قلت: قد وصلتنا من أراجيزه أرجوزة «مخارج الحروف» في أربعة وثمانين بيتا أولها فيما وقفت عليه في مدينة الصويرة عند الشيخ المقرئ الجليل الحاج أحمد بن الطاهر الكونطري حفظه الله:

ذكر مخارج حروف المعجم ** مع صفاتها بنظم محكَم

مخارج الحروف عند سيبويه ** ست وعشر فاعتمد فيها عليه

ثلاثة في الحلق ثم في اللسان ** عشرة واثنان حاز الشفتان

ومخرج يختص بالخيشوم ** لغنة النون وحرف الميم

ويمكن الرجوع إليها محققة كاملة في كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة» (4).

---

1 – يعني به يعقوب بن يوسف بن عبد المومن الموحدي بمراكش.

2 – صلة الصلة: 190-191 .

3 – التكملة: 186/4 ترجمة 536 .

4 – قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 640/2-643

# محضرة أبي القاسم بن الطيب الخضراوي الضرير بسبتة

ومن أعلام مشيخة العصر المبرزين من قراء سبتة المؤدبين بها من أصحاب ابن أبي الربيع أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن محمد بن الطيب بن أحمد بن علي بن زرقون القيسي الضرير، يعرف بأبي القاسم بن الطيب.

خضراوي، نزل سبتة واستوطنها، قال ابن عبد الملك:

«تلا بالسبع إلى قول الله -عز وجل- ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾على أبي زيد بن علي المنستيري، وبها مفردات على أبي عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أبي القاسم الشريشي (1). وأبي الحسن بن محمد بن الخضار، وبها وبالإدغام الكبير عن أبي عمرو، وبرواية يعقوب على أبي الحسين عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع، وبه على أبي عبد الله بن حسن بن عمر المحلي، وأبي العلاء القرطبي، وأكثر القرآن على أبي عمر محمد بن أبي القاسم أحمد بن أبي هارون، وبه جمعا بين راوييه على شيخنا أبي الحسن الرعيني إلى أول سورة السجدة. ثم سمى جماعة من شيوخه في العلم وقال:

«روى عنه غير واحد من طلبة سبتة، ولقيته بها وجالستُه مرات، وحضرت إقراءه، وكان مجودا للقرآن العظيم، من أحسن الناس صوتا به، وأطيبهم نغمة في إيراده، ذا حظ صالح من رواية الحديث والفقه والعربية، شديد القوة الحافظة.

---

1 - هو محمد بن أحمد بن علي أبو عبد الله الشريشي. روى عنه أبو القاسم بن الطيب وكان آخر من قرأ عليه. أنظر غاية النهاية: 76/2 ترجمة 2762 .

استظهر في صغره أوان طلبه جملة من دواوين العلم.

فمما أكمله حفظا «تيسير» أبي عمرو و«رواية ورش» له و«كافي» ابن شريح و«المفردات» له ولابنه شريح، و«غنية من مهر وبُغية من ظفر» لأبي الحسن بن عبد الرحمن بن عظيمة (1).. وذكر أزيد من عشرين مصنفا حفظها عن ظهر قلب كلاً أو بعضاً، ومنها بعض» الجامع في القراءات» لأبي القاسم الطرسوسي» (2).

وقد ترجم له الحافظ ابن الجزري فقالك «أبو القاسم القيسي الضرير، مقرئ ضابط عارف كامل علاّمة الغرب، إمام حاذق، ولد في حدود 630 هـ بالجزيرة الخضراء، وقرأ على خطيبها عبد الله الركيني (3)، ثم قرأ على أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الشريشي، ثم انتقل إلى سبتة فأكرم بها، وفي رمضان سئل أن يقرئ الناس السيرة، فصار يحفظ كل يوم ميعادا منها ويورده، وكان أسرع الناس حفظا، وانتهت إليه رئاسة الإقراء» (4).

✓ **ومن خريجي محضرة أبي القاسم بن الطيب:** أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص التنوخي، رحل عند استيلاء العدو على جزيرة طريف عام 671 هـ متحولا إلى مدينة سبتة فقرأ بها واستفاد، قال ابن الخطيب في الإحاطة بعد ذكر ما تقدم:

«وورد الأندلس فاستوطن مدينة غرناطة... وأقرأ فنونا من العلم بعد مهلك أستاذ الجماعة أبي جعفر بن الزبير بإشارة منه به، وولي الخطابة بجامعها منتصف عام 716 هـ. وجمع بين القراءة والتدريس، فكان مقرئا للقرآن مبرزا في تجويده، مدرسا للعربية والفقه.

---

1 – هو ابن الطفيل العبدري شارح الحصرية الآنف الذكر.

2 – الذيل والتكملة 6/370-372 ترجمة 994 .

3 – في الذيل والتكملة الركيبي بالباء، وهو محمد عبد الله بن موسى الركيني

4 – غاية النهاية: 2/171 ترجمة: 3131 .

قرأ ببلده على الخطيب القاضي المقرئ أبي الحسن عبد الله بن عبد العزيز القرشي المعروف بابن القارئ من أهل اشبيلية.

وقرأ بسبتة على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب الله أبي القاسم محمد ابن عبد الرحمن بن الطيب بن زرقون القيسى الضرير نزيل سبتة، والأستاذ أبي إسحاق الغافقي المديوني، وقرأ على الشيخ الوزير أبي الحكم ابن منظور القيسي الإشبيلي، وعلى الشيخ الراوية الحاج أبي عبد الله محمد ابن محمد بن عبد الله الكتامي التلمساني ابن الخضار، وقرأ بغرناطة على الأستاذ أبي جعفر بن الزبير، وأخذ عن أبي الحسن بن مستغور... (1).

✓ ومن أعلام هذه المحضرة من المتخرجين على أبي القاسم بن الطيب عبد المهيمن بن محمد ابن عبد المهيمن الحضرمي، قرأ بسبتة على الأستاذ الإمام أبي إسحاق الغافقي المديوني، وعلى الأستاذ المقرئ أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيب، والأستاذ النحوي أبي بكر بن عبيدة الإشبيلي، وعلى الأستاذ العارف أبي عبد الله محمد بن عمر بن الدراج التلمساني وغيرهم. توفي عام 749 هـ (2).

✓ ومن أعلام الآخذين عنه النحوي الكبير أبو عبد الله بن آجروم الصنهاجي صاحب المقدمة الآجرومية ومنظومة البارع في قراءة نافع، وسيأتي في أصحاب المحاضر بفاس.

✓ ومن أعلامهم أيضا أبو محمد بن سلمون: عبد الله بن علي بن سلمون الكناني «قرأ بسبتة على الأستاذ المقرئ رحلة وقته أبي القاسم بن الطيب، وسمع عليه الكثير، وعلى الأستاذ أبي عبد الله الدراج، ولازم مجلس إقرائه، وعلى الشيخ المعمر أبي عبد الله بن الخضار الكتامي، وهو

1 - أنظر باقي ترجمته في الإحاطة: 1/374-377 .
2 - الإحاطة: 18/4



أعلى من لقيه من تلك الحلبة، وأجازه جماعة، وقرأ على الخطيب المحدث أبي عبد الله بن رشيد» (1). ومن تصانيفه الكتاب المسمى بالشافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التيسير والتبصرة والكافي لا نظير له: توفي عام 741» (2).

## كتاب ابن جَوْبَر الأنصاري بسبتة

هو محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن جوبر نزيل سبتة.

كان أحد صدور المقرئين بها وأصله من بلنسية، كثير الشيوخ، واسع الشهرة. تجول في أنحاء الأندلس، وقرأ بها على جماعة من الأعلام، ودخل سبتة أيضا في عهد الطلب، فقرأ على أعيان القراء بها بعد أن قرأ بالأندلس على عدد كبير من أصحاب أبي الحسن بن هذيل وأبي الحسن شريح وغيرهم. قال ابن عبد الملك المراكشي.

«كان مقرئا مجوّدا، حسن القيام على تيسير» ابن الصَّيْرَفي، واستظهره في صغره، ولم يزل يستحضره في كبره ذكرا، وقد كان أخذه عن طائفة من أصحاب أبي الحسن بن هذيل.

وكان يقصد للإقراء والتروية لمن سأل منه ذلك بمسجد (سويقة سردينة): أحد مساجد سبتة... وكان من ذوي اليسار والجِدَةِ، متحرفا بتجارة يديرها بقيسارية سبتة بعد نزوحه من بلده.. وأسن فعلت روايته،

---

1 -هو الرحالة السبتي صاحب ملء العيبة المتوفى بفاس سنة 721 هـ .

2 - أنظر الإحاطة: 3/400-404

وكان آخر الرواة بالسماع عن أبوي بكر أسامة بن سليمان وابن أبي زمنين.. توفي لأربع خلون من ذي قعدة سنة 655 هـ (1).

قال ابن الجزري:

«وكان محمد هذا مقرئا محدثا، قرأ بالسبع على أبي جعفر أحمد بن علي بن الحصار صاحب أبي الحسن بن هذيل، وسمع «التيسير» من أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي جمرة بسماعه من أبيه، وأبوه آخر من روى في الدنيا عن أبي عمرو الداني بالإجازة.

سمع منه «التيسير» أبو جعفر بن الزبير وأبو إسحاق الغافقي» (2).

## كتّاب أبي الحسن بن الخضار الكتامي بسبتة

ومن كبار أئمة هذا الشأن المبرزين فيه من قراء العصر من نزلاء سبتة: أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي الضرير من أهل تلمسان، ويعرف بابن الخضار-بمعجمتين- (3).

قال الحافظ ابن الزّبير:

«أخذ القراءات على أبي الحسن علي بن إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن حسان، وعن المقرئ أبي نصر فتح بن يحيى، وكان -رحمه الله- معتمدا في تجويد القرآن، ذاكرا لخلاف الأئمة، متصرفا في ذلك، متقدما فيه، ناصحا في التعليم، ونفع الله به أهل سبتة وغيرهم.

---

1 -الذيل والتكملة: 6/340-342 ترجمة 905 .

2 - غاية النهاية 2/160 ترجمة 3100.

3- ضبطه بهذا ابن الجزري في غاية النهاية: 1/579 ترجمة 2348 . .



وذكر أنه كان يحفظ «تيسير أبي عمرو» و«إيجاز البيان» وعالما بالعروض. دخل المرية مجتازا إلى سبتة فاستقر بها مستوطنا، وأقرأ بها إلى أن توفي، مولده بتلمسان سنة 591، وتوفي يوم الجمعة الخامس والعشرين لربيع الأول عام 676 هـ رحمه الله» (1) قرأ عليه أبو إسحاق الغافقي شيخ القراء بسبتة وجمهور من الأعلام.

## كتّاب ابن صاب رِزْقَه القصْري
## بسبتة في المائة السابعة

هو أبو زيد عبد الرحمن بن أبي الأصبغ عيسى بن أحمد بن فتح الورياغلي القصري المعروف بابن صاب رزقه نزيل سبتة.

نوّه به تلميذه الشيخ أبو القاسم: القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت 730 هـ) في صدر برنامجه المعروف باسم «برنامج التجيبي» فقال متحدثا عن مشيخته:

«وها أنا أقدم كتاب الله تعالى وأقول:

اعلم أني قرأت كتاب الله تعالى الذي ﴿**لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ على سيدي ومعلمي «خير المكتّبين، وضابط المؤدبين، الشيخ الفقيه القارئ الفاضل الخطيب، الولي الصالح، الزاهد التقيّ، أعجوبة زمانه في الورع والانقباض عن الناس، والسمت الحسن: أبي زيد عبد الرحمن.. من قصر كتامة نزيل سبتة -حرسها الله تعالى ورحمه- المعروف بابن صاب رزقه، ودرسته بين يديه

1 - صلة الصلة قسم الغرباء لآخر الذيل والتكملة السفر 8 القسم558/2 ترجمة 96 .



باللوح، وعرضته عليه من فاتحته إلى خاتمته المرة بعد المرة، بحيث لا أحصي ذلك كثرة، بحرف نافع رحمه الله.

وهو أول من فتق لساني بكتاب الله تعالى، وكان -رحمه الله تعالى ونفع به، وأثابنا وإياه الجنة برحمته- قد تلا بالسبع بمضمن «تيسير أبي عمرو» على خاتمة المقرئين أبي الحسن علي بن محمد الكتامي -رحمه الله تعالى-.

وقرأ الحروف من طريق أبي عمرو المذكور على المسند أبي بكر محمد ابن محمد بن أحمد بن مشليون الأنصاري.

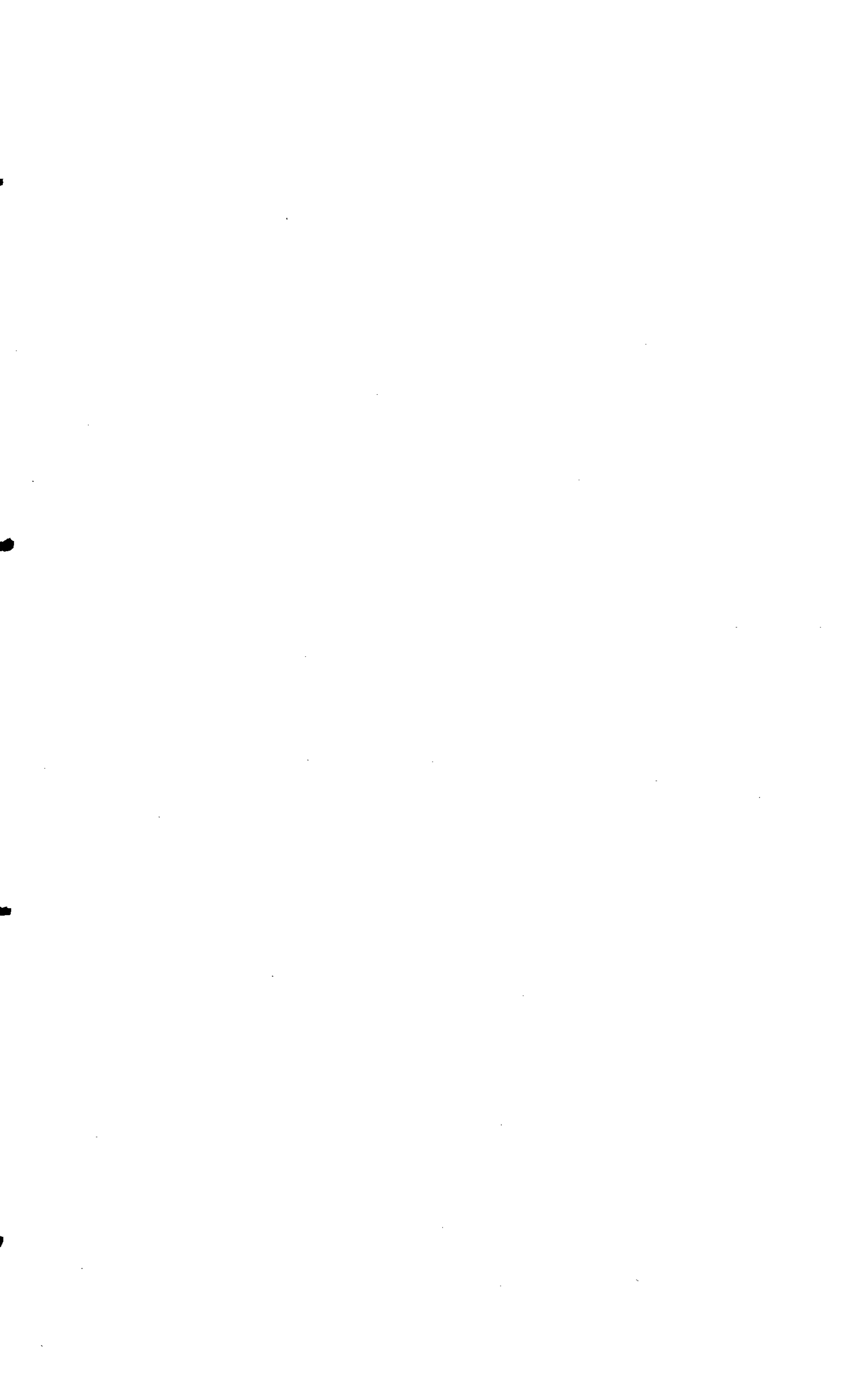
وكان حسن الأداء، جيد التعليم، رحمة الله عليه وعليهم أجمعين» (1).

هذه أهم المحاضر والكتاتيب النموذجية التي عرفتها مدينة سبتة في أثناء إمارة سقوط دالبرغواطي وقيام دولة المرابطين، وخلال حكم الموحدين وأوائل عهد المرينيين، وهي الحقبة التاريخية التي عرفت قيام الوحدة السياسية بين الأقطار المغربية، وكانت سبتة فيها صلة وصل بين عدوتي المغرب والأندلس، وأول محطة كان يجدها النازحون عن الأندلس في استقبالهم عند تداعي حواضر هذه البلاد إلى السقوط منذ أواسط المائة السادسة من الهجرة.

---

1 - برنامج القاسم بن يوسف التجيبي: 16 .





# الفصل الثاني

## الكتاتيب والمحاضر في عهد المرابطين والموحدين

## مكتبون أعلام في مراكش وكتاتيب رائدة في المنطقة الجنوبية

وإذا كانت مدينة سبتة بحكم موقعها الجغرافي المطل على بلاد الأندلس قد استفادت استفادة جلى من الحركة العلمية والقرائية التي كانت قائمة بها، فإن مدينة مراكش قد حاولت هي أيضا اللحاق بها ومشاركتها في كثير من الكفاءات العلمية التي كانت تحلُّ أو تقيم بها، لا سيما بعد أن أصبحت قاعدة الحكم في أواخر المائة الخامسة، وأصبحت مهطعاً لقراء الأندلس وعلمائها يتوافدون عليها زاءرين، أو يتواردون إليها نازحين مقيمين ومقرئين مؤدبين.

والناظر في تاريخ هذه المنطقة يجد أن هنالك بذورا فيها كانت قد بدأت تنمو وتترعرع في مدينة أغمات ووادي نفيس وما جاورهما من سفوح الأطلس الكبير منذ أواسط المائة الخامسة إن لم يكن قبلها بعقود من الزمن.



ويجمع المؤرخون على أن تحرك الجنوب المغربي كله في هذا الاتجاه وبشكل منظم إنما يبتدئ بالمشروع المبارك الذي خطط له عالم المغرب وداعيته الكبير بالقيروان: الفقيه الجليل المقرئ الرائد أبو عمران موسى بن أبي حاج الفاسي (ت 430 هـ) (1).

هذا المشروع العلمي والسياسي في آن واحد، بدأ أولا بقيام (محضرة) أو لنقل بقيام مدرسة قرآنية وعلمية وتربوية يرجع إليها الفضل الأكبر في تنوير الجنوب المغربي كله من أدناه إلى أقصاه، وتوحيده في إطار قيادة واحدة كانت فيها (محضرة وگاك) أو وجاج بن زلو اللمطي الذي يذكر ابن السمّاك عنه في حُلَلِه أنه «قضى بالأندلس سبع سنوات يتطلب المعارف من ينابيعها، ويستجلب الحكمة من منهلها المستنير».

كانت هذه (المحضرة الوگاگية) تضع اللبنات الأولى لقيام هذا الصرح العتيد تأسيسا على مبادئ مدرسة القيروان، القائمة على التعليم والتأديب وتوعية الناس بواجبات الدين. ولا نستبعد أن يكون أبو عمران الفاسي قد ظل على صلة وثيقة بهذه المحضرة الفتية، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه بعد عودته من رحلته العلمية «رجع بعد كل هذا إلى بلده -فاس، وتصدر للإقراء بالقرويين، وقد لقي بفاس عنتا كبيرا بفعل المنافسة وحسد المعاصرين، فغادرها إلى القيروان، فاستقبل بحفاوة كبيرة، ودرّس بها نحو ثلاثين سنة» (2).

---

1 - ترجم له زميله ورفيقه في رحلته إلى الحج الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه طبقات القراء والمقرئين. وقال -فيما نقل عنه الحافظ ابن الجزري: أخذ القراءة عرضا عن أبي الحسن علي بن عمر الحمامي، وسمع جماعة. كتب معنا بالقيروان وبمصر ومكة، وتوجه إلى بغداد وأنا بمكة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وأقام أشهرا، وقرأ بها القرآن، وسمع الحروف، وكتب عن جماعة من محدثيها حديثا منثورا، وشاهد مجلس القاضي الإمام أبي بكر محمد بن الطيب- يعني الباقلاني (ت 403 هـ) ثم انصرف إلى القيروان، وأقرأ الناس بهامدة، ثم ترك الإقراء ودارس الفقه وأسمع الحديث إلى أن توفي. وقال حاتم بن محمد: كان من أعلم الناس وأحفظهم، جمع حفظ الفقه والحديث والرجال، وكان يقرأ القراءات ويجودها مع معرفة بالجرح والتعديل أخذ عنه الناس من أقطار المغرب، ولم ألق أحدا أوسع منه علما ولا أكثر رواية». أنظر غاية النهاية: 2/321-322 ترجمة 3691 وبغية الملتمس للضبي: 457 ترجمة 1332 .

2 - أنظر موضوع: أبو عمران الفاسي والعلاقات بين المغرب وتونس لمحمد الفاسي (مجلة المناهل العدد: 17 ص 153 السنة 7 جمادي 1400 هـ مارس 1980) .

# محضرة الفقيه وجاج بن زلو اللمطي صاحب دار المرابطين

ولعل أوثق من يعتمد في تقويم أثر هذه المحضرة في المنطقة هو الشيخ المؤرخ لهذا العصر وما قاربه: أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المشهور بابن الزيات وصاحب كتاب «التشوف إلى رجال التصوف» (1) وقد عاش في النصف الثاني من المائة السادسة، ومات سنة 617 هـ، إذ يقول معرفا بصاحبها:

«ومنهم وجاج بن زلو اللمطي: من أهل السوس الأقصى. رحل إلى القيروان فأخذ عن أبي عمران الفاسي، ثم عاد إلى السوس، فبنى دارا سماها بـ (دار المرابطين) لطلبة العلم وقراء القرآن».

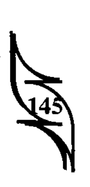
«وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه، وإذا أصابهم قحط استسقوا به.. ثم ذكر قصة مؤداها أن الناس قد أصابهم قحط بنفيس فذهبوا إلى واجاج بن زلو اللمطي وهو بالسوس، فدعا لهم، فلما انصرفوا أرسل الله عليهم السحائب بالأمطار، ودامت عليهم الأمطار، فلم يصلوا إلى بلادهم إلا بعد ستة أشهر» (2).

(دار المرابطين) هذه هي أولى (المحاضر) التي نقف على أخبارها مشدودة إلى جذور حركة (دولة المرابطين) ومدعومة بالمدرسة أو (المحضرة) التي انبثقت عنها وهي:

---

1 - أنظر كتابه هذا محققا بقلم الأستاذ أحمد التوفيق في منشورات كلية الآداب بالرباط.

2 - أنظر التشوف إلى رجال التصوف: 89-90 وكتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول: 165. وبحث الأستاذ محمد المنوني: المؤسسات التعليمية الأولى بسوس (ضمن نشرة أعمال ندوة مدينة أكادير الكبرى: جامعة ابن زهر: ص 107-108)



# محضرة عبد الله بن ياسين الجزولي

كانت المحضرة الأولى هي الأصل، إذ تتحدث القصة التاريخية عن رحلة يحيى بن إبراهيم الكدالي إلى الحج وعبوره على القيروان في الذهاب والأياب، وتتحدث عن اجتماعه بأبي عمران الفاسي، وحضوره دروسه، وطلبه منه أن يبعث معه من طلبته من يثق في علمه ودينه ليقوم بتعليم البربر وتفقيههم في أمور الدين، فلما عرض على طلبته هذا الأمر لم يتطوع أحد للخروج، فأحاله الشيخ أبو عمران على تلميذه وجاج هذا المقيم في وقته مشارطا في محضرته بوادي نفيس على مقربة من مدينة أغمات، ومن البسيط الذي سوف تبنى فيه مدينة مراكش في المستقبل غير البعيد.

فقنع منه بهذه الرسالة إلى وجاج، فذهب بها إليه، فاختار له من طلبته النجباء (مهديَّ المرابطين): عبد الله بن ياسين، فخرج معه في اتجاه الجنوب المغربي، وكان في نص الرسالة كما ذكرها ابن أبي زرع الفاسي في تاريخه (الأنيس المطرب):

«سلام عليكم ورحمة الله، أما بعد فإذا وصلك حامل كتابي هذا، وهو يحيى بن إبراهيم الكدالي، فابعث معه إلى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام، ويفقههم في دينهم، وله ولك في ذلك الثواب والأجر العظيم، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا. والسلام.»

قال ابن أبي زرع:

«فسار يحيى بن إبراهيم الكدالي بكتاب أبي عمران حتى وصل إلى الفقيه وجاج بن زلو اللمطي بمدينة نفيس، فسلم عليه، ودفع إليه الكتاب.

وذلك في شهر رجب الفرد في سنة 430 هـ فقرأ الفقيه واجاج بن زلو الكتاب، وجمع تلامذته فقرأه عليهم، وندبهم لما أمره به الشيخ أبو عمران الفاسي، فانتدب لذلك رجل منهم جزولي النسب، يعرف بعبد الله بن ياسين الجزولي، وكان من حذاق الطلبة الأذكياء النبهاء النبلاء، من أهل الدين والفضل والتقى والورع والفقه والأدب والسياسة، مشاركا في العلوم. فخرج مع يحيى بن إبراهيم حتى وصل بلاد كدالة... (1).

ولنا نحن أن نتمثل من خلال هذه التحليات التي حلى بها ابن أبي زرع أحد تلامذة هذه (المحضرة) البدوية المنقطعة عند سفوح الأطلس الكبير كيف كانت محضرة وجاج، وكيف كان خرِّيجوها، وكيف كان أثرها العام في المنطقة؟؟؟

فإذا تمثلنا ذلك حقا سهل علينا أن ندرك واحداً من أهم عوامل انتصار حركة عبد الله بن ياسين في تمهيد البلاد، وتمكنه بهذه السرعة الفائقة أن يكتسح بدعوته التربوية والجهادية تخوم البلاد الصحراوية إلى أقصى بلاد السينغال وأن تدين له بالطاعة والاتباع أطراف السوس الأقصى وجهات سجلماسة والمشرق، إلى أن استولى على أغمات وتادلة وما وراءها، ثم التحم أخيرا بجيوش برغواطة فأصيب في بعض وقائعه معهم في منطقة الرماني حيث ما زال مشهده -رحمه الله- مشهورا هناك باسم «سيدي ياسين» بكريفلة.

ومهما يكن مما ذكر في سلوكه في الدعوة سبيل الصرامة والتشديد وخاصة في مبادرته إلى إقامة الحدود، وجلده للتائب بأن يضربه مائة سوط، فإنه جعل منطلق دعوته من «تعليم القرآن وشرائع الإسلام» (2).

---

1- الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع الفاسي: 122-123.

2- نفسه: 126-128 وانظر كتاب مفاخر البربر: 145 وكتاب الجامعة اليوسفية في تسعمائة عام لمحمد بن عثمان المراكشي: 1/20-22

ويكفي في بيان أثر هذه الحضرة والتي تولدت عنها أن الدولة التي قامت على الدعوة التي انطلقت منها حملت اسم (دولة المرابطين) إشارة إلى رباط وجاج أو رباط تلميذه ابن ياسين.

وما تزال قرية (أكلو) قرب مدينة تيزنيت تحيي ذكرى (محضرة وجاج) بمدرستها القائمة إلى اليوم.

## كُتاب أبي عبد الله الأشقر الداني بأغمات

كانت مدينة أغمات هي العاصمة الإدارية لوسط المغرب ونواحي الأطلس الكبير، وتقع في سفوح الجبال المطلة على مراكش من جهة الشرق، وهي التي اتخذها المرابطون في صدر دولتهم قاعدة للحكم ومنطلقا للفتح، إلى أن بني يعسوب دولتهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين مدينة مراكش في الربع الأخير من المائة الخامسة.

وقد ظلت أغمات محافظة على مركزها في المنطقة طوال عهد المرابطين، ومن ثم فقد استقر بها عدد من القراء والعلماء وكان لهم فيها نشاط علمي ملحوظ. ونسجل هنا بعض الملامح من هذا النشاط مما له تعلق ببحثنا في مجال الإقراء والتأديب.

فممن نزل أغمات وأقرأ بهما القارئ الذي سبق ذكر كتابه في مدينة سبتة:

✓ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأموي الداني المعروف بالأشقر (ت 559 هـ).

ذكرناه آنفا فيمن نزل سبتة وتصدر للإقراء بها. وكان له فيها كتاب، وذكرنا في شيوخه في القراءة الإمام أبا الحسن عبد العزيز بن عبد الملك ابن شفيع الأندلسي، وهو صاحب كتاب «التنبيه والإرشاد إلى مذاهب القراء السبعة».

كما قرأ أيضا على أبي محمد عبد الله بن إدريس بن سهل المقعد من مشيخة عياض. ذكره ابن القاضي في جذوة الاقتباس ووصفه بالشيخ الأستاذ المقرئ المجود وقال: كان من أهل القراءة، ومن أطيب الناس صوتا وأحسنهم نغمة.

ثم ساق خبر رؤيا رأى فيها النبي - ﷺ - وأنه قرأ بمحضره قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام، إن يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره...﴾ الآية. قال:

فلما قرأت (فَيَظْلَلْن) قال لي النبي - ﷺ - فخِّم الظاء وأظهر اللام من اللام، قال: فرفعت بها صوتي وجوَّدت، فلما أكملت العشر قلت: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبيء ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ فقال لي النبي - ﷺ -: متعك الله بصوتك يا محمد، فقلت يا رسول الله: إني فقير، فقال لي أخرج من سبتة وتوجه للمغرب. قال فخرجت من سبتة إلى القصر، ثم انتقلت إلى مدينة فاس، ثم خرجت منها واستقررت بأغمات.

فأقمت بها أقرئ كتاب الله -عز وجل- نحو الثلاثة أعوام، فخرجت منها بسبعمائة دينار، ورجعت إلى سبته.

قال: بقي الفقيه محمد الأشقر نحوا من خمسة وتسعين عاما، وصوته لم يتغير، بدعاء سيد الأولين والآخرين. نفعه الله بذلك» (1) .

1 - جذوة الإقتباس: 216/1 ترجمة 182 .



# التكتيب والتأديب

## في عهد المرابطين بمراكش ودورهم في تشجيعه

ويكفينا ونحن نتحدث عن المحاضر في عهد المرابطين، أن نتذكر أن قيام دولة المرابطين، إنما كان انطلاقا من (محضرة واجاج)، ثم من (محضرة عبد الله بن ياسين الجزولي) فالمحضرة إذن كانت حاضرة في أوليات الدولة، بل هي الأساس الأول الذي قامت عليه وبالتالي فسوف يكون لها الأثر الفعال في العناية بها ورعاية أهلها وتوجيهها.

وكذلك كان على الرغم من أن الطابع الجهادي قد غلب على الدولة في معظم فترات حياتها، وأنها لم يتح لها أن تتفرغ كثيرا للعمل في هذا الإتجاه، ومع هذا فقد استطاعت أن تحتضن الحياة العلمية، وأن تفتح صدورها وخاصة بعد تأسيس مدينة مراكش وعمارتها، وتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة في أواخر العقد التاسع من المائة الخامسة.

وهذا عبد الواحد المراكشي من مؤرخي المائة السابعة – وهو قريب العهد من هذه الإنجازات– يتحدث عن عهد يوسف بن تاشفين بعد استتباب الأمر له فيقول:

«فانقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته حضرة بني العباس في صدر دولتهم، واجتمع له ولابنه من أعيان الكُتّاب وفرسان البلاغة ما لم يتفق اجتماعه في عصر من الأعصار» (1).

---

1 - المعجب لعبد الواحد المراكشي: 243 .

ويقول بعد هذا عن ولده علي بن يوسف:

«واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، وكان لايقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء.. فبلغ الفقهاء في أيامه مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس، ولم يزل الأمر على ذلك، وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظُم أمر الفقهاء كما ذكرنا، وانصرفت وجوهُ الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم، واتسعت مكاسبهم» (1).

وتدلنا بعض الإشارات المبثوثة في كتب التاريخ على توافر هذه العناية بأهل القرآن خاصة.

فهذا يوسف بن تاشفين خريج تلامذة (دار المرابطين) التي أنشأها داعيتهم عبد الله بن ياسين يذكر عنه أنه «قد نصر العلم باتخاذ (المكاتب) للصبيان، وجعل الإستفتاء للفقهاء، وحكم الفقهاء في القضايا والنوازل...» (2).

ولا أدل على مبلغ عنايته بأهل هذا الشأن ورعايته لهم من تفقده لمن لا يستطيع الوفادة عليه منهم لمرض أو تقدم سن، فتأتيه الصلة منه على غير انتظار.

نقل أبو محمد بن آجطا في شرحه على مورد الظمآن لشيخه أبي عبد الله الخراز الشريشي عن أبي الحسن بن هذيل تلميذ أبي داود سليمان بن نجاح صاحب أبي عمرو الداني وزعيم مدرسته من بعده قال ابن عياد: أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن قال:

1 -نفسه: 253 .

2 - كتاب أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: 72 .



«كنا يوما بدانية مع أبي داود بداره فيها، فدق عليه الباب رجل، فأمر بدخوله عليه، فإذا هو رجل أسود طويل من مشاوري الأمير يوسف بن تاشفين قال: فسلم عليه وقال:

أشخَصَني إليك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لتدعو له، وليس لي في الأندلس حاجة سوى هذه، قال:

فبكى الشيخ -رحمه الله- حتى أخضَل لحيته، ثم دعا له، وودّعه وانصرف القَهقري راجعا إلى الأمير».

قال ابن آجطا:

وهذه القصة من غُرر مناقب الشيخ، نعم، وهي معدودة في مناقب الأمير يوسف رحمهما الله» (1).

وقد اهتم المرابطون بالتعليم ونشره منذ اللحظة الأولى التي ارتبطوا فيها بدعوة ابن ياسين، وأخذوا يقبلون على الكتاتيب والمدارس في شغف، واعتنوا بنشرها في أنحاء المغرب (2)، وليس أدل على ذلك من أن ابن تومرت -زعيم الموحدين- قبل سفره إلى المشرق كان قد حفظ القرآن الكريم وجوده، وألم بقدر من علوم الدين واللغة العربية بمسجد قريته إيجلي الواقعة بجبال الأطلس ببلاد السوس (3) مما يدل على أن هذه المناطق النائية في الجبال كانت قد نالت حظا من العناية في هذا المجال فكيف بغيرها من الجهات الآهلة، والحواضر العريقة والناشئة.

---

1 - التبيان في شرح مورد الظمآن لأبي محمد بن آجطا: ورقة: 35 وانظر دراستنا عنه في كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 7/356-357 .

2- أنظر: معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش: 92 دعوة الحق: العدد: 259 محرم- صفر:: 1407 هـ شتنبر - أكتوبر: 1986 .

3- أنظر نظم الجمان لابن القطان: 37 .

ثم تمادى الحال في التقدم عندما توطدت الدولة، واحتك أهلها بالبلاد الأندلسية بعد بسط أمير المسلمين يوسف بن تاشفين لسلطانه عليها، فاستبحر عمران عاصمة ملكه مراكش، وتفتحت أمامه آفاق جديدة للاستفادة من الأطر العلمية والتعليمية الأندلسية وخبرتها وتجربتها الطويلة في التأديب والتعليم، ولذلك فتح عاصمته لإيواء الوافدين عليها من القراء والعلماء وتقريبهم واستقدامهم والعناية بهم، ثم سار خلفاؤه على هذا المنهاج، إلى أن قام عليهم الموحدون فسعوا إلى التفوق عليهم في كل شيء.

## التأديب الرسمي في مراكش على عهد الموحدين

وأشير هنا إلى ظاهرة عامة يمكن ملاحظتها بخصوص هؤلاء القراء والعلماء الذين كانوا يتوافدون على مراكش، ويشتغلون بالإقراء والتأديب، أو بوظائف رسمية في قصور الخلفاء، وهي أن أشغالهم الرسمية لم تكن تحول بينهم وبين القيام بمهامهم في الإفادة والإقراء حين كان يتاح لهم ذلك، وحتى حين يصبحون مؤدبين رسميين في تلك القصور فإنهم كانوا يستقبلون من يقصدهم في المسائل ومن يقرأ عليهم أحيانا في مواضع إقامتهم.

وقد استطاع خلفاء الموحدين أن يستوعبوا عامة القراء الذين كانوا يحطون الرحال بمراكش، وأنشأوا للطلبة ما يشبه أن يكون ديوانا خاصا في قصورهم يبتدئ من المستوى العادي في التأديب وقراءة الحزب في البلاط. ويرتفع إلى مستوى المحاضرين والمناظرين وكبار العلماء في مجالس الأمراء.



ولقد بالغوا في تشجيع النبغاء، وشاركوا بأنفسهم وبأبنائهم في إذكاء شعلة العلم والمعرفة، إذ كان كثير من خلفاء الموحدين وأمرائهم فقهاء وعلماء (1).

ولقد كان داعيتهم ومهدي دولتهم إماما في العلم، وكان صاحب دولته عبد المؤمن بن علي -كما وصفه عبد الواحد المراكشي- مؤثرا لأهل العلم، محبا لهم، محسنا إليهم، يستدعيهم من البلاد للكون عنده والجوار بحضرته، ويجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم، والإعظام لهم قال:

وقسم الطلبه طائفتين: «طلبة الموحدين» و«طلبة الحضر» (2). وقد كانوا يريدون بطلبة الموحدين: قراء القرآن الملازمين للحضرة غالبا ممن اختيروا للقيام بوظيفة «الحزب الراتب» الذي سوف يصبح منذ الآن شعار دولتهم كما سيأتي الحديث عنه بحول الله، ونشير هنا إلى ملاحظة هامة، وهي ما ذكره عبد الواحد المراكشي من أن المهدي «إنما لقي عبد المؤمن بموضع يعرف بفنزارة من بلاد متيجة، وعبد المؤمن يعلم صبيان القرية المذكورة فسأله ابن تومرت صحبته والقراءة عليه وإعانته» (3).

هكذا كان عبد المومن مؤدبا صاحب كتاب، فلا عجب أن يكون أميل إلى صنفه من القراء والفقهاء.

وجاء بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن فزاد عليه في هذه العناية وكان -كما وصفه ابن صاحب الصلاة- كاملا فاضلا عدلا ورعاً

1 - أنظر كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين للأستاذ محمد المنوني: 15-16 .
2 - المعجب: 293 .
3- نفسه: 267 .

جزْلا، مستظهراً للقرآن كتاب الله تعالى بشرحه. في ناسخه ومنسوخه، قارئا لنصِّه، حافظا له على وقفه وابتدائه» (1).

وكان «أبناء الجماعة» أو «السادة» كما كانوا يسمونهم يُربَّوْن ويكونون على أيدي المؤدبين تكوينا تأهيليا خاصا في عامة العلوم قبل أن يولّوا مناصب الولاية والقيادة، وأحيانا في أثناء مزاولتهم لهذه المهام يواصلون الأخذ عن العلماء.

وقد أشار إلى بعض هذا المؤرخ ابن عذاري المراكشي في فصل بعنوان «ذكر ولاية السادات الأكرمين أولاد الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي» فإنه ذكر كل وال من أولئك «السادات» وذكر من خرج معه إلى ولايته من العلماء والمؤدبين والكتاب وفيهم عدد من المشاهير ختمهم بقوله:

«ووَلِيَ السيدُ أبو الحسن على مدينة فاس، فسار معه وزيراً يُدَرِّبُه: أبو يعقوب «يوسف بن سليمان، ومن الكُتاب: أبو العباس بن مضاء يعلّمه ويقرأ عليه» (2).

وجاء عند ابن صاحب الصلاة عند ذكره لولاية أبي عبد الله بن إبراهيم لغرناطة في العشر الأواخر من شعبان من سنة 562 هـ قوله: «وكان أحد علية «أبناء الجماعة» في الرياسة والسياسة، يحفظ القرآن برواياته، و«موطأ المهدي» وعقائده، مع مشاركة في الأدب، ومطالعة على كتب التواريخ، وهمة عالية في الكتب واقتنائها وانتساخها، حتى اجتمعت له منها خزانة عظيمة عالية الفنون» (3).

1 - تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين لابن صاحب الصلاة: 233 .
2 - البيان المغرب (قسم الموحدين): 50
3- تاريخ المن بالإمامة: 120-222 .



وإن دولة هذا شأن ملوكها وأمرائها لحرية أن تبلغ في الرعاية لأهل القرآن كل مبلغ، وأن تجتهد في استقدامهم إليها والإستكثار منهم في مواطنهم ومواضع نفوذهم إلى أن يبلغوا أقصى الغايات، وبذلك أثنى عليهم جميع من أرخ لهم من المعاصرين وغيرهم، وكما قيل في هذا المعنى:

عثمان يعلم أن الحمد ذو ثمن ** لكنه يشتهي حمدا بمجَّان

والناس أكيس من أن يحمدوا أحدا ** حتى يروا قَبْله آثار إحسان (1)

ومما قاله الشاعر المؤرخ أبو فارس عبد العزيز الملزوزي في الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور كبير دولتهم في الربع الأخير من المائة السادسة:

وكان ذ علم يحب العلمَا ** ملازما للفقها والحُكَمَا

أول من قد صنع (المدارسا) ** ومكرماً من ظل فيها دارسا

وكم بنى من مسجد وصومعَة ** ومن قباب كلها منوَّعة

أفعاله مشهورة في المغرب ** من البنا في كل ريع سَبْسَب

وكم أتى مما به سيُرحَم ** من كل فِعل فضله لا يُحرَم (2)

ولقد وصف صاحب المعجب «ما جرت به عادتهم من الكتب إلى البلاد، واستجلاب العلماء إلى حضرتهم من أهل كل فن، وخاصة أهل علم النظر، ويسمونهم «طلبة الحضر» فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقلون، وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمّون «طلبة الموحدين» ولابد

---

1 - البيتان من قصيدة مطلعها:

يا أخت كندة عافي شرب عثمان ** وأزمعي لبني عوف بهجران

وهي لبعض الحارثيين كما ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار: 179/3 وذكر منها البيتين أعلاه بهذا اللفظ، وعند غيره «من أن يمدحوا رجلا» وفيه «حتى يروا عنده» وذكرها أبو عمر بن عبد البر في بهجة المجالس، والمقّري في نفح الطيب: 347/7 بلفظ «ما لم يروا عنده».

2 - أرجوزة نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك للملزوزي: 57-58 .

في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ منهم» (1).

ويتحدث المؤرخون عن ترتيب الموحدين لأولئك الطلبة على مراتبهم، وأنهم كان لهم ديوان ورئاسة، وكان لهم بقسميهم: طلبة الموحدين وطلبة الحضر، ناد يجتمعون فيه للمناظرة وامتحان الواردين من أهل العلم، وهو «بيت الطلبة» كما كان لهم رؤساء مختارون من علية أهل العلم وجِلّتِهم، نذكر منهم على سبيل المثال:

✓ عبد الله بن محمد الأنصاري يعرف بابن المالقي (ت 574 هـ) «رأس طلبة مراكش» (2).

✓ وأحمد بن عتيق البلنسي أبو جعفر الذهبي (ت 607 هـ) «كان مِزواراً للطلبة» (3).

✓ وعلي بن محمد الكتامي «المعروف بابن القطان (ت 628 هـ) «رأس طلبة العلم بمراكش» (4).

يضاف إلى هذا إنشاء «رياض الحزب» الذي كان ملتقى لعامة هؤلاء الطلبة (5).

ولقد أفادت العاصمة المراكشية من هذه التنظيمات وأنواع الرعاية مزيدا من الإقبال على الطلب والمنافسة فيه، ومزيدا من الاهتمام بالقراءة رغبة في تحقيق الكفاية فيها، والإفادة من هذه الأطر الأندلسية التي ظلت تتدفق على المنطقة، لا سيما بعد اتساع عمران مراكش وبداية تدهور الحالة السياسية في أطراف الأندلس.

---

1 - المعجب: 484

2 - التكملة لابن الآبار: 852/2 ترجمة 2058 .

3 - طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة: 77/2 .

4 - التكملة: ترجمة 1920. وانظر الأستاذ محمد المنوني في العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 38 .

5 - أنظر البيان المغرب (قسم الموحدين): 465 .



وليس من غرضنا هنا أن نقوم بالتأريخ للحركة العلمية بوجه عام، ولا حتى لعلم القراءات، وكيف ازدهر في هذه الحواضر والجهات، ولكننا نشير إلى بعض الملامح البارزة التي سجلتها بعض كتب التاريخ فيما يتعلق بالعناية بالتعليم الأوّلي، وتحفيظ القرآن للناشئة، وتلقينهم المبادئ الأولية لتأهيلهم للمراحل القادمة، وهذه وقفات نقف فيها مع مجموعة من الشخصيات التي لمعت في هذا الميدان في مراكش تحت رعاية الدولة لهذا العهد.

## محضرة أبي الحسن نَجَبة بمراكش

هو أبو الحسن نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبَة الرعيني الإشبيلي النحوي المقري المشتهر بالأستاذ. قال ابن الأبار:

«أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد وأبي محمد شعيب بن عيسى اليابُري وأبي جعفر بن عيسون الجذامي وأبي العباس بن حرب المسيلي، وروى عن جماعة، وأجاز له ولابنه أبو بكر عتيق بن محمد الردائي من أصحاب ابن نفيس وطبقته سنة 525 هـ، وهو آخر من حدّث عن أبي بكر الردائي، والردائي آخرُ من حدث عن أبي الحسن القابسي (ت 403 هـ).

وتصدر لإقراء القرآن وتعليم العربية. وكان إماما في ذلك مقدما، مع الفضل والصلاح والتواضع وغلبة الخير عليه، يتحقق بالقراءات وشارك في الحديث. واستوطن مراكش باستدعاء السلطان إياه واستجلابه إليها، واقرأ بها القراءات، وبإفريقية في حركته إليها مع جيوش المغرب».



حدث عنه جماعة من شيوخنا وغيرهم، وتوفي بقرية فيسانة في أخريات جمادى الآخرة سنة 591 هـ ودفن بإشبيلية، ومولده سنة 521 هـ (1).

وذكر ابن الجزري نحوا مما تقدم، وأنه استوطن مراكش مدة وأقرأ بها وبإفريقية قال: وكان مقرئا محققا نحويا حافظا» (2).

وقال ابن الزبير: روى عنه الدبّاج وابن حوط الله، وآخر أصحابه أبو الخطاب بن خليل، وكان له صيت عظيم في وقته ووجاهة عند الملوك» (3).

## من حكايات ابن عميرة الضبي
## خريج هذه المحضرة عن شيخه نجبة

قال أحمد يحيى بن عميرة الضبي في قسم المحمدين من كتابه «بغية الملتمس» في ترجمته لمحمد بن شريح الإمام المقرئ صاحب «الكافي في القراءات السبع».

أخبرني المقرئ أبو الحسن نجبة بن يحى بن خلف بن نجبة -وقرأت عليه في دارِه بحضرة مراكش- حُرِسَتْ - حزب ﴿وما أبرئ نفسي﴾ في سورة يوسف.

فلما انتهيت إلى سورة الرعد إلى قوله ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ (4) وقفت عليه، فرفع رأسه إلي وقال لي:

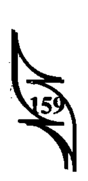
---

1 - التكملة: 858/2-859 ترجمة 1879 والاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام للعباس بن إبراهيم 337/7 ترجمة 1039

2 - غاية النهاية: 334/2 ترجمة: 3719

3 - نقله في بغية الوعاة: 312/2 ترجمة 2056 .

4 - الآية: 53 .



أخبرني شريح عن أبيه محمد بن شريح أنه صلى بالمعتضد (1) ذات ليلة في شهر رمضان، فقرأ هذه السورة، ووقف كما وقفت، فلما كان يوم آخر وجّه عنه المعتضد وقال له:

والله ما فهمت قط الآية التي قرأت بها البارحة في سورة الرعد إلا من قراءتك، كنت أجعل (الحسنى) صفة لـ (الأمثال) فجزاك الله خيرا. ووجّه إليه بكسوة ومركوب حسن وألف دينار وجارية (2).

ومن هذه القصة استفدنا إلى جانب تصدره للإقراء والتكتيب بمراكش، مقدار حرصه على الإفادة لطلابه في مسائل الأداء، مما يدل على حذقه وتمرسه بالفن.

ولمزيد من التنبيه على مقدار هذا القارئ الجليل ومحضرته نسوق هنا قصتين مماثلتين حكاهما عنه تلميذه الضبي في كتابه بغية الملتمس، وتتعلقان باسم محضرة سوف نتعرف من خلال وقوفنا عليها على الكيفية التي كان يجري عليها التعليم في المحاضر في إحدى قواعد الأندلس، وهي حاضرة بني عباد بإشبيلية في أيام المعتضد بن عباد من ملوك الطوايف، ومن جهة ثانية سنتعرف على واحد من أساتذة أبي الحسن نجبة الأجلاء، وهو المقرئ المجود أبو العباس بن عيسون – أو عيشون (3) المعروف بابن النخاس رحمه الله. وهذه ترجمته وذكر المحضرة التي أجيز منها بعد نيل الإجازة من ابن شريح.

---

1 – هو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد والد المعتمد بن عباد ملك إشبيلية. انظر المعجب للمراكشي: 139-142 .

2 – بغية الملتمس: 81 ترجمة 145 .

3 – قال ابن الجزري: أحمد بن خلف بن عيسون –بالمهملة– بن خيار... له تأليف في الناسخ والمنسوخ. (غاية النهاية: 52/1 ترجمة رقم 222 .

# محضرة أبي عامر السرقسطي بإشبيلية

قال أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي في كتابه «بغية الملتمس» في ترجمة المقرئ المجود أحمد بن خلف بن عيسون المعروف بابن النخاس – بالخاء المعجمة– الإشبيلي.

«فقيه مقرئ مجود، يروي عن محمد بن شريح، كان أبو الحسن بن الأخضر تلميذ الأعلم الشنتمري النحوي شيخ ابن الحذاء وشيخ ابن الرمّاك– يقرأ عليه القرآن. وكان هو يقرأ عليه النحو.

أخبرني شيخي أبو الحسن نجبة بن يحيى بن خلف بن نجبة قال:

كان شيخي أبو العباس أحمد بن عيسون يقرأ على أبي الحسن بن الأخضر التنوخي تلميذ الأعلم النحوي، وكان أبو الحسن بن الأخضر يقرأ عليه القرآن، فلما كان ذات يوم قرأ عليه في حزب (وإذ نتقنا): ﴿**وأملي لهم، إن كيدي متين، أو لم يتفكروا، ما بصاحبهم من جنة**﴾ (1).

فردّه وأمره أن يقف على قوله: (وأُملي لهم) ثم يقرأ ويقف على قوله: (أو لم يتفكروا) ويبتدئ (ما بصاحبهم من جنة).

فقال له أبو الحسن بن الأخضر حين نظر في ذلك: لا يوخذ العلم إلا عن أهله» (2). قال الضبي:

وحدثنا أيضا قال:

كان أبو العباس بن عيسون قد قرأ على محمد بن شريح وأجازه، فبينما هو يمشي ذات يوم بإشبيلية، وبيده قُفّة دقيق، إذ وقف على

1 – الأعراف: 183-184 .
2 – بغية الملتمس للضبي: 176 ترجمة 398 .



أبي عامر السرقسطي إمام مسجد أبي الحكم بن حجاج، وطالب يقرأ عليه، فسمع صوت أبي عامر وإتقانه وردّه على الطالب، فذهل ووقف مدة، والقفة في يده وهو لا يشعر، فأشار الأستاذ أن يدخل، وكان واقفا على باب المسجد إشفاقا عليه، فدخل، وقال له: يا بني، مالك أتعبت نفسك بهذه الحمولة؟ فقال: يا سيدي، أعجبني ما سمعت، وأنا أريد أن أقرأ عليك ولابد، فقال له: إن كنت عازما فاشتر لوحا ودواة، وتكتب وتتعلم المواقف ومواضع الهمزات والنطق بالحروف وتقرأ.

فلم يكن له بد بسبب محبته في القراءة عليه مما قال له، فاشترى ذلك، وكلٌّ من في داره يُسَخِّف رأيه، ويقول له بعد الإجازة ترجع إلى اللوح؟! قال: فمشيت إليه بعد أن فعلت ما أمرني به، وقرأت عليه.

فبلغ ذلك أستاذي، فغضب، وهمّ أن يوقع به، وكان الأمير يحكّمه، فبلغه ذلك، وقيل له: ما هذا الذي فعلت؟ تعمد إلى من قد أجازه الفقيه وتردُّه إلى اللوح؟ وهل هذا الفعل إلا به تدارك نفسك؟

قال: فمشى إلى محمد بن شريح وقال له:

أريد أن أقرأ عليك وتعيّن لي وقتا»؟ فقال: نعم. إذا سمعت أول الأذان فأتني، قال: فقرأ عليه أول يوم حزبا، فاجتمع الناس وكثروا، ثم يوما آخر، فلما كان في اليوم الثالث قرأ عليه حزب (سيقول السفهاء) (1) فلما بلغ إلى قوله: (فلا تخشوهم واخشوْني) وقف بحذف النون.

فاستأسد الشيخ، وقال: هي مثبتة، سواء في الوقف والابتداء، لا خلاف في ذلك بين أهل الأداء.

---

1 - البقرة: 150

فمن الناس من يقول إنه إنما فعل ذلك تعمّدا وتصنعا ليثبت له الأستاذية، ومنهم من يقول: إنه لم يتعمد ذلك.

وهكذا استمر يأخذ عليه إلى أن أجازه.

وفي اليوم الذي كتب إجازته، كتب هو إجازة أبي العباس بن عيسون. وتوفي أحمد بن خلف بن عيشون سنة 531 (1).

وهذه الذكريات هي جزء من الحياة في المحضرة، وتمثل طرفا مما يكون بين أهل هذه المهنة من التنافس على الظهور أحيانا، وعلى الحظوة عند الوجهاء أحيانا أخرى، وكان الطلبة الذين يترددون بين هذه المحاضر يزيدون في وقود هذه المنافسة بما يخلقونه من مشاكل بين المشيخة فيها، وما يزال لهذا بين الطلبة بقية إلى اليوم.

**من أصحاب أبي الحسن نجبة من المؤدبين بمراكش:**

من أصحاب نجبة ممن قرأوا عليه:

1 – أبو الحسن علي بن محمد بن منصور الغافقي المقرئ الضرير، يعرف بأبي شراجة. روى بالأندلس عن جماعة، وبسبتة عن أبي محمد الحجري، وبمراكش عن أبي الحسن نجبة وأبي العباس بن مضاء وأبي زيد السُّهَيلي.

قال ابن عبد الملك: وكان مقرئا مجودا محدثا راوية، ذا حظ صالح من النحو والأدب، تصدر لإفادة ما كان عنده من العلم دهرا طويلا، وكان ضريرا نفعه الله.

---

1 - بغية الملتمس: 176-177 ترجمة 398 .



وقال أبو جعفر بن الزبير: أقرأ القرآن ببلده، وكان يذكر بإتقان القراءة، روى عنه الناس ببلده وغيرهم. توفي بمالقة في عشر العشرين وستمائة (1).

2 – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن إسماعيل الأنصاري يعرف بابن الصفار وبالبرنامج. (560-639 هـ).

قال ابن عبد الملك: قرطبي، سكن مراكش طويلا، ثم تحول بعد تجوُّل إلى تونس فاستوطنها.. تلا بالسبع على أبي القاسم الشرّاط، روى عنه الهداية لمكي سماعا، وأجاز له.. وأبو الحسن نجبة، تلا عليه بالسبع، وقرأ عليه من حفظه تيسير أبي عمرو... وكان أحفظ أهل زمانه لأنواع العلوم، وجال في بلاد الأندلس وبر العدوة شرقا وغربا، ودخل بغداد، وأسمع الحديث، ودرّس الأدب والنحو حيثما حل من البلاد، وقفل إلى المغرب ولم يحج.. توفي بتونس سنة 639 هـ (2).

3 – أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد بن قطرال الأنصاري.

من أهل أبذة عمل جيان، قرطبي النشأة، استوطن مراكش بآخرة، كثير الشيوخ، ومن شيوخه من القراء أبو الحسن نجبة بن يحيى وأبو الحسن بن كوثر وأبو العباس بن مضاء، وأبو القاسم بن بقي آخر أصحاب شريح الرعيني وأبو محمد بن حوط الله، رحل إليه إلى مالقة فقرأ عليه القرآن بحرف نافع، ولي القضاء زمانا بالأندلس ومراكش وأغمات، وتوفي بمراكش سنة 651 هـ (3).

---

1 – أنظر الذيل والتكملة السفر الخامس القسم: 392/1-393 ترجمة 664.

2 – أنظر ترجمته في التكملة: 617/2 والذيل والتكملة: 288/6-293 ترجمة 773 ومعرفة القراء الكبار للذهبي: 417/2 طبقة: 14.

3 – أنظر الذيل والتكملة السفر الثامن القسم 154/1-159 ترجمة 1.

## محضرة اليابري بمراكش: (كتاب للنساء)

4- ومن أصحاب أبي الحسن نجبة من المؤدبين بالحضرة المراكشية أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف بن عبد الله الفهمي اليابري الأندلسي.

سكن سلا ثم مراكش. تلا في أشبيلية بالسبع على أبي بكر بن خير وعلى أبي الحسن نجبة، وبغرناطة على أبي عبد الله بن عروس، وأبي محمد عبد المنعم بن الخلوف سنة 568 هـ وسمع منهم ومن أبي عبد الله بن الغاسل، وأبي العباس بن مضاء وأكثر عنه، وأجازه جماعة من أهل الأندلس. قال ابن الأبار:

«وكان محققا للقراءات ذكيا، أدَّب ولد السلطان، فسكن مراكش، ونال دنيا عريضة (1). وقال ابن عبد الملك:

«وكان حافظا للقرآن العظيم، مجودا له، عارفا بالقراءات، قائما عليها» آية من آيات الله في حسن الصوت، آخذا بطرف صالح من العربية، ذا حظ من رواية الحديث، ذكيا فهما، يقظا، ضريرا.

واجتاز المنصور من بني عبد المؤمن به يوما وهو يقرأ بمقبرة على جاري عادته، فأخذ بقلبه طيب نغمته، وحسن إيراده، فقرّبه واستخلصه، وأمره بتعليم أولاده وقراءة حزب من التراويح في رمضان، فكان يقرؤه بحرف عاصم، ويؤثره على غيره.

1 - التكملة: 678/2 ترجمة 2 و 18 وغاية النهاية 578/1 ترجمة 2343 .



ثم خبر أحواله، وعرف صونه وعفافه، فأمره بتعليم بناته، فاستعفاه من ذلك معتذراً بأنه يدرك بعض التفرقة بين الألوان، فأحظاه ذلك عنده لما تحقق من صدق نصحه، وألزمه تعليمهن، وكان ذلك سبب إثرائه وسعة حاله، واقتنائه الرباع الجيدة الكثيرة بمراكش وغيرها.. ولما توجه المنصور إلى سلا مستصحبا أولاده أمرهم بالكون مع أبي الحسن هذا والحفّ به، فلما برز أهل سلا للقاء المنصور رأى بعضهم أبا الحسن يحفّ به أولاد المنصور، ويعظمونه، ويوقرونه. فقال: هكذا ينبغي أن يرجع الغريب إلى وطنه، وإلا فلا..

ثم ذكر قصة فيها أنه رغب في شراء ملك من أحد جيرانه فامتنع من بيعه له إلا بزيادة كثيرة على قدر قيمته، فبلغ الخبر إلى الناصر بن المنصور فقال لأهل مجلسه:

لقد فرطتم في حق شيخنا ومعلمنا ومعلم إخواننا وأخواتنا أبي الحسن الفهمي فقام أهل مجلسه فاشتروا له ذلك الملك من أموالهم إكراما له. وتوفي بمراكش سنة 617 أو 618 هـ (1).

## كُتاب ابن الخَلوف الغرناطي بمراكش

صاحبه هو أبو محمد عبد المنعم بن يحيى بن خلف بن النفيس الغرناطي، ويعرف بابن الخَلوف. إمام مقرئ، سكن الجزيرة الخضراء ثم مراكش ثم الإسكندرية.

1 - أنظر الذيل والتكملة السفر الخامس: القسم الأول: 399-402 ترجمة 674 .



«تلا بالسبع على أبيه وأبي الحسن علي بن ثابت وابن شريح قرأ عليه بحرف نافع، وقرأ أيضا بالسبع على أبي الحسن بن هُذيل وأبي القاسم بن الفرس، وروى عنهم، وكان عارفا بالقراءات، ذاكرا لها، ذا حظ من العربية، وطرف صالح من رواية الحديث.

خرج من وطنه في الفتنة (1)، ونزل مراكش، وأكتب بها القرآن مدة، ثم رحل إلى المشرق، فحج وتجوّل فيه، وتوفي في ربيع الأول سنة 586 هـ (2).

## كتاب أبي محمد بن علوش بمراكش

أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي يعرف بابن علّوش.

قال ابن الجزري: « نزيل مراكش، مقرئ محقق مجود كامل، أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح، مات قبل الستمائة» (3).

وقال ابن الأبار: «أخذ القراءات عن أبي الحسن شريح بن محمد، واستأدبه المنصور أبو يوسف لبنيه بمراكش فانتفعوا بتعليمه، لتجويده وإتقانه، ومعرفته بالقراءات وطرقها، ومشاركته في العربية والآداب، وكان مهيبا في تأديبه، مشددا على تلاميذه» (4).

**ومن أصحاب الكتاتيب بمراكش والمكتبين بها والمؤدبين؟**

✓ أبو محمد بن حوط الله الحارثي الأندلسي:

استأدبه المنصور لبنيه بعد إقرائه القرآن والعربية بقرطبة قديما، فحظي لديه، ونال من جهتهم وجاهة متصلة ودنيا عريضة، توفي سنة 612 هـ (5).

---

1 - يعني بالفتنة: الفترة الانتقالية بين سقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحدين.

2 - الذيل والتكملة السفر الخامس القسم 65/64/1 ترجمة 132 وغاية النهاية 471-472 ترجمة: 1989 .

3 - غاية النهاية: 408/1 ترجمة 1736 .

4 - التكملة: 874/2 ترجمة 2085 .

5 - التكملة: 883/2-885 ترجمة 2099 والاعلام للمراكشي: 158/4-159 ترجمة 531 وانظر بعض أخباره في رحلة ابن رشيد (ملء العيبة: 125/2-126)

وميمون بن أحمد بن محمد القيسي القلعي نسبة إلى قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط.

نزل قرطبة وسكنها مدة إلى أن تغلبت عليها الروم، فاستوطن مراكش وأكتب القرآن طويلا بقرطبة ومراكش، توفي سنة 653 هـ (1).

✓ وعتيق بن محمد أبو بكر الردائي شيخ الإقراء بقلعة بني حماد من أرض المغرب الأوسط.

رحل ودخل دمشق فقرأها بها على أبي علي الأهوازي، وقرأ بمصر عى أبي العباس بن نفيس، واستوطن مراكش زمانا باستدعاء السلطان، ثم رجع إلى إفريقية، وعمرّ دهرا، ومات بها سنة 491 هـ (2) وسيأتي ذكر طائفة من تلامذته من المتصدرين بفاس.

✓ ومحمد بن أحمد بن محمد اللخمي أبو عبد اله بن اللّحام التلمساني.

ولد بتلمسان سنة 558 هـ. قرأ السبع على أبي العباس الأعرج، وأخذ العلم بفاس عن أبي الحجاج بن عبد الصمد، وأبي القاسم بن يوسف بن زانيف واختص بصحبة أبي زيد الفازازي.

استقدمه المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المومن إلى مراكش، فاستوطنها وحظي عنده. وعند ملوكها الناصر والمستنصر، وتوفي بمراكش عام 614 هـ (3).

---

1 - الذيل والتكملة: السفر الثامن القسم: 387/2 ترجمة 181 .

2- غاية النهاية: 1/500-501 ترجمة 2080 ومعجم أعلام الجزائر لعادل نويهض: 109 والموسوعة المغربية لعبد العزيز ابن عبد الله: 47/2 .

3 -تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي: 361/2 .



✓ وعتيق بن محمد بن علي الغساني البلنسي الجنان، ويلقب بأبريل لطوله.

تلا على أبي بكر بن محمد بن وضاح وجماعة ذكرهم ابن عبد الملك وقال:

«وكان مقرئا عارفا بالقراءات، حسن القيام عليها، متقنا في الأداء.

دخل مراكش وأغمات وريكة وأقرأ بهما وبغيرهما، واستقر أخيرا بغرناطة إلى أن توفي بها في حدود السبعين وستمائة... وترك زوجا أخذت عنه القرآن بالسبع وأتقنتها» (1).

## محضرة أبي العباس بن مضاء النحوي بتين ملل بالأطلس الكبير

هذه المحضرة في معقل دعوة الموحدين بالأطلس الكبير، حيث مدفن المهدي بن تومرت مؤسس دولتهم وداعيتهم (ت 524 هـ).

وصاحب المحضرة أحد كبار النحويين الأندلسيين المشهورين بمخالفة النحاة في نظرية العامل المشهورة، وهو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعيد بن حريث المعروف بابن مضاء اللخمي النحوي القرطبي المقرئ أبو جعفر وأبو العباس قاضي الجماعة بمراكش في حقبة من حياته.

تلا بقراءة الحرميين على أبي الحسن شريح، كما تلا بالسبع على أبي القاسم عبد الرحمن بن رضا، وتلا بحرف نافع على أبي الحسن عبد

---

1 - الذيل والتكملة: السفر الخامس: القسم الأول: 130 ترجمة 250 .



الجليل بن عبد العزيز من أصحاب شريح الرعيني وله شيوخ كثيرون ذكرهم ابن عبد الملك في ترجمته، وقال:

«وكان مقرئا مجودا مكثرا، قديم السماع، واسع الرواية عاليها.. فكان أحد من خُتمت به المائة السادسة من أفراد العلماء وأكابرهم.

وقد ألف كتابا مشهورا في الرد على النحويين سماه «تنزيه القرآن **عما لا يليق بالبيان» (1). وكان صاحب آراء خاصة في العربية والنحو.**

**دخل المغرب في شبابه من قرطبة. قال ابن عبد الملك:**

ولحق بجبل تين مليل، فاستقر بها مدرّسا للعلم، ناشرا ما لديه من المعارف، وذلك في عشر الأربعين وخمسمائة، ودولة عبد المؤمن وطائفته حينئذ في إقبالها ورونقها وجدّتها، فأخذ عنه هناك أهل ذلك الموضع وغيرهم. وأقرأ أبناء عبد المؤمن مدة، وانتُفع به حتى اشتهر وعُلم مقداره وفضله، وعُرف منصبُه وعظمُ صيتُه، وتعرَّف مكانه من العلم وجلالته أبو يعقوب بن عبد المؤمن، وتقرر لديه ما هو عليه من التفنن في المعارف، وحسن المشاركة في العلوم على تفاريقها، فاستدعاه واستدناه، ونوَّه به ما شاء وأحظاه، وقد ولي قضاء الجماعة بمراكش في عهده، ولم يزل قاضيا إلى أن مات أبو يعقوب وصدرا من خلافة أبي يوسف يعقوب المنصور رحمه الله».

وقد سمي ابن عبد الملك عددا وفيرا من الرواة عنه، وذكر تنقلاته في المغرب والأندلس إلى أن كانت وفاته بإشبيلية سنة 592 هـ (2).

---

1 - طبع الكتاب منذ مدة بالمغرب في جزء صغير. ولأبي الحسن بن خروف ردّ عليه سماه «تنزيه أئمة النحو عما نسب إليهم من الخطإ والسهو». أنظر في ذلك الذيل والتكملة: 218/6 وبغية الوعاة 232/1 ترجمة 613 .

2 - أنظر المعجب للمراكشي: 395-396 والذيل والتكملة 218/1/1-222 ترجمة 291 .



# محضرة أبي الحسن البلنسي بمراكش صاحب أرجوزة المنصف:

صاحبها أبو الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي الأندلسي.

قال ابن عبد الملك:

بلنسي سكن بعض بلاد العدوة، أبو الحسن البلنسي، تلا بالسبع على أبي الحسن علي بن لب الشهيد، وكان مقرئا مجودا، متصدرا للإقراء، ذا حظ وافر من العربية والآداب. قال:

وله رجز حسن في هجاء المصحف سماه «المنصف» رفعه إلى الأمير أبي علي الحسن بن عبد المؤمن وقال فيه:

أكملتُه في النصف من شعبانا ** فظهر الفضل به وبانا

عام ثلاثة إلى ستينا ** من بعدها خمس من المئينا

وله رجز في «فصيح ثعلب» وشرحه، ورفعه إلى أبي يعقوب بن عبد المؤمن، وقال قريبا من آخره:

فكمل المنظوم في شعبان ** سنة سبع عدٌّ ذي بيان

من السنين بعدها ستينا ** من بعدها خمسة من المئينا (1)

وتعتبر أرجوزته الأولى أي: «المنصف» من الإنتاج العلمي البكر في هذه الجهات من المغرب، وإن كان ناظمها ينتمي إلى البلاد الأندلسية، لكن المبادرة كانت من طلبة مراكش، فنظم لهم ذلك في أيام قليلة ودعا في طالعة أرجوزته لعبد المؤمن وأولاده (2) وقد سدت هذه الأرجوزة حاجة ماسة

---

1 - الذيل والتكملة: السفر الخامس: القسم الأول 724 .

2 - أنظر الأستاذ محمد المنوني في كتابه: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 46



كانت حتى ذلك العهد قائمة، إذ لم تكن بين أيدي طلبة القرآن منظومة في الرسم تجمع مسائله؛ وكانت هذه الأرجوزة سابقة في الزمن على كل ما نظم بعدها مثل «عقيلة أتراب القصائد» للإمام الشاطبي (ت 590 هـ) وأرجوزة مورد الظمآن في رسم القرآن» لأبي عبد الله الشريشي الخراز (ت 718 هـ) ومما زادها أهمية أنه زاد فيها على ما تضمنه كتاب المقنع في رسم المصاحف لأبي عمرو الداني فنص على مواضع في الرسم لم ينص عليها. وقد اعتمدها الخراز في المورد. وأشار إليها في أوله حيث يقول:

وربما ذكرت بعض أحرف ** مما تضمن كتاب «المنصف»

لأن ما نقله مروي ** عن ابن لُب، وهو القيسي

وشيخه مؤتمن جليل ** وهو الذي ضمن إذ يقول:

حدثني عن شيخه المَغَامِي ** ذي العلم بالتنزيل والأحكام

وقد ذكر شراح المورد للخراز أنه يشير بقوله هذا في المورد إلى قول صاحب المنصف أبي الحسن البلنسي فيه:

إذ كنتُ قد أخذته رواية ** عن ابن لُب من ذوي الدراية

وكان شيخا خص بالإتقان ** في عصره من أهل هذا الشأن

حدثني عن شيخه المغامي ** ذي العلم بالتنزيل والأحكام

وكل ما ذكرته فعنه ** أخذته فيما استفدت منه (1)

وقد أشار شيخ الجماعة أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي (ت 1082 هـ) إلى ما انفرد به عن المقنع فقال:

وانفرد المنصف بالأسباب ** شعائر الغمام والأعناب

كاذبة عداوة يستأخرون ** أعناقهم بصاحب يضاهون

---

1 - الأبيات في عامة شروح الظمآن في أولها. وانظرها في دليل الحيران للمارغني: 27 .

وخــالق كــادت والأدبار العظام ** حُسبانا إحسانا رضاعة ولام (1)

وتعتبر أرجوزة «المنصف» مفقودة إلى اليوم على رغم شهرتها، وقد طلبتها طويلا فلم أظفر بها، وجمعت من أبياتها في الشروح وكتب الرسم أربعين بيتا أثبتّها في كتابي عن «قراءة الإمام نافع عند المغاربة» ويمكن الرجوع إليها فيه (2).

## محضرة مسجد ابن الأبكم بمراكش وأبو موسى الجزولي

هذه المحضرة محضرة كانت مشهورة بمراكش، أقرأ بها جماعة، منهم:

أحمد بن محمد بن خلف البكري البطليوسي أبو العباس ابن العارض نزيل مراكش قال ابن عبد الملك:

روى عنه شيخنا أبو إسحاق بن أحمد القشّاش، وكان مقرئا مجودا مفسرا نحويا متكلما مفتيا، في معارف غير ذلك، حسَن الخط، كثير النسخ والتقييد، صالحا فاضلا.

أكتب بمراكش ب(المكتب) لصق (مسجد ابن الأبكم) بمحلة الشرقيين أسفل ممر باب أغمات، وتوفي في حدود العشرين وستمائة (3).

✓ ومن أعلام هذه المحضرة: النحوي المقرئ الشهير صاحب الكراسة في علم النحو: أبو موسى الجزولي، وهو عيسى بن عبد العزيز بن يلّلبَخْت الجزولي ثم المراكشي السوسي.

1 - ذكرها تلميذه مسعود جموع في كتابه منهاج رسم القران في شرح مورد الظمان (محظوظ).

2- انظر قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 6/724-729 .

3 - الذيل والتكملة: السفر الأول: القسم 2/422 ترجمة 616 .



حج أبو موسى، ودرس النحو على أبي محمد بن بري النحوي بمصر وقرأ عليه تاج اللغة ومصباح العربية لأبي نصر الجوهري، وهو أول من أدخله المغرب.

وأقام بالجزائر، مدة وأخذ عنه بها، ودخل الأندلس فنزل المَرية وأكتب بها زمانا، ثم نزل مراكش وانتصب بها لتدريس العربية، وكان تدريسه أولا بباب دكالة في مسجد به، وهناك لقيه النحوي الأندلسي الشهير أبو علي الشلُوبين الوارد من إشبيلية وحضر حلقة تدريسه للمبتدئين فعلم أنه لا يقوم له جاه في بلد فيه مثله فرجع إلى الأندلس (1). قال ابن عبد الملك:

وكان كبير النحاة غير مدافع، جيد التلاوة، حسن الإلقاء، حافظا للغة، ضابطا لما يقيده، حسن الخط المشرقي، وافر الحظ من الفقه، بارعا في أصوله، متعلقا بطرف صالح من رواية الحديث، مع الورع والزهد والصلاح والانقباض عن مخالطة الناس ثم ذكر تدريسه في المسجد المذكور وقال:

«ولما شاع ذكر أبي موسى واشتهر أمره وعُرف قدره، تكاثر طلبة العلم عليه، وانثالوا من كل حَدَب إليه، حتى ضاق عنهم ذلك المسجد الذي كان يدرس فيه، فانتقل إلى مسجد ابن الأبكم شمالي محلّه الشرقيين أسفل ممر باب أغمات الأعظم إلى جهة العوادين (2).

وترجم له الحافظ ابن الجزري في طبقات القراء، ونقل عن ابن خلكان قوله: كان إماما في القراءات، وذكر بعض أصحابه أن رجلا جاء ليقرأ عليه رواية أبي عمرو (يعني البصري) فقال له بعض الحاضرين:

---

1 - أنظر الذيل والتكملة السفر الثامن: القسم الأول: 246-249 ترجمة 43 .

2 - سألت عن هذه الأسماء فلم يعد من يعرفها اليوم، غير أن الممر فيها هو الموجود إلى اليوم داخل السور، ويصل ما بين بابي أغمات وأيلان حيث مدفن القاضي عياض والمسجد المنسوب إليه.

وأما ابن الأبكم الذي ينسب المسجد إليه فلعله المترجم في الذيل والتكملة القسم الثاني من السفر الأول: 527-528 ترجمة رقم 781 وهو أحمد بن محمد بن يحيى الأنصاري المالقي أبو جعفر بن يحيى وابن الأبكم، وكان فقيها حافظا عاقداً للشروط مبرزا في معرفتها.. واستقضي بمالقة، وتوفي سنة 636 هـ

أتريد أن تقرأ النحو على الشيخ؟ فقال: لا فأنشد الشيخ:

لسْتُ للنحـو جـئـتكم ** لا ولا فـيـه أرْغَبُ
خلِّ زيداً لشـأنـه ** أينمـا شـاء يذهبُ
أنا مالي ولا مـريء ** أبد الدَّهْر يُضْـرَبُ؟ (1)

قال ابن عبد الملك:

ولما نُمِيَ إلى المنصور من بني عبد المومن خبرهُ، وقرر عنده ما هو عليه من الدين والزهد والورع والتقشف والاعراض عن الدنيا والانقطاع إلى نشر العلم، والبعد عن التعرض لأهل الجاه من الأمراء والولاة، وكان دأب عبد المؤمن وبنيه التنقير عمن هذه حالُه، والكشف عن باطن أمره، متخوفين ثورته والخروج عليهم، فأمر كبير وزرائه أبا زيد بن يوجان ونقيب طلبة العلم حينئذ أبا القاسم بن أبي محمد المالقي، فأمرهما بالتوجه إليه، وإحضاره بين يديه. قال: فلم يزل الوزير يتلطف به حتى أجاب إلى ما دعي إليه على كره منه، وتوجه معهما.. فقربه المنصور وأدناه ولاطفه في المكالمة حتى آنسه، وأمره بنزع ما عليه من الثياب ولبس كسوة كاملة قد أُعِدَّتْ له، فامتثل للأمر عملا على إشارة أبي القاسم، ثم صرفه مكرَّما منوَّهاً به، وأصحبَهُ النقيب أبا القاسم ابن المالقي مؤنسا إياه».

ثم ذكر أن المنصور وهب له داراً بباب الرب بمحلَّه هَرْغة، فدخلا إليها فوجداها مشتملة على جميع ما يحتاج إليه طالب العلم المتمدن، من كتب للعلم منوعة الفنون، وعبيد وإماءٍ وبُسُط وفرْشُ ومعلَّقات ومواعين وأثاث وخرثي وأطعمة على اختلافها وتوابل ووَقود وفخار وغير ذلك.. ولم يزل المنصور بعد ذلك شديد العناية بأبي موسى، راعيا له، مُفيضا عوارفه

1 -غاية النهاية: 616/1-617 ترجمة 2493 .



عليه.. وقدّمه إلى الخطبة في جامعه الأعظم المتصل بقصره حين أتم بناءه، فكان أول خطيب به (1)، ثم ذكر أنه لما حضرت المنصور الوفاة عهد أن يتولى غسله أبو موسى تبركا به، فكان كذلك» (2).

ثم ذكر له قصة مع العالم الحاحي أبي سعيد يخلفتين بن تنفليشت ابن إبراهيم المترازي البوغاغي مؤلف أقدم موسوعة في العلوم الإسلامية، وهي التي أطلق عليها اسم «منار العلم» وقال عنها ابن عبد الملك: «كان ... قد صنف كتابا جمع فيه فنون العلم على تفاريقها حسبما انتهى إليه إدراكه واقتضاه تحصيله، وسمّاه «منار العلم» (3).

قال ابن عبد الملك: ولم يزل أبو موسى بعد وفاة المنصور حِظيا عند ابنه الناصر مكرَّما لديه، يستصحبه في أسفاره، ويتبرك بلقائه، إلى أن وجهه رسولا ومصلحا في قضية بين بعض صنهاجة الساكنين بأزمور، فتوفي هناك ليلة السبت الثالثة عشرة من شعبان سنة 607 هـ (4).

# محضرة أبي عبد الله الصفار التينملي بمراكش وفاس

يعتبر الإمام أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد التينملي الشهير بالصفار (ت 762 هـ) أحد أزكى الثمار اليانعة التي انتجتها المحضرة المغربية بمراكش وجهاتها.

---

1 – يعني جامع الكتبيين المعروف حتى الآن بالصومعة الشهيرة التي جعلها عليه. .

2 – الذيل والتكملة: السفر الثامن: القسم الأول 250-251 ترجمة 43.

3 – ذكره له الرحالة العبدري ونقل عنه في صدر رحلته: ص 7 قوله عن الشيخ الصالح أبي حفص عمر بن هارون أنه كان يدخل عليه في الدرس فيقول: تهنيكم عبادة القلوب والألسن والأيدي والأعين، يعني العلم. قال: وهذا كلام من أيِّد بالتوفيق: وأمدّ بالتحقيق».

4 – الذيل والتكملة: السفر الثامن: القسم الأول: 246-253 ترجمة 43 هـ وانظر كتاب أبو موسى الجزولي عرض لحياته العلمية ومنهجه في البحث للباحث أحمد الزواوي –مطبعة موناستير– المحمدية – المغرب

ينتمي الصفار إلى مصمودة وقاعدة بلادها «تينملل» مقر ومدفن مهدي الموحدين بالأطلس الكبير في الجنوب الشرقي من مراكش وعلى مسافة 100 كلم منها.

والمعلومات عنه في المصادر عزيزة، ولكننا مع ذلك استطعنا تجميع قدر لا بأس به من الإشارات المفيدة في كتب التاريخ وفهارس العلماء، ومن خلالها تعرفنا على رجال مشيخته وهم:

1 - أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي العلامة المحدث المسند المشارك في كثير من العلوم والآداب، وصاحب الرحلة الحجازية الشهيرة باسم «ملء» العيبة بما جمع بطول الغيبة من الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة» وهي في سبعة أسفار (1).

وكان ابن رشيد قد تصدر في سبتة للإفادة بما عنده من روايات، ثم انتقل إلى غرناطة فنزل في كَنَف الوزير ابن الحكيم رفيقه في رحلته، إلى أن اضطربت الأحوال وقتل الوزير، فرحل من غرناطة، قال المقّري: «ولم يزل مقيما بحضرة غرناطة منتصبا للإقراء، ومركزا لدائرة القراء، إلى أن قتل الوزير أبو عبد الله بن الحكيم (ت 703 هـ) فرحل من غرناطة، ولحق بحضرة فاس تحت عناية، وفي كنف رعاية، وجَعل له الأمر السلْطاني الاختيار حيث اختار، أو الاستقرار، فاختار التحول إلى مراكش إذ كان قبل سكنها واستحسنها، فورد عليها ورود الإقامة، ونزل بها نزول البر والكرامة، وقدم للصلاة والخطبة بجامعها العتيق (2). وأقام بها سنين يبث العلم، ليس له شغل غير التدريس

---

1 -طبع منها الثاني والثالث والخامس بتحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة التونسي، والسادس والسابع تحت الطبع بتحقيق كاتبه عبد الهادي حميتو، والأول والرابع مفقودان، والمخطوطة الوحيدة التي جرى عليها التحقيق هي المحفوظة بمكتبة الاسكوريال بمدريد بإسبانيا.

2 - هو جامع علي بن يوسف اللمتوني المعروف إلى اليوم قرب سوق الطالعة بمراكش.



والتحقيق، ثم إن السلطان استدعاه منها بعد مدة إلى حضرة فاس، فانتقل إليها انتقال الإيثار والإيناس (1).

## إمامته وآثار محضرته:

وقد أشار العلامة ابن خلدون إلى أخذ أبي عبد الله الصفار عنه فقال: «أخذ عن مشيخة المغرب وكبيرهم شيخ المحدثين الرحلة محمد بن رشيد الفهري مسند أهل المغرب» (2).

وأشار هو نفسه إلى أخذه عنه لفن التجويد، وذلك في قوله في كتاب «الجمان النضيد» عند ذكر الراء وما فيها من صفة التكرير: «ولهذا كان شيخنا الأجل الراوية المكثر الخطيب الحاج المجاهد أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي -نضر الله تعالى وجهه- يأمرنا بالمبالغة في تشديد ما كان منها مشددا، فيقول -رحمه الله: شدد الراء وبالغْ في تشديدها ليخفى تكريرها، ويتقدمنا إلى ذلك، ويأثر ذلك عن بعض شيوخه (3).

وحدث عنه بأسانيد القراءة فقال في كتابه «الزهر اليانع في قراءة نافع»:

و«أما شيخنا أبو عبد الله بن رشيد -نضر الله وجهه- فحدثني بها مناولة من يده إلى يدي عن قاضي القضاة المحدث الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن حسن بن محمد الغماز الخزرجي البلنسي نزيل تونس قراءة عليه، عن

---

1 -ازهار الرياض للمقّري: 355/2-256 .

2 – تاريخ ابن خلدون: 700/7 وفيه: «سيد أهل مراكش»

3 – نقله ابن القاضي في باب المخارج والصفات من الفجر الساطع (مخطوط).

الشيخ الصالح الفاضل أبي الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن سلمون البلنسي سماعا عن ابن هذيل سماعا، عن أبي داود، عن الحافظ أبي عمرو الداني (1).

2 - أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد القرطبي نزيل فاس وشيخ الجماعة بها (ت 730 هـ).

وهو أهم شيوخه في القراءات وتحقيق الروايات، ولا سيما في العشر الصغير، أي: الطرق النافعية، ولذلك بدأ به أسانيده في كتاب الزهر اليانع وفصل في ذكر شيوخه تفصيلا كثيرا.

3 - أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الوادي آشي صاحب البرنامج المشهور (2).

قال في أسانيده في الزهر اليانع: وبعد تصنيفي لهذا الكتاب حدثني بها سماعا من لفظه مجاور الحرمين أبو عبد الله محمد بن جابر.. عن أبي العباس أحمد بن محمد بن الغماز (3).

4 - أبو التقي صالح بن علي الأموي نزيل مدينة آسفي.

قال في إسناد روايتي ورش وقالون في أول الزهر اليانع:

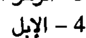
«وأما التلاوة المتصلة بالحافظ الداني فأعلى من أخذتها عنه سنا وإسنادا أيضا: الشيخان الجيلان:

✓ المفسر الأصلي الفقيه النحوي المحسن المعمر، القدوة الشهير، الصدر الكبير، أول من مثلث بين أيديهم بعد إعمال العيس (4) إليه:

1 -الزهر اليانع: مخطوطة القرويين رقم 1039 .

2 - برنامج الوادي آشي مطبوع بدار الغرب الإسلامي بتحقيق محمد محفوظ.

3 -الزهر اليانع (مخطوطة القرويين بفاس)



4 - الإبل

أبو التقى صالح بن بن علي بن محرز بن مفرج الأموي نزيل أسفي رحمه الله وحرسها.

وشيخنا أبو الحسن بن سليمان المذكور أمتع الله الإسلام ببقائه، ومن علي تارة أخرى بلقائه (1).

ثم قال في رفع سند أبي التقى صالح:

أما شيخنا أبو التقى فتلوت بها القرآن كله عليه، وحدثني بها عن معتمده في الإتقان، وحيد عصره أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الله الكتامي التلمساني الضرير نزيل سبتة عرف بابن الخضار (2). رحل من بلده –فتحه الله– إلى سبتة –حرسها الله– وقرأ عليه بها، وحدثه عن الأستاذ الجليل أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم التلمساني (3) تلاوة بها، عن أبي نصر فتح بن يحيى بن حزب الله الأنصاري التلمساني نزيل فاس (4) عن أبي الحسن بن هذيل (5) وأبي الحسن علي بن عبد الله ابن خلف بن النعمة القيسي وأبي محمد قاسم بن محمد الزقاق (6)... ثم رفع الأسانيد إلى الحافظ أبي عمرو الداني، ثم رفع أسانيده إلى نافع بن أبي نعيم المدني، ثم أسانيد نافع بالقراءة إلى رسول الله –ﷺ–.

5 – أبو عمران موسى بن محمد بن موسى بن أحمد الصلحي المرسي الشهير بابن حدادة أحد كبار المحققين في أصول الروايات، وهو

---

1 – مقدمة الزهر اليانع. وهذا يدل على أنه الف كتاب الزهر اليانع قبل موت شيخه أبي الحسن علي بن سليمان سنة 730 هـ.

2 – هذا مثال من أمثلة اتصال هذه المحاضر ببعضها، واشتراكها في أصول الرواية عن الأئمة الكبار. انظر الحديث عن محضرة ابن الخضار بسبتة في الفصل الماضي.

3 – انظر ترجمته وأخذ ابن الخضار عنه في غاية النهاية 551/1 ترجمة 2252 .

4 – سيأتي ذكر محضرته بفاس في الفصل التالي.

5 – هو علي بن محمد بن هذيل ربيب أبي داود وأكبر تلاميذه يروي عنه عن أبي عمرو الداني

6 – يعرف أيضا بابن الطويل، تقدم في أصحاب المحاضر بسبتة في الفصل الماضي.

من كبار أصحاب أبي عبد الله بن القصاب صاحب المحضرة بفاس (1). وأصحاب أبي الحسن بن سليمان القرطبي شيخ الجماعة بفاس، ومن شيوخ أبي عبد الله بن عمر صاحب المحضرة الآتية بدرب اللبن بفاس.

وقد أسند الصفار من طريقه عن ابن القصاب في كتاب الزهر اليانع في قسم الأسانيد. ونقل عنه في أثنائه تحقيقات مهمة.

ومنها قوله في باب المد متحدثا عن ما تغير همزه بالتسهيل ومقدار مده فذكر مذهب أبي عمرو الداني ثم قال: «وهو وغيره من الأئمة يقول إنه دون ألفين، والذي قرأت به في ذلك عدم الزيادة، إذ به يكون التوسيط فتأمله. وقد نبه شيخنا أبو الحسن (2) - رضي الله عنه- على هذا الاعتراض، لكن لم يبسطه كبسطنا إياه اعتمادا منه على فهم الطالب. قال الصفار:

وقد ذاكرت في ذلك شيخنا أبا عمران بن حدادة قبيل مرضه الذي مات منه -رحمه الله- ملتمسا للحافظ حوابا، فلم يجده، وأقرّ الاعتراض واستنبله». ثم قال في ذكر الخلاف عن قالون في مد المنفصل:

قال الأستاذ أبو عبد الله بن علي شهر بابن القصاب، فيما حدثني شيخنا أبو عمران بن حدادة -رحمه الله- إجازة عنه قراءة:

وزيادة قالون أنقص في المنفصل منها في المتصل..

1 - سياتي في الفصل الموالي.

2 - هو علي بن سليمان شيخ الجماعة بفاس.

3 - انظر ترجمته وأخذ بن الخضار عنه في غاية النهاية 551/1 ترجمة 2252 .



قال الصفار: ولما قاله وُجَيْه – بالتصغير– ولم أر هذا التفصيل لغيره.

وقد أغنى الصفار محضرته بكراريس ألفها ونظمها صارت بعده من مواد المحاضر التي يُعَتَنَى بحفظها وروايتها، ومنها:

1 – قصيدته في العشر الصغير أي الروايات الأربع المشهورة عن نافع من طرقها العشر التي جمعها أبو عمرو الداني في كتاب «التعريف» فنظمها الصفار في قصيدة لامية من الطويل وسماها... تحفة الأليف في نظم التعريف، وتقع في 196 بيتا حققت متنها ونشرتها في كتابي عن قراءة نافع (1).

2 – الزهر اليانع في مقرإ الإمام نافع، وهو أنفس كتبه (2) وقد رواه الإمام ابن غازي من طريق أبي عبد الله القيسي الضرير شيخ الجماعة بفاس (ت 810 هـ) عن المؤلف (3).

3 – إسفار الفجر الطالع في اختصار الزهر اليانع للمؤلف نفسه (4).

4 – الجمان النضيد في معرفة الإتقان والتجويد (5).

5 – القانون الكلي في المقرإ السني، وهو في قراءة نافع وطرقها العشر (6).

6 – تخريج الخلاف بين أبي نشيط والحلواني عن قالون (7).

7 – جواب الخل الأود، في كيفية أداء المد (8).

---

1 – أنظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 367/253 .

2 – يوجد في مخطوطة مبتورة الأول والآخر بخزانة القرويين بفاس تحت رقم 1039 .

3 – فهرسة ابن غازي: 100 وهو من مرويات أبي زكريا السراج في فهرسته المخطوطة.

4 – نفسه: 100 وفهرسة السراج.

5 – نفسه: 100 وفي باب المخارج والصفات من الفجر الساطع لابن القاضي نقول ضافية عنه.

6 – رواه أبو زكريا السراج في فهرسته ومن طريقه عن حفيده ابن غازي في فهرسته: 100 .

7 – فهرسة السراج – فهرسة ابن غازي: 100 .

8 – ينتقل عنه أبو الفضل ابن المجراد في إيضاح الأسرار والبدائع على الدرر اللوامع وابن القاضي في الفجر الساطع

8 – ذكر مخارج الحروف وصفاتها (1).

وقد طارت للإمام الصفار شهرة لا نظير لها في مراكش وفاس، لا سيما بعد موت شيوخه، ولذلك رحل إليه الطلبة من الآفاق، إلى أن نقله السلطان أبو عنان إلى فاس، وذكر ابن خلدون أنه لما قدم على السلطان بفاس عام 755 هـ كان في جملته يومئذ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار من أهل مراكش وإمام القراء لوقته.. وكان يعارض السلطان القرآن برواياته السبع إلى أن توفي (2).

وقال صاحب نيل الإبتهاج: أحضره أبو عنان عنده أخيرا، فكان يعارضه القرآن، وهو الذي غسل السلطان لما مات (3).

ولقد اتفق المترجمون له على أستاذيته في الفن، وعبروا عن ذلك بعبارات متقاربة فقال ابن خلدون: «الأستاذ وإمام القراء لوقته» (4).

وقال فيه أبو زكريا السراج: « الأستاذ المقرئ الماهر» (5).

ووصفه ابن قنفذ في شرف الطالب فحلاه بـ«الشيخ الشهير الأستاذ البليغ في القراءات» (6).

وقال الونشريسي في وفياته: «الأستاذ البليغ في علم العربية» (7).

ووصف في ديباجة قصيدته التحفة بالشيخ الأستاذ الخطيب المقرئ النحوي اللغوي المتقن المدرس المحقق. وهذه التحليات لا تكال لمثله جزافا، فآثاره أفصح منها لسانا، وأوفى منها بيانا عن أستاذيته وشفوف قدره.

1 – فهرسة ابن غازي: 100

2 – التعريف بابن خلدون: 60-61 .

3 – نيل الإبتهاج بهامش الديباج لابن فرحون: 254 .

4 – التعريف بابن خلدون: 60-61، وتبعه الكتاني في السلوة: 3/276-277 .

5– فهرسة السراج (مخطوطة).

6 – شرف الطالب: 83 .

7 – الوفيات: 124 .



ويدل على مكانته من التأثير في طلاب محضرته ما نراه من الانبهار بشخصه عند صاحبه أبي عبد الله القيسي الضرير فإنه قد ملأ منظوماته بالثناء عليه والاستدلال بأقواله.

وفي بعض ما وصل إلينا من النقول عنه ما يكشف عن إمامته في محضرته، وقوة أثره في تلامذته، وصلابة مواقفه في إصلاح منطق المتعلمين وتقويم النطق بالحروف والرد على طائفة من أهل الملاحن المتساهلين والمتنطعين، ولا سيما في كتابه الجُمان النضيد.

وطلبا للاختصار سأكتفي بمثال واحد من هذا الكتاب ساقه وهو يتحدث عن مخرج حرف التاء فقال:

«وإذا أتيت بالتاء المهملة من حيز الطاء والدال، فأت بها بين القوة والضعف، وحافظ على همسها، إذ به فارقت الدال والطاء، وإنما وقع التباين بينهن في بعض الصفات كما ذكر، وخلِّصها من الصفير، هذا مما وقع الإتفاق عليه، أعني مواخاتها للطاء والدال في المخرج، وهو طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وخلوها من الصفير، واختصاصه بثلاثة أحرف: الصاد والزاي والسين».

فكيف يصح لدي عقل ودين مخالفة ذلك الاتفاق مع القدرة على الوفاق.

ولقد حدثني من وثقت به أنه قعد عند بعض منتحلي هذه الطريقة، وليس من أهلها -لما يذكر- على الحقيقة، فقرأ عليه قارئ بالتاء من حيّزها الحقيقي الذي نعرفه، فزجره عن ذلك وقال: أي شيء هي؟ تاء، وصار يرددها ويقبّحها بفيه، فنكّت علينا وأرسل عنانه، وردّ القارئ إلى ما



يستعمله عوامّ قَرأةِ أفقنا من اللحن فيها بإحداث الصفير، وأفسد علينا إتقانه، وجعل تواطؤهم على الخطإ ضربا من الإجماع، ورأى مخالفته ولا مخالفة الصحب والأتباع، فرده عن الصواب، فحُرم لذلك جزيل الثواب: وأظهر أن الوجه ما ردّه إليه، واحتج على ذلك بحُجج كلها عليه، فلما لم يثبت له الجليس حجة، زاغ بالكلية عن المحجة، فقال قرأها النبي - ﷺ- يعني بذات الصفير، وتعمد الكذب على البشير النذير، وقد قال - ﷺ- من كذب علي متعمدا. فليعدّ لجنبه مضجعا من النار» (1).

فليت شعري أين غابت عن المنكِّت نصوص العلماء، وتنبيهات الحذاق والفقهاء؟

وقد قال أبو الحسن شريح في «نهاية الإتقان» (2) عند ذكر التاء ما نصه: «فإذا انطقت بها فوفها قسطها من صفاتها جُمَعَ، فإن القرأة قد يغلطون فيها، فتلتبس في ألفاظهم بالسين، لقرب مخرجها منها، فيحدثون رخاوة وصفيرا، وذلك أنهم لا يصعدون بها إلى جهة الحنك، إنما يَنحُون بها إلى جهة الثنايا، وهناك مخرج السين». انتهى.

وقد نبه على ذلك أيضا الفقيه أبو عمران الفاسي فقال في سياق كلام له: «كما تلحن المغاربة في النطق بالتاء».

فأطلق على كافة أهل المغرب اللحن في النطق بها حكما للغالب..

ثم ذكر نقولا ضافية لتعزيز مذهبه عن أبي عمرو الداني من كتاب «التحديد» (3) وعن ابن مجاهد من كتاب السبعة (4) وقال:

---

1 -أنظر الحديث بروايات وألفاظ عديدة في صحيح مسلم: 1/9-10 .

2 - كتاب نهاية الإتقان في تجويد القران لشريح بن محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي (ت 539 هـ) ذكر الدكتور غانم قدوري الحمد في مقدمة تحقيقه لكتاب التمهيد في علم التجويد لابن الجزري: 37 وجود نسخة خطية منه في مكتبة الجمعية الملكية الأسيوية بالبنغال (كلكتا رقم 795).

3 - التحديد في الإتقان والتجويد لأبي عمرو الداني. مطبوع متداول.

4 - أنظر السبعة في القراءات لابن مجاهد في حديثه عن اللحن وأنواعه: 45-46.



«وما ذكره يعمّ الحروف كلها التاء وغيرها، وفيما ذكرناه كفاية ومقنَع لمن وُفّق، وتركَ التعصب ولم يعاند الحق» (1).

وقد نظم ابن المجراد قصيدة في مخرج التاء وصفاتها أشار فيها إلى قول أبي عبد الله الصفار واستدلاله فقال:

فحافظ على الهمس الذي من صفاتها ** وشـدّتها تم انفـتـاح بلا نُكر
كذاك انسفال والتقلقل عند من ** يراه بها فافهم مقالة ذي خُبر
فنص على هذا شريح أبو الحسن ** مع الحافظ الداني الإمام أبي عمرو
وقد بالغ الصفّار في ذاك موضحا ** بنَص جَلي في «الجُمان» وفي «الزُّهر» (2)
فطالع أخي كتب الأئمة إنهم ** أتوا ببديع القول في النظم والنثر (3)

هذه بعض اهتمامات الصفار في محضرته، ونلاحظ أنه قد استطاع أن يحلق بها عاليا في آفاق لا عهد للمدرسة المغربية في مراكش بها، ولذلك وجدناه يحس بهذه المعاناة في مواجهة المعارضين الجهال الذين لا يكاد يخلو منهم زمان.

## خريجو محضرة أبي عبد الله الصفار بمراكش وفاس

من الطريف أن هذا الإمام المقرئ على جلالة قدره وذيوع صيته لم يترجم له الحافظ ابن الجزري في طبقات القراء، كما أن الذين ترجموا له

1 -النص في الفجر الساطع لابن القاضي في شرح الدرر اللوامع عند ذكر حرف التاء من باب المخارج والصفات أخر الكتاب.
2 - يعني كتاب الزهر اليانع.
3 - القطعة في 16 بيتا ذكرها ابن المجراد لنفسه في أيضاح الأسرار والبدائع في قسم المخارج والصفات ونقلها ابن القاضي في الفجر الساطع وأبو العلاء إدريس البكراوي الودغيري في التوضيح والبيان في مقرإ الإمام نافع ابن عبد الرحمن: 46-47 .



كالتمبوكتي في نيل الإبتهاج وابن خلدون في كتاب التعريف بنفسه والكتاني في السلوة والمراكشي في الإعلام والمختار السوسي في سوس العالمة لم يزد كل منهم على سطرين أو ثلاثة، كما أنهم لم يلتفتوا إلى ذكر الذين عرفوا بالرواية عنه.

وقد تتبعت في المصادر والفهارس آثار محضرته فوقفت من خريجيها على الأعلام الآتية:

1 - السلطان أبو عنان المريني فارس بن أبي الحسن علي بن يعقوب ابن عبد الحق (729-759) وقد تقدم القول إنه كان يعارضه القرآن برواياته السبع، وقد سماه أبو الوليد بن الأحمر في جملة حاشية أبي عنان بفاس فقال فيه: الفقيه الأستاذ العارف بالقراءات والتصريف والنحو التينملي المراكشي المعروف بابن الصفار (1).

2- إبراهيم بن عبد الخالق الخزرجي أبو إسحاق السرقسطي الأندلسي.

كان مستقرا بمراكش، وبها قرأ على أبي عبد الله الصفار، وقرأ عليه بها أبو الفضل بن المجراد كما ذكر ذلك في شرح إيضاح الأسرار والبدائع على الدرر اللوامع لابن بري، فقال في باب المد: «حسبما حدثنا عنه بذلك بمدينة مراكش -حرسها الله تعالى- شيخنا الأستاذ الشهير المتفنن أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الخالق الخزرجي السرقسطي أكرمه الله تعالى. وقال في باب الإمالة عند الحديث عن إمالة: «مرضات الله»:

---

1 -مختصر شرح بردة المديح لإسماعيل بن الأحمر اختصار أبي زيد عبد الرحمن الجادري: مخطوطة الخزانة الصبيحية بسلا برقم 210

«وبالوجهين قرأت ذلك على شيخنا أبي إسحاق السرقسطي فيما قرأت عليه، وأخبرني بهما عن الصفار عن ابن سليمان المذكور، وبالفتح خاصة قرأت على غيره».

3 – أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن الشماع الأنصاري المراكشي الأوسي (ت 779 هـ).

وصفه تلميذه أبو زكريا السراج في فهرسته وحلاه بالشيخ الفقيه الخطيب الأستاذ المقرئ النحوي الأصولي المتفنن الأكمل.. كان –رحمه الله– عالما بعلوم جمة، ثم أفاض في ذكر العلوم التي برع فيها وذكر له رحلة إلى سبتة أخذ فيها حرز الأماني للشاطبي وغير ذلك.

وقد أسند الإمام المنتوري في فهرسته كتاب إسفار الفجر الطالع. فقال: للمقرئ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الصفار التينملي، قرأت بعضه على الراوية أبي زكريا يحيى بن أحمد بن السراج، وناولني جميعه في أصل بخط المؤلف، وحدثني به عن الخطيد، المقرئ النحوي أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الشماع الأنصاري عنه» (1).

4 – إسماعيل بن الأحمر الغرناطي ابن الأمير أبي الحجاج يوسف ابن السلطان أبي عبد الله محمد بن فرج بن الأحمر الخزرجي نزيل فاس، ذكره بالرواية عنه الإمام الجادري في اختصاره لشرحه على بردة الإمام البوصيري (2).

---

1 – فهرسة المنتوري: لوحة 19-20 (الخزانة الحسنية بالرباط).

2 – مخطوط بالخزانة الصبيحية بسلا برقم 210 .

5 – عبد الحق بن محمد أبو محمد المطماطي.

ذكره في الآخذين عنه الإمام المنتوري في فهرسته فقال في سياق إسناده لكتاب إسفار الفجر الطالع للصفار: وحدثني به القاضي أبو محمد عبد الحق بن محمد المطماطي كتابة من مراكش عنه» (1).

6 – محمد بن سليمان أبو عبد الله القيسي الضرير شيخ الجماعة في زمنه بفاس ( ت 810 هـ ) . وهو أشهر خريجي محضرته، وأكثرهم حفظا ونشرا لمذاهبه في منظوماته الكثيرة المسماة بالأجوبة المحققة على مسائل متفرقة (2)، غير أن هذا الشيخ لم يلمع نجمه في أفق مكان محضرة أبي عبد الله الصفار في مدينة مراكش، وإنما لمع في مدينة فاس وريثتها التي استأثرت لهذا العهد بالنشاط العلمي والقرائي بوجه عام، واستقطبت إليها جمهور العلماء والقراء، وحسبك أن هذا الإمام نفسه، وهو أبو عبد الله الصفار لم يلبث أن نزح إليها وانضوى إلى حاشية سلطانها حيث سيزاحم بالمناكب بقية العلماء الأعلام في هذا الديوان إلى أن ينتقل إلى مثواه الأخير هنالك رحمه الله سنة 762 هـ.

ومما قال أبو عبد الله محمد بن سليمان القيسي المذكور في شيخه أبي عبد الله الصفار يصف براعته وحسن أدائه وتجويده لكتاب الله:

كان إذا ما حرّك اللسانا ** بالذكر يَشفي ذا الضّنا الحيْرانا (3)

وهو بيت يبدو أنه من قطعة رجزية يمدحه بها لم يصلنا منها غير هذا البيت اليتيم.

---

1 – فهرسة المنتوري: لوحة 19-20 (الخزانة الحسنية بالرباط).

2 – قد أشبعنا هذا بحثا في دراستنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 3/409-480.

3 – نقله الإمام ابن غازي في آخر كتابه إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب: 276



هذا، وإن هذا الإمام، أعني أبا عبد الله الصفار كان من آخر من بقي بهذه المدينة: مدينة مراكش بعد أن تقلص عنها ظل دولة الموحدين، وقلب لها الدهر ظهر المجن، فخف قطينها من العلماء والقراء وانفض سامرها بموت من تأخرت بهم الحياة، فانتقل عنها الملك إلى مدينة فاس، وانتقل إليها بانتقاله مركز الثقل، وأمست مراكش كما قال فيها لسان الدين ابن الخطيب بعد أقل من قرن من الزمان عند وقوفه عليها واعتباره بما صار إليه أمرها:

بلد قد غزاه صرف الليالي ** والذي خرَّ منه بعض جريحُ
وكأن الذي يزور طبيب ** قد تأتّى له بها التشريح
أعجِمت منه أربعٌ ورسوم ** كان قدماً بها اللسان الفصيح
كم معانٍ غابت بتلك المغاني ** وجمال أخفاه ذاك الضريح
وملوك تعبّدوا الدهرَ لما ** أصبح الدهرُ، وهو عبد صريح
دوّخوا نازح البسيطة حتى ** قال ما شاء ذابل وصفيح
حين شبَّت لهم من البأس نار ** ثم هبَّت لهم من النصر ريح
أثرٌ ينْدُب المؤثر لمَّا ** طال بعد الدنوِّ منه النُّزوح
ساكن الدار رُوحها، كيف يبقَى ** جسد بعد ما تولَّى الروح؟ (1)

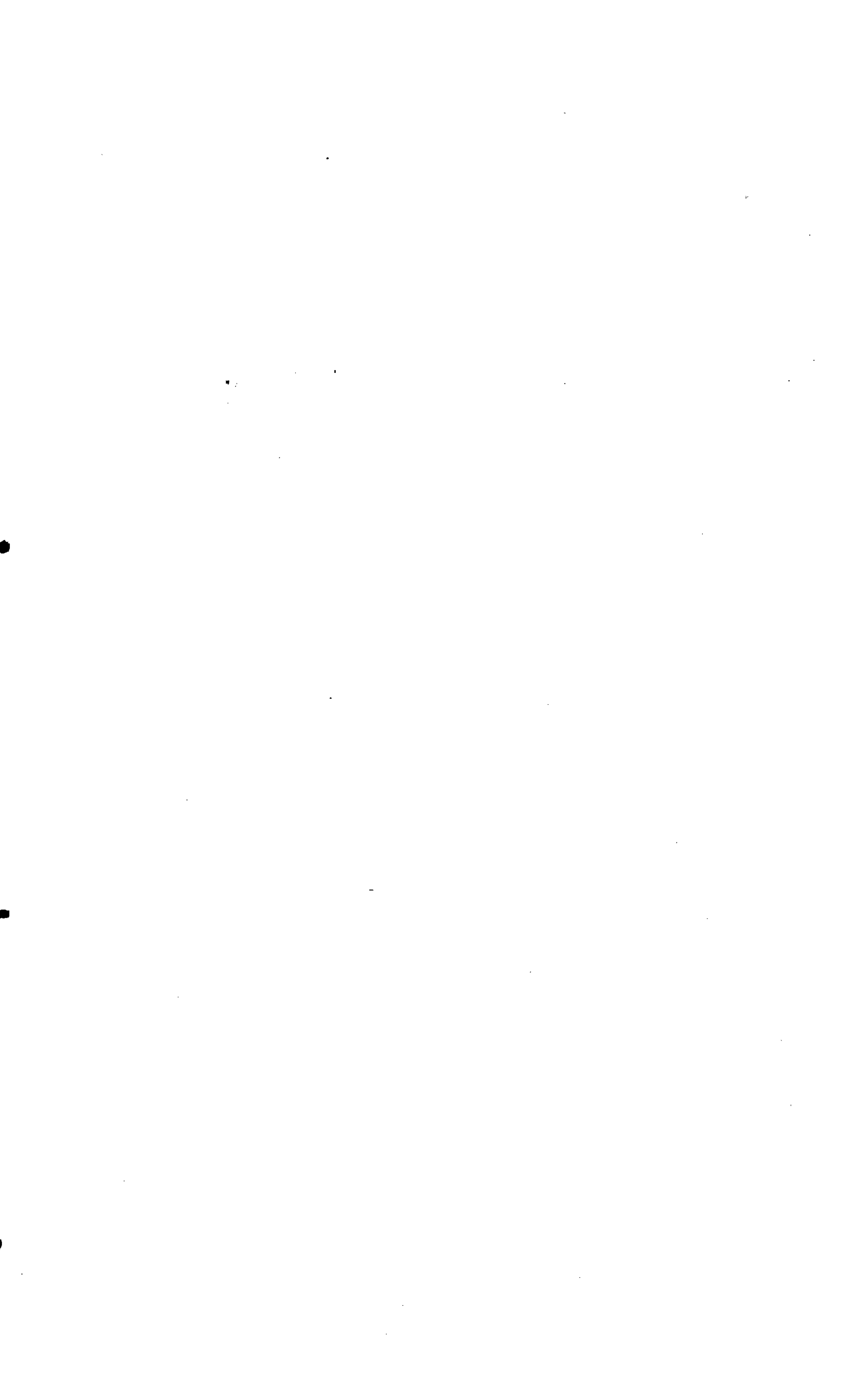
واعتبر بقوله في البيت الأخير (ساكن الدار روحها) فإنه يدل على ما ذكرناه من دروس معالمها في زمنه، وتداعيها للسقوط لذهاب سكانها بانتقال الدولة عنهم كما ذكرناه.

ولانتقال مركز الثقل في حركة الإقراء إلى قاعدة الملك الجديدة على أيدي دولة بني مرين إلى فاس، أرى أن أخص هذه الحركة فيها بنظرة

1 - نفح الطيب للمقري: 9/211-212

موجزة في الفصل التالي أتوقف فيها مع القارئ الكريم عند أهم المحاضر التي عرفتها هذه الحاضرة على عهد الوحدة، ثم في عصر ازدهارها بانتقال حاضرة الدولة إليها في أواخر المائة السابعة بعون الله وتوفيقه...





# الفصل الثالث

## التدرير وأهم المحاضر والمدررين في مدينة فاس وما إليها

لا أعلم حاضرة من حواضر المغرب استطاعت أن تنافس مدينة فاس منذ عهد مؤسسها الأول المولى إدريس الأزهر ابن المولى إدريس الأكبر دفين زرهون ومؤسس أول دولة مغربية مستقلة، في مجال العناية بالعلم والمعرفة، وإقامة المؤسسات الدينية ورعايتها، وقد عرف التاريخ الإسلامي موقع جامعتها التي هي أقدم وأعرق جامعة إسلامية ما تزال تقوم براسلتها العلمية حتى الآن، وهي جامعة القرويين التي قامت نواتها الأولى في جامع القرويين الذي قامت بتأسيسه وبنائه فاطمة الفهرية سنة 245 هـ بعدوة القرويين منها.

ولقد انطلقت الحركة العلمية فيه منذ تأسيسه فكان يستقبل الأفواج بعد الأفواج من أهل المدينة والجهات القريبة والبعيدة طوال التاريخ الإسلامي، لا سيما بعد أن أنشئت المدارس العديدة الفخمة لإيواء طلبته، ووقفت الأوقاف الكثيرة لدعم نشاطه العلمي، وأقيمت الكراسي العلمية الشهيرة لدراسة علوم وفنون معينة فيه كان يجري اختيار فحول العلماء للتدريس فيها، والسهر على تكوين طلبتها.

ولما كانت الدراسة في جامع القرويين إنما يتأهل لها الطالب بعد إنجاز المراحل اللازمة في التعليم الأولي، كان طبيعيا أن يواكب نشاطها نشاط مواز على مستوى التعليم والتأديب والإمامة وما إلى ذلك مما يعتبر التعليم الأولي أقل ما يتطلبه.



ومن هنا يمكن أن ندرك السر في انتشار مكاتب (كتاتيب) التأديب ووجودها في كل درب من دروب المدينة وكل زقاق من أزقتها، بالإضافة إلى قيام المساجد الصغيرة فيها أيضا بهذه المهمة.

ولقد وصف أحد أبنائها، وهو الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي من أهل القرى العاشر الهجري السادس عشر الميلادي هذه الظاهرة العامة التي اعتبرها امتداداً لواقع الكتاب في عاصمة البلاد يومئذ مدينة فاس، يقول الحسن الوزان في كتاب «وصف إفريقيا»: «توجد بفاس مائتا مدرسة لتعليم الأطفال، وهي عبارة عن قاعات واسعة داخلها محاط بالدكاكين لجلوس التلاميذ، والمعلم يعلم القراءة والكتابة على ألواح واسعة، يكتب فيها التلاميذ جزءاً من القرآن في كل يوم، ويسيرون على ذلك، فيختمون القرآن في سنتين أو ثلاث، ويعيدون ختمه مرات عديدة حتى يحفظوه عن ظهر قلب، وأقصى ما يقضون في ذلك سبع سنين، ويتعلمون مع ذلك مبادئ من قواعد الرسم، وهذا الفن يدرس بسائر المدارس العلمية مع النحو، وله نظامه هناك» (1).

تلك هي المواصفات العامة التي كان يجري عليها التأديب في المكاتب والجوامع.

ولكي تكتمل لنا وتتصل حلقات الدرس لتطورات المدرسة التربوية في المغرب كما تتبعناها في كل من سبتة بوابة المغرب الشمالية، ثم في مراكش قاعدة الحكم فيه على عهد الوحدة بين الأقطار المغربية، نقف وقفات أخرى مماثلة مع طائفة من المحاضر الرائدة في مدينة فاس وما إليها لنرى كيف

---

1 - حياة الوزان الفاسي وآثاره تأليف محمد المهدي الحجوي - المطبعة الإقتصادية- الرباط: ص 86-87 وانظر كتاب ورقات عن حضارة المرينيين للأستاذ محمد المنوني: 278 وكتاب جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي.

استمر العطاء المتدفق خلال العصور التاريخية زاخرا بالأعلام الذين قادوا هذه المسيرة الطويلة من خلال محاضرهم وتلامذتهم وإنتاجهم العلمي الرفيع، فكانوا بذلك من أزكى ثمار تلك البذور الأولى التي بذرها المؤدبون الرواد، وواكبها المنظرون بالنظريات والتوجيهات، ورعتها الدول المتعاقبة على سُدّة الحكم بالدعم المادي ومختلف التشجيعات، لا سيما في العاصمة الجديدة للدولة المرينية مدينة فاس، التي ورثت جهود الدول التي تقدمتها وبنت على أساسها.

يقول المؤرخ الأديب عبد الواحد المراكشي في كتاب المعجب منوّها بهذه النقلة التي بدأت معالمها تظهر منذ منتصف المائة السابعة أواخر عهد الدولة الموحدية:

«ومدينة فاس هذه حاضرة المغرب في وقتنا هذا وموضعُ العلم منه، اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة، إذ كانت قرطبة حاضرة الأندلس، كما كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمر القيروان كما ذكرنا بعيث العرب فيها، واضطرب أمر قرطبة باختلاف بني أمية بعد موت أبي عامر محمد بن أبي عامر وابنه، رحل من هذه وهذه من كان فيهما من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارا من الفتنة، فنزل أكثرهم مدينة فاس، فهي اليوم على غاية الحضارة، وأهلها في غاية الكَيْس، ونهاية الظرف، ولغتهم أفصح اللغات في الإقليم، وما زلت أسمع المشايخ يدعونها «بغداد المغرب (1).

ويقول ابن أبي زرع في روض القرطاس:

«ومدينة فاس لم تزل منذ أسست مأوى الغرباء، من دخلها استوطنها، وصلح حاله بها، وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء

---

1 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب: 504-505 .



والشعراء والأطباء وغيرهم، فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية» (1).

ويعيد نحوا من هذه العبارة مع ذكر زمن تأليف الكتاب فيقول: «فلم تزل فاس منذ بنيت إلى يومنا هذا -وهو عام 726 هـ - دار علم وفقه وسنة، والجماعة بها قائمة» (2).

وفي هذا الإطار الزماني والمكاني ستكون لنا وقفات مع مجموعة من الأعلام فيها كان لهم الحظ الأوفر في قيادة التعليم المحضري، وبقي لنا من الإشارات في كتب التراجم ما يساعدنا على تمثل آثارهم، وتتبع بصماتهم الواضحة في تلك الآفاق.

## محضرة ابن معاذ الفلنقي بمسجد الحوراء بفاس

يرجع عهد هذه المحضرة إلى عهد المرابطين، وهي محضرة من المستوى العالي الذي من شأنه أن يستقبل الفئة الرفيعة من الطلبة أهل العرض للقراءة والآخذين بالروايات.

وصاحب المحضرة إمام جليل ينتمي إلى مدرسة أبي عبد الله بن شريح الإشبيلية، إذ قرأ على ولده شريح، بل كان خلفا له في المدرسة من بعده قبل هجرته إلى المغرب.

وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمي المقرئ أبو بكر الإشبيلي المعروف بالفَلَنقي قرأ بإشبيلية وتأدب بها، وأخذ القراءات عن شريح بن محمد بن شريح وخلفه في حلقته، ورحل إلى المغرب، فدخل قلعة

1 - روض القرطاس: 32 .
2 - نفسه: 36-37 .

حماد بالمغرب الأوسط، فقرأ بها على أبي بكر عتيق بن محمد الردائي أحد الأفذاذ الأعلياء السند من أصحاب أبي العباس بن نفيس المصري صاحب الرواية العالية في رواية ورش عن نافع المدني.

قال ابن الأبار: وكان إماما في صناعة الإقراء، عالي الرواية، وله تأليف في القراءات سماه «الإيماء إلى مذاهب السبعة القراء» (1).

قلت: ولعله هو الكتاب المنسوب إليه أيضا باسم «الإشارة في قراءة الأئمة السبعة المختارة» (2) وله أرجوزة في القراءات بعنوان «لؤلؤة القراء» (3) وسماها بعضهم «اللؤلؤة الغراء، في رسم القراء».

قرأ عليه جمهور من أئمة القراء المشهورين، منهم أبو الحسن نجبة صاحب المحضرة الآنفة الذكر بمراكش، ومحمد بن عبيد الله الحجري شيخ مقرئي سبتة ومحدثها، وأبو عبد الله بن الفتّوت الفاسي، وهو آخر أصحابه موتا (4) وعبد الله بن عبيد الله الباجي (5)، وأحمد بن محمد بن يحيى بن أيوب بن شجرة إمام مسجد الأخضر بإشبيلية، وأخذ عنه تأليفه المسمى بالإيماء إلى مذاهب السبعة القراء» (6).

قال ابن الأبار: «وخرج من بلده إشبيلية واستوطن فاس، وتصدر للإقراء بمسجد الحوراء منها، إلى أن توفي بها فيما قال أبو القاسم بن الملجوم (7) في المحرم سنة 553 هـ (8).

---

1 – التكملة لابن الابار: 488/2 ترجمة 1345 .

2 – ذكره ابن القاضي في جذوة الإقتباس: 263/1 .

3 – ذكرها له الإمام المنتوري في شرح الدرر اللوامع: 498-519 .

4 – غاية النهاية لابن الجزري: 242/2 ترجمة 3420 .

5 – التكملة: 891/2 .

6 – نفسه: 105/1 ترجمة 271 .

7 – هو عبد الرحيم بن عيسى بن يوسف من اشهر علماء فاس وذوي البيوتات بها، توفي سنة : 604 هـ. انظر الاقتباس: 415-416 ترجمة 432، وبيوتات فاس الكبرى: 15 ترجمة 6 وكذا صفحة 10-15 .

8 – التكملة: 488/2 ترجمة 1345 وسلوة الأنفاس للكتاني: 267/3 وغاية النهاية: 254/2 ترجمة 3442 .

# محضرة أبي نصر فتح بن محمد بن فتح الأنصاري بفـــاس

قارئ أندلسي مصدر ماهر كثير الشيوخ واسع الرواية، قرأ القراءات بمالقة على منصور بن الخير صاحب شريح، وصحبه سبعة أعوام، وقرأ بالمرية بالسبع أو بعضها على أبي العباس القصبي (1) وبالسبع على أبي الأصبغ عيسى بن حزم من أصحاب شريح أيضا، وأخذ قراءة نافع وأبي عمرو إلا رواية أبي شعيب السوسي عن أبي الأصبغ عبد العزيز بن شفيع، وروى بها عن أبي عبد الله ابن أخت غانم صاحب أبي العباس المهدوي.

وأقرأ القرآن بقرطبة مدة، ثم رحل إلى شلب - من أعمال إشبيلية، وأقرأ بها أيضا، ثم انتقل إلى مدينة فاس بالمغرب، فتصدر بها، وأخذ عنه بها أبو القاسم بن الملجوم المعروف بابن رقية (2) و«أبو محمد عبد الجليل ابن موسى القصري الحافظ صاحب كتاب «شُعب الإيمان وأبو الخليل مفرج بن حسين الضرير من أصحاب نجبة (3) وأبو طالب عقيل بن عطية وأبو عبد الله بن الدراج (4)، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جعونة المغافري الفاسي المقرئ نزيل الإسكندرية (5) أقرأ بفاس إلى أن توفي بها سنة 574 هـ (6).

---

1 - ترجمته في الذيل والتكملة 97/1/1 ترجمة 119 .

2 - هو عبد الرحمن بن يوسف بن الملجوم الفاسي المتوفي سنة 605 هـ - جذوة الإقتباس: 396/2 ترجمة 400 .

3 - انظر التكملة لابن الآبار 723/2-724 ترجمة 1836 .

4 - سيأتي في أصحاب المحاضر عن قريب.

5 - ترجمته في غاية النهاية 218/2 ترجمة 3319 .

6 - غاية النهاية 6/2-7 ترجمة 2548 والذيل والتكملة 532/2/5 ترجمة 1022 وجذوة الاقتباس 511/2 ترجمة 584 .

## محضرة أبي الحسن بن حُنَين بفاس

صاحب المحضرة أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكناني القرطبي يعرف بابن حنين، مقرئ متصدر كامل، ولد بقرطبة سنة 476 ونشأ بها، وأخذ بها القراءات على أبي بكر حازم بن محمد صاحب مكي بن أبي طالب، وعن أبي الحسن العبسي صاحب أبي العباس بن نفيس المصري تلا عليه بالسبع، وعن أبي عبد الله بن فرج مولى الطلاع، وأبي القاسم خلف بن إبراهيم بن الحصار صاحب ابن شريح، وأبي القاسم بن مدير أحد الرواة عن أبي العباس أحمد ولد أبي عمرو الداني الحافظ، وتلا عليه القرآن، وتلا بقرطبة وجيان والمرية وغيرها على شيوخ مذكورين في ترجمته في المصادر، ورحل فحج ثلاث حجج، أولاهن في موسم عام 500 هـ، وأقام بالقدس تسعة أشهر يعلم القرآن.

وروى في وجهته بقلعة حماد عن أبي بكر عتيق بن محمد الردائي، وبالمهدية عن أبي القاسم بن الفحام صاحب التجريد في القراءات السبع وبالأسكندرية عن أبي علي الحسن بن بليمة الهواري صاحب كتاب تلخيص العبارات في القراءات السبع، وأخذ بمصر عن جماعة، وبمكة المكرمة عن أبي علي بن العرجاء الحسن بن عبد الله القيرواني صاحب السند العالي في رواية ورش، وجال في بلاد العراق والحجاز والشام ومصر، ثم قفل إلى المغرب وورد مدينة فاس في غرة رمضان سنة 503 هـ وهو ابن ثمان وعشرين سنة فاستوطنها، واشترى بها دارا وبنى مسجدا، وذلك كله عام قدومه فاس.

قال ابن عبد الملك المراكشي:



روى عنه أبو الحسن بن محمد بن خيار، وابن مؤمن، وأبو الخليل مفرج بن سلمة، وأبو ذر بن أبي ركب، وأبو القاسم بن بقي، وآباء عبد الله الأندرشي وابن حسن بن مجبر وابن عبد الحق التلمساني، وابن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم، وأبو الحسين يحيى بن محمد بن الصائغ، وآباء محمد: ابن محمد بن تمام، وعبد العزيز بن زيدان، وقاسم بن محمد ابن عبد الله القضاعي ابن الطويل، وأبو زكريا التادلي قال:

وكان مقرئا للقرآن العظيم، كثير الأعتناء برواياته، مجودا متقنا فاضلا صالحا، مشهورا بإجابة الدعوة، كريم المجالسة، وأسنّ فكان من آخر الرواة عن بعض هؤلاء الشيوخ.

والتزم الإمامة بمسجده والإقراء فيه ستا وستين سنة، إلى أن توفي – عفا الله عنه– عقب رجب سنة 569 (1).

قلت: لم يدخل أحد المغرب ممن دخل من أئمة القراء بمثل ما دخل به أبو الحسن بن حنين من الروايات والطرق عن أئمة القراءات، كما أن في طول تصدره بفاس للإقراء وتفرغه لذلك ما يدل على بليغ الأثر وكثرة الرواة المتخرجين عليه، لا سيما مع اعتبار علو سنده وتآخر وفاته حتى ألحق الأحفاد بالأجداد.

## محضرة أبي عبد الله بن عَبُّو بفاس

قارئ مغربي واسع الرواية، وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مصالة الفازازي الركلاوي من مكناسة الزيتون، دخل الأندلس وسمع

1 – الذيل والتكملة السفر 5 القسم 150/1-153 ترجمة 310 وصلة الصلة، قسم الغرباء بآخر المجلد 8 القسم 2 من الذيل والتكملة 102-103 ترجمة 208 وغاية النهاية 518/1 ترجمة 2143 وجذوة الاقتباس 480/2 ترجمة 539

بإشبيلية من أبي بكر بن العربي وأبي الحسن شريح بن محمد بن شريح، وروى عنه «الكافي في القراءات السبع» من تأليف والده أبي عبد الله بن شريح، وكان من أهم طرقه المعروفة.

ويكفي في شيوع هذه الطريق عنه وشهرتها إسناد الحافظ ابن الجزري لكتاب الكافي منها في كتاب النشر (1).

قال الحافظ ابن الزبير: جلس للإقراء بفاس بمسجد حارة لواتة (2) وأخذ الناس عنه وتوفي عن عمر طائل (3).

وقال ابن عبد الملك: روى عنه أبو عبد الله بن علي بن هشام شيخنا، وأبو العباس بن فرتون. قال:

وكان شيخا فاضلا معتنيا بتفسير القرآن العظيم، مشهورا بمعرفته.

درس زمانا طويلا، وعُمِّر كثيرا، وعلت روايته، فكان من آخر السامعين على شيخيه المذكورين (4).

ويعني بشيخيه أبا بكر بن العربي، وأبا الحسن بن شريح، ولاشك أن طريق صاحب الكافي في رواية ورش قد عرَفت الإشتهار بفاس على يده فتكون بذلك قد دخلت في منافسة مع طريق أبي عمرو الداني الواسعة الجمهور هناك.

---

1 – أنظر السند في النشر في القراءات العشر لابن الجزري: 1/67-68 .

2 – قال في بيوتات فاس الكبرى: ص 36 رقم 24: «ولواتة من العرب الداخلين مع البربر إلى المغرب، لهم زقاق بفاس يقال له: حارة لواتة، منهم الفقيه الحسين اللواتي، كان على عهد مغراوة، ومنهم ولده الفقيه علي بن الحسين اللواتي، كان على عهد لمتونة، ومنهم الولي الصالح علي اللواتي، كان على عهد الموحدين»

3 – صلة الصلة بذيل السفر 8 من الذيل والتكملة القسم 2/506-507 ترجمة 9 .

4 – الذيل والتكملة 8/1/311-312 ترجمة 108.



# محضرة ابن الدراج بفاس
# ويعرف أيضا بابن خلوص

ومن أعلام المشيخة الفاسيين من أصحاب المحاضر ممن تخرجوا على المتصدرين بها في صدر الدولة الموحدية: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن خلوص المرادي يعرف بابن الدرّاج. نسبه ابن الأبار فاسيا. وقال ابن عبد الملك فيه: نزيل فاس. له رحلة إلى الأندلس روى فيها عن أبي بكر يحيى بن الخلوف الغرناطي، وأبي العباس الأشهلي من أصحاب ابن شريح، وأبي الحسن علي بن خلف العبسي صاحب ابن نفيس المصري، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن الدوش صاحب الحافظ أبي عمرو الداني، وأبي الحسين يحيى بن إبراهيم بن البياز صاحب كتاب النُّبذ النامية في القراءات الثمانية، وأبي داود سليمان بن نجاح كبير أصحاب الحافظ أبي عمرو الداني وأبي عبد الله بن أبي العافية (1).

وزاد ابن الجزري في شيوخه يوسف بن أحمد القرشي، وأبا عبد الله بن البيوت الفاسي (2) وأحمد بن حسين الضرير (3)، وهو أبو العباس القصبي الآنف الذكر في مشيخة فتح بن محمد، أو أن المراد أحمد بن الحسين الأنصاري الأشهلي، فقد قال ابن عبد الملك: تلا عليه أبو العباس ابن خلوص، وكان من جلة القراء وعلية المجودين، حافظا للقراءات، ذاكرا لحروفها، بصيرا بعللها، حسن الأخذ على القراء (4).

---

1 - ترجمة ابن أبي العافية محمد بن عبد الله: الذيل والتكملة: 92/6 ترجمة 233 .

2 - يسمى أيضا ابن بر البيوت، وهو غير ابن الفتوت الآتي.

3 - غاية النهاية: 104/1 ترجمة 481 .

4 - الذيل والتكملة السفر 96/1/1 ترجمة 507 .

أما الرواة عن أبي العباس بن الدرّاج فقال ابن عبد الملك:

«روى عنه أبو الحسن علي بن يحيى بن محمد بن علي بن هشام القيسي الأخفش ومحمد بن عمر بن مالك بن جَعْونة المعافري قال:

وكان أحد كبار المقرئين، وأئمة القراء المجودين، عُني بتجويد القرآن العظيم، وأتقن حروفه، وأحكم أداءه، وعُرف بحسن الأخذ على القراء، ورحل الناس إليه» (1).

وذكر ابن القاضي في الجذوة أن جل قراء فاس تخرجوا عليه قال: وله رواية، وأخذ عن جماعة يطول ذكرهم، وهذا الشيخ المقرئ، حُكي أنه كان يختم ختمة في اليوم والليلة على الدوام، وكان متواضعا سخي الكف والنفس كثير البكاء إذا سمع موعظة» (2).

## محضرة موسى المعلم بفاس

لا ندري عنه الكثير، إلا أن صاحب الجذوة ذكره في سياق من ولي خطابة مسجد القرويين بفاس، فقال:

«ولما توفي خطيب القرويين بفاس عبد الرحمن بن حميد يوم الإثنين رابع عشر رمضان سنة 581 هـ تولى الخطابة بعده الفقيه الصالح الورع موسى المعلم كتاب الله تعالى، باستخلاف أبي محمد يسكر له.

وكان موسى يعلم الصبيان في المكتب الذي بقنطرة أبي رؤوس، وكان له صوت شجي حسن يبكي كل من سمعه يقرأ القرآن.

---

1 - الذيل والتكملة: 1/1/367-368 ترجمة 507 .

2 - جذوة الاقتباس: 1/117 ترجمة 17 .



ولما وصله الأمر بالخطبة داخلته دهشة، وأطلق صبيانه ثم أخذ في البكاء والدعاء، وقال:

اللهم لا تفضحني بين عبادك يا أرحم الراحمين.. قال: فاجتمع لموسى الخطبة والإمامة إلى أن توفي في عشرين من صفر سنة تسع وتسعين وخمسمائة (599 هـ) (1).

## محضرة ابن القديم الأنصاري بفاس

قارئ كبير من أعلام مدرسة شريح الرعيني بإشبيلية: يعيش بن علي بن يعيش بن مسعود ابن القديم الأنصاري يعرف بابن يعيش.

قرأ القرآن على عقيل بن العقل صاحب شريح وغيره، ورحل عن شلب حين استولى العدو عليها، فاستوطن مراكش زمانا، ولقي بها أبا ميمون العبدري، ثم رحل عنها بعد مدة واستوطن مدينة فاس، ولقي بها أبا عبد الله بن الرمّامة، والفرضي علي بن الحسين اللواتي وأبا عبد الله بن خليل القيسي وابن عديس، وأخذ عن جماعة غير من ذكرنا، وألف في القراءات كتابا سماه «الشمس المنيرة في القراءات السبع الشهيرة» وتصدر للإقراء بفاس إلي أن توفي بها سنة 624 هـ (2).

ومن خريجي محضرته أبو الحسن علي بن أحمد بن اليَسَر القشيري من أهل غرناطة، رحل إلى مدينة فاس فأخذ عنه بها القراءات السبع (3).

---

1 - جذوة الاقتباس لابن القاضي: 58/1 وأصله في الأنيس المطرب بروض القرطاس لابن أبي زرع: 71-73 .

2 - أنظر ترجمته في جذوة الاقتباس: 564-565 ترجمة 658 .

3 - أنظر صلة الصلة (القسم الأخير) 58-58 ترجمة 102 والذيل والتكملة: السفر 228/2/4-229 ترجمة 393 .



ومن خريجي محضرته بفاس الشيخ أبو الحجاج يوسف بن علي بن أبي العيش الأنصاري شيخ أبي عبد الله بن القصاب الفاسي الآتي في أصحاب المحاضر الشهيرة بفاس.

ومن خريجي محضرته الحافظ ابن مسدي: قال: قرأت عليه ختمة بالعشر، وتوفي على ما بلغني سنة 624 هـ وقد نيّف على المائة بنحو سبع سنين (1).

## محضرة العبدرية القارئة بفاس

قال ابن القاضي في الجذوة:

«هي سيدة بنت عبد الغني العبدرية.

نشأت بمرسية، وتعلمت القرآن فبرعت وجاد خطها، وعملت في ديار الملوك، إلى أن أقعدتها عن ذلك زمانة، انتقلت إلى مدينة فاس، ثم عادت، ولحقت بتونس، توفيت سنة 647» (2).

## محضرة ابن الفتُّوت الفاسي

قال الحافظ ابن الجزري:« محمد بن أحمد بن عبد العزيز أبو عبد الله ابن الفتوت الفاسي إمام محقق كامل، انتهت إليه رياسة الإقراء ببلده.

تلا بالسبع على محمد بن محمد بن معاذ الفَلَنْقي وعبد العزيز السماتي (3) والقاسم بن الزقاق وأحمد بن خلوص -ابن الدراج-.

1 - نقله ابن الجزري في غاية النهاية: 2/391-392 ترجمة 3904 .

2 - جذوة الإقتباس: 2/521-522 .

3 - هو ابن الطحان الإشبيلي: عبد العزيز بن علي ابو الأصبغ السماتي، مات بحلب سنة 560 أو بعدها، أنظر غاية النهاية: 1/395 ترجمة 1681 .

وكانت الرحلة إليه لِسِنِّه وسنده. قال ابن مُسدي:

هو آخر أصحاب ابن مُعاذ، مات سنة 614 هـ، كتب إلي بالإجازة. وقال الذهبي:« أحسبه عاش بضعا وثمانين سنة» (1).

ومن أهم خريجي محضرته بفاس: أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطي يعرف بالطَّرّاز. قال ابن الخطيب! كان مقرئا جليلا ومحدثا حافلا مقرئا.. ثم ذكر أنه أخذ ببلده وبقرطبة ومالقة وسبتة وفاس وإشبيلية ومرسية، وتوفي بغرناطة عام 645 هـ (2).

وقال ابن الجزري:

«إمام كبير، قرأ على محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الفتوت بفاس قرأ عليه أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير (3) برواية ورش (4).

ومن خريجي محضرة ابن الفتوت بفاس أبو الحجاج يوسف بن أبي الحسن علي بن أبي العيش الأنصاري شيخ الإمام أبي عبد الله بن القصاب نزيل فاس وصاحب تقريب المنافع في قراءة الإمام نافع» وسيأتي التعريف به.

ومن خريجيها أيضا بفاس أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي. قال ابن الخطيب في الإحاطة: أصله من مدينة فاس، أخذ بفاس عن أبي العباس أحمد بن القاسم بن البقال الأصولي، وأبي عبد الله

---

1 - غاية النهاية : 68/2 ترجمة 3741

2 - الإحاطة: 41/3-43 .

3 - هو أبو جعفر القزاز الغرناطي من شيوخ أبي حيان الغرناطي ترجمته في غاية النهاية: 55/1

4 -غاية النهاية: 144/2 ترجمة 3026 .

ابن الفتوت (1) المقرئ، وعن الزاهد أبي الحسن بن أبي الموالي (2) وغيرهم، توفي بحضرة غرناطة عام 662 هـ (3).

ومن قراء فاس من خريجي محضرته أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن عمران الفقيه المزدغي خطيب جامع القرويين. قال ابن عبد الملك: تلا بالسبع على أبي عبد الله بن أحمد بن الفتوت، توفي بفاس عن اثنين وثمانين سنة في الرابع عشر من ربيع الأول سنة 655 هـ (4).

## محضرة أبي عبد الله بن القصّاب الأنصاري بفاس

تعتبر هذه المحضرة في طليعة المحاضر القرآنية الرفيعة المستوى التي ظهرت في أول قيام الدولة المرينية بفاس. وصاحبها هو أبو عبد الله محمد بن عبد الحق الأنصاري الشهير بابن القصّاب.

قال أبو حيان الغرناطي: «من أهل فاس، كان يقرئ القرآن بالقراءات السبع، ويقرئ العربية أيضا، وتوفي في حدود سنة تسعين وستمائة.

قال ابن مكتوم: أفادنيه شيخنا العلامة أبو حيان الأندلسي وكتبته من خطه» (5)، وقد وقفت على سنده في القراءات ضمن إجازة الإمام أبي عبد الله محمد بن محمد الحسني البوعناني الفاسي لتلميذه أبي عبد الله محمد الشرقي بن محمد بن أبي بكر بن محمد المجاطي الدلائي (6) فوجدته يرويها

---

1 – صحفت في الإحاطة بلفظ «البيوت» بالباء.

2 – كذا، ولعل الصواب «الحرالي» بالحاء كما في جذوة الاقتباس، وهو مفسر صوفي مشهور.

3 – الإحاطة: 2/287-288 .

4 – ترجمته في الذيل والتكملة السفر 8/1/365 ترجمة 154 وصلة الصلة المنشور معه بذيله: 2/315 ترجمة 20 وجذوة الإقتباس 1/222 ترجمة 190 ونيل الإبتهاج: 229 .

5– الذيل على معرفة القراء الكبار للذهبي أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي مجلد: 2/612 ترجمة 6 ونقله ابن الجزري في غاية النهاية: 2/204 ترجمة 3265 .

6 – من كبار العلماء المقرئين المتصدرين بالزاوية الدلائية، قرأ بفاس وأجاز له البوعناني وابن شعيب والقصار وغيرهم وخاطبه أبو علي اليوسي بأبيات وصفه فيها بإتقان القراءات، أنظر ترجمته في نشر المثاني للقادري: 361-364 .

أي الشرقي بسنده إلى أبي عمران موسى بن محمد بن أحمد الصلحي المرسي الشهير بابن حدادة قال: حدثه بالقراءات المذكورة عن الشيخ الفقيه الإمام النحوي الحافل أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن عبد الحق الأنصاري عرف بابن القصاب، عن شيخه الأستاذ المقرئ أبي الحجاج يوسف ابن الشيخ المقرئ أبي الحسن علي بن أبي العيش الأنصاري، عن الشيخين الأستاذين العالمين أبي البقاء يعيش بن القديم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز المعروف بابن الفتوت رحمه الله ورضي عنه... (1).

فشيخه كما يظهر من السند في الإجازة هو أبو الحجاج يوسف بن علي بن أبي العيش الأنصاري، وهو يروي عن يعيش بن القديم وابن الفتوت وكلاهما كان صاحب محضرة بفاس كما قدمنا.

وعلي يد ابن القصاب ظهر أول تأليف في قراءة نافع في المدرسة الفاسية، وهو تأليفه «تقريب المنافع في قراءة نافع» وقفت عليه في الخزانة الحسنية بالرباط في نسخة فريدة (2) وأوله بعد الديباجة قوله:

الحمد لله القديم الدائم الذي لا أولية له، الباقي الذي لا آخر له.. أما بعد فإنكم سألتموني -وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه- أن أصنف لكم كتابا يحتوي على ما تضمنه حرف نافع، ويشتمل على تقريب جميع المنافع، من غير تطويل ولا تكرار، إذ الغرض في هذا الكتاب المختصر الإيجاز والاختصار، فأجبتكم إلى ما سألتموه، وأعملت نفسي في تصنيف

1 - إجازة البوعناني لأبي عبد الله محمد الشرقي ح خ ح رقم 9917.
2 - رقمها في الخزانة الحسنية بالرباط: 12243 ز.

ما رغبتموه، على النحو الذي أردتموه..» ويشتمل على روايتي ورش وقالون عن نافع.. بنوع من الاختصار. وقد قسم كل باب إلى عشرة مباحث في جميع أبواب الأصول فكان فنا من التأليف فريداً في بابه.

وقد نبغ من تلامذة محضرة ابن القصاب جماعة يمكن اعتبار كل واحد منهم صاحب محضرة متميزة. ومن هذه المحاضر بفاس لفضلاء أصحابه:

## محضرة الشيخ ابن آجروم الصنهاجي صاحب الآجرومية

هو العالم النحوي المقرئ الشهير أبو عبد الله محمد بن محمد بن آجروم الصنهاجي -من صنهاجة صفرو، ولد -رحمه الله- في السنة التي توفي فيها أبو عبد الله بن مالك الأندلسي صاحب الألفية في النحو، وهي سنة 672 هـ فقيل مات نحوي وولد نحوي، ولم تطل حياته فإنه مات سنة 723 هـ فيكون قد عاش واحدا وخمسين عاما فقط.

قال الإمام السيوطي نقلا عن ابن مكتوم في تذكرته:

«محمد بن محمد الصنهاجي أبو عبد الله، من أهل فاس، يعرف بأكروم، نحوي مقرئ، وله معلومات من فرائض وحساب وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز في القراءات وغيرها، وهو مقيم بفاس يفيد أهلها من معلوماته المذكورة، والغالب عليه معرفة النحو والقراءات، وهو إلى الآن حي، وذلك سنة تسع عشرة وسبعمائة» (1).

1 -أنظر بغية الوعاة للسيوطي 1/238-239 ترجمة 434 ودرة الحجال 2/109 ترجمة 552 وجذوة الاقتباس: 1/221-222 ترجمة 189 وذكريات مشاهير رجال المغرب - ابن أجروم لعبد الله كنون: 9-10 .

ولد بفاس بعدوة الأندلس، ولم يهتم أهل زمنه بالترجمة له مع ما له من المنزلة العالية في النحو والقراءات والمشاركة فيهما بالتدريس والتأليف.

فقد ألف في النحو مقدمته «الآجرومية» التي سمي علم النحو بها في اللغات الغربية، ولم ينافسها في ميدان التعليم في المغرب على مركز الصدارة تأليف يضاهيها.

وألف في القراءة شرحا نفيسا على الشاطبية وصل إلى عصرنا، وهو المسمى فرائد المعاني في شرح حرز الأماني (1) .

ونظم في قراءة نافع أرجوزة سبق بها أرجوزة أبي الحسن بن بري الشهيرة، وسماها «البارع في قراءة نافع» (2) ونظم كتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني في أرجوزة سماها «التبصير في نظم التيسير» ولا يعرف من هذه الأرجوزة إلا هذا البيت المشهور الذي ذكره عدد من شراح الدرر اللوامع لابن بري، وهو قوله في باب الزوائد:

وفي التلاقي والتنادي الخلف ** عن ابن مينا والصحيح الحذف (3)

وله مؤلفات أخرى في القراءات.

شيوخ ابن آجروم:

لم تعن كتب التراجم بذكر شيوخه، والمذكور عند بعضهم هو:

1 - أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي صاحب تفسير البحر المحيط (654-745 هـ) ويظهر أنه أجازه في العربية كما أجاز ولده محمد منديل إجازة عامة (4).

1 -حققه الأستاذ عبد الرحيم النابلسي من مراكش وحصل به على الدكتوراه، وما زال لم يأخذ طريقة إلى المطبعة فيما أعلم.

2 - نشرتها محققة في كتابي قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 2/365-374 .

3- ذكره له المنتوري في باب زوائد الياءات من شرحه لدرر ابن بري وتبعه على ذلك أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي في الفجر الساطع.

4 - أنظر ترجمة ولده منديل في فهرسة السراج: مجلد1 لوحة 313 ونيل الابتهاج 347 وجذوة الاقتباس 1/233-234



2 – أما شيخه المختص به فهو أبو عبد الله بن القصاب – صاحب المحضرة الآنفة الذكر– وقد عني ابن آجروم بذكره في كتابه فرائد المعاني ابتداء من باب التعوذ حيث ذكر ما زاد به على المؤلفين من صيغ الإستعاذة فقال:

«وزاد شيخنا أبو عبد الله بن القصاب ثلاثة ألفاظ لم أقف عليها لغيره (1).

وذكره أيضا في باب الهمزتين من كلمة فذكر مذهب الشيخ في الفصل لقالون بالمد في مثل أ أنزل وأ ألقي وقال: «وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن القصاب.. (2).

3 – أما شيخه الثالث فهو: أبو القاسم محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الطيب القيسي الضرير الخضراوي نزيل سبتة المعروف بأبي القاسم بن الطيب.

وهو الإمام الحافظ لمؤلفات الأئمة وعلامة الغرب كما وصفه به ابن الجزري (3) وقد صرح ابن اجروم بأخذه عنه في شرحه فرائد المعاني عند قول الإمام الشاطبي في باب المد:

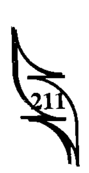
فقال: وقد سألت عن ذلك شيخنا أبا القاسم بن الطيب الضرير فقال ما هذا نصه. (4) ومعنى رواية ابن آجروم عن هذا المقرئ النحوي الجليل المتصدر بمدينة سبتة أن لابن آجروم رحلة إلى هذه المدينة، ولا يبعد أن

1 – فرائد المعاني (مخطوط) عند قول الشاطبي. «إذا ما أردت الدهر تقرأ فاستعذ».

2– نفسه عند قوله: ولا مد بين الهمزتين هنا ولا بحيث ثلاث يتفقن تنزلا.

3 –غاية النهاية: 171/2 ترجمة 3131 .

4 – وهذا النص في فرائد المعاني ونقله ابن المجراد أيضا في شرح الدرر اللوامع في باب المد.



تكون له رواية أوسع مما وقفنا عليه عن قرائها و علمائها، كما يحتاج إلى مزيد من البحث والتتبع.

كان ابن آجروم كما ذكره بذلك أبو العباس ابن القاضي: «من مؤدبي أهل مدينة فاس، وكان يسكن بعدوة الأندلس فيها» (1).

وهذا هو الذي يعنينا أكثر ما يعنينا منه هنا، فالرجل كان معنيا بتعليم الصبيان زاهداً في الشهرة والمنصب والجاه، رحمه الله.

وها هو ولده منديل بن آجروم أبو المكارم يفاخر بأبيه ويعرض بمن هم دونه ممن رآهم يتطاولون إلى مقامه فيقول:

لم نتّكل في ارتفاع الصيت قطُّ على ** إشادة الصوت من زيد كما اتكلوا

ولم نبع أجرَ (تعليم القرآن) بما ** يَفنى من السَّوْم في الدنيا كما فعلوا

نحن الألى فَرعوا للمجد ذِروته ** وفي ظلال تِلاع العزِّ قد نزلوا

إن كان ذو نَهَل للعلم أو عَلَل ** فعن أبي كان ذاك النهْل والعَلَلَ

إلى أن يقول:

بسيبويه سَبَيْنا كلَّ فائدة ** في صَنعة النحو لا الكراسُ والجُمَلُ (2)

وفي مسائل إيضاح لنا وَضَحت ** من التصرُّف شمس بيتُها الحَمَل (3)

وعند حرز الأماني شاهد فطِنٌ ** إذ أُحرزَتْ بحمانا تِلكم السُّبل

وكم لنا في عَروض الشعر من نُكَتٍ ** يُدْرَى بذلك عنًّا الرِّدف والعِلل (4)

---

1 - جذوة الاقتباس: 221/1 ترجمة 189 .

2 - الكرّاس: يقصد به الكراسة للجزولي في النحو: والجُمل: تأليف مشهور للزجاجي.

3 - الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي، ولعله هو المقصود.

4 - يدل هذا على تأليف ابن آجروم في العروض أيضا. أنظر القطعة كاملة في النبوغ المغربي: 39/3-40 .

كان أهل هذا البيت إذن عصاميين بنوا بأنفسهم منازل في العز لا يزاحمون عليها، ولم يتكلوا على تنويه غيرهم وتقريبهم لهم فيشتهروا بالإضافة إليهم لا بأعمالهم وإنجازاتهم.

من هنا كان انصراف ابن آجروم (الأب) إلى التأديب والتأليف، وتقريب متون العلوم من طلبته. ودليل ذلك ما أشار إليه ولده في الأبيات، كما يمكن التماس غيره من الأدلة في الباعث على تأليفه لمقدمته الآجرومية في النحو، وربما كانت هناك بواعث مماثلة في غيرها.

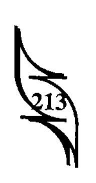
فلقد ذكر بعض مترجميه أنه ألف مقدمته «الآجرومية في النحو برسم ولده الثاني، واسمه عبد الله (1) يعني أنه أراد أن يقدم له خلاصة سهلة موجزة لكليات علم النحو وقواعده.

وهكذا يأتي هذا التأليف الذي نال كل هذه الشهرة والمنزلة ناتجا عن تجاوب والدمع حاجة ولده، أو فلنقل: نتيجة تجاوب صاحب محضرة مع حاجيات محضرته، فكان بذلك يذلل العقبات لأهل العربية في أقطار الدنيا بهذه المقدمة الفذة الرائعة، ويخلد اسمه في هذا العلم أبد الآبدين.

## محضرة أبي عبد الله الخراز الشريشي بفاس صاحب مورد الظمآن

أما الآن فنحن على موعد مع خريج ثان من هذا الطراز تخرج من محضرة ابن القصاب، فكان يطير مع ابن آجروم ويغرِّد في نفس هذا

1 - أنظر سلوة الأنفاس 113/2 .



السرب، ألا وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز الشريشي الأندلسي الأصل، صاحب أسير الأراجيز في علم رسم المصحف وضبطه وأشهرها في العالم الإسلامي، وهي أرجوزة مورد الظمآن في رسم حروف القرآن، وذيلها عمدة البيان في الضبط.

وصفه تلميذه الأقرب إليه شارح أرجوزته الأول أبو محمد عبد الله بن عمر المعروف بابن أجطّا فقال في أول شرحه عليها:

«وهو الأستاذ المقرئ المجود المحقق المعلم لكتاب الله العزيز أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله الأموي الشريشي الشهير بالخراز. قال:

وكان سكناه بمدينة فاس إلى أن توفي بها، ودفن بالجيزيين منها، وقبره بها معروف رحمه الله» (1).

وقال أبو الحسن علي التروالي الزرهوني في أول شرحه لأرجوزة المورد أيضا:

كان سكناه بفاس الجديدة، وكانت صناعته –رحمه الله– الخرازة في أول عمره، واشتغل في آخر عمره بتعليم القرآن، وكان يعلم الصبيان، ومات –رحمه الله– بفاس الجديدة، ودفن بموضع يعرف بالجيزيين (2).

وزاد أبو محمد عبد الواحد بن عاشر في المورد أنه «دفن بالجيزيين، وهو الموضع المعروف الآن بباب الحمراء (3) وزاد بعضهم في تقييد له: «وضجيعه –يعني في مدفنه– ابن آجروم، ومات الخراز قبله سنة 718 هـ ثم مات ابن آجروم سنة 723.

---

1 – التبيان في شرح مورد الظمآن لابن أجَطا (مخطوط).

2 – مجموع البيان للتروالي (مخطوط)

3 – فتح المنان لابن عاشر (مخطوط).

وترجم له الحافظ ابن الجزري فقال: إمام كامل مقرئ متأخر، وذكر أرجوزته وأثنى عليها (1).

✓ من شيوخه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الحق الأنصاري المعروف بابن القصاب، قال ابن أجطا: «وعمدته عليه» وقد نقل عنه في باب التعوذ من شرحه على الدرر اللوامع لابن بري (2).

✓ ومن شيوخه أيضا صاحبه أبو عبد الله بن آجروم الآنف الذكر، استفاد منه في العربية وتوجيه القراءات، ويصفه في شرحه على درر ابن برى في مواضع بقوله: قال صاحبنا الأستاذ أبو عبد الله محمد الجرومي(3) وقد أشار التروالي إلى لقاء الخراز بابن آجروم في أول شرحه فقال: «ولقي الأستاذ ابن آجروم –رضي الله عنه– وأخذ عنه» (4).

✓ ومن شيوخه أيضا أبو الحسن بن بري التازي صاحب الدرر اللوامع، ولذلك كان أول من تصدى لشرح أرجوزته، وكان قد روى هذه الأرجوزة سماعا وشرحها بناء علي هذه الرواية، ثم لقي الناظم فرواها عنه مشافهة كما نص على ذلك ابن المجراد في شرحه عليها (5).

ويهمنا من هذه المعلومات بصفة خاصة قول التروالي عنه:

«واشتغل في آخر عمره بتعليم القرآن، وكان يعلم الصبيان».

---

1 – غاية النهاية: 237/2 ترجمة 3394 .

2 – أنظر شرحه القصد النافع على الدرر اللوامع: 75-101-102-105-200 .

3 – نفسه: 136-141 (مرتين) 144-148-197 .

4 – مقدمة مجموع البيان.

5 – إيضاح الأسرار والبدائع لابن المجراد (مخطوط) أنظر باب زوائد الياءات منه.

وقد نص الخراز نفسه على استشارته للناظم في مقصوده ببعض الأبيات، فقال في قول ابن بري:

وَنقَلُوا لنافع منقولا ** رداً والآن وعاداً الأولى

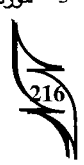
فشرح البيت بما فهمه من لفظه وقال: "قال لي الناظم عفا الله عنه: وهذا أردت، وإياه قصدت، وهو أولى..» (القصد النافع: 206).



فكان الخراز إذن مثل سلفه وصاحبه ابن آجروم صاحب محضرة يعلم فيها أبناء أهل فاس. وذلك يعني أنه كان أكثر استشعارا لحاجيات صبيانه وطلبته إلى حفظ متون سهلة موجزة تقرب إليهم مبادئ الرسم والضبط وقواعد أصول الأداء والتجويد، ومن ثم فقد بادر إلى العمل على سد هذه الحاجة وتزويد ميدان الإقراء بأراجيزه ومؤلفاته الرائعة، فنظم مورد الظمآن لتقريب رسم قراءة نافع، وعمدة البيان لتقريب ضبطها، وشرح أرجوزة ابن بري ليقرب إليهم فهم ما أودعه الناظم فيها من أصول روايتي ورش وقالون عن نافع. فتكامل بعمله في هذه الجهات الثلاث سد الحاجة التي كان ميدان القراءة والتعليم بالمغرب ما يزال يعاني منها. يدل على ذلك قوله في مقدمة المورد:

ووضع الناسُ عليه كُتُبا ** كلٌّ يُبين عنه كيف كُتبا
أجلُّها فاعلم كتاب المقنع (1) ** فقد أتى فيه بنص مُقنع
والشاطبي جاء في العقيلة (2) ** به وزاد أحرفاً قليلة
وذكر الشيخ أبو داوُدا ** رسما بتنزيل (3) له مزيدا
فجئتُ في ذاك بهذا الرجز ** لخَّصت منهن بلفظ موجز
وفْق قراءة أبي رُوَيم ** المَدَني ابن أبي نعيم (4)
حسبما اشهر في البلاد ** بمغرب لحاضر وباد (5)

1 – المقنع في رسم المصاحف لأبي عمرو الداني – مطبوع في جزء.
2 – قصيدة رائية وهي عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد – مطبوعة ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة للضباع، وضمن شرح السخاوي عليها: الوسيلة في شرح العقيلة.
3 – التنزيل في رسم المصاحف لأبي داود سليمان بن نجاح – مطبوع في خمسة أجزاء.
4 – يعني الإمام نافعاً المدني المتوفى سنة 168 هـ.
5 – مورد الظمان في رسم القرآن: الأبيات من 21 إلى 27 .



وأما اشتغاله بالتعليم فيأتي صريحا في مقدمة شرحه بل في عنوانه الذي اختاره له، وهو «القصد النافع لبغية الناشئ والبارع على الدرر اللوامع، في مقرإ الإمام نافع».

وفي مقدمته يقول في سياق الثناء على أرجوزة ابن بري:

«وقد قل نظم يتضمن قراءة نافع بمذهب أبي عمرو الداني وطريقته، ورأيت بعض أصحابنا قد نظموا في تلك القراءة، وألفوا، وعن طريقة أبي عمرو لم يتخلفوا، فكان من أعذبها لفظا، وأحسنها ترتيبا، وأجودها نظما، وأخصرها أسلوبا، أرجوزة الفقيه الأفضل، والكاتب الأبرع الأكمل، النحوي اللغوي، الفرضي، أبي الحسن علي ابن الشيخ الأفضل أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الرباطي (1) الشهير بابن بري -وصل الله كرامته-.

فتداولها الناس في البلدان، وتعاهد درسها الكهول والولدان. فلما كثر البحث عليها، ورأيت ميل الطلبة إليها، وترددُهم إلي في حلّ معضلاتها، وإيضاح مشكلاتها، جعلت أشرح لهم ما يسّر الله في فهمه، وأُنبهُهم على ما يوصلهم إلى علمه، فطلبوا مني أن أقيد لهم ما أمليه عليهم، وأثبت لهم ما أؤديه إليهم، فأجبتهم إلى ذلك، رجاء ثواب الله العظيم، وابتغاه ما لديه من النعيم المقيم (2)».

ذلك هو أبو عبد الله الخراز الشريشي رائد المدرسة المغربية في رسم قراءة نافع وضبطها وأصول أدائها، وتلك آثار محضرته التي أسهم بها في تطوير أداء المدرسة التعليمية في المغرب، وزودها من خلالها بطائفة

1 - نسبة إلى رباط تازة، وبه كانت تعرف المدينة.
2 - القصد النافع: 33 .



من أعماله العلمية التي استفتح بها منذ الآن مرحلة جديدة في تاريخها العلمي يمكن أن نطلق عليها عصر ظهور ما عرف باسم «الكراريس» جمع كُرَّاس أو كرّاسة، وهي مجموعة المتون والأراجيز التي بات على طالب هذا الشأن أن يتزوّد بحفظها، لتكون حصانة له من الأخطاء في رسم القراءة وضبطها وقواعد أدائها، ورصيدا علميا يُدلي به عند الاستدلال، ويطرّز به ألواح طلبته عند التصحيح، ويختبرهم فيه عند طلب الإجازة والفصال، وينشد منه للفرجة والترويح في المجالس والمجامع المعتادة بين الطلبة كما يجري به العمل إلى اليوم.

## محضرة ابن أجطّا بفاس الشارح الأول للمورد

هذه المحضرة تعتبر امتدادا لمحضرة الشيخ الأستاذ أبي عبد الله الخراز صاحب مورد الظمآن ومنبثقة عنها.

وصاحبها أبو محمد عبد الله بن عمر بن أجطا الصنهاجي، وهو أول شارح شرح مورد الظمآن وشرحه هذا المسمى بالتبيان هو المصدر الوحيد الذي استقينا منه أهم المعلومات عنه.

ومن حسن حظنا أننا وجدناه في طالعة الشرح يدلي عن نفسه بمعلومات في غاية الأهمية تفيد الباحث في توسيع معرفته بصاحب الأرجوزة. كما تلقي بمزيد من الضوء على أول شرح لها وشخصية شارحها الأول.

يقول رحمه الله في مقدمة الشرح متحدثا عن دواعي تأليفه له:



«وكان من أحسن ما نظم في هذا العصر، وأبدع ما وضع من نظم ونثر، الرجز المسمى بمورد الظمآن في رسم القرآن، للأستاذ المقرئ المجود المحقق المعلم لكتاب الله العزيز أبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم ابن محمد بن عبد الله الأموي الشريشي الشهير بالخراز.

وقد أتقنه غاية الإتقان، واختصره من كلام أئمتهم المتقدمين في هذا الشأن، والمقتدى بهم في معرفة رسم القرآن، وبذلك حق له تسميته بمورد الظمآن...

«فلما رأيته محسنا في نظمه متقنا، واعتناء الناس بحفظه في البلدان، وترداد ذكره بين الشيوخ والولدان، أردت أن أشرحه وأذكر مشكله وموضحه.

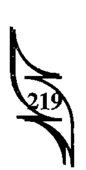
وكنت ابتدأت هذا الشرح في حياة ناظمه، وكانت لي في ذلك عزيمة ونية، وانتهيت به إلى الأسماء الأعجمية (1)، ثم عزبت نيتي، وانحلّت عزيمتي، لأعذار أوجبت ذلك، منها الاشتغال بتعليم الصبيان، ولاستغراق جميع الزمان، وتغير الأحوال، ومكابدة العيال، وأمور كثيرة حالت بيني وبين إتمامه، وكل شيء إلى وقته وأيامه.

فلما كان في هذه السنة التي هي سنة أربع وأربعين وسبع مائة (2)، قدم علينا بعض الطلبة من نظر تلمسان، فسألواني إقراء الرجز المذكور، وكانوا يترددّون إلي، ويُلحّون في الطلب علي، فاعتذرت لهم بتعليم الأولاد وغيره من الأشغال، من مكابدة الدنيا في الكدّ على العيال، فلم يقبلوا لي عذرا، وأرهقوني من أمري عسرا، ولم يزالوا إلي يتردّدون. وعلي في الطلب يُلحّون، إلى أن يسر الله علي في وقت من الأوقات، وساعة من الساعات،

---

1 – يعني إلى قوله في القول في الحذف في سورة البقرة:
والأعجمية كنحو لُقمان ** ونحو إسحاق ونحو عمران

2 – يعني بعد موت الخراز ناظم المورد بنحو 26 سنة .



فأجبتهم إلى ما طلبوا، ووافقتهم فيما رغبوا، وأخذت في قراءته وتصوير حروفه، على حسب ما أقرأنيه ناظمه وما سمعته منه – عفا الله عنا وعنه.

فلما سمعوا ذلك رغّبوني في أن أضع ذلك في كتاب، ورأوا ذلك من الصواب، فامتنعت من ذلك كل الامتناع، لقصور الباع، وجمود الطباع، وكثرة الأشغال، وتغير الأحوال، وليس لي فراغ، إلا يوم الخميس ويوم الجمعة، وربما تعرض لي أشغال تستغرق هذين اليومين، فيطول الأمر في ذلك..» (1).

فالرجل كما نراه صاحب محضرة تستغرق وقته، ولذلك فليس له فراغ إلا يوم الخميس والجمعة، أي في يومي العطلة العمرية الأسبوعية، وربما تعرضت له أشغال تستغرق هذين اليومين أيضا.

إنه الوفاء للمهنة إذن، وفاء يعتبر صاحبُه القيامَ به أساس رسالته في الحياة ورأسَ واجباته، ومن ثم فليس هناك عمل مهما كانت بواعثه يمكن أن يقدّم عليه، ولا حتى أن يقتطع طرفاً من الزمن المنذور له طوال هذه السنوات الطوال، ومن حسن حظ طلبته التلمسانيين، وتحت وطأة إلحاحهم، ومن حسن حظنا أيضا بعدهم، أن رَضخَ الشيخ أبو محمد بن أجطا –رحمه الله– لهذا الطلب الملحاح، فخلد لنا بسببه هذا الأثر العلمي النفيس، وخلّد من خلاله تلك المشاغل التي كادت تصرفه عن هذا العمل البار، فعرفنا من معاذيره التي ساقها لطلبته الوافدين على محضرته قيمة هذه المحضرة في مدينة فاس عاصمة البلاد، وقيمة أبي محمد في عمارتها وقيادتها بعد شيخه أبي عبد الله الخراز رحمه الله وشيخه من قبله أبي عبد الله بن القصاب الأنصاري رحمه الله.

1 – التبيان في شرح مورد الظمآن (مخطوط).

ولذلك عرف له المترجمون له هذه المنزلة، فوصفه منهم من وصفه مع أبي زكريا السراج في فهرسته بالشيخ المقرئ المكتّب المنجب (1)، إشارة منهم إلى منزلته وعظيم أثره وعموم النفع به رحمه الله (2).

## محضرة أبي عبد الله بن عمر بفاس

ومن أصحاب المحاضر المعمرين بفاس أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر اللخمي الفاسي قال صاحبه أبو زكريا السراج في فهرسته:

«انفرد -أبقاه الله تعالى- بعلو الرواية في قطرنا هذا، وجلس للإقراء بمسجد «درب اللبن» من داخل فاس المحروسة وبغيره، مواظبا على ذلك صابرا محتسباً لله، وقرأ عليه خلق كثير، حتى ضعف سنه وعجز عن الخروج، فأقرأ بداره مدة من ثلاثة أعوام، ثم أشتد ضُعفه، فهو الآن يقرئ بعض الأوقات نفعه الله ونفع به» (3) ثم قال السراج:

أخذ عن الشيخ المقرئ أبي الحسن بن سليمان القرطبي نزيل فاس، وعليه اعتماده. قرأ عليه القرآن العظيم في ختمات كثيرة إفرادا وجمعا من الطرق الثلاثة: طريق الحافظ أبي عمرو الداني، وطريق الشيخ أبي محمد مكي، وطريق الإمام أبي عبد الله بن شريح، وعرض عليه قصيدة أبي القاسم بن فيره الشاطبي في دولة واحدة، وجميع رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد، وسمع عليه جميع كتاب التيسير للحافظ أبي عمرو الداني، وجميع

1- فهرسة السراج (مخطوطة) وسلوة الأنفاس 105/2 وورقات في حضارة المرينيين: 279 .
2 - يشتغل الأستاذ الباحث أبو الفضل منذ سنوات بتحقيق كتاب التبيان لابن أجطا، ولعله الآن على وشك الفراغ منه في شعبة الدراسات الإسلامية بكلية آداب الرباط.
3 - فهرسة السراج.



كتاب التجريد الكبير (1) من تأليفه، وجميع كتاب السير لابن إسحاق تهذيب ابن هشام، إلا يسيرا منه دخل في الإجازة، وبعض كتاب الموطإ لمالك بن أنس رواية يحيى بن يحيى الليثي، وأخذ عنه غير ذلك، ولازمه كثيرا، وعمم له الإجازة في كل ما صدر عنه وما يحمله عن جميع أشياخه المسمَّيْن في برنامج روايته وفي غيره».

وعن الشيخ الأستاذ المقرئ المحقق أبي عمران موسى بن محمد بن موسى بن أحمد الصلحي الشهير بابن حدادة (2)، تلا عليه الكتاب العزيز في ختمة واحدة جمعا بين قراءة الأئمة السبعة المشهورين من طريق أبي عمرو الداني وأبي محمد مكي وأبي عبد الله بن شريح، وأجاز له إجازة عامة في جميع ما يحمله وما صدر عنه من تأليف.

وعن الشيخ الفقيه الخطيب قاضي الجماعة بمدينة فاس -حرسها الله تعالى- أبي عبد الله محمد بن عبد الرزاق الجزولي (3) وأجاز له إجازة عامة.

وعن الشيخ الأستاذ النحوي أبي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي شهر بابن آجروم، سمع عليه جميع رجزه المسمى بالبارع، وتفقه عليه في العربية» (4).

✓ ومن أهم خريجي محضرة ابن عمر الإمام أبو عبد الله المنتوري الذي روى عدداً كبيراً من مرويات ابن عمر، ومنها من كتب القراءات

---

1 – هو لأبي الحسن علي بن سليمان القرطبي (ت 730 هـ) جمع فيه القراءات السبع من طرق الأئمة الثلاثة الداني ومكي وابن شريح، وهو مفقود اليوم. انظر رواية ابن غازي له في فهرسته من طريق الوانغيلي وابن عمر عن مؤلفه (فهرسة ابن غازي 100-101) .

2 – صحف في فهرسة ابن غازي المطبوعة إلى ابن جرادة بالجيم والراء.

3 – كان خطيبا بمسجد القرويين، انظر ترجمته في كتاب التعريف بابن خلدون: 68-69 ونثير الجمان لابن الأحمر: 355 وجذوة الاقتباس: 1/64-65 .

4 – فهرستة السراج. (مخطوط).

المشهورة اثنا عشر تأليفا، وكلها من طريق شيخه أبي الحسن بن سليمان القرطبي شيخ الجماعة بفاس (1).

✓ ومنهم أبو زكريا السراج، وقد احتفى في فهرسته بترجمته وذكر مروياته الواسعة عنه.

وأسند الإمام ابن غازي من طريقه عنه كتاب التيسير لأبي عمرو الداني (2) وكتاب رجز البارع في قراءة نافع لابن آجروم (3) وكتاب التجريد لأبي الحسن بن سليمان وتهذيب المنافع له ومختصر التجريد أيضا وترتيب الأداء وبيان الجمع بين الروايات في الإقراء وبيان طبقات المد وترتيبها، وكلها من تأليف أبي الحسن بن سليمان (4) كما روى عنه الموطأ وصحيح مسلم وسنن أبي داود والأحكام لعبد الحق وغير ذلك (5):

✓ ومن خريجي محضرة ابن عمر بفاس الشيخ الفقيه الجليل الأستاذ المقرئ النحوي أبو عبد الله محمد بن علي بن حياتي الغافقي.

قال السراج: كان -رحمه الله- شيخ الجماعة بقطرنا، والمنفرد بالإمامة في النحو في أفقنا، أحيا الله به ببلدنا ما درس من رسمه على يديه، ونفع به أكثر من قرأ عليه.. ثم ذكر شيوخه فقال عن المترجم فيما يعنينا عطفا على من قبله:

«وعن شيخنا الأستاذ أبي عبد الله بن عمر، قرأ عليه القرآن العظيم بقراءات الأئمة السبعة حسبما تضمنه كتاب التيسير، وأجاز له إجازة عامة» (6).

---

1 – فهرسة الإمام المنتوري (مخطوطة).

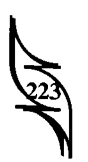
2 – فهرسة ابن غازي: 95 .

3 – نفسه: 98-99 .

4 – نفسه: 100-101

5 – نفسه: 102-108 .

6 – فهرسة السراج: 313/1 .



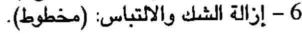
✓ ومن خـريجي هذه المحـضـرة أيضـا بفـاس أبو وكـيل مـيمـون بن مساعد مولى الفخار، وسيأتي الحديث عنه باعتباره صاحب محضرة خلف بها من سبقه من كبار الأئمة.

## محضرة أبي وكيل ميمون الفخار، صاحب تحفة المنافع بفاس (ت 816 هـ)

يعتبـر هذا الإمام ألمع شـخصـية علمية في زمنه وما بعده في آفـاق المحـاضـر القـرآنية المغربية بعد أبي الحسن بن بري التـازي وأبي الحسن الحصري وأبي القاسم بن فيره الشاطبي وأبي عبد الله الخراز، وربما تقدم عند بعض المشـتـغلـين بقـراءة نافع على الإمـام الشـاطبي وأبي عـبـد الله الخراز، وذلك لصلته الوثيقة بأرجوزة ابن بري، لأن نظمه في تحفة المنافع يعتبر بمنزلة الشرح لهذه الأرجوزة، كما أنه أرتقى في تحقيقاته في الأداء وتعمقه في البحث وإيعابه في الإطلاع على مذاهب الأئمة بحيث برز على أهل عصـره، يضـاف ذلك إلى وفرة إنتاجه العلمي، وطول نفسه في النظم، وتخصصه في قراءة نافع ورواياتها وطرقها.

وقد شـهد له بهذا التفوق والشـفوف على الأقران عامة من ذكروه أو ترجموا له من الحذاق في هذا الشأن، فقيل فيه: «هو الفقيه الأستاذ المؤلف» (1) و«الأستاذ المحقق المُجيد» (2) و«أستاذ مدينة فاس» (3) و«أستاذ المغرب» (4) و«إمام المغرب» (5) و«مؤلفاته هي مدوّنة هذا الفن» (6).

1 – كفاية المحتاج لأحمد بابا التمبوكتي: 253/2 ترجمة 662 .
2 – فهرسة ابن غازي: 38 وسلوة الأنفاس: 2/2 .
3 – جذوة الإقتباس: 384/1 والجامع المفيد لابن القاضي (مخطوط).
4 – إزالة الشك والإلتباس لابن القاضي (مخطوط).
5 – الروض الجامع لمسعود جموع (مخطوط).
6 – إزالة الشك والالتباس: (مخطوط).





أما نسبه فهو ميمون بن مساعد أبو وكيل المصمودي مولى العلامة المقرئ أبي عبد الله الفخار الآتي ذكره في مشيخته، ونعته بعضهم بلقب «غلام الفخار» (1) جريا على عادة المشارقة في تلقيب من طالت صحبتهم للشيخ وخدمتهم له كما قالوا: « غلام الخليل» (2) و«غلام ثعلب» (3).

قال السخاوي في الضوء اللامع: «مقرئ من أهل فاس، وبها وفاته، كان مولى لرجل يدعى أبا عبد الله الفخار، أقام في الرقّ حتى مات جوعا» (4).

وقال صاحب نيل الابتهاج: «كان فقيها أستاذا، له تآليف في علوم القرآن رسما وقراءة، وتوفي بفاس جوعا سنة 816» (5) زاد ابن القاضي قوله: «توفي فيها- سنة 816 هـ مع جماعة من القراء، كلهم مات جوعا» (6)

أما مشيخته فمنهم:

1 - أبو عبد الله القيسي محمد بن سليمان بن موسى القيسي الضرير شيخ الجماعة بفاس وأحد الحفاظ لتراث الأئمة (ت 810 هـ)، وقد تقدمت الإشارة إلى تخرجه من محضرة أبي عبد الله الصفار المراكشي التينملي، ولأبي وكيل معه محاورات في قصائد على صورة سؤال وجواب (7).

2 - أبو عبد الله محمد الزيتوني. روى الشيخ ابن غازي من طريقه عنه أرجوزة ابن بري عن أستاذه أبي عبد الله محمد بن الحسين الصغير

---

1 - الزركلي في الأعلام: 342/7 .
2 - هو الليث بن نصر الخراساني، أنظر إنباه الرواة للقفطي: 42/3 ترجمة 568 .
3 - هو أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم. إنباه الرواة: 171/3 ترجمة 678 .
4 - الضوء اللامع: 194/10.
5 - نيل الإبتهاج: 347-348 ونحوه في درة الحجال: 15/3 وجذوة الإقتباس 348/1 ولقط الفرائد لابن القاضي: 239
6 - درة الحجال: 15/3 وينظر فيمن مات معه في هذه المجاعة درة الحجال 443/2 وجذوة الإقتباس.
7 - أنظر دراستنا لذلك في كتابنا: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 492/3-493 .



عن أبي الحسن الوهري عن أبي وكيل ميمون عن الشيخ المقرئ الحافظ الضابط أبي عبد الله محمد الشهير بالزيتوني عن ناظمها» (1).

3 – أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر اللخمي شيخ الجماعة بفاس وأحد المعمرين الكبار (703-794 هـ) من أصحاب شيخ الجماعة أبي الحسن بن سليمان القرطبي، وقد تقدم التعريف بمحضرته.

وقد أسند الشيخ ابن غازي القراءات السبع كما أسندها عامة أصحاب الفهارس، وكل أسانيدهم تنتهي إلى أبي عبد الله الصغير شيخ ابن غازي عن الشيخين: أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد أبي موسى الشهير بالفيلالي، وأبي الحسن علي بن أحمد الورتناجي الشهير بالوهري عن أبي وكيل (2).

وأسند أبو عبد الله البوعناني الفاسي في إجازته لأبي عبد الله الشرقي بسنده المتصل إلى ابن غازي بالسند المذكور إلى أبي الحسن الوهري وقال: «عن شيخه الفقيه الأستاذ المقرئ المجود أبي وكيل ميمون بن مساعد المصمودي مولى الشيخ الفقيه الأستاذ الأعرف أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم السماتي الشهير بالفخار، عن، عن الشيخ الفقيه الأستاذ المحقق أبي عبد الله محمد بن عمر اللخمي، عن الشيخ المقرئ الحافظ الناقد الضابط أبي الحسن على بن سليمان بن أحمد الأنصاري القرطبي رحم الله جميعهم...» (3).

4 – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم السماتي المدعو الفخار الفاسي الدار والقرار وهو من أساطين رواية ورش،

---

1 – فهرسة ابن غازي: 41 .

2 – نفسه 36-37 وانظر إسناد ابن غازي من طريق أبي وكيل عنه للشاطبية والتيسير: 38-40 .

3 – إجازة البوعناني للشرقي: مخطوطة الخزانة الحسنية بالرباط.

قرأ بها وجوّد على صناجة العصر أبي العباس أحمد بن علي الزواوي (ت 749 هـ) صاحب أبي الحسن بن سليمان، وقد أسندها الشيخ ابن غازي من هذه الطريق (1)، وأسند من طريق أبي وكيل عنه كتاب الرسالة لابن أبي زيد» (2).

ويحرص أبو وكيل في منظوماته على الدعاء لهذا الشيخ في خواتمها، كقوله في ختام أرجوزة.

**المورد الروي:**

لتمحُ يا ربي ذنوب والدي ** وَذَنْب أمي وذنوب سيدي

وقوله فيه أيضا مع الدعاء له:

محمد الفخار بحر العلم ** والدين والأدب ثم الحِلم

جزاه ربي الله عني خيرا ** وضاعف الأجر له في الأخرى (3).

**مؤلفاته:**

نظم أبو وكيل عدة أراجيز تعليمية لعلها كانت من وحي محضرته استجابة للدواعي التي كانت تبعثه على التأليف، وأهم ما وصل إلينا منها:

1 – تحفة المنافع في أصل مقرإ الإمام نافع.

وهي أرجوزة طويلة يبلغ عدة أبياتها 1512 بيتا، وأولها قوله:

الحمد لله الذي هدانا ** لصفوة الإيمان واجتبانا

حمدا كثيرا طيبا مجدّدا ** يبقى بقاءً مستمرّاً أبدا

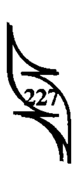
سبحانه من صمد مهيمن ** حيّ علي قادر ومؤمن

---

1– انظر فهرسة ابن غازي: 37 وشجرة النور الزكية لابن مخلوف: 461-462 .

2 – نفسه: 42-43.

3 – انظر كتابنا: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 489/3-490



أمَــدَّنا بخـيــر العـــمـــيم ** وخـــصنا بذكـــره الحـكيم.

إلى أن قال بعد أبيات:

وهـا أنا أروم بعــدَ مــا ذُكِــر ** قـراءة العـدل الإمـام المشـتـهـر
أبي رُوَيم المدني نَسَـــبـــا ** ذي الحـمـدِ نافعٍ لأمـر أوجَـبـا
إذ هـي سنة وأخـــذُ مـــالك ** بـحــرف نافـع، فـهل من ســالك
وربمـا ذكـــــرت بعض الكلمِ ** من نقل غـيـره فَـقَـيِّـدْ حِكَمِي

وقال في تسميتها وموضوعها:

ســمـيـتـه بتـحـفـة المنافع ** في مَـقـرإِ الأسنَى الإمـام نافع
لاحت به مـــشـــروحـــة فُنون ** علـى الذي روى لنا قـــالـون
عيسى بن مينا الثبت ذو السكينة ** أثـبـتُ قـــــارئ ثـوى المدينة
رواته في الـعــدِّ والتـقـسـيط ** مـحـمـد الأرضي أبو نشـيط
وابن يزيدَ أحـمـــدُ الحُلْواني ** والثـبت إسـمـاعـيل ذو الإتقـان
ثم الذي روى أبو ســعــيــد ** ذو الحـدق والإتقـان والتـجـويد.
عـثمـان ورش قطب أهـل مصـر ** في الصـبـر والتقوى وفـعل البر
رُواتـه ثـلاثـة فـي الـعـــــدد ** قل يوسـف الثبت وعبدُ الصـمـد
والأصـبـهـانيُّ أبو بكر الرِضـا ** وكلُّهـم ثَبْتٌ إمـــامٌ مـــرتضـي
بينت فـيـه مـا عليـه اتفـقـا ** وأحـرفـا بالخُلف فـيـهـا افـتـرقـا
ومـــا تَراه مطلَقـــا لا لأحـــد ** فــذاك بالوِفــاق عنهـمـا ورد
طريقـــة الداني قـــد سلكت ** مـسـتـحـسنا وهـي التي رويت



إلى أن يقول عن علاقتها بأرجوزة ابن بري:

ووضع الأسنى الرضا أبو الحسن ** نظما بديعا من حلَى النظم حسن
لكنني أمعنته تفسيرا ** حتى بدا للناس مستنيرا (1)

2 - الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية (2)، وهي أرجوزة سلك فيها مسلك شيخه القيسي الضرير في أرجوزته «الميمونة الفريدة» كما ضاهى بها عمدة البيان للخراز، لكنه فصل في التعليل والتوجيه أكثر منها، وبذلك كانت أرجوزته معهما إحدى أهم الكراريس المستعملة إلى اليوم في تعليل مسائل الضبط.

وأبيات الدرة الجلية 1570 بيتا كما ذكر ذلك في آخرها، وأولها قوله:

يقول راجي رحمة الغفار ** والفوز بالحسنى مع الأبرار.
الحمد لله العلي الصمد ** مُولي أياديه ومهدي الرُّشد

إلى أن يقول:

وها أنا أَبُثُّ بَعْدُ نظما ** محكَّما أريك فيه الرَّسما
كيف بدا في المصحف الكريم ** نقطا وشكلا عن ذوي العلوم
لنافع وسائر القراء ** على خلاف أو وِفاق جاء (3)

3 - المورد الروي في ضبط قول ربنا العلي.

وهي أرجوزة نظمها قبل الدرة، وتقع في 229 بيتا فقط، وقد أشار إليها في الدرة فقال:

---

1 - قام بتحقيق تحفة المنافع الباحث السيد محمد أيت محند في مجلدين وحصل بها على دبلوم الدراسات العليا.
2 - هكذا سماها ابن غازي في روايته لها في فهرسته: 44 .
3 - يشتغل بتحقيقها أيضا الباحث محمد أيت محند في رسالة دكتوراه.



وقـد نظمت قـبل هذا رجـزا ** مـخـتـصـرا هذّبتـه فَـوَجـزا
أوليـتـه صِـغـار هذا العلم ** ولم أكن مـختـصـرا عن وهم (1).

وله منظومـات أخرى في الحذق، ومحـاورات لعلماء مالقـة ولأستاذه القيسي، ونظم المقدة الأجرومية في النحو، وتحفة الإعراب، ونظم رسالة ابن أبي زيد الفقهية، وله أنظام متفرقة في مسائل الأداء (2).

**تصدره في محضرته:**

لسنا ندري الكثير من التفاصيل عن سير محضرته، ولكننا نستطيع تمثل منهاجـهـا وأهم المواد التي كـانت تدرس فـيـهـا من خـلال نظرنا في إنتـاجـه العلمي، فـالرجل كـان مـتـضلعـا في الـعلوم، لكنه كان يسـعى إلى تبسيطها وتقديمها سهلة للمتعلمين ليتـأتي لهم استيعابها واستحضـارها عند الحاجة. وهاهو يصرح بذلك في قوله في المورد الروي :

وهـا أنـا بعـــد بلا تـوقـف ** في رجز أجعل ضبط المصحف
سـهل وجـيـز منصف مـقـرب ** يفي بوعـد منجـز مـهـذب

مما يدل على أنه اختصره بالقصد ليكون في متناول المبتدئين كما تقدم، ويقول في نظمه لمقدمة ابن آجروم في النحو:

والقصـد من ذا الرجـز المقرَّب ** تعليم أولاد صِـغـار المكتب
عـسى الذي منهم به تعلَّمـا ** يقـول يا رب ارحـم المعلمـا
لما رأيتـهـم شـقـوا وتعـبـوا ** في جـمع منثـور ولم يقـتـربوا
أيقنت أن النظم فـيـمـا أدري ** أشـهَى وأولَى من نفيس النثر(3).

1 – حققت هذه الأرجوزة وعرفت بها في دراستي قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 3/504-521 . وانظر رواية ابن غازي لها في فهرسته: 44 . -

2 – أنظر مؤلفاته في الضوء اللامع للسخاوي: 7/99 .

3 – عندي مصورة من أرجوزته، وللشيخ العلامة محمد بن التهامي عم الفقيه العلامة عبد الله كنون شرحان على الأرجوزة كبير وصغير ذكرهما له في كتابه: ذكريات مشاهير رجال المغرب (ابن آجروم ص 23 )

فتعليم أولاد صغار المكتب هو الهم الحاضر الذي كان يملي عليه هذه الأراجيز حتى تكون بعد ذلك مادة للدرس وكراريس للحفظ والرواية.

وهاهو يفعل مثل ذلك بشرح الدرر اللوامع لابن بري أيضا، فقد رأى اهتمام العلماء بشرحها نثرا ابتداء من شارحها الأول أبي عبد الله الخراز صاحب القصد النافع، فعمد هو إلى شرحها نظما ليكون أقرب إلى الحفظ وأيسر في الاستحضار فنظم في ذلك تحفة المنافع كما قدمنا.

## أبو وكيل يتصدر في جامع القرويين بمحضرته

على أن أبا وكيل -رحمه الله- قد خطا بمحضرته خطوة أكبر حيث حوّلها إلى كرسي من الكراسي العلمية الرسمية في جامع القرويين لأول مرة، وقد أتحفنا بهذه الإشارة التاريخية القيمة الإمام أبو زيد بن القاضي في الفجر الساطع في تنبيه له في باب هاء الكناية منه قال فيه:

«فإن قيل: لم راعى قالون الأصل هنا ولم يراعه في «تكفروه» و«تجدوه»؟ أجاب بعضهم بأن حرف العلة يوجد مع الجازم بخلاف النون، فلا توجد مع النصب. ثم قال:

وحدث بعض الأشياخ أن سيدي ميمون الفخار سُئِل عنه حين إقرائه «الدرر اللوامع» بجامع القرويين من مدينة فاس، فأجاب بما في تحفته وهو:

فصل لقالون سؤال قرروه ** لِمْ لا يراعي الأصل في «لن تكفروه»؟
إلى أخر خمسة عشر بيتا ذكرها» (1).

---

1 -الفجر الساطع (مخطوط)



فهذه الإشارة القيمة تدلنا على ما أصابه أبو وكيل من شهرة بين علماء هذا الفن في زمنه، الأمر الذي رشحه للجلوس للتدريس في كرسي الدرر اللوامع بالقرويين يتلقى عنه الخاص والعام، وتثار عنده المسائل العويصة من مسائل الأداء. ولعله من ههنا ثارت بينه وبين عدد من أئمة القراء وشيوخ المحاضر تلك المحاورات والمعارضات التي نجدها في آثاره. ومنها محاوراته لعلماء مالقة بالأندلس في مسائل من المد (1)، ومساجلاته مع إمام عصره أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي الحسن القيجاطي إمام أهل الأداء في عصره بغرناطة (ت 811 هـ) وشيخ الإمام المنتوري (ت 834 هـ) الذي ملأ شرحه على درر ابن بري بعرض أقواله واختياراته، وأهم ما دار بينه وبين القيجاطي كان في قول القيجاطي بترقيق لام اسم الله إذا كانت قبله راء ممالة للسوسي في نحو «نرى الله» أو راء مرققة لورش مثل «ولذكر الله أكبر». وقد أورد له ابن القاضي قصيدة لامية طويلة يبسط فيها القضية ويستدل على فساد مذهب القيجاطي وفي آخرها يقول:

لميمونك الفخار ذا النظم قد أتى ** مجيبا تدبَّرْ بحثه متأملا (2)

خريجو محضرته:

وقد تخرج من محضرته عدد كبير من مشيخة أهل العصر بفاس، ومنهم:

1 - أبو العباس أحمد بن عبد الله الفيلالي شيخ أبي عبد الله الصغير شيخ الإمام ابن غازي.

وقد أسند عنه ابن غازي في فهرسته القراءة للسبعة من طريق أبي عمرو الداني، ثم خص رواية ورش بالذكر فقال: حدثني بها عن أبي العباس

---

1 - الإشارة إليها في فهرسة ابن غازي: 44 وانظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 3/491-492 .

2 - أنظر باب اللامات من الفجر الساطع.

الفيلالي عن أبي الله الفخار السماتي، عن أبي العباس الزواوي عن أبي الحسن بن سليمان عن أبي جعفر بن الزبير.. وذكر باقي السند (1).

2 – الحسن بن منديل أبو علي المغيلي. ذكره ابن غازي فيمن أدرك أبا وكيل من شيوخ فاس (2).

3 – عبد الرحمن الكاواني أبو زيد نزيل مكناس، أدركه وسمع منه بعض تواليفه (3) وذكر صاحب الإتحاف أنه «لقيه بفاس وسمع عليه بمدرسة الصهريج الألفية لابن مالك ينقل عليها كلام المرادي ويباحثه» (4) وهذا دليل آخر على سعة أفق أبي وكيل وإمامته في العلوم.

4 – أبو الحسن علي بن أحمد الورتناجي الشهير بالوهري، وهو حامل علوم أبي وكيل وراوية كتبه وأراجيزه وأوثق أصحابه وأوسعُهم شهرة، قرأ عليه وروى كثيرا من مصنفات القراءات كالتيسير وحرز الأماني ومورد الظمآن والدرر اللوامع وسمع منه جميع مؤلفاته كما نجد ذلك مبثوثا عند ابن غازي في أول فهرسته (5).

5 – أبو الحسن علي بن مَنُّون المكناسي الشريف الحسني. ذكره ابن غازي في تلامذته، قرأ عليه ابن غازي ختمات كثيرة من القرآن بقراءة نافع، قال ومات بعد السبعين من هذا القرن يعني التاسع (6).

---

1 – فهرسة ابن غازي: 36-37 .
2 – نفسه: 78-79 ونيل الإبتهاج: 109-110 .
3 – ابن غازي في فهرسته: 83-84 وله ترجمة في جذوة الاقتباس: 404/2 ترجمة 412 .
4 – إتحاف أعلام الناس لابن زيدان: 274/5-275 .

5 – فهرسة ابن غازي: 37-38-39-40-41-42-43-44 .
6 – نفسه: 85 .



وبمحضرة أبي وكيل ميمون مولى الفخار المتوفى سنة 816 هـ أختم هذه المحاضر في عصر ازدهارها بمدينة فاس، ولم أدخل الإمام أبا عبد الله الصغير (ت 887 هـ) شيخ ابن غازي، لأنه كان صاحب مدرسة على المستوى العالي، يرحل إليه طلاب هذا الشأن من الآفاق، ولم أعده من أصحاب المحاضر (1) وكذلك تلميذه شيخ الجماعة بعده أبو عبد الله بن غازي (ت 919 هـ) لأنه كان على مستوى شيخه أيضا وأزيد، وقد قيل عن أبي عبد الله الصغيِّر شيخه إنه «ختم عليه ثلاثمائة مسبّع، أي: قرأوا عليه القرآن كاملا بالقراءات السبع، قال أبو العباس أحمد المنجور:

«وهذه بركة عظيمة قل أن توجد لغيره» (2).

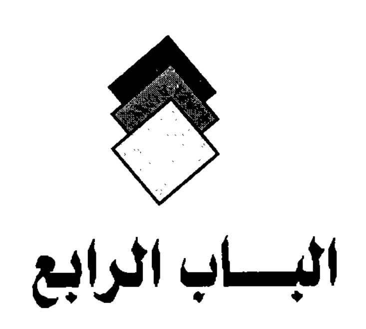
ونترك أيضا متابعة الحديث عن المحاضر في غير فاس من الحواضر والجهات، لأن الغرض إنما هو التمثيل الكافي، لا الإحصاء الوافي، ولعل في هذا القدر الذي سقناه ما يكفي ليعطينا صورا عن أهم المحاضر في أهم ثلاث حواضر، وهي سبتة ومراكش وفاس، إذ كانت في ذلك هي المثال الذي يحتذى في غيرها من الحواضر والبلدان، والله الموفق.

وحديثنا في الباب الموالي عن تطور الكتاتيب والمحاضر سوف يعطي نظرة عن هذه الحركة في عهد ملوك الدولة العلوية، وعما كان كبار مشيخة الإقراء يلقونه عندهم من حظوة وتكريم، ويكشف بصورة موجزة عن أهم الكتاتيب الرائدة التي واصلت هذه المسيرة في القرن الماضي في مدينة فاس، باعتبارها نموذجا لغيرها مما استمر وجوده في سائر الحواضر والجهات المغربية يحمل المشعل إلى اليوم، ويواصل المسيرة القرآنية التي توطدت أسسها ودعائمها على جهود المدارس القرانية ومشيختها الرائدة عبر القرون.

---

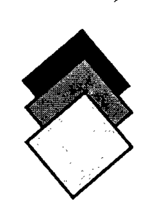
1 – يمكن التعرف على اختلاف مستواه في الرسوخ في العلم عمن تقدموه بالرجوع إلى مرويات ابن غازي عنه في فهرسته من ص 36 إلى ص 69 .

2 – فهرس أحمد المنجور: 17



# الباب الرابع

## محاضر وكتاتيب رائدة
## في عهد الدولة العلوية المجيدة



# محاضر وكتاتيب رائدة

# في عهد الدولة العلوية المجيدة

كانت الحركة القرائية التي انطلقت مع انطلاق الدولة العلوية المجيدة، قد أثمرت وآتت أكلها في جميع آفاق البلاد، تغذيها العناية الرسمية، وتدفع بأئمتها من كبار المقرئين إلى بذل أقصى الجهود في نشر ما عندهم والسعي بطلابهم إلى بلوغ الشأو البعيد في الإتقان، والشفوف على الأقران.

وقد عرف العصر الأول من قيام الدولة بفاس أكابر مشيخة الإقراء ممن ورثوا مجد المدارس القرائية التي تعاقبت على قيادة هذا النشاط على عهد المرينيين والوطاسيين والسعديين، إلى أن ظهرت مدرسة شيخ الجماعة أبي عبد الله بن غازي (ت 919 هـ) بفاس، ثم خلفه فيها أساطين مدرسته من كبار الحفاظ وشيوخ الإقراء.

وتتابع في القيادة رجال من هذه المدرسة، فظهر فيها أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الهبطي -صاحب تقييد الوقف المغربي (ت 930 هـ)، ثم ظهر بعده الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الترغي معلم أبناء الملوك السعديين وشيخ الجماعة في هذا الشأن بمراكش (ت 1009 هـ)، ثم ظهر بعده من تلامذته الشيخ محمد بن يوسف التملي (ت 1048 هـ) وسيدي محمد بن محمد البوعناني (ت 1063 هـ) ثم برز في عهد الدولة العلوية أئمة مثل سيدي عبد الواحد بن عاشر الأنصاري صاحب فتح المنان في شرح مورد الظمآن (ت 1040 هـ)، وتلميذه أبو زيد عبد الرحمن بن القاضي شيخ الجماعة بفاس، وصاحب الفجر الساطع في شرح الدرر

اللوامع وغيره (ت 1082 هـ) وتلميذه أبو عبد الله محمد بن محمد الرحماني الحشادي صاحب تكميل المنافع في قراءة الإمام نافع (وكان حيا سنة 1070 هـ).

ثم ظهر الإمام أبو العلاء ادريس بن محمد المنجرة أول من أدخل القراءات العشر بمضمن النشر وطيّبة النشر لابن الجزري، وتوفي سنة 1137 هـ.

ثم تبعه في مشيخة الجماعة ولده عبد الرحمن بن إدريس المنجرة (ت 1179 هـ).

ثم أعقبه تلميذه سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي شيخ الجماعة (ت 1214 هـ) وأستاذ المولى سيدي محمد بن عبد الله (ت 1204 هـ) وابنه المولى سليمان (ت 1238 هـ).

ثم أعقبه من تلاميذه شيخ الجماعة إدريس بن عبد الله الودغيري الذي عرف له المولى سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله منزلته في الفن، فدعاه إلى تأليف كتابه «التوضيح والبيان في قراءة الإمام نافع بن عبد الرحمن» وعيّنه خطيبا بمسجد فاس العليا، ثم نقله إلى المسجد الذي بناه بالرصيف من فاس، وكان أحد من أحيا الله به علوم القرآن (ت 1257 هـ).

ثم انتقل مركز الثقل في الإتقان إلى شرق المغرب وجنوبه فازدهر الإقراء بسجلماسة وسوس، وظهر فيهما أعلام المقرئين ممن اتصلت أسانيدهم بمن ذكرنا.

وفي عهده كان في سجلماسة ودرعة عدد من كبار المقرئين وأئمة الأداء المعتبرين. ممن أحيا الله بهم هذه الجهات، وقد ذكر أبو علي اليوسي (ت 1102 هـ) وهو يتحدث عن بلاد درعة أنها كانت لعهده مقرّاً للدراسات

القرآنية، ومفزعا لحفاظ كتاب الله، وذكر أنه عرف في أيام دراسته بها زهاء الألفين من حفاظ الرّوايات العشر والسبع (1).

وكان من ألمع الشخصيات التي ظهرت في سجلماسة قارئان ينتميان إلى بيت واحد، وهما الشيخ أبو العباس أحمد الحبيب اللمطي، وأخوه صالح بن محمد بن صالح، وكان هو وأخوه مقرئي سجلماسة وبلاد درعة في زمنهما، وهما يرويان القراءات العشر عن أبي العباس أحمد البنا الدمياطي المصري (ت 1117 هـ) صاحب كتاب إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر» وكانت وفاة الشيخ أحمد الحبيب بسجلماسة في رابع المحرم سنة 1165هـ (2).

ومن تلاميذه النجباء أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن الرشيد السجلماسي – صاحب كتاب «عرف الند في حرف المد» (3).

وقد توج الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي قراءته بالأخذ عن هذا الإمام، فوصل المدرسة الفاسية بالمدرسة السجلماسة، وبذلك اكتمل للآخذين بطريقه في شمال المغرب وشرقه وجنوبه وغربه الجمع بين محاسن المدرستين (4).

وقد تفرعت عن مدرسة ابن عبد السلام عدة مدارس في فاس وسوس وأحواز مراكش والصويرة، وكان طريقه أصلا للمدرسة التي ما تزال قائمة إلى اليوم، وهي مدرسة سيدي الزوين الحوزية بنواحي مراكش، إذ أن

1 – انظر موضوع اهتمام الأسرة العلوية بحفظ القران للأستاذ علال الفاسي: دعوة الحق العدد الرابع السنة 11 (عدد خاص بالقران وعلومه) ذي القعدة 1387 هـ فبراير 1968 م ص 20 .

2 – انظر ترجمته في الاعلام للمراكشي 2/383-384 ترجمة 264 .

3 – انظر مخطوطة عرف الند في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2186 .

4 – انظر كتاب القراء والقراءات بالمغرب للأستاذ سعيد أعراب: 141 وسلوة الأنفاس 2/318-319 .



مؤسسها محمد الزوين أخذ عن القارئ الجليل السيد التهامي الأوبيري، وهذا قرأ على ابن عبد السلام، وما تزال الطرق المتفرعة عن هذه الطريق معروفة موصولة السند بأكابر القراء وأصحاب المحاضر القرائية إلى الآن، ونتصل بها من طرق عديدة عن مشايخنا من أصحاب المحاضر التي أخذنا بها والحمد لله.

وإلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي يرجع أكبر الفضل في إعادة وصل أسانيد المغاربة بطرق الرواية في المغرب والأندلس من جهة. وفي شمال المغرب وجنوبه وشرقه من جهة أخرى.

---

1 - البيان المغرب لابن عذارى: 250/3



## الفصل الأول

# صور من تشجيع الملوك العلويين لأكابر المقرئين

كان للملوك العلويين منذ صدر دولتهم اهتمام كبير بالعلماء وطلاب العلم، وسيأتي لنا أن طلاب العلم ومشايخ المدارس القرآنية منذ عهد المولى الرشيد -المؤسس الحقيقي للدولة- كانت لهم دولة رمزية تتمثل في الحفل السنوي الذي كان يقام بمناسبة عطلة الربيع فيما كان يسمى باسم «سلطان الطلبة» كما سيأتي الكلام عن ذلك في فصل لاحق، وكان رمزا حضاريا يجسد رعاية الدولة للطلاب والمدارس.

وقد ظلت صلة ملوك الدولة بالعلماء والقراء الأئمة وطيدة، واستمرت ظهائر التوقير والاحترام تتوالى عليهم للتنويه بأقدارهم، وإسباغ أردية الإجلال والتكريم عليهم، بالإضافة إلى الجوائز والعطايا الراتبة التي كانت مخصصة لهم في الأعياد والمناسبات، وإعفائهم من شتى التكاليف الرسمية والخدمات.

وفي عهد المولى إسماعيل نقف على آثار كثيرة في هذا الصدد تتعلق بكبار القراء كأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي شيخ الجماعة بفاس (ت 1082 هـ) الذي حضر بيعة المولى إسماعيل العلوي، وظلت ظهائر الرعاية والإحترام تصدر في شأنه من هذا السلطان لصالح أهل بيته.



وكأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أحمد المعروف باسم «بصري» المكناسي، وهو من تلاميذ أبي العباس أحمد الحباك من تلاميذ الشيخ ابن غازي، وصفه ابن زيدان بقوله في الإتحاف:

«حامل راية الإقراء، وخاتم الحفاظ والقراء، حسن الصوت، متّقي الشبهات، سمع السلطان المولى إسماعيل بحسن صوته وجودة تلاوته، فأمر بإحضاره ليلة سابع وعشرين رمضان، فأم به تلك الليلة، وختم القرآن برواية ابن كثير -يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر﴿والضحى﴾إلى آخر و﴿الناس﴾أدرج القراءات إلى﴿المُفلحون﴾

فخلع عليه السلطان حلة سنية كانت عليه، وطلب منه صالح الدعاء، ثم أصدر ظهيرا بتوقيره واحترام آل بصري جميعا، مؤرخا بربيع النبوي عام (1112 هـ) (1).

## ظهير سلطاني للمولى إسماعيل للمقرئ

## محمد بن عبد الرحمن بصري شيخ القراء بمكناس ولأهل بيته

قال العلامة ابن زيدان مؤرخ دولة العلويين في المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف بعد ذكر جملة من ظهائر التوقير والإحترام:

«وكتب للعلامة المقرئ خاتمة القراء الحفاظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ابن أحمد بصري المكناسي ما لفظه... عن أمر عبد الله المتوكل على الله أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، إسماعيل

1 - القراء والقراءات بالمغرب: 139 وإتحاف أعلام الناس: 4/28-33 .

ابن الشريف الحسني أيد الله أمره، وأعز نصره.. يستقر كتابنا هذا – أسماه الله– بيد حملته أولاد ولي الله تعالى العارف بربه الصالح سيدي بَصري –نفع الله به– وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى منهم إليه، وخصوصا الفقيه الأجل السيد محمد بن أحمد بصري وبني عمه وأولاده وأولاد أولاده ما تناسلوا.

ويتعرف منه –بحول الله وقوته، وشامل يُمنه العميم وبركته– أننا أسبلنا عليهم جلابيب الإيثار والوقار، وكسوناهم أردية الاحترام، ونمارق الإجلال والإكبار، وعاملناهم بما يجب وما يجمل بنظرائهم من السادات الأخيار، ووفّرناهم وحرّرنا جانبهم، وأكرمنا مثواهم وحاشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم، وأسقطنا عنهم كل مَغرم أو تكليف، وسلكناهم مسالك آبائهم وأجدادهم وأسلافهم من قبلهم، وأنعمنا عليهم بمزيد أثرة وكريم حضرة، على ذلك حيث هم بحمد الله من أولاد هذا الولي العارف المذكور، ومن خيار أهل حضرتنا العلية بالله، ومن لباب اللباب بها، ومن أعيانها ومن ذوي الحسب والمروءة والأصالة منها.

ولا سيما وفيهم ومنهم النشأة الطيبة، والنخبة الزكية، الجامع لأشتات خصال الفضل والمجد، حامل راية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، الفقيه الصدر العالم العامل السني أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصري، وابن عمه الأحظى الأجل الأنوه الفقيه النبيه الأمثل السيد أحمد ابن محمد، فما عندنا أعز منه ومنهم، فنحن منه وهو منا وفينا وإلينا، ومحسوب على الله وعلينا، والعلم والدين والسنة معه تجمعنا، والجهل مع البدعة لغيره يفرقنا، والعلم والخلافة أخوان.. فلا يقرب أحد ساحته وساحة أهله وبني عمه وأقاربه بما يسوؤهم أو يضرهم في نفوسهم،

أو يشوّشهم على أسبابهم ومعاشهم، أو أمر من أمور دنياهم، في هذا الأوان، ولا فيما يأتي من الأزمان، ما تعاقب الجديدان، واختلف الملوان على الدوام.... صدر به أمرنا المعتز بالله والسلام.

**بتاريخ ربيع النبوي عام** 1112 هـ (1).

## تدشين مدرسة للقراء بمكناس

ومن مظاهر عناية المولى إسماعيل بالقراءات في عاصمة مملكته مكناس تجديده لمدرسة تافيلالت المشهورة بها لإحياء علوم القرآن.

ومما كتب على زليج أخضر على صورة محراب بباب هذه المدرسة تخليدا لذكرى تجديدها على يد المولى إسماعيل العلوي عام 1130 هـ في جدارها الشرقي ، وقد نظمه الناظم على لسان المدرسة:

بحمد إلهي أبتدي وصلاته ** على أحمد المختار طول المدى تترا

تأمل جمالي كي ترى الآية الكُبرى ** أحاكي لزهر في السنا والعُلا زُهرا

تأنّق في البنيان والوشي صانعي ** أنا منزلُ القراء حزت بذا فخرا

عن أمر أمير المؤمنين الذي سما ** بنسبته للمصطفى، وعلا قدرا

أبي النصر إسماعيل كمل بهجتي ** بناظره (السهليّ) قد سَهَّل الأمرا

سليل العُلا مزاج عبد الرحيم من ** بإتقانه الأوقاف يلتمس الأجرا

وكُملْتُ عام الألف مع مائة وزد ** ثلاثين شهر المولد أحبب به شهرا (2)

---

1 - المنزع اللطيف: 122-123 .

2 - كتاب المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف لمؤرخ الدولة العلوية مولاي عبد الرحمن بن زيدان: 328

## تقديم طلب إلى السلطان بتأسيس دار لتجويد القرآن

ومما يندرج ضمن عناية الأشراف العلويين بالقرآن وعلومه استضافة بعض علماء المشرق من علماء التجويد للاستفادة من مهارتهم، ويتعلق الأمر بالعلامة الشيخ عبد الكريم بن عمر بن مراد الشامي الطرابلسي ثم المدني الحنفي ، ورد على فاس عام (1324 هـ- 1906م) وكان يلقي دروسا في التجويد بالزاوية الكتانية بفاس، وألف في ذلك كتابه: الهدية النافعة لشرح منظومة الواضحة في تجويد الفاتحة للإمام الجعبري (ت 732 هـ) وأهدى هذا الشرح إلى السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن الأول، فقال في طالعته: «فنرجو من سيدنا -أعزه الله تعالى- طبع هذا الكتاب ونشره، وفتح (مكتب) لأجل قراءة الأولاد على الطريقة الصحيحة من العلوم الدينية والوقتية بترتيبنا الغريب، وصنعنا العجيب، حسبما شهدت بفضله العلماء الأعلام بمدرستنا في المسجد الحرام، ومدينة النبي عليه السلام، ويسمى بالمقاصد العزيزية لنشر العلوم الدينية والوقتية» (1).

## صورة من البرنامج اليومي في بعض المحاضر لتدريس الروايات وشرح الكراريس في صدر الدولة العلوية بمراكش

هذا البرنامج للإمام المقرئ سيدي محمد بن يوسف بن أحمد بن زكرياء التاملي السوسي الأصل المراكشي الدار والمنشأ. قال المراكشي في الإعلام في تحليته: «الشيخ الأستاذ المجود الأديب الفهامة، معلم الملوك

1 - يمكن الرجوع في ذلك إلى الأستاذ محمد المنوني: حوليات كلية الآداب - عين الشق- الدار البيضاء العدد: 1985:2 الصفحة 51

المالكي أحد فقهاء المغاربة، المتطين سنام الفضل وغاربه.. أخذ بفاس عن سيدي الحسن الدراوي، ومحمد بن يوسف الترغي وجماعة.

قال أبو العباس المقري صاحب نفح الطيب: وقد كتب إلي صاحب الترجمة بعدما رجع من فاس إلى مراكش بعدما وصلها، وهو يقول:

لا زائد على ما نعرّفكم به سوى ما ألهم الله بفضله، من معاطاة كؤوس القراءات مع طلبة هذه الحضرة.

ولقد خرجوا للقائي متعطشين لمرحلة عن مراكش، في جمع كثير، أزيد من ثلاثمائة طالب، وقد بدأت مع الطلبة (بالمدرسة الغالبية) (1) الشاطبية، ولامية الأفعال بعد العصر، والكراريس (2) بعد العشاء، ووقت التجويد من طلوع الشمس إلى العصر.

والذين معي من الطلبة في الجمع الكبير (3) ثمانية، وفي العشر (4) ستة، وهم في الإزدياد.

وقد عزمت على جمع فهرسة أذكر فيها من لقيته من الأفاضل أمثالكم، ثم ذكر له رسالة كتب بها إلى الإمام المقري حين مقامه بالشام في عاشوراء فاتح سنة 1038 هـ (5).

---

1 - المدرسة الغالبية هي المجاورة لمسجد ابن يوسف بمراكش قرب سوق الطالعة، وتنسب إلى الغالب بالله ابن محمد الشيخ السعدي، وقد كنت نازلا بها لعدة سنوات حين دراستي بمدرسة ابن يوسف بالتعليم الأصلي في سنوات 1958-1960 وكان لي حانوت فيها من جملة مساكن الطلبة، وقد ضمت في السنوات الأخيرة إلى وزارة الثقافة.

2 - الكراريس: هي مجموعة من المتون التي يستعان بها في تدريس علوم القرآن والعربية.

3 - يعني القراءة بطريق الشاطبية والدرة، وهي العشر الكبير عند المغاربة.

4 - يريد به العشر الصغير، وهو الطرق العشر النافعية، وقد وقفت على إجازته فيها لتلميذه أبي عبد الله محمد بن محمد الرحماني الحشادي في جملة أسانيد الرحماني وهي في مجموع كبير محفوظ بخزانة أوقاف أسفي.

5 - الإعلام للمراكشي: 5/260-261 ترجمة 680 .

## محضرة

## محمد بن عبد الرحمن القصري الزامر (ت 1076 هـ)

ومن كبار القراء في عهد المولى الرشيد العلوي: أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الزامر القصري.

ترجم له العلامة القادري فقال في وفيات هذه السنة: «ومنهم الأستاذ المشارك الفقيه الصالح مؤدب الصبيان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القصري.

قال الحافظ أبو زيد عبد الرحمن الفاسي:

دخلت لأقرأ عليه وفي لوحي يومئذ (ولقد وصلنا) من سورة القصص، فختمت عليه القرآن في ذلك العام، وحفظته في أول ختمة على التمام، وأنا ابن سبعة أعوام، وبدأت الختمة الأخرى مع الكراريس والجرومية، ثم أخذت في قراءة الألفية والرسالة والمختصر وما يتبع ذلك من التآليف التي لا تحصي» (1).

## محضرة الرايس الفاسي

وقال القادري في النَّشر في حوادث عام 1109 :

ومنهم الفقيه الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المدعو الرايس الفاسي. كان أستاذا مجودا مقرئا، جمع السبع على الشيخ أبي

1 - نشر المثاني: 157-156/2 .



زيـــد بن القـاضي وغـيره، وأخـذ عن الحـافظ الفـاسي وأحـمـد بن الحـاج وغـيـرهم، وتولى إقـراء الطلبـة بمدرسـة العطارين القـرآن بالروايات، وكـان يدرس الألفية والشـاطبية والكراريس والرسـالة ونظم الرافعي، فـانتفع به أقـوام، وكان ذا حـالة مرضية، وكان يؤُمّ بمسـجد القفّاصين من عدوة فـاس القرويين، توفي عام 1109 هـ (1).

## المحاضر الكبرى

## في عهد المولى محمد بن عبد الله العلوي:

وفي عـهد سيدي مـحمد بن عبد الله، وربما بتشـجيع منه قام الإمـام ابن عبد السـلام شيخ الجماعة برحلة علمية استطلاعية كان غرضه منها التعـرف على من بقي في المغرب من رجـال القـراءات وأكابر المقرئين شـرقـا وغربا وشـمـالا وجنوبا، فلم يدع جـهة مـعروفة بذلك إلا دخلها وأقـام فيـها للأخذ عمن بقي بها.

وفي هذا الصدد رحل إلى تافيلالت وسجلماسة بشرق المغرب ليأخذ عن أصـحاب المقرئ الجليل فارس التجـويد أبي العبـاس أحمد الحبيب بن مـحمد بن صـالح اللمطي (ت 1165 هـ) فلقي من أكابرهم الشيخ المتقن أبا العبـاس أحمد بن عبد العـزيز بن الرشـيد السجلمـاسي مؤلف كتاب «عـرف الند في حـرف المد» وقرأ عليه، وأجـازه في القـراءات السـبع وغيـرها إجـازة مطلقة (2).

---

1 -نفسه: 84/3 .

2 - أنظر سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني: 318-319 والقراء والقرات بالمغرب لسعيد أعراب: 141-142 .

ثم رحل ابن عبد السلام إلى سوس فنزل بقبيلة آيت صواب يأخذ ويؤخذ عنه .

ولما أسس سيدي محمد بن عبد الله مدينة الصويرة انتدبه للتدريس بها في حدود (عام 1195 هـ) فأقبل عليه طلاب القراءات من قبائل حاحة والشياظمة وعبدة ودكالة وسوس وأحواز مراكش، وتخرج عليه عدد زاخر من أئمة هذا الشأن خلال السنوات الأربع التي قضاها هناك قبل عودته إلى فاس (1).

● ومن مظاهر عناية السلطان سيدي محمد بن عبد الله بأهل القرآن وحملة العلوم الشرعية هذا الظهير السلطاني الصادر عنه في الثاني والعشرين من صفر الخير سنة 1178 هـ وفيه «صدر الأمر بتحرير الفقهاء والقراء بقبيلة عبدة، وعدم مطالبتهم بالوظائف الموظفة على الناس» (2).

وهذا الظهير إنما هو أحد الظهائر المماثلة في موضوعه، لأن الغرض منه هو تشجيع حملة القرآن وطلبته على التفرغ لهذا الشأن، وإشعارهم أيضا بسمو المنزلة وعلو المرتبة حتى يحفظ الناس لهم هذه الحرمة، وحتى يزداد إقبال العامة على تعليم صبيانهم كتاب الله تحصيلا للفضل والمثوبة، ورغبة في إحراز هذه الخصوصية والفضيلة التي تحط عن الأسرة كثيرا من الأعباء المخزنية التي كان يحملها العامة من مادية وبدنية، وتكسبها عند الناس حظوة وتقديرا رائدا.

---

1- السلوة: 319/2 .

2 - كتاب علائق اسفي ومنطقتها بملوك المغرب لمحمد بن أحمد الكانوني: 97 .



## ومن أعلام أصحاب الشيخ محمد بن عبد السلام:

## أبو علي الحسن بن محمد بوزيد الخمسي.

من قبيلة الأخماس بالشمال المغربي. أخذ القراءات عن عدد من شيوخ الجبل في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن علي بن علي الحساني العمراني من قبيلة بني حسان على نحو 30 كلم من مدينة تطوان المغربية على الساحل الشمالي. وهو من فحول القراءة الذين أسهموا في نهضتها في هذه الجهات، وله فيها مؤلفات، منها:

- ✔ قصيدة لامية في تخفيف الهمز لحمزة وهشام سماها «التقريب والتكميل» ضمنها خلاصة «تقريب الكلام» لأبي العلاء إدريس بن محمد المنجرة، وذيل أبي زيد عبد الرحمن ولده عليه، وتقع القصيدة في 71 بيتا.
- ✔ وله عليها شرح.
- ✔ ومنها رجز في تصدير أبي عمرو بن العلاء البصري.
- ✔ ومنها نظم لما للبزي من وجوه في التكبير.
- ✔ وأرجوزة في اتفاق الرواة واختلافهم في السكون والوقف في عشرين بيتا.
- ✔ وجواب عن سؤال كتبه إليه نظما تلميذه الفقيه المقرئ أبو محمد ابن عبد السلام الريفي في قراءة من قرأ «اللذيْن» بتشديد النون لابن كثير وتوجيهها (1).

---

1 - قراءة الإمام نافع عند المغاربة لصاحب هذا الكتاب: 4/427-428



ثم أخذ أبو علي الخمسي أيضا بعد أن اشتد عوده عن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي، وأتم عليه دراسته في القراءات وعلومها، وتحقق من علوم التجويد، يقول في صحبته لابن عبد السلام:

«ولتعلم أني ما حدثت بـ« البدور العشرة» حتى ختمت القراءات بجميعها نحواً من ستين ختمة وافية كاملة عرضا ودرسا... وكنت لا أصاحب وقت طلبها إلا من انتهت إليه في تحقيقها الرياسة الشامخة، وانقطعت دونه أسباب كل من يسايره في علومها، ومع شأني هذا كان لي في إخراج الضاد لُكنةٌ، حتى من علي واقي العباد من العناد، بصحبة من لا يزال فؤداي بلوعة شوقه يقاسي، شيخي وأبي الروحي، محمد بن عبد السلام الفاسي، فسمَّعني تجويده بحسن نطقه وكريم لفظه...»

وقد رافقه في الأخذ عن الشيخ ابن عبد السلام، شقيقه أبو الحسن، وله مؤلفات في علم القراءات منها: تأليف في التجويد سماه «تحفة ذوي الألباب، من القراء والكتاب» كتبه بالقنادسة سنة 1203 هـ، وكتاب روضة المقام في وقف حمزة وهشام فرغ منه عام 1201 هـ (1) .

## في عهد المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي

وفي عهد المولى سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي تضاعفت هذه العناية، وتزايدت الرعاية لأهل القرآن، ولاسيما أهل التبريز منهم، وكانت المناداة بحفظ القرآن والمزاوجة بين الدراسات القرآنية ومبادئ الدين وقواعد العربية، وعمت الدعوة إلى إعادة المدارس العلمية إلى سالف

1 - أنظر القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: 153-154 .



عهدها، وتقديم التشجيع لها بكل ممكن، وبذل مزيد من الرعاية الرسمية للقائمين عليها وتقريبهم منه، وتقديم المنح والجوائز المعتبرة، وترتيب الأرزاق والفوائد القارة للمستحقين والفائقين (1).

ومن مظاهر رعايته للدراسات الفقهية تخصيصه العطاء الجزيل لحفاظ مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي، ويذكر أنه أمر باختبار من يحفظه من الفقهاء من قبيلة دكالة وحدها، فوجد في «أولاد ابن المنحوت» بأولاد فرج أربعين نفراً من بيت واحد، فأكرمهم وبالغ في الإنعام عليهم» (2).

ومن تشجيعه لعلماء القراءات تقديمه وتنويهه بأستاذها في وقته أبي العلاء ادريس بن عبد الله الودغيري الملقب بالبكراوي (ت 1257) من تلاميذ الشيخ ابن عبد السلام الفاسي، وكان إماما في هذا العلم لا يجارى، حمل راية القراءات في عصره، وكان إليه المرجع فيها. قال في السلوة: وبه ختم فن القراءات بفاس، فلم يوجد بعده من يقوم فيه مقامه، وكان فصيحا بليغا، خطب بالسلطان المولى سليمان في فاس العايا، ثم في مسجد الرصيف، ثم تولى خطابة القرويين في أيام خلافة المولى عبد الرحمن بن هشام، وكان السلطان المولى سليمان يقدره ويعرف فضله في هذا الفن، فإنه البقية الصالحة من شيوخه، وكان كثير الاتصال به يجالسه ويذاكره (3). وقد أمره أن ينظم ثلاثة أبيات في بعض أحكام القراءات فأجازه عليها بثلاثمائة مثقال (4)، وهو الذي أمره أن يؤلف كتاب «التوضيح والبيان في مقرإ الإمام نافع بن عبد الرحمن» ورسم له خطة تأليفه على الطريقة المعجمية

1 – أنظر العلامة الرحالي الفاروقي في موضوع: الدولة العلوية والقرآن الكريم: 27-28 (دعوة الحق العدد: 4 – السنة 11 ذي القعدة 1387 هـ – 1968).

2 – أنظر كتاب علائق أسفي ومنطقتها بملوك المغرب للفقيه محمد بن أحمد الكانوني العبدي: 115 .

3– كتاب القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: 157 .

4 – المرجع نفسه: 154-157

كما أشار إلى ذلك في مقدمته، وقال: «جعلته سلما لتعليم الصبيان، وتذكرة للماهرين بالقرآن» (1). كما أمره أيضا بتأليف كتاب في همزة الوصل والألف التي تزاد في الخط إلى غير ذلك من المؤلفات التي تدل على وثيق العلاقة بينه وبين السلطان، وكريم الرعاية من السلطان لهذا المقرئ الكبير.

ومن تقديره لمشيخته أنه أمر بترقية الفقيه الكاتب السيد المكي بن الغازي السجلماسي الفاسي الدار، وكان المولى سليمان قد قرأ عليه القرآن العظيم بسجلماسة، ولما ولي أمر المسلمين كان يأخذ عنه العلم، ثم ولاه عاملا على قبائل تامسنا، فأقام بها واليا عدة أعوام إلى أن كبر وعجز فأخره عن الولاية، وأنزله مكناس في كنف رعايته (2).

وكان المولى سليمان قد قرأ على جماعة «منهم مؤدبه في صغره – معلم أولاد الملوك بباب الدار العلية من قصبة مراكش، الفقيه الأستاذ البركة السيد عبد الوهاب أجانا (ت 1210 هـ)» (3).

ومن رعاية المولى سليمان للعلماء المبرزين (4) ما ذكر من أنه بعد أن تحقق له النصر على بعض الخارجين عليه بشرق المغرب «فرق على قبائل تلك الأقطار أعطيات، فأعطى للطلبة وغيرهم، فجعل للفقيه المدرس أربعة أسهم، ولغيره سهمين، وللطالب الذي يحفظ القرآن برسمه حتى صفا لوحه سهمان، ولغيره سهم» (5).

---

1 – أنظر مقدمة التوضيح والبيان – طبعة حجرية بفاس.

2 – كتاب جمهرة التيجان في ذكر الملوك وأشياخ المولى سليمان لأبي القاسم الزياني: 143 .

3 – نفسه: 126 .

4– مما ينسب إلى المولى سليمان العلوي مما ذكر فيه أسانيده في علوم القران قوله:

أول من علمني القرآنا ** والرسمَ عبد الوهاب أجانا

وسندي في الضبط والروايات ** عن الفاسي عن شيخه بحر الفُرات

عابد الرحمن الشريف المنجرة ** عن والده: إدريس رسم العشرة

أنظر الأبيات عند الأستاذ سعيد أعراب في كتاب القراء والقراءات بالمغرب: 155 .

5– الاعلام للمراكشي: 86/7 ، 180-79/10 .



## في عهد المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي

وقد سار على هذا الهدي العلوي نفسه المولى عبد الرحمن بن هشام فاعتنى بأهل القرآن، واتخذ للأمراء في قصوره معلمين أكفاء، يدل على ذلك ما وصل إلينا من أخباره عند مؤرخ دولة العلويين المولى عبد الرحمن بن زيدان.

ففي إحدى رسائل المولى عبد الرحمن إلى ولده سيدي محمد يقول له مجيبا:

وبعد فقد وصلنا كتابك على شأن ما كتبنا لك به في أمر (طالب) إخوتك بالدار البيضاء، وأخبرت بحزمه وضبطه، وأن معه من مقدمات العلم ما ينبغي لمثله، وما قدمته لتعليمهم حتى تخيرته واختبرته.. وما كتبنا لك بما كتبنا إلا عناية بتدريب الأولاد -أصلحهم الله- وحملهم على الجد في القراءة والاطلاع على أمور الاعتقاد الذي هو أهم ما اعتنى به المكلف عموما، وخصوصا الصبيان، ليسبق ذلك إلى أذهانهم، ويمتزج مع دمهم ولحمهم. قال في الرسالة:

«واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون، إيصال الخير إلى قلوب أولاد المومنين، ليرسخ فيها، وتنبيههم على معالم الديانات وحدود الشريعة ليراضوا عليها...

فلتؤكد على (الطالب) المذكور في زيادة الجد والحزم، والدؤوب على التعليم، وتعاهد (الأسوار) وحضه على تعليمهم الاعتقاد، وأن يقتصر على ما ذكر ابن عاشر في كتاب أم القواعد وما انطوت عليه من العقائد،



ويكلفهم بحفظ ذلك الباب وإتقانه، وتفهيمهم إياه... وفي 23 ربيع الأول النبوي الأنور عام 1262 هـ (1).

## رسالة سلطانية من المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي في الإنعام على طلبة العلم والمؤدبين

وفي رسالة رسمية سلطانية من المولى عبد الرحمن بن هشام إلى عامل تطوان الحاج عبد القادر أشعاش مؤرخة بسابع رجب الفرد عام 1261 الموافق 12 يوليوز 1854 م جاء بعد الإفتتاحية:

«خديمنا الأرضى القائد الحاج عبد القادر أشعاش، وفقك الله، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد

فقد أنعمنا بصلة على الفقهاء وطلبة العلم الفقهاء الكبار، وهم ثلاثة عشر، خمسة عشر مثقالا للواحد، ثم الطبقة الثانية التي تليهم عددهم أربعة وعشرون، خمسة وسبعون أوقية للواحد، ثم الطبقة الثالثة النجباء خمسة عشر، خمسون أوقية للواحد، ثم الطبقة الرابعة المبتدئون، عددهم ستة وعشرون، خمسة وعشرون أوقية للواحد، إجتمع في الجميع خمسمائة مثاقيل وخمسة عشر مثقالا.

كما أنعمنا على المؤدبين بمائة مثقال، وعلى المؤذنين بمائة مثقال أخرى.

فمر الأمناء أن يدفعوا لكل فريق ما أنعمنا عليه به، والجميع ألف مثقال واحد وخمسة عشر مثقالا.

---

1 - إتحاف أعلام الناس لابن زيدان: 5/242-243 ، وانظر رسائل أخرى مماثلة.



فوجّه لنا زمام عدد المؤدبين والمؤذنين والأشراف. وما وجب لكل فريق في صلته، والسلام (1).

## محضرة القارئ الكبير محمد التهامي الأوبيري الحمري ومنزلته عند المولى عبد الرحمن بن هشام

وممن برز أتم التبريز في إمامة القراء بعد شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن عبد السلام تلميذه أبو عبد الله محمد التهامي بن محمد بن مبارك بن مسعود الحمري الأوبيري «من بيت علم وقراءة، وكان والده وجده من شيوخ القراءات.

حفظ القرآن بالسبع على ابن عبد السلام الجبلي، وكان حسن الصوت، إذا تلا فكأنما أوتي مزامير داود عليه السلام.

أخذ عن جماعة من شيوخ مراكش كأبي الحسن البوعناني وأبي عبد الله الدكالي وابن عبد الكريم الرحماني وسواهم. واختص في القراءات وعلومها بأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي، ورحل إلى المشرق صحبة شيخه محمد بن عبد السلام الناصري عام (1211 هـ) فأدى فريضة الحج، ولقي جماعة من شيوخ العلم والقراءات، فأخذ عنهم، وقرأ على الشيخ ابن عبد السلام الفاسي الشاطبية بالجعبري، وقصيدة ابن المرحل في القراءات (2) ودالية ابن المبارك (3) وسواها.

1 - هذه الرسالة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط. وانظر موضوع ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي للأستاذ محمد بن عبد الله مجلة دعوة الحق المغربية: العدد 272 ربيع الأول والثاني - نونبر - دجنبر 1988 ص 135

2 - يعني أرجوزته التبصير في نظم التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، وهي مفقودة.

3 - يعني الدالية في الهمز لابن المبارك، وأولها:

حمدا لمن حفظ القرآن للأبد ** مسهلا لذوي التجويد والسند

وسمع على أبي محمد الحلوي نظم «الدرر اللوامع» وتصوير الهمز والضبط (1) وكان إلى تضلعه في علم القراءات عالما أديبا، له باع طويل في علوم اللغة، ناقش ابن المرحل في مواضع من قصيدته الآنفة الذكر:

ومن شعره قصيدة مطولة تشفع بها لدى السلطان المولى عبد الرحمن في أبناء قبيلته (حِميرٌ) وقد قاموا ضد بعض العمال جاء فيها قوله:

امنُن عليهم كما من الرسول على ** وفد هوازن مَعْ ما كان من خلل

فقبِل شفاعته فيهم، وأجابه برسالة مسهبة أعقبها بقصيدة يقول فيها:

يا عالما أبدت القرى حنانته ** فجاء من رائقات النظم بالمثل

شفعت في حِمَيْرٍ ترجو نجاتَهم ** والظلم، منهم، وليس الظلمُ من قِبَلي

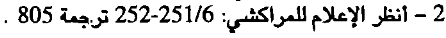
ما حِمْيَرُ غيرَ أنصار، ومهما هَفَوا ** فالعفو من شيمتي والصفح من خِلَلي

إلى أن يقول:

فالعفو شِيمتُنا والحِلم سيرتُنا ** وراثة من أبينا سيِّد الرسل (2)

## تفصيل لمشيخة الأوبيري ومروياته ومؤلفاته:

«أخذ عن شيخه سيدي محمد بن أحمد بن العربي الرجراجي المراكشي مولدا ووطنا، والشيخ أحمد بن طاهر الأندلسي أصلا المراكشي مولدا، وهو عمدة قراءته بمراكش في الفقه والنحو والأدب وشيخه مولاي علي الشريف البوعناني، قرأ عليه بعضا من (الشاطبية)، وشيخه سيدي أحمد الشاوي لقبا، التادلي نسبا، المراكشي وطنا، قرأ عليه بعضا من



1 - أنظر هذه المعلومات في كتابه المخطوط: إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي.

2 - أنظر الإعلام للمراكشي: 6/251-252 ترجمة 805 .



(الألفية) و صدرا من (الرسالة)، وشيخه سيدي محمد بن بدن الدكالي، قرأ عليه (الألفية) و(التصوير للهمز) و(الضبط) و(الدرر اللوامع) وبعضا من (الشاطبية)، وسيدي أحمد بن الحضري الدكالي العثماني بعضا من (خليل) وبعضا من (الألفية)، والمحقق سيدي محمد بن عبد الكريم الرحماني قرأ عليه (الشاطبية)، وكان يسرد معهم (الجعبري)، والإمام سيدي الجيلاني بن أحمد بن المختار السباعي... والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الناصري، قرأ عليه (ابن عاشر) ليلا في سفره معه لحج بيت الله الحرام، عام 1211 هـ ثم قدم عندهم لموضعهم عام سبعة عشر، فقرأ عليه أول (البخاري) وبعضا من (سنن أبي داود) وفاتحة (الموطأ) وأجازه.

ومنهم الشيخ التاودي بن سودة، حضر عليه في (صحيح البخاري) بجامع القرويين، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي المقرئ، سرد عليه قصيدة ابن المرحل، فيقول في بعض المواضع: هذه اللفظة ليست في القاموس، قرأ عليه (الشاطبية بالجعبري) إلى ياءات الإضافة، و(دالية ابن المبارك) والكتاب العزيز...

كان شيخه ابن عبد السلام الجبلي حسن النغمة بالقرآن، وكان ذات يوم يسرد معه لوحته بالسبعة، فمر جماعة من النصارى على البيت الذي كان فيه، فوقفوا يستمعون قراءته -رحمه الله. وكان ذلك حين كان يقرأ عليه بمدينة الصويرة.

ومن مؤلفاته: مدد اللطيف في شرح البسط والتعريف في علم التصريف للإمام المكودي، فرغ منه ضحوة يوم الخميس سابع ذي الحجة عام 1210 هـ، وشرح على نظمه في موانع الصرف، وشرح منظومة



العروض لأحمد الرسموكي، وشرح نظمه في حكم الوقف على الهمز لحمزة وكتاب إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي.

وهذه المعلومات كلها مستفادة من كتابه الأخير، إلا قليلا هو من إضافة المؤرخ ابن إبراهيم المراكشي (1).

## محضرة المدرّر الكبير الشيخ

## سيدي محمد أعجلي الولتيتي البعقيلي السوسي (ت 1271)

وممن اشتهروا في أيام المولى عبد الرحمن بن هشام من أعلام هذا الفن، وكان لهم الصيت الذائع في فن «الحطيات» و«العدد» الشيخ الحافظ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أعجلي البعقيلي الولتيتي السوسي صاحب المدرسة الحطية في سوس والجنوب المغربي، اشتهر بهذا الفن بعد عودته من رحلته إلى قبائل جبالة بشمال المغرب، وشارط في مواضع من قبائل حاحة وسوس، واشتهر في هذه القبائل بفن الحطيات، ورحل إليه الطلبة في ذلك. ومن آثاره في ذلك:

✔ ميم الجمع في القرآن: مجموع أو معجم رتبه على الحروف الهجائية قال فيه: إنه كتاب عظيم جمع فيه ميم الجمع كلها الموجودة بعد الحروف الأربعة: الهمزة والتاء والكاف والهاء.

✔ رسالة في هاء الضمير مرتبة على حروف المعجم أيضا.

✔ تقييد التنوين الذي جاء في آخر كلمات القرآن العظيم، وفيه ثلاثة أنواع: المضموم والمنصوب والمكسور، وهو مرتب أيضا على حروف المعجم.

---

1 -انظر الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام: 6/251-253 ترجمة 805 .



✓ تقييد التنوين الذي جاء في آخر كلمات القرآن العظيم، وفيه ثلاثة أنواع: المضموم والمنصوب والمكسور، وهو مرتب أيضا على حروف المعجم.

✓ الهداية لمن أراد الكفاية، على ضبط أواخر الكلم، بما صح بالرواية (1)، وهو معجم إحصائي يضم ضبط كل كلمة مع تعيين موضعها في كل ربع من أرباع الأحزاب الستين مع ذكر عددها، مما يعتبر به أشبه بمادة خام لمن يعمل على وضع هذه الأعداد في أنصاص وأزجال من أجل الحفظ:

✓ الإتصال الكبير، وهو مجموع متداول بين الناس أضيفت إليه إضافات، وزيدت عليه زيادات، مما جعل نسخه تختلف اختلافا بيِّناً، وتتفق في مجموعها على الموضوعات التالية: الاتصال في الرسم - الإنفصال - الوزن، وهي مرتبة حسب سور القرآن (2).

وقد رأيت كثيرا من الشيوخ يضعون هذه المجاميع من كتب أعجلي قريبا منهم عند تصحيح الألواح، فإذا احتاج أحدهم إلى معرفة عدد كلمة تعلق الأمر بها، فتح موضعها من المجموع، فإذا وجد العدد ومواضع ورودها عمد إلى نظم ذلك في نص من أجل الحفظ كقولهم مثلا من كتاب الإتصال:

ما ننسخ فليقاتل فضّل وَيَنْتَه ** «أينما» بالإتصال دال عددهم

وكقولهم من كتاب الانفصال:

«وأنَّ ما» في الحج واللقمان ** همزة لهم دارُ السلام

1 - كتاب واسع الإستعمال في المحاضر بسوس، ومنه نسخ بالخزانة العامة بالرباط وغيرها .
2 - أنظر كتاب القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: 165-166 .

وقولهم في ضبط ﴿إلا الله﴾ بالنصب والوقف:

إذا لقوا الفريقين يقنت أئنكم ** أخا عاد إلا الله بالنصب والوقف

ترجم له العلامة محمد المختار السوسي وقال: ذو شهرة طنانة بعد صدر القرن الماضي، وذكر أنه تخرج في القراءات بجبالة بأحواز فاس، ثم أقبل على تعليمها في بلاده بهمة كبيرة في مدارس شتى، وقد درّس في «المولود» و«إيكضي» و«أفاوزور» فتخرج به مئات «توفي سنة 1271 هـ» (1).

## تزايد العناية بأهل القرآن وظهور المدرسة القرآنية لسيد الزوين

وفي عهد المولى الحسن الأول تزايدت العناية بأهل القرآن، وأحرز المبرزون في علم القراءات المقام الأوفى الذي ما بعده مقام، وذلك لأنه كان من المشاركين في العلوم.

قال العلامة الرحالي الفاروقي متحدثا عن هذه العناية الحسنية:

«وفي عهد المولى الحسن الأول كان الذين يحفظون القرآن برواية الشيخ حمزة، علاوة على تمتعهم بالنوال والعطاء، يتحررون من كل خدمة ونائبة، مما أدى إلى انتشار الكتاتيب القرآنية في أكثر الأقاليم المغربية، فكنت تجد أكثر الدوار أو المدشر في البادية من حفاظ القرآن، حتى إنهم أصبحوا يكونون مجتمعا خاصا في هذا الإطار.

ويوجد في بعض قبائل السراغنة دوار أولاد صبيح ينيف سكانه على مائتي خيمة، مازال إلى الآن يطلق عليه «دوار حمزة»، لأنهم كانوا يحذقون رواية الشيخ حمزة» (2).

---

1 - رجالات العلم العربي بسوس: 224-225 .

2 - الدولة العلوية والقرآن الكريم للعلامة الرحالي الفاروقي: دعوة الحق العدد الرابع السنة 11 ذي القعدة 1387 هـ - فبراير 1968 م ص 28

ويقول بعض الباحثين، في بيان دواعي الإهتمام الزائد عند المغاربة بالقراءات القرآنية في القرن الرابع عشر الهجري، ومنها: التشجيع الذي يتلقاه المقرئ الحافظ السبعي أو العشري من المجتمع الذي يُجله ويقدره، ويتطوع المحسنون من الناس بأوقاف من ممتلكاتهم على الحزّابين من القراء (1) أو على مدرسة قرآنية تشجيعا للمُضي في العناية بالقراءات القرآنية، ثم ما يخص به بعض أولي الأمر هؤلاء الحفظة من الإكرام والتوقير والاحترام.

فالسلطان الحسن الأول -رحمة الله عليه- ينزل على سيدي الزوين في مدرسته بالحوز تشجيعا منه لما يقوم به من جهود في خدمة القراءات القرآنية (2)، كما كان يعفي كل من حفظ كتاب الله بالقراءات السبع أو العشر، أو حفظ المختصر الخليلي في الفقه من الأعمال المخزنية احتراما للعلم وإكراما لأهله، حتى شاع بين الطلبة أن مفتاح السيادة والتبريز على الأقران يكمن في تحصيل ثلاث خاءات: خلف وخلاد -يعني قراءة حمزة، وخليل- يعني حفظ مختصر خليل (3).

يقول العلامة العباس بن إبراهيم المراكشي في الإعلام منوها بسيدي محمد الزوين: «الأستاذ الولي الصالح المعمر ذو الكرامات الشهيرة، والمآثر الكثيرة، كان حافظا لقراءة حمزة أخذها عن سيدي التهامي الأوبيري صاحب الزاوية بقبيله حمير. كان كثير الإطعام، ربما يكون في

1 - ذكر أن قراءة الحزب الراتب بالسبع أو العشر بعد صلاة العصر اشتهرت في المغرب إلى وقت قريب، إذ كانت لها أوقاف يستفيد منها المقرئون المعينون لها، وقد عرف ذلك في حواضر الرباط وفاس ومكناس. أنظر كتاب متعة المقرئين للعلامة عبد الله الجراري: 92 والتبيان للاستاذ إبراهيم الهلالي 85-149 .

2 - أنظر الإعلام للمراكشي: 7/108-109 .

3- أنظر كتاب المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي للجراري: 17 .



زاويته من الطلبة الذي يقرآون القرآن نحو الخمسمائة، يمونهم ولا يعملون شيئا غير القراءة والحطب للزاوية... حبس جميع أملاكه على طلبة القرآن بزاويته، وأمضاه له السلطان مولاي الحسن، ولقيه لما كان ورد زاوية الشرادي في بعض توجهاته لسوس، وراوده على أن ينفذ له عُشُر «تمزكلفت»: الساقية الكبيرة الخارجة من وادي نفيس، إعانة على إطعام الفقراء، فامتنع، وقال له: المخزن أحق بها (1).

## ظهير سلطاني لأبناء الشيخ الأوبيري

✔ ومن مظاهر رعاية المولى الحسن للعلم والعلماء هذا الظهير الذي خص به أولاد الشيخ التهامي الأوبيري أستاذ سيدي الزوين وشيخ قراء الناحية من تلاميذ الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي. ونص ما جاء في الظهير:

أقررنا –بعون الله وقوته وشامل يمنه– أولاد الفقيه المرحوم السيد التهامي الأوبيري الحمري وأحفاده، على قبض العشرة مثاقيل المنعم عليهم بها من عند مستوفي معدن «زيمة» (2) (3).

## جوائز المولى الحسن لمشايخ القراء

ولما وصل المولى الحسن الأول عام 1302 هـ إلى آيت باعمران بسوس دخل عليه حفاظ القراءات هناك يتقدّمُهم الشيخ سيدي أحمد الخلفي، فاختبره بمحضرهم، فكان من جملة ما سأله عنه:

1 – الإعلام: 7/108-110 ترجمة 907 .

2 – هو معدن الملح المشهور المجاور لقرية الشماعية بإقليم آسفي.

3 –انظر كتاب تاريخ إقليم اسفي من الحقبة القديمة إلى الفترة الحاضرة إعداد محمد الأسعد 97 منشورات مؤسسة دكالة عبدة للثقافة والتنمية.

كيف يقرأ الشيخ حمزة قوله تعالى في سورة (ص): ما لها من فواق.

فقال: مالها من فُواق –بضم الفاء.

وسـأله: كم من آية في القرآن تبتدئ بحرف الغين، فقال: ثلاثة، واحدة رأس آية باتفاق، وهي قوله تعالى في سورة المؤمن: غافر الذنب، واثنتان باختلاف، وهما «غير المغضوب» في سورة الفاتحة، و«غلبت الروم» في سورة الروم، فتعجب الجميع من حفظه وقوة استحضاره وثبات جنانه، فسُرَّ المولى الحسن بذلك وضاعف له الجائزة.

وممن قدم للعرض بين يدي المولى الحسن هناك أيضا الشيخ سيدي محمد الخنبوبي ففاز بجائزة حفاظ السبع (1).

ومن الوقائع المشهورة الشاهدة على مبلغ عناية المولى الحسن بالنابغين من الشباب في هذا الشأن أنه لما قدم إليه الشيخ أبو شعيب الدكالي، وهو صغير السن بمراكش أمره باستظهار سورة الرحمن أمامه بالروايات فاستظهرها، ثم أمره بعرض نصاب في فقه العبادات من مختصر الشيخ خليل ففعل، فابتهج السلطان بذلك وقال: «تضاعف الجائزة لأبي شعيب لصغر سِنِّه، وكِبر فنِّه» (2).

## ما كان بدكالة من القراء الكبار

وقد أخبر الأستاذ محمد المعاشي شيخ المحدث أبي شعيب الدكالي المذكور فيما حكى عنه الأستاذ المقرئ المكي بربيش أنه كان بقبيلة دكالة لهذا العهد ثمانية عشر أستاذا يدرسون الشاطبية بشرح كنز المعاني للإمام الجعبري (3).

1 – انظر ترجمته في المعسول: 139/14 .

2 – انظر كتاب المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي للأستاذ عبد الله الجراري: 17-18

3 – انظر موضوع حظ الدولة العلوية في نشر الكتاب للأستاذ عبد الله الجراري: مجلة دعوة الحق العدد الرابع السنة: 11 : ذي القعدة – فبراير: 1387 هـ – 1968 ص 87 .

وذكر العلامة عبد الله الجراري أن ملوك الدولة العلوية لهذا العهد رتبوا جماعة من حفاظ القرآن لقراءة الحزب يوميا بالروايات السبع بفاس ومكناس والرباط وقال:

أدركنا طائفة من المهرة فيها يقرأون الحزب بالأحرف السبعة عند صلاة العصر بالزاوية الرحمانية بالرباط، هم الأساتذة: محمد المهدي متجنوش، والعربي الزناتي، وصالح بن عسيلة الضريرين، ومحمد المدور، ومحمد الشاذلي، والمكي بن أحمد بربيش.

ومما أنتجته تلك التلاوة الجماعية بالروايات أن قامت هيئة من طلبة الرباط وعلى رأسها الأستاذ المرحوم المكي بربيش المذكور، فطلبت من شيخنا الحافظ أبي شعيب الدكالي أن يدرس معها لامية الشاطبي، وفعلا أجاب الرغبة، وقرأ معهم شرح المقرئ ابن القاصح (1) بالزاوية الناصرية التي كانت بها جل دروسه» (2). قال:

ومن مبرّات الدولة وتوقيرها لحاملي القرآن؛ لا سيما دارسيه بالسبع أو العشر، إعفاؤهم من التكاليف والمشاق كيفما كان نوعها، اعتبارا لاصطفائهم وامتيازهم عن الغير» (3).

كل هذا على مستوى المدارس القرآنية التي تعنى بالقراءات والكراريس العلمية التابعة لها، ولاشك أن ذلك كان يستتبع مواكبة الحركة التعليمية على مستوى الكتاتيب والمحاضر في جميع أرجاء البلاد، وقد اعتنى الناس بها عناية خاصة، ولاسيما حين بدأت حركة الإستعمار تنتشر، والهوية الإسلامية في الأقطار المغربية تتعرض للأخطار والامتحان.

---

1 - هو كتابه سراج القارئ المبتدي، وهو مطبوع معروف في مجلد واحد.
2 - حظ الدولة العلوية: المرجع أعلاه: 88
3 - نفسه: 88



وقد لاحظ بعض الباحثين هذا النشاط الرائد الذي يرى أنه رغم تعاظمه لم يكن تواكبه عناية مماثلة كافية تتعلق بتطبيقات علوم التجويد، فقال: «بقيت الكتاتيب القرآنية المنبثقة في حواضر المغرب وبواديه مهتمة بتعليم القرآن وتحفيظه مع تلقين أصول الرسم بطريق السماع والاستظهار، وقلت العناية بالتجويد والتفسير والقراءات، إذا استثنينا عدداً ضئيلا جدا من العلماء كانوا يتجهون إلى هذه الناحية من علوم القرآن» (1).

نعم، ولكن قلة العناية المذكورة لم تحل دون المحافظة عمليا على حسن التلاوة في كثير من محاضر الإقراء.

وممن اشتهر أيضا في عهد المولى الحسن الأول في شمال المغرب من أعلام المدرسين:

## الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الله الميزوري

وهو من الشيوخ الذين لمع نجمهم وذاع صيتهم بهذه الجبال، ودخلت أنظامه وقصائده في العدد كل مدرسة ومحضرة وكتاب، بل صار بعضها من الأمثال السائرة بين الطلاب، مثل قوله:

أما حروف «كفظش» ** فأكثر من عام وأنا نْفتش
ولا وجدتهم في ورش ** سوى متميّلا

قال الأستاذ سعيد أعراب: وقصائده في الثبت والحذف أشهر من «قفا نبْكِ» (2) قضى أبو العباس أكثر حياته في تعليم كتاب الله، ومن أهم المراكز التي أقرأ بها (أنفزي) بقبيلة بني مسارة، وكان الطلبة يحجون إليه

1 -موضوع القرآن والمغرب المعاصر للأستاذ محمد العربي الخطابي: مجلة دعوة الحق العدد الرابع السنة 11 ص97.
2 - مطلع قصيدة الشاعر الجاهلي امرئ القيس بن حجر الكندي يضرب بها المثل لشهرتها.

من كل جهة ومكان، وكانت له مهارة عجيبة في فن الحط، تسأله عن كلمة من القرآن، فيذكر لك عددها ونظائرها وما جاء منها بالثبت والحذف، والوقف وغير الوقف، إلى غير ذلك، فيملي عليك في الموضوع ما يصلح أن يكون كتابا، وينظم ذلك في حينه.

خلف تلاميذ كثيرين أذاعوا في الناس قصائده ودواوينه، وخصوصا منها أنصاص «بُعَيْدَ» التي يعتبر المخترع الأول لها.. توفي في حدود نيف وعشرين وثلاثمائة وألف، له عدة منظومات في الثبت والحدف في الأنصاص وسواها (1)، ومنها:

✔ أرجوزته التي يقول في مطلعها، وهي مرتبة على حروف المعجم:

يقول أحمد بن عبد الله ** المرتجي مغفرة الإله

✔ وقصيدة في الثبت الأخير يقول في أولها:

بدأت باسم القاهر ** على حروف الآخِر

بالثبت خذ يا ذاكر ** من الصحيح منقولا

ومن منظومات «بعيد» عنده هذا النص على عدد «صادقين» في القرآن

صادقين قل بالياء (أل)عددهم ** بُعَيْدَ كانوا كنتم وما كنا مكْمَلا (2)

وقوله: تتقون قل بالتاء بعد لعلكم ** أفلا فكيف الله ألا (يطّ) جلا (3)

وقوله: يحزنون قل بالياء (يح) عددهم ** بعَيْد ولاهم في القرآن مكملا (4)

وقوله: يُظلمون قل بالياء (يد) عددهم ** بعيد ولا كذا وهم لا ياسائلا (5)

1 - أنظر كتاب القراء والقراءات بالمغرب: 169.

2 - أل: 31 .

3 - يط: 19 .

4 - يح : 18 .

5 - يد: 14 أنظر: القراء والقراءات: 172 .



## صورة عن البرنامج اليومي لقارئ في مكناس في أول القرن الماضي:

### في محضرة الأستاذ فضول بن شمسي المكناسي:

هذا القارئ واحد من خيرة مشايخ الجماعة في عصره وجهته ومدينته، وهو الأستاذ العربي بن الأستاذ فضول بن شمسي المكناسي، قال العلامة ابن زيدان:

«كان شيخ جماعة القراء الأساتذة ببلده مكناسة الزيتون، فقيها أستاذا مقرئا متقنا مجودا فاضلا.. حسن الخط والتلاوة، تصدّر لإقراء القراءات السبع بإتقان وتحرير، وواظب على ذلك بجد واجتهاد مدة تزيد على الخمسين سنة، فنفع الله به، وتخرج على يديه من حملة القرآن وحفاظ السبع المئون، حتى كاد أن لا يوجد في زمنه بمكناس من القراء، إلا من أخذ عنه، أو عن تلاميذه أو تلاميذهم، حسبما جاء في شهادة شرعية شهدها جماعة الأساتذة بها أول هذه المائة، وثبتت لدى قاضيها أبي العباس ابن سودة..

ثم ذكر نص رسم الشهادة العدلية، وفيها أنه: «شيخ جماعة الأساتيذ وقتئذ بهذه الحضرة المكناسية -صانها الله- وأنه المتصدر للتعليم وإقراء القراءات السبع وتحريرها بها بهذه الحالة عرفوه، وعليها خبروه واختبروه، ولازال على الحالة المذكورة إلى الآن وحتى الآن.. وذكر التوقيعات والتاريخ في 22 ربيع النبوي الأنور عام 1305 هـ (1).

---

1 - إتحاف أعلام الناس: 5/140-141

قال مترجمه ابن زيدان:

«وكان أحب شيء إليه الخلوة والعُزلة عن الناس، يظل يومه في (مكتب تعليمه)، مرتبا أوقات يومه، ومقسما لها على إفادة المستفيدين على اختلاف طبقاتهم، يشتغل من الشروق إلى الزوال بتعليم الصبيان، وبعد أداء فريضة الظهر يفد إليه قراء السبع، فيشتغل معهم إلى العصر، ثم يقبل على التلاوة مع المتعلمين (الأسوار) على اختلاف طبقاتهم إلى الغروب، لا شغل له غير ما ذكر، ولا يروق ويحلو له سواه، حتى إنه بقي عازباً مدة تزيد على أربعين سنة بعد أن كان متزوجا وولد له».

توفي -رحمه الله- في ثاني عشر قعدة الحرام عام 1322 هـ (1).

## محضرة شيخ الجماعة بمراكش علي بن المقدم الدرعي المقرئ

وكان من أكابر القراء المشمولين برعاية السلطان المولى الحسن الأول: شيخ الجماعة الأستاذ علي بن المقدم الدرعي المراكشي.

قال العلامة المراكشي في الإعلام:

«كان أستاذاً حافظا للعشر، وهو الذي أحيا قراءتها بمراكش، وعنه أُخِذَتْ، وكان سبباً في تنفيذ رواتب الأساتيذ عند السلطان مولاي الحسن.

أخذ عنه القراءات البركة السيد محمد السوداني، والحاج إدريس بوعشرين، وكان مدرسا فاضلا محققا، درس قديما بمراكش فصار شيخ الجماعة بها.. وتوفي هرما عن نحو التسعين سنة في أوائل العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر، وكان يسكن برياض الزيتون القديم،

1- نفسه: 5/142-143 .



واشتغل أخيرا بالإفتاء والإقراء للقرآن، واستقضي بدرعة في أيام المولى عبد الرحمن، ثم استقضي بآسفي في أيام ولده سيدي محمد» (1).

وترجم له الفقيه الكانوني العبدي فقال: «أبو الحسن علي بن محمد المختار الملقب بعلي بن المقدم الدرعي الحمودي الحياوي الغزلاني المراكشي الآسفي قاضيها.

الفقيه الأجل العلامة الإمام المدرس أستاذ القراءات العشر ومحيي رسومها المفتي البارع المحقق، ولاه السلطان المولى عبد الرحمن بدرعة، ثم ولاه ولده قضاء آسفي وعبدة، فورد في العشرين من شوال سنة 1286 هـ ثم عزل في 21 من شعبان سنة 1287 هـ ورجع لمراكش فانكبّ على الإفتاء ونشر القراءات.. ورحل للحجاز فأدى الفريضة وأخذ هناك عن العلماء» (2).

تلك إطلالة على أهم المحاضر التي اشتهرت في أهم المناطق المغربية خلال المائتي سنة الأولى من قيام دولة الأشراف العلويين، وتلك جوانب من الرعاية الرسمية التي كانت محاضر الإقراء ومدارس القراءات تستفيد منها بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

هذا، ولقد كان من سوء حظ البلاد المغربية أن بدأت أطماع الدول الاستعمارية في الغرب الأوروبي تطولها وتتربص الدوائر بها، وتمد أبصارها لاحتلالها والتهام خيراتها، وتمزيق وحدتها واستقلالها. وقد تجلت نواياها العدوانية منذ أيام المولى سليمان بن محمد بن عبد الله، ثم تأكدت في أيام المولى عبد الرحمن وابنه محمد، وخاصة بعد موقعة «إيسلي» في الشمال المغربي، الأمر الذي أحس معه المغاربة بالخطر الذي بات يتهددهم من جهة إسبانيا وفرنسا والبرتغال وألمانيا بنسب متفاوتة.

---

1- الإعلام للعباس بن إبراهيم المراكشي: 254/9 ترجمة 1448 .

2- جواهر الكامل في تراجم الرجل لمحمد بن أحمد الكانوني العبدي: 44/2 .



وقد بدأ التدخل السافر يتجلى في الشواطئ والموانئ والحواضر الساحلية، ثم تدرج إلى تدخل مماثل في السياسة الداخلية والعلاقات السياسية في عهد المولى الحسن الأول، ثم تحول في عهده ابنه المولى عبد الحفيظ إلى احتلال وغزو مكشوف. انتهى بوصول كتائب الجنود الإسبانية والفرنسية إلى المغرب والتقدم في اتجاه استعماره وفرض الحماية المزعومة عليه، على غرار ما فعله المستعمرون في الجزائر الشقيقة وغيرها.

وكان ما كان من المقاومة الرسمية والشعبية التي خلدتها كتب التاريخ في سجلات الفخر، حيث لم يستطع المستعمر، سواء الإسباني في الشمال وبعض الجنوب، أو الفرنسي في باقي التراب الوطني، أن يحقق الهيمنة المطلقة التي كان يخطط لتحقيقها، بل وجد من المقاومة العنيدة ما لم يكن يتوقعه، بل اكتشف أن حركته قد نتج عنها إذكاء لروح التوثب في إرادة الأمة، وأشعرها بالخطر الماحق الذي أمسى يتهددها في مقوماتها الروحية، ووحدتها الترابية، وإرادتها السياسية، مما ولّد عندها مزيداً من الصمود، وزاد من رصّ الصفوف في مقاومة المحتل، والتخطيط لانتزاع الإستقلال منه بارتفاع الروح القتالية في الأمة، وتعبئة الصفوف من أجل طرد المحتل وإخراجه.

وكان من جملة ما تم تجنيده لتثبيت بنيان الأمة والحفاظ على مقوماتها هو الشعور الديني، والدعوة إلى جهاد العدو الصليبي، ومكافحته على جميع الواجهات. وقد تركز هذا الشعور في تفويت الفرص على المستعمرين، والعمل على إحباط خططهم الماكرة، ومساعيهم في نشر لغتهم، وبث ثقافتهم وقيمهم من خلال المدارس العصرية التي عملوا علي تأسيسها وجعلها بديلا للكتاتيب والمحاضر القرآنية والمدارس والمعاهد

العلمية، الأمر الذي حرك همم الشعب في الاتجاه المعاكس استشعارا للخطر، وسعيا إلى إفشال تلك المخططات، ومن هنا تزايد الإهتمام في الحواضر والبوادي بالكتاتيب القرآنية، فانتشرت انتشارا واسعا أزعج دهاقنة المستعمرين، وأحسوا معه أن لا أمل في تحويل المغاربة عن دينهم وقيمهم إلا بالوقوف في وجه الكتاتيب والقضاء عليها.



# الفصل الثاني

## موقف الاستعمار الفرنسي من الكتاتيب والمدارس القرآنية

ولما كان لحركة إنشاء الكتاتيب والمدارس القرآنية من آثار عميقة في نشر الثقافة الإسلامية ووصل الأمة بكتاب ربها والمحافظة عليه، والتشبث بأحكامه وقيمه، عملت سلطات الاستعمار كل ما في طوقها من أجل الحد من انتشارها، وتضييق الخناق على العاملين بها، والمنع من إحداث كتاتيب في الأحياء الجديدة أو إعطاء ترخيصات بفتحها أو استمرارها، وقد عم ذلك في كل المناطق والجهات، وكان تضييق الخناق أكثر فأكثر في القبائل التي تتكلم بلهجات محلية سعيا منها إلى فصلها عن التي تنتمي إلى العرب، تمهيدا لإصدار قرارات الفصل والتمييز فيما عرف بعد باسم «الظهير البربري» ثم تمادى الأمر بهم في هذه المضايقات إلى أن طالبوا القائمين على هذه المؤسسات بتكوين ملفات لدى السلطات، والخضوع لشروطها لتحديد ما يسمح به موقتا ليدرس وما لا يسمح به من موادها.

وبين يدي الآن تقرير عن إحدى (المدارس الحرة) التي حاول صاحبها تجنب المجابهة لسلطات المستعمرين، فعدل في منهاجها بحسب ما رآه يفضي إلى السماح لها بالاستمرار والممارسة المسموحة.

---

1 -نفسه: 253 .

2 - كتاب اليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور: 72 .



وهذه المدرسة هي للفقيه مولاي عبد السلام بن محمد مولاي الحاج الحسني الإدريسي بمدينة آسفي، وقد وجه إليه المندوب الفرنسي الذي كان يعمل بجنب الباشا استدعاء ليحضر بمكتبه في يوم 26 يناير 1938، وطلب منه أن يقدم له في نطاق التعليمات الملكية تقريرا ملخصا عن مدرسته، فكان مما جاء في التقرير المذكور:

«لدي من الإجازات أربع: إحداها لسيدي عبد العزيز بناني، وثانيتها لسيدي أحمد القادري، وثالثتها لسيدي محمد التريكي، ورابعتها لمولاي أحمد بن المامون الفضيلي -رحم الله الجميع- قال: ومدرستي فتحتها في فاتح عام 1349 هـ موافق يونيو 1930 م وهي الآن داخل آسفي بحومة الجامع الفوقي عدد: 67 .

«وعندي الآن من التلاميذ اثنان وخسمون، ومقروءاتهم»:

القرآن الكريم، والتفسير، والحديث، واصطلاح الحديث، والفقه، والفرائض، وأصول الفقه والتصوف، والأخلاق، والأدب، والتاريخ، والنحو، والتصريف، واللغة، والبيان، والمنطق، والعروض، والشعر، والإنشاء، والتوقيت، والحساب، وتقويم البلدان».

قال الأستاذ الطاهر وعزيز بعد ذكر ما تقدم:

«وبعد سنتين تقريبا من فتح المدرسة ألغى الألواح المعهودة في الكتاتيب القرآنية، وعوضها بالكنانيش من الورق، فأنكر ذلك عليه بعض الناس بدعوى أن ذلك يؤدي لامتهان القرآن بسبب عدم محافظة الصبيان، أو إلى تشويش أفكار العامة، أو إلى قطع رزق صناع ألواح الخشب» (1).

---

1 - أنظر بحثا للأستاذ الطاهر وعزيز بعنوان صفحات من تاريخ أسفي (مجلة كلية الآداب العدد: 21-22 ص 260-261) وقد تقدم انه ما زال مخطوطا في أصله عند المؤلف تحت عنوان: «فتح العليم، في الرد على منكر حسن التعليم»

وقد صاحبت مضايقة المستعمرين للكتاتيب كل محاولات ضرب الوحدة والقضاء على الهوية الدينية والوطنية منذ السنين الأولى للاحتلال في العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي.

فمما جاء في سياسة التعليم في المغرب في المناطق التي تستعمل الأمازيغية ما كتبه الباحث الفرنسي م. دمنين في أطروحة له عن تاريخ المدارس في المغرب قوله في صحيفة 59 عن مرحلة ما بين 1912-1920 م «إنها كانت مختصة بضرورة تعيين أساتذة أغلبهم من سكان البلاد الأصليين، لا يصلحون للتعليم، وهم مع ذلك مَحَلٌّ لنشر العربية والإسلام في مدارس البادية».

وقال في ص 120-121 : «إن برامج سنة 1920 م تمنع في جميع مدارس البادية تعليم العربية الفصحى، وتحض على عدم إنشاء الكتاتيب في المحلات التي لا توجد في نواحيها بالأقل موقتا...»

ثم قال صاحب الأطروحة معلقا:

«لو اتبعت هذه الإشارات لأنشئت كتاتيب في جميع مدارس البادية تقريباً، إذ في كل محل أحدثت فيه مدرسة بربرية يوجد (طالب) أو طريقة صوفية لتعليم الصبيان كتاب الله، ومن جهة أخرى فإن بعض المعلمين المبعوثين لمدارس البادية في النواحي البربرية كانوا من العرب، لا يستطيعون إلا نشر الإسلام».

يعني أن جهود المستعمر في طمس الهوية الدينية بواسطة المدارس العصرية التي أرادها أن تحل محل الكتاتيب، كانت تبوء بالفشل، إذ سرعان ما تتحول المدرسة إلى (كتاب) ويتحول المعلم الذي عين فيها إلى داعية لمبادئ الدين القويمة. ولذلك عقب الباحث بقوله:



«ولم تكن لنا سياسة بربرية فيما يخص التعليم إلا منذ أكتوبر 1923 هـ، وهذه السياسة تقتضي قبل كل شيء، فصل السكان البرابر بكيفية اصطناعية عن السكان العرب، والعمل باجتهاد لتقريب البرابرة منا ضمن تقاليدهم، فالمدرسة البربرية لها إذن صبغة سياسية وأدبية قوية جدا» ثم قال يصف زبدة هذه السياسة الجديدة في البوادي:

«فتعليم العربية والقرآن محظوران تماما، والمعلم يجب أن لا يكون له أدنى اتصال بـ(الطالب)- إن كان هناك (طالب)، وبخلاف ذلك فتعليم اللغة الفرنسية هو أهم مقصد للمدرسة البربرية» (1).

ومن الإجراءات الاستعمارية الغاشمة التي اتخذت ضد حركة الكتاتيب:

1 – أن موظفا من موظفي مراقبة «ميدلت» استأجر مدرسا ليعلم أبناءه القرآن، فأنذرته السلطة بغلق (الكتاب) وطرد المدرس (2).

2 – ومن ذلك ما قام به القبطان عيار في مركز عين اللوح بالأطلس من الأعمال العدائية ضد العربية والإسلام، فقد حكم بالسجن عاما على فقيه اسمه السيد عبد العزيز بن عبد الصادق بدعوى انتقاده للسياسة البربرية في مسجد عين اللوح، والحقيقة أن الفقيه إنما كان يخالف تلك السياسة بجعل درس في منظومة ابن عاشر في التوحيد والعبادات، فاحتج الفقيه ابن عبد الصادق على ما اتهم به من التدخل في السياسة، وطلب من المراقبة سماع ثلاثين من الشهود يحضرون دروسه اليومية، فبرأهُ الشهود من التهمة الموجهة إليه، فكان جزاؤهم السجن يومين، لمخالفة شهادتهم لأهواء الحكام العسكريين...».

---

1 – السياسة البربرية والتعليم: مجلة المنعطف العدد 3-4 السنة 1992 ص 150 . قدم له وأعده الأستاذ رشيد بلحبيب.

2 – نفسه: 154 .

3 – أن الإدارة تقاوم سكنى (الطلبة) بالبلاد البربرية بكيفية عامة، وفي هذه السنوات الأخيرة طرد كثير منهم، ونقص عدد (الكتاتيب) في البادية بكيفية محسوسة.

4 – إن برامج المدارس البربرية هي نفس برامج المدارس البدوية الأخرى، إلا فيما يخص المعلمين، فيجب عليهم أن لا يستعلموا في أي حال من الأحوال اللغة العربية، ولو في أوائل المدرسة، كما يجب عليهم أن لا يسمحوا للتلاميذ بأي اتصال مع (الطالب) (1).

وبالجملة فقد «كان التعليم في المغرب العربي توجهه سياسة التنصير الفرنسية. كما حظر على (الفقهاء) الانتقال إلى هذه المناطق المسكونة بالقبائل البربرية وتعليم القرآن فيها، وذلك قطعا لصلة البربر باللغة العربية والدين الإسلامي (2).

وفي الجزائر كانت الخطة أشد عنفا، فقد ألغيت العربية إلغاء. وجرى التعليم كله بالفرنسية، وصدر قانون شوتان عام 1938 م الذين يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، ورفضت السلطات إعطاء الجزائري تصريحا لفتح مدرسة، وإذا صرح بفتح (كتّاب) كان ذلك بشروط قاسية، منها: أن يحفظ القرآن دون تفسيره» (3).

ويقول الأستاذ عثمان سعدي: «إن الفرنسيين جعلوا تعليم اللغة العربية جريمة يعاقب عليها القانون، يعني في الجزائر، ولم يسمحوا إلا بتحفيظ القرآن وتلقينه، إلا أن تحفيظ القرآن كان بمثابة مصباح يحدّ من كثافة الظلام الذي يجتاح الجانب الثقافي العربي في الجزائر» (4).

---

1 – السياسة البربرية والتعليم: 154-155 .

2 – ساطع الحصري في حوليات الثقافة العربية: مجلد 2 ، وانظر النقل عنه للأستاذ أنور الجندي في كتاب الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا– نشر الدار القومية للطباعة والنشر 1385-1965 الصفحة ص: 131-132 .

3– الأستاذ أنور الجندي: الفكر والثقافة: 132

4 – نفسه: 163 .



وهكذا كان (الكتاب) كما قال المصباح الذي يحد من كثافة ظلام الاستعمار، ولذلك كان هو أوثق الضمانات وأقوى العُرَى التي تعلق بها جيل ما قبل الاستقلال للمحافظة على الهوية وملامح الشخصية.

## حال الكتاتيب ببعض حواضر سوس في عهد الاستعمار الفرنسي

وتتفق السياسة الإستعمارية في جميع جهات المغرب على مراقبة التعليم الإسلامي وروافده في الحواضر والبوادي حتى لا تترك لها متنفسا، وحتى تجف منابعها بالتدريس، إن لم تتمكن من إغلاقها والمنع والكيد لها حتى ترهب القائمين عليها أو على تمويلها، لتتم تصفيتها بكيفية تلقائية مع الزمن.

وهذه مدينة تارودانت التي كانت لقرون طويلة من عهد السعديين معقلا للثقافة الإسلامية والأدبية، قد أضحت في أواسط المائة الرابعة عشرة قفراً يبابا من ذلك كما تحدث عنها بعض المؤرخين لمعهدها الإسلامي الذي أعيدت إليه الحياة عقب الإستقلال، فقال فيما يتعلق بالكتاتيب في هذه المدينة:

«أما التعليم سنة 1363-1943 م في تارودانت «فحالته في المدينة مؤسفة، فإن التعليم الإسلامي يكاد ينقرض، فلا دروس علمية، إلا صُبابة قليلة جداً، ولا كتاتيب للقرآن مُجدية، وقد صارت الحكومة تحتم على كل تلميذ في الكتاتيب القرآنية أن يلتحق بتعليمها الجديد مُرْغَما، فضاعت الأوقات بين الكتاتيب والمدرسة، ولم يستفد التلاميذ لا من هذه ولا من تلك، هكذا يقول الأهالي، ولم أسمع مدينة وقع فيها مثل ذلك، ولعل الحكومة تريد

للناس الإقدام على التعليم الجديد، فيأبى الناس ذلك لسذاجتهم، ولجهلهم بفائدة التعليم الجديد، فأكثروا التشكي» (1).

## حياة الكُتاب في مدينة فاس في عهد الحماية كما يصفها روجي لوطورنو

من المفارقات الملحوظة التي من شأنها أن تلفت النظر، أن حركة الكتاتيب في الحواضر في عهد الحماية قد عرفت ازدهارا زائدا يفوق ما كان متوقعا بأضعاف مضاعفة، على الرغم من السياسة الاستعمارية التي كانت كما قدمنا تعمل بكل ما تملك على محاصرة هذه الحركة والتضييق عليها، واضطهاد بعض العاملين فيها، وأكثر من ذلك مفارقة أن يحدث ذلك في مدينة فاس بالذات، حيث تركز النفوذ الإستعماري، واتسعت عيون مراقبته للمؤسسات التعليمية ذات الصبغة الدينية، في محاولة لتجفيف منابع الوطنية، وقطع الروافد التي تمد القرويين وفروعها، وتحويل الوجهة نحو المدرسة العصرية التي تراها هي المفتاح الذي تراهن عليه، لنشر لغة المحتل وقيمه الحضارية، والعمل على صبغ الحياة صبغة جديدة تكرس التبعية المطلقة للدولة المحتلة، والاندماج في تنفيذ خططها للهيمنة على جميع شؤونها، والقضاء على كل أشكال الاستقلال ومظاهر التمسك بالشخصية الوطنية والقيم الإسلامية المألوفة.

وقد سجل المؤرخ الفرنسي روجي لوطورنو – وهو أستاذ ومدير سابق لثانوية مولاي إدريس بفاس، ومؤلف كتاب «فاس قبل الحماية ونشره

1 – محمد المختار السوسي في كتابه خلال جزولة: 1/146-148



عام 1949 - سجل مقدار الحضور الذي عرفه (الكتاب القرآني) بفاس في النصف الأول من القرن العشرين، وهو الزمن الذي شهد عهد الحماية البغيض الذي عرف تلك المضايقات التي تحدثنا عنها، فكان مما قال عن الكتاتيب بفاس لهذا العهد تحت عنوان.

## المسيد في فاس (1)

«كان التعليم يلقن خارج الدار، ما عدا في حالات استثنائية. كان الصبيان يذهبون إلى الكتاب (المسيد) وإن كانوا لا يذهبون إليه كلهم، لأن التعليم كان قليل الانتشار نسبيا في الأوساط الفقيرة، حيث كان الآباء غالبا ما ينقصهم تقليد فكري، ولا يملكون خاصة المال الكافي لأداء تكاليف التمدرس، وعلى العكس من ذلك يمكن القول: إن جميع أبناء الأسر الموسرة كانوا يختلفون إلى (الكتاب) بكيفية متفاوتة، بحيث إن شباب فاس على العموم وبقدر ما يمكننا أن نحكم عند انعدام المعلومات الإحصائية كان متعلما جدا بالنسبة لمجموع المغرب، وحتى بالنسبة لمدن أخرى من مدن المملكة الشريفة.

«فكان عدد الكتاتيب في المدينة (فاس) وحدها = 120 كتابا.

منها: 24 في عدوة الأندلس، و 96 في عدوة القرويين وقصبة فيلالة، «لا فائدة في وصف قاعة الدرس والأدوات المدرسية والطرق التربوية (للمسيد)، لأن جميع كتاتيب العالم الإسلامي منظمة بنفس الكيفية ومعروفة منذ عهد قديم، لذلك فسوف أكتفي ببيان بعض التفاصيل الخاصة بفاس.

---

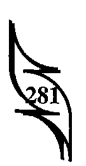
1 - كتاب فاس قبل الحماية لروجي طورنو: 2/767-768.

وأغرب من هذا كله أن معلمي القرآن (فقيه جمعه فقهاء) لم يكونوا فاسيين... ورغم هذا الأصل المتواضع كان معلمو القرآن محترمين من لدن التلاميذ بطبيعة الحال، كانت القضبان الموضوعة دائما في متناول المعلم تساهم في الاحترام في هذه الأدمغة الفتية، وكذلك من لدن أولياء التلاميذ، لا سيما الآباء الذين يُكنون الاحترام الواجب لخدام الدين وملقني العلم، ولم يكن يغضبهم أن يروا أبناءهم خاضعين لسلطة عنيفة أحيانا، ولكنها صارمة، من شأنها أن تعادل بنجاح التسامح الطبيعي لربات البيوت».

«إلا أن هذا الاحترام لم يذهب إلى مكافأة (الفقيه) بسخاء، فكان كل واحد من التلاميذ يدفع له بموجب شبه عقد تقليدي من 0,25 إلى 0,50 بسيطة حسنية كل يوم أربعاء، وذلك ما كان يؤمنّ له ربحا يتراوح بين 5 و 10 بسيطات حسنية في الأسبوع، بالإضافة إلى أنه كان يستلم هدايا نقدية أو عينية بمناسبة الأعياد المدرسية والأعياد الدينية، وكل ذلك لم يكن يُغنيه».

«كان الأب هو الذي يقدم ابنَه إلى المعلم الذي اختاره عندما يبلغ الطفل ست سنوات تقريبا من عمره. لم يكن يسجله، بل يسلمه إلى (الفقيه) مستعملا العبارة التقليدية: "ها هو ابني، وهو ابنك منذ الآن فصاعداً، تسهر على تربيته، اضربه، وإذا قتلته أنت دفنته أنا»".

«من البديهي أن المعلمين لم يكونوا يعبأون باتخاذ هذا التصريح حرفيا، لكنهم لم يكونوا يدخرون وسعا في العقوبات البدنية، وهي عبارة عن مجرد ضربات بالقضيب على الرأس أو الكتفين بالنسبة للأخطاء الطفيفة ، وجلد باطن الأقدام بالنسبة للمخالفات الأكثر خطورة، وكان يوم الثلاثاء يعتبر من هذا القبيل مشؤوما بكيفية خاصة».



« لم تكن مدة الإقامة (بالكتاب) محددة، إذ كان الغرض المقصود هو حفظ الكتاب المقدس عن ظهر قلب، فكان البعض في تحصيل ذلك أسرع من البعض الآخر، كما أن الكثير كانوا يتوقفون في الطريق، ويغادرون (الكتاب) بعد خمس سنوات أو ست، أو حتى في أقل من ذلك».

«كانت الحياة الدراسية متّسمة بشتّى التسليات، يحتفل بالأعياد الدينية قبل كل شيء، فكان عيد الأضحى مناسبة لولائم الصبيان (عشيشة قديرة) التي تنظم عند الأُسر، وكان سابع المولد النبوي يقضيه الأطفال في (الكتاب) أو في مسجد مجاور، وهم يمرحون ويولمون، وكانت عاشوراء تحمل فيها الشموع إلى المعلم، ويسهرون في (الكتاب) المضاء بالأنوار، ويحفظون فيه منذ الفجر درسا قصيرا ليبدأوا السنة على أحسن حال.

«وكانت أعياد خاصة (بالكتاب)، أحدها يسمى (الختمة) عندما يحفظ أحد التلاميذ الحزب الأول من القرآن».

« كان الفائز يصحبه رفاقه إلى منزله، وهو مرتد ملابس مطرزة بالذهب، محمولاً على الأكتاف كالعروس، وإذا حفظ تلميذ القرآن كله، أقيم احتفال يدعى «حَبِيبْنَا» (1)، وبعد تناول الأطعمة والاستماع إلى أناشيد المغنيين الدينيين (المسمَّعين) يبسطون سُفرة بيضاء وضعت في وسطها (لوحة) بطل الاحتفال ما زال مكتوبا عليها آخر نص حفظه، محفوفة بإطار من رسوم فنية».

«كان الحاضرون يلقون قطعا نقدية على (اللوحة) إلى أن تغطى، كان ذلك يوفر أكبر ربح للفقيه».

---

1 - قال المحقق: يسمى هكذا لأن إحدى القصائد التي كانت تنشد بهذه المناسبة كانت في مدح حبيبنا سيدنا محمد فاس قبل الحماية – الهامش رقم 20 .

«إن أساليب التربية في (الكتاب) تبدو لنا بدائية، حيث إننا نشك في أن يكون تعليم هو عبارة عن مجرد تقوية للذاكرة بهذا القدر مكوّنا حقا، إلا أنه لابد من الاعتراف بأن كل الذين مروا من (الكتاب) قد انطبعوا به انطباعا عميقا، واحتفظوا له بذكر جيد، إنهم نسوا (ضربات القضيب) على باطن الأقدام، والأصوات المتنافرة الأنغام التي تحفظ بأعلى صوت نصوصا مختلفة، ليحتفظوا فقط بذكر الحفلات البالغة الرونق بالنسبة للمخيلات الصبيانية، وتلقين الحقيقة الدينية، والمعلم العجوز الذي كانوا يسمونه احتراما: (نعم آس) (1) والذي يعطي دروسا في الأخلاق والاستقامة في نفس الوقت الذي يحفظ فيه القرآن الكريم» (2).

## من نماذج الصمود والتحدي:
## المكتب القرآني ونظام مدرسة العلامة المختار السوسي، وأثرهما في مراكش بحي الرميلة.

ولقد عملت بعض المدارس الحرة التي قامت في بعض الحواضر كمراكش والدار البيضاء والرباط وفاس على محاولة سد بعض الخلل الذي وقع بسبب سياسة التجهيل الاستعمارية، كما عملت المعاهد الأصلية في القرويين وابن يوسف وبعض المدارس العتيقة في البوادي في أحواز مراكش وبلاد سوس على مثل ذلك، وكان لبعضها من الأثر في ذلك ما

1 - نعم آس: وأحيانا: عَمَ اس هو اختصار طفولي لقولهم: نعم يا سيدي، وقد أصبح هذا التعبير اسم علم للفقيه من كثرة استعماله في ندائه، فيقال مثلا: ذهبت عند نعم آس، وقال لي: نعم آس وفعل نعم آس، وكثيرا ما يتظلم الأطفال عند الطالب من بعضهم بالمناداة عليه: نعم آس، نعم آس، وكذلك إذا نادى الطالب على تلميذ فإنه يجيبه بصوت عال: نعم آس.

2 - فاس قبل الحماية: 2/770-771 .



حرك قوى الإستعمار ضد مؤسسيها، لاستشعارهم لخطورتها ونجاح خططها في التربية والتكوين، وسدها لجانب من الفراغ الذي كان قد مد أطنابه في كل مكان بسبب السياسة الاستعمارية.

ومن هذه المدارس الحرة الرائدة في مراكش «مدرسة الزاوية» بالرميلة بقرب المسجد الكبير بباب دكالة.

وقد افتتحها مؤسسها الأستاذ محمد المختار السوسي في أول المحرم عام 1348-1928 وذلك بعد أن أنهى دراسته بفاس والرباط، فكانت مدرسته هذه بداية انطلاق حركة علمية حرة بعاصمة الجنوب استنهضت الهمم، وبثت الروح الوطنية السلفية في الحمراء، ثم استمرت فيها الدراسة تسع عشرة سنة تخللتها تسع سنوات من النفي متصلة (1) يقول الأستاذ السوسي في ذلك:

«كان معي قبل نزولي هذا صنوي الأستاذ إبراهيم، وهو إذ ذاك لا يزال يتلقى، وابن أخي علي بن محمد بن علي، وهو صبي صغير كما افتتح الهجاء عندي، لأنه قدم علي بالرباط في الأيام الأخيرة، وكنت بتثقيفهما معنيا، فصادف أن جاء طالب سوسي، فشارطته لابن أخي يعلمه القرآن، ثم أتى جارنا الحاج محمد المسفيوي بولده عبد الله.. وهكذا صار تلاميذ الجيران يزدادون شيئا فشيئا، والزاوية تستحيل مكتبا (كتابا) ابتدائيا من حيث لا نشعر ولا نقصد ذلك (2).

---

1 - لا يستغرب من الاستعمار أن يحسب للمدرسة المختارية ألف حساب، وأن لا يهنأ له بال حتى نفى أستاذها المختار تسع سنين دأبا، تبتدئ من صبيحة يوم الخميس 23 ذي الحجة 1355 هـ وتنتهي في مختتم سنة 1364 هـ منها خمس سنوات تحت الإقامة الجبرية، وقد رفعت عنه تلك الإقامة يوم13 ذي الحجة 1360 هـ، أنظر كتاب المعهد الإسلامي بتارودانت للأستاذ المتوكل عمر الساحلي: 1/414-415 .

2 - نفسه: 1/415 .

ويقول الأستاذ محمد المختار عن هذا (المكتب القرآني) «كنا أمس، وما أدراك ما كان أمس من الاعتناء بالعربية، نجتهد أن نربي التلاميذ تربية مؤسسة على أسس العربية المتينة، وحين كان محلنا (مكتبا قرآنيا) محضا أولا، حوفظ فيه على موالاة حفظ القرآن، وخصصنا له أوقاتا في طرفي النهار، وبين ذلك نتدرج بالتلاميذ في العربية بأسلوب سهل استطعنا أن نستخرجه من الأسلوب الصعب الذي كان يؤلف آنذاك اتّباعه في الدراسة العامة، ولذلك سرعان ما يتذوقه التلاميذ تذوقا عجيبا، فيستحلون أوقات هذه الدروس، بقدر ما يستثقلون أوقات حفظ القرآن قبل أن يعرف أحدهم من معاني القرآن بدروسه العربية ما يجعله أيضا يستحلي حتى ما كان يستثقله قبل من معاناة حفظه.. فإذ ذاك نبغ بسرعة أفذاذ من البدويين والعصريين، وتفتقت نجابة غالبهم، والفضل في ذلك كله لله وحده» (1).

ذلك واحدٌ من أهم المنتجعات الخضراء التي ظلت تصارع القحولة والجدب، وتتحدى الزوابع العاتية التي كادت تأكل الأخضر واليابس، وتقضي على بقايا شعل الإيمان في النفوس بقرب انقشاع هذه الغمة، وزوال ذلك الكابوس المقيت الجاثم على صدر هذا الوطن الذي لولا لُطف الله لكظم أنفاسه حتى أتى على روح الحياة، فيه فأصبح أثرا بعد عين كما حدث في بلدان مجاورة.

وبهذه الجهود التي بذلها العلماء في هذه العهود الحالكة ظلت هذه الجذوة حية متقدة، فكانت بذلك محققة للآمال الوطنية في الحرية والعزة وتحقيق الاستقلال.

---

1 - الإلغيات لمحمد المختار السوسي: 144/2 .



وبذلك استطاعت الأمة -بحمد الله- اجتياز المحنة، وكان للكتاتيب والمحاضر القرآنية في الحواضر والبوادي شرف المقاومة الباسلة لكل خطط الإستعمار، فكانت بذلك تمهد لحركة الكفاح، والمطالبة بالاستقلال، حتى إنه ليمكن القول عن بذور هذه الحركة: إنها استنبتت أولا في هذا المناخ، ثم نمت وترعرعت وآتت أكلها فيما بعد عن طريق امتداداتها في المعاهد العتيقة والمدارس العلمية الأصيلة كالقرويين في فاس وابن يوسف بمراكش، مستلهمة مواقفها من السند المادي والمعنوي الذي ظل يدعمها ويمثل رمز دعوتها وضمان وحدتها من لدن الملوك العلويين، الذين لم يسمحوا قط بالمساومة على هذه المبادئ حتى في أحلك الظروف التي واجهوها مع عتو المستعمر وغطرسته، إلى أن تكللت الجهود بجلائه عن البلاد، والحصول على الاستقلال.

## نماذج من الكتاتيب الصامدة في مدينة فاس أيام الكفاح الوطني:

ولعل من المفيد في ختام هذه الجولات مع الكُتاب والمحضرة القرآنية في المغرب عبر العصور، أن نقدم لائحة ببعض أهم هذه الكتاتيب التي صمدت في وجه حركة الإستعمار في واحدة من حواضر المملكة حيث تخرج جمهور ممن أدركناه من علمائنا ومشايخنا ممن استهلوا حياتهم العلمية بالقراءة فيها، وظلوا يحتفظون لها وللمدررين فيها بأطيب الذكريات، وسنقتصر على مدينة فاس نموذجا لهذه الكتاتيب كما سيكون اعتمادنا في الجملة على كتابين مطبوعين لأحد علماء جامعة القرويين بفاس

من المعاصرين، وهو العلامة المؤرخ الفقيه محمد بن الفاطمي بن الحاج السلمي (ت 1413 هـ) والكتابان هما: «إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ».

● و«إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين».

والكتاب الأخير منهما يكتسي أهمية خاصة، وذلك لاشتماله على تراجم موثقة مكتوبة بأقلام أصحابها، لأنه كاتبهم في الموضوع، وحصل على المعلومات الكافية عنهم استنادا إلى ما كتبوه في مراسلاتهم، كما أنه اهتم بتسجيل أولى مراحل كل عالم في تعليمه الأولي بما في ذلك مرحلة (الكتّاب) مع تسمية (الكتّاب) والمدرّر فيه في الغالب، وتحديد موقعه وغير ذلك مما تغفل عنه كتب السير والتراجم المعتادة مع عظيم أهميته ونفعه.

وهذا جدول بأهم الكتاتيب المذكورة في الكتابين، وأسماء المدررين فيها، وأعلام الذين تعلموا فيها من علماء المائة الماضية ومن أدرك منهم المائة الحالية وفيهم عدد كبير من شيوخنا المباشرين أو غير المباشرين ممن انتفعنا بعلمهم عن طريق وسائل الإعلام ووسائل النشر الأخرى تغمدهم الله بواسع رحمته.

وسأرمز للتراجم المنقول عنها من الإتحاف بحرف (ح) ومن الاسعاف بحرف (ع) وبعده رقم الصفحة التي توجد فيها المعلومات المطلوبة والله الموفق.

1 - تجمعت لدي لائحة مماثلة لأهم كتاتيب هذه الفترة في كل من مكناس وتطوان والرباط وسلا ومراكش، ونظرا لطولها فقد اقتصرت على مدينة فاس، لأن المقصود هو إعطاء المثل لا الإحصاء والاستقصاء.



# جدول يتضمن أهل الكتاتيب القرآنية بفاس في القرن الماضي التي تخرج فيها مشاهير العلماء بها من شيوخنا وغيرهم ممن أدركناهم وانتفعنا بهم

ويمثل هذا العهد عهد الصمود وانطلاقة معركة التحرير الوطني ضد الإستعمار والإحتلال الأجنبي

| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه (المدرر) | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
|---|---|---|---|
| – مكتب رشم العيون | الفقيه محمد الخمسي | الأستاذ محمد علال الفاسي | ع 472 |
| – مكتب رشم العيون | الشريف محمد العلمي | الأستاذ محمد علال الفاسي | |
| – مكتب رشم العيون | الشريف محمد العلمي | الأستاذ عبد السلام الفاسي | ع 434 |
| – مكتب رشم العيون | الشريف محمد العلمي | القاضي محمد بن المأمون البدراوي | ع 210 |
| – مكتب رشم العيون | الشريف محمد العلمي | عبد المجيد الفاسي | ع 209 |
| – مكتب رشم العيون | الشريف محمد العلمي | محمد البشير الفاسي | ع 72 |
| – مكتب حومة العيون | عبد السلام الجبلي | عبد السلام الفاسي | ع 434 |
| – مكتب حومة العيون | عبد السلام بن محمد الحياني | محمد الجواد الصقلي | ح 96 |
| – مكتب بو عقدة (حي زقاق الرمان) | علي الورياكلي | سيدي الطايع بن الحاج السلمي | ع 124 |



| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه (المدرر) | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
|---|---|---|---|
| - مكتب بو عقدة (حي زقاق الرمان) | الحسن العلوي الصوصي | محمد بن محمد بن الحاج السلمي | ع 197 |
| - مكتب بو عقدة (حي زقاق الرمان) | الحسن العلوي الصوصي | محمد بن إبراهيم الكتاني | ع 136 |
| - مكتب بو عقدة (حي زقاق الرمان) | الحسن العلوي الصوصي | عبد الكريم بن محمد الغمري | ح 72 |
| - مكتب بو عقدة (حي زقاق الرمان) | أحمد الكنوني | محمد بن المامون القاضي البدراوي | ع 210 |
| - مكتب المسيد المزوق (مقابل عقبة ابن صوال (من حي راس الجنان) | أحمد بن عامر البرنوصي الزروقي الحمزاوي | مولاي عبد الله الفضيلي | ع 390 |
| - مكتب المسيد المزوق (مقابل عقبة ابن صوال (من حي راس الجنان) | ــــــــ | رشيد بن علي الدرقاوي | ع 118 |
| - مكتب المسيد المزوق (مقابل عقبة ابن صوال (من حي راس الجنان) | ــــــــ | الحسين بن البشير الإدريسي | ح 17 |
| - مكتب المسيد المزوق (مقابل عقبة ابن صوال (من حي راس الجنان) | ــــــــ | محمد بن عبد الكبير بن الحاج السلمي | ح 148 |

| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه المدرر | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
|---|---|---|---|
| - مكتب المسيد المزوق (مقابل عقبة ابن صوال) (من حي راس الجنان) | ـــــــ | سيدي الحبيب المهاجي الإدريسي | ح 58 |
| - مكتب عقبة ابن صوال المعلق | محمد النمشي الأطرش | محمد أحمد النمشي | ع 29 |
| - مسيد حومة زقاق الحجر | أحمد التادلاوي المشهور بولد المطي | الحسن مزور | ع 100 |
| - مسيد حومة زقاق الحجر | الفقيه عمارة | العباس بناني | ع 344 |
| - مكتب المنية (حومة الشرابليين) | عبد السلام بن الهاشمي اللجائي | محمد بن المامون البدراوي | ع210 |
| - مكتب المنية (حومة الشرابليين) | عبد السلام بن الهاشمي اللجائي | إدريس بن الماحي | ع 59 |
| - مكتب المنية (حومة الشرابليين) | عبد السلام بن الهاشمي اللجائي | أحمد بن سودة المري | ع 185 |
| - مكتب سيدي بورمضان | علي الورياكلي | عبد الوهاب التازي | ع 447 |
| - مكتب حومة البليدة | عبد الواحد برادة | محمد سكيرج | ع 272 |
| - مكتب قنطرة أبو الرؤوس (حومة الشرابليين) | الهاشمي الصنهاجي | محمد بن الحبيب الفيلالي | ع 174 |
| - مكتب زقاق البغل | علي بن أحمد زويتن الطنجاوي | عبد الوهاب التازي | ع 447 |
| - مكتب زقاق البغل | علي بن أحمد زويتن الطنجاوي | أبو بكر كسوس | ع 18 |
| - مكتب زنيقة جعدة (زقاق البغل) | الحاج محمد الورياكلي | مولاي أحمد الشبيهي | ح 179 |

| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه المدرر | إسم العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
|---|---|---|---|
| - مكتب زنيقة جعدة (رقاق البغل) | الفقيه محمد الرشيدي | مولاي أحمد الشبيهي | ح 179 |
| - مكتب زقاق الماء | قاسم الزيزي | محمد البشير الفاسي | ح 179 |
| - مكتب زقاق الماء | قاسم الزيزي | إدريس بن الماحي | ع 59 |
| - مكتب زقاق الرمان | الحاج محمد بن سبيكة | أحمد العمراوي | ع 42 |
| - مكتب الجامع الأزهر | عبد الوهاب العروسي | التهامي البلغمي | ع 74 |
| - مكتب طريانة | قاسم بن عبد الرحمن الزروالي | محمد العبّادي | ع 230 |
| - مكتب جامع أبي الحسن المريني | محمد بن محمد العزوزي | محمد العبّادي | ع 230 |
| - مكتب جامع أبي لحسن المريني | الحاج إبراهيم الزروالي | محمد العبّادي | ع 230 |
| - مكتب جزا برقوقة | أحمد الفيلالي | محمد بو عشرين | ع 167 |
| - مكتب مصمودة | أحمد الأغزاوي | عبد الرحمن الشفشاوني | ع 374 |
| - مكتب مصمودة | عبد السلام الهبطي | الطاهر الفاسي | ع 128 |
| - مكتب جامع سيدي خيار | أحمد الفيلالي | محمد الحبيب الفيلالي | ع 174 |
| - مكتب النجارين | محمد العلمي | محمد بن المامون البدراوي | ع 210 |
| - مكتب شارع رحبة القيس | أحمد بن موسى | محمد بن سودة المري | ع 185 |
| - مكتب حومة سيدي العواد | إدريس بن جلون | | |
| - مكتب حومة الأقواس | عبد السلام التلمساني | الصديق الفاسي | ع 337 |
| - مكتب درب أبي السعود | علي الخمسي | عبد الرحمن الشفشاوني | ع374 |
| - مكتب زاوية الشرادي (حومة الجزيرة) | أحمد الفشتالي | عبد الرحمن الشفشاوني | ع 374 |
| | المختار العمراني | محمد بن عبد الله | ع 220 |



| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه المدرر | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
|---|---|---|---|
| - مكتب زاوية الشرادي (حومة الجزيرة) | محمد بن البشير | محمد بن عبد الله | ع 220 |
| - مكتب زاوية الشرادي (حومة الجزيرة) | المختار العمراني | سيدي محمد بو طالب | ع 34 |
| - مكتب زاوية الشرادي (حومة الجزيرة) | إدريس المكناسي | محمد بن محمد بن علال الطاهري | ع 186 |
| - مكتب جرنيز | هاشم بن محمد أكومي | عبد الهادي الشرايبي | ع439 |
| - مكتب جرنيز | هاشم بن محمد أكومي | محمد بن الحسن بنونة | ح 21 |
| - مكتب سيدي موسى (حي جرنيز) | الحسن بن محمد بنونة | محمد بن عبد السلام بنونة | ح 156 |
| - مكتب سيدي المخفي | محمد السملالي التازي | سيدي العربي الشامي | ع 456 |
| - مكتب سيدي المخفي | محمد السملالي التازي | محمد بن عثمان الشامي | ح 161 |
| - مكتب راس الزاوية | أحمد الخمسي | سيدي العربي الشامي | ع456 |
| - مكتب زاوية أهل توات | الحاج الهاشمي الإدريسي | سيدي التهامي البلغمي | ع 74 |
| -مكتب البلاغمة | عبد الوهاب العروسي | سيدي التهامي البلغمي | ع74 |
| - مكتب درب الغرابلي (عدوة الأندلس) | محمد بن المهدي العلوي | سيدي الحسين بن البشير | ح 17 |
| - مكتب البليدة قرب ضريح أحمد التيجاني | أحمد بن الحسن المكناسي | سيدي محمد بنونة | ح21 |
| - مكتب البليدة قرب ضريح أحمد التيجاني | محمد الزرهوني | الحاج أحمد بن إبراهيم | ح46 |

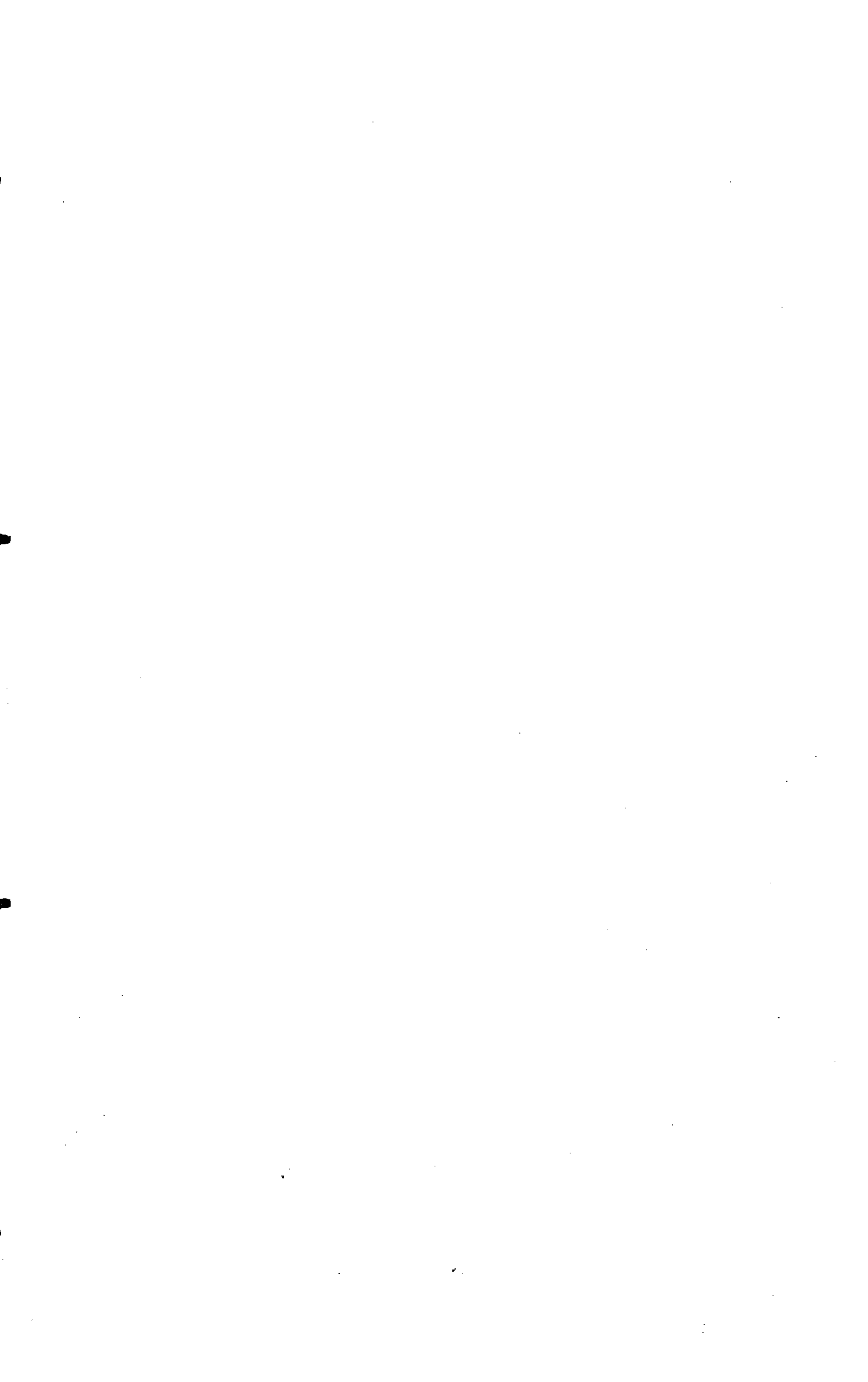
| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه المدرر | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
| --- | --- | --- | --- |
| - مكتب البليدة قرب ضريح أحمد التيجاني | محمد بن محمد بوزوبع | محمد بن محمد بن ابراهيم | ع 110 |
| - مكتب حي بوقرون | لم يذكر صاحبه | الحاج أحمد بن شقرون | ح 46 |
| - مكتب زقاق الرواح | أحمد بن كيران | الحاج أحمد بن شقرون | ح 46 |
| - مكتب مسجد سيدي ماسان | الحسن الغماري | عبد الكريم الداودي | ح 67 |
| - مكتب مسجد سيدي ماسان | الحسن الغماري | عبد الله الداودي | ح 76 |
| - مكتب مسجد سيدي ماسان | الحاج محمد الغماري | محمد بن عبد الرحمن العراقي | ح 136 |
| - مكتب مسجد سيدي ماسان | الحاج محمد الغماري | مولاي أحمد الشبيهي | ح 179 |
| - مكتب بوطويل القرويين | الفقيه أحمد الجبلي | محمد بن محمد بن إبراهيم | ح 110 |
| - مكتب درب الطويل | الشريف عبد السلام العلمي | محمد بن محمد بن إبراهيم | ح 110 |
| - مكتب درب الطويل | سيدي المختار العمراني | عبد العزيز بن الخياط | ح 81 |
| -مكتب درب جنيارة | سيدي العربي الأزرق | عبد العزيز بن الخياط | ح 81 |
| - المكتب المجاور لمسجد سيبوس بالصفاح من حومة الكدان | احمد بن محمد العلمي الحسني أمين الكتاتيب القرانية بفاس | سيدي محمد بن سودة | ح 27 |
| - مكتب درب اللمطي من نفس الحومة (الكدان) | محمد بن الغالي الزروالي | سيدي محمد بن سودة | ح 27 |

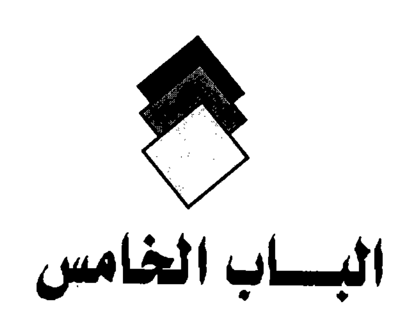
| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه المدرر فيه | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
|---|---|---|---|
| - مكتب درب السعود (حومة الجزيرة) | محمد بن الغالي الزروالي | سيدي محمد بن سودة | ح 27 |
| - المكتب المجاور لدرب الغرابلي | محمد بن المهدي العلوي | سيدي محمد بن سودة | ح27 |
| - مكتب درب مشماشة | عبد السلام الفشتالي | سيدي محمد بو طالب | ح34 |
| - مكتب الكدان | الشريف منصور النميشي | سيدي العربي السعودي | ح 37 |
| - مكتب الشرابليين | الفقيه عبد السلام الخمسي | سيدي عبد الكريم الغمري | ح 72 |
| - مسجد درب الخطار (حارة الجزيرة) | علال بن العربي بن الأحمر | سيدي الجواد الصقلي | ح 96 |
| - مكتب درب الشيخ (حومة الجزيرة) | محمد عبد الواحد المنكاد | سيدي محمد بن سودة | ح 115 |
| - مكتب راس الزاوية (حومة المخفية) | السيد أحمد الخمسي | سيدي محمد بن سودة | ح 115 |
| - مكتب راس الزاوية (حومة المخفية) | السيد أحمد الخمسي | محمد بن عثمان الشامي | ح 161 |
| - مكتب أسفل العقبة الزرقاء | محمد بن الخضر الفجيجي | سيدي محمد العلمي | ح 123 |
| - مكتب سويقة بن صافي (زاوية سيدي أحمد بن ناصر بالسياج) | محمد الغماري | مولاي محمد بن المصطفى العلوي | ح 132 |
| - مكتب سيدي النالي | سيدي الغالي العلمي | محمد بن عبد الرحمن العراقي | ح 136 |
| - مكتب اللجائي | سيدي محمد اللجائي | مولاي أحمد العمراني | ح 173 |
| - مكتب القطانين المعلق | الفقيه محمد الدخيسي | مولاي أحمد الشبيهي | ح 179 |

| إسم المكتب أو الجامع بفاس (المسيد) | إسم الفقيه الدرر فيه | العالم الذي قرأ فيه | المرجع |
| --- | --- | --- | --- |
| - مسيد الكاف بأعلى القطانين | الحاج علي بن أحمد زويتن | مولاي أحمد الشبيهي | ح 179 |
| - مكتب درب الشيخ | محمد بن عبد الواحد المنكاد | محمد بن محمد الطاهري | ح186 |
| - مكتب رحبة التين | حميدة بن علي الصنهاجي | محمد بن الفاطمي الشرادي | ح203 |
| - مكتب البستيونية | محمد بن إدريس التازي | محمد بن الفاطمي الشرادي | ح 204 |
| - مكتب دار فقيهة الخاص بتعليم الفتيات والصبيان الصغار بمنزلها | فاطمة الكنونية | القاضي محمد بن المامون البدراوي | ع 210-209 |

فهذه نيف وستون مكتبا من مكاتب تعليم الصغار في مدينة فاس في النصف الأول وما حوله من القرن الرابع عشر الهجري، وهي في جملتها قد عاصرت الفترة الاستعمارية التي كان وطننا العزيز يرزح تحت نيرها، فليس إذن بغريب أن يتأتى لهذه المدينة العريقة ما تأتي من المواقف الصامدة انطلاقا من كفاح خريجي هذه الكتاتيب الذين أمسوا عند الكبر رجال القيادة العلمية والفكرية من خلال منابر القرويين مما أذاق المستعمر وبال أمره، ولقنه دروسا في الصمود والوفاء للمبادئ والدفاع عن حوزة الدين والوطن ورموز الأمة، كانت هي المصابيح التي كانت تضيء الطريق إلى الاستقلال.

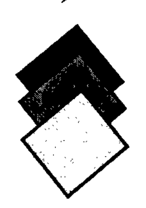


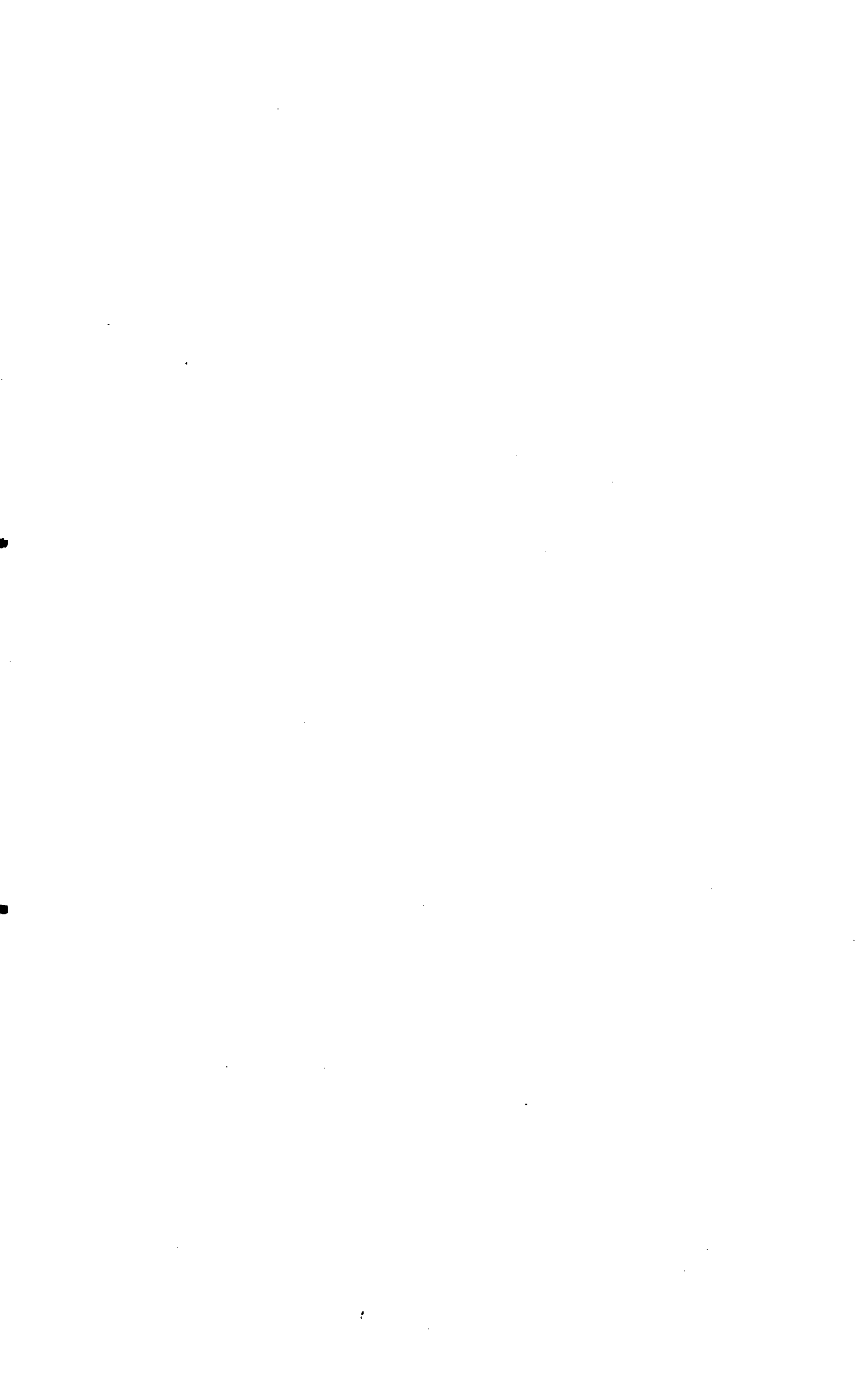




# الباب الخامس

## التأطير التربوي وأدبيات الكتاب والمحضرة عند المغاربة في مجال التأليف والفتاوى الفقهية



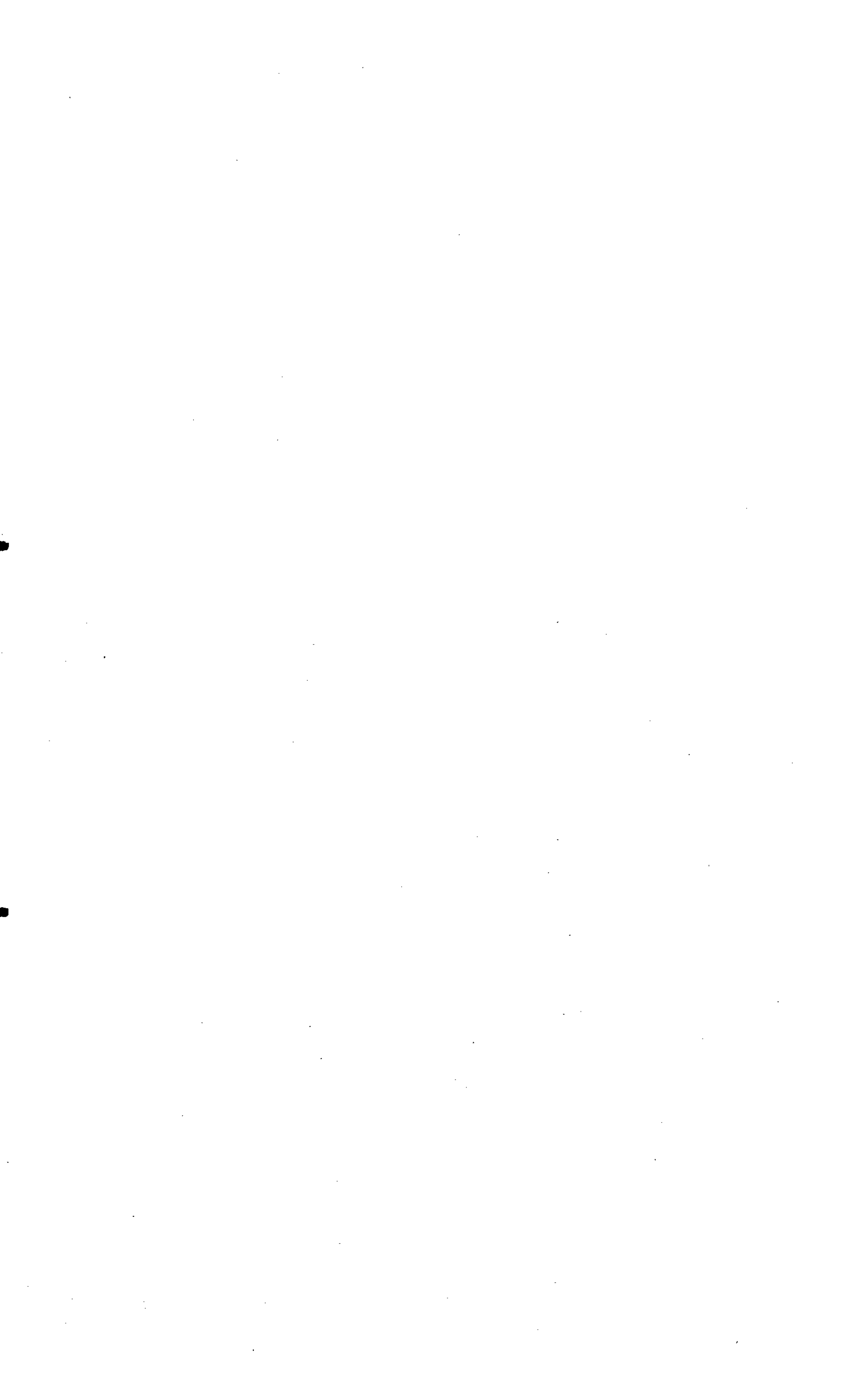


قد رأينا من خلال العرض الطويل الذي مر بنا وتعرفنا على حشد كبير من الكتاتيب والمحاضر القرآنية المغربية عبر العصور، في نشأتها الأولى، ثم في أثناء تطورها وتعميمها، كما شاهدنا صوراً زاهية عن الجهد الدائب والجهاد المتواصل من سلفنا الصالح في هذه الديار، خدمة لكتاب الله العزيز، وسهرا على تعليمه وتعميمه، وعناية به وبنشره، وبث علومه، وحفظ حروفه ورواياته، والترقي به في مدارج العلم والعمل والسلوك.

ونريد هنا أن نواصل استعراض صور مواكبة من الجهد البشري والعلمي الذي صاحب هذه الحركة في مختلف العصور والجهات المغربية، ليرسم لها معالم الطريق الهادية، ويقترح الخطط التربوية، ويفصل في المسائل والمشاكل الطارئة التي تعرض لها من خلال سيرورتها واحتكاكها مع الواقع العملي، كل ذلك سعيا لتحقيق أهدافها وبلوغ الغايات المرسومة لها.

ولا يتسع المجال لأكثر من تعريفات موجزة بأهم ما وقفنا عليه مما نعرض نبذا عنه، لكننا ننبه عليه في مظانه لمن تعلق غرضه بالتوسع فيه، وسوف نبدأ منه بما ظهر في المدرسة القيروانية بإفريقية لأنها هي المدرسة الأم، ومن قاعدتها انطلقت حملات الفتح الأول.





# الفصل الأول

## مؤلفات مغربية قيروانية:

### 1- رسالة سحنون: آداب المعلمين (1) ورسائل أخرى

رسالة سحنون - وهو الفقيه الجليل عبد السلام بن سعيد التنوخي القيرواني (ت 240 هـ)، وهو قاضي القيروان وإفريقية وصاحب المدونة الفقهية على مذهب الإمام مالك بن أنس المدني رحمه الله، أملى سحنون هذه الرسالة التربوية في آداب المعلمين على ولده أبي عبد الله محمد بن سحنون، وعنه اشتهرت، ولذلك تنسب أحيانا إليه باعتباره المدون لها، وربما كان هو صاحب الفكرة في إملائها وتبتدئ الرسالة بقوله: باب ما جاء في تعليم القرآن العزيز.

قال أبو عبد الله محمد بن سحنون: حدثني أبي سحنون، عن عبد الله بن وهب، عن سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- أن رسول الله - ﷺ - قال: «أفضلكم من تعلم القرآن وعلّمه» (2).

ثم أسند الحديث بسند آخر بلفظ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (3).

---

1 - طبعت الرسالة قديما ضمن كتاب التربية في الإسلام بتحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ونشرتها له دار المعارف المصرية بتقديم شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرزاق رحمه الله: ماي 1967 م.

2 - التربية في الإسلام: 353

3 - نفسه: 353 .



ثم أسند أحاديث أخرى منها عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم حملة القرآن، هم أهل الله وخاصته (1).

ثم عقد أبوابا على صورة مباحث، منها: ما جاء في العدل بين الصبيان، وباب ما يكره محوه من ذكر الله تعالى وما ينبغي أن يفعل من ذلك، ثم ساق من الآثار ما يتعلق بالموضوع، وفيه ما يدل على قدم اتخاذ الكتاتيب لتعليم كتاب الله.

فقد روى بسنده عن أنس بن مالك قال:

إذا محت صبية الكُتاب (تنزيل من رب العالمين) من ألواحهم بأرجلهم، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره، ثم لم يبال حين يلقى الله على ما يلقاه عليه» (2).

تم ذكر كيف كان المؤدبّون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، قال أنس:

«كان المؤدب له إجّانة (3)، وكل صبي يأتي كل يوم نوبته بماء طاهر فيصبونه فيها، فيمحون به ألواحهم، قال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف» (4).

ومما قال في الختمة:

**«ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم»**

قال ابن سحنون :

«وسألته متى تجب الختمة؟ فقال: إذا قار بها وجاوز الثلثين» (5).

---

1 - نفسه: 355

2 - التربية في الإسلام: رسالة آداب المعلمين لابن سحنون: 355 .

3 - إجّانة: قصعة.

4 - التربية في الإسلام: 355 .

5 - يعني ثلثي القرآن الكريم بلوحه.

فسألته عن ختمة النصف؟ فقال: لا أرى ذلك يلزم.

قال سحنون: ولا يلزم ختمة غير القرآن كله، لا نصفٌ ولا ثلثٌ، ولا ربعٌ، إلا أن يتطوعوا بذلك.

قال محمد بن سحنون: وحضَرتُ لسحنون قضى بالختمة على رجل، وإنما ذلك على قدر يُسر الرجل وعسره.

وقيل له: أترى للمعلم سعة في إذنه للصبيان اليوم ونحوه؟ (1).

قال: ما زال ذلك من عمل الناس مثل اليوم وبعضه. ولا يجوز له أن يأذن لهم أكثر من ذلك، إلا بإذن آبائهم كلهم، لأنه أجير لهم» (2).

قلت: وما أهدى الصبي للمعلم أو أعطاه شيئا فيأذن له على ذلك؟ فقال: لا، إنما الإذن في الختم اليوم ونحوه، وفي الأعياد، وأما في غير ذلك فلا يجوز له إلا بإذن الآباء، قال: ومن هنا سقطت شهادة أكثر المعلمين، لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم، إلا من عصم الله.

قال لي: هذا إذا كان المعلم يعلم بأجر معلوم كل شهر أو كل سنة، وأما إن كان على غير شرط فما أُعطي قَبل، وما لم يُعطَ لم يَسأل شيئا، فله أن يفعل ما شاء إذا كان أولياء الصبيان يعلمون تضييعه، فإن شاؤوا أعطوه على ذلك، وإن شاؤوا لم يعطوه».

### ما جاء في القضاء بعطية العيد (3).

---

1 - يعني: للاستراحة أو ما يعرف بالتحريرة لأسباب سيأتي الحديث عنها لاحقا.

2 - آداب المعلمين: 257 .

3 - هي المعروفة بالعواشر وستأتي.



قال: قلت: فعطية العيد يقضى بها؟ قال: لا: ولا أعرف ما هي؟ إلا أن يتطوعوا بها. قال: ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئا من هدية وغير ذلك، ولا يسألهم في ذلك، فإن أهدوا إليه على ذلك فهو حرام، إلا أن يهدوا من غير مسألة، إلا أن تكون المسألة منه على وجه المعروف، فإن لم يفعلوا فلا يضربهم في ذلك، وأما إن كان يهددهم في ذلك، فلا يحل له ذلك، أو يخليهم إذا أهدوا له، فلا يحلّ له ذلك، لأن التخلية داعية إلى الهدية، وهو مكروه» (1).

ثم ذكر «ما ينبغي أن يخلي الصبيان فيه فقال:

«الفطر: يوما واحدا، ولا بأس أن يأذن لهم ثلاثة أيام، والأضحى: ثلاثة أيام، ولا بأس أن يأذن لهم خمسة أيام» (2).

ثم بعد هذا تحدث عما يجب على المعلم من لزوم الصبيان وتخصيص وقت يعلمهم فيه الكتاب ورسم له في أدبهم حدا يسيرا، ولا يجوز له أن يجاوز ثلاثا، ولا يجوز له أن يضرب رأس الصبي ولا وجهه، ولا يجوز له أن يمنعه من طعامه وشرابه، إذا أُرسل وراءه (3)، قال:

وينبغي له أن يعلمهم إعراب القرآن، وذلك لازم له، والشكل، والهجاء، والخط الحسن، والقراءة الحسنة، والتوقيف، والترتيب، يلزمه ذلك...

ويلزمه أن يعلمهم ما علم من القراءة الحسنة، وهو مَقْرَأُ نافع، ولا بأس إن أقرأهم لغيره (4) إذا لم يكن مستبشعا...

1 – رسالة اداب المعلمين: 357-358.

2 – نفسه: 358 .

3 – نفسه: 359 .

4 – في زمن سحنون كانت قراءة حمزة أكثر انتشارا في إفريقية، ولا يقرأ لنافع إلا خواص الناس، انظر غاية النهاية: 217/2 ترجمة محمد بن خيرون رقم 3314 .

وعلى المعلم أن يكسب الدرة والفلقة، وليس ذلك على الصبيان، وعليه كراء الحانوت، وليس ذلك على الصبيان.

وعليه أن يتفقدهم بالتعليم والعرض ، ويجعل لعرض القرآن وقتا معلوما مثل يوم الخميس، وعشية الأربعاء، ويأذن لهم في يوم الجمعة، وذلك سنة المعلمين مذ كانوا لم يُعَب ذلك عليهم» (1)، ثم قال:

وليجعل الكتاب من الضحى إلى وقت الانقلاب، ولا بأس أن يجعل بعضهم يملي على بعض، لأن ذلك منفعة لهم، وليتفقد إملاءهم، ولا يجوز أن ينقلهم من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها (2) وكتابتها، إلا أن يسهل له الآباء... قال:

وأرى ما يلزم الصبي من مؤنة المعلم في ما له إن كان له مال بمنزلة كسوته ونفقته» (3).

ثم تحدث عن الصبي يدخل عند المعلم وقد قارب الختمة، هل له أن يُقضى له بالختمة وقد ترك الأول أن يطالبه؟

فقال: إن كان أخذ عنه من الموضع الذي لا يلزمه الختمة للأول أن لو قام، مثل أكثر من الثلث من «يونس» و«هود» ونحو ذلك فالختمة لازمة له، لأن الأول حينئذ لو قام لم يقض له بشيء؟ وأما إن كان دخوله عنده في وقت لو قام عليه الأول لزمته الختمة لم يقض للداخل عنده بشيء، لأن الأول كأنه إنما تركها لأبيه أو للصبي، إلا أن يتطوع لهذا بشيء، قال:

---

1 – نفسه: 360 .

2 – يقصد القدرة على قراءة كلماتها قراءة سليمة من لحن الإعراب.

3 – نفسه: 361 .



قلت: أرأيت لو أن والده أخرجه وقال: لا يختم عندك وقد قارب الختمة، وإنما كانت الأجرة على شهر؟ فقال: أقضي عليه بالختمة ثم لا أبالي أأخرجه أم أتركه... (1).

وبعد هذا انتقل إلى ما يتعلق بتربيتهم على أداء الواجبات فقال:

ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة، لأن ذلك دينهم، وعدد ركوعها وسجودها والقراءة فيها.. وما يلزمهم في الصلاة، والتشهد والقنوت في الصبح... وليعاهدهم بتعليم الدعاء ليرغبوا إلى الله، ويعرفهم عظمته وجلاله ليكبَروا على ذلك.

وإذا أجدب الناس واستسقى بهم، فأحب للمعلم أن يخرج بمن يعرف الصلاة منهم، وليبتهلوا إلى الله بالدعاء، ويرغبوا إليه، فإنه بلغني أن قوم يونس -صلى الله على نبينا وعليه- لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم فتضرعوا إلى الله بهم».

وينبغي أن يعلمهم سنن الصلاة مثل ركعتي الفجر والوتر وصلاة العيدين والاستسقاء والخسوف، حتى يعلمهم دينهم الذي تعبّدهم الله به وسنة نبيهم - ﷺ- قال: ولا يجوزُ للمعلم أن يعلم أولاد النصارى القرآن ولا الكتاب» (2).

وليتعلموا الصلاة على الجنائز والدعاء عليها فإنه من دينهم، وليجعلهم بالسواء في التعليم، الشريف والوضيع، وإلا كان خائنا...

ثم عقد فصلا لما جاء في إجارة المعلم فذكر المسائل المتعلقة بها (3).

---

1 - رسالة اداب المعلمين: 361 .
2 - نفسه: 362 .
3 - نفسه: 364-365 .

ثم ختم بما جاء في إجارة المصحف للقراءة فيه، فقال: لا بأس به وتفاصيل أخرى في إجارة المعلم على تعليم القرآن كله أو بعضه أو على صبية معلومين، وختم بذكر حكم الإجارة على تعلم الفقه والفرائض والشعر فقال: كره ذلك مالك وأصحابنا، وبين وجه الكراهة ومستندها؛ وبذلك ختم رسالته رحمه الله (1).

### 2- أجوبة القرويين لجماعة من علماء القيروان:

هذه رسالة كثيرة الورود في فتاوي المحضرة وما يتصل بها، ويبدو أنها مجموعة أجوبة جمعها من جمعها تحت هذا العنوان لتشابه موضوعاتها، وقد ذكر منها العلامة الشوشاوي طرفا صالحا، كقوله:

«وأما موضع الحذقة في القرآن، ففي أجوبة القابسي: إذا عرف الصبي الكَتب وأخذ آية، فللمعلم ثمانية دراهم، وإذا بلغ سورة الملك فله أربعة دراهم ذهبا، وإذا حتم القرآن فله ستة عشر دينارا ذهبا...

وفي أجوبة القرويين: للمعلم حذقة الختمة إذا أتم الصبي ثلاثة أربا ع القرآن، وقيل: إذا أتمّ ثلثي القرآن، وقيل: بكتب أول آية من سورة البقرة، وقيل: بإتمام ختم القرآن كما في أجوبة القرويين عن سحنون» (2).

وقال:

«وأما الذي تعطى له الحذقة من المعلمين إذا تداولوا صبيا، فقيل: الحذقة للذي ختم عنده، قال سحنون في أجوبة القرويين: وقيل: هي لمن تعلم عنده الأكثر، قاله في أجوبة القابسي» (3).

1 – رسالة اداب المعلمين : 268 .
2 – الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة للشوشاوي: 288 .
3 – نفسه: 290



وقال:

وأما هل للمعلم الحذقة إذا أعاد الصبي القرآن أم لا؟ فقال سحنون في أجوبة القرويين: يعطيها مرة ثانية إذا أعاد القرآن».

وقال: وأما متى تجب الأجرة للمعلم الذي لم يعقد مع أبي الصبي إجارة؟ ففي أجوبة القرويين: فالصبي الذي لم يعقد أبوه مع المعلم إجارة إذا مكث الصبي عند المعلم ثلاثة أشهر ثم أخرجه والده فالشرط لازم له» (1).

وقال:

وأما ما الحكم فيما يأخذه المعلم في الأعياد والمواسم؟ ففي أجوبة القرويين أن ذلك جائز، ويقضى به إذا جرى به عرف أو اشترط إذا أعطاه الكبير أو والد الصغير... (2).

فهذه الأجوبة تشتمل على أجوبة لسحنون وغيره، ويدل على ذلك أيضا قوله عن سؤال: هل للمعلم الخروج قبل تمام الأجل أم لا؟ فذكر عدة نقول وقال: «وقاله أيضا ابن أبي زيد (3) في أجوبة القرويين (4).

وقد نقل الشوشاوي في مواضع عن أجوبة القابسي (5) وأجوبة أبي العباس الداودي (6) وأجوبة محمد بن سلام (7) وأجوبة الفاسيين (8) وكلها في قضايا المعلمين وأحوال الكتاب ما يتعلق به.

---

1 – نفسه: 291 .
2 – نفسه: 294 .
3 – هو صاحب الرسالة في الفقه أبو محمد بن أبي زيد القيرواني.
4 – الفوائد الجميلة: 292-293 .
5 – الفوائد: 288.
6 – نفسه: 293 .
7 – نفسه: 303 .
8 – نفسه: 272

## 3- رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومسائله في قضايا الكتاب والمحضرة:

لأبي محمد بن أبي زيد في المدرسة المالكية بالمغرب مكانة لا ينافس عليها حتى كان يقال فيه: «مالك الصغير» (1)، إذ «كان إمام المالكية وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله، وكان واسع العلم، كثير الحفظ والرواية، وكتبه تشهد له بذلك» (2).

وهو صاحب الرسالة الفقهية في المذهب، وهو إنما ألفها لطلب بعض المؤدبين وسدّاً لحاجة المبتدئين من الولدان، وفي ذلك يقول في مقدمتها بعد الإفتتاحية:

أما بعد -أعاننا الله وإياك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه- فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانة مما تنطق به الألسنة وتعتقده القلوب، وتعمله الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك للولدان، كما تعلمهم حروف القرآن، ليسبق إلى قلوبهم من فهم دين الله وشرائعه ما تُرْجَى لهم بركته، وتحمد عاقبته، فأجبتك إلى ذلك، لما رجوته لنفسي ولك من ثواب من علَّم دين الله أودعا إليه»:

ثم يقول: « واعلم أن خير القلوب أوعاها للخير، وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليه، وأولى ما عُنِيَ به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون، إيصالُ الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين ليَرسَخ فيها، وتنبيهُهم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليُراضوا عليها، وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبُهم، وتعمل به جوارحهم، فإنه روي أن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله، وأن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر» (3).

1 - أنظر طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي: 160 وترتيب المدارك لعياض: 216/6 .
2 - ترتيب المدارك: 215/6-216 .
3 - مقدمة رسالة ابن أبي زيد: 7-9 وفي كتاب معالم الإيمان للدباغ: 111/3 أن الذي سأله تاليف الرسالة الفقهية هو الشيخ المودب محرزين خلف التونسي» من مشاهير علماء القيروان.

فهذه المقدمة لرسالته في الفقه، ورسالته نفسها تدل دلالة عميقة على اهتمامه -رحمه الله- بقضية التعليم الأولي، والمواد التي ينبغي التركيز عليها فيه سعيا إلى التنشئة الرشيدة لأبناء المسلمين على عقائد الإيمان الصحيحة وشرائعه السمحة الربانية.

وقد سمّى لنا المترجمون له في جملة مؤلفاته عددا من الرسائل كلها تدور في هذا الفلك، ومنها:

- ✓ رسالة فيمن تؤخذ عنه قراءة القرآن (1).
- ✓ ورسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن (2).
- ✓ ورسالة طالب العلم (3).

ولم يصلِ إلينا شيء من رسائله هذه، ولكننا نقف في فتاويه في معيار الونشريسي على عدد من المسائل جيد يقرب إلينا الصورة عماذكرناه له من هذا الاهتمام، وهذه مختارات منها:

## مختارات من مسائل ابن أبي زيد في معيار الونشريسي

جمع أبو العباس الونشريسي في المعيار المعرب مجموعة جيدة من مسائل أبي محمد بن أبي زيد القيرواني (ن 386 هـ) في سياق واحد أرى من المفيد أن أذكر مختارات منها تتعلق بسير المحضرة وقضايا المعلمين، وهي في الجملة لا تخرج عن خط المدرسة المالكية في المغرب وأئمتها، ومنها:

1 - ترتيب المدارك: 218/6 .
2 - نفسه: 218/6
3 - نفسه.

1 – وسئل أبو محمد عن المعلم يريد أن يجعل غيره في موضعه، هل يجب إذا رأى في الصبيان ذلك أم لا؟

فأجاب: ليس له أن يجعل في موضعه غيره. (1).

2 – وسئل عن معلم صبيان يعرّض الصبيان عشية الأربعاء، هل يعرِّضون اثنين أو ثلاثة خشية أن لا يستوعبهم في الجمعة أو أفرادا؟

فأجاب: إن كان على يقين من حفظهم، أرجو أن لا يكون بذلك بأس، وإن لم يكن على يقين من حفظهم فإنه لا يدري من يحفظ منهم، لأن بعضهم عون لبعض، ويفتح بعضُهم على بعض، فأرى أن يمنعهم من العرض ويأخذهم منفردين، وإن كان يلحقهم لكثرتهم تقصير لم يأخذ منهم إلا ما يقوى على تعليمه كما يجب، ويدع ما زاد، إلا أن يؤاجر من يعينه، فيجوز له ذلك إن قام مقامه، ويعلم بذلك الصبيان (2).

3 – وسئل عمن له أولاد صغار وكبار، وهو فقير، فأراد إدخال الصغار للمكتب ويترك الكبار يقومون عليه، هل له سعة أم لا؟

فأجاب: بأن له ذلك، وليس بواجب عليه أن يعلمهم، وخير له أن يعلمهم (3).

4 – وسئل عن معلم ختم عليه صبي البقرة فقال المعلم: لا أحطّ من ديناري شيئا، وقال أبو الصبي: لا أقدر عليه.

فأجاب: إن كان أبو الصبي منحطًا (4) عن الغنى لم يكن الدينار عليه بكثير، وعليه أداؤه للمعلم.

---

1 – المعيار: 238/8 .

2 – نفسه: 239/8 .

3 – نفسه: 239/8 .

4 – لعل الصواب: غير منحط .



5 – قلت: ومتى تجب الختمة؟

قال: إن كان أبو الصبي لا يريد إخراج الولد من عند المعلم حتى يختم البقرة كلها (1).

6 – قلت: أرأيت ما روي عن سحنون أنه قضى بسبعة دنانير في ختمة البقرة؟

قال: هو ضعيف، وعن ابن حبيب: يقضى بالحذقة بالنظر والظاهر بقدر ما يرى من مال الأب ويُسره وقوة حال الولد من حفظه وتجويده، لأنها مكارمة جرى عُرف الناس عليها، إلا أن يشترط الأب تركها، فإن أخرج الأب ابنه قرب (الحذقة) (2) لزمته (الحذقة)، وإن بقي منها ما له قدر وبال كالسدس ونحوه سقط، وليس عليه حسابُ ما مضى منها، وإن شرط المعلم (الحذقة) لم يجز دون تسْمية، وإن أخرج الأب ابنه قبل بلوغها لزمه بحساب ما مضى، ولو قل (3).

7 – وسئل عمن اشترط عليهم الختم وما في آخر كل ختمة أو هو معروف، فوصل الصبي إلى ما دون الختمة بثلاث سور، مثل أن يصل إلى آخر (قد أفلح) (4)، أو يصل إلى آخر (إنا أرسلنا نوحا) (5) إو نصفها، ثم يخرجه أبوه قبل السنة. هل تجب له الختمة؟ وكيف لو تمت السنة فأخرجه، هل له الختمة أم لا؟ وكيف لو كانت الأجرة سنة. هل يجلس من الصبح إلى المغرب أو عند طلوع الشمس وعند الإسفار كسنة البلد؟

1- المعيار: 239/8 .

2 – سيأتي مزيد من التعريف بالحذقة.

3 – المعيار: 8/239-240 .

4 – الختمة عنده هنا ختمة النصف من القرآن، وقد افلح: أول سورة المومنون.

5 – يعني آخر حزب تبارك الذي بيده الملك، وهو الحزب السابع والخمسون.

فأجاب: إن اشترط الختمة لزمتهم، أو كانت مسماة أو معروفة، ولا تجب إلا بشرط، إلا البقرة فواجبة بغير شرط، ولو شرط الختمة، فليس له إخراجه إذا قاربها، ولم تمت السنة وما قاربها، فليس للأب إخراجه إلا أن يؤديها وإن بعدت الختمة لم يَلزمه شيء.

وأما وقت جلوسه وقيامه فبحسب العرف وما تعاهده أهلُ التعليم (1).

8 – وسئل ابن أبي زيد القيرواني عن المعلم إذا قال لآباء الصبيان: نُقرئُ ما شئت من الصبيان، وندخل معي من يعينني إن شئت ولم أقْو عليهم، هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب: أذا حصل عنده من العدد ما زاد عليه وقصّر عن الأولين، فلا يجوز له، وأما قوله: آتي بمن يعينُني فأرجو أنه سهل، وفيه بعض المَغْمَز، والتعليم فيه أنواعٌ لا يكاد المعلم يؤديها، وأرجو إن اجتهد وتحرّى أن يَسلَم» (2)

9 – سئل عن معلم اشترط على أبي الصبيان ختم القرآن كله للربع والثلث والنصف وغير ذلك من الخِتم فيما ختموه عنده أو عند غيره فيما مضى، فدخل صبي عنده في سورة الأنعام، وقد قرأ على معلمين شتّى، هل له الختمة أم لا؟

فأجاب: الختمة إنما تجب للمعلم الأول، ولا تجب لهذا الثاني، إلا أن يشترطها .

---

1 – المعيار: 240/8 .

2 – المعيار: 240/8-241



10 – وسئل عن معلم الصبيان سنةً، فعند انقضائها حضر بعض آباء الصبيان، فقال: لا أجلس العام الثاني إلا بشرط الخِتَم كلها، فقال له الرجل إلى الثلثين، فإن آباء الصبيان لا يعرفونها، فقال المعلم: كذا وكذا إن قعدت ولم يشترطها، فلما حضر انقضاء العام حضر الآباء واشترط عليهم ذلك، وبعد يوم أو يومين حضر بعضهم أو لم يكن حضر فرضي أو كره وأخرج ولده، ومنهم من كان مسافراً فأقام ولده في الكتاب ثم حضر فرضي أو كره، هل يبرأ المعلم أم لا؟ وكيف إن أراد بعد الشرط أن يترك أحدا منهم؟ وكيف لو دخل آخرون، هل يلزمهم الشرط أولا؟ وكيف إن قال أحد من الأولين: إن أدخلتني أخرجت ولدي، فقال له المعلم: أنا أقرئه لله؟ (1).

فأجاب: «إن شَرَطَها على كل من حضر من الآباء فلا شيء عليه، وإن أخرج بعضهم وقد كره الشرط فلا شيء على المعلم، إلا أن يكون ممن حضر الشرط، فيحنث المعلم إلا أن يريد أنه شرط ذلك، ومن شاء أقام أو رحل فلا شيء عليه، إلا أن يريد ولا أخذتها».

وأما من قال: «أنا أُعلِّم ولدك لله قبل أن يدخل معه على شرطه فهو حانث، إلا أن تكون له نية» (2).

11 – وسئل عن معلم الصبيان سنة، فيشترط عليه أنه إذا جاءته دراهم من ختم أو نكاح أو ولادة أو قدوم غائب (3) صَرَفَ الصبيان يوما أو بعضه أو قال لهم: إن وقع هذا في الجمعة مرتين نُخَلِّيهم اليوم ونحوه بشرط، وكيف إن كان سنّة البلد تخليتهم من غير شرط؟ وكيف لو قال: لي يوم في الجمعة نُخلي فيه الصبيان فعلمه أم لا، ولم يُسمّه أو سماه؟ وهل له

---

1 – نفسه: 241/8 .

2 – المعيار: 241-242 والحنث هنابمعنى الإخلال بالعهد والالتزام.

3 – سيأتي الحديث عن هذه الموارد والإصرافات المحضرية.

الصلاة على الجنازة؟ وكيف لو شرط ذلك؟ وهل له صلاة الضحى في موضع التعليم أو غيره، أو يتنفل بين الصلاتين؟ وهل يجلس مع بعض إخوانه الساعة ونحو ذلك إذا أتى زائرا في المدة الشاذّة ويمضي معه إلى داره الساعة ونحوها؟ وكيف لو شرط ذلك؟

فأجاب: إن شرط إن جاءته دراهم ختمة أو نكاح أو ولادة أو قدم غائب صرف الصبيان، فإن كان يكثر مرة ويقلّ أخرى فلا يجوز، وإن كان يقع ولا يكثر وقوعه فلا بأس، وإن شرط تخليتهم في الجمعة مرتين، يعني غير الجمعة والخميس، فهذا معلوم لا يبالي، سيما اليومين أولا.

وإرساله الصبيان بعضهم خلف بعض فجائز بعد إذن آبائهم، ويسلم ذلك في العقد ليستأذنهم بعد، وصلاته على الجنازة خفيف إن وقع، وكثرته وقلته لا تجوز، ولو اشترطه.

وصلاة الضحى إن كانت بعد أن أتى الصبيان على ما ينبغي من عرضهم، فلا بأس بركعات خفيفة، وتنفّله بين الصلاتين، وهو وقت تعليم الصبيان في بلدهم، فلا يفعل حتى يفعل بهم ما جرت عادتهم من التعليم، وحديثه مع إخوانه لا ينبغي أن يأتي من ذلك ما يقطعه عن حاجته فيهم ويمنعهم ما عهدوه من التعليم، وأرجو أن يكون الأمر الخفيف خفيفا، واشتراطه لا يصح، لأنه مجهول، وكذا قيامه معه إلى داره إذا قرب، وهو أمر خفيف يقع في الفور فخفيف (1)».

12 – وسئل عن المعلم هل يلزمه أن ينظر في ألواح الصبيان، هل فيها خطأ في الأحرف أم لا؟ وكيف إن شرط أن لا ينظر في ذلك؟

1 - المعيار: 243/8 .



فأجاب: يجب عليه أن ينظر في ألواحهم، وإصلاح ما فيها من خطإ، وشرط عدم النظر خطأ لا يجوز.

قال ابن سحنون: «ينبغي أن يعملهم إعراب القرآن، ويلزمه ذلك، والشكل والهجاء، والخط الحسن، وحُسن القراءة بالترتيل، وأحكام الوضوء، والصلاة، وفرائضها، وسننها، وصلاة الجنائز، ودعاءها، وصلاة الاستسقاء والخسوف» (1).

وسئل عمن اشترط على أبي الصبي خِتَما، وشرطوا ما لكل ختمة، فوصل الصبي إلى قريب من الختمة نحو (قد أفلح) و(سال سائل) فيخرجه أبوه ويرُده عند آخر، هل هي للمعلم الثاني أم لا؟ وهل يصحّ له شرطها ويأخذها أم لا؟ وكيف لومات الصبي عند قرب الختمة هل تجب أم لا؟

فأجاب: إذا قارب الختمة وقد اشترطها وجبت للمعلم الأول، ولا يصح للمعلم الثاني شيء، ولو اشترطها المعلم الثاني على الأب لكان له ذلك، إلا أن يقول أبو الصبي: ظننت لايلزمني للأول شيء، فيحلف عليه وكانت للأول، ولو علم بوجوبها للأول واشترطها الثاني، ورضي بذلك لزمه لهما.

ولو مات الصبي عند قرب الختمة لز.ت الأب، ولو ترك المعلم التعليم، وقد قارب الختمة فلا شيء له فيها، قيل: لأن الانفصال كان منه، لا من الصبي» (2).

12 – وسئل هل يضرب ابن خمس سنين من الصبيان أو أقل أو أكثر إلى عشرة إذا ضحك في الصلاة، أو تركها، أو شرب مُسْكراً؟

فأجاب: إن كان ابن عشر سنين زجره عن ذلك، وإن عاد أدّبه.

---

1 – المعيار: 8/244-245 .

2 – نفسه: 8/245 .



وأما في شربه المسكر فجائزٌ تأديبه عليه، وأما ابن خمس سنين فيزجره عن شرب الخمر، وعن الضحك، فإن عاد زجره زجرة ثانية، فإن عاد أدّبه على قدر احتماله وقوته، ولا حدّ في ذلك (1).

15 – وسئل عن أخذ ما يأتي به الصبي للمعلم ويزعم أن أباه أو أمه أعطت ذلك له.

فأجاب : «إن جرت عادة بهدية الأب للمؤدب فجائز قبوله وتصديقه إلا أن يأتي بما يُستكثر أن يكون الأب بعثه به، أو في غير وقت اعتاده منه، فيسأل عن ذلك أبويه» (2).

---

1 – نفسه: 245/8 .

2 – المعيار: 246/8 .



4- الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المتعلمين (1) .

لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي فقيه القيروان (ت 403 هـ) (2) وكتب أخرى

يعتبر الإمام القابسي ثالث أهم رجالات القيروان بعد سحنون وابن أبي زيد، بل يعتبر تكملة لهما ووارثا لعلمهما، قال الحافظ ابن الجزري: إمام صالح، ولد سنة 324 هـ وأخذ القراءة عرضا وسماعا -يعني في رحلته- عن أبي الفتح بن بُدْهُن، وعليه اعتماده، قال الداني:

أقرأ الناس بالقيروان دهرا، ثم قطع الإقراء لما بلغه أن بعض أصحابه استقرأه السلطان (3) فقرأ عليه، وشغل نفسه بالحديث والفقه إلى أن رأس فيهما وبرع، توفي بالقيروان سنة 403 هـ (4).

قال الدباغ بعد ذكر مشيخته ورحلته إلى المشرق سنة 352 هـ: «وسمع منه خلق كثير، منهم أبو عمران الفاسي وأبو بكر بن عبد الرحمن وأبو القاسم اللبيدي، وأبو عبد الله المالكي وأبو علي حسن بن خلدون

1 - نشرت الرسالة قديما باسم: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين ضمن كتاب «التربية في الإسلام» للدكتور أحمد فؤاد الأهواني ابتداء من الصفحة رقم: 367
كما نشرت مفردة باسم: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين».

2 - يقال له: القابسي أو ابن القابسي، وهو نسب شهرة لأنه ليس من أهل قابس، وإنما هو من القيروان.

3 - لعله يعني بعض سلاطين العبيديين الشيعة الذين حكموا إفريقية قبل انتقالهم عنها إلى مصر في أيام المعز لدين الله الفاطمي بعد منتصف المائة الرابعة.

4 - غاية النهاية: 567/2 ترجمة 2314 .

وأبو القاسم بن الكاتب وأبو عبد الله محمد بن أبي موسى عيسى بن مناس وأبو عمرو الداني قال: وله تواليف، منها الكتاب الممهد، بلغ فيه إلى ستين جزءا، ومات ولم يكمله، وهو كتاب كبير كثير الفائدة مبوب على أبواب الفقه جمع فيه بين الحديث والأثر والفقه، أجازه لجماعة منهم أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني المقرئ، وله كتاب الملخص.. والرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين» (1).

قلت: رسالة أبي الحسن القابسي أهم رسائل التربية العامة عند المسلمين، فقد استفاد من رسالة سلفه سحنون صاحب رسالة آداب المعلمين كما استفاد من رسائل أبي محمد بن أبي زيد فكانت مسائله أعمق وأشمل، وأولها قوله تعالى:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا... ثم قال:

قد سألني سائل وألح علي أن أجيبه عن مسائل كتبها، وشرط شروطها، واعتذر من إلحاحه على أنه مضطر إليها.. فتغاضيت عن سرعة مجاوبته طويلا، وهو مقيم على حفزي فيما أراد مني، حتى ألقى الله -عز وجل- في قلبي الانقياد إلى مجاوبته.... (2).

ونظرا لأهمية هذه الرسالة أنقل إلى القارئ الكريم طائفة من فصولها ليتعرف على مادتها الثرية ويقف على جانب من التربية المدرسية التي شكلت مع ما تقدمها نواة ما يمكن أن نسميه بالتربية العامة عند المسلمين في عصر ازدهار الثقافة الإسلامية في إفريقية والقيروان في النصف الأخير من المائة الرابعة.

1 - معالم الإيمان لأبي زيد الدباغ: 3/134-136 ترجمة 264 .
2 -الرسالة المفصلة ، التربية في الإسلام: 267 .



## مَدى إجبارية التعليم في الكتَّاب وجواب القابسي

قال الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (ت 403 هـ) في «الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين»:

«وأما سؤالك عن رجل امتنع أن يجعل ولده في (الكُتّاب) هل للإمام أن يُجبِرَه؟ وهل الذكر والأنثى في ذلك سواء؟

فإن قلت: لا يجبره، فهل يوعَظ ويُؤَثَّم؟ وكيف إن لم يكن له والد، وله وصي، فهل يلزم ذلك بالجَبْر؟؟ فإن لم يكن له وصيٌّ، فهل ذلك للولي أو للإمام؟ فإن كان لا أحد لهذا الولد، فهل للمسلمين أن يفعلوا ذلك من ماله؟ فإن لم يكن له مال، فهل على المسلمين أن يُودّوا عنه، أو يكون في (الكُتاب) ولا يكلفه المعلم إجارة؟؟ وكيف إن كان له أبٌ وله مال، ولا يبالي بذلك، فهل للإمام أن يسجُنه، أو يضربه على ذلك أم ليس ذلك عليه؟؟ وكيف إن كان هذا في بلد لا سلطان يُكرههم على الواجبات، وينهاهم عن المنكرات، فهل نبيح لجماعة من المسلمين المرضيين في دينهم أن يقوموا مقام السلطان، أم ليس يجوز ذلك؟؟ (1).

فقال أبو الحسن القابسي في الجواب عن هذه التساؤلات:

«إن الذي قدمت لك مما يرجى للوالد في تعليم ولده القرآن، إنما هو على وجه الترغيب للوالد في تعليم ولده الطفل، الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا يميّز لنفسه ما يأخذ لها، وما يدفعه عنها، وليس له ملجأ إلا

---

1 - الرسالة المفصلة: (كتاب التربية في الإسلام: 290).



لوالده الذي تجب عليه نفقته لمعيشته. فما زاد بعد ذلك الواجب. فهو إحسان من الوالد للولد، كما لو أحسن للأجنبيّين، أو لمن لا تلزمه نفقته، ولكن يرجى له فيما أحسن به إلى ولده المحتاج إليه ما هو أفضل، إذ ليس يَشركه فيه غيرُه، ولا حيلة للطفل يستعين بها فيستغني بنفسه فيما نظر والده له فيها.

وقد أمر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها، ويدرّبوهم عليها، ويودّبوهم بها ليَسكنوا إليها ويألفوها، فتخفّ عليهم إذا انتهوا إلى وجوبها عليهم. وهم لابد إذا علموهم الصلاة، أن يعلموهم من القرآن ما يقرأونه فيها.

وقد مضى أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن، ويأتونهم بالمعلمين، ويجتهدون في ذلك، وهذا مما لا يمتنع منه والدٌ لولده، وهو يجد إليه سبيلا، إلا من أدركه شُحُّ نفسه، فذلك لا حجة له. قال الله سبحانه: (وأُحضرت الأنفس الشح) (1) وقال تعالى: **﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾** (2).

ولا يَدَعُ أيضا هذا والدٌ تهاونا واستخفافا لتركه، إلا والدٌ جافٍ لا رغبة له في الخير. إن الله سبحانه وصف في كتابه عباده فقال سبحانه:

**﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾**... إلى قوله عز وجل: **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾** (3).

---

1 – سورة النساء: 126

2 – سورة الحشر: 8 .

3 – سورة الفرقان: 63-77 .

فمن رغب إلى ربه أن يجعل له من ذريته قرة أعين، لم يبخل على ولده بما ينفق عليه في تعليمه القرآن.. إن حُكم الولد في الدين حكمُ والده ما دام طفلا صغيرا. أفيدع ابنه الصغير لا يعلمه الدين، وتعليمه القرآن يؤكد له معرفة الدين؟ ألم يسمع قول الرسول عليه السلام: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج الإبل من بهيمة عجماء، هل تحسّ بها من جدعاء؟ فقالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت وهو صغير؟ فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين لو عاشوا» فإذا كان ولدُ الكافرين يدركهم الضرر من قِبَل آبائهم، انبغى أن يدرك أولاد المؤمنين النفعُ في الدين من قِبَل آبائهم» (1).

## إقامة الكتاتيب

## وتأجير المعلمين فيها هل هو واجب الأمراء والدولة؟

ولم يكن أبو الحسن القابسي -رحمه الله- ممن يرى أن إقامة الكتاتيب ونصب المعلمين فيها لتعليم القرآن حق عام على ولاة أمور المسلمين، ولذلك نجده يقول في رسالته:

«ثم اعلم أن أئمة المسلمين في صدر هذه الأمة، ما منهم إلا وقد نظر في جميع أمور المسلمين بما يصلحهم في الخاصة والعامة، فلم يبلغنا أن أحداً منهم أقام معلمين يعلمون للناس أولادهم من صغرهم في (الكتاتيب) ويجعلون لهم على ذلك نصيبا من مال الله جل وعز، كما قد صنعوا لمن كلفوه القيام للمسلمين في النظر بينهم في أحكامهم، والأذان لصلاتهم في مساجدهم، مع سائر ما جعلوه حفظا لأمور المسلمين، وحيطة عليهم، وما

1 - الرسالة المفصلة (ضمن كتاب التربية في الإسلام للدكتور احمد فؤاد الأهواني: 291-292



يمكن أن يكونوا أغفلوا شأن (معلم الصبيان)، ولكنهم -والله أعلم رأوا أنه شيء مما يختص أمره كل إنسان في نفسه، إذ كان ما يعمله المرء لولده، فهو من صلاح نفسه المختص به، فأبقوه عملا من عمل الآباء الذي يكون لا ينبغي أن يقوم به عنهم غيرهم إذا كانوا مطيقيه.

ولمّا ترك أئمة المسلمين النظر في هذا الأمر، وكان مما لابد منه للمسلمين أن يفعلوه في أولادهم، ولا تطيب نفوسهم إلا على ذلك، واتخذوا لأولادهم معلما يختص بهم، ويداومهم ويرعاهم حسب ما يرعى المعلم صبيانه، وبعد أن يمكن أن يوجد من الناس من يتطوع للمسلمين فيعلم لهم أولادهم ويتحبس نفسه عليهم، ويترك التماس معايشه، وتصرّفه في مكاسبه وفي سائر حاجياته، صلح للمسلمين أن يستأجروا من يكفيهم تعليم أولادهم، ويلازمهم لهم، ويكتفي بذلك عن تشاغله بغيره، ويكون هذا المعلم قد حمل عن آباء الصبيان مؤونة تأديبهم، ويبصّرهم استقامة أحوالهم، وما يُنمي لهم في الخير أفهامهم، ويبعد عن الشر ما لهم. وهذه عناية لا يكثر المتطوعون بها، ولو انتُظر من يتطوع بمعالجة (تعليم الصبيان) لضاع كثير من الصبيان، ولما تعلم القرآن كثير من الناس، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور، والداعية التي تثبت أطفال المسلمين على الجهالة، فلا وجه لتضييق ما لم يأت فيه ضيق، ولا ثبت فيه عن الرسول -عليه السلام- ما يدل على التنزيه عنه (1).

---

1 - الرسالة المفصلة: 292



## في تعليم الأولاد وما لهم فيه من الفضل والثواب

وقال أبو الحسن القابسي في الرسالة المفصلة:

«وأما سؤالك عما لمن علم القرآن لولده، فيكفيك منه قول الرسول – عليه السلام: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (1).

والذي يعلم القرآن لولده داخل في ذلك الفضل، فإن قلت: إنه لا يلي تعليمه بنفسه، ولكنه يستأجرله من يعلمه، فاعلم أنه هو الذي يعلم ولده إذا أنفق ما له عليه في تعليمه القرآن، فلعله أن يكون بما عمله من ذلك من السابقين بالخيرات بإذن الله تعالى، وتكون هذه الدرجة هي نية هذا الوالد في تعليم ولده القرآن.

ومازال المسلمون وهم يرغبون في تعليم أولادهم القرآن، وعلي ذلك يربونهم، وبه يبتدئونهم وهم أطفال لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا يعلمون إلا ما يعلمهم آباؤهم» (2).

ثم قال القابسي بعد ذكر جملة من الأحاديث النبوية والآثار في هذا المعنى:

وقد قال رجل لابن سحنون –رحمة الله عليه– ممن يطلب ابنه العلم عنده: إني أتولى العمل بنفسي ولا أشغله عما هو فيه؟

فقال له: «أعلمت أن أجرك في ذلك أعظم من الحج والرباط والجهاد؟» (3).

---

1 -أخرجه البخاري وغيره..

2 – الرسالة المفصلة ضمن كتاب التربية في الإسلام للدكتور أحمد فؤاد الأهواني: 288-289 .

3 – نفسه: 290 .



ثم قال أبو الحسن القابسي:

ولقد استغنى سلف المؤمنين أن يتكلفوا الاحتجاج في مثل هذا، واكتفوا بما جعل في قلوبهم من الرغبة في ذلك فعملوا به، وأبقوا ذلك سنة ينقُلها الخلَف عن السلف ما احتسَب في ذلك على أحد من الآباء ولا تبين على أحد من الآباء أنه ترك ذلك رغبة عنه ولا تهاوناً به، وليس هذا من صفة المسلمِ، ولو ظهر علي أحد أنه ترك أن يعلّم ولده القرآن تهاونا بذلك، لجهل وقُبح ونُقّص حالُه، ووُضع عن حال أهل القناعة والرضا، ولكن قد يُخلِّف الأب عن ذلك قلة ذات اليد، فيكون معذورا حسب ما يتبين من صحة عُذره.

وأما إن كان للولد مال: «فلا يدعه أبوه أو وصيُّه – إن كان قد مات أبوه– وليُدْخَلُ (الكتّاب)، ويؤاجر (المعلم) على تعليمه القرآن من ما له حسب ما يجب، فإن لم يكن لليتيم وصي نظر في أمره حاكم المسلمين، وسار في تعليمه سيرة أبيه أو وصيّه، وإن كان ببلد لا حاكم فيه نُظرَ له في مثل هذا، أو اجتمع صالحو ذلك البلد على النظر في مصالح أهله، فالنظر في هذا اليتيم من تلك المصالح، وإن لم يكن لليتيم مال، فأمه وأولياؤه، الأقرب فالأقرب به هم المرغَّبون في القيام به في تعليم القرآن، فإن تطوع غيرهم بحمل ذلك عنهم، فله أجره، وإن لم يكن لليتيم من أهله من يُعنى به في ذلك، فمن عُني به من المسلمين فله أجره، وإن احتَسب فيه المعلم فعمله لله عز وجل، وصبر على ذلك فأجرُه إن شاء الله يُضعَّف في ذلك، إذ هي صَنعتُه التي يقوم منها معاشه، فإذا آثره على نفسه استأهل –إن شاء الله– حظا وافرا من أجور المؤثرين على أنفسهم، ويكفيك من البيان عما وَصفتُ لك

1 – الرسالة المفصلة: 296-297 .



من ثواب من رغب في ذلك وسارع إليه، الذي تقدم عن الرسول عليه السلام، إذ قال للمرأة: نعم ولك أجر (1).

وأما تعليم الأنثى القرآن والعلم، فهو حسن ومن مصالحها... (2).

## أخذ الأجرة على تعليم القرآن
## والمشارطة عليه وما جاء فيه عن مالك

وقال أبو الحسن القابسي - رحمه الله- في حكم أخذ الأجره على ذلك وبيان جوازه وإباحته:

«ولقد ذكر الحارث بن مسكين في تاريخ سنة ثلاث وسبعين، أخبرنا ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: كل من أدركت من أهل العلم، لا يرى بأجر المعلمين -معلمي الكتاب- بأسا.

ولابن وهب أيضا في موطئه عن عبد الجبار بن عمر قال: كل من سألت بالمدينة لا يرى بتعليم المعلمين بالأجر بأسا.

وللحارث عن ابن وهب قال: وسئل مالك عن الرجل يجعل للرجل عشرين دينارا يعلم ابنه الكتاب والقرآن حتى يحذقه؟ فقال: لا بأس بذلك وإن لم يضرب أجلا. ثم قال: والقرآن أحق ما يعلّم، أو قال: عُلِّم.

وقال ابن وهب في موطئه: سمعت مالكا يقول: لا بأس بأخذ الأجر على تعليم القرآن والكتاب. قال: فقلت لمالك: أفرأيت إذا شرط مع ماله من

1 - يشير إلى ما تقدم عنده أن رسول الله - ﷺ- مر بامرأة في محَفّتِها، فقيل لها: هذا رسول الله فأخذت بعضد صبي معها وقالت:ألهذا حجٌ فقال رسول -ﷺ-: نعم، ولك أجر» رواه مسلم.

2- أنظر الرسالة المفصلة: 292-293 .



الأجر في ذلك شيئا مسمًّى كل فِطر أو أضحى؟ قال: لا بأس بذلك. قال قال أبو الحسن:

ولقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال:

«كنت جالسا عند مالك، فأقبل إليه (معلم الكُتاب) فقال له: يا أبا عبد الله إني رجل (مؤدب للصبيان) وإنه بلغني شيء فكرهت أن أشارط، وقد امتنع الناس علي، وليسوا يعطونني كما كانوا يُعطون، وقد أضررت بعيالي، وليس لي حيلة إلا التعليم. فقال له: مالك اذهب فشارط. فانصرف الرجل، فقال له بعض جلسائه: يا أبا عبد الله، تأمره أن يشارط على التعليم؟ فقال لهم مالك نَعَم، فمن يحفظ لنا صبياننا؟ ومن يؤدبُهم لنا؟ لولا المعلمون، أي شيء كنا نكون؟

ويشُدّ ما في هذه الحكاية عن مالك، ما ذكره ابن سحنون قال حدّثونا عن سفيان الثوري عن العلاء بن السائب قال قال ابن مسعود: ثلاث لابد للناس منهم: من شراء المصاحف وبيعها، ولولا ذلك لبطل كتاب الله، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم، ويأخذ على ذلك أجرا، ولولا ذلك كان الناس أميين. قال القابسي: يريد: لولا المصاحف لنُسي القرآن، وكل هذا يشدّ لك قولي فتكون هي الضرورة القائدة إلى السقوط في فقد القرآن من الصدور (1).

وقد احتج كثير من علمائنا في جواز أخذ الإجازة بشرط ، كانت أو بغير شرط أن الناس قد عملوا به وأجازوه، وذكروا ذلك عن عطاء بن أبي رباح وعن الحسن البصري وعن غير واحد من الأئمة والصالحين، فمن زعم أنه يكره الشرط فيه ويجيزه بغير شرط لم فرق بينهما؟ هل هو يكرهه إذا اشترط إلاّ من قبل أنه أخذ عوضا عن تعليمه القرآن؟ وإنما يجب أن يعلم لله. أفليس هكذا إذا أخذه بغير شرط؟ ومن علم أنه سيعطى، أليس هو كالشرط؟

---

1 - الرسالة المفصلة: 296-297

ثم ذكر حديث البخاري عن ابن عباس وفيه: إن أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وحديث عبادة بن الصامت في المنع من أخذ شيء على القرآن وبين وجوه تأويله والجواب عليه. (1).

ثم أفاض أبو الحسن القابسي في بيان أن الإجارة إنما هي في مقابل التفرغ والانقطاع إلى التعليم فقال:

«فإنما الإجارة على تعليمه إجارةُ البدن المشتغل بذلك، وليس ثمنا للقرآن، كما أن بيع المصاحف إنما هو بيع للرقوق والخطّ والصنعة، وليس بيعا لما فيها، لأن الذي فيها موجود غير مطلوب إلى أحد، ولا محجوب عن أحد، ولا ممنوع من أحد، ولا مخصوص به بائع المصحف دون مشتريه، وكذلك تعليم ما في المصاحف إنما هو ثمن وإجارة للمعلم في اشتغاله بمن علّمه، وانفراده بمن علّمه، وشَغله نفسه بمن قعد لتعليمه.

وقد علّم الكتاب (2) والقرآن رجال من أئمة هذا الدين، لم يروا به لأنفسهم بأسا، ولم يُر لهم به بأس. قال:

قال ابن وهب: قال مالك: لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن، وإن اشترط شيئا كان له حلالاً جائزاً، ولا بأس بالاشتراك في ذلك، وحق الختمة له واجب، اشترطها أو لم يشترطها، وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا» ( 3).

---

1 - الرسالة المتصلة: 297-301، وأهم ما قيل في توجيه المنع والوعيد الوارد في حديث عبادة أن ذلك كان في مبتدإ الإسلام، وحين كان القرآن قليلا في صدور الرجال غير فاش ولا مستفيض في الناس... (الرسالة المفصلة للقابسي: 301-302).

2 - المقصود بالكتاب: الكتابة والخط.

3 - الرسالة المفصلة: 302 .



## ومن المطالب بكراء الكتاب؟

قال أبو الحسن القابسي في رسالته وهو يحدد المهام المتصلة بالمهنة:

«،كذلك كراء الحانوت لمجلس التعليم على المعلم، وقال سحنون:

إذا استؤجر المعلم على صبيان معلومين سنة معلومة، فعلى أولياء الصبيان كراء موضع المعلم. قال أبو الحسن القابسي: وهذا صواب أيضا، لأنهم هم أتوا بالمعلم إليهم، وأقعدوه لصبيانهم» (1). قال أبو الحسن:

واتخاذ المكان عليه بيتا أو حانوتا، إلا أن يدعى إلى صبيان بأعيانهم، فقد تقدم قول سحنون في كراء ذلك أنه على الصبيان.

فإذ ا كان بيت المعلم لهم، إذ هم بأعيانهم، فبناؤه عليهم، أو يتخذون مكانا غيره وليس على المعلم من ذلك شيء، إنما على المعلم إذا كان يعلم لعامة الناس (2).

## وجوب رفقه بالصبيان وحسن سياسته في التأديب

ومن أهم ما عالجه القابسي في رسالته وجوب رفق المعلم بالصبيان فقال:

«ومن حسن رعايته لهم أن يكون بهم رفيقا، فإنه قد جاء عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ- قال: اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فيها فارفق به. وقد قال رسول - ﷺ- إن الله يحب الرفق في الأمر كله، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

1 - الرسالة المفصلة للقابسي: 323-324.

2 -نفسه: 324 .

قال أبو الحسن: فقولك: هل يستحب للمعلم التشديد على الصبيان، أو ترى أن يرفُق بهم ولا يكون عبوسا؟ لأن الأطفال -كما علمت- تدخل في هذه الوصية المتقدمة، ولكن إذا أحسن المعلم القيام وعني بالرعاية، وضع الأمور مواضعها، لأنه هو المأخوذ بأدبهم، والناظر في زجرهم عما لا يصلح لهم، والقائم بإكراههم على أمثل، منافعهم، فهو يسوسهم في كل ذلك بما ينفعهم، ولا يخرجهم ذلك من حسن رفقه بهم، ولا من رحمته إياهم، فإنما هو لهم عوض من آباؤهم، فكونه عبوسا أبدا من الفظاظة المقوتة. ويستأنس الصبيان بهذا فيجرؤون عليه، ولكنه إذا استعملها عند استئهالهم الأدب، صارت دلالة على وقوع الأدب بهم فلم يأنسوا إليها، فيكون فيها إذا استعملت أدب لهم دون الضرب، وفي بعض الأحايين يوقع الضرب معها بقدر الإستئهال الواجب في ذلك الجرم، ولكن ينبغي أن لا يتبسّط إليه تبسّط الإستئناس، في غير تقبض موحِش في كل الأحايين، ولا يضاحك أحدا منهم على حال، ولا يبتسم في وجهه، وإن أرضاه وأرجاه على ما يحب، ولكنه لا يغضب عليه فيوحشه إذا كان محسنا».

## ومما قال عن الضرب للتأديب وما يؤدب عليه

وإذا استأهل الضرب فاعلم أن الضرب من واحدة إلى ثلاث، فليستعمل اجتهاده لئلا يزيد رتبة فوق استئهالها، وهذا هو أدبه إذا فرّط فتثاقل عن الإقبال عن المعلم فتباطأ في حفظه، أو أكثر الخطأ في حزبه، أو في كتابة لوحه، من نقص حروفه، وسوء تهجّيه، وقُبح شكله، وغلطه في نقطه، فنبه مرة بعد مرة، فأكثر التغافل ولم يغن فيه العذل والتقريع بالكلام الذي فيه التوعّد من غير شتم ولا سب لعرض، كقول من لا يعرف لأطفال

المؤمنين حقا: يا مِسْخ، يا قِرْد، فلا يفعل هذا ولا ما كان مثله في القبح، فإن قلت له واحدة فلتستغفر الله منها، ولتنته عن معاودتها، وإنما يُجْري الألفاظ القبيحة من لسان التقيّ تمكُّن الغضبِ من نفسه، وليس هذا مكان الغضب.. قال أبو الحسن:

كذا ينبغي لمعلم الأطفال أن يراعي منهم حتى يُخلص أدبهم لمنافعهم، وليس لمعلمهم في ذلك شفاء من غضبه، ولا شيء يُريح قلبه من غيظه، فإن ذلك إن أصابه، فإنما ضرب أولاد المسلمين لراحة نفسه، وهذا ليس من العدل.

فإن اكتسب الصبي جُرما من أذى ولعب وهروب من الكتاب وإدمان البطالة، فينبغي للمعلم أن يستشير أباه أو وصيه إن كان يتيما، ويعلمه إذا كان يستأهل من الأدب فوق الثلاث. فتكون الزيادة على ما يوجبه التقصير في التعليم عن إذن من القائم بأمر هذا الصبي، ثم يزاد على الثلاث ما بينه وبين العشر، إذا كان الصبي يطيق ذلك.

وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشنع أو الوهن المضر، وربما كان من صبيان المعلم من يناهز الاحتلام، ويكون سيء الرعية، غليظ الخلق، لا يريعه وقوع عشر ضربات عليه، ويرى للزيادة عليه مكانا، وفيه محتمل مأمون، فلا بأس -إن شاء الله- من الزيادة على العشر ضربات، والله يعلم المفسد من الصلح، وإنما هي أعراض المسلمين وأبشارُهم، فلا يتهاون بنيلها بغير الحق الواجب» (1).

---

1 - الرسالة المفصلة : 315/313.



## رأي أبي الحسن القابسي في قراءة المتعلمين جماعة (قراءة الأسولر)

قال أبو الحسن في رسالته:

«وسألت هل للصبيان الصغار أو الكبار البالغين أن يقرأوا في سورة واحدة وهم جماعة على وجه التعليم؟ فإن كنت تريد يفعلون ذلك عند المعلم، فينبغي على المعلم النظر في ما هو أصلح لتعلُّمهم فيأمرهم به، ويأخذ عليهم فيه، لأن اجتماعهم في القراءة بحضرته يخفي عنه قوي الحفظ من الضعيف، ولكن إن كان على الصبيان من ذلك خفّة فيخبرهم أنه سيُعرّض كل واحد منهم في حزبه، فيؤدبه على ما كان من تقصير بتهديد يتهدّدهم. ولا يوقع الضرب لأدب، إلا عن ذنب يتبيَّن حسب ما تقدم قبل هذا» (1).

## ومن طريف موضوعاته:

## صلاة صبيان الكتاب بإمام منهم

قال الشيخ أبو الحسن القابسي في صلاة الصبيان بإمام منهم:

«قد سئل مالك عن صبيان الكُتاب يصلي بهم صبي لم يحتلم؟

قال: ما زال ذلك من شأن الصبيان، وخفّفه. قال أبو الحسن:

---

1 - الرسالة المفصلة : 326/325.



يريد الذين يصلون معه لم يحتلموا، ولو كان في صبيان الكتاب محتلم، فإن صلح للإمامة قُدِّم، وإن لم يصلُح للإمامة فلا يصلي خلف من لم يَحتلم، ولا يقطع عن صبيان الكتاب عادتهم، لكي يتدرَّبوا على معرفة صلاة الجماعة، وليعرفوا فضلها، حتى يكبروا على الرغبة فيها، والله خير حفظا، وهو أرحم الراحمين» (1).

وآخر مباحث رسالة القابسي -رحمه الله- الجواب عن سؤال السائل عن قول الرسول - ﷺ- نزل القرآن على سبعة أحرف فذكر الحديث عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه ثم قال:

«فبين - ﷺ- بقوله: فاقرأوا ما تيسر منه أنها سبع قراءات في كل واحدة منها ألفاظ مخالفة لما في الأخرى، فليقرأ كل امرئ بما تيسر منه من هذه السبعة.. فلينشرح صدرك إلى ما قرأ به أئمة المسلمين المشهورون الذين سلم لهم أهل الأمصار الجامعة ما تقلدوه، ووثقوا بهم فيها فيما رووه، فما منهم إلا من قراءته حسنة مسلم بها ويحتج بها، وتكُفُّ عن غيرهم، فإنه ليس لما جاؤوا به قوة كقوتهم، وهؤلاء الأئمة هم:

نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم إمام القراء بالمدينة، وعبد الله بن كثير إمام القراء بمكة، وعبد الله بن عامر إمام القراء بالشام، وأبو عمرو بن العلاء إمام القراء بالبصرة، وثلاثة منهم بالكوفة، وهم عاصم بن أبي النجود، وحمزة بن حبيب الزيات، وعلي بن حمزة الكسائي، وليس هو حمزة المقرئ إلى أن قال:

1 - الرسالة المفصلة : 326.



وقد قدمت لك ما هي كتاب سحنون من استحسان قراءة نافع والتوسعة في غيرها ما لم يكن مستبشعا فافهم، واستمسك بهدي المتقين، عصمنا الله وإياك من الفتنة في الدين، وأعاذنا من شر الفاتنين والمفترين..» (1).

### 5- كتاب الأحكام لأبي عمران الفاسي

وقد تناول أبو عمران الفاسي قضية تنصيب المعلمين، ومن يقوم بذلك؟ وماذا على الممتنع من الدخول مع الجماعة في الالتزام بالشرط؟ فقال في كتاب الأحكام:

وسئلت عن المعلم إذا شارطه وجوه الناس أو القاضي ليعلم أولاهم الكتاب بشيء معلوم في بلد ليس فيه سلطان، وفي بلد السائبة، فلم يتطوع من كان في ثغر من الثغور، ممن يرى أنه مرابط، من ذات نفسه لتعليم ولده حتى أخذه الناس كرها، وهل يجبر على ذلك؟ وهل يسوغ للمعلم أخذ أجر من أهل البلد ممن امتنع من إدخال ولده (الحِضار)؟ وهل تجوز شهادة من امتنع من تعليم ولده من أهل البلد، وأهل الرباط؟

فأجاب أبو عمران:

إن ما ذكرت من أمر (الحضار) إذا اتفق عليه أهل الموضع، وشارطوا معلما، وتعاقدوا معه ، يلزم من كان في الموضع إدخال ولده (الحضار)، فمن امتنع من ذلك فليكلم، وليُهدد بالضرب إن كان في موضع فيه سلطان، فإن أبى أن يدخله بعد ذلك، فليجبر، ويؤخذ منه ما ينوبه من جملة الشرط جبرا.

---

1 - نفسه: 348-349 .



فإن كانت عندهم القدرة عليه، فليُطرد من ذلك الموضع، لأنه هدم ركنا من أركان الدين:

فمن امتنع من إدخال ولده (المكتب) والتعليم، فقد عصى الله ورسوله لأن فرائض الله تعالى لازمة للمسلمين كلهم.

وأما ما ذكرت من أمر المرابط الذي سكن الرباط، ويمتنع من إدخال ولده (المكتب) فليس بمرابط، إنما هو استفزه الشيطان وأغواه.

وينبغي لأهل الموضع أن يكلموه، فإن أبى وتمادى على ذلك يطرد من الرباط، ويؤدب أدبا موجعا، وتسقط بذلك شهادته» (1).

**6- كتاب التعاليق لأبي عمران موسى بن أبي حاج الفاسي نزيل القيران (ت 430هـ).**

و يظهر أنه تعاليق على مسائل فقهية من مدونة الإمام مالك بن أنس، وليس في خصوص مسائل التعليم، غير أن النقول الحافلة عنه في موضوعات التعليم وإدلاءه فيه بآراء قيمة في التشريع المدرسي إذا صح التعبير جعلنا نعتبره ضمن هذه السلسلة من المؤلفات في التربية في المدرسة المغربية القيروانية.

وهذا الكتاب من مصادر الإمام الشوشاوي في فوائده حيث نقل عنه في أكثر من موضع.

---

1 - كتاب الأحكام لأبي عمران الفاسي: مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم: 547 صفحة: 45. وانظر أحكام وآداب المعلمين والمتعلمين للأستاذ حسن حافظي علوي: دعوة الحق: العدد: 367 ربيع الأول وربيع الثاني: 1423 هـ ماي - يونيو: 2002 م ص 40-41 .

ومن ذلك في جوابه عن هذا السؤال: وأما من يجب عليه شرط المعلم؟ قال: فيجب على كل من سكن ذلك الموضع، كان أصيلا أو طارئا، قاله أبو عمران الفاسي في التعاليق وأبو عمران الرجراجي» (1).

وقال في نفس السياق:

وأما من الذي يعقد (الإحضار) (2) من أهل الموضع؟

فقال: أبو عمران الفاسي في التعليق: الذي يعقد الإحضارهو السلطان أو القاضي أو جماعة من الناس، فإذا عقدوه فالشرط لازم لجميع أهل الموضع، وينكل بمن امتنع من تسليم ولده إلى المكتب، ويُجبَر على ما ينويه من أجرة المعلم، ومن أبى طُرد ونُفي إن قُدر عليه، لهدمه ركنا من أركان الدين، ولا تجوز شهادته، ويؤدب أدبا وجيعا » (3).

أقول: وهذا من أبي عمران فقه جديد، ونظر منه إلى المقاصد الإسلامية الكبرى، لا إلى المقصد الخاص بتعليم طفل واحد، هل يُجبر ولي أمره عليه كما كان السؤال مطروحا على فقهاء القيروان، فقد سئل سحنون عن رجل امتنع أن يجعل ولده في الكتاب -كما تقدم- فهل للإمام أن يجبره؟ فأجاب بجواب طويل يفيد أنه لا يجبر، وخاصة إذا كان فقير الحال، قال ولو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونا بذلك لجهل قبّح ونقص حاله ووضع عن حال أهل القناعة والرضا (4).

وبنحو ذلك أجاب ابن أبي زيد أيضا عن سؤال: هل يكره الرجل على إحضار ولده أم لا؟ فقال أبو محمد: لا يُكره على ذلك» (5).

---

1 – الفوائد الجميلة: 291 .

2 – كذا، وفي بعض النقول عنه (الحضار) وسيأتي أنه مرادف للكتاب، وقد يكون هنا بمعنى: الشرط أي: العقد المبرم مع المعلم.

3 – الفوائد الجميلة: 291-292 .

4 – وانظر ما تقدم من رسالته ورسالة القابسي.

5 – نقله الشوشاوي في الفوائد: 292 .



إلا أن الفرق فيما يبدو كبير بين من ترك وبين من امتنع، كما أن أبا عمران الفاسي ناقش موضوع إقامة الحضار من الأساس، ولذلك رأى أن إقامته لازمة ورأى بالتالي أن يلزم الشرط جميع أهل الموضع بقطع النظر عن كونهم آباء صبيان في ذلك الحضار أم ليسوا كذلك.

وقد تقدم لنا الحديث عن أثر مدرسة أبي عمران في قيام دولة المرابطين انطلاقا من المدرسة التي أنشأها تلامذته وسموها «دار المرابطين»



# الفصل الثالث

## مؤلفات أندلسية

## في آداب الكتاب وطرق التعليم

**7- أبو محمد الغازي بن قيس القرطبي أول من أدخل قراءة نافع وموطأ مالك إلى المغرب (ت199 ).**

ولا نعلم للغازي تأليفا في الموضوع غير أن النقل عنه يدل على وجود كلام له في بعض قضاياه، فقد تقدم قول الشيخ أبي العباس المغراوي عنه: إنه كان معلما بمدينة الهجرة، فحد في الحَذَقة: القرآن كله خمسة دنانير ذهبية» (1).

كما تقدم أيضا ما نقله ابن بشكوال في الصلة في ترجمة أصبغ بن خليل، وفيها قوله: «كان غازي بن قيس ههنا مؤدبا، ثم مضى إلى المشرق فسمع من مالك، وكان يحفظ الموطأ ظاهرا قال خالد بن سعد:

وسمعت ابن لبابة غير مرة يذكر أن المعلمين اجتمعوا إلى غازي بن قيس فقالوا: يا سيدنا، أفتنا في الحذقة؟ فقال لهم: الحذقة واجبة» (2).

---

1 - جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي: 67 .

2 - الصلة: 118/2 ترجمة 250 .



### 8- عبد الملك بن حبيب السلمي (ت 230 هـ) صاحب كتاب الواضحة في الفقه

وهذا إمام آخر من أئمة مالكية الأندلس ممن لهم إسهام واسع في تناول قضايا التعليم الأولي، ولا يسمي الناقلون لآرائه كتابا معينا، ولكنهم يذكرون فتاوى حافلة في عدد من الموضوعات ذات الصلة به.

فمن ذلك في رسالة القابسي قوله ناقلا عنه في موضوع الحذقة:

«وقال ابن حبيب: الحذقة على الحفظ لازمة لأبيه، إلا أن يكون أبوه اشترط على المعلم أن لا حذقة عليه سوى إخراجه (1)، فيسقطها الشرط عنه، فأما إذا سكتا عنها، فهي تجب كما فسرت لك، اشترطها المعلم أو لم يشترطها، وإنما يختلف الحكم في اشتراطها أو غير اشتراطها إذا أراد الرجل أن يخرج ولده قبل الحذقة، فإنه إذا اشترطها المعلم مثل أن يقول: أعلمه على درهم في كل شهر، أو في كل شهرين، وعلى أن لي في كل حذقة كذا وكذا، كان للأب أن يخرجه إن شاء، وكان عليه من الحذقة على قدر ما قرأ منها، ولو لم يقرأ منها إلا الثلث أو الربع كان عليه بحساب ذلك، لاشتراطه فيها ما سمى مع خَراجه، ولو كان شارطه على أن يُحدقه وله كذا وكذا لم يكن لأبي الغلام أن يخرجه حتى يتم حذقته» (2).

ونقل القابسي أيضا عن ابن حبيب قوله:

«ونحن نوجب الحذقة للمعلم، ونرى أن يحكم له بها في النظر الظاهر على قدر الغلام، وقدر درايته، وقدر حفظه في حذقة الظاهر، وقدر معرفته بالهجاء والخط في حذقة النظر، وليس لها قدر معلوم، وليس كل الناس فيها

---

1 - الإخراج: يريد به: ختم القرآن، وتسمى اليوم باسم «التخريجة»

2 - الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين للقابسي: 332-333 .



سواء، وليس ذو الفقر من الآباء كغيره من أهل الغنى. وإنما رأينا أن يحكم بها لأنها مكارمة جرى الناس عليها فيما بينهم وبين معلمي صبيانهم، بمنزلة هدية العُرس، ونحن نرى أن يحكم بها على قدر الرجل وقدر المرأة، وليس لها قدر معلوم، وكذلك الحذقة.

وقد كاشفت عن ذلك أصبغ بن الفرج وغيره من أهل العلم والفقه فأوضحوا لي من ذلك ما أوضحت لك، وأسقطوا ذلك عن المعلم في حذقة الظاهر إذا لم يستظهر الغلام فيها شيئا، أو يستظهر فيها اليسير، وفاته الكثير. فأما أن يخطئ في السورة الحرف والأحرف اليسيرة وهو مستمر في القراءة إلا أنه يخطئ ويعثر فيلقن، فهو عندي حفظ يجب للمعلم به أن يكافأ، وليس الذي يخطئ كالذي لا يخطئ في قدر ما يعطي» (1).

## 9- كتاب المُعلمين لابن عفيف القرطبي

صاحبه هو أبو عمر أحمد بن عفيف القرطبي الفقيه (ت 420 هـ).

قال عياض: ألف كتاب المعلمين (2).

وقال ابن بشكوال: بدأ بالسماع في آخر عام تسعة وخمسين وثلاثمائة، واستوسع في الرواية والجمع والتقييد والإكثار من طلب العلم، ثم ذكر جماعة من شيوخه منهم أبو الحسن الأنطاكي - الآنف الذكر في أصحاب المحاضر - وقال: كان يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني بقرطبة ويعلم القرآن فيه.. ثم قال بعد ذلك له كُتاب :

وجمع أيضا كتابا حسنا في آداب المعلمين خمسة أجزاء (3).

ولم أقف على نقل عن هذا الكتاب.

1 - نقله في الرسالة المفصلة: 335-336 .
2 - ترتيب المدارك: 8/8-9
3 - الصلة: 42/1-43 ترجمة 75.



## 10- كتاب آداب المعلمين للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري (ت 543 هـ)

لا أعلم له وجودا اليوم، ولكن النقل عنه في المصادر يدل على تداوله.

فقد نقل عنه الشوشاوي فقال: وقال ابن العربي في كتاب آداب المعلمين: لا يجوز للمعلم المسلم المتشرع بشرائع الإسلام أن يلقي إلى كافر صغير أو كبير آية من كتاب الله تلقينا أو كتابة، وأشد من ذلك وأولى بالمنع أن يجلسه في المكتب مع أولاد المسلمين يسوي بينهم في الإلقاء والملاحظة والرعاية والمحافظة ، فمن فعل ذلك فهو فاسق بفعله ذلك، مردود الشهادة، ممنوع من الإمامة، لا يبتدأ بالسلام كأهل الذمة، فإنه تشبه بهم، فصار شبيها بهم وملحقا بهم لمحبته فيهم، ومن أحب قوما فهو منهم، وحشر يوم القيامة معهم، وهكذا جاء في الحديث، ودليل محبته فيهم خدمتهم على دناءتهم، بأعلى الأشياء وأعزها طمعا في دنياهم القذرة، وقد منع العلماء المسلم أن يؤاجر نفسه منهم للخدمة، ففي هذه أولى (1).

ونقل أبو العباس المغراوي هذا النقل أيضا باختصار (2).

## 11- كتاب ترتيب الرحلة للترغيب في الملة للقاضي أبي بكر بن العربي (3) أيضا وتعليق ابن خلدون عليه

هذا الكتاب للقاضي أبي بكر بن العربي دوّن فيه وقائع رحلته العلمية مع والده، حيث دخل مصر والشام والحجاز والعراق وأخذ عن علمائها

1 - الفوائد الجميلة: 305-306.

2 - جامع جوامع الإختصار والتبيان: 99-100 .

3 - لخصه مؤلفه في أول كتابه قانون التأويل ، وهو مطبوع، ونشر الموجود من الأصل الأستاذ سعيد أعراب بعنوان مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، وذلك في دراسته القيمة: «مع القاضي أبي بكر بن العربي» ابتداء من الصفحة 185 إلى الصفحة 227 ، نشر دار الغرب الإسلامي – بيروت– لبنان.

وانتفع بعدد كبير ممن لقي كأبي حامد الغزالي وأبي بكر الطرطوشي وغيرهما.

وعلى الرغم من كون الكتاب ليس مؤلفا في التربية، فإنه قد تعرض فيه لقضية التعليم، وكيف ينبغي تقديم مواده وترتيب أولوياته، فحمل فيه حملة شعواء على طريقه أهل المغرب في تقديم حفظ القرآن الكريم على غيره من مبادئ العلوم، ومما قال في ذلك فيما نقله العلامة ابن خلدون في مقدمته التي قدم بها لتاريخه المشهور، قال ابن خلدون:

«ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم، وأعاد في ذلك وأبدأ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس. قال: لأن الشعر ديوان العرب، وتدعو إلى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضورة فساد اللغة، ثم تنتقل منه إلى الحساب فتتمرَّنُ فيه حتى ترى القوانين، ثم تنتقل إلى درس القرآن، فإنه يتيسر عليك بهذه المقدمة، ثم قال:

ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره، يقرأ ما لا يفهم، ويَنصب في أمرٍ غيرهُ أهمّ، ثم قال مرتبا لباقي العلوم:

ينظر في أصول الدين (1)، ثم أصول الفقه، ثم الجدل (2)، ثم الحديث وعلومه، ونهى مع ذلك أن يخلط في التعليم علمان، إلا أن يكون المتعلم قابلا لذلك بجودة الفهم والنشاط» (3).

---

1 – يعني العقائد.

2 – يعني قواعد المنطق.

3 – نقله ابن خلدون في مقدمته: 539 وستأتي مناقشته له.



## 12- مناقشة ابن خلدون لنظرية ابن العربي في مقدمته:

وقد ناقشه ابن خلدون فقال « هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر – رحمه الله– وهو لعمري مذهب حسن، إلا أن العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال، ووجه ما اختصت به العوائد من تقديم دراسة القرآن، إيثارُ التبرك والثواب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم، فيفوته القرآن، لأنه ما دام في الحجر منقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ وانحلَّ من ربقة القهر، فربما عصفت به رياح الشبيبة فألقته بساحل البطالة، فيغتنمون في زمان الحجر وربقة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خِلواً منه، ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم وقبوله التعليم، لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب والمشرق، ولكن الله يحكم ما يشاء، لا معقب لحكمه» (1).

ومن نظرنا في مناقشة ابن خلدون لنظرية الفقيه ابن العربي يظهر لنا أن ابن خلدون كان أكثر واقعية، وأعلم بالأحوال وتحكم العادات في مجاريها، وذلك في قوله: «وهو لعمري مذهب حسن، إلاّ أن العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال» .

فابن خلدون ينطلق من مبدإ اجتماعي لا يكاد يدرك أثره في السلوك الجماعي للبشر إلا من كان مثله خبرة– ورسوخاً في الفكر الحضاري، وعمقا في النظرة إلى حركة التاريخ وأحوال العمران وملاحظة العوامل الاجتماعية القسرية التي تتحكم في السير العام للمجموعات البشرية وترسم المسار لحركتها، وتملي عليها توجهّاتها العملية في حياتها ونشاطها العام.

1 -مقدمة ابن خلدون: الفصل الواحد والثلاثون: 539-540 .



ولهذا نجد أن ابن خلدون سيراً منه مع ما تمثله من أثر هذه العوامل سرعان ما يغير موقفه من ابن العربي، فيكاد ينقض ما كان قد نوه به من تلك النظرية، فلا يلبث أن يقول مقرراً:

«إن تلقين القرآن في هذه السن المواتية أولى من أن تذهب خلواً منه بحصول القواطع والآفات» (1).

وهو بهذا يبدو أكثر انسجاما مع ما وصفه من مذاهب المغاربة عموما، وأحرص على التزام الواقعية حتى لا يخاطر بتفويت الفرصة تعلقا فقط باستحسان مذهب نظري من شأن العوائد المستحكمة أنها لا تساعد عليه، ولا سيما وهو يقرر أن القرآن الكريم هو عند المغاربة أصل التعليم.

## القرآن الكريم عند المغاربة باعتباره أصل التعليم

وهذه العبارة، وهي كون القرآن أصل التعليم هي من كلام العلامة ابن خلدون في هذا السياق، ومن المعلوم أن الأصل في تعريف أهل الأصول هو: ما يبنى عليه غيره (2).

ومعناه في مراد ابن خلدون أن تعليم القرآن عند أهل المغرب هو الأصل والأساس الذي ينبني عليه ما يأخذه المتعلم من المبادئ الأولى، ثم ما يأخذ فيه من المعارف والعلوم بعد ذلك.

ونبتدئ مع ابن خلون من النظر في البداية التي استلهم منها هذا الحكم باعتباره دارساً حضارياً يقظاً يستقرئ من وقائع التاريخ وحركته

1 - نفسه: 540 .

2 - أنظر كتاب إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للإمام محمد بن علي الشوكاني: ص 5 .



أهم خصائص الشعوب وحوافز النشاط الإنساني وعوامل الاستقرار على نمط معين، والأخذ فيه باختيار خاص.

فها هو يتحدث عن خصائص ساكنة المغرب ناظرا إليها بعين الدارس الحصيف فيقول في تاريخه:

«وأما إقامتُهم لمراسم الشريعة، وأخذهم بأحكام الملة، ونصرهم لدين الله، فقد نُقِل عنهم من اتخاذ المعلمين لكتاب الله لصبيانهم، والاستفتاء في فروض أعيانهم، واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارُس القرآن بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم، وصاغيتهم (1) إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة في آثارهم.. ما يدل على رسوخ إيمانهم، وصحة معتقداتهم، ومتين ديانتهم، التي كانت مِلاكاً لِعزِّهم، ومَقاداً إلى سلطانهم ومُلكهم» (2).

فقوله أولا: «من اتخاذ المعلمين لكتاب الله لصبيانهم» يشير به إلى مرحلة التعليم الأولي في الكتاب، أما قوله ثانيا: «وتدارس القرآن بين أحيائهم» فيشير به إلى مرحلة المحضرة، وهي المرحلة الموالية كما سيأتي، أو يشير إلى قراءة الحزب الراتب كما درج عليه أهل المغرب رسميا من بداية القرن السادس على عهد حكم الموحدين كما سنقف عليه.

ويربط ابن خلدون في مقدمته لتاريخه المعروفة بمقدمة ابن خلدون بين هذه السِّمات والخصائص التي نبه عليها في شأن عناية المغاربة بتعليم كتاب الله وتدارسه، وبين إعطائه الأولوية في الاعتبار واتخاذه أصلا للتعليم بوجه عام فيقول:

---

1 - صاغيتهم: ميلهم وركونهم.

2 - تاريخ ابن خلدون - العبر 105/6 .

«أعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض فنون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من المَلَكات» (1).

وعلى الرغم مما قد يتبادر إلى الفهم من عمومية كلام ابن خلدون في قوله: « أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم» وقوله «وصار القرآن أصل التعليم» فإنه إنما كان يمهد لهذا الفصل بفرش عام، وكأنه يرسم إطاراً ليضع أهل المغرب في قطب المحور من هذا الإطار، وذلك حين يقول مسترسلا:

«فأما أهل المغرب، فمذهبهم في الولدان الاقتصارُ على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه، أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة. قال:

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قُرى البربر أُممِ أهل المغرب في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حَدَّ البلوغ إلى الشبيبة، وكذا مذهبهم في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره. قال:

فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم» (2).

هكذا انتهى بنا ابن خلدون إلى هذه النتيجة، وهي كون أهل المغرب في الجملة أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم».

---

1 – مقدمة ابن خلدون : 538 .

2 – نفسه: 538 .



وهي نتيجة ما تزال شواهدها بحمد الله قائمة إلى اليوم، وقد قدمنا في صدر الفصل الأول من الباب الثاني الحديث عن تفوق المغاربة في حفظ القرآن ودواعيه، وذكرنا هنالك شهادة عدد من أهل المشرق لهم بالامتياز بهذه الخصيصة حتى قيل عن القرآن إنه نزل فعمل به العرب، وكتبه الأتراك، وفسرته الفرس، وقرأه المصريون، وحفظه المغاربة» وقال بعض الدارسين من أهل المشرق عن علم القراءات: «إن علم القراءات هو الميدان الوحيد الذي سيطر عليه المغاربة سيطرة تامة» (1).

### 13- آراء أخرى لأبي بكر بن العربي وقراءات مختلفة لموقف المغاربة من تقديم القرآن على غيره في التعليم.

ويبدو أن الفقيه القاضي أبا بكر بن العربي كان على وعي تام بأبعاد الطريقتين المشرقية والمغربية، ولذلك نشم من سياق كلامه انتصارا واضحا للمشرقية بحكم طول المعايشة لأهل المشرق، لكننا لا نعدم عنده نوعا من التنويه بتميز المغاربة في الحفظ والحذق في الروايات بصورة لا مجال فيها لمقارنة بين أهل المشرق وبينهم بحال من الأحوال وها هو في كتابه «أحكام القرآن» يجري هذه المقارنة بينهم فيقول وهو يتحدث عن أهل المشرق في ترتيب الأولويات:

«ومنهم -وهم الأكثر- من يؤخر حفظ القرآن، ويتعلم الفقه والحديث وما شاء الله، فربما كان إماما وهو لا يحفظه، وما رأيت بعيني إماما يحفظ القرآن، ولا رأيت فقيها يحفظه إلا اثنين، ذلك لتعلموا أن المقصود حدوده

---

1 - الدكتور عبد العزيز الأهواني. أنظر كتابنا: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 118/1 .

لا حروفه، وعلقت القلوب اليوم بالحروف، وضيعوا الحدود، خلافا لأمر رسول الله -ﷺ- (1).

فانظر إلى قوله عن أهل المشرق أئمتهم وفقهائهم، وقارن بينه وبين قوله: « وعلقت القلوب اليوم بالحروف» فإنه ولا شك يعني بها قلوب أهل المغرب في تعلقها بحروف القرآن ورواياته وسائر علومه، ثم انظر من خلال ذلك أيهما أهدى سبيلا في خدمة القرآن الكريم؟ ولم لا نقرأ القضية على وجهها الصحيح، قراءة لا مكان فيها للحط على أصحاب هذه الهمم العالية التي عملت في حدود ما أتيح لها، ولكنها برزت في هذا العمل فحققت فيه أعلى المنازل والمقامات.

وتلك هي الحال التي درج عليها أهل المغرب، وقد لاحظها ابن العربي -رحمه الله- أيضا في كتاب «العواصم من القواصم» حيث قال في سياق الحط على منهجية المغاربة في ترتيب أولويات التعليم:

«وحدثت قاصمة أخرى في تعلم العلم، فصار الصبي عندهم إذا عقل، فإن سلكوا به أمثل طريقة له، علموه كتاب الله، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب ، فإذا نهض فيه حفّظوه الموطأ، فإذا لقنه نقلوه إلى المدونة، ثم ينقلونه إلى وثائق ابن العطار، ثم يختمون له بأحكام ابن سهل» (2).

هذه قاصمة من القواصم التي تفتقر في رأي ابن العربي إلى عاصمة تعصم منها. فلنقف معه مع العاصمة التي يقترحها في سلم التدرج الذي يقترحه لتعليم الأطفال في كتابه.

1 - أحكام القرآن: 1984-1985 .

2 - العواصم من القواصم: 367 .



## 14- سلّم التدرج في تعليم الطفل كما يقترحه ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم»

قال ابن العربي -رحمه الله-: والذي يجب على الولي في الصبي المسلم، كان أبا أو وصيا أو حاضنا أو الإمام، إذا عقل أن يلقنه الإيمان، ويعلمه الكتابة، والحساب، ويحفظه أشعار العرب العاربة، ويعرفه العوامل في الإعراب، وشيئا من التصريف، ثم يحفّظه إذا استقل واشتد في العشر الثاني كتاب الله، وهو أمرٌ وسط بيننا وبين أهل المشرق.

ثم يحفظه أصول سنن الرسول - ﷺ- وهي نحو من ألفي حديث في الأبواب تضمنها البخاري ومسلم، هي عماد الدين، ويأخذ هو بعد ذلك نفسه بعلوم القرآن ومعاني كلماته، ولا يشتغل برواية الحديث من كل كتاب، فالباطل فيه كثير.

ولا يفرّط في علوم الفرائض، فإنها أصل الدين، وهو أول ما يذهب من المسلمين، فبالسنة يفرضها، وبالحساب يقسمها، ولا يخلي نفسه عن الأنساب، ولا عن شيء من أصول الطب، وليتخذ عبارة الرؤيا أصلا.

ولا يقل: متى أُحصّل هذا؟ فإنه ليس المطلوب منها الغاية، فإنها لا يبلغها إلا الأفراد، وإنما ينبغي لكل عاقل أن يتخصص بجزء جزء منها، ولا يفرد نفسه ببعض العلوم فيكون إنساناً في الذي يَعْلَم، بهيمة فيما لا يعلم، ولا سيما من أقام عمره حسابيا أو نحويا، فقد هلك، فإنه بمنزلة من أراد صنعة شيء فحشد الآلة عمره، ثم مات قبل عمل صنعته، ولا يُصنْغِ



إلى من يقـول له: تكون مقـصـرا في كل علم إذا عملت هذا والأولى بك أن تقف نفسك على علم واحـد، فـإنه قـول جاهل بالعلم، وإذا أخـذ المرء نفسـه بهـذا القانون الذي رسمناه، سيعتمد على ما يراه أوكد، ويجعل الباقي تبعا.

وأؤنبكم بأني ما رأيت بعيني محيطاً بهذه العلوم التي ذكرت لكم، ولا مشاركا فيها، إلا واحدا فبان أن الإحاطة غير ممكنة، والمشاركة ممكنة، والإحاطة بعلم واحد غير ممكنة» (1).

15- كتاب الزلفى لأبي بكر بن العربي:

## نص آخر لأبي بكر بن العربي في تربية الطفل وتقديم كتاب الله في التأديب

وإلى القارئ الكريم هذا النص ننقله من كلام ابن العربي نفسه يدل على أن في تقديم كتاب الله على غيره في تعليم الولدان حصانة لهم عن المآثم والشرور وألوانها مما قد يتأثرون به من دراسة الأشعار والآداب قبل حصول هذه الحصانة التي تنشأ عنها ملكة المحافظة ولزوم السمت في الغالب تأثرا بالجو العام والبيئة القرآنية التي ينشأون فيها منذ الصغر.

قال القاضي أبو بكر بن العربي -رحمه الله- في كتاب الزُّلفى له:

«أعلم أن الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسه ساذجة، خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل لكل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعلّمه، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة،

1 - العواصم من القواصم: 370-371 .



وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم به والوالي عليه، وقد قال تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ ومهما يكن الأب يصونه من نار الدنيا، فينبغي أن يصونه من نار الآخرة، وهو أولى.

وصيانته بأن يؤدّبه ويهذّبه، ويعلّمه محاسن الأخلاق، ويخلصه من قُرناء السوء...» ثم قال بعد كلام:

«ثم ينبغي أن يقدم إلى (المكتب)، ويشغل بتعليم القرآن، وبأحاديث الأنبياء، وحكايات الصالحين والأخيار وما قارب ذلك، ويمنع من سماع الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله، ويحفظ من مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظّرف ورقة الطبع، فإنّ ذلك يغرس في قلوب الصبيان الفساد. ثم مهما ظهر من الصبي خُلُقٌ جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يَفرح به ويمدح بين أظهر الناس...» (1).

فهذا ابن العربي إذن يعود إلى مذهب المغاربة في البداية في تعليم الولدان بكتاب الله، وفي أن يكون هو أصل التعليم وأول ما ينبغي أن ينشأ الطفل عليه بتحفيظه له، وتنشئته على فضائله وآدابه السامية مع إعطائه القدوة في ذلك من سلوك شيخه وأبويه ومن يخالطهم في بيئته الصغيرة في المكتب والمسجد والبيت، وتبقى نظريته الأخرى التي استحسن فيها البدء بالعربية والآداب نظرية معدولاً عنها في الجملة، اعتبارا للجانب التربوي وتقديما له على غيره، لأنه هو الهدف الأسمى، والمقصد الأعلى من التعليم.

---

1 - نقله العلامة ابو عبد الله بن الحاج في كتاب المدخل: 4/295-296 .
وذكره الفقيه ابن عرضون في كتابه مقنع المحتاج في آداب الأزواج. أنظر كتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي للأستاذ سعيد أعراب: 161 .

### 16- سلم التطيم الأولي عند القاضي ابن العربي (ت 543 هـ) كما تلقاه قبل رحلته.

قال القاضي رحمه الله، في صدر كتاب رحلته:

«وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريّان الحداثة، وعند ريعان النشأة؛ رتّب لي أبي -رحمه الله- معلما لكتاب الله حتى حذقت القرآن الكريم في العام التاسع.

ثم قرن بي ثلاثة من المعلمين، أحدهم لضبط القرآن بأحرفه السبعة التي جمعها الله فيه، ونبّه الصادق - ﷺ- عليها في قوله: أنزل القرآن على سبعة أحرف في تفصيل فيها (1).

والثاني لعلم العربية، والثالث للتدريب في الحساب، فلم يأت علي ابتداء الأشدّ في العام السادس عشر من العمر، إلا وأنا قد قرأت من أحرف القرآن نحواً من عشرة ، بما يتبعها من إدغام وإظهار، وقصر ومدّ، وتخفيف وتشديد، وتحريك وتسكين، وحذف وتتميم، وترقيق وتفخيم، وقد جمعت من العربية فنونا، وتمرنت فيها تمرينا....» (2).

ومن المتأمل في ترتيب الصعود والترقي التعليمي في درجات هذا السلم عند ابن العربي، نجد أن مرحلة التكتيب فيه متميزة وحدها، لأنها

1 - الشيخ المشار إليه هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المقرئ، أخذ عنه ذلك بإشبيلية بلده، وهو من تلامذة أبي عبد الله بن شريح الإمام المقرئ صاحب كتاب الكافي في القراءات السبع، وهو مطبوع متداول، قال ابن بشكوال في ترجمة محمد بن عبد الرحمن المذكور: «وأخذ عنه القراءات شيخنا القاضي أبو بكر بن العربي وذكر أنه كان شيخا صالحا، وكان يقرئ الناس بحاضرة إشبيلية، وتوفي سنة 500 هـ (الصلة: 2/532-533 ترجمة رقم 1224.

2 - مختصر كتاب ترتيب الرحلة للقاضي أبي بكر بن العربي (مع القاضي أبي بكر بن العربي: 186-167)

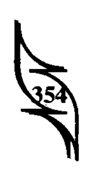
مخصصة لحفظ الكتاب العزيز، وقد حذق فيه كما قال في العام التاسع من عمره، ثم قرن به أبوهُ دفعة واحدة ثلاثة من المعلمين، أحدهم لضبط القران بأحرفه السبعة، والثاني والثالث لباقي الآداب والعلوم، ومنه يتجلى أن تكوين ابن العربي لم يكن يختلف عن النمط المغربي الذي ذكره ابن خلدون، لأن مرحلة التكتيب والتحفيظ فيه للقرآن الكريم ظلت هي الأولى، كما أنها ظلت أصلا للتعليم وما ينشأ بعد ذلك عنها من الملكات كما عبر بذلك ابن خلدون، لأن دراسة العلوم والآداب كانت في المراحل الموالية.

ويمثل لنا هذه النمط من التكوين القرآني والعلمي صورة عن التعليم الخاص الذي كان بوجه عام يجري في جميع الحواضر الأندلسية والمغربية لهذا العهد في أثناء المائة الخامسة ثم فيما بعدها من الأعصار اللاحقة على أنماط متقاربة كما يدل على ذلك ما حكى لنا ابن الخطيب عن نفسه في النص التالي:

### 17- سلّم تدرج العلامة الأديب الوزير لسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ) وهو في غرناطة بالأندلس

وقال ابن الخطيب معرفا بنفسه ومتحدثا عن أوليته في كتابه الإحاطة:

«قرأت كتاب الله –عز وجل– على المكتّب نسيج وحده في تحمل المنزَّل حق حمله تقوى وصلاحاً، وخصوصية وإتقانا، ونغمة وعناية، وحفظا وتبحُّراً في هذا الفن، واطلاعا على غرائبه، واستيعابا لسقطات الأعلام، الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العَوّاد:



1 - تكتيباً

2 - ثم حفظاً.

3 - ثم تجويداً إلى مقرأة أبي عمرو رحمة الله عليهما.

4 - ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة ومطيّة الفنون ومفيد الطلبة: الشيخ الخطيب المتفنّن أبي الحسن علي القيجاطي (1) فقرأت عليه القرآن والعربية. وهو أول من انتفعت به...... ثم ذكر باقي شيوخه في العربية والفقه والتفسير والحديث والأدب (2).

وقال ابن الخطيب أيضا في ترجمة أبي الحسن علي بن عمر بن إبراهيم الكناني القيجاطي المذكور:

أصله من بسطة، واستوطن غرناطة حتى عد من أهلها قراءة وإقراءً ولزوما. ورد على غرناطة مستدعى عام 712 هـ وقعد بمسجدها الأعظم يقرئ فنونا من العلم من قراءات وفقه وعربية وأدب، وولي الخطابة، وناب عن بعض القضاة بالحضرة...

وهو أول أستاذ قرأت عليه القرآن والعربية والأدب إثر قراءة المكتب» (3).

---

1 - هو صاحب قصيدة «التكملة المفيدة لحافظ القصيدة»، وقد ذيل بها على قصيدة حرز الأماني ووجه التهاني للإمام أبي القاسم بن فيرة الشاطبي. وتوفي القيجاطي سنة 730 هـ.
انظر ترجمته في غاية النهاية: 557/1-558 ترجمة 2280.

2 - أنظر الإحاطة في أخبار غرناطة.
ونفح الطيب للمقري: 148/8.

3 - الإحاطة: 104/4-107



### 18- سلّم تدرج العلامة ابن خلدون (ت 808 هـ) بتونس.

ويذكر العلامة ابن خلدون عن نفسه ما يعتبر أيضا صورة من هدا التدرج فيقول في ترجمة حياته في أواسط القرن الثامن وهو يومئذ يعيش بتونس في عهد الطلب، لكنه قرأ على بعض القراء الأندلسيين.

«أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن برال الأنصاري، أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية، أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها، وكان إماما في القراءات، وكان من أشهر شيوخه في القراءات السبع أبو العباس أحمد بن البطرني (1) ومشيخته فيها وأسانيده معروفة.

وبعد أن استظهرت القرآن العظيم عن حفظي، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفرادا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعتها في ختمة واحدة أخرى، ثم قرأت برواية يعقوب ختمة واحدة جمعاً بين الروايتين عنه.

وعرضت عليه -رحمه الله- قصيدة الشاطبي اللامية في القراءات، والرائية في الرسم، وأخبرني عن الأستاذ أبي عبد الله البطرني وغيره من شيوخه.

وعرضت عليه كتاب التقصّي لأحاديث الموطإ لابن عبد البر، حذا به حذو كتابه التمهيد على الموطإ، مقتصرا على الأحاديث فقط (2).

---

1 - هو أبو العباس أحمد بن موسى البطرني الانصاري المقرئ شيخ، تونس إمام في القراءات أخذها عن أعلام المقرئين بالاندلس، توفي بتونس في حدود سنة 700 هـ، ترجمته في غاية النهاية: 142/1 ترجمة 665.

2 - كتاب التقصي لأبي عمر بن عبد البر النمري مطبوع في مجلد واحد صغير باسم: تجريد التمهيد لما في الموطإ من المعاني والأسانيد أو التقصي لحديث الموطأ وشيوخ الإمام مالك -نشر دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.

ودرست عليه كتبا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب في الفقه ولم أكملهما بالحفظ.

وفي خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدي، وعلى أساتذة تونس... ثم ذكر جماعة من أساتذته بها وما تلقاه عنهم، وجماعة من الداخلين إليها من أهل المغرب وقال:

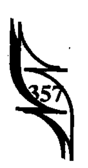
✓ ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي إمام المغرب، قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع الكبير بين القراءات السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح ولم أكملها.

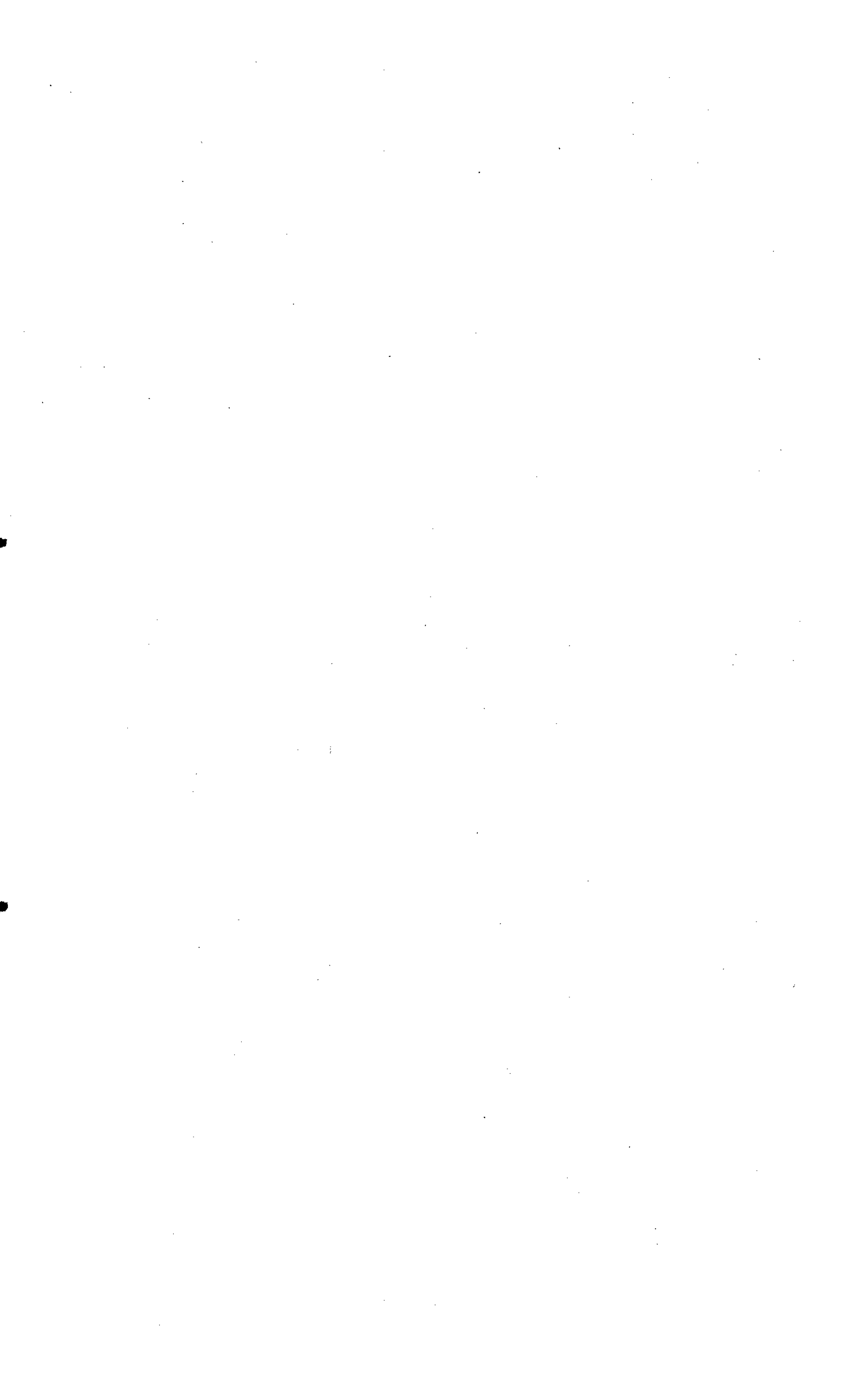
وسمعت عليه عدة كتب، وأجازني بالإجازة (1).

هذه هي الطريقة التي كانت متبعة لهذا العهد في تونس، وهي لا تختلف كثيرا في سلم التدرّج عن الطريقة المغربية الأندلسية.

---

1 - كتاب اليس الصبح بقريب لابن عاشور: 82-84 .





# الفصل الرابع

## مؤلفـــــات
## وفتاوى فقهية في المدرسة المغربية

### 19- كتاب المدخل لأبي عبد الله المعروف بابن الحاج العبدري الفاسي (ت 737 هـ).

الكتاب مشهور، وهو مطبوع في أربعة أجزاء متوسطة، ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري القبيلي الفاسي نزيل مصر المتوفى بها سنة سبع وثلاثين وسبعمائة هـ وقد عني مؤلفه بانتقاد الواقع العملي في كثير مما أحدثه الناس من البدع والحوادث في مختلف مجالات الحياة اليومية، ولكنه إلى جانب ذلك عرض لوصف جوانب كثيرة من جوانب هذه الحياة، كما تعرض لسير المؤسسات الشرعية كالمساجد ومدارس التعليم وغيرها.

ومن أهم الموضوعات التي أفاض فيها في كتابه موضوع التأديب في الكتاتيب القرآنية، فقد خصص في كتابه «المدخل» قرابة ثلاثين صفحة موزعة على ستة فصول ليشرح فيها آراءه عن أنظمة الكتاتيب القرآنية» (1).

1 – أنظر كتاب المدخل ابتداء من الجزء الثاني: فصل في ذكر آداب المعلم: ص 305 .



وهذه الفصول هي:

1 – فصل في ذكر آداب المؤدب (1).

2 – فصل في ذكر أسباب أولياء التلاميذ (2).

3 – فصل في صفة توفيته بما نواه (3).

4 – فصل فيما يأمر به المؤدب الصبي من الآداب (4).

5 – فصل في انصراف الصبيان من المكتب (5).

6 – فصل في تزويق الألواح (6).

وقد اعتنى أستاذنا الفقيه الباحث محمد المنوني –رحمه الله– بدراسة هذه الفصول من كتاب المدخل في كتابه «ورقات عن حضارة المرينيين» وقال في التقديم لذلك:

«وعن نظام (الكتّاب المغربي) في هذا العصر المريني الأول كان من حسن الحظ أن نلتقي بمؤلف مغربي عاصر هذه الفترة بالذات، وخلّف أفكارا عن طريقة تعليم الصبيان وتربيتهم، وكان هذا هو محمد بن الحاج العبدري الفاسي نزيل مصر إلى أن توفي بها عام 737 هـ ( 1337 م) (7).

---

1 – المدخل: 305/2 .
2 – نفسه: 310/2 .
3 – نفسه: 312/2
4 – نفسه 313/2
5 – نفسه: 321/2
6 – نفسه: 331/2-334 .
7 – ورقات عن حضارة المرينيين: 271 .

وتعتبر هذه الفصول التي كتبها الإمام ابن الحاج في كتابه صورة واقعية لما يجري عليه التأديب في المغرب في زمنه وفيما قبله منذ أيام الأدارسة فالمرابطين فالموحدين وبعد أن تراكمت التجارب وترسخت تقاليد الكتاب والمحضرة وعم الأخذ بها في سائر البلاد. وقد استفدنا من كتابه هذا في فصول من بحثنا هذا وخاصة في بعض تقاليد المحضرة الجارية إلى يومنا هذا.

### 20- كتاب الحِذَق لأبي وكيل ميمون الفخار (ت 816 هـ)

الحِذَق -فيما يبدو لي- جمع حَذَقة، وهي الموضع من القرآن الذي يبلغه المتعلم في قراءته فيستحق عليه معلمه نوعا من المكافأة أو الهبة، وقد يراد بها الختمة الكاملة، وتعيين المواضع التي تستوفى فيها هذه المستحقات من الحذق ليس محل اتفاق عند الذين ألفوا في هذا الشأن أو أفتوا فيه، ولعله لذلك خصه أبو وكيل بالتأليف، وأحسب أنه كان عبارة عن أرجوزة نظم فيها ما يتعلق بالحذقة، لأن مؤلفاته كلها كانت منظومة.

ولم أقف على هذا الأثر له، ولا على شيء من النقل عنه، وإنما نسبه له بعض الباحثين ولم يذكر مستنده (1).

1 - ذكره له الأستاذ عبد السلام بن سودة. أنظر بحثا له بعنوان: «المؤلفون المغاربة في مختلف العصور»: مجلة دعوة الحق العدد: 2 السنة 16 - أكتوبر: 1393 هـ 1973 م الصفحة: 178 .



**21- كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة لأبي علي حسين بن علي بن طلحة الشوشاوي (ت 899 هـ)**

هذا الكتاب تدور مباحثه على «فوائد القرآن» أو على بعض فوائد القرآن» كما ذكر في مقدمته وقدم لها بالحديث عن القرآن في عشرين بابا: الأول فيما يتعلق بنزوله، والثاني فيما يتعلق بكتابته، والثالث، فيما يتعلق بقراءته، والرابع فيما يتعلق ببعض مشكلاته في التفسير... (1) وهكذا استمر في عرض مسائل الأبواب ثم أخذ في تفصيلها بابا بابا.

وما يهمنا في بحثنا هذا من هذا الكتاب هو ما يبتدئ فيه تحت عنوان آداب القرآن حيث حصرها في إحدى وعشرين، وفي أثنائها تناول حكم تعليم القرآن بالإجارة، والوجه الذي تجوز الأجرة عليه في تعليم القرآن، والوجه الذي لا تجوز الأجرة عليه، والمختلف فيه من ذلك، وأيام التعليم ووقته ووقت التسريح للصبيان، وسبب التسريح يومي الخميس والجمعة وحكمه، وحكم الحذقة ومواضعها، وهل الحذقة محدودة أم لا؟ وما شرطها؟ ومن يأخذها من المعلمين إذا تداولوا صبيا؟، ومن الذي يجب عليه شرط المعلم؟ ومتى تجب له الأجرة؟ ومن يعقد الإحضار؟ وهل يكره الرجل على إحضار ولده؟ وهل للمعلم الخروج قبل تمام الأجل أم لا؟ ومن يتبع المعلم إذا تفرق عنه أصحابه؟ وما الحكم فيما يأخذه المعلم في الأعياد والمواسم؟ وما الحكم فيما يأخذه من النفيسة والعروسة؟ وحكم ما يأتي به الصبيان؟ وهل يجوز استخدامهم؟ وأحكام تتعلق بمعاملة الصبيان،

---

1 - الفوائد الجميلة: 145، وهو مطبوع بتحقيق الأستاذ عزوزي إدريس، وأصله رسالة جامعية له أنجزها بدار الحديث الحسنية بالرباط.



وهل يجوز الجمع بين الذكور والإناث في التعليم؟ وما حكم ما زيد للمعلم؟ وما المقدار الذي ينبغي أن يتعلم به القرآن من الآيات؟ وهل يحمل مداد الصبيان على الطهارة أو على النجاسة؟ وحكم ضرب الصبيان وصفته، والمضروب به، والمضروب منه، والمضروب عليه، وزمان الضرب وحده، وما تولد منه؟ وهل يجوز أن يرشى الصبي على التعليم؟ وهل يعطىَ المعلم من أحباس المسجد؟ وهل يجوز إعطاء الزكاة للمعلم والعلماء؟ وهل تجوز إمامة المعلم وشهادته؟ وهل تجوز شهادة القارئ على القارئ والعالم على العالم ؟ وهل يجوز تعليم القرآن لأولاد الكفار؟ وهل يجوز أخذ الأجرة على الحرز أو لا؟ إلى أسئلة أخرى مكملة، وقد تناول في الجواب على هذه الأسئلة أهم مشاكل التأديب وقضاياه، واستعرض فتاوي المتقدمين فيها مما يعتبر من أهم المظان الذي يعتمد عليها في تاريخ التعليم القرآني والحضري بوجه عام (1).

22- جامع جوامع الاختصار والتبيان، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان.

لأبي العباس أحمد شقرون بن أبي جمعة الوهراني المغراوي (ت 929 هـ) (2).

وهو كتاب جيد استفاد مؤلفه من مؤلفات السابقين، وعول كثيرا على كتاب الشوشاوي الآنف الذكر، وفيه نقول جيدة عن كتب أخرى تعتبر اليوم مفقودة كالحُلل للزناتي وغيره.

---

1 - أنظر الفوائد الجميلة: 248-309 .

2 - لقط الفرائد من لفاظه حقق الفوائد لأحمد بن القاضي: 289 حوادث سنة 929 ضمن كتاب (ألف سنة من الوفيات بتحقيق محمد حجي) واسمه عنده محمد شقرون وأنما أخوه هو محمد شقرون صاحب كتاب تقريب المنافع في قراءة الإمام نافع، وهي قصيدة لامية من بحر الطويل في طرق العشر الصغير. وانظر تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي لاسمه في أول تحقيقه لكتاب جامع جوامع الإختصار والتبيان: 15-19 وهو بعنوان: أبو العباس المغراوي وفكره التربوي»

وأوله بعد التسمية والصلاة على رسول الله -ﷺ- قوله:

الحمد لله الذي أنزل القرآن، وبين فيه الأحكام والحكمة أتم بيان، ووعد على اتباع نهجه القويم بالمقامة في دار الجنان، وعلى التنكيب عن سننه بالخلود في دركات النيران....

أما بعد فقد سألني بعض الإخوان أن أضع له جامعا مختصرا مفيدا في أحكام المعلمين والمتعلمين وآبائهم وحقوق بعضهم على بعض، وأمر الحذقة، وأجرة الشهور والأعوام والحِذاقِ وسائر ما هو عرف لهم وعليهم في مواسم المسلمين، ليرتفع بذلك بينهم الشقاق، مما ورد في ذلك من أنقال أئمتنا المالكية وفتاويهم وآرائهم على اختلاف أو وفاق معتذراً بتفرق ذلك عليه في الشروح والأمهات، وتشتته في الدفاتر والكُناشات بما لا يطيق حصره مع ضيق الأوقات.

فأجبت سؤاله، قاصدا ثواب الله الجزيل، في دفع شبه أهل الظلم عن قراءة التنزيل، والأخذ بنواصيهم عن عقد الحرام وفظاظة التمحيل (1)، منقّرا -إن شاء الله- عما في هذه السبيل من المسائل والأحكام، ومقتبسا لها من أمهات وشروح عظام، بحسب الإمكان في المطالعة، ليكون بعون الله حجة بالغة، ورافعا للتشاح والخصام، لتضمنه لُباب خالص الفتاوي وأقوال ذوي العلوم وآراء القادة الأعلام، ومسندا كل نمط إلى قائله كسمسار يواقيت التجار، ومُعرضا عن مقالات المخلِّطين المُدرجة تركا من غير اعتبار، ومُدْلياً (2) الدلْو إلى عذب معينها الطهور في آبار أنقال مشايخ المالكية

1 - في المطبوع: ص 62: «وفضاضة التعجيل» وما كتبته به هو الظاهر في المخطوطتين المحقق عليهما عند الدكتور التازي الذي كان قد تفضل فأهداني نسخة من الكتاب مطبوعا حفظه الله وشكر له.

2 - في المطبوع: ومدلسي الدلى



الكبار، فلا ينتقد بما ظاهره التكرار، من مضمن المصنَّفات، فإني أجعل ذلك كالشواهد للحُكم والمتابعات، قائلا على وفق من ألف، وبراعة اعتذار من نظم وصنف.

ولست مدعيا الإحصاء ** ولو قصدت فيه الإستقصاء
إذ ليس ينبغي اتصاف بالكمال ** إلا لربي الكبير المتعال
وفوق كل من ذوي العلم عليم ** ومنتهى العلم إلى الله العظيم (1)

وبعد تمام هذه المقدمة ابتدأ في المقصود فقال:
باب حكم الحذقة، وما موضعها من القرآن؟
وهل هي محدودة أو موكولة إلى العرف؟
ولمن تعطى من المعلمين إذا تداولوا صبيا؟
ومتى يستحقها المعلم؟ وهل له ذلك إن عاود الصبي القرآن أم لا؟
قال الشيخ أبو عمران موسى الزناتي (2) في "الحلل":

أما حذقات القرآن فقد قال مالك: ثبت عنه -عليه الصلاة والسلام- أن الصبي إذا انتهى إلى حد الكتب في اللوح بالقلم، وقبِلَ تلقين ما يلقَّن، وأحسن الكَتْب، فللمعلم الحَذَقة ثمانية دراهم، وإذا انتهى إلى سورة مريم فله اثنا عشر دينارا، وإذا ختم القرآن فله ستة عشر دينارا، وكذلك في التلقين بلا لوح، وتسقط له الأولى.

---

1 – هذه الابيات خاتمة ارجوزة الإمام أبي عبد الله الخراز الشريشي المسماة بعمدة البيان في الضبط التي ذيل بها أرجوزته مورد الظمآن في الرسم.

2 – ذكر محقق الكتاب أنه كان أستاذا لابن البناء المراكشي، وأنه توفي سنة 708 هـ قال: وكتابه «الحلل» يعتبر في عداد النوادر المفقودة، وقد وقفت على المجلد الثاني منه المبدوء بباب الجهاد، ثم ذكر رقمه في المكتبة الوطنية بباريز: 5336 (عربي)
انظر هامش تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي لجامع جوامع الاختصار: ص 64 .



كذا ثبتت الرواية عن عيسى بن مسكين عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك (1) واتفق أصحاب مالك على أن الحذقات قد جرى بها العمل، وتلقاها العلماء بالقبول، وليس لما يعطى فيها مقدار موقت، وإنما هو يوظف بحسب الحال والمصلحة، ويعود فيها الأمر إلى العرف والعادة والمروءة والمالية، ومن امتنع من شيء منها قُضي عليه بالسجن والضرب، زاد الجزولي (2):

وأما ما يقضي به للمعلم على أبي الصبي من الحذقة في السور المعتادة فذهب مالك إلى أنها لا حدّ لها، إلا أنها تختلف باختلاف حال الصبي في خدماته وعدمها، وباختلاف الأحوال في العسر واليسر، فيؤخذ من الموسع قدره ومن المقتر قدره، قال ابن يونس (3) وهي مكارمة بين الناس، وروى عيسى عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك مرفوعا في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: إذا تعلم الهجاء فللمعلم ثمانية دراهم.... (4).

وهكذا مضى يقرر وينقل حتى استوفى مباحث الباب. ومن طريف ما ذكره في آخره قوله: وقد استفتي شيخنا وبركتنا سيدي محمد بن يوسف السنوسي (5) في مثل هذا فأجاب بما بمعناه : إنه لا يجوز إقراؤه إن لم يحكم مخارج الحروف، وإن جميع ما يأخذه سُحت، إذ كل من أعطي شيئا على ظن حالة فيه، وفيه خلافها، فجميع ما يأخذه سُحت (6).

---

1 - جامع جوامع الإختصار: 64، ولم اقف على من نص على أن هذا التحديد سنة نبوية.
2 - هو أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت 741 هـ): مقدمة المحقق: 65 .
3 - هو محمد بن عبد الله التميمي الصقلي من ائمة المذهب المالكي، توفي سنة 451 هـ ترجمته في الديباج لابن فرحون: 274 .
4 - جامع جوامع الإختصار والتبيان: 65 .
5 - من شيوخ تلمسان توفي عام 895 هـ ترجمته في نيل الابتهاج للتمبوكتي بهامش الديباج: 325-326 .
6 - الجامع: 69 .



ومن أهم ما عالجه الشيخ المغراوي بالبحث: باب حكم الإجارة على تعليم القرآن والأصل فيها، وهل يقضى بما يعطى للمعلم في المواسم؟ وحكم آداب الصبيان وتعليمهم وتسريحهم وقبول هديتهم (1).

وكذلك الفصل الذي عقده بعده لما ينبغي على معلم الصبيان من أن يكون حافظا لهم متيقظا غير غافل عنهم، فإن الصباشعية من الجنون، كما ينبغي أن يكون شفيقا عليهم عند آلامهم لكثرة أعذارهم.

ولا ينسى أن يختم الفصل وبه يختم الكتاب، بالحديث عن بعض الرُّقى التي يرى أنها يرقى بها من الأطفال من أصابه شيء من وجع أو رعاف أو وجع سن أو قرصة بعض الهوامّ، كما وصف في الختام شربة ذكر أنها تكتب لتسهيل حفظ القرآن الكريم (2).

وهذا جزء من ثقافة المحضرة يرتبط بمستوى عقلية هذه الطبقة من المؤدبين واهتماماتهم ، بتغطية جميع الحاجيات التي كانت في نظر العامة يرجع فيها إلى الفقيه (الطالب) وما يزال هذا معروفا في كثير من أنحاء البلاد باعتباره وظيفة من الوظائف المرتبطة بهذه المهنة عند الطلبة المدررين إلى يومنا هذا، وخصوصا في مساجد بلاد سوس.

وهذه صور من القضايا التي كانت تشغل بال أهل المائة العاشرة في علاقاتهم بالمحضرة وأنظمتها التربوية، وعلاقات المعلمين بأولياء التلاميذ في تنصيب المعلمين ومشارطتهم واستحقاقاتهم المادية وغير ذلك من أحوالهم مما نجده في بعض الإستفتاءات المعروضة على القاضي أبي زيد التمنارتي (ت 1060 هـ) كما أثبتها وأجاب عنها في فهرسته التالية.

---

1 - جامع جوامع الإختصار: 72 .
2 - نفسه: 107-110 .



**23- من قضايا المحضرة عند أبي زيد التمنارتي (ت 1060 هـ) في كتابه: الفوائد الجمة.**

لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد التمنارتي قاضي مدينة تارودانت بسوس فهرسة كبيرة شهيرة ضمنها ذكر مشيخته ومروياته عنهم، وأودعها عددا من الفوائد والفتاوي الفقهية في كثير من القضايا التي كانت تشغل أهل هذه الجهة، وخاصة فيما يتصل بتنصيب المعلمين والأئمة وقضايا المحضرة، وهذه مقتطفات مما ساقه في ذلك.

الأسئلة:

قال أبو زيد التمنارتي:

«ومن المهم تعليم الصبيان، وتفقد أحوال الولدان، وقد ورد علي سؤال من بعض الدرارين أثبته وجوابه للنفع به، نصه:

جوابكم في مسائل من (الحضار):

- ✓ منها: ما يأخذ معلم الصبيان منهم عند ختمات الأحزاب؟
- ✓ ومنها: ما يأخذه ممن ولدت في الحومة؟
- ✓ ومنها: الحطب في كل يوم الأربعاء، أو في كل يوم، عود أو أكثر لكل واحد؟
- ✓ ومنها: الفُتوح حين دخوله، يكلف عليهم عشرة دراهم لكل واحد أو أكثر أو أقل؟
- ✓ ومنها: هل يأخذ ذلك من يد الصبى أو لابد من حضور وليه؟
- ✓ ومنها: هل يطلقهم في كل ختمة يوما وليلة أو أقل أو أكثر، أولا يجوز مطلقا؟

✓ ومنها: إن كان يأخذ منهم عدة معروفة في كل يوم أو في بعض الأيام كدرهم أو عشرة أو ما جرت به عادة بلد من أخذ شيء؟

✓ ومنها: هل يجوز أن يكون ما ذكر عادة أو لا يجوز إلاّ بشرط؟

✓ ومنها: ما يأخذ منهم في الأعياد، هل يسوّيهم في ذلك، أو كل واحد على طاقته، وهل يشترط هذا على آبائهم أم لا؟

✓ ومنها: كم يطلقهم في العيدين وعاشوراء ومولد النبي -ﷺ-؟

✓ ومنها: كم يضربهم على التخلف عن اللوحة، وعليها وعلى الأسوار؟

✓ ومنها: هل يطلقهم ليستريح، أو لعذر أم لا؟

✓ ومنها: هل له أجرة ما مكث في المرض أو الغيبة بإذن بعضهم أم لا؟

✓ ومنها: هل يجوز التهاون بالحضار، إن وافقوه على ذلك، بمعنى تارة يمكث عندهم، وتارة يشتغل بأسبابه، أو يمشي لأولاده بمكان آخر؟ أجيبوا لنا، وأجركم على الله، ولا تنظروا إلا وجه الله الكريم، ويكون لكم صدقة جارية إن شاء الله. فهذه عادة الدرّارين، والناس يقتدون بهم في كل أمر (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) ولا يدرون ما الحلال من الحرام في ذلك؟ والسلام.

## جواب التمنارتي على المسائل الأربع عشرة

جوابه: وعليكم -سادتنا- السلام ورحمة الله وبركاته.

1 - أما جواب الأولى فمواضع الحذقة معروفة عند أهل ذلك الشأن:



**أولها**: إذا عرف الصبي الكتب وأخذ آية من القرآن، فله حذقته، وشرطها أن يعرف الصبي شيئا، وأما إذا لم يعرف الصبي شيئا لا حروفا ولا هجاء ولا غير ذلك، فلا حذقة له، قاله سحنون في أجوبة القرويين.

الموضع الثاني: إذا بلغ سورة الملك.

الثالث: إذا بلغ سورة الفتح

الرابع: إذا بلغ سورة مريم

الخامس: إذا ختم القرآن.

هكذا عيّنها القابسي في أجوبته، وقال صاحب الحُلل (1)، هكذا كان الحكم إذا كانت القراءة بتلقين، بلا كَتْب ولا لوح، إلا أن الأولى تسقط له خاصة (2).

والحذقة غير محدودة على المشهور، بل يفوض فيها الأمر إلى عرف الناس وعادتهم ومروءاتهم وماليتهم، وقيل: محدودة بثمانية دراهم في الأولى، وبأربعة دنانير في الثانية، وبثمانية دنانير في الثالثة، وبإثني عشر دينارا في الرابعة، وبستة عشر دينارا في الختم (3).

وأما أنها عند ختم كل حزب فلم أقف عليه لأحد، ومن طالعه فليفدنا وإياكم به، ولعله من المستحدثات التي تحيّل بها الشيطان في سد باب التعليم الذي هو ملاك الدين، وعنوان السعادة، فإن الآباء ربما استثقلوا ذلك فيردهم عن تعليم أولادهم كما شوهد ذلك في كثير ، والأخذ بالورع في هذا ومثله من وظائف الدين أحسن.

---

1 - كتاب حلل المقالة في شرح كتاب الرسالة الفقهية لابن أبي زيد تأليف أبي عمران موسى الزناتي الفقيه دفين رياض العروس بمراكش، توفي سنة 708، أنظر ترجمته بإيجاز في وفيات الونشريسي. 99 - ولقط الفرائد لابن القاضي: 167 ضمن كتاب (ألف سنة من الوفيات).

2 - يعني بالأولى: الحذقة الأولى من الخمس المذكورة أعلاه.

3 - الفرائد الجمة في إسناد علوم الأمة: 502-505 .

2 – وأما الثانية: فما يأخذه من النفساء جائز بشروط:

- ✓ منها: أن لا يكون في خروجهم إذاية لهم.
- ✓ وأن لا يخرجهم حتى يستأذن آباءهم، إما عند الوقوع، وإما عند المشارطة.
- ✓ وأن يكون ذلك بطيب نفس المعطي.
- ✓ وأن لا يبعثهم حتى يبعث إليه أهل النفساء.
- ✓ وأن يخرجهم في وقت لا يضرّ بهم، كالخميس والجمعة.

وإن اختل شرط منها كان ذلك حراما، مجرحا لفاعله، والحكم في العروس كذلك حيث جرت به العادة، نص على جميع ذلك الشيخ الصالح سيدي حسين الشوشاوي -رحمه الله- في فوائده الجميلة على الآيات الجليلة (1).

✓- وأما الحطب فلم أقف فيه لأحد على شيء، والذي أراه أن حكمه حكمُ الحذقة، إن جرى به عرف بلد أو شرطَه كان له، وإلاَّ فلا (2).

ومما يقرب من ذلك ما أفتى به سحنون في معلم صبيان كان يأخذ منهم درهما درهما أو درهمين درهمين كل شهر، أرى ذلك له بشرط أو عادة.

وكذا ما نقل عن ابن يونس من قوله: وحق (الإحضار) عندنا عرف جار كالشرط، وأرى أن يقضي به ببلدنا، وكذا قال البرزلي فيما يأتي به الصبيان من النفساء والعروس أمر معروف عندنا بالقيروان.

---

1 – يعني حسين بن علي بن طلحة الشوشاوي (ت 899 هـ) في الفوائد الجميلة الآنفة الذكر.

2 –الفوائد الجمة: 506 .



فالحاصل أنه إن جرى العرف بذلك كله فلا بأس به، وكذا كل ما جرى به العرف من نحو ذلك، انتهى.

4 – وأما الفتوح، فإنما يقصد به التيمن والتبرك، فلا ينبغي فيه التكليف كما ذكرتم، لأنه فتح لأبواب الخير، فلا تصلح فيه المشاحة، والناس في ذلك على رغبتهم في الخير وحرصهم عليه.

5 – وأما آخذ الشيء من يد المتعلم، فإن ملك أمر نفسه لكونه كبيرا فلا كلام، وإن كان صغيرا فلا يجوز، لأن الصغير لا يجوز قبول هديته، لأنه لا يملك، وعلى تقدير أنه يملك فهو محجور لا تصرُّف له، فإن أكل المعلم من ذلك شيئا كان حراما له وجرحة فيه، إلا إن أتى بشيء جرى به العُرف من قبل أبويه أو الشرط فلا بأس به، وكل ما فهم منه أنه رشوة فلا يأخذه، لعلل ذكروها من جهتهم ومن جهته. فليجتنب ذلك، ففيه السلامة. انتهى من كلام سيدي حسين الشوشاوي ملفقا (1).

6 – وأما التسريح للحذقة، وهي المقصود بقولكم في كل ختمة، فنص صاحب الحُلَل علي أن ذلك محدث وعطلة لا يجوز للمعلم. نقله عنه صاحب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة (2) .

7-8 والسابعة والثامنة: أن ما جرت به عادتهم ومضى به عُرفهم، فهو له كما تقدم عن فتوى سحنون، والعُرف في ذلك يجري كالشرط، إلا أن هذا العُرف المجرد هكذا ما عرفناه في هذه البلاد، ولا أدري ما سببه حتى سألتم عنه؟

---

1 – نفسه: 506-507 .

2 – انظر الفوائد الجميلة: 294-295 .

10-9 والتاسعة والعاشرة: وهو ما يأخذه المعلم في الأعياد والمواسم، فاعلم أن ذلك عطية وتطوُّع ممن شاء، وهو إحسان وتكرّم من آباء الصبيان، ولم يزل هذا يستحسن في أعياد المسلمين. قال القابسي: هذا إذا لم يكن في عامة الناس فاشياً في العادة، فإذا فشا في العادة وصاروا يرونه واجبا، فهو كذلك، وعليه جلس المعلمون، نص على هذا كله الفقيه الصالح سيدي ابراهيم بن هلال بن علي السجلماسي -رحمه الله- في أجوبته، ومثله لصاحب الفوائد الجميلة (1).

فلينتبه لهذا من كان يصلي بالناس من الدرّارين، ويعلم أن الإمام ضامن، خوف أن يحاول قيراطا فيحمل على ظهره جبال الإثم، بإبطال صلاة واحدة على المسلمين، ولكن الناس اليوم في غفلة عن هذا المنصب، والله يعصمنا وإياكم بالتقوى والقناعة.

11 – وأما تسريحهم في الأعياد وما ذُكر معه، فنقل صاحب «الفوائد الجميلة» عن أبي عمران الفاسي: لا بأس أن يأذن لهم في عيد الفطر بيوم إلى ثلاثة، وفي عيد الأضحى إلى خمسة أيام.

وأما عاشوراء ومولده – ﷺ– فلم أقف فيهما الآن على شيء، وقد جرت العادة فيما بلغ علمنا من هذه البلاد بالتسريح اليسير الذي لا يبلغ التسريح في العيدين فيهما، والتسريح في مولده ﷺ– أوسع منه في عاشوراء، لاختصاصه بمزيد من فرح وسرور، ولا سيما في الحواضر، وأهل العلم والصلاح فيها متوافرون والأمة لا تجتمع على ضلالة».

1 – نفسه: 294 .
2 – الفوائد الجميلة: 508 .



12 – وأما ضرب الصبيان، فسئل عنه الشيخ الصالح سيدي إبراهيم بن هلال –رحمه الله– فأجاب بما نصه:

وأما ضرب المعلم الأولاد، فالصبيان مختلفون، فإن فيهم القوي والضعيف، فيضرب كلا على قدر طاقته، وعلى قدر جُرمه.

13 – وأما المسألة الثالثة عشرة وهي: هل يطلقهم ليستريح، أو لعذر أم لا؟

أما التسريح لمجرد الاستراحة، فهو في يوم الخميس ويوم الجمعة حسبما جرى به العرف في جميع البلاد شرقا وغربا.

وأما التسريح لعذر، فقال أبو عمران: سئل سحنون عن معلم ذهب إلى قريته فتغيب يوما أو ثلاثة ليصلح ضيعته، فقال: له ذلك، لأنه يجوز للقاضي ذلك فأولي وأحرى المعلم، لأن القاضي أجير المسلمين، ولا يؤذن له بأكثر من ثلاثة أيام، إلا بإذن آبائهم، بخلاف أيام العيد، فإنه يجوز له بغير إذنهم، وكذلك مرض الأيام اليسيرة، ولا يحط عنه شيء من الأجرة بذلك.

نعم إن طال المغيب أو أيام المرض، حط له من الأجرة بحسب ذلك، ولا يخلف لهم بعد انقضاء المدة إن كان الأجل معيّنا، لما فيه من فسخ الدين في الدين.

14 – قال سيدي إبراهيم بن هلال –رحمه الله– في أجوبته: وحيث أبيح له أن يغيب لعذر، فإنه يستخلف كافيا، كما إذا مرض أو غلبه شغل أو نوم. انتهى. وهذا بعينه هو جواب المسألة الرابعة عشرة من مسائلكم.

15 – وأما الخامسة عشرة، وهي قولكم: هل يجوز التهاون بالحضار إلى آخره أم لا؟ فاعلم –رحمك الله– أن ما كان من ذلك شرطا، وهو حكم حضار هذه البلاد (1) يجب الوفاء به، لقول رسول الله – ﷺ – «المومنون

1 – يعني بلاد سوس.



عند شروطهم (1)» ولا تجوز فيه الخيانة بحال، نعم إن وافقه آباؤهم كلهم على الاستراحة حيث لا تجري به العادة، جاز له ذلك، لأنهم أسقطوا عنه حقهم كما فُهم من النقول المتقدمة، ولكن لا ينبغي للآباء والطلبة التمالُؤ على ذلك، لما يؤدي إليه من التعطيل، ولا سيما على القول بوجوب تعليم الصغار.

وقد جرى الأمر بالتهاون بذلك في كثير من القرى، لا سيما أهل الجبال، حتى إن معظم قصدهم في أخذ (الطالب) (2) للمسجد، إنما هو قراءة العقود وكتب الدعوات (3) فتهمل عندهم صلاة الجماعة وتعليم الصبيان، وهي غفلة شنيعة أحدثها عليهم الشيطان -لعنه الله- وقصد بذلك إضلالهم وإضلال ذريتهم، نعوذ بالله من فتنته وفتن آخر الزمان (4).

## زبدة فتاوي أبي زيد التمنارتي في الموضوع

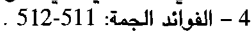
ثم قال أبو زيد رحمه الله موجها النصح لسائله:

«وقد ختمت سؤالك بمسألة التهاون الذي انتهى إليه اليوم أمر الخاصة والجمهور، ودار عليه في هذه الأقطار أكثر الأمور، وأنا أختم لك جوابك بمسألة الجدِّ الذي هو ملاك الصلاح، وطريق الفلاح والنجاح.

وذلك أن تعلم أن كتاب الله نصيحة عامة لله ولرسوله - ﷺ - ولكتاب الله ولعامة المسلمين وخاصتهم، وقد روينا عن مسلم من طريق تميم

1 - أنظر صحيح البخاري كتاب الإجازة الباب 13 ج 2 ص 24 ،

2 - يعني الإمام والمعلم في المسجد.



3 - يعني الدعاوي التي ترفع إلى المحاكم، ولا أظنه يعني كتابة الحروز والتمائم كما علق عليه المحقق.

4 - الفوائد الجمة: 511-512 .

ابن أوس الداري أن رسول الله - ﷺ- قال: «الدين النصيحة، فقالوا: لمن يا رسول الله؟ فقال: لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وخاصتهم» (1).

فتنبه لهذه النعمة العظيمة عليك التي لا نعمة فوقها، وهي أنك شغلت نفسك وأتعبتها وبدَنك في نصيحة الله، وفي نصيحة رسول الله، وفي نصيحة كتاب الله، وفي نصيحة عامة إخوانك المؤمنين، وفي نصيحة خاصتهم، فاستكملت وجوه النصائح كلها بخدمتك الواحدة وإلى هذا المعنى أشار الشيخ أبو محمد بن أبي زيد بقوله:

«وأولى ما عني به الناصحون، ورغب في أجره الراغبون، إيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين»(2) فإذا فهمت هذه المرتبة الشريفة التي لا درجة فوقها، فاعمل فيها بجدك واجتهادك ظاهرا وباطنا، حتى يتَّقِد منك في مشكاة النبوة سراجُها، ويتوهج في صدرك دُرِّيُّها وزُجاجها، ويعتدل في تربية ذراريك طبعها ومِزاجُها. وعماد الأمر التقوى، وهُدَى الله هو الهدى، والسلام.

وكتب به مجيبا عبد الله في منتصف ربيع الثاني سنة اثنتين وثلاثين وألف (3).

هذه نهاية أجوبة أبي زيد التمنارتي -رحمه الله- التي ختمها بهذه الخلاصة الإيمانية التي دعا فيها القائم بتعليم كتاب إلى استشعار عظمة وإنافة منصبه وأهمية خدمته المتمثلة في هذه الوجوه من النصائح التي يبذلها من نفسه ويستعمل فيها بدنه، ليتمثل جلالة ما هو فيه من سابغ

---

1 - أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان: الباب 22 ج 1 ص 31 والبخاري في كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم: ج 1 ص 16 .

2 - الرسالة لابن أبي زيد: 8

3 - الفوائد الجمة: 512 .

النعمة الإلهية، ورفيع المنزلة الربانية، حتى يستمر عطاوه، ويواصل بعمله الدؤوب المرابطة في هذا الثغر الجليل.

## 24- الأجوبة الناصرية في مسائل البادية

وهذه الأجوبة هي لأبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي جمعها تلميذه محمد بن أبي القاسم الصنهاجي، وهي مخطوطة في عدد من الخزائن (1).

ومما جاء فيها بشأن ما يتعلق بالإمام ومعلم الصبيان قوله:

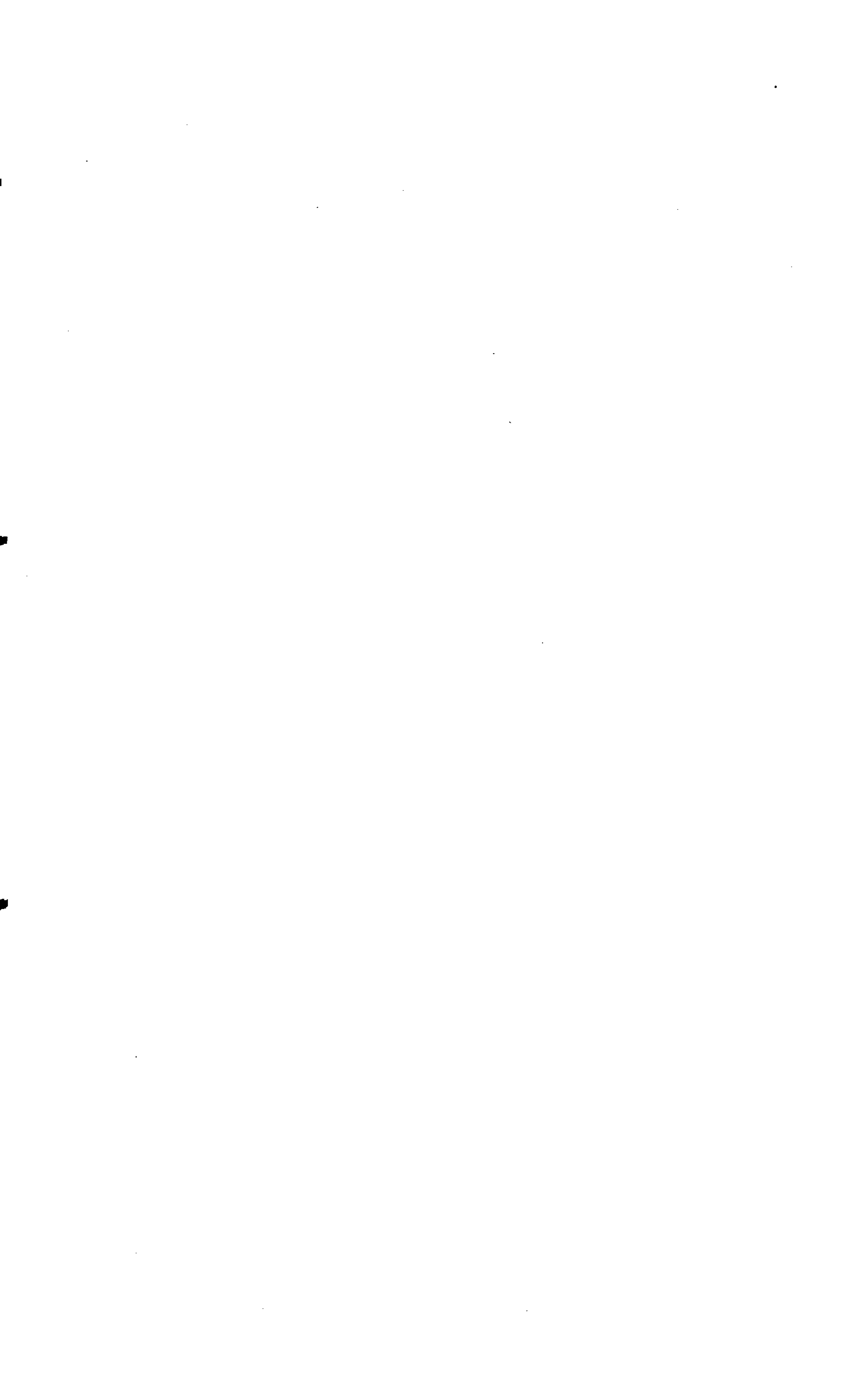
«وسئل يعني الورزازي عن معلم الصبيان، أيجوز له التنفُّل بين المغرب والعشاء، مع أن ذلك الوقت من الملزم له، وكذلك ما بين الظهر والعصر أم لا؟ وما الوقت الذي يتعين على المعلم والإمام الحضور في المسجد؟ أله التأخر على الزوال بيسير، وعن الغروب كذلك، أم لابد من حضوره في المسجد من أول الوقت؟

فأجاب: أن المعلم يجب عليه الحضور في الوقت المعتاد فيه اجتماع الصبيان للتعليم، ويجوز له التنفل في ذلك بشيء قليل لا يشغله عن الصبيان، والإمام يحضر لوقت يدرك به الصلاة في أول وقتها المختار (2).

---

1 – من نسخها المخطوطة مخطوطة خزانة ابن يوسف بمراكش برقم 199 .
2 – مخطوطة الأجوبة الناصرية: 32-34 .





# الفصل الخامس

## أراجيز مغربية في آداب التعليم وأحوال الحضرة

وكما أسهم المنظرون من علمائنا وفقهائنا فيما سميناه بالتربية العامة على مستوى الفتاوي والرسائل النثرية فقد نظموا في ذلك منظومات على صورة أراجيز يسهل حفظها واستيعابها والتمثّل بها عند الحاجة. وهذه أمثلة منها:

### 25- علم آداب القراءة من أرجوزة الأقنوم في مبادئ العلوم
### للشيخ العلامة أبي زيد عبد الرحمن الفاسي (ت 1096 هـ)

أرجوزة الأقنوم في مبادئ العلوم أرجوزة طويلة النفس جمعت جميع ما كان معروفا من علوم ومعارف وفنون إلى زمن المؤلف، وهي في مجلدين، وناظمها المعروف باسم شيخ الإسلام العارف سيدي عبد الرحمن بن سيدي عبد القادر بن علي ابن الشيخ أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي الفهري، المولود بفاس عام 1040 هـ والمتوفى بها في جمادي الأولى سنة 1096 هـ (1) قال محمد بن الطيب القادري: شاع أنه سيوطي زمانه، لأنه اتسعت مشاركته في العلوم وشاعت براعته في المنظوم، أحد الأعلام

1 – أنظر ترجمته مفصلة عند القادري في نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني 2/325-329 حوادث عام 1096 .



الحفاظ.... فأفتى في كتابه «الأقنوم» بنحو مائة علم وخمسين علما أو أزيد، واستوفى حدودها بأوجز عبارة وأفيد» (1).

وأول أرجوزة الأقنوم قوله:

الحمد لله مُدرّ سُحْب ** الخير من بحر العطاء الرَّحب

ومنهلِ المشارع السلسالة ** لطالب العلم لكي ينالـه

ويهمنا من هذه الأرجوزة ما قاله في علم آداب القراءة منها حيث يقول متناولا لأهم القضايا المرتبطة بالتربية والتعليم وسياسة المعلمين:

علم سياسة المعلمينا ** وطرق التعليم كي يبينا

وأفضل التعليم ذو التطوُّع ** فذو الإجارة الذي لم يمنع

والأب ينوي للصبي الإفادة ** والأجرَ كالشيخ والإستفادة

لا ينوي سجنه فقط في المكتب ** يجلسه الشيخ على قصدِ الأب

والعدل بينهم عليه واجب ** في العرض للمَحْو وكتْب الكاتب

ونحوه، ولو بجُعل فضّلوا ** إلا بشرط أو زمان يفضل

مُناوباً كمثل فُتياهُ ومَنْ ** أخطأ كِرَّرْها لتفريق يعِن

وباتباع اليد في الحروف ** لسانه مخافة التحريف

بآخر كذا التهجّي أمَّا ** في المحو فليأت الصبي بالمْا

نَوْبتَه وفي إناءَ طاهر ** يمحُون بعد صبِّه في آخر

والماءُ طاهرٌ وفيهما أقرب ** في الأرض بعدُ في حفير اصبب

لا يبتغي عنهم له من شغل ** إلاَّ ككتب الحرز ختم القولَ

وفي الخميس وصباح الجمُعة ** إراحةٌ لِسنَّة متّبعة

---

1 – نشر المثاني: 2/3285-326 .

قال الجزولي طلب الغنى عمر ** لتابع سنته ذا في الخبر
ولُميتها افتقاراً وردا ** كتْبَ صبيحة الخميس قيّدا
وبَعدَ ظهر جُمعةٍ للعصر ** عن عمر هذا رَووا بأمْر
وزمنُ الليل لِعُرف يتبعُ ** إلا بعُقدة وشرط يقَعُ
وبعد مَحوٍ أطلقوا للفطر ** الظهرُ للقرا، وبعد العصر
وما على القرآن من أجور ** يُعطَى فجائزٌ على المشهور
ثَمَن شُغل بَدَن الشيخ فقط ** كبيع مصحف لِرَقٍّ ولخط
فصلٌ والأجرةُ على أقسام ** بالشهر والحِذاق أو بالعامِ
ومالكٌ روى عن النبيّ ** في أجر كتب اللوحِ للصبي
بيده إن أحسن الكتب استحق ** من الدراهم ثمانيا بِحقّ
إن بلغ (الملْكَ) استحق أربعة ** من الدنانير، ومثله معه
للفتح ثم للعَوان (1) ضُعّفا ** فإن يقع بينهما شرطٌ كفى
القابسي: مَحَلُّها ما قد حَكَم ** عُرفٌ به والمنعُ للخلاف عمّ
وإن معلّموهُ قد تداولوا ** فهي لمن عليه ختمٌ يَحصُل
أو الذي عليه نال الأعظما ** وفي التساوي بالتساوي حُكما
وجاز أن يُناب عنه إن حَصَل ** دون اشتراط مع ضَرْبٍ لأجل
قال السنوسي وسواه: حيث لم ** يَدْر مخارج الحروف ذا حَرَمُ
والوَرْغَمي (2): ليس به إن جهلا ** كالفتح والإدغامِ ذاك مُسْجلا
وخُلفُ ما يُعطاه في الأعياد ** من المُكارمة فيه بادٍ
لو شدّ مُعطٍ قيَّدَ الزناتي ** والكُره في عيد النصاري يأتي
القابسي وابن حبيب حَكَمَا ** بذاك، لكن الجزولي حرَّما

---

1 – العوان: سورة البقرة .

2 – الورغمي: المراد به زاو عبد الله بن عرفة الورغمي التونسي (ت 803 هـ).



ورشوة تحرُم ما أهدى الصبي ** كسَعْفهم في مثل عُرسٍ أن أُبِي
إلا إذا العُــرف أباحَ فِـعلَه ** ولم يكن فـيـه كـثـيـر عُطلة
ولا يجــوز أخــذْه بِحــال ** على البَطالة ولا من مــال
آبائهم إلا إذا مـا علمــوا ** كـأكلهم غِـذَاءَهم مـعَـهُم
فـصل وتأديبهم على اليـمين ** بكا لحــرام والطلاق.... (2)
وقــرناء الســوء والتـعـدّي ** والقَذف والسرق وجَرْح العمدِ
والمدحُ للكرم والســخــاءِ ** مع الشـجـاعـة أو الحـيـاء
والذمُّ للطمعِ والتــبــذير ** والحِرص والشُّحّ مع التـقـتـير
وباجـتـهـاد جائزٌ أن يُضربوا ** ويُســتــحب تارة أو يـجب
مــبـاشــراً بنفســه أمـورَهم ** ولا يُوَكِّلْ بعضهم أو غيرهم
وضــربُهم ثلاثٌ أو فــعــشــرُ ** الفاسي (3): ذا إن لم ينَلْهُم زَجْر
وابن أبي زيد على البَطالة ** عشرٌ، ومنه اقتص إن وفى له
والورْغمي (1) أكثرَ من عشرينا ** إن لم يَدَعْ مَن فـاق في السنينا
وقـيل في ذلك يُسـتـشــار ** مَعَ الولي، وهو المخــتــار
أشهَبُ: في الحفظ ثلاثاً ضُربوا ** والسَّبِ ، سبع عشرة إن هَرَبوا
والكُلُّ تحت قـدم لا الظّهـرِ ** والوَجْـه والرأسِ وبطن صـدر
بالسوط ذي اللينِ الرَخِيِّ الرطب ** الورْغمي زاد العصا في الضرب
فَصلٌ مُهِمٌّ: لا يُسَوِّف في قَضا ** حاجاتِهم، وذو الحَيا إن عَرضَا
عليـه ذا مُنبِّهــاً وليَـحْـذر ** مـثل المُراهق عليـهم والجَـري
ومـعَـه تعليمُـهم فـيلتـقى ** كـذا الإناث والذكـورَ فَـرِّقـا

1 – الورغمي: المراد به أبو عبد الله بن عرفة الورغمي التونسي (ت 803 هـ)
2 –غامضة، وصورتها: قد يزين
3 – هو أبو عمران الفاسي (ت 430 هـ)



في ذِمّـةِ الآبا كـراءُ مـوضعِ ** تعليمـهم، وفي المساجد امنَعِ
تستريحُهم في حَذْقة من البدعِ ** بشرطها في العقدِ أوْ عُرفٍ تقع
وسـائر الأيام فـامنعه وقيل ** تسريحُ كـاليومين جاز من قليل
وبالثـلاثة لعـيد الفطر ** قَضَوْا، وفي الأضحى بخمس فادر
سَحنونُ: لا يجـوز فـوق يوم ** في خـتـمـة إلا بإذن القـوم
ولا يجـوز لك مـا به أتَوا ** إلا بشـرط أو بعُـرف قد رَوَوا
كـذاك للطالب والضـيـوف ** أوْ لَهُ لا يُجبَر بالتـخفيف
وحُكْمُ الاحتطاب والسقي كذاك ** وغـيره قـال الجـزُوليُّ بذاك
وإن أتـى لمكتب طعـامُ ** فـما لغـير من به إطعـامُ
لكنْ إذا لـم يك ردُّ الفـضلَة ** لعـادةٍ أجـزْ لغـير أكله
فصلٌ وكُلٌّ ما اعترى الصبيانا ** من جائز الضرب فلا ضمانا
وهو كـالزوج إذا تخـالفـا ** مع زوْجه، القولُ له في المصطفى
وقيل: للأب، ورشْوةُ الصبي ** على التـعلم امنَعَنْ لأشـهَبِ
والعُتَقي، واضربْه إن يأت بمال ** يَرْشي فقط، والغير نَفْيَ ذَيْنِ قال
وفي البيان (1) منعُ خَط العربي ** للكافـرين، فـامتِـهَـانُه أبُي
ولبَني الظُّلاَّم أهل الغَـصبِ ** مَنعُ الحـسـاب واردٌ والكَتْب
والخلفُ في تعَلُّم الصبـيـان ** كـتـابَة الكُفـر لهم قـولان
فـصلٌ ويَلزَم الوَقـارَ الطالبُ ** مع شـيـخـه، فـحـالُه تأدُّبُ
قـالوا: بقـدر مـا يُجلُّه انتـفع ** بعلمـه وإن يُناظرْه اتَّضع
مـعـتـقـدا أهليـة لينتـفع ** فـهُـو أدْنَى لرُسـوخ مـا سَـمعَ
مَنْ لم يَر الخطأ خيـراً من صـواب منه من شـيخه فـهُو مـا أصاب

1 - يعني البيان والتحصيل لابن رشد (الجد).



لذاك كان البعضُ يدعو ربه ** بعد التصدر ليُخفي عيْبَه
ورَضّه ولا تَبُحْ بسِرّ ** ورُدَّ غيبته عند المخبر
فصل وقالوا أجودَ الأوقات ** للحفظ الأسحار، فنصفٌ آت
من النهار، فالغَداةُ، ونفع ** لجائِعٍ أكثرَ من وقت الشِّبَع
والليلُ أكثر من النهار ** وأجودُ المَكان كلُّ عارٍ
عن مُلهيات مثل الإخضرار ** وَمَشْرَع الطرق والأنهار

(انتهى)

إلى هنا انتهى القسم المتعلق بعلم آداب القراءة في أرجوزة الأقنوم، ويليها في الأرجوزة «علم التاريخ، وقد استهل نظمه بقوله بعد العنوان:

علم ملوك المسلمين والدُّوَل     ومَنْ تَوَلَّى بالتوالي وانعزَل

والأرجوزة بتمامها في مصورة استعرتها من بعض المهتمين بالآثار المخطوطة جزاه الله خيراً (1).

26- أرجوزة العمل المطلق لمحمد بن أبي القاسم الزقاق الفاسي

وهي أرجوزة جمع فيها الناظم ما عليه العمل من مسائل الخلاف، بأوسع من أرجوزة العلامة سيدي عبد الرحمن الفاسي الخاصة بعمل فاس (2).

ومما جاء فيها مما تناول فيه بعض قضايا التعليم قوله في باب الإجازة والجعل والكراء واللقطة:

---

1 - المخطوطة المذكورة بمدينة مراكش عند بعض الفقهاء، وقد حصلت على النقل منها عن طريق السيد الطاهر الجريري المقرئ حاليا بمدرسة سيدي الزوين بالحوز المراكشي.

2 - أنظر أرجوزة عمل فاس في المجموع الكبير من المتون: 187-215 .

وجاز أخذ حامل القرآن ** أجرا على التعليم للولدان
وجائز تعليم من لا يُسمَع ** عنه سوى العفاف أي: ويمنع
من يُتَحدث بسوء مطلقا ** عنه، وبعض علمائنا انتقى
تصويبَ منْع العَزب اليوم لما ** يُخشى، عدا الشيخَ الكبير الهَرِما (1)

وقال في الجامع آخر الأرجوزة:

وعملوا قِدْما على إجازة ** كَتْبِهم بالذهب الإجازة
كذا دعا الإمام والجماعة ** إثر الصلاة قُرْبَةٌ وطاعة
وكل داعٍ عند ختمه الدعا ** يمسَح وجهَه بكفَّيه معا
وجاز أن يجتمع القُرَّا على ** كالحزب يقرأونه مُرَتَّلا (2)

## 27- أرجوزة سراج طلاب العلوم للمسّاري

هي أرجوزة مشهورة في المدارس العتيقة والمعاهد الأصلية، يهتم بها طلبة العلم لاشتمالها على آداب الطلب وما ينبغي أن يتصف به طالب العلم من الشمائل والأخلاق الحميدة وعلى دستور الحياة المدرسية والأعراف التي ظلت عبر القرون تجري عليها.

وهي للفقيه الأديب أبي حامد العربي بن عبد الله المسّاري من بني مسارة – بتشديد السين– بالشمال المغربي، نظمها في 220 بيتا، وشرحها الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن المأمون البلغيثي (1282-1348 هـ) (3) وطبع هذا الشرح في جزءين قديما كما وقفت عليه، وهو نادر النسخ في

1 – أرجوزة العمل المطلق لمحمد بن أبي القاسم الزقاق الفاسي: المجموع الكبير من المتون: 275 .
2 – نفسه: 312 .
3 – ترجمته في كتاب التأليف ونهضته بالمغرب لعبد الله الجراري: 62-68 .



أيدي العلماء، ونظرا لوجود الأرجوزة ضمن الشرح أكتفي بهذا التعريف الموجز الذي قدمته مع ذكر مقدمة أرجوزة السراج، وهي قوله:

حـمـدا لمن يَسَّر أنواع العلوم ** تفـضـلا منه لأرباب الفـهـوم
ثم صـلاتنا على خـيـر البشـر ** ما شاع مدحه في الأرض وانتشر
والآل والـصـحـب وكل تـال ** مـا غـرَّد القـمْـريُّ في الآصـال
وبعـد فـالقـصـد بذا المنظوم ** تنبـيـه عين طالب العـلوم
وذاك أنني رأيت الـقَـوْمـا ** في بحـرها لا يحـسنون عَـوْمـا
راموا صلاح الدين من عين الفساد ** وحاولوا النَّفاق من سوق الكَساد (1)
ونقصـوا من بعدمـا قد زادوا ** وسـافـروا ومـا تلاهـم زاد
كـثـر جـهْلُهم وسـاؤوا الأدبا ** على الشـيـوخ ثم رامـوا الطَّلبا
هيـهـات لا يجـتـمع الضـدان ** ولا لـهـم فـي أخـذ ذا يدان
فـتُـقت إذ ذاك لهـذا النظم ** قـصـدي به خـدمـة أهل العلم
سـمـيـتـه سـراج طلاّب العلوم ** تُجْلَى به عنهم حَنادس الوهوم (2)

28- **أرجوزة نكتة المعلمين لمحمد بن عزوز كرضيلو الأسفي**

هي أرجوزة لطيفة في تسعة وتسعين بيتا احتوت على أهم القضايا المتعلقة بالمعلمين، نظم فيها الناظم أهم ما في جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي وغيره.

والناظم أبو عبد الله محمد بن عزوز الآسفي الملقب بكرضيلو الأندلسي الأصل، كان حيا عام 1125 هـ وهو عام نظمه للأرجوزة كما

1 - النَّفاق: بفتح النون - رواج السلعة، والكساد ضده.
2 - حنادس: ظلمات .

ذكره في آخر بيت منها، وكان قاضيا لمدينة آسفي وبلاد عبدة كما ذكره شارح أرجوزته، ثم وقفت على أنه كان حيا عام 1140 هـ (1).

وشارح هذه الأرجوزة هو أبو عبد الله محمد بن أحمد التريكي (ت 1344 هـ) وكان مفتي الصقع وصاحب تآليف محررة (2)، شرحها بكتابه «دلالة المؤدبين على نكتة المعلمين» (3). قال المؤرخ الكانوني: «والقاضي المذكور هو العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز المدعو بابن عزوز قاضي آسفي أواسط القرن الثاني عشر (4).

والأرجوزة في غاية الأهمية من حيث كونها نظما سهلا عذبا من جهة، وهي من جهة أخرى شاملة لأهم القضايا التربوية التي كانت تشغل بال المؤدبين في زمن الناظم وقبله وبعده.

ولندرتها ندرة بالغة رأيت أن أثبت نصها الكامل حسب ما أمكنني اعتمادا على مخطوطة منقولة عن خط المؤلف الناظم لها كما في آخرها بعد آخر بيت منها حيث قال:

---

1 - ذكر الأستاذ الطاهر وعزيز في بحث له بعنوان «صفحات من تاريخ أسفي» نشرته مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط - عدد مزدوج 21-22 بمناسبة مرور أربعين سنة على تأسيس الكلية، وذكر في أوله أن هذه الصفحات مستخلصة من تقاييد الفقيه مولاي عبد السلام بن محمد مولاي الحاج الحسني الإدريسي بمدينة آسفي. وفي ص 248 قال صاحب البحث نقلا عنه: «وقد سمعت هذا ممن أثق به قاله الفقيه سيدي محمد بن عبد العزيز كرضيلو في تأليفه المسمى «إرشاد السائل إلى معرفة القبلة بالدلائل» ثم قال عنه «وعندما صلى في مسجد علي بن يوسف بمراكش عام أربعين ومائة وألف عاين في محرابه.

2 - أنظر كتاب آسفي وما إليه لمحمد بن أحمد العبدي / الكانوني : 129 .

3 - توجد من شرحه مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 12028 وأخرى بالخزانة الصبيحية بسلا تحت رقم 155 .

4- أسفي وما إليه: 158 .



انتهت بحمد الله وحسن عونه وجمال توفيقه، تمت من خط مؤلفها، كتبت بعد ختمها على يد ناظمها عبيد ربه محمد بن عبد العزيز لطف الله به 24 رمضان عام 1125 هـ. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين أمين» (1).

الحمد لله الذي أورثنا ** كتابَه العزيزَ وانتخبنا
حفِظه من كل تبديل كما ** سَهَّل حِفظه لمن تعلّما
فمن إلى تعليمه قد انتصب ** فإنه قد حاز أشرفَ الرُّتَب
وقد رقي درجة عظيمة ** أكْرِم بها من خُطة كريمة
بفضلها أفصحت الأخبار ** عن النبي المصطفى المختارُ (2)
إذ قال خَيْرُكم وذاك مَكرُمة ** من علَّم القرآن أو تعلَّمَه
تعلُّم الصبيان في المكاتب ** لدى الكبار من ذوي المعَايب
يشفع والإكثار في ذا الباب ** يخرجُنا عن مقصد الكِتاب
فهي لمن قد أسبغ الله النِّعم ** عليهمُ المنية تُنهض الهِمَم
لولا المعلمون للصبيان ** لانقرضت رواية القرآن (3)
واندرست رسوم كل عِلم ** فَهي لدين الله أيُّ نظم
فينبغي إلى ذوي الإنصاف ** من المعلمين والإسعاف
أن يعلموا حكمَ الذي قد أقدموا عليه كيما يَسْلَموا ويَغنَموا
وهذا بعض ذاك قد نظمتُه عن علماء الدين قد نقلته

---

1 – انتهى من مخطوطة بخزانة اوقاف أسفي المحفوظة حاليا بالمندوبية الإقليمية التابعة لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهي في مجموع برقم 288 .

2 – في الحاشية كتب بخط دقيق قوله: «مرفوع على القطع – من خط المؤلف».

3 – في المخطوطة: لولا المعلمين، وهوتحريف .

## فـــــــصـــــــل

واعلم بأن صــفــةَ المعلم ** أن يحــفظ القــرآن بالتــعلم

مـــجــودا له بلا تعــسّف ** من غـيـر لحن ظاهر ولا خـفي

ويَعـرِفَ الإظهـار والإدغـامـا ** ونَقْطه والوقـف والأحكامــا

ويُمَنَع الأَعزَبُ في القول الأصحّ ** ومن بشـــرٍّ حــاله قـــد اتَّضح

وكـن أخـي ذا فـطنـة وحِلـم ** وذا ســيــاســة لهم وفـــهم

وفــارغَ البــال من الأشــغـال ** في حـالة الإقـراء بالإسـجال (1)

وهذِّب الأخـلاق كيمـا يقـتدى ** بك، ولازم الـوقـــــار أبدا

وانصح لهم فــإنهم رَعـيـتك ** ولتَـصلحنَّ في الجـمـيع نيـتُك

علِمْــهُم الأدب كــالعــقـائد ** وعلم مــا يَلْزَمُــهم، واجـتـهد

## فـــــــصَـــــــل

وازجُـرهـم بالـوعـدِ والتـقـريع ** إن لم يُفـد فـالضـربُ بالوجـيع

من غير تـأثير بعضو واجتـهد ** فـيـه بقدر الجُـرم للعـشـر وزِد

في اللهو والهَرَب باسـتـشارة ** وليِّـــه، ودعْـــهـــا في الإذاية

وإن يُصـبـه ضـرَر من أجل مـا ** ضــربتـــه برِئْتَ عند العلمـا

إن لم تزد على الذي أباحـــا ** تعـدِّيا أو خطئـا صُــراحـا

واضـرب مُـوَسِّطًا بِسَـرْط واتَّق ** وجــهَـــه والرأس، ولا تعلَّق (2)

وازْجُرْ على تخاذل في الضبطِ ** والكُتْب، واضـرب إن تشـأ بالسـوْطِ

من بعـد قـول ثم توعـيـد، ولا ** تُوَلِّ غـــيــرَك عليـــه، واعــدِلا

---

1 - بالإسجال: بالاتفاق

2 - كتب «واتقي» بالياء وكذا «ولا تعلقي» والصواب ما أثبته، لأن ياءه حذفت للجزم.



واحـذَرْ لأَجْل غـضَب أن تنتـقم **وانصِف من الظالم للذي ظُلم
وليس ذو القوة منهم كالضعيف **وليس ظاهِرُ التعدّي كالعفيف
وخذ بقولِ صادق اللهجة في **مَظالم، ثم الصغير ألّفِ

فصل

واجلِس لهم بعد صلاة الصبح **إلى الضحى العالي، وزد في النُّصح
ومن صلاة الظهر للعصر كفَى **وسَرِّحَنْهم سائر اليوم وفا
وإثرَ كتب اللوْح قل بالثَّبت **يوم الخميس لصباح السَّبت
قد سن ذلك أبو حفص عُمر **فمن أماتها فلا شكَّ افتقرَ
كما دعَا به، ومن أحياها **يكون في الأمة من أغناها
وسرحْنهم يوم عيد الفطر **وبعده يومين ثم النحر
سرِّحْهمُ في يومه وبعدَه **أربعة، فهكذا قد حدَّه
شيخ المشايخ أبو عمرانا (1) **جوزي عنا الخير والإحسانا
إلحق به اليومين بعد المولِد **وبعد عاشوراء نصفَ العَدد
وصاحب الحُلل (2) قال: يمتنع **تسريحُهم لحذْقة فلتستمع
وقيل مهما أذنِ الوليّ في **تسريح الابن جاز ذاك فاعرِف

فصل

مواضع الحذقة خمساً ذكروا **وغيرُها كالحِزب لا يُعتبَر
أولها: إن عَرَف الكتابة **وأخذ الآية بالإنابة

---

1 – أبو عمران: الظاهر أن المراد به أبو عمران الفاسي صاحب التعاليق على المدونة، وقد صرح به الشوشاري في الفوائد الجميلة: 286 والتمنارتي في الفوائد الجمة: 508 .

2 – تقوم أن المراد أبو عمران موسى الزناتي صاحب كتاب حلل المقالة في شرح الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، توفي سنة 708 هـ ودفن بروض العروس بمراكش. أنظر وفيات الونشيريسي 99 ولقط الفرائد لابن القاضي: 167 .

دراهم «شـرعـيـةٌ» ثـمـانـيـة **تجب فـيـهـا، ثم عند الثـانيـة
بسـورة المُلك كـذاكَ فـارتقب **أربعـــةٌ من الدنـانيـــر تجب
وضِـعـفُـهـا بسـورة الفـتح، وفي **مريم باثني عشر احكم تقتف (1)
إن خَـتم القـرآن سـتـةَ عـشـر **وقــيل: إن بقي كــالرُّبع تُقَـرّ
فــــمن براءة رَسَتْ لـلأول **وعكس هـذا تحت هـود فـاعـمَل
فـــإن تنازع المـعـلمَـــان **هـل هي لـلأول أو لـلثَّـــانـيَ؟
ثم الشـــهـيـر والأصحُّ أنهَـا **مـوكـولة للعُـرف فـاعلمنَّهـا
وشـرطهـا أن يقـرأ القـرآنا **في لوح أو في مـصـحف إعـلانا
من غـيـر لحنٍ وبلا تحـريف **وبإقـــامـــة بلا تصـــحـــيف
وقـيل: حـتْـمُـهَا بخـتم مُنجَل **وغـــيـــرهُ تطوُّع من الـولي
وإن تغبْ لحـاجـة قـد تعـرِض **أو تشـتـغل فـخلِّفَن أو تمرَض
وسَـرِّحنْهم إن يكن ذاك يسـيـر **في مرض إن شئت، فـهو لا يضير
بغـيـر إذن الأوليـا، وإن يَطُل **حُطَّ من الأجـــر بمثـل ذاك قُل
ولا يجــوز لك أن تُخْلِفَــــه **بعـد كـمـال الشـرط إن أردتَه

## فـــــصـــل

والشـرط إمـا جُـعْل أو إجـارة **كَـحـذْقـة والعـامِ خـذ إشـارة
فـصـاحِبُ الحذقـة مـا قد قـدَّرا **يَقْبِض إن وَعَى الصبي مـا قـرا
وصـاحب الأُجـرة إن مـضـى الأجل **يأخُـذ حـقَّـه ومـا جـرى العـمل
به وإن لـم يشـتـرطه كـالحطَب **والمِلح والفلس فـــإنه وجب
لكل واحـــد من المشـــترطين **كــحـــذقـــة لمن بأُجْــرة يبين
كـذلك مـا يعطون في الأعـيـاد **والعُــرف جــار به في البــلاد

1 – كتب: تقتفي والصواب حذف الياء على الجواب للأمر.



إن كـان عن إذن الوليّ يُحـمَل ** وإلاّ فـهي رشـوة لا تُقـبل
وإن أراد صاحبُ الأجر الذّهاب ** قـبل تمام أجل له الحِسـاب
وصَدَّقُوا في القَبْض حال العَمل ** مـعلّمـا، والعكس للعكس اجـعَل
والحَلْف قل لطالب قـد أكرمـوا ** وهي على العـمـوم قـالوا تلزَم
ويُجـبِـر الحـاكم كلَّ مَنْ منَع ** أجـر مـعلم بما بـه ارتدع
كـان لـه ولدٌ أولا، إن نـزل ** بموضع به المعلم اسـتـقلّ
وبالضعيف واليتيم والصغير ** فارفُق وَسَوِّ دا الغنى مع الفقير (1)

## فـصـل

ثم الفُـتـوح لدخـول المكتب ** من غير تكليف على أبي الصبي
ليس به بأسٌ، وللتـفـاؤل ** فـاكـتب له بسـملة بالعـسل
في لوحـه وبعـد ذاك يلعَق ** فـهـو لحـفظه الكتـابَ أليق
وينبـغي إدخـاله يوم الأحـد ** في رمـضـان، وهو أول العـدد
مـسـتـتـر الرأس لئلا يلتـقي ** مع البـهـائم تفـاؤلا فَقِ
وقـيل: إن وافى من الأعـوام ** خـمـسا كـما الشـهور والأيام
كذاك ما من نفساء أو عروس ** أتوا به، وشـرطه طيب النفـوس
بدفـعـه، وطلبُ القُـدوم ** وعـدم الأذى لدىَ الـهـجـوم
ثم خـروجـهم مـسـرٌّ حـينا ** في الوقت، ثم إذن الأقـر بينا
ولا أرَى في خـدمـة المُعلم ** إلاّ توفّـر الشـروط فـاعلم

## فـصـل

وكلُّ مـا يوهَب للصـبـيـان ** كـالخـبـز والثـمـار والأغـصـان

---

1 – في المخطوطة: «دا الفنا لمن فقير».



في مكتَب، مُـعلِّمٌ فليـخـتـبـر ** نيـةَ واهب، وعُـرْفـاً يعـتـبـر

فـإن نوى دخـوله فـلا حَـرج ** وإن نوى إخـراجَـه حـتمـا خـرج

قـد كـمُلَ النظمُ بحـمـد اللهِ ** مـصليـا على رسـول الله

وآلِه وصـحـبـه ومَنْ تَبِع ** سنتـه، وكـان غـيـر مـبـتـدع

سـمـيـتـه بنُكتـة المعلمين ** جـعلهـا الله لرب العـالمين

وادعُ لعـبـد مُـعـقل من الخطَا ** يُنيلـه الله الكريم نشَطا (1)

ويجـعل القـرآن فـيـه شـافـعـا ** ويشـرح الصـدرَ لكي يتّـسـعـا

بالدين والعلم وفـهـم الذكـر ** من غـيـر عـجب مـحـبط للأجـر

فـإنه سـبـحـانه قـدير ** وبإجـابة الدعـا جـدير

واسـأل الذي تصـفَّح الكتـاب ** يصلح مـا يَراه في غـيـر صـواب

عليكمـوها مـعـشـر المعلمين ** الناصـحين لصـغـار المسلمين

تُخـرِج من حُكم بِفَـرْط أو شطط ** ومن تصـرُّف بجـهل أو غَلط

وفـقـنـا الله وإياكـم لما ** يحب، فـهْـو خـيـر من تكرَّمـا

أبيـاتهـا ضُـحىً، وكـهً عـامُـهـا ** من بعـد قشّ، فـبـهـا تمامُـهَـا (2)

## 29- القول الوجيز في قمع الزاري على حملة كتاب الله العزيز لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي شيخ الجماعة بفاس (ت 1214 هـ)

كان قصده بهذا الكتاب رد الاعتبار لحملة كتاب الله تعالى ودحض

---

1 - النَّشَط: الفكاك والخلاص من العقال.

2- ضحى = 90+8+1 =99 بيتا وهو عدد أبياتها.

كه = 20+5 = 25

قش = 100+1000 =1100

فتاريخ نظمها = كه + قش = 25+1100=1125 هـ .



ما يشاع عنهم من رقة الدين، وضعف اليقين. وقد استهله بذكر فضائل هذه الطائفة وما جاءت الشريعة المطهرة به في الآيات المحكمات والأحاديث النبوية الصحاح والآثار عن الصحابة والتابعين في شأن منازل حملة القرآن العزيز ومواضعهم من الإنافة والفضل، ومواقعهم من العدالة والنُّبل، كما عمل على دفع اللائمة والمطاعن عنهم معتذراً عما قد يبدر من بعضهم من هفوات، وملتمسا لهم ما ينبغي من المخارج الصحيحة، ومفنِّداً لقول الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي الصوفي ( ت 968 هـ ) (1) في منظومته في بدع عصره حيث يقول عن حملة كتاب الله تعالى أبياته المشهورة:

أمـا الذين يقـرأون القـرآن **فـإنهم على سـبـيل الشـيطان
تركُ الصـلاة عندهم مشـهـور **وإن تكن يفـوتهـا الحـضـور
قد ضيعوا أصول هذا الدين **كضيعة المفروض والمسنون
ما عندهم بالاحتفال معروفْ **إلا الذي أتى بعلم المحذوف (2)

فذكر الشيخ ابن عبد السلام أن الشيخ الهبطي -رحمه الله- لم يقصد التعميم، وأن هذا السيد لم يسلم من غِلطته أحد، سواء في ذلك العامة والخاصة، وأنه لم يقصد تخصيص حملة القرآن، ولا نَقْلَهم عن تعليم كتاب الله إلى تعلم مسائل الفقه كما فهم البعض، إنما أراد نقلهم من الوصم الرفيع، وقد علم الناس حسن نيته وإخلاص طويته فاستجاب له كثير من الناس» (3) فرغ المؤلف من كتابة هذا الكتاب عام 1207 هـ وذلك

---

1 – ترجمته في درة الحجال لابن القاضي: 60/3 ترجمة 975 ودوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني : 7-14 ترجمة 3 .

2– أنظر الأرجوازة مع شرح أبي القاسم بن خجو لها في مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 3156 ك .

3 – أنظر تمام الرد في الكتاب، وهو مخطوط كبير وقفت عليه عند الشيخ محمد السحابي بسلا وتوجد منه مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط برقم 1149 د.

بفاس بعد عودته إليها من رحلته وإقامته بالصويرة إلى أيام المولى سليمان الذي ولي الحكم عام 1206 (1).

**30– رسالة في ما خالف فيه معلمو الصبيان قواعد الأداء وشروط التجويد**

وهي رسالة أيضا للشيخ أبي عبد الله بن عبد السلام الفاسي تعالج بعض تجاوزات المؤدبين في مسائل الأداء وقواعد التجويد، قال في مقدمتها:

«كان الطلبة يسألونني قديما في حياة شيخي –رحمه الله– يعني أبا زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة– فأجبتهم بالجواز، وسألوا شيخنا في ذلك فمنعه، وكان الطالبون يطالبونني بكتب ما لديّ فكنت أنكُص عنه استصغاراً لنفسي عن الولوج في تلك المضايق، وهيبة من شيخي، وكنت طالعت شيخي العلامة المحقق أبا حفص عمر بن عبد الله الفاسي بما لدي في ذلك، فاستصوب رأيي فيه، وثبتني عليه، ثم بعد ذلك عاودني الطلبة في كتابة ذلك فتوقفت، ثم بدا لي أن أكتب، فكتبت لهم في ذلك كتابة طويلة هي بأيديهم» (2).

---

1 – أنظر هذه المعلومات وغيرها عن الشيخ ابن عبد السلام في تاريخ الضعيف الرباطي: 250-261 وقد قام باختصار كتاب القول الوجيز شيخ الجماعة أبو العباس أحمد بن الخياط الزكاري ( ت 1343 هـ) وهو ما يزال كأصله مخطوطا أيضا. أنظر كتاب القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: 150 .

2 – القراء والقراءات بالمغرب: 149 .



## رأى الشيخ ابن عبد السلام في تعليم الأطفال

### قواعد التجويد

ولما تعرض الشيخ ابن عبد السلام لمخارج الخروف، نوّه بوجوب الأخذ بها ولزوم ذلك لمعلمي الصبيان، لأنه من أوكد واجباتهم، فكان مما قال في ذلك مما يتصل بالسياسة التعليمية:

«وليت معلمينا الأولين ابتدأوا بتعليم هذه الحقائق للأطفال عند دفع آبائهم لهم للمعلمين، ولكن أغفلوها، فلا تجد إلا عيياً بإخراج الحرف من مخرجه، أو عاجزا عن الإتيان به متصفا بصفته، فإذا عُونِيَ على تعليم شيء من ذلك بعد الشيب، رأى أنه من فظيع العيب، وجمَد على دائه، ورأى معلمّه ذلك من أكبر أعدائه، فإنا لله وإنا إليه راجعون» (1)

### 31- «كتاب مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان» للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي ( ت 1204 هـ)

كتبه السلطان عام 1203 هـ منتقدا في ما آلت إليه الحال في أوساط طلبة القرآن من عموم الجهل بمبادئ الدين، والاقتصار من التعليم على حفظ القرآن الكريم، وإتقان رسمه وضبطه وبعض علومه، فبدأ بقوله مبينا واجب الآباء نحو الأبناء:

«الحمد لله الذي امتن بالتفقه في الدين على من أراد به خيرا، ومنح من تعلم مُهِمَّ ما عليه وعمل مغنما من السعادة وذُخرا، وأوجب على العباد

---

1 – انظر هذا النقل في كتاب القراء والقراءات بالمغرب: 146-147 .



تعلُّم الضروري من قواعد الإسلام، وأرشد إلى تعلم صغار العلم قبل كباره تدريبا للأنام، وخاطب الآباء خطاب استحباب بتعليم الأولاد. وحث على ذلك ليألفوا الدين قبل البلوغ حث نصح وإرشاد....

وبعد، فلما كان اعتناء غالب طلبة الوقت بحفظ القرآن، والتفنن في قراءته بالروايات، وإهمالهم لما فرض الله على الأعيان، مما يُدان به من علم العبادات والاعتقادات، وإن كان فضل حفظ كتاب الله ما.... حفاظه بين أولياء الله مشهورا. ثم قال:

«وقد طال اختباري ومشافهتي لمشاهير الحفّاظ المسلّم لهم في قراءة المكي والسبع وضبط الرواية والألفاظ، فألفيتُهم جاهلين، وخصوصا أهل البوادي - بأحكام الطهارة والصلوات، لإعراضهم عن تعلم واجب ذلك، وانكبابهم على حفظ طرق الرواة، فكم من إمام منهم لا يعرف ما تصح به الطهارة، ولا مبطلات الصلاة. ولا أحكام السهو وأطواره. وكنت لقيت حال سفري من مكناسة إلى مراكش سنة ثلاث بعد المائتين والألف من الأساتيذ الجم الكثير، وألفيت كل من اختبرت منهم لم يتمسك من علم دينه بقطمير.

حملني ذلك -لما انطوى عليه الفؤاد من حب النصح للمسلمين- أن أجمع لهم مسائل مهمات من علم أمور الدين، قريبة المقاصد، شهيرة الموارد. مقتصرا فيه على الضروري ليسهل حفظه على الصبيان، وهي أيضا نافعة لمن اقتصر عليها في دينه من الشيوخ والكهول والشبان.

هكذا مهد لرسالته في بيان الباعث على التأليف، ثم انتقل إلى المقصود فقال:



مقدمة فيما يتعين على المعلمين الأخذ به في تعليم الصبيان وما يتأكد عليهم من ذلك، وهنا رسم خطة المنهاج الدراسي هكذا:

✓ تعليم الفاتحة وحزب سبح، فإن صعب عليه فليقرئه ربعه الأخير من (والعاديات).

✓ فإذا حفظ ذلك فليعلمه عقيدة الشيخ ابن أبي زيد (1) حتى يحفظها وترسخ في ذهنه، فهي الأصل الأصيل.

✓ البدء بتعليمه أحكام المياه وما يصلح منها للعادة والعبادة.

✓ تعليمه أحكام التيمم وصفته وما يصح به.

✓ تعليمه أحكام الصلاة وفرائضها وسننها ومبطلاتها.

✓ تعليمه الأذان للصلاة.

✓ صلاة المعلم بهم وتعليمهم إتمام أركان الصلاة.

ثم قال:

✓ ويتأكد على المعلم إعادة هذه الأمور على الصبيان وتكرارها حتى ترسخ في أذهانهم، فإن تعليم الشيء في الصغر كالنقش في الحجر، فلا يأتي زمان بلوغهم حتى يجدهم عارفين بما يجب عليهم من أمور دينهم.

✓ ثم على معلم الصبيان أيضا أن يحظّهم على الاستقامة، وأنها تؤدي إلى السلامة ، وأن الاستقامة أصل المنجيات، كما أن عدم الاستقامة أصل المهلكات....

✓ فإذا رسخ ما ذكرناه في عقل الصبي وعلمه بشر المعلم بذلك والده، وأرشده إلى إعمال الختمة (2)، وليشكر الله كثيرا على هذه النعمة.

---

1 – يعني من مقدمة رسالته الفقهية، وهي على مذهب السلف في العقيدة.

2– في بعض النسخ الخطية : «دفعه المعلم لأبيه ليعمل له الختمة».

ثم إن ظهرت فيه نجابة في القراءة، فليتركه يقرأ، وإن لم تكن فيه نجابة في القراءة. فها هو قد تعلم أمور دينه، وبرئت ذمة والده من تِباعة بقائه بجهله، فعليه أن يحترف بالحرفة التي كان والده يتكسَّب منها من تجارة، أو صنعة يد، أو فلاحة لمعاشه، وبالله التوفيق» (1).

ثم أتبع هذا بباب فضل تحفيظ فاتحة القرآن وحزب سبح أو بعضه للصبيان (2).

ثم باب ما يجب اعتقاده من أمور الدين مما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة حسب ما احتوت عليه عقيدة الشيخ ابن أبي زيد (3).

ثم اتبع ذلك بباب أحكام الطهارة، ثم أردفه بأبواب أخرى حتى استوفى أهم أحكام العبادات وسنة العمرة، وختم بما يجب على العبد من التوبة من الذنوب وقضاء التبعات وحفظ الجوارح من المعاصي وترك المحرمات والتحلي بمكارم الأخلاق والإكثار من ذكر الله عز وجل وبذلك ختم:

32- أرجوزة تحفة الولدان لحمد بن عبد الله بن محمد بن سعيد التناني التفكاختي (ت حول 1328 هـ) وأولها قوله:

حمدا لمن علمنا القرآنا ** وألْهَم الأدب والبيانا

أنزله على الرسول المصطفى ** محمد أخير كل من وفى

فهذه منظومة الآداب ** بعون ربي الفاتح الأبواب

والحول والقوة والإرادة ** منه تعالى أرتجي الإفادة

---

1 - مواهب المنان: مقابلة وتصحيح الأستاذ احمد العلوي عبد اللوي - نشر وزارة الأوقاف بالمغرب: 1417 هـ - 1996 - الصفحات: 25-34

2 - نفسه: 35

3 - نفسه: 43



سمّيتها بتحفة الولدان **تُلهمهم من أدب القرآن

وقال عن عددها:

عددها (وَقَعَ)(1) يطلُب الرضا **مِمَّن بهفوة وضعف قد قضى (2)

33- أرجوزة هدية الولدان لمحمد المهدي متجنُّوش الرباطي:

أرجوزة مخطوطة لم أتمكن من الرجوع إليها، وناظمها العلامة محمد المهدي متجنّوش الرباطي (ت 1344 هـ) (3).

ذكرها له الأستاذ عبد الله الجراري، وذكر أن عدد أبياتها تسعة وستون بيتا، ومنها قوله في تسميتها:

فهذه هدية الولدانِ **والفتحُ بعدُ بيد الرحمنِ (4)

34- أرجوزة هدية المؤدِّب لمحمد المهدي متجنُّوش.

هي أيضا لمحمد المهدي متجنوش، وهي أوسع من التي قبلها موضوعا وعدد أبيات، فقد ذكر الأستاذ عبد الله الجراري أيضا أنها تحتوي على ثمانمائة بيت، ضمنها فصولا قيمة وأبوابا تتعلق بصفة حامل القرآن، وشروط المؤدب، وأنه مفتاح العلوم، ودخول الصبي المكتب، وما يأمر به المؤدب الصبيان، وما إلى هذا من الحديث عن (الكُتَّاب) ومتطلباته...» (5).

---

1 - أي: 176 بيتا.

2 - ذكرها له الأستاذ محمد الصالحي في كتابه: المنظومات التعليمية في سوس: 112 العدد: 52 .

3 - توفي رحمه الله في 15 ربيع الأول عام 1344 هـ الموافق لسنة 1925 م.

4 - انظر كتاب التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين لعبد الله الجراري: 268 .

5- نفسه: 269 .

واسمها الكامل: «هدية المؤدب، المبيّنة لأحكام المؤدّب والصبيان في المكتب».
وقد قامت بتحقيقها وإعدادها للنشر الباحثة سعيدة إدريس تفراوتي ونشرتها في مجلة فضاءات تربوية. (1).
وسيأتي لنا ذكر بعض أبياتها عند ذكر عطلة الخميس والجمعة.

## 35- كتاب : أليس الصبح بقريب للعلامة القاضي محمد الطاهر بن عاشور التونسي

هو كتاب في تاريخ التعليم الإسلامي وتقويم الطرق التي كانت متبعة في مراحل التعليم . ووصف التلقين والتدريس ودرجات التعليم ومواضع التعليم وحلقاته ومؤسساته والطرق التي ظلت متبعة في الحواضر والبوادي ثم وصف التعليم في الزيتونة وغيرها بتونس مع محاولات الإصلاح في العصر الحديث وبداية المطالبة بذلك وما اتخذ فيه من خطوات. وقد خص الكتاتيب فيه بفصول ممتعة ومفيدة (2).

## 36- المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي نزيل مدينة تزنيت حاليا

والكتاب كما كتب على غلافه وصف شامل للتعليم الأولي بالمدرسة القرآنية في سوس (نموذج مدرسة إلغ).

والكتاب على صغر حجمه كتاب قيم، وصف فيه مؤلفه حياة المحضرة بكل دقائقها وحقائقها وصفا من الصميم تلمس من خلاله حرارة العاطفة

---

1 - أنظر مجلة فضاءات تربوية التي تصدرها وزارة التربية الوطنية بالرباط: العدد: 2 شهر مارس 1965 ص 232-233 وما بعدها، وانظر إحدى مخطوطاتها بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1984 ك.
2 - طبع ونشر المصرف التونسي للطباعة - تونس: 1967م



وعمق المعايشة ، وما ذلك إلا لأن المؤلف -حفظه الله فيما بلغني عنه- ابن الميدان، وأحد فرسان هذا الشأن المتمرسين به.

ألفه كما قال في طليعته في أواخر عام 1989 م حين التمس علماء المجلس العلمي بتزنيت -كلأهم الله وكثر النفع بهم- من طلبة الإقليم وعلمائه أن يكتب لهم ما تسنّى وتيسر مما تعلق بنظام التعليم في المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية، وما يمت إلى التعليم بأدنى صلة. قال: فأحجمت عن الاقتحام فيما هنالك، لعلمي بوعورة تلك المسالك... وقد قسمه إلى الفصول التالية:

**الفصل الأول:** عادة تأسيس المدارس القرآنية والعلمية لدى القبائل السوسية.

**الفصل الثاني:** توظيف «الطالب» بواسطة «الشرط»

**الفصل الثالث:** كيفية تحضير بعض الأطعمة المعروفة في «إلغ» بسوس وبعض الأواني المستعملة.

**الفصل الرابع:** أسلوب التعليم في المدارس القرآنية.

**الفصل الخامس:** ما تعلق بقراءة الحزب الراتب جماعة.

**الفصل السادس:** فيما تعلق بقراءة القرآن ورسمه.

**الفصل السابع:** العطل والهدايا والتعزيرات.

**خاتمة:** في القراءات وبعض مدارسها (1).

ثم ذكر ملحقا في صفحتين ضمنه ما يعرف عند الطلبة باسم «السطر» وهو ما يخص كلمات السطر المتعلقة بسورة الفاتحة، جعله نموذجا للسطر المستعمل في سائر القرآن.

---

1 - يقع الكتاب في 124 صفحة - نشر مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء.



### 37- كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي (1)

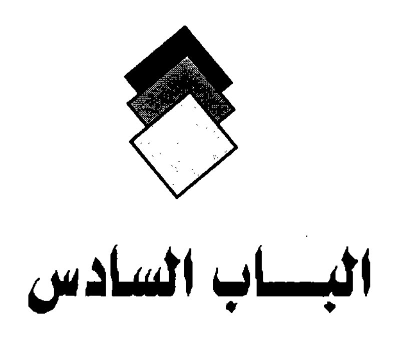
هو وإن كان في موضوع الأنصاص فقد تعرض في الجزء الأول منه لوصف الحياة المحضرية وكثير من أعرافها وأدبياتها، وقد أفادني كثيرا في معرفة بعض هذه الأعراف في القسم الشمالي من البلاد.

1 – طبع عدة مرات في مجلدين.



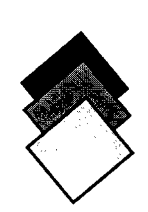
هذه هي أهم المؤلفات من كتب ورسائل وأراجيز وفتاوى مما تضمن نظريات المغاربة في التربية المحضرية، واشتمل على أهم أراء العلماء في قضايا التعليم المختلفة ومشاكله وكل ما يتعلق به، مما يعطي للتاريخ التربوي غنى وزخما خاصا عندنا، ويجسد الكم الهائل والكيف الرفيع الذي أسهم به المنظرون المغاربة قديما وحديثا في بناء مقومات المدرسة التربوية في عموم الأقطار المغربية وفي المغرب الأقصى على وجه الخصوص الذي ورث هذا التراث الثري، واستطاع الحفاظ على كثير من خصائصه ومقوماته إلى اليوم، وقد اكتفيت فيها بالعرض والتعريف الموجز، إلا في متون قليلة أوردتها بتمامها، والغرض ليس الإحاطة والشمول، وإنما التنبيه والتمثيل، وفي إمكان الباحث المتفرغ الحصول على المزيد من الأعمال المغمورة من الكتب والرسائل والفتاوى، مما يصب في هذا المجرى الواسع العريض، وقد اجتزأت بما ذكرته وعذري عند أهل المعرفة بهذا المجال الفسيح أني إنما أسوقه باعتباره معالم هادية تصلح للتمثيل في موضوع كهذا عن حياة (الكتاب) في المغرب في أطواره التاريخية، والأدبيات الزاخرة التي ارتبطت به، وكانت من أزكى ثماره، مما يشكل رصيدا معرفيا زاخراً، وسجلا اجتماعيا وأدبيا حافلا يجسد جوانب من تلك الحياة المحضرية في آفاقها وتقاليدها وأعرافها المرعية. والله من وراء القصد، لا إله غيره ولا رب سواه.

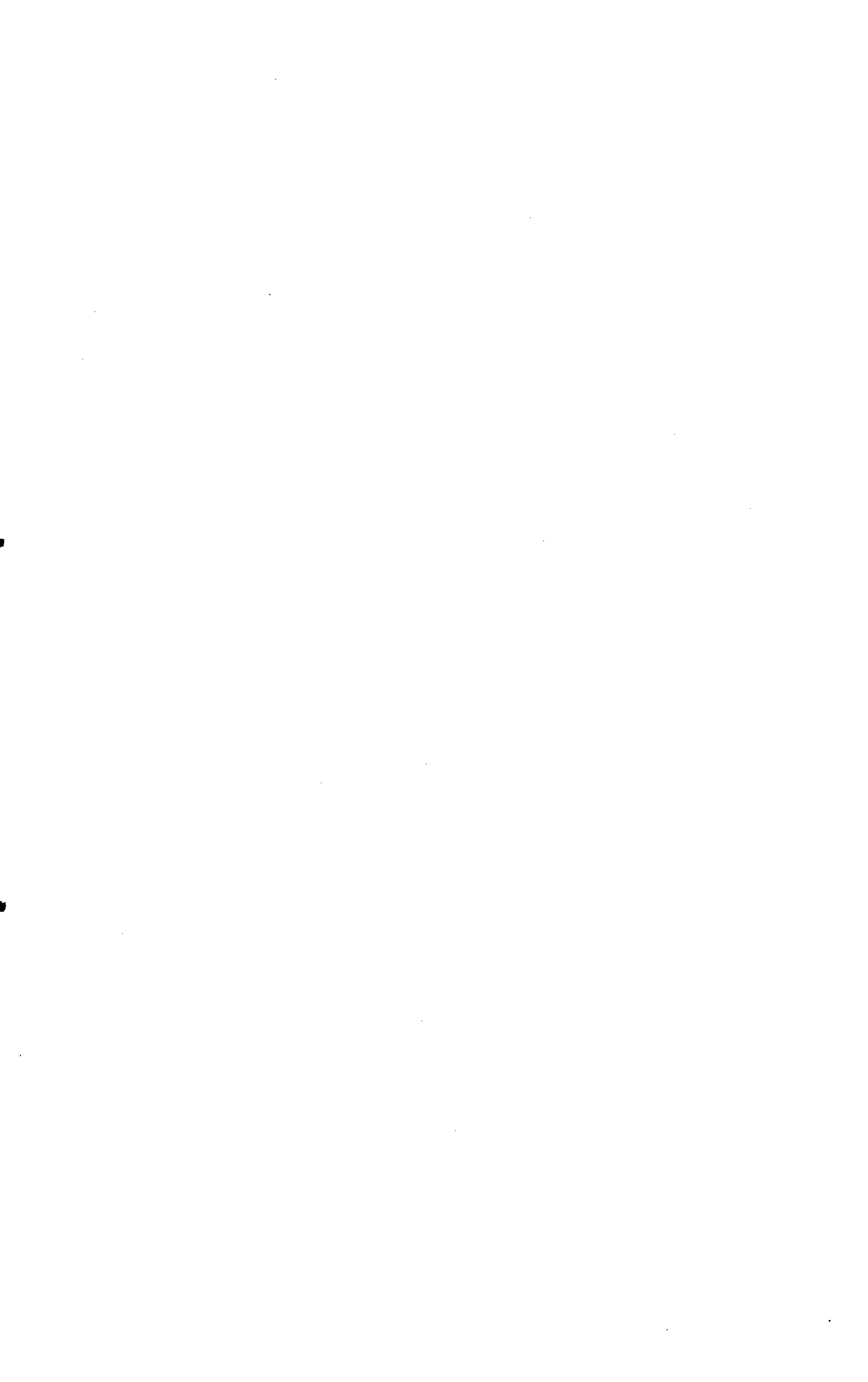




# الباب السادس

## الكتاب والمحضرة
## في الذاكرة والواقع
## ونظام الشرط





# الكتاب والمحضرة في الذاكرة والواقع ونظام الشرط

تصدير للباب:

في خزانة الذكريات عند كل كبير أو صغير عاش أو يعيش مرحلة الطفولة ويعقلُها سيل لا ينقطع مداه من الذكريات الحلوة والأخرى المريرة، وهو غالبا ما يستطيع أن يسترجعها بخياله ويتمثلها في وجدانه بأفراحها وأحزانها كلّما سمع من يحكي ما يشبهها عن نشأته الأولى، أو قرأ في بعض تراجم حياة من تقدموه عن بعض صور تلك المعاناة عند الناشئ الصغير، وهو في مَيعة الصبا ومدارجه.

وفي حياة الناشئ عندنا، وربما إلى يوم الناس هذا -وخاصة في البادية- حدثان بارزان نادرٌ من لا يعقلهما، ومن إذا عقلهما وذكرهما لم ترتفع نبضات قلبه، أما أحدهما فهو يوم ختانه وما كابد فيه من سطوة الخاتن ورهبة منظره وسوء محضره. وأما ثانيهما فهو ولوج الكتّاب، ورؤية طلعة المؤدب المتحفز ودرته الغليظة لأول مرة، وتبلغ المعاناة عند الناشئ ذروتها حين يرى أرحم الراحمين له بالأمس -وهما والداه- يتخليان عنه في هذه الظروف العصيبة، بل يتعاونان مع غرمائه للإيقاع به وتعريضه للمعاناة.

إلا أن الفرق الكبير ما بين هذه المعاناة وتلك، أن الأولى غمرة ثم تنجلي، إذ ينصرف الخاتن إلى طِيَّته وتندمِل الجراح، وأما الثانية فغالبا ما تستطيل وتمتد في حياته حتى تستغرق أحلى أيام الصبا، وربما طرفا من ريعان الفتوة وبواكير الشباب.



ولا يدرك الصغير طبعا ما وراء هذه الممارسات عليه من السعي له، والسهر على تربيته، والقيام بما تفرضه الشريعة الحنيفية نحوه، فتلك قيم عالية ومعان سامية لم يتأهل بعد ليفقهها بعقله الصغير. ولذلك قيل:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ** على ما كان عوّده أبوهُ
وما دان الفتى بحجاً ولكن ** يعوّده التديُّن أقربوه (1)

وقد تأتي عقب المحنة الثانية محنة ثالثة عند طائفة من الناشئة -وأنا كنت من بينهم- عندما يقرر الأبوان الإرسال بولدهما بعيدا عنهما وعن الوكر الذي نشأ فيه إلى محضرة نائية يكون شيخها في الغالب حسب الصدى الذي له في تلك البيئة الجافية أكثر صرامة وأشد على المتعلمين شكيمة وبأسا، ولا يدرك الولد مرة أخرى مقدار رعاية أبويه لمصلحته في هذه النقلة الجديدة التي تقتلعه من مدارج الطفولة ورفاق المحضرة الصغيرة، لتقذف به في نظره بين البعداء البغضاء، وهو لا يحس بما يذوقه الوالدان معه من مرارة مفارقته إيثارا منهما لمصلحته، «فمن المعلوم بداهة أن قلب الأبوين مفطور على محبة الولد، ومتأصل بالمشاعر النفسية، والعواطف الأبوية، لحمايته، والرحمة به، والشفقة عليه، والاهتمام بأمره» (2).

ورحم الله أحد أئمة التربية الإسلامية من فقهائنا، وهو أبو بكر الطرطوشي حين عبّر عن إحساس الأبوين وما يتجرعان من غصص حين يضطران إلى فراق الولد لهما حيث يقول:

---

1 -البيتان دون نسبة في كتاب تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان: 161/1 طبعة دار السلام للطباعة والنشر: ط 2 – حلب – سوريا.

2 – تربية الأولاد في الإسلام: 48/1



لو كـان يدري الإبنُ أيةَ غُـصّـة ** يتــجــرَّع الأَبَوان عند فِـراقـه؟
أمٌّ تَـهِـيجُ بوجـدِه حَـيْـرانَةً ** وأبٌ يَسُحُّ الدمعَ من آمـاقِـهِ
يتـجرَّعان لِبَيْنِهِ غُصَصَ الردى ** وَيَبُـوحُ مـا كـتـمـاه من أشـواقـه
لَرَثى لِأم سُلَّ من أَحشـائهـا ** وبكى لشـيْـخ هـامَ في آفـاقـه
ولبــدَّلَ الخُلُقَ الإِبِيَّ بعطفِـهِ ** وجزاهما بالعطف من أخلاقه (1)

إنها الطريق إلي العلم الشرعي بمفهومه الواسع الرحب، يبتدئ من الكتاب،. فالمحضرة بمراحلها وآفاقها، فالمدرسة لمن أتيح له هذا الشرف بمختلف مستوياتها وشعبها، فحياة التدريس في الغالب الأعم حيث يعود الطالب أدراجه فيترقى بتلامذته على نفس هذه المراقي، ويتدرج في مراتبها معهم لا يكاد اللاحق منهم يحيد عن خُطا السابق، في مسيرة طويلة الدرب، عريقة الأعراف، عمرها مئات السنين، على أنها في عتاقتها هذه وديمومتها على تلك الأعراف والأدبيات، ما تزال تمثل جزءاً من الرصيد الحضاري الأصيل الناصع الذي أنجزته هذه الجهات من العالم العربي والإسلامي، وعبرت من خلاله عن شخصيتها العلمية، وخصوصياتها الثقافية والاجتماعية والحضارية، وحافظت من خلاله على القرآن الكريم.

وقبل أن نستعرض معالم الصورة المؤسسية التي ظل عليها الكتاب المغربي في مستواه الأول، ثم في مستواه الموالي الذي نعتناه بالمحضرة على سبيل التمييز لها عنه من الناحية المرحلية، نرى أن نقف مع القارئ أولا مع مجموعة من المصطلحات الميدانية المستعملة في التسمية الجارية على هذه

1 - تربية الأولاد في الإسلام: 355



المؤسسة، وتسمية المعلمين فيها وألقاب المتعلمين بها والمراسيم والأعراف المرتبطة بذلك في مختلف جهات البلاد، مما يعطينا صورة عن الوحدة الوطنية متمثلة في تماثل التقاليد والأعراف الحضرية في عامة أرجاء الوطن وجهاته الجغرافية كما سوف نلمسه بعون الله.

1 - يعني: للإستراحة أو ما يعرف بالتحريرة لأسباب سيأتي الحديث عنها لاحقا.
2 - آداب المعلمين: 257 .
3 - هي المعروفة بالعواشر وستأتي.



# الفصل الأول

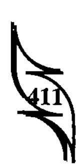
## الكتاب والمحضرة ومرادفاتها والفقيه (الطالب) المشارط

للكتّاب باعتباره مؤسسة شعبية عامة في جميع الأرجاء والحواضر المغربية، وللمحضرة باعتبارها امتداداً له، وللتكتيب والإقراء والتأديب جميعا، قاموس لغوي مصطلحي خاص تتوزعه الجهات، ويستوعب جملة الألقاب والصفات المستعملة في نعته وتسميته وتسمية القائم عليه ووظيفته التعليمية بالنظر إلي جزئية من جزئيات عمله، أو الوصف الغالب عليه.

وقد رأيت من المفيد أن أقف بالقارئ الكريم عند طائفة من الاستعمالات الشائعة عندنا في الحواضر والبوادي، ومنها ما هو مشترك بينها، وما هو مشهور في بعض الجهات ولا يكاد يعرف في غيرها، وأبدأ من ذلك بما لعله أول ما أطلق على هذه المؤسسة، وهو إسم:

1- الكُتّاب:

تقدم لنا في أول فصل من هذا العرض كيف ارتبطت أوليات التعليم القرآني بأوليات الدعوة الإسلامية وكيف جاء التنصيص على القراءة والقلم والتعليم به في أول ما نزل من القرآن بغار حراء، مما يدل على أصالة القراءة وأدواتها في هذا الشأن، وكون القيام بتعلم ذلك وتعليمه من أوكد الواجبات العينية أو الكفائية، ومن ثم فقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».



ولسنا ندري بالتحديد متى ظهرت أول مؤسسة أطلق عليها هذا الإسم، وإن كنا على يقين بأن قيام مثلها في الفترة المكية لم يكن متأتيا ولا وارداً، وذلك لقوة سلطان قريش على البلد الأمين يومئذ، ولذلك فمن الممكن أن يكون أول ما ظهر من ذلك بصفة رسمية، ما كان بعد موقعة بدر الكبرى في السنة الثانية حين وقع في الأسر من وقع من المشركين، «فكان منهم ما لا مال له يقبل منه أن يعلم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلّى سبيله، فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمة الأنصار (1).

ومن المعلوم أن تعليمهم إنما كان خارج المسجد النبوي، لكون هؤلاء الأسرى مشركين، فمن هنا يمكن القول عن مكان جلوسهم لهذا التعليم: إنه أول كتاب رسمي عرف في الإسلام بالمدينة المنورة.

وربما كان عبد الله بن سعيد بن العاص الأموي من أول من بادر بعد هجرته إلى إقامة كتاب رسمي بالمدينة، فقد قدمنا أن رسول الله - ﷺ- «أمره أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسنا» (2).

وقدمنا أيضا أن عبد الله بن أم مكتوم -رضي الله عنه- قدم المدينة مع مصعب بن عمير -رضي الله عنه- بعد بدر بيسير، فنزل «دار القراء» (3).

فدار القراء هذه يمكن أن نطلق عليها اسم أول محضرة تستقبل القراء صغارا وكبارا، كما أنها كانت تقوم بالوظيفتين: الإقراء والتكتيب، وقد تكون هي التي استعملها الأسرى بعد بدر لتعليم الكتابة لغلمان الأنصار، وقد أطلقوا عليها يومئذ «دار القراء» وكانت دار مخرمة بن نوفل» (4).

---

1 - الكامل للمبرد: 154/1 والاكتفا للكلاعي: 84/3

2 - الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر الإصابة لابن حجر: 366/2 .

3 - المدهش لابن الجوزي: 45 وانظر التراتيب الإدارية للكتاني: 56/1 .

4 - الطبقات الكبرى لابن سعد: 150/4 .



وأغرب من هذا كله، وأدل على قدم الاشتغال بالتكتيب وكونه يرجع إلى عهد النبوة، ما جاء من تقدير ما يستحقه على التعليم الأولي من كان يقوم بهذه الوظيفة.

ففي العتيبة في سماع عيسى عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك مرفوعا أن النبي – ﷺ– قدّر لمن يعلم الهجاء ثمانية دراهم، وذكر ما زاد على ذلك من سور القرآن (1). فإن صح هذا الحديث الذي عبر عن كونه مرفوعا، دل على وجود من يتعاطى المهنة لهذا العهد، وقد قدمنا من النقول والأخبار في الفصل الأول ما يدل عليه.

كما أننا سمينا عدداً من الكتاتيب التي كانت بالمدينة، وهي تحمل هذه التسمية، ومنها كتاب عروة، وكتاب إسحاق الأعرج، وكتاب ابن زيان، وكتاب ابن الخصيب، وكتاب النصر، وكتاب أبي ذبان. وكلها ذكرها أبو عمر بن شبة، وحدد مواقعها بالمدينة النبوية (2).

وقدمنا أن علقمة بن أبي علقمة مولى أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– كان له كتاب يعلم فيه العربية... (3).

وتقدم حديث أم سليم –رضي الله عنها– في الصحيح: أنها بعثت إلى معلم الكتاب أن ابعث لي غلمانا ينفشون لي صوفا، ولا تبعث إلي حرا» (4).

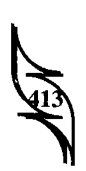
---

1 – أنظر كتاب: أليس الصبح بقريب لمحمد الطاهر بن عاشور: 45 .

2 – تاريخ المدينة المنورة: 1/135-245-53-253-253-1/56-57 .

3 – طبقات ابن سعد: الملحق بالجزء السابع: 342-343 ترجمة : 251 .

4 – صحيح البخاري: كتاب الديات: 4/193 .



فهذه وغيرها كثير، تدل على أن استعمال لفظ «الكُتاب» كان معروفا يومئذ، كما تدل على أن حركة التكتيب أصبحت شائعة منتشرة، ولا سيما بين الأحياء السكنية بالمدينة المنورة.

وقد تقدم في رسالة الإمام سحنون بن سعيد أنَّ أنس بن مالك الأنصاري -رضي الله عنه- حين سئل: كيف كان المؤدبون على عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -رضي الله تعالى عنهم؟ قال أنس:

كان المؤدب له إجّانة، وكل صبي يأتي كل يوم نوبته بماء طاهر، فيصبونه فيها، فيمحون به ألواحهم، قال أنس: ثم يحفرون حفرة في الأرض فيصبون ذلك الماء فيها فينشف (1).

وتقدمت الإشارة إلى الفصل الذي عقده أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (150-255 هـ) في كتاب البيان والتبيين «في ذكر المعلمين» وكيف سمى حشداً كبيراً منهم، وقد استهل هذا الفصل بقوله: ومن أمثال العامة: أحمق من معلم كتاب» وبعده ذكر البيت المشهور الذي يلمز فيه أهل هذه المهنة الشريفة، وهو قول من قال:

وكيف يرجى العقل والرأي عند من ** يروح على أنثى ويغدو على طفل (2)

كما استعمل الجاحظ اسم «كتاتيب» بصيغة الجمع فقال في هذا السياق:

---

1 - رسالة آداب المعلمين: 355 وانظر جامع جوامع الاختصار للمغراوي: 89 .

2 -البيان والتبيين: 245/1 .



«فإن ذهبوا إلى معلمي كتاتيب القرى، فإن لكل قوم حاشية وسفلة، فما هم في ذلك إلا كغيرهم» (1).

وفي نوادر المحدث المشهور سليمان بن مهران الأعمش (ت 148 هـ) أنه جاءه إلى مجلسه رجل نبيل القدر كبير اللحية، فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة، فالتفت الأعمش إلى جلسائه وقال:

أنظروا إليه، لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكُتَّاب» (2).

2- المكتب:

وهو اسم ثان يتنازغ الأولية مع اسم الكتاب، وهما في الإشتقاق من مادة واحدة، وحقيقتهما اللغوية في الاستعمال واحدة، وإن كان بعض اللغويين كالمبرد فرَّق بينهما، قال ابن منظور في مادة كتب:

«وكتَّب الرجلَ وأكتبه إكتاباً: علمه الكِتاب، ورجل مُكتب: له أجزاء تكتب من عنده، والمُكتب: المعلِّم. وقال اللحياني، هو المكتِّب: الذي يعلم الكتاب.

قال الحسن: كان الحجاج مُكتِّبا بالطائف، يعني معلّما، ومنه قيل: عُبَيْد المكتّب، لأنه كان معلما، قال:

والمكتَب: موضع الكُتاب، والمكتب والكُتاب: موضع تعليم الكتّاب، والجمع الكتاتيب.

---

1 - البيان والتبيين: 250/1-251 .

2 - الدكتور صاحب أبو جناح: قراءة الأعمش وخصائص القراءة الكوفية: 74 مجلة المورد العراقية المجلة 17 العدد الرابع: السنة 1988 م.

قال المبرد: المَكتَب: موضع التعليم، والمُكتِب: المعلم، والكُتّاب: الصبيان، قال: ومن جعل الموضع الكُتّاب فقد أخطأ.

وقال ابن الأعرابي: يقال لصبيان المكتب الفرقان أيضا (1) .

وقد تبع المبرد على تخطئة من جعل الموضع الكتّاب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي الأندلسي (ت 577 هـ) فقال في كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان:

«ويقولون: مضينا إلى (الكتّاب) يعنون الموضع، والصواب (المكتب)، فأما (الكُتّاب) فهم الصبيان الذين يكتبون، وهم جمع كاتب، والمكتب -بضم الميم- المعلم، فأما الخطوط التي يكتبها الكُتّاب والصبيان ويعرضونها ليرى أيهم أحسن خطا، فهي: التناشير والتحاسين، لا واحد لها» (2).

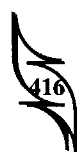
فهكذا تمالأ المبرد وابن هشام اللخمي على القول بتخطئة إطلاق إسم (الكتاب) على الموضع، وعلى أن الصواب فيه (المكتب)، وعندهما أن (الكتاب) هم الصبيان لا الموضع.

والظاهر أنه لا وجه لتخطئة من جعلهما معا الكتاب والمكتب اسما للموضع الذي يتعلم فيه الصبيان الكتابة، ويشهد لذلك الاستعمال في العصر الأول، فقد مر بنا في الفصل الأول من هذا البحث كيف أطلق اسم (كتاب) مضافا على عدد من مواضع التعليم بالمدينة المنورة في زمن الخلافة بها: ككتاب عروة. وكتاب ابن الخصيب، وكتاب النصر، وتقدم قوله في حديث أم سليم -رضي الله عنها- وهي صحابية أنها أرسلت إلى معلم كتاب أن ابعث إلي صبيانا ينفشون لي صوفا» فأضاف في الخبر لفظ

---

1 -لسان العرب: 1/698-699

2 - المدخل إلى تقويم اللسان: 117 .



(كتاب) إلى معلم، ولم تقل: ابعث إلى (كتابا) وإنما صبيانا، وكذلك ما قدمنا من قول غياث بن شبيب من التابعين: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله - ﷺ - يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا ونحن في الكتاب». وذكرنا في خبر الأعمش قوله فيه: «ومسألته مسألة صبيان الكتاب» ومعلوم أن الشيء لا يضاف إلى نفسه، فدل هذا على ثبوت اسم (الكتاب) علما على الموضع المسمى بالمكتب سواء بسواء.

ومن شواهده أيضا في استعمال العلماء والأدباء قول العلامة اللغوي محمدبين علي الهروي في مقدمة شرحه على كتاب الفصيح لأبي العباس ثعلب: «وكنت قد هذبته لبعض أولاد الكتاب» (1).

ومنه ما نقله العلامة الراغب الأصفهاني في كتاب المحاضرات في وصف ثقيل:

أثقلُ من طلعة يوم السبت ** على ابن كُتَّاب بليد هَبْت (2)

ومنه ما نقله ابن عميرة الضبي في بغية الملتمس في ترجمة عقيل بن نصر والحميدي في الجذوة أنه كان شاعرا قديما، وله أغاني جرى فيها مجرى الموصلي (3)، ذكره أحمد بن هشام في كتابه في الشعراء، وذكر شيئا من أخباره وشعره، ومنها أنه حضر مجلسا فيه أحداث من الكُتاب، فاختلف ما بينه وبينهم في شيء من الآداب، إلى أن أفضى بهم إلى السباب، فقال عقيل على البديهة:

قُلِبَ الزمانُ فبان بالآداب ** ومحا رسوم مَحاسن الكُتاب
وأتى بكُتّاب لو استخبرتَهم ** لرددتَهم طُرّاً إلى (الكُتّاب)

---

1 - نقله الشيخ محمد دالطاهر بن عاشور في كتابه: أليس الصبح بقريب: 49 .

2 - الهبْت: الجبان الذاهب العقل. انظر هبت في اللسان: 102/2 .

3 - يعني إسحاق بن إبراهيم الموصلي الأديب المغني البغدادي المشهور في أيام الرشيد.



قال الحميدي في جذوة المقتبس تعليقا على البيتين:

أنشدنيهما بعض الأدباء على غير هذا الوجه ولم يعلم قائلهما، وزاد بيتا ثالثا فقال:

تعس الزمان فقد أتى بِعُجاب ** ومحا رسوم الفضل والآداب

وأتى بكُتّاب لو انبسطت يدي ** فيهم رددتُهم إلى (الكتاب)

لا يعرفون إذا الكتابة فصّلت ** ما بين عنّاب إلى عتاب

قلت: وقد جاءت الأبيات منسوبة إلى ابن بسام البسامي يذم ابن جهور الكاتب، لكن بلفظ:

تَبّاً لدهر قد أتى بعُجاب ** ومحا فنون العلم والآداب

وأتى بكتاب لو انبسطت يدي ** فيهم رددتُهم إلى (الكتاب)

أو ما ترى أسد بن جَهْور قد غدا ** متحليا بأجلّة الكتاب (1)

وفي تنويه الشاعر ابن شخيص الأندلسي بما أحدثه الخليفة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر من المكاتب حول جامع قرطبة يقول:

وساحةُ المسجد الأعلى مكللة ** مكاتبا لليتامى في نواحيها

لو مُكْنت سور القرآن من كَلم ** نادتك يا خير تاليها وراعيها (2)

وفي خبر لأبي عمرو الداني في شرحه على القصيدة الخاقانية في التجويد روى بسنده عن أبي يوسف الأعشى أنه سأل المقرئ المحدث أبا بكر شعبة بن عياش صاحب رواية عاصم: منذ كم أخذت في هذا الخير:؟ قال:

---

1 - انظر المدرسة الأولى: 14 .

2 -البيان المغرب لابن عذارى: 240-241 .



كنت إلى أربع عشرة سنة في (الكُتاب) وسبع سنين فيما يكون فيه الأحداث تعرف وتُنكِر، فلما أتت علي إحدى وعشرون سنة أتيت عاصما فأخذت عنه القرآن (1).

وفي كتاب أصول الضبط بذيل كتاب التنزيل في رسم المصاحف لأبي داود سليمان بن نجاح صاحب أبي عمرو الداني ذكر مصطلح الشكل والنقط فقال:

«والشكل في المصحف أسرع إلى فهم المبتدئ، لأنه هو الذي عرف قبل، وبه يعلم أولا في (المكتب)، والشكل المدور (2): الذي يضبط به الصبيان ألواحهم ويتعلمونه في (المكتب) (3).

✓ وقال ابن رشد في المقدمات الممهدات في كتاب الغصب:

«فإن كان الغاصب صغيرا لم يبلغ الحلم سقط عنه الأدب الواجب لحق الله تعالى:... وقد قيل: إن الإمام يؤدبه كما يؤدب الصغير في (المكتب) (4).

✓ وقال أبو محمد الحريري في درة الغواص مستعملا جمع (المكاتب) عند ذكر لحن العامة في صفة جمادى الأولى بقولهم «الأولة»:

«والعجب أنهم في حال صغرهم ومبدإ تعلمهم في (مكاتبهم) يقولون جمادى الأولى، فيلفظون بالصحيح، فإذا نَبَلُوا ونَبُهوا أتوا باللحن القبيح» (5).

✓ وقال أبو حيان الغرناطي في مقدمة تفسيره «البحر المحيط» وأبنى أول التفسير على قراءة ورش، لأنها هي القراءة التي ننشأ عليها ببلادنا ونتعلمها أولا في (الكتاب) (6).

---

1- شرح القصيدة الخاقانية: 165/2 .

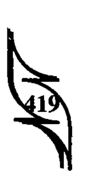
2 - هوالشكل بواسطة نقط كبيرة توضع فوق الحرف في حالة النصب مكان الفتحة وتحته مكان الكسرة وأمامه مكان الضمة وتكرر عند التنوين على الصفة نفسها، ويسمى نقط الإعراب لأنه لنقط أواخر الكلم فقط اجتنابا للحن، ينظر في هذا كلام أبي عمر الداني في كتابه المحكم في نقط المصاحف: 34-35-36 .

3 - كتاب أصول الضبط لأبي داود سليمان بن نجاح المؤيدي: 4-5 .

4 - المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات: 490/2 .

5 - درة الغواص للحريري: 465 .

6 - البحر المحيط: 1/1 .



3- المسيد:

واسم (المسيد) أيضا اسم مرادف للكتاب والمكتب في مدلوله اللغوي عند العوام في المغرب، ولا سيما في الحواضر الشمالية، وهو تحريف شعبي لاسم (المسجد) بإبدال الجيم ياء ثم حذفها تخفيفا (1).

وقد كنت أظن هذا تحريفا حديث العهد، وأنه مقصور على قبائل الشمال المغربي، حتى وجدت الإمام الزركشي (745-794 هـ) يقول في كتابه: إعلام المساجد بأحكام المساجد:

«قال في الصحاح: والمسجد بالفتح: جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، وقال أبو حفص الصقلي في كتاب تثقيف اللسان (ت 515 هـ ) (2).

ويقال (مَسيد) بفتح الميم، حكاه غير واحد» قال الزركشي: فتحصلنا فيه على ثلاث لغات، يعني: مسجد بفتح الجيم وكسرها، ومسيد بالياء آخر الحروف (3):

وقال الزبيدي في تاج العروس: «ومسيد: لغة في مسجد، ذكره الزركشي قال شيخنا: والظاهر أنه مولَّد» (4).

وفي المعيار للونشريسي ( ت 914 هـ) في فتوى حول ما يأخذه المعلم من أولاد المرتشين والمكّاسين وأضرابهم، هل يؤجر على التصدق به أو تركه ورده على أربابه، ويخرجهم من (مسيده) أم لا؟ (5).

---

1 - أنظر كتاب المغراوي وفكره التربوي وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي في الصفحة: 86 .
2 - كتاب تثقيف اللسان لابن القطاع علي بن جعفر السعدي الصقلي. وهو مطبوع.
3 - أنظر إعلام الساجد: 26-27 .
4 - أنظر تعليق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي إعلام الساجد بالهامش 1 ص 27 .
5 - المعيار: 58/12 .



هكذا جاء ذكره بالياء على هذه اللغة المشهورة الآن في جميع أنحاء الشمال المغربي.

وذكر بعض الباحثين وجود اختلاف في المفهوم بين لفظ مسجد بالجيم ومسيد بالياء من حيث الاستعمال فقال: «وكلمة (مسجد) في المغرب تعني: مكان التعبد، وكلمة (مسيد) تعني: (الكتاتيب القرآنية) (1).

بينما ذكر غيره أن اسم (المسيد) قد يطلق على مسجد الحي الذي يصلي فيه أهله، ولو لم يكن فيه تعليم الصبيان، لكنه عاد فقال: إنه في كثير منها اختصت كلمة (المسيد) بالحجرة التي تخصص لإقامة الفقيه المعلم أو الطلبة الراتبين» (2).

وعبر آخر عن أسفه فقال: كان أبناؤنا لا يفارقون (المسيد) أو (الكتاب) وهم يتابعون دروسهم في المدارس العصرية يحفظون القرآن الكريم، فلماذا أهلمت الكتاتيب؟ ولماذا زهد الناس في الكُتاب ورسالته؟» (3).

فهكذا جعل (المسيد) و(الكتاب) مترادفين على نفس المعنى في مقابل (المدارس العصرية).

وينقل بعض الباحثين عن رسالة لابن عبدون في موضوع الحسبة ما يقتضي قدم استعمال هذا الاسم فقال في الحديث عن التعليم على عهد المرابطين:

«إذ كانوا يرسلون أبناءهم إلى (الكتاب) الذي يسمونه ب (المحضرة) أو الحضار) أو (المسيد) (4).

---

1 - كتاب مساجد مراكش لاحمد متفكر: 13 الطبعة: 2 .

2 - أنظر كتاب أعلام المغرب العربي للأستاذ عبد الوهاب بن منصور: 55/2 .

3 - الأستاذ أحمد البوشيخي في بحث له بدعوة الحق العدد: 362 ص 40 .

4 - أنظر الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش في معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين المنشور بدعوة الحق: العدد: 259 - محرم - صفر 1407 شتنبر - أكتوبر 1986 ص 92 .

ومن الأدبيات الشعبية في عصرنا مما ذكر فيه اسم (المسيد) بهذا اللفظ الشعبي قول بعض الزجّالين في قطعة شعرية:

واشْ نْسـيتْ نسْـمـةْ البـلاد ** حـتى (المسـيـد) فين قْـرينا
نْسـيـتْ الدارْ وجَنَبْ الوادْ ** أنتَ رْحَلْتْ وَحْنَا بْقـينا (1)

ويظهر من المعاينة لبعض مساجدنا العتيقة وجود تمايز بالفعل بين عمل المسجد - بالجيم - والمسيد - بالياء-، ولذلك نجد في وصف أقسام بعض المساجد كمسجد المواسين الذي يعرف قديما بمسجد الأشراف أو الشرفاء مدينة مراكش أنه: «يحتوي على سقاية، وميضأة واسعة، وحمام (وكُتاب) ومسكن للقائمين على شؤون هذا المسجد الجامع» (2).

وكمسجد الوسطى بقاعة ابن ناهض بمراكش الذي أسسه الوزير عليش في 17 ربيع الثاني سنة 945 هـ في عهد السعديين: أنه يشتمل على جميع مرافق المسجد «وأمام المسجد سقاية، وبجانبها كتاب قرآني لتحفيظ القرآن الكريم» (3).

وفي مدينة الرباط وسلا وفاس عدد من المساجد الصغيرة في الدروب تشتمل على كتاتيب صغيرة ما يزال عدد وفير منها يقوم بعمله إلى اليوم.

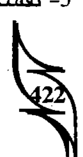
ويذكر الأستاذ سعيد أعراب في كتابه القرآن والقراءات بالمغرب ما يدل على أن الكتاب والمسيد مؤسسة واحدة، وأن وظيفة هذه المؤسسة قد تكون مزدوجة. ويقرر أن «الكتاب القرآني (المسيد) يعتبر النواة الأولى

---

1 - ديوان سنابل الخريف لمحمد بريكي بلقايد: 66 الطبعة 2005:2 م

2 - مساجد مراكش للأستاذ أحمد متفكر: 89 .

3- نفسه: 105 .



للمدرسة القرآنية (المحضرة)، وهو بيت متواضع يتسع لعدد من الصبيان، يشرف عليه معلم قارئ حافظ، يتخذ التعليم حرفة ومكسبا، وكان الآباء ينتقون لأبنائهم خيرة المعلمين، ليكونوا لهم القدوة الحسنة، ويشارطونهم على أجر معلوم مسانهة في الغالب، والكتاب له منهج خاص، وبرنامج محدد» (1).

4- المحضرة:

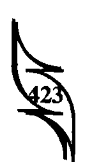
وهي اسم مرداف لاسم الكتاب والمكتب والمسيد في عرف الكثيرين، وخاصة في الاستعمال القديم، وهي اسم المكان من الحضور بفتح الميم والضاد، ويطلق عليه في الجنوب المغربي (الحضار) ويكون في العادة قسما من (الجامع)، إلا أنه يختص بتعليم المبتدئين والصبيان دون الطلبة الكبار. وفي (المحضرة) عادة يكون مجلس (الفقيه) المؤدب، وهو دكّة خاصة عليها (هيدورته) وأدواته وكتبه التي يستعملها عند الحاجة.

ويطلق اسم (المحضرة) في الجنوب المغربي على الصبيان وواحدهم «محضار» أو «محاضري» ويجمع على «المحاضر» أو (المحاضرية) وفي لسان أهل سوس «إيمحضارن».

وللمحضرة في العرف استقلال عن المسجد، فالمسجد في أكثر الأحوال إنما يبنى للصلوات ، لكن ظروف البادية وبعض الحواضر قد اقتضت في الغالب استعمال المساجد للوظيفتين: الصلاة والتعليم معا:

---

1 - القرآن والقراءات بالمغرب: 10 .



وقد ثارت بسبب هذه الإزدواجية مشاكل كثيرة منذ القديم اقتضت العمل على فصل (المحاضر) عن المساجد كما قدمنا احتياطا على نظافتها ودفعا للتشويش على المصلين.

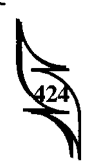
وفي المعيار للونشريسي ما يقتضي أن بعض هذه (المحاضر) كان له وجود مستقل عن المساجد ، وكان على بعضها أحباس تابعة لها يستفيد منها المؤدبون من الأئمة.

فقد سئل القاضي أبو عمرو بن منظور (ت 735 هـ)[1] عن إمام مسجد وأضيف لذلك المسجد المذكور (محضرة) يقرئ فيها الأولاد، وصدر أمر مولانا السلطان بدرهمين في اليوم، ليتقوى راتب ذلك المسجد، فانفتحت فوقها (محضرة) ثانية، فتفرقت الأولاد ونفَرت، أفيجوز له أن يؤاجر على ولدين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر أو يتركها ؟ فأجاب: يجوز للمؤذن أن يبقى في (محضرته) يقرئ كتاب الله تعالى، وإن لم يبق من الأولاد إلا واحد أو اثنان، ويأخذ ما عيّن له السلطان... (2).

ومن إطلاق اسم «المحضرة» على صبيان الكتاب نقف على استعمال قديم يرجع إلى القرن السابع الهجري. يقول المؤرخ ابن عذاري المراكشي في حديثه عن مآثر أبي القاسم محمد العزفي أمير سبتة واحتفاله بالمولد النبوي من أول ربيع بعد إمارته عام 648 هـ:

---

1 – هو أبو عمرو عثمان بن محمد بن يحيى بن محمد بن منظور الإشبيلي أحد بيوت النباهة بالأندلس. قال أبو الحسن النباهي في المرقبة العليا:
«ومن القضاة بمالقة أيام ابن بكر بغرناطة شيخنا أبو عمرو عثمان بن محمد.. كان صدرا في علماء بلده، أستاذا ممتعا من أهل النظر والتحقيق، لازم الأستاذ أبا محمد الباهلي يعني ابن أبي السداد شارح التيسير – وانتفع به، وولي القضاء بآش وغيرها، وتوفي سنة 735 هـ أنظر تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا) لأبي الحسن النباهي: 147 .
2 – المعيار المعرب: 156/7 .



«ومن مـآثاره العظام قيامه بمولد النبي -عليه السلام- من هذا العام، فيُطعم فـيه أهل بلده ألوان الطعام، ويؤثر على أولادهم ليلة المولد السعيد، بالصرف الجديد، من جملة الإحسان عليهم والإنعام، وذلك لأجل ما يطلقون (المحـاضـر) والصنائع والحـوانيت يمشـون في الأزقـة يصلون على النبي عليهم السلام» (1).

ومن الإطلاق الشائع بمعنى (الكتاب) ما ذكره الرحالة ابن جبير الأندلسي في رحلته حيث قال عن مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي وهو يحكي عنه في طريقه إلى الحج سنة 578 هـ «ومن مـآثره الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة، أنه أمرَ بعمارة (محاضر) ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة، وتجري عليهم الجراية الكافية لهم» (2).

**5 - الحضار:**

وهو الاسم الشائع في الجنوب المغربي حتى في بعض المدن كمراكش والصويرة إلى اليوم. وفي داخل مسجد «البير الفائض» ببادية الصويرة حيث قرأت أربع ختمات من القرآن الكريم كنا ونحن في الطور الأول من تعلّمنا نتعلم داحل (الحضار) مع من هم في مثل عمرنا أو من هم دوننا، في حين يخصص باقي المسجد (الجامع) لمن هم أكبر سناً من المتعلمين فوق العاشرة من العمر.

---

1 - البيان المغرب لابن عذاري -قسم الموحدين - 398.
2 - رحلة ابن جبير: 24 .



ومن الأمثال الشعبية الشائعة حتى اليوم: «إذا خفت عنك عايشة في الدار فانظر إلى أخيها في (الحضار)» يقال ذلك لمن أحب أن يخطب ويتزوج ويتعذر عليه النظر إلى العروس (1)، واستعمال (الحضار) بهذا المعنى يرجع إلى القرون الإسلامية الأولى. فقد قدمنا في خبر ابن حيان مؤرخ الأندلس في المائة الرابعة في حديثه عن تعيين مؤدب رسمي لولي العهد: هشام بن الحكم المستنصر (ت 366 هـ) حيث قال كما قدمنا عند حديثنا عن التكتيب في الأندلس: «وعهد بإقامة علوفة للأمير محددة العدد موصوفة الأطعمة، تقدم إليه وإلى من معه من صبيانه كل يوم بموضع (حِضَارِه) ذلك» (2).

وذكرنا سابقا أيضا فتوى أبي عمران الفاسي (ت 430 هـ) في شأن من يعقد «الحضار»؟ ونصها كما نقلها الشوشاوي وغيره عن كتاب التعاليق على المدونة لأبي عمران الفاسي المذكور:

«وأما من الذي يعقد (الحضار)(3) من أهل الموضع؟ فقال أبو عمران الفاسي في التعاليق: الذي يعقد (الحضار) هو السلطان أو القاضي أو جماعة من الناس..» (4).

1 - كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي: 25/1 .

2 - المقتبس لابن حيان: 76-77 .

3 - كتبت في الفوائد الجميلة للشوشاوي «الإحضار» وقال محققه: والصواب الإحضار من أحضر لا الحضار من حضر كما في بعض النسخ (هامش التحقيق: 291).

4 - الفوائد الجميلة: 291 ويحتمل أن يكون (الحضار) هنا بمعنى (الشرط) أو المشارطة، وقد جاء اللفظ بهذا المدلول عند أبي زيد التمنارتي في الفوائد الجمة: ص 503 فقال: جوابكم في مسائل من الحضار». قال محقق كتابه الأستاذ اليزيد الراضي: «الحضار: تعني هذه الكملة في اللهجة السوسية: المشارطة في المساجد، وتطلق أيضا على المكان الذي يدرس فيه إمام المسجد التلاميذ، والمعنى الأول هو المراد هنا».

وجاء استعمال (المحضرة) و(الحضار) في سياق واحد يدل على ترادف اسميهما على مسمى واحد، ففي فقرة من رسالة محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي (1) يرد الاسمان معا في قوله:

«ويجب على الحاكم والقاضي إذا رأيا مؤدبا يكثر من الإقبال إليهما في الشهادات أن يسألاه عن (الحضار)، فإن كان صاحب (محضرة) فلا تقبل شهادته، لأنه إنما يطلب الظهور، وأن يتّسِم باسم العدالة ليرتشي، أو تودع عنده الودائع وينالَ رفعة الذكر والشهرة في الخير، وهو عنهما بعيد، فإن لم تكن عنده (محضرة) وعُرف خيره، وسمع القاضي حسن الثناء عليه قبله» (2).

ولأهل الصحراء استعمال لاسم (المحضرة) غير الاستعمال المعهود في الجهات الداخلية من المغرب، فهي تعني عندهم درجة أعلى من مستوى التعليم الأولي. يقول العلامة الصحراوي محمد سالم بن عبد الودود من علماء شنقيط:

«كانت (المحضرة) تمثل أعلى درجات التعليم، ولذا يخطئ كل الخطإ من يقيسها بالكتاب، فالكُتاب في البلاد العربية مرحلة ابتدائية جداً من التعليم الموريتاني، مرحلة الطفل عندما يكون مع والدته أو جدته أو عمته التي تعلمه مبادئ القراءة والكتابة» (3).

---

1 - رسالة ابن عبدون التجيبي في تأديب الأطفال عني بنشرها ليفي بروفنصال في المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة سنة 1955 م وكانت قد نشرت قبل ذلك في مجلة (جورنال أسياتيك) عدد أبريل - يونيه: 1934 م. أنظر الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه: أبو العباس المغراوي وآراؤه التربوية: 118 .

2 - فقرة من رسالة ابن عبدون، نقلها الدكتور التازي في كتابه: 118-119 .

3 - بلاد شنقيط - المنارة والرباط للخليل النحوي: 170 .



ويعقب الشيخ الخليل النحوي عليه فيقول:

«وهكذا يمر الطالب بمرحلة ابتدائية تحضيرية تعده لدخول (المحضرة)، ويبدأ الطالب طريقه إلى (المحضرة) عندما يكمل أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام، أو إذا بلغ خمس سنين (عادات مختلفة) أو بمجرد ما يلمس فيه أهله الأهلية للدراسة» (1).

ومما يجدر التنبيه عليه هنا، أن علماء شنقيط قد جرى بينهم اختلاف في ضاد المحضرة، أهي مشتقة من الحضور (2) فتكون الضاد فيها غير مشالة، أم من الحظر بمعنى المنع والحبس، أو الحظيرة التي تحبس فيها الماشية كالغنم والإبل فتكون ضادها ظاء مشالة (3).

وقد بحث العلامة الخليل النحوي هذه المسألة فأشار إلى ما وقع عندهم من الخلاف وقال: «يقول أحمد بن حميد في (المحضرة) من الناحية اللغوية: لا يستبعد أن يكون اسمها مأخوذا من (الحضيرة) وما هو يُحرز به على المال».

ويرى محمد سالم بن عبد الودود أنها ضادية، فهي (مكان الحضور) قال:

ويشهد لذلك ورود الكلمة بالضاد دالة على المعنى نفسه أو معنى قريب منه في نصوص قديمة، يقول لبيد من شعراء المعلقات:

---

1 - نفسه: 170 .

2 - رجه الدكتور الأستاذ محمد بن شريفة أن سبب تسمية الكتاب بالمحضرة: لحضور التلاميذ إليه، أو لكونه يحضرهم ويهيئهم للتعليم المتوسط أو العالي». أنظر الترجالي وأمثال العوام: تحقيق د. محمد بن شريفة: ص 1 – ص 231 .

3- بلاد شنقيط : 61-62 .

أقــوى وأقــفــرَ واسطٌ فــيُــرام ** من أهله فــصــوائف فــحــزام (1)
فـــالواديان وكل مـــغنى منهمُ ** وعلى المياه مـحــاضِـر وخـيـام

قال: والمقصود بالمحاضر هنا المناهل يحضرها الناس ويجتمعون حولها .. ثم ذكر شواهد أخرى من كتب الرحلات التاريخية والفتاوي الفقهية ترجح اشتقاق المحضرة من الحضور لا من الحظر أو الحظيرة، وأنها بالضاد لا بالظاء المشالة (2).

5- الحَضْرة:

هو إسم للمحضرة أيضا في القطر الجزائري، وهو يدل على أن اشتقاق المحضرة من الحضور، لأن الحضرة معروفة في الاستعمال بمعنى المجلس والمكان والمنزل.

وقد وقفت على استعمالها بهذا المعنى للدلالة على موضع التعليم ومفسرة بذك في بحث للأستاذ أنور الجندي تحدث فيه عن كتاب الصحافة في المغرب العربي، فقال وهو يتحدث عن الصحفي المدعو: أبو اليقظان إبراهيم من الجزائر:

---

1 - هكذا أورد البيت وقال فيه «أقوى وأقفر»، وقال: «فيرام» بالياء المثناة، وقال «فصوائف» بالفاء، وقال «فحزام» بالحاء المهملة. ويظهر أنها تصحيفات متعددة، والصواب فيها ما ذكره ابن منظور في اللسان في مادة «برم»، بالباء الموحدة حيث قال: وبَرام وبِرام موضع،

قال لبيد: أقــوى فــعُــرّيَ واسط فــبــرام ** من أهله فــصُــوائق فــخــزام

فقال فيه: أقوى فَعَرِّي، وقال فبرام بالموحدة، وقالك فصُوائق بالقاف وفخزام بالخاء المعجمة (اللسان: 45/12 ) و أعاد الشاهد في مادة «خزم»، فقال: وخزام: موضع (اللسان: 178/12) وذكره في مادة حضر فقال فيه «أقوى وعرّي» وذكر باقي اللفظ كما تقدم وقال: وهؤلاء قوم حضار إذا حضروا المياه، ومحاضر قال لبيد: فالواديان وكل.... وذكر البيت، قال ابن بري: هو مرفوع بالعطف على بيت وهو: «أقوى وعري واسط فبرام.... قال: وبعده:

عــهــدي بهــا الحي الجــمــيع وفــيــهم ** قبل التفرق مَيْسر وندام (اللسان: (198/4)

2 - بلاد شنقيط: 61-62 .



«وبعد أن تعلم القراءة والكتابة على بعض معلمي الصبيان في (الحضرة) وهي (الكتاب) في عُرفنا. وبعد أن حفظ القرآن الكريم عرضه عن ظهر قلب عام 1323 هـ وعمره إذ ذاك سبعة عشر ربيعا إثر عرضه القرآن ودخوله:

7- دار التلاميذ:

وهي مرتبة لا تخول عندنا إلا لمن حفظ القرآن وعرضه على إمام المسجد، إثر هذا أخذ في تعلم الفنون من نحو وصرف وفقه وتوحيد وأخلاق» (1).

8- المعمرة:

وهي على وزن المحضرة وفي معناها وتجمع على معامر، وقد ذكر صاحب الأنصاص القرآنية أنها «عبارة عن غرفة متواضعة يقيمها سكان القرية بإمكانياتهم الخاصة. قال: وتسمى في مناطق أخرى باسم (المحضرة) بفتح الميم والضاد من الحضور (2).

ويتحدث هذا الباحث بنوع من التأسف عن (المعمرة) وكيف فقدت مكانتها في الحواضر: «فالطفل في المدينة يبعث إلى (المسيد) في سن ما قبل التمدرس حوالي السنة الرابعة من عمره، ليس من أجل تعليم القراءة والكتابة وحفظ بعض السور القرآنية، وإنما بالدرجة الأولى لأنه أصبح يشكل مصدر الشغب بالنسبة لأبويْه في المنزل، ورغم قضائه ما يقرب من سنتين في (المسيد) فإن هذه المدة ليست كافية لاكتساب مناعة إسلامية

1 - كتاب الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا لأنور الجندي: 212 (الدار القومية للنشر: 1385-1965)
2 - الأنصاص القرآنية: 25/1 .



كافية تحمي الطفل حينما يتعرض للزلازل النفسية والاجتماعية الخطيرة التي قد تصادفه في حياته المستقبلية، لكنه -أي الباحث- ينوه بدورها إلى الآن في البادية المغربية فيقول:

«وفي البادية ما زالت (المعمرة) هي المؤسسة الشعبية الوحيدة التي تخفف وطأة التعليم عن الدولة، فكل قرية أو مجموعة سكنية لابد من أن تجتمع حول النواة الروحية المتمثلة في المسجد والمصحوب (بكتّاب) لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم» (1).

ومنذ أكثر من ثلاثة عقود بمناسبة إنشاء دار القرآن بمسجد حسان بالرباط يقول أحد علمائنا: يذكر هذه (المعمرة) بهذا الاسم ويعرب عن أسفه للمصير الفاجع الذي أمسى يتهددها بفعل مزاحمة المدارس: العصرية التي أسس الكثير منها بجوار الجوامع التي كانت معمورة بالصغار فيقول:

«فهذه (الكتاتيب) التي كانت تحتضن الآلاف المؤلفة من حفظة القرآن الكريم، أصبحت خرابا بَلْقَعاً ينعِق فيها الغراب، بعد أن كانت تتلى فيها آيات الرحمن ليلا ونهارا. فكيف يرتفع عدد التلاميذ الحافظون للقرآن إذا لم تعد (المعمرة) إلى سابق عهدها، وعزها وغابر مجدها؟ وقد كانت مثوى التربية الإسلامية لقربها من المسجد، ولاتصال أطفالها بالعبادة» (2).

9- الجامع:

هو في الأصل مرادف للمسجد: بمعنى موضع الصلاة، وقد يطلق عليه اسم الجامع تمييزا له ووصفا إذا كان للجمعة فيقال: (المسجد الجامع) تمييزاً له عن المساجد الصغرى التي تقام فيها الصلوات الخمس وحدها.

1 - الأنصاص القرآنية: 1/27-28

2 - أنظر موضوع إنشاء دار للقرآن بمسجد حسان للعميد التهامي الوزاني: 45 مجلة دعوة الحق العدد الرابع السنة الحادية عشرة ذي القعدة 1387 - فبراير 1968 .

وبما أن الجامع في الغالب كان موضعا للتعليم، أو كان يشتمل على (حضار) أو (كتاب) أو (معمرة) على اختلاف أسمائها حسب المواقع والجهات، فقد ظل اسم (الجامع) يحمل دلالة زائدة على كونه موضع الصلاة، ولا سيما في الجنوب المغربي وبلاد سوس وما وراءها.

وهذا الاسم هو الذي كنا نسمعه من الاباء، وهم يأمرون الأبناء بالخروج إلى (الجامع) بعد تناول وجبات الطعام في الصباح والمساء، وما زال الناس ينعتون من يلاحظون عليه نوعا من الأدب الرفيع بأنه «كبر في الجامع» أو «جاز في الجامع» يعنون أنه أقام مدة يتعلم في هذه المؤسسة فترسخ في نفسه الأدب الخاص بها، ويعتبر من أجلى سماتها.

10- تيمزكيدة:

هو اسم باللغة الأمازيغية للمسجد، وكأنه تصغير وتأنيث مع إبدال بعض الأحرف، وهو مستعمل كثيرا عند الناطقين بهذه اللهجة، ومنهم من يقوله لموضع التعليم خاصة، بينما يطلق اسم (الجامع) على الخاص بالصلاة، وخاصة إذا كانا منفصلين عن بعضهما.

وقد أخبرني بعض الآباء عن ولده الصغير أنه أيقظه في الصباح الباكر ليشرب الحساء ويخرج إلى المسجد القريب الذي كان يتابع فيه حفظ القرآن، فأجابه الطفل متأففا من ذلك: قائلا: «بَدًّا أسَكّيف تيمزكيدة» ومعناها: (أبداً الحريرة والمسجد)، أي: أنه يشكو من طول المعاناة للتبكير والعكوف على حفظ لوحه في الصباح والمساء في مسجد الحي بلا توقف (1).

1 - يقع هذا المسجد في بلدة تامراغت بضواحي مدينة اكادير.



### 11- المَعْلَمة:

وهي بسكون العين وفتح اللام والميم كالمَعمَرة والمحضَرة وتعني أيضا، موضع تعليم الصبيان.

وقد ذكر بعض الباحثين أسماء المؤسسات التعليمية والعلمية أو معاهد التعليم فذكر أنه «قد أطلق على مكان التعليم هذان الاسمان: (الكتاب) و(المكتب) وأحيانا (المحضرة)، ويسمى في المغرب (المسيد) وفي اليمن وجنوب الجزيرة العربية يطلق عليه اسم (المعلَمة) (1).

ولا أعلم لهذا الإطلاق وجوداً عندنا في المغرب إلا بمعنى: الواحدة من معالم الآثار من مساجد وغيرها.

### 12- الخَلوة:

و يطلق اسم الخَلوة -بفتح الخاء- وجمعها (الخلاوي) على (الكُتَّاب) موضع تحفيظ القرآن، ويظهر أن هذا الإطلاق جاء من كون هذه الخلاوي كانت في أصلها أشبه بمعابد أو مساجد خاصة لبعض الصالحين يختلون فيها للصلاة والقراءة وذكر الله تعالى، وربما كان ذلك بتأثير من بعض الطرق الصوفية التي تدخل الخلوة ضمن مراسيمها في التربية الصوفية.

ويستعمل اسم (الخلوة) للدلالة على مكان تحفيظ القرآن في بلاد السودان وعموم دول إفريقيا المجاورة لها في غرب إفريقيا وشرقها (2):

---

1 - أنظر كتاب أضواء على تعليم القرآن من خلاوي السودان للأستاذ عبده غالب أحمد عيسى -طبعة دار الجيل - لبنان

2- أنظر موضوع مؤسسات التعليم في الحضارة العربية للأستاذ الزبير مهداد مجلة دعوة الحق: العدد: 362 ص 29 السنة : 42 شعبان - رمضان: 1422 هـ - أكتوبر: 2001 م .



وتدل بعض الرحلات التاريخية على قدم هذا الإطلاق، وربما استعمل في المغرب أيضا بفعل الإحتكاك والتأثر، فهذا الشيخ الفقيه يوسف بن عابد الفاسي صاحب الرحلة من المغرب إلى حضر موت باليمن يقول في أول الفصل الرابع يحكي عن دراسته بالمغرب في أواخر المائة العاشرة، كيف تسلم مفتاح (خلوة للقرآن) بمدينة فاس تابعة لبعض مدارسها (1).

قال الشيخ يوسف بن عابد في الفصل الرابع من رحلته «ملتقط الرحلة»:

«ثم حصل وقت نشر العلم والأحاديث في المدينة -مدينة فاس- فرجعت إليها قبل أن يعطوا المفاتيح (بالخلوات) التي في المدارس لمن كان معه مفتاح، وحضر وقت نشر العلم، ونصب الكراسي له في المدينة، وكان مفتاحه، من غاب في الوقت ركّبوا لكل (خَلوة) مفتاحا، فحينئذ ركبت مفتاح (خلوة القرآن)، ومفتاحا آخر لاستعمال القوت، وكلٌّ نفقته على نفسه. والذي أخذت المفتاح من (مدرسة مصباح)، لأنها قريبة ومن (جامع القرويين) الذي فيه نشر العلم، وعلى ذلك أوقاف للعلماء القائمين بوظائف ذلك» (2).

وبهذا المعنى المزدوج للخلوة ذكر العلامة القادري في حوادث سنة 1104 إزالة سارية من مسجد القرويين بفاس. «وكانت بالصف الأول من مسجد القرويين قرب (الخلوة) المنسوبة للشيخ المذكور يعني المولى عبد القادر الجيلاني» (3).

---

1 - ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت: للفقيه يوسف بن عابد الفاسي: 50

2 - ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت: 50 .

3 - نشر المثاني للقادري: 61/3 حوادث 1104 .



ثم ذكر القادري أن هذه النسبة إنما صدرت من العامة، ومرادهم التبرك بهذا الموضع قال: «نعم يتبرك بذلك الموضع من حيث كونه من المسجد الأعظم بفاس، ومحل تلاوة القرآن، لأن له وقفا على حزابين طلبة يقرأون أحزابا من القرآن به... كما هو مشروط في أصل وصية الوقف» (1).

ثم قال: «وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس (الخلوة) إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر ببنائها الأمير المستعين بالله إبراهيم بن أبي الحسن المريني، وكان انتهاء بنائها في أواخر رمضان عام 762 هـ ورتب فيها طلبة يقرأون القرآن، ويختمونه بطول سبعة أيام، وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها، وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم، فهذه حقيقة أمرها» (2).

13- الخربيش:

هو في الحقيقة بيت واسع غالبا ما تتوسطه دعامة أو سارية لحمل أخشاب سقفه الضخمة، وفي كثير من الأحيان يتوسطه المؤْقد حيث يسخن ماء الوضوء في سطل نحاسي كبير يوجد مثله في معظم المساجد العتيقة ببلاد حاحة وسوس والجبال، ويعلق السطل بسلسلة غليظة من الحديد في السقف، وفي ركن من الخربيش غالبا تكدّس عيدان الحطب والأخشاب المعدّة للوقود والاستدفاء بها، والقراءة على ضوئها في أيام الشتاء.

---

1 - نفسه: 62/3.

2 -نفسه: 62/3 وانظر متعة المقرئين للجراري: 14 .



ويستعمل (الخربيش) بهذه الصفة في عامة مساجد البادية كمحضرة، إذ فيه يجتمع الصبيان للقراءة والكتابة طول اليوم على دكّة تعد لذلك تتسع لعدد كبير منهم، ويتوزع الكبار تحتها على انطاع وحصر عتيقة، أو حتى الأرض في أيام الصيف.

ويستعمل الشيخ الخربيش أيضا في الغالب لاستقبال ألواح التلاميذ والطلبة لتصحيحها، كما يستعمل مستودعا لها عند الفراغ من القراءة، وكما يُستخدم في المساء لقراءة الأسوار ونوم التلاميذ الذين ليس لهم حوانيت خاصة بهم من أهل الآفاق.

هذه صفة (الخربيش) كما عرفته في طور قراءتي للقرآن، إذ فيه وجدت الصبيان متحلقين حول شيخنا السيد محمد بن إبراهيم الزغاري بمسجد (البير الفايض) بالشياظمة، وقد جلس بجانب نافذة منه تطل على مدخل (الحضار) وهو منهمك في تصحيح ألواح كثيرة وضعت حوله، وقد سلمت عليه ومعي أبي -رحمه الله- وأخي وتلميذ ثالث كان مرافقا لنا بلوحه، وأذكر أن تلميذا كان مستندا إلى الدعامة، وهو يردد قوله تعالى من سورة المؤمنون: ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ (1).

ولأهمية بناية (الخربيش) في (الجامع) باعتباره موضع الإقراء والتكتيب والتصحيح للألواح، كثيراً ما يطلق الطلبة المشارطون اسمه على الجامع كله، فيقول أحدهم لصاحبه: عليك بالبحث عن «خربيش» تشارط فيه، يقول ذلك لمن يحس منه العجز عن العمل في الفلاحة والاحتراف.

---

1 - انسحب هذا التلميذ من القراءة على الشيخ، ثم غادر إلى الدار البيضاء فاشتغل هناك بالتجارة ولم يتم حفظ القرآن الكريم، وكنت عند قدومي على هذا المسجد في الختمة الثانية في نصف الحزب الثاني والعشرين.



ويطلق على الخربيش في بلاد سوس (أخربيش إيمحضارن) أي: (خربيش إيمحضارن) جمع (محضري) والمراد به تلميذ المحضرة، وقد وصف بعض علماء سوس ( أخربيش إيمحضارن) بنحو مما وصفته وسماه (كتاب القرآن) وأنه يسمي في الفصيح باسم (المدراس) وهو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن» (1).

وبذلك يعتبر (الخربيش) أو (أخربيش أيمحضارن) أهم ثلاثة مرافق تكون مسمى (الجامع) في معظم مساجد البادية في أدنى مستوياتها، والمرافق الثلاثة هي:

أ - المقصورة، وهي المخصصة للصلوات الخمس وقراءة الحزب الراتب.

ب - الخربيش: وهو المخصص للإقراء والتكتيب وخزن الألواح.

ج - حانوت الطالب، وهي موضع إقامة الشيخ وخزانة أدواته وكتبه.

وما سوى ذلك يختلف باختلاف مستوى (الجامع) فإن كان معروفا بكثرة الطلبة أضيفت إليه مجموعة من «الحوانيت» لإقامة الآفاقيين المعروفين باسم «المسافرية» واحدها: «مسافري» وهو القادم من خارج البلد، المقيم في الجامع من أجل القراءة والأخذ عن الشيخ حسب مستوى التدريس عند الشيخ وشهرته في منطقته.

---

1 - أنظر: المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 14 ومثل هذا الوصف أيضا في شمال المغرب جاء لما يسمى عندهم هناك باسم (المعمرة) ويجمع على (معامر). أنظر كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي: 24-25 .

14- المدْراس:

مشتق من موضع الدرس، قال الشيخ الإلغي: ويسمى «أخربيش إيمحضارن» قال في اللسان والقاموس:

المدراس: هو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن (1)، وقد جاء استعمال (المدراس) بهذا المعنى في قصيدة الشاعر البونعماني شاعر سوس (ت 1402 هـ – 1982 م) في رثاء بعض علماء تارودانت حيث يقول:

أما المثاني فأين مثلُ خرباش ** يكاد بالنور يُدرَى بين جْلاس

ولو دخلتم عليه وهو مجتهد ** لقلتم الجزرى يتلو بمِدراس (2)

15- المدرسة:

ويغلب استعمال اسمها على موضع درس العلوم، لكن إطلاقها على الجوامع الكبرى شائع في الجنوب المغربي كما يطلق اليوم مثلا على مدرسة سيدي الزوين بحوز مراكش مع أنها مشهورة منذ تأسيسها بتعليم القرآن الكريم ورواياته.

ولعل أقدم نص جاء فيه إطلاق اسم (المدرسة) على المؤسسة القرآنية وإن كان يريد بها مساكن آل البيت النبوي الكريم رضوان الله عليهم التي كانت بمثابة المدارس التي لا تنفك تتلى فيها آيات كتاب الله –هو قصيدة الشاعر دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل البيت في صدر دولة بني العباس حيث يقول في تائيته المشهورة:

---

1 – االمدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 14 بالهامش رقم 10

2 – كتاب المعهد الإسلامي بتارودانت للأستاذ المتوكل عمر الساحلي: 385-386 .

مـــــدارس آيات خلت من تلاوة ** ومنزلُ وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من مِنًى ** وبالبيت والتعريف والجمرات
ديارُ علي والحسين وجعفر ** وحمزة والسجاد ذي الثفنات (1)

فالمدارس في هذه الأبيات منازل هؤلاء السادة من أعيان آل البيت، وكذلك هي المدارس التي يَعمرها أهل القرآن بالتلاوة آناء الليل وأطراف النهار مما نشأ عبر القرون في بلادنا سواء حمل اسم مدرسة أو اسم جامع فحسب.

وكثير من هذه المدارس كان في البداية مجرد جامع عادي تقام فيه الصلوات، ويقوم فيه (الطالب) بتعليم الصبيان من أبناء الجماعة وبعض من ينضم إليهم، ثم يحدث أن يشارط عندهم شيخ رفيع المستوى في التحصيل عالي الهمة في التعليم، فلا يكتفي بهذا المستوى العادي، بل يحرص على أن يكون له من الطلبة ما يتناسب مع مطامحه ومنزلته، وربما كان مشارطا قبل ذك في مكان اشتهر فيه، وسرعان ما يلتحق به طلبته وأهل جهته، فيتحول مستوى الأداء عنده إلى أن يصبح مدرسة بمعناها المؤسسي، ويتم ذلك في الغالب إذا تولى الفقيه أمر الإشراف على تموين الطلبة بنفسه، وربما ظفر بمن يكفيه هذه المؤونة من المحسنين.

وقد وصف بعض الباحثين كيفية نشوء مثل هذه المدارس فقال:

«وهذه المدارس المتحدث عنها هي مؤسسات تعليمية تتبناها الجماعة وأحيانا الأفراد وتكون إزاء مسجد جامع أو زاوية من الزوايا المشهورة

1 - المراد بالسجاد علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: أنظر الأبيات في زهر الآداب لأبي إسحاق الحصري: 134/1 .



بمدفن أحد الأولياء الذين قد تنتسب إليه تلك الجماعة أو القبيلة، ومن شأن هذه المدارس أن تكون مفتوحة الأبواب لكل من جاء إليها أيا كان، لا يسأل من أين؟ ولا أين؟ وإدارة شؤونها التعليمية بيد أستاذها، فيؤوي من يشاء ويصرف من لم يرد (1).

وتلتقي بذلك مع المساجد الصغرى التي توجد في كل قرية من حيث إن الجماعة من أهل القرية أو مجموعة القرى تتبناها، وتتكلف بشرط الأستاذ الذي يعمرها ومؤونة طلبته، ولكنها تختلف عنها من حيث المستوى التعليمي، ومن حيث مستوى روادها من الطلبة سنا وتحصيلا، فالطلبة الذين يغشون هذه المدارس يكونون قد قطعوا أشواطا من التعليم في المحاضر أقل ما يمكن فيها أن يكون الواحد منهم في الغالب قد أتم حفظ القرآن الكريم برواية ورش. كما تختلف هذه عن تلك في أن مؤونة الطلبة في الغالب الأعم تكون من احتياطي المدرسة الذي تتكفل به الجماعة (2) أو الأستاذ إن كان هو صاحب المدرسة (3).

وقد ميز الأستاذ محمد المختار السوسي -رحمه الله- بين ثلاثة مستويات في هذه المدارس من حيث الاختصاص فقال:

«وقد كانت المساجد للقرى مواضع لحفظ متن القرآن، وفي كبرياتها مواضع لإتقان رسمه الصحفي يرتحل إليها، ثم هنالك مدارس كثيرة للمرتبة الثالثة، وهي لتعاطي فن القراءات السبع» (4).

---

1 - أنظر مدارس سوس العتيقة للمختار السوسي : 57.

2 - نفسه: 55

3 - نفسه: وانظر الإعلام للمراكشي: 7/108-109

4 - أنظر سوس العالمة: 32 وكتاب الدراسات القرآنية بالمغرب للأستاذ إبراهيم الوافي: 92-93 .



16-دار القرآن:

هو اسم كان قديما معروفا في المشرق، وهي لتعليم القرآن وتحفيظه ودراسة قواعد تجويده، وقد ذكر الصفدي أن رشأ ابن نظيف الدمشقي المقرئ (ت 444 هـ) (1) أنشأ في دمشق (دار القرآن الرشائية) في حدود سنة أربعمائة من الهجرة» (2) فبذلك تكون أقدم منشأة سميت بها.

ومن أشهر دور القرآن في المشرق العربي (دار القرآن المستنصرية) ببغداد، وقد وصفت بأنها لم يرَ مثلَها أحد، ولم يُدرك وصفَها أحد، ولا يزال إيوانُها قائما حتى اليوم... (3).

وقد شهرت هذه التسمية في المغرب بمراكش ثم في أكادير وغيرها في أواخر القرن الهجري الماضي، وتوجهت بصفة خاصة إلى العناية بقواعد التجويد من المنظومة الجزرية لابن الجزري، كما غلب عليها التأثير المشرقي، فاتجهت بصفة خاصة إلى رواية حفص عن عاصم، واتبعت في التحفيظ والتلقين الطريقة المشرقية، فكان التحفيظ بها قلما تستعمل فيه الألواح الخشبية والطرق التقليدية التي يجري عليها العمل في غيرها من الكتاتيب والمدارس القرآنية العتيقة.

---

1 - هو رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي. قال ابن الجزري: ثقة حاذق أستاذ في قراءة ابن عامر. قال الذهبي: ولد في حدود السبعين وثلاثمائة، وله دار موقوفة على القراء إلى جانب السميساطية بدمشق. وكان محدثا مقرئا، قرأ بمصر والشام والعراق ومات في المحرم سنة 444 هـ بدمشق: غاية النهاية: 284/1 ترجمة رقم 1271

2 - أنظر الأستاذ الزبير مهداد في موضوع مؤسسات التعليم في الحضارة العربية: دعوة الحق العدد: 362 الصفحة 33 السنة الثانية والأربعين: شعبان رمضان شوال: 1422 هـ أكتوبر - دجنبر 2001

3 - نفسه: 33 .



وقد استطاعت بعض دور القرآن التي أفلتَت من التأثير المشرقي مثل (دار القرآن) الموجودة بالرباط، بتمارة بجوار مسجد الحاج البشير، أن تحافظ على استعمال رواية ورش من جهة، وأن تستعمل الألواح الخاصة التي تكتب بواسطة (قلم الفوتر) ليسهل على المتعلم محوها وكتابتها بسرعة، كما أنها تمكنت من تخصيص قاعة كبيرة للفتيات اللاتي يحفظن القرآن الكريم من مختلف الأعمار من التلميذات والطالبات، وتقوم هذه المؤسسة بتنظيم مسابقة قرآنية سنوية لتشجيع الحفاظ والمتعلمين تشرفت بالتّحكيم فيها ضمن لجنة من القراء في العامين الماضيين: 1424 هـ - 1425 هـ.

17- المقرأة:

والمقرأة مؤسسة تعليمية جديدة تعنى بتعليم التجويد وتحفيظ القرآن، وهي تجربة تكاد تكون مفردة في وقتنا في المغرب، وقد قام بإنشائها بعض القراء (1) بمدينة أكادير، وكان لها نجاح كبير في عملها، واستقطاب لعدد من الملازمين لدروسها التي حدد لها بعض الأيام والأوقات من الأسبوع، وأكثر من يتعلم فيها أئمة المساجد المجاورة بالمدينة وبادية سوس.

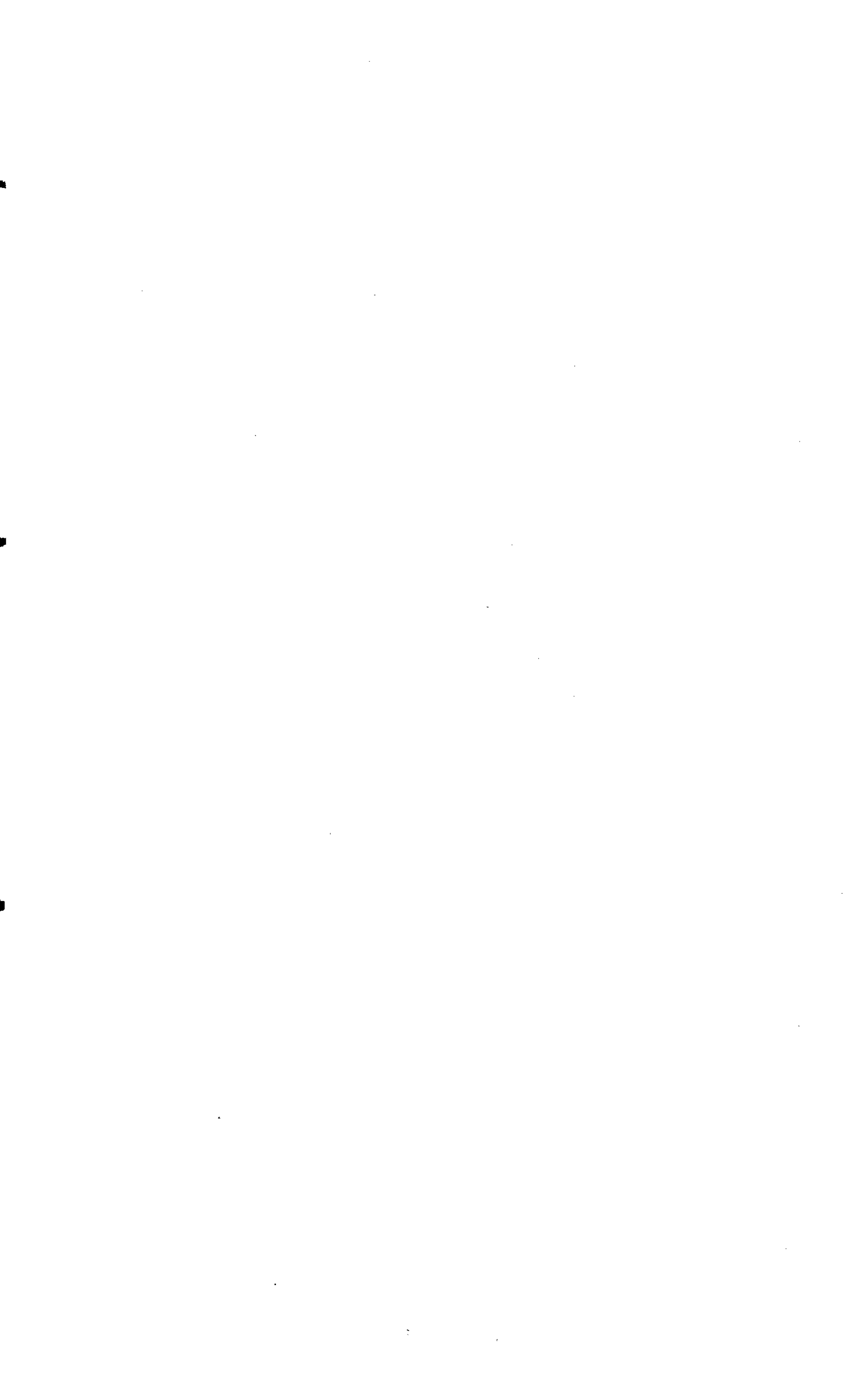
هذه في الجملة هي الأسماء التي تطلق على المؤسسة الشعبية التي تعنى بالتعليم الأوّلي، وقد أطلق عليها بعض المؤلفين اسم (المدرسة الأولى(2) إشارة إلى أنها هي بداية طريق التمدرس الطويلة التي لا تنتهي إلا في أواخر عهد الشباب في أكثر الأحيان.

1 - القائم بها حاليا الأستاذ الدكتور محمد جميل الأستاذ بكلية الشريعة بأكادير وعضو لجنة جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية، وعضو المجلس العلمي بأكادير.

2- أنظر كتاب المدرسة الأولى: وصف شامل للتعليم الأولي بالمدرسة القرآنية في سوس (نموذج مدرسة (إلغ) للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي

وقد عينت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط بمواكبة هذا النوع من التعليم العتيق، وعملت على تطويره مع المحافظة ما أمكن على طابعه الوطني الأصيل، وخصصت جوائز قيمة لتشجيعه وأصدرت عدداً من المنشورات التي تتضمن توجيهات الوزارة له وصورة عن مبلغ العناية به وستأتي لنا في أثناء هذا العرض:





# الفصل الثاني

## ألقاب المعلم في المحضرة والكتاب

وكما تعددت أسماء المؤسسة التعليمية كما قدمنا، فقد تعددت ألقاب القائم عليها بحسب الوصف الغالب أو البارز في مهمته أو الذي يستوعب مهامه جميعا.

### 1- المعلم:

وهذا اللقب أقدمها، ولعله أشملها لجميع المهام التي يقوم بها القائم على هذه المؤسسة، وهو الوارد في عناوين الرسائل التربوية التي ألفها الأقدمون في آداب التعليم وأحوال المعلمين، كرسالة آداب المعلمين من إملاء الفقيه سحنون على ولده محمد، وكالرسالة المفصلة لآداب المعلمين لأبي الحسن القابسي، وكتاب المعلمين لأحمد بن عفيف القرطبي (1). وما ذكره الجاحظ في ذكر المعلمين (2) وغيرها من المؤلفات التي تقدم التنويه بها.

1 - تقدم ذكر هذه المؤلفات في جهود علماء المغرب في التنظير لهذه المهمة

2 - البيان والتبيين 245/1 .



2- المؤدب:

وهذا أيضا من أقدم الألقاب التي أطلقت عليه في المشرق، وقد ذكر الجاحظ هذا اللقب مقرونا بأسماء من اشتغلوا بتعليم أبناء الكبراء، ومنهم أبو سعيد المؤدب الذي تقدم أنه كان معلم الخليفتين المهدي والهادي، ومنهم عبد الصمد بن عبد الأعلى، وكان مؤدب ولد عتبة بن أبي سفيان والوليد بن يزيد بن عبد الملك من الأمويين: وفي ترجمة صالح بن كيسان أنه كان من فقهاء المدينة من ذوي المروءة والهيئة وكان مؤدبا لعمر بن عبد العزيز (1).

وتقدم في ترجمة الغازي بن قيس القرطبي أنه كان مؤدبا بقرطبة (2).

3- المكتب:

وردت الكلمة بالتخفيف اسم فاعل من أكتب التلميذَ: علّمه الكتابة، كما وردت بالتشديد من كتّب المضاعف؛ وتلتقي مع المؤسسة (الكتّاب) في أصل الاشتقاق، وقد تقدم ذكر جماعة من تلاميذ الشيخ أبي الحسن الأنطاكي نزيل قرطبة ومقرئ أهل الأندلس (ت 377 هـ) وكلهم وصف بوصف «المكتب» وهو وصف شائع في تراجم القراء الأندلسيين.

1 - كتاب مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستي: 135 ترجمة 1068 .
2 - تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي: 578/2 ترجمة 1013 .

### 4- الدَّرَّر أو (الدْرار):

هو لقب قديم أيضا، قال ابن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة في الفقه (ت 386 هـ) «يضرب على البَطالة بعشر دِرات أي: أسواط، ومنه سمّي (الدَّرّار) (1)، فهو إذن مشتق من الدِّرة بكسر الدال، لأنه كثير اللزوم لها، وليس مشتقا من «الذراري» جمع ذرية كما توهمه بعض الأفاضل، لأن داله مهملة (2) وقد جمعوه واشتقوا منه الأفعال فقالوا: كان دّرارا يعلم الصبيان (3)، وقالوا: «انتدب لتدريب المدرّرين» (4) وقال بعضهم: كنت أدرّر الصبيان بحومة العيون (5).

### 5- الفقيه:

قال صاحب كتاب المتعة والراحة:

«الفقيه في عرف أهل المغرب عامة هو كل رجل يحفظ القرآن الكريم كلا أو بعضا بإتقان أم لا، ويعلمه الصبيان في (الكتاتيب) أو في (الجوامع) أو (المسايد)، ولو كان لا يعرف شيئا عن علم الفقه أصلا، ويمتاز الفقيه عادة بالزي التقليدي، وتوفير اللحية، وبالزهد بمعنى الفقر والجهل غالبا» (6) قال:

---

1 - أنظر جامع جوامع الاختصار والتبيان للمغراوي: 86 .

2 - وذلك أنه قال في قول أبي زيد التمنارتي: «وقد ورد علي سؤال من بعض الدرارين» فقال معلقا: «كذا في النسخ المعتمدة ومراده: المشتغلين بتعليم الذراري (الصبيان) أنظر الأستاذ اليزيد الراضي في تحقيقه للفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة: الهامش رقم: 1799 .

3 - أنظر ترجمة حمزة بن عبد الله المراكشي في دوحة الناشر: 137 والسعادة الأبدية: 138-139.

4 - ذكر ذلك عن الفقيه محمد مفضال السرغيني بالدار البيضاء، أنظر كتاب إسعاف الإخوة الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين لمحمد بن الفاطمي العلمي : 238 .

5 - حكاه عن نفسه الشيخ العربي الدرقاوي الزروالي. انظر كتاب المطرب للتليدي: 214 .

6 - المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة للفقيه السيد إبراهيم إذ إبراهيم التامري: 394/1 .



والفقيه في عرف أهل جنوب المغرب خاصة هو: كل رجل له إلمام بالعلوم الدينية والعربية، ويشارط عادة في المدارس القبلية العتيقة كعالم ديني للقبيلة التي شارطته يعلم لها أبناءها مما علمه الله، وترجع إليه في كل ما يشكل عليها من أمر دينها... وأما الفقيه بالمعنى الأول العام فيسمونه بـ(الطالب) ويشارط عادة في الجوامع بالقرى الصغيرة، ويحفظ الصبيان مما حفظ من كتاب الله» (1).

قلت: هذا التفريق الذي أشار إليه مهم جداً، فإن لقب (الفقيه) كان إلى وقت قريب لا يطلق عندنا في الجنوب المغربي إلاّ على العالم أو القاضي، ويطلق لقب (الطالب) على حامل القرآن مطلقا، وعلى القائم بالتعليم، ويطلق بصفة رسمية على كاتب السلطان (2) وكاتب القائد أو الشيخ، ونحو ذلك (3) ووجدت استعمال اسم (الفقيه) بمعنى (المؤدب) عند صاحب المدخل في قصة ابن أبي زيد القيرواني، وأنه لما جاءه ولده بلوح الإصرافة أعطاه مائة دينار يعطيها (للفقيه) (4).

6-الفقي:

هكذا ينطقون بها في بعض الحواضر والجهات الشمالية، وخاصة النساء، وهي تحريف شعبي للفقيه. ذهبت منه الهاء لخفائها وبعد مخرجها من الحلق، وربما نطقوا بالجمع أيضا هكذا (الفقا) أو (الفقيا).

---

1 - نفسه: 394/1 .

2 - نقف في المصادر على ظهائر كثيرة سلطانية ورسائل رسمية موجهة إلى الطالب أحمد بركاش من بعض الملوك العلويين تصفه بهذه الصفة.

3 - لكن مع الإضافة هكذا «طالب القائد» أو «طالب الشيخ».

4 - المدخل: 310/2 .



### 7- الطالب:

عرف هذا اللقب لحامل القرآن من قديم، وقد كان الموحدون في دولتهم يطلقون على الفقهاء «طلبة الحضر» وعلى طلبة القرآن «طلبة الموحدين» (1)، كما استعمل لفظ (طالب) للمبالغة في الحفظ، كقول صاحب كتاب أعلام مالقة في ترجمة محمد بن أبي بكر بن ولاد الأنصاري: «وكان -رحمه الله- طالبا حافظا للقرآن» (2).

ومن استعمال (طالب) بمعنى معلم القرآن تمييزا عن (الفقيه) ما نقرؤه في هذه الرسالة السلطانية الصادرة من المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي إلى باشا مكناس يقول فيها:

«وصيفنا الأرضي القائد الجيلالي بن بوعزة، وفقك الله، سلام عليك ورحمة الله، وبعد فيرد عليك (الفقيه) السيد محمد الريفي، وقد عيّناه لقراءة ولدينا مولاي بناصر ومولاي إسماعيل، يقرئهم القرآن، وابن عاشر بميارة الصغير، والجرومية بالأزهري، والرسالة. وكلما ختم معهما ختمة يعيد معهما أخرى. والسيد العربي بصري أرحناه، (والطالب) الملازم لهما لقراءة القرآن يذهب لحال سبيله، ففي السيد محمد الريفي كفاية، وقد عرفناه بما ذكرنا، ونأمرك أن تعين قائدا من الجيش مسنّا، ومعه مخزنيان يلازمان دار المخزن مهما رأى السيد محمد الريفي من الولدين المذكورين تكاسلا عن القراءة، وأراد تهديدهما أو ضربهما يمتثلان أمره.

---

1 - أنظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي: 293 وبهذا المعنى قالوا في عبد الله بن محمد الأنصاري المعروف بابن المالقي: رأس طلبة مراكش (المنوني في كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 38.

وقالوا في أحمد بن عتيق البلنسي: كان مزوارا للطلبة» (نفسه: 38) وفي ابن القطان: رأس طلبة العلم».

2 - كتاب أعلام مالقة: 157-158 ترجمة 41 .

ونأمر خديمنا (الطالب اللب) أن يرتب للقائد المذكور درهما في اليوم، ولصاحبيه درهما بينهما، والسلام، في 16 شعبان عام 1268 هـ) (1).

ومن استعمال وصف (طالب) بمعنى حامل القرآن ما جاء في المعيار في استفتاء للفقيه أبي محمد عبد الله العبدوسي في شأن رجل من التجار صالح الحال خطب امرأة من قبيلة أوْربَة من قبائل البربر، قال: إلا أن أهلها من نسل الخطباء، كان بعضهم يخطب بمدينة تازة من أهل الخير، ووالدها ٠طالب)، وهي وناسها من القدماء بتازة.. فقام بعض إخوانها وادعى أن الرجل ليس بكفء لها» (2).

وفي المائة العاشرة ذكر ابن عسكر وغيره إنكار الفقيه الصالح أبي القاسم بن خجو الحساني (ت 956 هـ) على (طلبة) عصره تركهم لنسائهم يخرجن مظهرات لزينتهن (3).

ففي هذه الآثار نجد استعمال لقب (الطالب) وصفا لحامل القرآن الكريم، وهذا المعنى هو الشائع إلى اليوم في الجنوب المغربي إذا وصف به بصيغة النكرة، فإن استعمل محلى بأل، فالمراد به إمام المسجد ومقرئه، أو من يكون مخصوصا به باعتباره شيخا لطلبة البلد فلا يلتبس بغيره.

وقد اشتقوا من هذا المعنى ما يناسبه من الصيغ للدلالة على المهارة في الحفظ، فقالوا فلان (طالب) يريدون بذلك أنه بالغ الغاية في هذا الوصف، وربما قالوا: فلان، أطلب من فلان كقول صاحب المتعة والراحة في ترجمة بعض الطلبة: «وكان له أخ أصغر منه (أطلب منه)، إذ يقال إنه عرف قراءة حمزة» (4) ويطلقون اسم «تطالبيت» على الملكة الحاصلة للطالب.

---

1 – كتاب إعلام الناس لابن زيدان: 243/5 .

2 – المعيار للونشريسي: 84/3

3 – انظر دوحة الناشر لابن عسكر الشفشاوني: 14 ونوازل التسولي 213/1 .

4 – انظر شرح الأرجوزة المعروف باسم الإبتهاج لأحمد بن المأمون البلغيثي: 260-259/1 .

ويستعمل في جمع (طالب) عند حملة القرآن صيغة (طلباء) بضم الطاء وألف ممدوة، وكذلك يكتبونه في الرسائل التي يرسلون بها إلى من يراسلونهم من الأفراد والجماعات. أما صيغة (طلبة) بفتح الطاء واللام فهي مستعملة عند طلبة المدارس الأصلية والعتيقة، وقد يستعملون أيضا صيغة (طلاب) بضم الطاء وتشديد اللام، وقد سمي الشيخ أبو حامد العربي المسّاري أرجوزته: «سراج طلاب العلوم» فاستعمل هذه الصيغة، ولكنه في موضع منها استعمل الصيغة الأخرى حيث قال:

يوم الخميس هو عيد (الطلبة) ** خذ فيك راحتك ياذا المرتبة (1)

8- **الأستاذ:**

غلب استعمال هذه التحلية في الأندلس على المهرة في علوم العربية والقراءات، وربما أصبح لقبا على بعضهم كأبي القاسم الأستاذ صاحب كتاب القاصد في القراءات (2) كما استعمل وصفا ملازما لعدد من القراء والنحاة كأبي الحسن بن الباذش، وابنه أبي جعفر أحمد بن علي بن الباذش صاحب الإقناع في القراءات، وأبي علي الشلوبين شيخ العربية في الأندلس، وأبي جعفر بن الزبير الغرناطي، وسواهم كثير. وقد استعمله أبو داود سليمان بن نجاح صاحب التنزيل بمعنى المجود المتقن فقال في قوله تعالى (وأرنا مناسكنا) بعد ذكر اختلاس كسرتها: «ولابد من مشافهة (الأستاذ)

---

1 -أنظر شرح الأرجوزة المعروف باسم الإبتهاج لأحمد بن المأمون البلغيثي: 260-259/1 .

2 – هو عبد الرحمن بن الحسن الخزرجي القرطبي. له رحلة إلى المشرق سنة 380 ه فحج أربع مرات وأخذ عن الكبار كأبي أحمد السامري وأبي بكر الأذفوي وأبي الطيب بن غلبون، وقرأ بالأندلس على أبي الحسن الأنطاكي، وتصدر بالمسجد الجامع بقرطبة إلى أن توفي سنة 446 عن سن عالية. أنظر ترجمته في غاية النهاية: 367/1 ترجمة رقم 1561

فيه، وإنما ذكرته لأن (أستاذنا) رحمه الله – قال في هذا وشبهه أن يكون ضبط المشبع فيه...» (1)

واستعمل عند كثير من المتأخرين وصفا للقراء المهرة من أصحاب الكراريس والشروح عليها، حيث يُطلق كثيرا على أبي عبد الله الخراز صاحب مورد الظمآن، فيقال: الأستاذ أبو عبد الله الخراز (2) وكذا على أبي عبد الله بن آجروم الصنهاجي صاحب الآجرومية في النحو، والبارع في قراءة نافع (3) والأستاذ أبي العباس الزواوي مجود عصره (4) والأستاذ أبي عبد الله الفخار شيخ صاحب التحفة: تحفة المنافع في قراءة نافع (5) والأستاذ أبي وكيل مولى الفخار المذكور وأستاذ المغرب كما يقول فيه ابن القاضي (6) والأستاذ أبي عبد الله بن جابر المكناسي صاحب الاستدراك على الخراز في مورد الظمآن (7) والأستاذ أبي عبد الله الصُّغَيِّر -بصيغة التصغير- شيخ أبي عبد الله بن غازي (8) والأستاذ أبي عبد الله الهبطي (9) والأستاذ علي بن منون المكناسي (10).

---

1 -التنزيل في رسم المصاحف لأبي داود: 2/208-209 وأستاذه المذكور هو أبو عمرو الداني.

2 – وصفه بالأستاذ ابن أجطا في أول شرحه لمورد الظمآن وأبو الحسن التروالي في أول شرحه مجموع البيان.

3 – أنظر وصفه بالأستاذ في نثير الجمان لابن الأحمر: 416-417 والتروالي في مجموع البيان في شرح مورد الظمآن. (مخطوط) وأبي عبد الله الخراز نفسه في مواضع من القصد النافع في شرح الدرر اللوامع منها في باب المد: 136-141 (مرتين) وباب الهمزتين من كلمتين: 16 .

4 – سماه ابن غازي: أستاذ مدينة فاس (فهرسة ابن غازي: 42) وانظر الروض الهتون: 42-43.

5 – أنظر فهرسة ابن غازي 38 .

6 – أنظر فهرسة ابن غازي: 44 وكذا: 79-84 وجذوة الإقتباس 348/1 ترجمة 371 والجامع المفيد لابن القاضي، ودرة الحجال: 153 وإزالة الشك والإلتباس لابن القاضي (مخطوط).

7 – فهرسة ابن غازي: 71 وكذا: 91 والروض الهتون 8-10-29-57-61.

8– فهرسة ابن غازي: 85 وكذا: 121 وإنشاد الشريد لابن غازي في مواضع وفهرس المنجور: 17 (مرتين).

9– فهرسة أحمد المنجور: 12-13-14-15-17 .

10 – فهرسة ابن غازي: 85 والروض الهتون: 42 .

ومعنى هذا أن «الأستاذية» لم تبق صفة من صفات التحلية المجانية لمجرد تزيين الترجمة بالإكثار من صفات الفخامة، وإنما أمست مرتبة حقيقية يترشح لها المتأهل بشهادة الإجماع من علماء عصره على التسليم له، وشهادة الواقع بكثرة الآخذين عنه حتى يصبح (شيخ جماعة) كما سيأتي، أو بشهادة إجازات المشايخ له من الكبراء والأئمة المعتبرين.

«ولهذا كانت للإجازة القرآنية في المغرب أهمية كبرى، وكان لها وزنها المعترف به عند حامليها، لأنها شهادة الأهلية والاستحقاق في إسناد القرآن بالقراءات المشهورة، والوصول إلى مرحلة «الأستاذية» (1).

ويلاحظ أحد الباحثين وهو يتحدث عن الشيوخ، أنهم «في حقيقة الأمر لا يسمون بالشيوخ فحسب، فهم شيوخ بالنسبة لمن يأخذ عنهم ويرجع إليهم، ولكنهم (أساتيذ) كما يوصفون في الكتب التي تترجم لهم، وهي الكلمة الدالة على مهارة المثقف بالقرآن ودراسة علومه وقراءاته وتوجيهاتها» (2).

ويشهد لما ذكر ما نقرؤه في كتب التراجم عند أصحاب الطبقات والصلات من علماء الأندلس، كابن الأبار وأبي جعفر بن الزبير، وابن عبد الملك المراكشي، ولسان الدين ابن الخطيب. يقول أبو جعفر بن الزبير في صلة الصلة في رسم المقرئ الجليل يحي بن ذي النون بن يحيى أبي زكريا الإشبيلي:

---

1 - أنظر بحث: فهارس علماء المغرب للدكتور عبد الله المرابط الترغي: 175 .

2 - الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ إبراهيم الوافي 104 نقلا عن كتاب التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية للأستاذ إبراهيم حركات: 25



«أخذ عن (الأستاذين) أبي الحسن علي بن جابر الدبّاج، وأبي علي الشلوبين وغيرهما. واقرأ القرآن والعربية والفقه ببلده مدة، ثم انتقل إلى العدوة عند استيلاء النصارى -دمرهم الله- على قرطبة سنة 633-1235 م. فسكن مراكش وأقرأ بها يسيرا، ثم توفي وسنه نحو من ستين سنة، وكان من جلة (الأساتيذ) النبهاء أهل الفضل والدين رحمه الله» (1).

وقال الأستاذ عبد الله الجراري في بحث له في مجلة الإيمان، وهو يتحدث عن وفرة القراء في المغرب ووفرة العناية بعلم القراءات في العقود الماضية:

«ولا نذهب بعيدا، فكنت إذا ما تصفحت تراجم الرجال في مختلف العصور، وجدت في جملة ما تحلت به حياتهم الكريمة ،فلان (الأستاذ)، فكانت (الأستاذية) المعبر بها عن القارئ للكتاب بحروفه السبع أو العشر تكاد تكون شرطا في عالمية العالم، إذ كيف يستطيع فهم القرآن الكريم من لم يدرس القراءات وتوجيهاتها، ومدلولاتُها مرهونة بأسرار حروفه ولغاته ورواياته» (2).

وقال الأستاذ سعيد أعراب عن العصر السعدي في المغرب:

«نشطت الدراسات القرآنية، سواء في ذلك الحواضر والبوادي، وطغت على كل الدراسات، حتى إنك لا تكاد تجد عالما لم يحسن علم القراءات، وأمسى لقب (الأستاذ) لا يطلق إلا على العالم المقرئ» (3). وقال العلامة الكتاني في ترجمة عبد الرحمن بن القاضي: «شيخ المغرب الشهير

---

1 - صلة الصلة: 5/262-263 ترجمة 538 .

2 - أنظر بحث: دار القران في عالم التجويد للأستاذ عبد الله الجراري: مجلة الإيمان: العدد التاسع السنة الأولى: 1384 هـ 1964 ص 29 .

3 - أنظر جريدة الميثاق العدد العدد: 131-132-133 السنة 8 ص 75 .

(وأستاذ الأساتيذ» (1)... فلا تجد (أستاذا) بالمغرب إلا وقد روى عنه أو عن تلامذته» (2).

## 9- القارئ:

وهو الحافظ للقرآن بقراءة معينة، أو المشارك في القراءة بوجه عام ممن لم يتفرغ للمزيد.

## 10- المقرئ:

وهو لقب لمن تميز عن حفاظ القرآن بمزيد من الحذق في القراءة والعلم بالرواية، ولا يقتصر التلقيب به على المفهوم اللغوي الذي يقتضي إطلاقه على من يتولى الإقراء بصفة عامة، وإنما يطلق على من له مزيد تمكن وتفنن وحذق.

وهذا المعنى هو الذي أراده الإمام أبو مزاحم الخاقاني البغدادي في القصيدة الخاقانية في القراءة والتجويد حيث يقول:

أيا قارئ القرآن أحسن أداءه ** يضاعف لك الله الجزيل من الأجر

فما كلُّ من يتلو الكتاب يُقيمُه ** ولا كل من في الناس يقرئهم مقري (3)

وقد نبه الحافظ ابن الجزري على هذا المعنى الملحوظ في التسمية في الفرق بين القارئ والمقرئ من جهة الاصطلاح عند القراء فقال في منجد المقرئين:

---

1 - سلوة الأنفاس: : 223/2

2 - سلوة الأنفاس: 242/2 .

3 - القصيدة الخاقانية: البيتان: 5-6 .



«القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن معزوا لناقله، خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك قال:

والمقرئ: العالم بها رواها مشافهة، فلو حفظ التيسير» مثلا فليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوُفه به مسلسلا، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة.

والقارئ: المبتدئ من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثا من القراءات.

والمنتهي: من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها» (1).

وعلى هذا التفريق في المستوى بنى منهجه في كتابه غاية النهاية في طبقات القراء، إذ ترجم فيه لمن توافرت فيه شروط الحذق والحفظ واتساع الرواية وللمتصدرين للإفادة والإقراء، ولم يعتبر فيه مجرد حفظ القرآن أو الاشتغال بالتعليم والتأديب للصبيان.

11- **الشيخ**:

المراد به أيضا من يتلقى عنه القرآن أو العلم، وهو مصطلح قديم، ويطلق كثيرا على شيخ العرض. يقول العلامة أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (1102 هـ) في فهرسته:

---

1 -منجد المقرئين: 3 .



الشيخ لغة: المسن، قيل: من الخمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وشاخ الرجل يشيخ شيخا-بالتحريك - وشيوخة وشيخوخة فهو شيخ وشيخونٌ، وهم شيوخ وأشياخ ومشيخة ومشيوخاء، ومشايخ، وشيَّخ أيضا تشييخا وتشيّخ. قال:

وقد يطلق الشيخ على الرئيس المدبر أمر قبيلة أو قرية أو جماعة أو خطة، وهذا كثير في العرف، وهو مأخوذ من المعنى الأول... قال:

وقد يطلق (الشيخ) أيضا على مفيد العلم، فكل من أفادك علما بقوله أو فعله أو حاله فهو شيخك فيه، وهذا المعنى مأخوذ من المعنى الأول أيضا، لأن الأصل كون الكبير لمزيد تجربته يفيد الصغير ما ليس عنده، أو من الثاني، لأن صاحب العلم مرجوع إليه، فهو الكبير وإن كان صغيرا كما قيل:

وإن صغير القوم والعلمُ عنده ** كبيرٌ إذا التفْت عليه المحافل (1)

قال: وهذا المعنى هو مراد أهل الاصطلاحات في سائر العلوم كما في قول الراجز:

مالك من شيخك إلا عملُه ** إلاَّ رسميه وإلاَّ ذَمَلُه

ثم قال بعد كلام:

وذكر الإنسان لأشياخه وتنويهه بهم يكون لأغراض، والمهم منها ثلاثة:

**الأول**: أن يعرف سنده في الرواية، وطريقته في العمل والسيرة.

**الثاني**: الشكر والمكافأة بذكر الخير ونشر الإحسان

**الثالث**: ما يستدعي ذكرهم من ذكر الفوائد الحاصلة معهم (2).

---

1 - هذا محوّل عن قول القائل:

تعلم فليس المرء يولد عالما ** وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القول لا علم عنده ** صغير إذا التفت عليه المحافل

2 - انظر فهرسة اليوسي: 103-109 .



وللإمام الحافظ أبي عمرو الداني في الأرجوزة المنبهة فصل قيّم خصصه لذكر صفات الشيوخ ومن تؤخذ عنهم التلاوة والعلم ومن لا يؤخذ عنه، ومنه قوله عن شيخ العرض (1).

فإن رغبت العرض للحروف ** والضبط للصحيح والمعروف

فاقصد شيوخ العلم والرواية ** ومن سما بالفهم والدراية

ممن روى وقيد الأخبارا ** وانتقد الطرق والآثارا

وفهم اللغاتِ والإعرابا ** وعَلِم الخطأ والصوابا

وحفظ الخلاف والحروفا ** ومَيَّزَ الواهي والمعروفا

واتْبَعَ السنةَ والجماعة ** وقام لله بحسن الطاعة

فذلك العالمُ والإمامُ ** شكرا به لله لا يقام

فالتزمِ الإجلال والتوقيرا ** لمن يُريكَ العلم مستنيرا

وكن له مبجلا معظما ** مرفِّعا لقدره مكرِّما

واخفضْ له الصوت ولا تُضْجِرْهُ ** وما جَنَى عليك فاغتفِرْهُ

فحقُّه مِن أَوْكد الحقوق ** وهجرُهُ من أعظم العقوق (2)

ثم يقول في التنبيه على من لا يؤخذ عنه العلم وحروف القرآن:

والعلم لا تأخذه عن صحفي ** ولا حروف الذِكر عن كُتْبي

ولا عن المجهول والكذاب ** ولا عن البِدْعي والمُرتاب

وارفضْ شيوخ الجهل والغباوة ** لا تأخذن عنهم التلاوة

1 - شيخ العرض: هو من تعرض عليه أخيرا من أجل تحقيق حصيلتك وربما بقصد الشهادة لك بتمام الـأهلية وإعطائك الإجازة المكتوبة.

2 - الأرجوزة المنبهة: 167-168 .



لأنهم بالجهل قد يأتونا ** بغير ما يُروَى وما يَدْرونا (1)
وكلٍّ من لا يعرف الإعرابا ** فربما قد يترك الصَّوابا
وربّما قد قوَّلَ الأئمة ** ما لا يجوز وينال إثمه
فدَعْهُ والزَمْ يا أخي الصَّدُوقا ** ومن تَرَاهُ يَحْتذي الطريقا
طريقَ من مضى من الأسلافِ ** أولي النُّهَى والعلم بالخلاف (2)

وقد جاء استعمال الشيخ بمعنى المعلم والمؤدب في قول صاحب الأقنوم في مبادئ العلوم.

وما على القرآن من أُجور ** يُعطَى فجائز على المشهور
ثَمَنَ شُغْلِ بَدَنِ الشيخِ فقط ** كبيع مصحف لِرَقٍّ ولخطٍّ (3)

وقد كان الوفاء من القراء والعلماء لمشايخهم كما كانت الرغبة في توثيق رواياتهم عنهم سيبين مباشرين في إثراء المكتبة المغربية والأندلسية بسيل لم ينقطع من المؤلفات في الفهارس والبرامج والأثبات والإجازات ولولا الإهتمام بالشيوخ والرواية عنهم ما كان لها وجود (4)

12-شيخ الجماعة:

هذا اللقب ظهر في الأندلس عند علماء غرناطة فأطلق على أبي سعيد hبن لب وجماعة من المقرئين والنحويين، وانتقل بفعل التأثير والجوار إلى

---

1 - صحف في المطبوعة: «وما يروونا» والتصويب من عدة مخطوطات.
2 - الأرجوزة المنبّهة: 170 الأبيات من : 479 إلى 502 (مع الإختصار).
3 - الأقنوم في مبادئ العلوم لسيدي عبد الرحمن الفاسي، وتقدم التعريف بها.
4 - أنظر أهمية الشيوخ عند مؤلفي الفهارس والبرامج في كتاب «فهارس علماء المغرب» للدكتور عبد الله المرابط الترغي: 55-56 وكتاب شيوخ العصر في الأندلس للدكتور حسين مؤنس: 50-58 .



سبتة وفاس ومراكش على عهد المرينيين منذ أول المائة الثامنة، وخصت به طائفة متميزة من الأعلام الذين ارتفعوا بعلمهم بالقراءة أو العربية عن طبقة المؤدبين والمقرئين والأساتذة المعتبرين، إلى الحد الذي أمسوا معه بنباهة الشأن وسعة العلم وطول التصدر شيوخا للجماعة وملتقى لأسانيد طلبة أهل الجهة.

ولعل أقدم من وصف بفاس بوصف «شيخ الجماعة» هو أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد القرطبي نزيلها (ت 730 هـ) وقد وصفه بذلك في كتبه شيخ الجماعة أبو عبد الله بن غازي نزيل فاس ( ت 919 هـ) (1) ووصف أبو العباس أحمد المنجور (ت 995 هـ) به الإمام ابن غازي حيثما ذكره من فهرسته (2) وأبا مهدي عيسى بن علال وأبا الحسن علي بن هارون المطغري (3) وجماعة، ووصف به من المتأخرين عنهم محمد بن يوسف الترغي نزيل مراكش ومؤدب أولاد الملوك السعديين، وأبو زيد عبد الرحمن بن القاضي صاحب الفجر الساطع في شرح الدرر اللوامع (ت 1082 هـ) وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214 هـ) وأستاذه أبو زيد عبد الرحمن بن إدريس المنجرة (ت 1179 هـ) ووالده أبو العلاء إدريس بن محمد (ت 1137 هـ).

وقد كان الوصف الملحوظ كثيرا في هذا اللقب إلى جانب المستوى العلمي هو طول العمر في التصدر، ولذلك يقال في ترجمة بعض هؤلاء الأئمة «عمر حتى صار شيخ الجماعة»، ومن أمثلة ذلك قول القادري في



النشر في رسم الشيخ سيدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي نقلا عن حفيده أبي محمد الطيب بن محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي المذكور: «أستاذ الأستاذين» (1) ويقول فيه القادري نفسه في جملة قصيدة في رهط صاحب الترجمة:

أولهم هو الإمام الماهرْ ** العالم المفرد عبد القادرْ
شيخ الشيوخ وفريد المنصب ** محيي العلوم في جميع المغرب
تلمذت له شيوخ المغرب ** قاطبة فهو العلي المنصب (2)

قال: وقد علمت مما تضمنت الأبيات من استقراء كلام تلامذته كسيدنا الجد -رحمه الله- فإنه كان مهما ذكره يعبر عنه بالشيخ، الإمام أو (بشيخ الجماعة) ونحوه، وذلك مما يقتضي تقدمه على الجميع» (3).

13- العشراوي والمكاوي وما أشبهه:

يستعمل هذا الوصف وأمثاله تحلية لكبار القراء، فالعشراوي من يحفظ القراءات العشر، وممن اشتهر بهذا اللقب من المتأخرين الأستاذ سيدي علال القاسمي العبدي شيخ القراءات سابقا بمدرسة سيدي الزوين (4) ويلقب به حاليا بعض الآخذين عنه (5).

---

1 -نشر المثاني: 270/2 هـ وصف بها أيضا أبو زيد بن القاضي، أنظر سلوة الأنفاس للكتاني: 223/2 - 224 .
2 - نفسه: 274، ومثل ذلك قيل عن ابن القاضي: «فلا تجد استاذا بالمغرب إلا وقد روى عنه» (السلوة 224/20)
3 - نفسه: 274 .
4 - توفي حول عام 1418 هـ وكان يحفظ العشرين الكبير والصغير رحمه الله.
5 - أعني المقرئ السيد الطاهر بن الحاج علال الحريري المدرس بمدرسة سيدي الزوين في وقتنا.



ويطلق لقب الحمزاوي على من يحفظ القراءات السبع، والبصراوي على من يحفظ قراءة البصري، والمكاوي على من يحفظ قراءة ابن كثير المكي جريا على طريقة المتأخرين في القراءة بالجمع بين الروايات في الآداء.

14- الجيه:

هو بكسر الجيم بعدها ياء مثناة ساكنة فهاء، جاء ذكره مفسرا في أخبار سلسلة نسب الشيخ ماء العينين، فهو ابن محمد فاضل بن محمد الأمين بن الطالب أخيار بن الطالب محمد بن الجيه المختار، قال حفيده ماء العينين بن العتيق نقلا عن محمد بن محمد الجلجمي السجلماسي:

«رأيت في نسخة الآباء أنه ثبت عندنا أن أبناء العربية أخوال مولانا إسماعيل خرج معهم ابن عمنا يقال له باللسان البربري (الجيه المختار) وباللسان العربي (الطالب المختار) (1).

وبناء على أن لقب (الطالب) المتكرر في هذا النسب هو بمعنى: حامل القرآن على العرف الشائع في البوادي وسائر الجنوب، فإن (الجيه) يحمل الدلالة نفسها كما فسره بذلك الجلجمي.

هذه هي الألقاب الإصطلاحية المستعملة وصفا للمتمرس بالإقراء في الغالب أو لمن هو مؤهل لذلك بحفظه لكتاب الله تعالى، وإن لم يكن له كتاب ولا محضرة ولا له بالتعليم اشتغال. وإلى جانب هذه الألقاب

---

1 -الرحلة المعينية للشيخ ماء العينين بن العتيق: 262 .



(الميدانية) ألقاب أخرى تجرى مجرى الصفات، وقد تطلق على بعض المعينين استقلالا كألقاب شهرة كالحافظ، وقد اختص به اصطلاحا الإمام أبو عمرو الداني، وكالشيخ، وقد اختص به معاصره أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني نزيل قرطبة ومؤلف كتاب التبصرة في القراءات، وكالإمام، فإنه إذا أطلق استقلالا كان المراد به عند المغاربة أبو عبد الله بن شريح الرعيني صاحب الكافي في القراءات السبع ونزيل إشبيلية.

وقد أشار أبو عبد الله القيسي شيخ الجماعة بفاس إلى هذا الإصطلاح بقوله:

ومن قال (قال الشيخ) مكّي مرادُنا ** ولابن شريح (الإمامُ) تأملا (1)

وقال شيخ الجماعة ابن القاضي في مثل ذلك:

وابن شريح بالإمام يعرف ** والمكي بالشيخ لديهم يوصف (2)

وغلب لقب (المجوّد) على أبي العباس أحمد بن خلف بن عيشون، وهو ابن النخاس الإشبيلي من تلاميذ أبي عبد الله محمد بن شريح المذكور، «وكان مقرئا مجودا مقدما في ذلك مبرزا في إتقان الأداء، وإحكام الإقراء، بذّ في ذلك أهل طبقته، حتى عرف بينهم ب(المجود) وجرى عليه كاللقب يشهر به.. وتصدر للإقراء سنة 494، وتوفي سنة 531 هـ (3).

---

1 – نقله ابن القاضي في كتاب الفجر الساطع.

2 – نفسه (مخطوط)

3 – الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي: السفر الأول: 107-109 ترجمة 140 وانظر غاية النهاية لابن الجزري: 50/1 ترجمة 212 .

وقد عرف بعض الطلبة المعاصرين باسم (المقوِّس) بصيغة اسم الفاعل، وتعني في أوساط الطلبة الشديد الولوع بالرجز والقراءة مشادة مع غيره ومباراة له في الميدان.

## ألقاب أخرى تجري مجرى الصفات الغالبة على المؤدبين

وقد يطلقون على المؤدبين ومشايخ الإقراء ألقابا أخرى تجري مجرى الصفات المختصة ومنها:

15- **الورّاشي**:

ويقصدون بها أحيانا الماهر في رواية ورش، وربما أرادوا بها حفظ القرآن لا خصوص الرواية.

ويقصدون بها أحيانا أنه لا يعرف غير رواية ورش من باقي الروايات عن السبعة وغيرهم.

16- **الهرّاك**:

وقد يقال فيه درّاس كما قال الدباغ في معالم الإيمان (1) في ترجمة ولد القابسي: كان دراسا حافظا للقرآن».

1 – معالم الإيمان : 128/3 .

وهو الكثير الحفظ للقرآن أو لأحكامه وأنصاصه وما يتعلق بذلك.

17- **القشقاش**:

وهذا الإستعمال في شمال المغرب خاصة، والمراد به: الماهر في حفظ القرآن ورسمه وضبطه، و«التقشقيشة» عندهم مرادفة للفِصال والإجازة من لدن الشيوخ.

18- **الأصولي**:

وهو المتقن لأصول الأداء من حيث الحفظ للمتون المتعلقة بها والاستحضار لها عند الحاجة، ويميزونه بهذا الوصف عن غيره ممن يقتصر على أنصاص رواية ورش ورسمها.

19- **الرَّسّام**:

وهو من يتقن الرسم القرآني ولا يخطئ فيه ويحفظ الكراريس المتعلقة به.

## ألقاب قدحية:

20- **بغل القرآن** (1):

وقد أطلقوا ألقابا أخرى قدحية تفيد خلاف ما تفيده الألقاب الأخيرة، فيقولون عمن لا يحفظ القرآن من المنتمين إلى الميدان على غير استحقاق

1 - المزْوي أو المَزْوَد أو القب أو عمي قبان.

وقد يقال بالأمازيغية: إمَزّوي، ومعناها: الجاف الفارغ، وهناك لقب:

---

1 - أطلق هذا اللقب على القارئ الخطيب المعروف بابن مهارش وبابن القصير شيخ أبي إسحاق بن الحاج البلفيقي دفين مراكش قال المقرئ في أزهار الرياض: 110/4: وكان هذا الخطيب يلقب ببغل القرآن وكان رجلا صالحا مجودا للقران».

2 – المزَفّت، أو المشلّل أو الأزرق، وكلها تعني: البليد الفارغ من المحفوظ خلوّاً كاملا.

3 – الثمائْني: الذي يحفظ من القرآن بعض أثمان الأحزاب المتفرقة هنا وهناك، ويقرؤها أو يجودها في المناسبات، فيظن من لا يعرفه أنه طالب متمكن درّاس.

ويرتبط بهذا الوصف عند الطلبة في البوادي والحواضر سيل من الطرائف والحكايات لا حد لها، وسوف نعود إلى بعضها عن قريب، وما أكثر ما يشنّع بعض الطلبة على بعض هؤلاء بأنهم يشبهون «العطار» الذي يطوف على الجهات لبيع بضاعته، ويعقل جيّدا على المواضع الصالحة للمبيت. تشبيها للأثمان التي يحفظونها من القرآن بمنازل العطار هذه التي يتعمدها للمبيت بها لمواصلة رحلته وتطوافه (1).

وما أكثر ما يتندّرون بمن يعتمد على النقل من المصحف في كتابة لوحه، وكذلك على من يكتب منه لتلاميذه أو يفتيهم منه، فيفاجئه بعض من يدخل عليه فيسارع إلى إخفاء مصحفه، والأطفال يلحّون عليه مستفتين.

## أعوان المؤدب ومساعدوه

ويقتضي التسيير للمحضرة والكتاب في بعض الأحيان بسبب كثرة المتعلمين أو بعد الشقة أو الخوف على سلامة الأطفال وجود مساعد أو أكثر، فمنهم:

---

1 – يعبرون عن ذلك باللغة العامية بقولهم: ما يحفظ غير المبايت مثل العطار.

1- العريف (1):

والغالب أنه يكون من قُدامى طلبة الشيخ يستعين به بأجرة أو بدونها في الإشراف على جزء من العمل كالتكتيب، أو تصحيح ألواح الصبية الصغار، أو الإنصات لأصحاب (الأسوار)، وقد مر بنا أن حلقة الصحابي الجليل أبي الدرداء -رضي الله عنه- في مسجد دمشق كانت تشتمل على عدد ضخم من العرفاء، إذ جعل تلاميذه عشرة عشرة، وجعل على كل عشرة عريفا، وأن عبد الله بن عامر الشامي كان واحداً من أولئك العُرفاء فلما مات أبو الدرداء خلفه مكانه (2)، وهذا يشير إلى أن بعض هؤلاء العرفاء كان بمنزلة معلم احتياطي لوقت الحاجة إليه.

وقد عالج العلامة ابن الحاج في المدخل قضية العرفاء في التعليم ومحاذيرها (3).

2- المُقدَّم:

فكرة المقدّم قائمة على معنى تمثيل التلاميذ عند الشيخ، فهو الذي يعنى بشؤون التلاميذ وعلاقتهم بالشيخ، وعن طريقه يقدمون الملتمسات إليه في وضع الألواح أحيانا (التحريرة) أو في طلب (العواشر) عند وصول وقت تسريح التلاميذ إليها، وكذلك يتولى الصندوق الذي يحتفظ فيه بما

---

1 - قال سحنون في رسالة آداب المعلمين: ص 358: «ولا يجعل لهم عريفا منهم، إلا أن يكون الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن».

2 - أنظر كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/46-47 .

3 - ومما ذكره في المدخل عنها قوله: «وينبغي له إذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم، بل يبدل الصبيان في كل وقت على (العرفاء) مرة يعطي صبيان هذا لهذا وصبيان هذا لهذا، لأنه إذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها». (المدخل: 2/315).



تجمع عند التلاميذ والطلبة من هبات، أو ما فضل عن الحاجة من سكر ومؤونة، كما يتولى أحيانا القسمة عليهم فيما يؤمر بقسمته، والغالب أن يكون أكبر منهم سنا وأكثر تقدما في التحصيل.

وما يزال العمل على هذا في أكثر الجوامع والمدارس بالجنوب وبلاد سوس، وحينما يخرج الطلبة في بعض أوقات السنة إلى «الدور» (1) فلا بد من تنصيب مقدم لهم، لأنه حينئذ بمنزلة الأمير في السفر، وله صلاحيات معتبرة زائدة، لا سيما عند عدم خروج (الفقيه) مع طلبته، ومن مهامه تنظيم الرحلة، وإمامة الصلوات عند عدم وجود الأئمة، كما أنه يشرف على التموين، ويتولى الدعاء للأفراد والجماعات.

### 3-السائق (المرافق):

وهو المرافق للصبيان في الذهاب والإياب، وهي مشكلة كانت قائمة في المائة الثامنة وما قبلها، قال ابن الحاج في المدخل: «فإذا كان الصبي في ذلك السن فهو غير محتاج إلى من يأتي به إلى المكتب إن أمن عليه غالبا، فإن لم يؤمن عليه فليرسل معه وليه من يثق به في ذهابه إلى بيته لضرورته وغذائه ومن يأتي به إلى المكتب، فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذي يتولى ذلك من المكتب قال:

والغالب في هذا الزمان أنهم يدخلون أولادهم المكتب في حال الصغر، بحيث إنهم يحتاجون إلى من يربيهم ويسوقهم إلى المكتب ويردهم إلى بيوتهم» (2).

---

1 – سيأتي المراد به.

2 – المدخل لابن الحاج: 315/2 .

وقد سبق بعض قدامى المشارقة إلى معالجة هذه الظاهرة، فاشترط ما يلي لذلك:

«أن يكون السائق لهم أمينا ثقة متأهلا، لأنه يتسلم الصغار في الغدوّ والرواح، وينفرد بهم في الأماكن الخالية، ويدخل بهم على النسوان، فيلزم أن يكون كذلك» (1).

ولعله للشعور بالحاجة إلى مثل هذا عملت مؤسسات التعليم الأولي اليوم وكثير من مؤسسات رياض الأطفال على تزويدها بحافلات صغيرة تقوم بهذه المهمة.

ولقد كنا ونحن صغار نعاني من مثل هذه الظروف الصعبة، وخاصة في عودتنا إلى منازلنا بعد صلاة العشاء أو بعد قراءة الحزب بعد صلاة المغرب، وذلك للمسافة التي كانت تفصل المنازل عن الجامع، وانسدال الظلام، وكون الطريق يمر بجانب المقبرة، وهذه كانت أشد علينا مما قبلها، فكنا نعاني من ذلك أشد المعاناة، ولا نجد مناصا من الانصياع للأمر الواقع مما كان يولد عندنا كثيرا من الخوف والرهبة المتناهية في السنوات الأولى.

ومن تمام الفائدة أن نختم هذا الفصل بذكر الألقاب القليلة المستعملة في وصف الصبي المتعلم، وهي:

---

1 - الشيخ عبد الرحمن بن نصر الشيزري من أهل المائدة السادسة في كتابه: «نهاية الرتبة في الحسبة» أنظر الملحق الأول للدكتور عبد الهادي التازي بكتابه: أبو العباس المغراوي وفكره التربوي: 113-115 .



# ألقاب و أسماء المتعلمين

1 - **المحضار**: وهي الأكثر استعمالا عندنا في جنوب المغرب إذا كان صغير السن، وربما قيل فيه «المحضري» ويجمع على «المحاضر» و«المحاضرية» و«إيمحضارن».

2 - **المسافري**: والجمع «المسافرية» وهم كبار السن من المتعلمين ولو كانوا أبناء الجماعة، ماداموا يتابعون قراءتهم في المسجد أو المحضرة.

3 - **الطالب**: لا يوصف به إلا من استكمل الحفظ وفاصل، أو كان يطلب العلم في المدارس العتيقة.

4 - **التلميذ**: لم تكن تعرف هذه الصفة في المحاضر، وإنما استعملت في العقود الأخيرة تأثرا بالمدرسة العصرية.

هذه هي أهم الألقاب الجارية في المحاضر، ونمر الآن إلى الحديث عن نظام الشرط الذي يقوم عليه التعليم في البادية اليوم.



# الفصل الثالث

## نظام الشرط لتمويل عملية التاديب وعمل (الفقيه) المشارط

الشرط: هو العقد الذي يبرمه الطالب (الفقيه) مع أولياء التلاميذ بقصد القيام بتعليمهم وتأديبهم، وقد يسمى في بعض الاستعمالات قديما وحديثا باسم (عقد الحضار) أو (الإحضار) ويختص كثيرا بالبوادي، كما يعم جميع أنحاء المغرب منذ قرون كثيرة.

ومن مزايا المشارطة -كما ذكر بعض الباحثين: أنها «خففت عن الدولة طوال العصور عبء النفقة على التعليم، إلا فيما ندر، وما زالت هذه المزية قائمة في كثير من الجهات، وفي البادية المغربية ما زالت (المعمرة) هي المؤسسة الشعبية الوحيدة التي تخفف وطأة التعليم عن الدولة، فكل قرية أو مجموعة سكنية لابد من أن تجتمع حول النواة الروحية المتمثلة في المسجد والمصحوب بكتاب لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم.

وعلى الرغم من كون المشارطة إنما هي تعاقد بين جماعة ما وبين معلم للقرآن على إمامة الصلاة في الغالب، وما يتبعها من الصلاة على الجنائز، وعلى تعليم الأطفال القراءة والكتابة، فإن هناك بعض الجماعات التي تختار أن لا تتعاقد إلا مع من يرشحه مستواه العلمي المشهود له به عند طلبة القبيلة، أو يرشحه شيخ معتبر من شيوخه بحيث يذهبون إليه ليوجه إلى من يرضاه من قُدامى تلامذته ليشارط عندهم، وهو في العادة لا



يقترح إلا من كان في تمام الأهلية، لأنه سيتعرض في الأيام الأولى من المشارطة لحضور طائفة من طلبة الجماعة والصلاة معه وقراءة الحزب، وربما زيارته أثناء وجوده مع طلبته، كل ذلك دون إشعاره بأنهم يمتحنون درجة صلاحيته وأهليته (1).

# كيف يتم اختيار المؤدب

وذكر بعض الباحثين أنه إلى عهد قريب كان اختيار الفقيه للمشارطة يتم في أحد المواسم الدينية التي يتجمهر فيها حفظة القرآن الكريم، وبالنسبة للقبائل المنضوية تحت عمالة تطوان القديمة كان هذا التجمهر يتم عند ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش بقبيلة بني عروس، حيث يعلن في مجتمع طلابي كبير عن منصب شاغر للمشارطة في قرية كذا، فمن يتقدم؟ فيتقدم للحلقة المكونة من كبار الفقهاء من يرغب في ذلك الامتحان الذي هو عبارة عن أسئلة متناثرة من هنا وهناك في محاولة كشف ضعفه وفتح ثغرة في حفظه وضبطه لتنحيته وتقديم فقيه آخر لنفس الامتحان حتى يتم الإجماع عليه، فيكون هو المرشح للمشارطة بذلك المسجد (2).

ويعتبر الشرط النظام الأكثر انتشارا اليوم في معظم بوادي المغرب، وهو شرط في الغالب سنوي يؤدي في أوائل فصل الصيف عند حصول تصفية الحبوب (3).

---

1 – الأنصاص القرآنية: للدكتور عبد العزيز العيادي: 28/1 .

2 – نفسه: 29/1-30 .

3 – تختلف عادات القبائل في المقادير من الشرط من أنواع الحبوب بحسب نوع الإنتاج الغالب في المنطقة كالشعير والقمح والذرة، ويضاف في بعض الجهات الصوف وفي الجنوب السكر والزيت، وفي بعض الجهات يضاف إلى ذلك التموين الكافي له ولطلبته عن طريق «النوبة» و«الرتبية» وفي بعض الجهات «الجمعية» في وقت – الربيع، وهي مخصصة كل يوم جمعة من أسابيع الربيع.

وفي بعض الجهات من وسط المغرب وخاصة في المساجد الصغرى أصبح التعاقد الشهري يحل محل الشرط السنوي، كما أنه لم يعد مرتبطا بالمحاصيل الفلاحية وخصب السنة أو قحطها، وإنما هو على قدر من الأجرة يقدم إلى (الطالب) في آخر كل شهر، ويمكن فسخ هذا التعاقد من جهة الجماعة أو من جهة (الطالب) في رأس أي الشهر من العام.

وفي أكثر الحواضر ليس هناك في الكتاتيب اليوم شرط ما بين الجماعة والمؤدب، وإنما المعني بالدفع له آباء التلاميذ وأولياؤهم، إما مشاهرة، وهذا هو الغالب، وإما عن رأس كل أسبوع، إما أربعاء، وإما أحد بحسب الحي، والأكثر يوم الأحد رعاية لأبناء العمال والموظفين.

وقد اختفى من الحواضر أو كاد النوع الثالث الذي كان ينصب فيه المؤدب من جهة الأوقاف، ويتقاضى المودب أجرته من الوقف المرصد لهذه الغاية.

نعم هنالك بعض المنح الذي تقدمها وزارة الأوقاف لعدد لا بأس به من الكتاتيب في عدد من الحواضر، وأضيفت إليها منذ عام عامة مساجد البادية، ولكن الاعتماد في الغالب على ما يتقاضى المعلم من أولياء التلاميذ، ولا سيما إذا كان الكتاب بالكراء، وفيه مساعدون للفقيه.

وقد ظهرت الحاجة إلى الشرط منذ الصدر الأول كما قدمنا، ولم يعد هناك من يتطوع للقيام بالتعليم المجاني، بل تحول (نظام الشرط) إلى حرفة لها أصولها، وربما اعتبرت (رأس مال الطالب) كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في أول مقدمته إذ يقول وهو يتحدث عن التعليم: «واختص انتحاله بالمستضعفين فصار منتحله محتقراً عند أهل العصبية والملك قال: والحجاج بن يوسف كان أبوه من سادات ثقيف وأشرافهم، ومكانهم من



عصبية العرب ومناهضة قريش في الشرف ما علمت: ولم يكن تعليمه القرآن على ما هو الأمر عليه لهذا العهد من أنه حرفة للمعاش، وإنما كان على ما وصفناه من الأمر الأول في الإسلام» (1).

فالتعليم منذ أيام ابن خلدون (ت 808 هـ) كان قد تحول إلى حرفة للمعاش، وأصبح المغرب كله ميدانا للطالب حين يتأهل ليغامر باقتحام هذا الميدان، وهي تجربة في بداية التمرس بها من المشارطين الجدد من أشق ما يواجهون (2) ولذلك نقرأ في أدبيات الشرط عن كثير من مظاهر التأفف من هذه المعاناة.

## مقدار الشرط ونوعه في بوادي سوس

قال صاحب «المدرسة الأولى»:

يتفق (الطالب) والمشارطون مقابل المهام المنوطة به على أجرة تسمى (الشرط) أو (ليحضار)، وهو قدر معلوم من غالب قوت البلد، يأخذه (الطالب) آخر السنة، وهو في بلدتنا وما حواليها، الشعير، وشيء من الصوف، الجزّة أو ما دونها بحسب الغنم ورجاء المعطي، وزبدة أو زبدتان في فصل الربيع على من يستعمل ممخضتين، كما يتبرع للطالب من يتزودون لآخرتهم بشيء من التبن: خيشة أو خيشتين، أو ما تيسر من عُشُر

1 – مقدمة ابن خلدون: 30 .

2 – من أشد ما يواجهه الطلبة في بداية عهدهم بالشرط، قضية غسل الميت، فإنها من أهم البواعث على مشارطة الجماعات للطلبة في المساجد، وذلك لاشتداد الحاجة بهم إلى من يكفيهم مؤونة تجهيز موتاهم والصلاة عليهم، وقلَّ أن تجد طالباً لم تحدث له أزمة نفسية عندما يتعرض لأول تجربة من ذلك، لا سيما من لم يسبق لهم المشاركة في ذلك، وقد بلغني مثل هذه الأزمة عن أحد شيوخي لأول ما شارط، ثم تداركه الله بطالب عاقل من الجماعة كان يقرأ عليه، فكان يكفيه هذه المؤونة حتى تجاوز هذه المحنة بسلام.

الحبوب: صاع أو آصُع. أما الدراهم فلا تقع في يده، إلا إذا باع شيئا من شرطه، أو مما أعطيه تبرعا من المقوَّمات، اللهم إلا ما يأخذه من «أربعاوات» التلاميذ أو «عواشرهم».

ويشارطهم أيضا على غذائه الذي يدور عليهم بالتناوب، وهو على ما ألف في قريتنا الإلغية قديما: ما يتعشى به بُعيد العِشاء، وما يتغدَّى به عند ارتفاع النهار (أي حوالي العاشرة صباحا) وأما تأخيره إلى نصف النهار فلم يعمل به إلا في النصف الأخير من القرن الرابع عشر الهجري عهد الحماية إلى الآن» (1).

وغالبا ما يمنى الطالب بخسارة ما تشارط مع الجماعة عليه من الحبوب كلا أو بعضا، وذلك في حالة تعرض المحصول الزراعي لآفة الجفاف أو الجراد وعجز السكان عن تعويضه، أو نزوح عدد كبير منهم عن المنطقة والهجرة إلى المدن.

وفي هذه الحالة يحتفظ المشارط بحقه في المطالبة بما ترتب له على الجماعة إلى عام الخصب، أو يتنازل عن حقه كلا أو بعضا إذا أحس بعجز الباقين عن التحمل وذلك كثيرا ما يحدث، وبسبب تكرر ذلك على بعض المشارطين كان يضطر إلى مفارقة تلك الجماعة أو مغادرة المشارطة بالمرة.

وقد لجأ الطلبة المشارطون في العقود الأخيرة إلى اختيار المشارطة بالمشاهرة على قدر معين من المال يأخذه علي رأس كل شهر، والعادة أن يتكفل له به «المقدم» الذي يمثل الجماعة، ويقوم المقدم باستخلاصه منهم يوم السوق الأسبوعية، ومن بقي عليه شيء طالبه به في اجتماع يوم العيد أمام الجماعة.

---

1 - المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 23



ولقد عرف المتقدمون منذ القديم أن ما يشارط عليه المؤدبون لا يكاد يفي بضروريات حياتهم، فضلا عن أن يتسع للإنفاق على المتعلمين عنده، أو على أضياف المحضرة من الواردين عليها، ولذلك نراهم قد غضوا الطرف عن إمكان تعاطيه في أوقات الفراغ لصناعة تتناسب مع منصبه ولا تخل به، وذلك كالنساخة للمصاحف وكتب العلم إذا كان قد وهبه الله خطا يتنافس فيه، أو كالخياطة في بيته أو غيره في غير المسجد.

كما أنهم غضوا الطرف عن حصوله على بعض الهبات والهدايا في محضرته فلم يعدوا عليه ذلك ليخصموه من شرطه، واعتبروا ما يصل إليه من ذلك ملكا خالصا له.

وقد تناول بعض الباحثين موضوع الشّرط فقرر أن المؤدب أو المعلم الذي يعلم في (الحضار) أو (المسيد) يتفق معه على عقد ينص فيه على مرتبه وما يشترط عليه، وكانت هذه المرتبات في الغالب قليلة لا تكفي المؤدب، لذلك لا يخلو الأمر من بعض الهدايا التي تقدم إلى المؤدبين في المناسبات، وتسمى (الفتوح) أو عندما يتم الصبي حفظ القرآن ويحذقه، وتسمى بالحذقة» (1).

قلت: وهذه الوجوه الأخرى كالهدايا وفتوح المحضرة والحذقات تدخل كلها في روافد الشرط ودعائمه المساعدة، وسوف نخصها بفصل خاص بعون الله فيما نستقبله من هذا البحث.

---

1 - الدكتورة دندش في: معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين: 94 .



## تعدد الكتاتيب عند المعلم الواحد

ولقد عمد بعض المؤدبين لتحقيق دخل مناسب، إلى تعديد الكتاتيب التي يشرف عليها كما في مدينة مكناس، فقد ذكر العلامة ابن زيدان في ترجمة محمد بن المهدي المنوني الحسني المكناسي أنه:

«فقيه مجود مرتل، له اليد الطولى في معرفة الرسم وتعليم الصبيان وإفادة المقرئين، لا يرى في غالب أحواله إلا تاليا أو ذاكرا أو معلما... اتخذ (مكاتب) لتعليم القرآن العظيم عامة وخاصة، ونفع الله به أقواما، ثم رشحه السلطان مولانا الحسن لتأديب بناته بداره المحروسة المحوطة، وأفاض عليه من سجال البر والإحسان ما هو له أهل، ورتب له جراية وافرة من الطعام والدراهم مياومة ومشاهرة، ولم يزل قائما بما رشح له أحسن قيام إلى أن لبى داعي مولاه رحمه الله عام 1322 هـ (1).

## الشرط في مسجدين دفعة واحدة

ومن طريف أنواع الشرط ما هو موجود في بعض نواحي جاحة من مشارطة (الطالب) في مسجدين اثنين دفعة واحدة، وذلك بموافقة جماعتي المسجدين، وسبب ذلك هو صغر الجماعتين من حيث عدد السكان بحيث يتعذر على الجماعة الواحدة بسبب الضعف والقلة العددية، القيام بشرط (الطالب) وتموينه، فتشترك في ذلك جماعتان، على أساس أن يقيم عند كل واحدة منهما على حسب مدار (النوبة).

1 -إتحاف أعلام الناس: 5/280-281 .



وعن صورة من هذا نقرأ عن أوليات الشيخ الفقيه أبي علي الحسن بن محمد بن الحسن إبنّدو التامري الحاحي ( 1349 هـ - 1930 م ) قول تلميذه الشيخ الفقيه السيد الحاج ابراهيم إذ إبراهيم التامري:

«قرأ أولا حروف الهجاء عند (الطالب) سيدي محمد أومبارك إيميحّي الشهير، حين كان مشارطا بمسجد «تبندوت» وربما يضيف مسجد «تاسيلا» ، وكان يتنقل بينهما بإيعاز من آل الفريقين، وهي عادة قديمة متوارثة، يلازم المشارط هذا المسجد حتى تنقضي (النّوبة) (1) على حساب الرؤوس فينتقل إلى الآخر وهكذا، وعلى ذلك دبَّ الصغير، ودرج الكبير... والمترجم يترسم خطا أستاذه إيميحي حين يتنقل بين هاتين القريتين، وهو لا زال في طور الطفولة...» (2).

وقال الفقيه التامري في ترجمة شيخه المذكور أيضا متحدثا عن بعض شيوخ شيخه:

«ولقلة جماعة «تاسيلا» وشدة فقرها وقلة ذات يدها، فقد شارط هذا الطالب في مسجدين اثنين في نفس الوقت: مسجدنا ومسجد جماعة «تبندوت» التي لا تقل عن الأولى فقرا وهُزالاً وقلة أفراد، فيقيم في كل مسجد حتى تدور النوبة على الجماعة، ثم ينتقل ويرتحل إلى المسجد الآخر، وهكذا دواليك، ونحن تلاميذه (إمحضرن) في كل حل وترحال» (3).

---

1 - النوبة: هي التموين الذي يدفع إلى الطالب يوميا بالتناوب، وسيأتي الحديث عنها.
2 - المتعة والراحة: 1/296-297
3 - نفسه: : 1/309



وكما كان هناك اهتمام من الجماعات بالشرط في مساجدهم الصغرى، فقد كانت هناك مساجد أقدم في بعض النواحي أو مدارس علمية أو مزدوجة تجمع بين تحفيظ القرآن وتعليم مبادئ العلوم الشرعية، وكانت الحاجة إلى هذه في القبيلة لا تقل عنها إلى الأخرى، فمن ثم كان لابد من النظر في أمر ما يدفع إلى الفقيه القائم بها وبطلبتها من الشرط، وكيف يتم تدبيره، وعلى من يقع تحميله؟؟ وكانت الظهائر الملوكية والأوامر الرسمية لا تنفك تصدر بالإلحاح على القواد والعمال بإلزام الناس في الحواضر والبوادي باتخاذ المعلمين والفقهاء ومشارطتهم على إقامة الشعائر الدينية وتعليم الصبيان.

## أمثلة من الظهائر السلطانية في إلزام الرعية بالمشارطة لتعليم الصبيان

هذا الظهير الطويل الصادر من السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام العلوي إلى سائر عماله في رابع جمادي الأولى عام 1267 هـ وأمر أن يقرأ على الناس في مساجدهم وأسواقهم ومواضع اجتماعهم في مواسمهم. قال العلامة ابن زيدان عن هذا السلطان، «وكان بالمحل الذي لا ينكر، يأمر عماله بالرفق والسير الحسن في الرعية، والاستمساك بالسنة، وعمارة المساجد، واتخاذ الفقهاء يعلمون الصبيان بكل حلة ودوار، ثم ذكر نص الظهير الذي بعث به إلى عامل الغرب المالكي القائد محمد بن الحاج الحباسي، وفيه قوله:

---

1 - نفسه: 294 .

2 - الفوائد الجميلة: 508 .



«ويسعى في إحياء العلم ما أمكنه، فإن رفعه من أشراط الساعة، وتعظيم العلماء من تعظيم حرمات الله، والله لا يقبض العلم انتزاعا من صدور الرجال، ولكن يقبضه بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا...

ويلزم العاملُ كل دوار أو جماعة بمشارطة طالب علم يرجعون إليه في أمر دينهم وتعليم صبيانهم وجُهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس في أوقاتها، ومن لم يفعل زجره وعاقبه، ويختار الأشياخ من أهل الدين، ويرفع القضايا الشرعية لقضاة العدل الذي يتقون الله ويتحرون في أحكامهم...» (1).

✓ وكتب بمثل هذا للقائد المهدي الشرادي في 16 رمضان المعظم من عام 1252 هـ فقال:

«وقد تواترت لدينا الأخبار أن الناس أهملوا الصلاة رأسا، وتركوا ما كان عليه سلفهم من جعل المساجد في الحِلل، وترتيب (الطلبة) للأذان وإقامة الصلوات وتعليم الصبيان، وهذه غفلة كبيرة عن الله، وتضييع لدين رسول الله - ﷺ -.

فإذا قرأت كتابنا هذا، فمُر كل أهل دوار من إيالتك بجعل مسجد فيه إمام راتب، وأجبرهم على إقامة رسوم دينهم، وإحياء سنة نبيهم - ﷺ - وبث نسخا من هذا الكتاب في إيالتك ليعم النفع به إن شاء الله، وليعملوا بمقتضاه.. وقد علمت أن سبب نزول المصائب غالبا من احتباس الأمطار وغيرها التفريط في الدين.... (2).

---

1 - إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس: 5/93-99 .
2 - نفسه: 5/102-104 .



✓ وقال في ظهير ثالث بعث به إلى القائد محمد بن عبد الصادق الريفي مؤرخ بصفر الخير عام 1270:

«فليزم كل دوائر ومدشر مشارطة طالب علم يرجعون إليه في أمر دينهم وتعليم صبيانهم وجهالهم، ويقوم بالأذان والصلوات الخمس، ومن لم يفعل زجره وعاقبه، فإن دين الله أولى ما يعاقب عليه العامل الرعية...» (1).

## فتاوى لبعض المالكية
## حول لزوم دفع الشرط لمدرسة القبيلة

لقد كان بعض النزاع يثور بين بعض الجماعات من أصحاب المساجد الصغيرة الذين كان يفرض عليهم أن يشاركوا بقدر معين في شرط بعض المساجد الموجودة في قبيلتهم، وإن لم يكن لهم انتفاع مباشر منها بالصلاة فيها أو قراءة أولادهم بها، فقد ذكر الشيخ محمد المختار السوسي -رحمه الله- صدور استفتاء في هذا الموضوع من الشيخ الحاج أحمد بن عبد الرحمن الجشتيمي السوسي تقدم به إلى علماء مكة المكرمة حين حج وجاور بها سنة 1279 هـ، وهذا نص السؤال والجواب عليه.

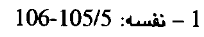
قال رحمه الله في جملة مسائل سأل عنها:

وثالثها: ما كان يأخذه الأجير منهم على تعليم علم وفرقان

بمدرسة تبنى لذلك بينما ** قرىً لِقَبيل في فَلاً أو بعمران

يؤاجره فيها ذوو رأيهم ويُلزِمون اغترامَ الأجر سائرُ قطان

فهل سادتي جبرُ الأُباة مجوّز** لكما يروا في الدين من خير أعوان



1 – نفسه: 106-105/5



بدرس علوم الشرع في أرضهم تُرَى ** ولا كان في أقطارها حكمُ سلطان
ولو لم يصلوا خلفه لا ولا غدا ** لهم نافعا بمثل إقراء ولدان
فإن لهم من ذلك في كل قرية ** أجيرَ إمامة وتعليم صبيان
أم إن كانت الأحوال تلك ولم تطبْ ** بهِ نفسُ من يُعطيه يَحْرُم على الجاني

فأجابه مفتي المالكية بمكة المشرفة السيد حسين بن إبراهيم عن مسائله فكان مما قال عن المسألة الثالثة المذكورة.

وثالثها: إن كان ذو الرأي منهم ** يؤاجرُ نِحريراً لتعليم قرآن
كذاك يعلمهم أمورا لدينهم ** كفاءً وعَيْنِيّاً لسائر قُطّان
يُصلي بهم أيضا إماما فليس لا ** بمُمتنع شرعا فكن فطنا عان
وتوزيع هذا الأجر منه عليهم ** بطاقتهم من فقرأ أو يُسر إحسان (1)

1 – المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية لمحمد المختار السوسي: 81-90 .

# الفصل الرابع

## أدبيات من وحي الشرط والمشارطة:

لاشك أن موضوع الشرط والمشارطة باعتباره يتعلق بوظيفة تربوية، وخدمة اجتماعية وإنسانية، ومهنة شريفة يعتبر صاحبها المحتسب بمقصده وتصحيح النية فيه خير الناس كما جاءت هذه الخيرية منصوصة على لسان خير البرية عليه الصلاة والسلام في غير ما حديث.

ومع هذا فقد درج أهل هذا الميدان على اعتبار هذه الوظيفة مهنة العجزة والعادمين للقدرة على الحركة في أرض الله، وطلب العيش الكريم بشتى الوسائل المتاحة والمتأتية، ثم زاد الإحساس مع الزمن، فأفرز مزيدا من الضيق بها والتسخط لها، وتجلى ذلك في تمثلهم لهبوط مركز المدرر في بعض الأوساط الاجتماعية، وتدنّي اعتباره في نظر عامة الناس، مع ما يسمع عنه من سوء معاملة بعض الأشخاص والجماعات لبعض الطلبة الذي اضطرتهم الظروف إلى المشارطة وتعليم الصبيان، مما تجمعت منه نفثات أدبية يحفظها كثير من الطلبة تنم عن ضيق بالانتساب للمهنة، وامتعاض من الحاجة إليها، ووصف لها بالصفات المزهدة فيها، والإنحاء باللائمة وسخف الرأي على من اختارها وسيلة لكسب القوت.

فمما يروونه مما قالوه في مهنة التعليم قديما قول العلوي صاحب الزنج بالبصرة (ت 270 هـ).

---

1 - من نسخها المخطوطة مخطوطة خزانة ابن يوسف بمراكش برقم 199 .

2 - مخطوطة الأجوبة الناصرية: 32-34 .



أيا حِـرفـة الزُّمْنَى ألمَّ بك الرَّدى ** أما لي خلاص منك والشمل جامع؟
لئن رضـيت نفسي بتعليمِ صِبْيَة ** مـدى الدهر، إني بالمذلة قـانعُ
وهل يرضَيْن حُرٌّ بتعليم صِبْيَة ** وقد ظن أن الرزق في الأرض واسع؟

وهذا صاحب كتاب المتعة والراحة يصف لنا حال واحد ممن كان يتعاطى المشارطة على مضض فيقول:

«ولكنه لا يشارط إلا إذا اضطر اضطراراً شديداً، وكأنه يرى في المشارطة بالمساجد ما يراه كثير من أذكياء القراء والطلبة من مظاهر الذل والحقارة والضياع، وأذكر أن أحدهم أنشدني:

ألم تر أن الشـرط ذل ومحنةٌ ** فأوله عـز وآخـره شـر
وبينهـمـا ذل فـويل للطالب ** فـأوله عـز وآخـره شـر

وأنشدني آخر:

أكلُ الجياف وأكلُ الرمل منفرداً ** ماءُ البحار ولُبس الشَّعْر والوبَر
خيرٌ من الشرط شهراً لو لبست له ** ثوب الحرير، فلا تنجو من الكدر

وأنشدني ثالث:

سئلت عن أقبح الصنائع كلها ** فقيل: أما التدرير أقبح ما يرى
أعلم أبناء اللئام كأنني ** أعالجُ قَطراناً ليرجع سُكْرا (1)

وهذا شيخ صاحب المتعة والراحة أيضا الأستاذ الحسن إبندو – رحمه الله– يقول في مذكراته متحدثا عن نفسه وحاله بعد أن استكمل دراسته وتأهل للمشارطة على عادة أهل جيله:

---
1 –المتعة والراحة: 306-305/1



«لا أفكر في المشارطة في أي مسجد، ولا في الانتقال من الزاوية (1) بوجه ما، إلا إذا أذنا لي: والدي وشيخي في ذلك وأمراني أمرهما المطاع، والواقع أنني كوالدي لا أميل إلى المشارطة، لما تنطوي عليه من الإذلال والإهانة» (2).

الذل والإهانة هما المانع الأعظم، الذل من جانب المشارط بمعنى الرضا به رغما عنه، والإهانة من جانب الطرف الآخر، وهو إما الجماعة حين تكون إلباً على المشارط، أو الواحد منها حين يهون أمره عندها فيمسي عرضة لمن يتنقصه أو يعامله معاملة فيها الحط من كرامته.

وهذا آخر يقول في ذم الشرط وجعله سبب الإفلاس، وبغض الناس:

الحرث ذو ربح وبالفاس ** والشرط همٌّ سببُ الإفلاس
لاسيما وبُغْض هذا الناس ** إمامَهم شاع بلا التباس
وَهَبْه كان من بني العباس ** فاحذر وُقيت سبب الإفلاس (3)

وقديما فاض إناء بعض المؤدبين من قدامى معلمي الصبيان بمدينة القيروان فقال مخاطبا لصبيان مكتبه، وصاباً عليهم بالسباب جام غضبه:

يا فراخَ المزابل ** ونِتَاجَ الأراذل
اقرأوا لاقرأتمُ ** غيرَ سحرٍ وباطل
روَّحَ اللهُ مِنكُمُ ** عاجلا غير آجل (4)

---

1 – لعله يعني زاوية المحصر بنا حية الصويرة حيث درس وأقام اثنتي عشرة سنة يأخذ عن فقيهها السيد محمد أوبلا المكرادي السوسي الأصل المقيم العام لشؤون الزاوية المذكورة. أنظر ذلك في كتاب المتعة والراحة للأستاذ الفقيه الحاج إبراهيم التامري: 322/1 .

2 – المتعة والراحة: 323/1 .

3 – أنظر كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي: 41-40/1 .

4 – كتاب أليس الصبح بقريب للعلامة محمد الطاهر بن عاشور: 75 .



إنه الضيق والضجر الذي قد يعتري بعض المشيخة، فيعبرون عما يخالج أعماقهم من الغبن الذي يجدونه أحيانا، ولابد للمصدور أن ينفث كما يقول المثل، وإني لأذكر عبارة لأحد شيوخنا كانت تصدرُ عنه في وقت الغضب علينا ونحن صبية صغار، تعجز قواميس الدنيا عن شرح المراد بها بدقة، وقد مات -رحمه الله- قبل أن يقضى لنا استفساره عن مراده بها، لقد كان يقول لنا إذا التفت أحدنا عن لوحه: «اقرأ الله يقرّيك التناوش» فلا ندري ما التناوش هذه؟ وقد فاتنا أن نسأله (1).

وهكذا يعتبر كثير من الطلبة المشارطين الشرط في المساجد من باب الضرورة التي لا مناص منها لمن لم يجد إلى العيش سبيلا إلا بتعاطيها، وهذا أحد الباحثين من علماء سوس يذكر من فضل العلامة محمد المختار السوسي على مجموعة من طلبة سوس أنه «اتجه اتجاها وطنيا ودينيا نحو التعليم، وفتح تلك النافذة بزاوية الرميلة (2)، ولولاه لأصبحت هذه المجموعة أو جلها تتسكّع في (المشارطة في المساجد) أو في بعض (المدارس العتيقة) بالنسبة لمن كان منهم أحسن حظا، وأراد أن يكون (فقيها) يتحمل (ذلَ المشارطة) الذي قيل فيه:

«شيئان لست ترى أذل منهما: ذلُّ السؤال، وذُلُّ (شرط المسجد) (3).

---

1 – هو شيخنا السيد بوجمعة بن صديق رحمه الله، وهو أول من ختمت عليه القرآن باللوح.

2 – تقع في حي الرميلة بجوار مسجد باب دكالة الكبير بمراكش، وفيها كان يدرس رحمه الله قبل نفيه من مراكش في عهد الإستعمار الفرنسي.

3 – أنظر الأستاذ المتوكل عمر الساحلي في كتابه: المعهد الإسلامي بتارودانت: 148/1 .

# رسالة لمحمد بن الحاج الإفراني
# في وصف حال المشارط وما يتعرض له من مهانة

قال الأستاذ عمر الساحلي:

«وقد عبر الأستاذ الأديب السيد محمد بن الحاج الإفراني عن حالة المشارطين أصدق تعبير في رسالة بعثها إلى شيخه الحاج أحمد الجشتيمي، ولعله كتبها إليه يوم فارق مدرسة «تمليلين» كما في الجزء العاشر من المعسول ص 16 – هذا نصها (1):

«أما بعد، فقد عوّلت على أن أقوِّض الخيام، من عند هؤلاء الأقوام، بعدما صار صَيِّبُهم إلى الجهَام، وصار صارمُهم إلى الكَهام، فلا خير في عيش يتمصَّصُه الأبيّ من بين أشداق الملتهمين، ولا في حياةِ قَنوع غير جسور بين متلمّظين نَهِمين، فالمشاكلة في الأوصاف، شَرْطٌ في المعاملة بإنصاف، فكيف مثلي بين لئام رُضَّع، والطير إنما هي على أُلأفِهَا وُقَّع، وركوب الجنائز، والتلَف في المفاوز، على كاهل المعَاوِز، أدنى إلى (إعادة الشرط) مع هؤلاء، والصبر مع أنذال جهلاء.

فما للمرء خير في حياة ** إذا ما عُدَّ من سَقَط المتاع

وقد أسمعني بعض نفاليسهم (2) المفاليس، الذين لمثلهم خُلقت كلمة «بيس» ما يكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا، فلم أجد من المغادرة ونفْض الكف من مدرستهم بُدّا، وسأرِد عن قريب، فأكون عن عذري خير مجيب» (3).

---

1 – نفسه: 148-149 .

2 –جمع أنفلوس، وهو بالشلحة: رئيس القبيلة وزعيمها.

3 – المعهد الإسلامي بتارودانت: 148/1-149 .



قال الأستاذ الساحلي معلقا على هذه الرسالة:

«وعلى كل حال (فالمشارطة) مهنة شريفة، باعتبارها وسيلة لتدريس العلم في تلك المدارس، ولا مناص منها للعلماء الذين يريدون نشر العلوم وبثها في الصدور، وهي أيضا باعتبارها قيداً للأستاذ المشارط الذي يصبح بها تحت رحمة (النفاليس) مهنة منحطة تشبه إلى حد بعيد مهنة التسوّل، لأن الجامع بينهما ذل صراح في التسوّل، وتذلل مصطنع في المشارطة» (1).

## لماذا يزهدون في المشارطة؟

ذلك ما أحسبه كان يزهدهم في الشرط، ويطلق ألسنتهم بالتعبير عن تسخطه وثلبه والتأفف منه، يضاف كل ذلك إلى قلة مردوديته في بعض البلدان لقلة ذات اليد عند أهليها بسبب طبيعتها، أو لقلة السكان وصغر الجماعة أو لهوان الشأن الديني أحيانا بسبب الغفلة وقلة التذكير والتوجيه، ولقد عبر صاحب «الأنصاص القرآنية» عن جانب من هذا الإشكال في سياق حديثه عن المهام والتكاليف الكثيرة المنوطة بالمعلم فقال:

«ورغم هذه التكاليف التي تناط بالفقيه المعلم مقابل أجر زهيد جدا لا يتعدى في أحسن الأحوال ستة قناطير من الحبوب المختلطة (ذرة – شعير). أما في المناطق المنبسطة (السهول) حيث تقل نسبة التمدرس فيها، فإن المنافسات على هذه المشارطة تصل أحيانا إلى درجة المواجهة والمنافسة بين (الفقهاء) أنفسهم، مما يؤدي بالعفيف منهم إلى الإزاحة والعطالة والبعد عن أهله وأسرته إلى مسجد آخر، ومن ثم فقد زهد في

---

1 – نفسه: 149/1 .



هذا العمل (فقهاء) أجلاء، ترفعوا عن أن يكونوا محل نزاع في إيمانهم وكرامتهم وعفتهم، مقابل أجر زهيد يكدّون من أجله لتعليم الأطفال القراءة والكتابة، ويحفظونهم كتاب الله» (1).

قلة الدخل إذن هي سبب آخر، وزيادة العرض على الطلب، وهي آفة أخلت بالتوازن المطلوب، وقد عبر بعض الطلبة عن ذلك في عبارة متداولة بينهم حين إنتقل إلى بعض المدن، ورخص ثمن كراء الحوانيت، حتى أصبح بين كل كتاب وكتاب كتاب، كما قيل في مثل ذلك عن المقاهي، فقيل لطالب: كيف حال الكتاتيب في الدار البيضاء؟ فقال: إذا تثاءبت فأغلق فمك بسرعة، حتى لا يسبقك طالب فيشارط فيه!

وكثيراً ما سمعنا بسبب وفرة الطلبة الجاهزين للمشارطة قول بعض العوام: «إذا بغيت طالب للجامع تجيك عشرين، وإذا بغيت سارح للغنم ما تلقاه!».

فهذه العوامل مجتمعة هي التي أدت إلى هوان هذه المهنة حتى عند أهلها، إلا من رحم ربك ممن يقدرها قدرها ويرعاها حق رعايتها، وقليل ما هم، وأكثر من تحدثه عن الشرط وبركته يقول لك مع من قال:

ولا تستمع قول الجهول وقل له: ألم تر أن (الشرط) لا ينقع الصدى؟ (2).

وكان من الشائع أن الطالب، وخاصة الصغير السن لا يشارط مهما كانت الظروف، إلا إذا كان غرضه الاستعانة على متابعة الدراسة، ولذلك كانوا يقولون: **(اقرأ لتشارط، وشارط لتقرأ)** (3).

---

1 - الأنصاص القرآنية: 1/40-41 .

2 - أنظر: المتعة والراحة: 2/384 .

3 - أنظر الدراسات القرآنية للأستاذ إبراهيم الوافي: 97 .



# الإمام المحدث عبد الحق الإشبيلي يهجو بعض الأوغاد بعد أن شارط عندهم (1)

ومن طريف ما صدر من الأدبيات في موضوع الضيق بالشرط وتعرض الفقيه لمعاملة بعض الأوغاد، هذه القصيدة النادرة التي لا تكاد توجد في الأيدي قالها الإمام عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي، «وكان قد رحل عن الأندلس بنية الحج، فلم يقدر له ذلك، فأقام ببجاية، وبها ألف تواليفه المعروفة، منها كتاب الأحكام الكبرى، والصغرى، وكتاب الرقائق والعاقبة والتهجد وغير ذلك» (2).

أعبِّر عما كنت في السر أُبهم ** كأن لسان الحال عني يُتَرْجِمِ

بدوت وقدماً كنت أعرف حاضرا ** وسكنىَ البوادي لا تحل، وتحرُم

تكلفت سكناها، وكان ضرورة ** وفي كبدي أمرٌ به الله يَعلم

ثَوَيْت بها ما بين قوم بيوتهم ** كُهوف وأشعاب وبيتٌ مهَوَّم

حُفاة عُراةٌ لا يحل جِوارهم ** وإن تختبرهم ليس في القوم مُسلم

حقيق على من كان مثواه بينهم ** يُلام ويُجلى في البلاد ويُشتم

خِيارهم الأشرار منهم، فإن يكن ** بفرعون كفر كُفرهم منه أقدم

دُللت عليهم خَيَّب اللهُ سعيهم ** فلا عالم منهم ولا متعلم

ذئاب كلاب في ثياب ثَعالب ** ومكسبهم كلٌّ حرامٌ وَمغنَم



1 – كان –رحمه الله– قد نزل بجاية بالجزائر بعد أن هاجر من الأندلس، وألف كتاب الأحكام، وهو الكتاب الذي ألف عليه أبو الحسن بن القطان الفاسي كتابه بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام، ولد سنة 514 هـ وتوفي ببجاية سنة 582 هـ. أنظر ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير: 4/4 ترجمة رقم 6 .

2 – صلة الصلة: 4/4-5 .



رِيَاضــتـهم لا تُســتطاع، وإنما ** يروضــهم سـجْن وسُخط ومَغْـرَم
زَنادقـــة في طبـعــهم، وبهــائم ** وإن قُلْت كُـفّـارٌ فـقـولك أقــوم
طواعـيـة الطاغـوت فـيـهم قـديمة ** إذا قـيل: من أعـداء ربك؟ قل: هُم
ظننت بهـم ظَنَاً وجَـدت خـلافَـة ** فـقَلَّ إمــام منهم اليـوم يَسْلَم
كسالى عن التوفيق، صمٌّ عن الهُدى ** إذا ما دُعوا للخير عن قصدهِ عموا
لِبَاسُـهم الزُّنَّار والسُّحت أكلُهم ** صَـبِيٌّ بِزُنَّار وشــيخٌ مُـسَلْهَم
مساجدهم لا تعْمَرَنْ بصلاتهم ** ويعــجبـهم منهـا الذي يتــهـدَّم
نَسوا الله في الدنيا، فأعمى قلوبهم ** وولَّى عليــهم من يجـور ويظلم
صَغَتْ لنواقيس النصارى عقُولهم ** فمهـما رأوا أهل الصليب تبسّموا
ضــيـافـتُـهم مـعلومـة لقـدومِـهم ** دَجَـــاجٌ وبَيْضٌ والمُدام المحــــرَّم
عَــوائدهم ترك الصــلاة وعندهـم ** بأمــر النســاءِ القــاصـرات تهـمُّم
غُلبت على طول الزمــان بأرضــهم ** على أنني منـهم لأمٍّ وأُســـأمُ (1)
فــقــيـهُــهُم لا يعــبـأون بأمــره ** وإن جــاء زَفَّــانٌ يُعَــزُّ ويُكرَم
قـرينهم الشـيطان حـرَّضـهم على ** ركـوب المعــاصي وهي إثْمٌ ومَـغْـرم
سـبيلُ الـهدى والرشـد لا يسلكونه ** فــهـم في ضـــلال غـــافلون ونُوَّمُ
شيـوخ القُرَى لا يُنصِفون إمامـهم ** وفي (أجره الشَّرطي) (2) يُحَمّ ويُحتمُ (3)
وقــــارُهـم عَــدْوٌ، وَوُدُّهـم قِـــلاً ** وأكـبـرهم سِنّاً مـسيءٌ ومــجـرم
يقــيناً لقـد حقّ العــذَابُ عليــهم ** ولكن رب العـرش يعـفـو ويرحم (4)

1 – في الأصل: «منهم لئيم» ويظهر أنه تصحيف للفظ «لأمٍّ» ولعل أم الشاعر كانت من بجاية، وابن أخت القوم منهم كما في الحديث الشريف

2 – يعني ما تشارطوا معه من أجرة الشرط.

3 – سقط من المخطوطة البيت الموالي المبدوء بحرف الهاء.

4 – وصلت إلى القصيدة عن طريق ولدي الأستاذ حسن حميتو، قدم بها معه من دراسته بالمدينة المنورة وذكر لي أن بعض الطلبة الجزائريين استخرجها من مكتبة الأسكوريال بمدريد.



# حكم الشرط وأخذ الأجرة على القربات والوظائف الشرعية للمؤلف

ومما يندرج في أدبيات المحضرة، ما قلته عن الشرط في الأذان وغيره من الوظائف الشرعية في أرجوزة لي بعنوان «تحفة المؤذنين» وذلك قولي فيها:

والشرط في الأذان والإقامة ** كالشرط في وظيفة الإمامة
إذ ذاك من تمامه المعقول ** جوازه جار على الأصول
لكنه ليس بمعنى العِوَض ** على المنافع على ما نرتضي
وإنما من باب بَذْل العون ** وحفظ ماء وجهه بالصَّوْن
إذ ليس بُدٌّ من معاش يَرتفق ** به إذا شُغِل عن أن يَرْتزِق
ولم يكن ثمَّة بيت مال ** أو وقف محسن لِرَأب الحال
وشرطه في أخذه للبَذل ** أن لا يُخِلُّ ببقاء الأصل
وهْو التفرُّغ لِفعل القُرْبة ** من دون نقض لمعاني الحِسبة
وذاك بعد صِحة الديانة ** وصحّة النية والصِيَانة
وكونه يَنْوي به التقوِّي ** على العبادة، وهذا النَّحو
وفي غياب هذه المعاني ** ليس يصحُّ الشرط للمُعَانِي
لأن هذا الشأن دينٌ قَيم ** لا مكسَبٌ يطلبُه أو مَغْنَم
وهاهنا تُساق للتمليح ** وليس للرغبة في التجريح
أقصوصةٌ جرت بأرض الشام ** أو هكذا قيل على التمام
موضوعها استئجار من يُؤَذِّن ** لهم على العادة ممَّن يُحسن



فــزعَــمــوا بأن أهل حِـمص ** قد ألفوا استئجار أيّ شـخص
لم يشـرطوا ديناً ولا إسـلامـا ** ولا رأوا شــرطهــمــا لِزامــا
وهكذا جروا على ما اعتادوا ** وقَــصْــدُهم أن يحـصلَ المُراد
فـقــام ذو مكر من اليــهــود ** فَــأَبْرَمَ العــقــد مع الشــهــود
بأُجـــــرة على الأذان يُرفَع ** في وقـتــه لِقــاء جُـعْل يُدْفَع
وجــاء في مــيــقــاته يُؤدّي ** وفِـاق مــا التـزمــه في العـقـد
فـقـال بعـد كلمـة التـوحـيـد ** مــــردِّداً بـأبلـغ التــــرديد
أشـهد أن أهل حِمْصٍ يَشْـهدون ** شـهـادةً، وهـم لهـا مـعـتـمـدون
أن مـــحـــمـــداً رســول الله ** ثم مـضى فـيـه إلى التناهي (2)
فــانظُرْ بربك لهــذي المَهـزَلة ** إن صحَّ مـا حكاه فـيـهـا النقلة
تجدْ مـثـالا لاعـتـبـار الشكل ** ممن تعـاطى مـثل هذا الفـعل
وهْو يرى أن قـد وفى بالواجب ** كـمـا اسـتـحق مـاله من راتب
وذاك أنّ مـقـتـضى التـعـاقُـد ** بأجـرة قـيــامُ هذا العــاقــد
بفـــعله في شكله والوصف ** وفق الذي التـزمــه في العُـرف
فكان مــا أدَّى به الشـــهــادة ** عن أهلِ حـمص وافق اعتـقـاده
وحــصلَ المُراد بالتــحــقــيق ** في فــقـــهـــه ومَكْره الدقـــيق
فــلاحظَ الرَّسْمَ وأَلْغَى المعْنى ** وصـــار ضُــحْكَةً بكل مَــغْنَى
وذاك حــقـــا مـــثلُ المُؤَذِّن ** إذا غـــدا إيجـاره كــالـثــدنِ
وليس عنده للاحــتـــســاب ** قَـــدْرٌ، ولا يَحْـــفِلُ بالثــواب

1 – أرجوزة تحفة المؤذنين للمولف ما تزال مخطوطة.
2 – القصة مبسوطة في كتاب المستطرف للابشيهي: 518/2 تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة – دار الكتب العلمية ببيروت 1986 م.



وإنما مُـــــــرادُه في الحق ** ضـــمـــــانُ مـــورد لـه للرزق
فـمــثل هذا الصنِف في الأنام ** مـا اسـتـمسكوا بعُروة الإسـلام
ولا تحـلَّـوْا مـن حُـلَـى الإيمـان ** بحلـيـة فـضــلا عن الإحـســان
فـــلا تكنْ ممنْ به الأمـــثـــال ** تُضـرَب حين يُذكـر الضـُّـلال
وقم بهذا الشـأن أحسنَ القيام ** ولا تُرَاع فـيــه مـقـدار الحُطام
وابْغِ بـه الأجـر، وليس الأُجـرة ** وارفـع مَـقـامـه، وعظِّمْ أمــره
فـــإنه حظُّك يوم العـــرْضِ ** من قَرْضِ فاطرِ السمـا والأرضِ
وإن تكن لأخـذ ذاك مُلْجَـئـاً ** فـخـذ، ولا حَـرج فـيـه مـبـدءاً
إذْ فـيـه قـال مـالك حين سـئِل ** عن مـثله في حق قـارئ شُـغل
عن عـيـشـه يعلمُ الصـبـيـانا ** مـــودباً، ويقـــرئ القـــرآنا
فـــهل لـه يطيب أخـــذ الأجـــر ** بالشــرط، أو بدونه في القــدر؟
أجـاب مـالك الذين يسـألون: ** لولا المعلمـــون مـــا كُنا نكون؟
ملتـفـتـا فـيـه لوجـه المصلحـة ** مـرجّـحـا لما القـيـاسُ رجَّـحـه
فـإن يكن في بيت مـال المسلمين ** أو كـان في وقف لبـعض الواقفين
أرصـــده لـهـــذه الجـــهـــات ** كـالوقف للتـوقـيت والصـــلاة
فـالحكم في الجـواز فـيـه بَيِّنٌ ** وصَــرفـه في ذاك أمــر حَـسَن
لا ســيــمـــا للكامل الأهليـــة ** فـــهـــو أحق الناس بالتـوليـــة
لأنهـــا مـــصـــالـح تضــيَّـعَ ** إذا بـهـــــا انـتُـظر مَن يَطَّوَّع
فليس كلُّ الدهر فـيـه من يطيق ** ذلك، فـــالوقف له بـه حـــقـــيق
فـالشــرط في القـيـام بالأذان ** كـالشـرط في التـعليم للقـرآن
إذا أريد بـه الإحـــتـــســـــاب ** وروعـــيت في أخـــذه الآداب
حـرصـاً على جـزائه الجـزيل ** والـنـيـل مـن ثـوابـه الجـلـيـل.



## من بديع أجوبة بعض المعلمين في أخذ الأجرة

قال الإمام البيهقي في كتاب المحاسن والمساوئ:

«شهد رجل عند سوّار القاضي فقال: ما صناعتك؟ قال: معلم، قال: فإنّا لا نجوّز شهادتك، قال: ولِمَ؟ قال: لأنك تأخذ على التعليم أجراً، قال: وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجرا، قال: أكرِهت عليه، قال: فهبْك أُكرهت على القضاء، فمن أكرهك على أخذك الأجر، والرزق على الله؟ قال: هلُمَّ شهادتك، فأجازها» (1).

## أحاديث موضوعة في ذم أخذ الأجرة على التعليم

قال الإمام أبو الفرج بن الجوزى في كتاب الموضوعات:

روى نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال: مرّ رسول الله -ﷺ- بمركاس المعلم، فقال: إياك وحطب الصبيان، وخبز الرقاق، وإياك والشرط على كتاب الله.

قال أبو الفرج: هذا حديث لا يصح، وقد ذكرنا آنفا عن إسحاق بن راهويه أن نهشلا كان كذّابا، وعن النسائي أنه متروك الحديث.

ثم ذكر حديثا آخر من الموضوعات عن أنس قال: قال رسول الله -ﷺ-

ألا أحدثكم عن أجر ثلاثة؟، فقيل: من هم يا رسول الله؟

قال: أجر المعلمين والمؤذنين والأئمة حرام.

قال ابن الجوزي: وهذا حديث موضوع... (2)

---

1 - المحاسن والمساوئ للبيهقي: 643 .

2 - انظر بقية الباب في كتاب الموضوعات لابن الجوزي : 1/228-229



## أنا فقيه قريتي:

صورة فقيه القبيلة ومنهاج عمله:

*ومن أرجوزة مشطورة للشيخ الأديب الحسن ابن الحاج محمد إبِنْدُو التامري الحاحي رحمه الله. تحدث فيها عن حياة الفقهاء: (طلبة القرآن) المشارطين وطرف من الأعباء التي ينهضون بها وما يتمتعون به في القبائل من ثقة وتقدير واحترام، وما يتقاضونه من الجماعات لقاء القيام بهذه الخدمات. وكانت مشارطته بحاحة بمدرسة سيدي أبو البركات العبدري بنواحي مدينة الصويرة قرب الساحل الأطلسي.*

أنا فقيهُ قَرْيَتِي * عالمُ هَذِي البَلدة * معلِّمٌ للصِّبْيَةِ
في هذه المدرسةِ * بالشرط والإتَاوَة * من طَرَف القبيلةِ

أنا مثالُ النُّبْلِ * والإهتِدا والعَقْل * والعِلْم عند الكُل
مِنْ جِيرَتِي وأَهْلِي * كُلُّ بني قبيلتي * تُفيدُهم ثقافتي



أعلِّمُ الصِبْـيَـانا * الدينَ والقــرآنا * والأدَب الــرَّيَّــانــا
والشـعـرَ والبَـيَـانَا * مُنَظِّمـاً مَـدْرسـتي * ومُــخْلِصـاً لمِهْنَتِي

أدَرِّسُ العُلومــــا * وَأَعِظُ الأنامــــا * وَأَنصَحُ الأقــوامــا
وأَجْــهَــدُ الأَيَامَــا * مُــهــذِّبا طَلَبَــتِي * مُجْتَهداً في خِدْمَتِي

أؤمُّــهم بالمسـجـدِ * آونَةَ التَــعَــبُّــدِ * وكُلَّ يوم أَغْــتَــدِي
لِعــمل مُـــجَــدَّد * مُغْتَـبِطاً بِحِـرْفَتِي * وراضـيـا بحـالتي

لـي زوجـــةٌ وأبنا * ببـعـضنا سَـعـدْنَا * بعَـيشنا اغـتبطْنَا
فـي مـنـزل سَكنَّـا * بجـانب المدرسـةِ * وَمَـسكَن الطلبـة
جيـرانِنَا الأحـبابِ * أبنائنا الأنجـابِ * خِلاَّنِنَا الأَصحَابِ
قِــراءةُ الأحــزابِ * في الصبحِ والعَشية * بِـنَـغَـمٍ لِـذيـذَةِ

نَسْـمَعُ منهم الأذان * في كل وقت وأوان * يَرِنُّ في هذا المكان
يدعو بِأصواتٍ حِسان * حَيَّ على العِـبَـادةِ * هَـيًّـا إلى التـلاوَةِ

أُصلِحُ بـين النـاس * بالعَدْلِ والقُسطاس * من غير ما التِباس
ولا هَـوَى الخَـنَّـاس * مُـحـتِسِـبـاً إثابتي * علَى وليّ نِعْـمَـتِي
أَقْــــسِـم للـورثـة * إن نزلوا بسـاحـتي * وقد رضُوا بِقِسمتي
وطلـبـوا فـريضـتي * وقِـسْـمـةَ التَّـركـةِ * بِمُقْتضَى الشريعة



لا أحرث الحقولا * لا أزرع البقولا * لا أَجْتَنِي العُسولا
لا أقتني الخُيولا * فضلا عن الدَّراجةِ * نعَمْ أو السَّيَّارة
لا أملِك الديباجا * والذهبَ الوهَّاجا * والمَعْزَ والنِعَاجا
والبَطَّ والدَّجَاجا * فضلاً عن البقرةِ * أو بَغْلةٍ أو ناقةٍ

لاَ ألقَطُ الهَرْجَانا * لا أعصِر الزيتونا * لا أغرس البُستانا
واللَّوْزَ والرُمَّانا * أنا فقير قريتي * مؤدِّبَ للصِّبية

معيشتي منتظمة * بسيطةٌ منسجمة * لا عَبدَ لي ولا أَمَة
لا خادمٌ أو خادمة * إلاَّ أنا وزوجتي * يُعينُنَا طَلَبَتِي

أقْبَعُ في الكُتَّاب * أو مجلسِ الطُّلاَّبِ * وفي يدي كتابي
أو دَفترُ الحِسَاب * أُمْلِي على الطلبة * أنْصِبة الدراسة
أو يَعْرِض القراءُ * علَيَّ إذ أشاءُ * محفوظُهم سَواءُ
الصبحُ والمساءُ * وتلك كانت عادتي * عَبْرَ شهورِ السنةِ

حتى إذا جاءَ الربيع * والبَرْدُ وَلَّى والصقيع * وانتبهَ الحُسْنُ الوديع
وفاحَت الأزهار * وطابَتِ الأثمار * وغَرَّد الهَزَارُ
وغَنَّت الأطيار * أغانِيَ المحبَّة * لفاطر البَرِيَّة

خرَجتُ للتجَوُّلِ * في هذه القبائل * مدةَ شهرٍ كامِل
تَعَرُّضاً للنَّائِلِ * مصطحباً طلبتي * النُّجبَا البررة
مسرِّحاً للحيتي * مُرتديا لبِذْلتي * وحاملاً حقيبتي

وكُتُبِي وسُبْحَتِي * مُـوَطِداً للنيـةِ * مـبـتـدئا للرحلة

مـن بـلـدٍ لـبـلـدٍ * ومسـجـد لمسجد * أنـزلـه لـتَـلَـدِي
في مَـوعـدٍ مـحـدَّدٌ * قُـبَـيْل في رسـالة * من ضَحْـوة أو ليلة

تجتمع الجمـاعةْ * بفَـرَح وطاعَـةِ * وكـامِل البَـراعـةِ
ومنذ تلك السـاعـة * أشْرَعَ أُلْقِي خُطبَتِي * بِلَهْـجـة رزينة
مُوضِّحـا للمؤمنين * سُنَّةَ خيرِ المرسلين * وصَحْبِه المجاهدين
والخُلفاء الراشدين * سَلَفِ هذي الأمـة * وقُـدْوَةِ الخَلِيـقَـةِ

أُسمِعُهُم مَوْعِظَتِي * أَعِظُهُمْ بِهَـيْـئَـتِي * أرشدُهم بسِيرتي
لهـجـر كل بِدْعَـةِ * ولاتِّبَـاعِ سُنَّةِ * مَن هُو عينُ الرحمَةِ

لا تَأْكُلوا الحـرامـا * لا تَشْـرَبُوا المدامَـا * لا تَرْزَأوا الأيْتَـامـا
لا تُفحِشُوا الكلاما * عليكمُ بالعِـفَّـة * والحِلْمِ والطهـارة
يا قَـوْمنا الكراما * تبـادلوا السَّلامـا * لا تَقْرَبُوا الخِصَامَا
لا تَقْطَعُوا الأرحاما * عـليكمُ بالصِّـلة * والبِـرِّ والشَّـفَـقَـةِ

بعدَ تناول العَشـا * أو الغدا إلى احتشا * جَوفِ الجميع والحَشَا
من كل من تجيَّشا * بطَيِّب الأطعـمـة * ورائِق الأشـربة
أسْمَعني طلبـتي * قـراءة «الهـمـزية» * أو جَـهَـروا «بالبُـردة»
مَـدْحِ إمَـامِ المِلَّةِ * وجعلوا من «سلْكةِ» * مِسْكَ ختـامِ الجَلسة



ولَمَّ أهلُ المسـجـد * من شَرْطِيَ المحدَّدِ * واجِبَ كُلِّ سَـيِّـدِ
ووضَـعـوه في يدي * بكرَم وطيـــبـــةٍ * أوْدَعْتُـه حقيبتي
ثم إذا فـــرغْنـا * إخـــوانَنا شَكَرْنا * ولـهمْ دَعَـــوْنـا
إيَّـاهُـمُ ودَّعْـنَــا * قبلَ ابتْـدَاء الرحلةِ * في الحفظِ والسلامةِ

إذَا قَضَيْتُ نُهْمَتي * من قـــرية أو بلدة * غادرتُها من ساعَتي
مُمْتطياً فُرَيْئَتِي (1) * مُـعَـجِّـلا بالنُّقْلة * لقَـــرْيةٍ ثانيــــةٍ

وهكذا حـــتى إذا * بَرنَامَجي قـد نُفِّذا * ومَـقْـصـدي، ثمَّ إذا
فـرغتُ من هذا وذا * مُـمَـتَّـعـاً بِنُزْهَتِي * مُنْتَهيـاً من جَـوْلَتِي
عُـــدت إلى أولادي * وأُمِّــــهِـمْ بالـزادِ * مَـــــرامِنا المُرَادِ
في البَـدْءِ والمعَـادِ * ممتلئـاً بالفَـرْحَـةِ * مُـرَدِّداً أُنْشُـودَتِي

أنا فـقـيـهُ قَرْيَتِي * عـــالمُ هذي البَلْدَةِ * مُـعَلِّمٌ للصِّـبْـيـة
في هذه المدرســــةِ * بالشَّـــرطِ والإتاوة * مِن طَرَفِ القـبـيلة

*انتهت الأُرجوزة ببعض الاختصار من كتاب المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحـــة ج 1 ص 394 - 398 للأستـاذ الفـقـيـه: إذ إبراهيم إبراهيم التامري.*

---

1 - فُرَيْئَتِي: حمارتي



وقد اقترنت بالمؤدبين نظرة دونية عكستها لنا بعض الآثار الأدبية منذ الصدر الأول، وقد أشرنا قبل هذا إلى أن أقدم من جعل المعلمين موضوعا أدبيا للتفكه والتندر هو الكاتب الأديب الساخر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ( 150-255 هـ)، وذلك في كتابه «البيان والتبيين»، ثم حذا حذوه غيره في الكتابات الأدبية كالمقامات والرسائل.

وقد وقفت من إسهامات المغاربة على بعض هذه الطرائف التي أبدعت في هذا الفن فاخترت منها النماذج التالية، وقدمت لها بذكر طرائف أخرى مشرقية كلها تنطلق وتصب فيما يمكن أن نسميه بفن «أدب المحضرة» و«أدبيات الكتاب».

## صور من التندّر بالمؤدبين في الكتاتيب ومعلمي الصبيان في الأدب العربي

وقد كان أبو عثمان الجاحظ أول من فتح لأهل الأدب باب التندر بالمعلمين والمؤدبين، وأول من التفت إلى جمع ما قيل في مثالبهم كما سطر ذلك في كتاب البيان والتبين (1).

وعقد أبو العباس الشريشي في شرحه لمقامات الحريري بابا مماثلا تحت عنوان: «من نوادر المعلمين» ذكر فيه جملة من الطرائف والأشعار، منها قول الشاعر:

معلم، صبيان وصاحبُ دِرَّةٍ ** وليس له عقلٌ بمقدار ذَرَّة (2)

---

1 – أشرنا إلى ذلك أول هذا البحث. وانظر كتاب البيان والتبيين للجاحظ: 1/245-253 .

2 – شرح مقامات الحريري: 5/209



وذكر عن الزبير عن عبد الملك الهاشمي أنه قال:

«مررت ببعض المعلمين ويعرف بكِسْرَى، فرأيته يصلي بالصبيان صلاة العصر، فلم أزل واقفا أفكر فيه، فلما أن ركع أدخل رأسه بين رجليه، لينظر ما يصنع الصبيان خلفه؟ فرأى صبيا يلعب، فقال له، وهو راكع: يا ابن البقّال، هو ذا، أدري ما تصنع!» (1).

وقال أبو العلاء الهمداني بسنده عن محمد بن جعفر التميمي بالكوفة قال: سمعت أبا بكر المعيطي يقول: «عبَرْتُ بمؤدب وهو يُملي على غُلام بين يديه: «فريق في الجنة وفريق في السعير» (2). فيقول فيها: « في الشعير»، فقلت: يا هذا ما قال الله من هذا شيئا، إنما هو «في السعير» بالسين، فقال: أنت تقرأ على أبي عاصم بن العلاء الكسائي (3)، وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة عاصم المدني (4)، فقلت: معرفتك بالقراء أعجب إلي! وانصرفت» (5).

وقال أفلح التركي:

«خرجنا مرة إلى حرب لنا، ومعنا معلم يقول: أنا أتمنّى أن أرى الحرب كيف هي؟ فأخرجناه معنا، فأول سهم جاء وقع في رأسه، فلما انصرفنا دعوْنا له معالجا، فنظر إليه وقال: إن خرج الزجّ وفيه شيء من دماغه مات، وإن لم يخرج عليه شيء من دماغه لم يكن عليه بأس، فسبق إليه المعلم فقبل رأسه، وقال: بشرك الله بخير، انزعه فما في رأسي دماغ، فقال الطبيب: وكيف ذلك؟ قالك لأني معلم كتاب الله تعالى، وما في رؤوس المعلمين ذرة من دماغ، ولو كان فيه ذرة من دماغ ما كنت هاهنا» (6).

---

1 – نفسه: 209 .

2 – الشورى زاد أبو العلاء الهمداني أنه قرأها «قُريْق» بقافين وقال «في الحبّة» بالحاء والباء وقُرَيْق في الشعير».

3 – يعني أنه خلط بين عاصم وأبي عمرو بن العلاء وأبي الحسن الكسائي فجعلهم قارئا واحدا.

4 – خلط بين حمزة وعاصم ونافع المدني فجعلهم قارئا واحدا.

5 – شرح المقامات: 210/5 والقصة مسندة عند أبي العلاء الهمداني العطار في كتابه التمهيد: 266 .

6 – شرح المقامات: 211/5 .

وقال الأصمعي:

« مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبيا، ثم أقام الصبيان صفًا، وجعل يدور عليهم ويقول: اقرأوا، فلما بلغ الصبي المضروب قال لآخر إلى جنبه: قل له: يقرأ فإني لا أكلمه!» (1).

وقد نقل الشريشي نكتا عديدة أخرى في التندر بالمعلمين للصبيان تركتها لما فيها من البذاءة والفحش أو تحريف لبعض آيات القرآن الكريم.

ومما يستطرف له من ذلك قوله:

قال الجاحظ: كان في المدينة رجل معلم صبيان، يُفرط في ضربهم، فلاموه على ذلك، فساءني حاله معهم، فاستفتح صبي وقال: يا معلم﴿**وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين**﴾ما بعده؟ قال: بل عليك وعلى والديك لعائن الله تترى.

وجاء آخر فقال: يا معلم﴿**اخرج منها فإنك رجيم**﴾ما بعده؟ قال: ذاك أبوك الكشخان.

وجاء آخر فقال للمعلم:﴿ما لنا في بناتك من حق﴾ما بعده؟ قال: لا ولا رأيتهن، فقال: على هذا أضربهم، أتعذرونني؟ قلت: نعم» (2).

قال: وقال موسى بن حسان الكاتب: رأيت بالبصرة معلما قد أجلس أولاد الأغنياء للظل، وأولاد المساكين للشمس، وهو يقول لأولاد الأغنياء: يا أهل الجنة، ابزقوا على أهل النار – يعني أولاد المساكين– فقلت يا هذا، ما بال هؤلاء يبخسون؟ فقالك هؤلاء يبخسون الإحضار» (3).

---

1 – شرح المقامات: 212/5 .

2 – شرح المقامات: 210/5 .

3 – نفسه: 211/5، ومعنى يبخسون الإ حضار: ينقصون من أجرة المعلم.



وقال أحمد بن دليل: مررت بمعلم يضرب صبيا ويقول: والله لأضربنك حتى تقول لي: من حفر البحر؟ فقلت: أعزك الله، والله لا أدري أنا من حفر البحر؟ فقُلْ لي حتى أتعلم أنا، فقال: حفر البحر كردم أبو آدم عليه السلام» (1).

وقال أبو العنبس: كان في دربنا معلم طويل اللحية، فكنت أجلس إليه كثيرا وأتلهى به، فجئته يوما وبين يديه صبي يقول له: ويلك، الدِّجلة من حفرها ؟ قال: عيسى بن مريم، قال: فالجبل من خلقه؟ قال: موسى بن عمران، قال فالبعر من دوّره في است الجمل؟ فقال شيطان يقال له: الحي، قال: أحسنت، فآدم من أبوه؟ قال: نوح، قال: بخ بخ! نجوت والله! فقلت: يا سبحان الله! أليس آدم أبا البشر؟ قال: نعم، قلت: فكيف يكون نوح أباه؟ قال: ويلك، أتعرّفني بآدم، وأنا أبو عبد الله المعلم؟ يا صبيان، كرفِسوه، فكرفسوني حتّى صيروني مقيداً، فحلفت أن لا أقف على معلم أبداً» (2).

وقال البيهقي في المحاسن والمساوئ: كان معلم يصلي بالناس في شهر رمضان، وكان يقف على ما لا يوقف عليه، فقرأ (واتبعو ما تتلوا) ثم قال: الله أكبر، فركع، ثم قام في الثانية، فقلت ما تراه يصنع؟ فلما قال: (ولا الضالين) فقال (ياطين على ملك سليمان) (3).

---

1 - نفسه: 211/5 .
2 - نفسه: 212/5 .
3 -المحاسن والمساوئ للبيهقي: 643 .

# حكايات عن أغبياء المعلمين
# لأبي العلاء الهمداني المقرئ

وحكى أبو العلاء الهمداني المقرئ في كتاب التمهيد بسنده إلى الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري -صاحب التفسير- قال: حدثني محمد ابن يحيى الكسائي قال: حدثني أبو الحارث الليث بن خالد قال: قال لي الكسائي:

كان الذي دعاني إلى أن أقرأت الناس بالريّ، أني مررت بمعلم يعلم صبيا **(وبدّلْناهم بجنتيْهم جنتيْن ذواتي أكلٍ خَمْطٍ وأثل)** بالتاء المهملة. قال فحاورته فإذا معلم آخر، فقلت له: إني مررت بموضع كذا فرأيت معلما يعلم صبيا **(وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خَمط وأثل)** بالتاء المهملة، فقال لي: أخطأ فقلت: وما الصواب؟ قالك **(وإبلٍ)** بالباء، فدعاني إلى أني أقرأت الناس» (1).

وقال أبو العلاء بسنده إلى محمد بن يحيى بن آدم قال: حدثنا الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: سأل رجل رجلا: يا شوال تعجبك أو يعجبك؟ فقال له الشافعي: وقد صحت عندك الأولى حتى تشك في الآخرة؟!

قال أبو العلاء: يعني قوله: **(بسؤال نعجتك)** (2).

---

1 – التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار: 256-257 .
2 – نفسه: 257-258 م



ثم أسند الخبر مرة أخرى بسنده إلى الربيع بن سليمان قالك كان الشافعي -رضي الله عنه- إذا ناظره إنسان في مسألة فتعدى منها إلى غيرها قال الشافعي: نفرغ من هذه المسألة ثم نصير إلى ما تريد، وإذا أكثر عليه قال:

مثلك مثلُ معلم كان بالمدينة يعلم الصبيان من كُرَّاسة، فأملى على صبي (بسؤال نعجتك) فقال: يا شوال، ثم لم يدر ما بعده، فمر به رجل فقام إليه فقال: أصلحك الله، يا شوال يعجبك أو تعجبك؟ فقال له: يا عبد الله، افرغ من شوال ثم سل عما بعده، فإنما هو ويحك: (بسؤال نعجتك) (1).

وقال أبو العلاء بسنده إلى أبي زرعة أحمد بن يونس بن موسى المكي قال:

«رأيت صبيا يقرأ على معلم (**بل عجبت ويَسْخَرون**) (2) - يعني (عجنت) بالنون بدل الباء، والجيم في (ويَسْخَرُون) عوض الخاء - قال: فقلت خلاف ما يقرأ الصبي، قال فأنكر عليّ المعلم وقال: المرأة تعجن وتسجر التنّور» (3).

وذكر بسنده إلى أبي زرعة أحمد بن يونس بن موسى قال: سمعت أبا يموت مقدم بن الحسين السائح يحكي أنه دخل مسجد دمشق، فإذا إنسان يقرأ على المقرئ: (**غافر الذنب وقابل التوب**) (4) فيقول: عاقر الذِئْب وقاتل النُّوب، قال: فقيل له: لم همزت الذئب؟ قال: لأنه خبيث» (5).

---

1 - نفسه: 258 .
2 - سورة الصافات: الآية 12 .
3 - التمهيد لأبي العلاء: 259 .
4 - سورة المؤمن: الآيتان: 2-3 .
5 - التمهيد في معرفة التجويد للحافظ أبي العلاء الهمداني: 259 .

ويسنده إلى إبراهيم بن عبد الله الحصاف قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رجل أخيه، فقيل له: إنما هي (جعل السقاية في رَحْل أخيه) (1) فقال: أنا وأخي أبو بكر لا نقرأ لعاصم» (2).

وذكر أبو العلاء رحمه الله -تصحيفات أخرى شنيعة وختم ذلك بقوله:

وقد روى عن جماعة من المصحفيين أشياء أمسكت عن ذكرها لئلا يطول الكتاب، وأنا أرجو أن لا يؤاخذني الله -عز وجل- بإيراد هذه التصحيفات، فإنما الأعمال بالنيات (3).

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الحمقى والمغفلين عن محمد بن عبد الله الحضرمي أنه قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة فضُرب بينهم بسِنَّوْرٌ له ناب، فقيل له: إنما هو (بسور له باب) (4). فقال: أنا لا أقرأ قراءة حمزة، قراءة حمزة عندنا بدعة» (5).

وقال أبو الفرج:

قال رجل لابنه وهو في المكتب: في أي سورة أنت؟ قال: في أقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد، فقال أبوه: لعمري من كنتَ ابنه فهو بلا ولد» (6).

وقال: سمعت ابن الرومي يقول:

خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها، فأقام عنده، فقال له الخطيب: أنا منذ مدة أصلي بهؤلاء القوم، وقد أشكل علي في القرآن بعض مواضع،

---

1 – سورة يوسف: الآية: 70 .

2 – التمهيد: 261، وذكرها أيضا دون سند أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الحمقى والمغفلين: 66 .

3 – نفسه: 269 .

4 – سورة الحديد: الآية : 11 .

5 – كتاب الحمقى والمغفلين لابن الجوزي: 67 .

6 – نفسه: 71 والتذكرة الحمدونية: 446/9.



قال: سلني عنها، قال منها في (الحمد لله) (إياك نعبدُ وإياك) أي شيء تسعين أو سبعين؟ أشكلت علي هذه، فأنا أقولها تسعين آخذ بالإحتياط (1).

وذكر العلامة الجراري في متعة المقرئين أن إماما صلى بالناس بقول الشاعر:

ويوسف إذ ألقاه في الجب إخوة** وأصبح في قعر الركية (2) ثاويا

فقيل له: إنه ليس بقرآن، فقال: لعله نحو ما كنت سمعت من القرآن» (3).

ومما حكاه البيهقي في كتاب المحاسن والمساوي قال:

وسمع أعرابي إماما يقرأ ﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه﴾ فأُرتج عليه، فجعل يردد الآية، فقال الأعرابي: «يا هذا إن لم يذهب نوح فأرسل غيره» (4).

وقال ابن الجوزي في كتاب الحمقى والمغفلين عن القاضي المقدمي قال:

حدثني أبو فزارة الأسدي قالك: قلت لسعيد بن هشيم: لو حفظت عن أبيك أحاديث سُدْتَ الناس، وقيل: هذا ابن هشّيم فجاؤوك فسمعوا منك، قال: شغلني عن ذلك القرآن، فلما كان يوم آخر قال لي:

جُبَيْرُ كان نبيّاً أم صِدِّيقا؟ قلت: من جبير؟ قال: قوله عز وجل: (واسأل به جبيرا) (5) قال: قلت: ياغافل، زعمت أن القرآن شغلك (6).

---

1 – كتاب الحمقى: 71 .

2 – الركية: البئر.

3 – متعة المقرئين للشيخ عبد الله الجراري: 18 .

4 – المحاسن والمساوئ: 664 .

5 – يعني قوله تعالى في سورة الفرقان: «فاسأل به خبيرا».

6 – كتاب الحمقى والمغفلتين: 67 .



وعن أبي عبيد الله بن عرفة أنه قال:

اصطحب ناس فكانوا يتذاكرون الآداب والأخبار وسائر العلوم، وكان معهم شاب لا يخوض فيما يخوضون فيه، سوى أنه كان يقول: رحم الله أبي، ما كان يعدل بالقرآن شيئا، فكانوا يرون أنه أعلم الناس بالقرآن، فسأله بعضهم: في أي سورة:

وفينا رسول الله يتلو كتابه** كما لاح مبيض من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه** إذا استثقلت بالكافرين المضاجع (1)

فقال:سبحان الله! من لا يعرف هذا؟ هذا في حم عسق، فقالوا: ماقصر أبوك في أدبك، فقال لهم: أفكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم؟ (2).

قال: « ونبّأنا في هذا المعنى أن رجلا قدم ابنا له إلى القاضي فقال له القاضي: ما تقول يا غلام فيما حكاه أبوك عنك؟ قال: يقول غير الصحيح، إني أصلي ولا أشرب الخمر. فقال أبوه: أصلح الله القاضي، أتكون صلاة بلا قراءة؟ فقال القاضي: يا غلام، تقرأ شيئا من القرآن. قال: نعم وأجيد القراءة، قال: اقرأ، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم:

عَلِق القلب رَبابا** بعدما شابت وشابا
إن دين الله حقٌ** لا أرى فيه ارتيابا

1 -البيتان لعبد الله بن رواحة الأنصاري صاحب رسول الله - ﷺ -، ولهما قصة مشابهة مذكورة في ترجمته، وهي أنه رأى جارية له فأعجبته فأصابها، فرأته امرأته خارجا من عندها فاتهمته، فأنكر ما كان بينهما جبرا لخاطرها، فقالت: إن كان الامر كما تقول فاقرأ القرآن لأنه لا يجرؤ على قراءته وهو جنب. فقال: نعم:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ** فرضيت منه بذلك وسكتت

وفي تفسير ابن كثير لسورة ألم السجدة ذكر للبيتين، وبينهما قوله:

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ** به موقنات أن ما قال واقع

2 - الحمقى والمغفلين: 67-68 .



فقال أبوه: والله أيها القاضي - ما تعلم هاتين الآيتين إلا البارحة، لأنه سرق مصحفا من بعض جيراننا، فقال القاضي: قبحكم الله! أحدكم يقرأ كتاب الله ولا يعمل به» (1).

## ومن طرائف الأغبياء:

ومن الطرائف المتداولة بين الطلبة مما يتعلق بسورة يوسف عليه السلام ما يحكونه من أن قارئا مَذَبْذَباً كثير الادّعاء قرأ سورة يوسف في صلاة التراويح أو غيرها، فتعسف فيها غاية التعسف بالزيادة والنقصان وتحريف الألفاظ، فلما انتهى منها أراد أن يشرك الحاضرين معه في المغزى والاعتبار من القصة وحوادثها، فقال لهم: أرأيتم ما فعل أخوة يوسف بأخيهم هذا النبي الجليل؟ وهل اعتبرتم بهذه المحن الشديدة التي حلت به على أيدي إخوته؟

وكان في الحاضرين معه عند قراءته طالب حافظ ما زال طوال قراءة القارئ يحوقل ويسترجع في نفسه، ويعجب من جرأة هذا القارئ (**العبيط**) على الدخول في ما لا يحسنه، فقال للقارئ: نعم سمعنا ما فعله إخوة يوسف بيوسف، ولكن الذي فعلته أنت به ما سمعنا بمثله، وما فعل إخوة يوسف به لا يساوي شيئا بالقياس إلى ما فعلته أنت به!

ومن طرائف الأغبياء الأدعياء، ما حكاه أبو إسحاق الحصري في زهر الآداب عن أبي عثمان الجاحظ في حكايته عن أبي عباد وزير الخليفة المامون العباسي قال: وغضب -أبو عباد- يوما على بعض كتابه، فرماه

1 - الحمقى والمغفلين: 68 .



بدواة كانت بين يديه فشجّ، فقال أبو عباد: صدق الله تعالى في قوله: (**وإذا ما غضبوا هم يغفرون**) وقرأها (**يعقرون**) بالعين والقاف من العقر - فبلغ ذلك المامون فأحضره، وقاله له: ويحك! ما تحسنُ تقرأ آية من كتاب الله تعالي! قال: بلى يا أمير المؤمنين، إني لأحفظ من سورة واحدة ألف آيــة (1)، فضحك المامون، وأمر بإخراجه (2).

هذا، وقد أوحى (الكتّاب) والقيّمون عليه من المشارطين طوال التاريخ الإسلامي شرقا وغربا بصور كثيرة من التندر عليهم، والوقيعة فيهم، واتخاذهم موضوعات طريفة لبديع آدابهم شعرا ونثراً وبالفصيح وغيره من اللهجات المحلية والزجل الشعبي، مما لو تتبعه المتتبع في مختلف النواحي والأصقاع لجمع منه الكثير، وهذه نماذج مما تأتىً لي الوقوف عليه في هذه العجالة مما ابتدعته بعض قرائح أدبائنا في هذا المجال من الأدبيات.

## تصدر للتدريس كل مُهَوَّس

من الأبيات السائرة الواسعة الانتشار، هذه الأبيات الثلاثة القديمة التي يتناشدها الطلبة في حالة التنكيت على بعض المتصدرين للمشارطة ممن لا يمتلكون الأهلية لهذه المهمة، وهي أبيات لأبي الحسن الفــالي - بالفــاء (3) - أوردها المؤرخ ابن الأثير في كتابه «الكامل في التاريخ» في حوادث سنة 448 هـ التي توفي فيها أبو الحسن الفالي، وهي قوله:

1 - الدعوى عريضة وواضحة، لأن أطول سورة في القرآن لا يزيد عددها على 285 آية، وهي سورة البقرة، فكيف يزعم أنه يحفظ من سورة واحدة ألف آية.

2 - زهر الآداب: 1047/4 .

3 - منسوب إلى فالة - بالفاء - بلدة بخوزستان، ترجم له ياقوت في معجم البلدان، وذكر أنه أقام بالبصرة مدة طويلة، ثم استوطن بغداد ومات بها سنة 448 هـ وكان أديبا شاعرا، وقد نسبت الأبيات في بعض كتب الأدب إلى أبي حيان الغرناطي (ت 745 هـ) ولا يصح ذلك لورودها في كتب أقدم من زمنه، انظر الأبيات في معجم الأدباء لياقوت: 269-268/7 ورحلة العبدري: 70 وبغية الوعاة للسيوطي: 533/1 ورحلة القلصادي: 57-58 ورشف اللمي على أرجوزة كشف العمى لمحمد العاقب الشنقيطي: 108 .

تصدر للتدريس كلُّ مهَوَّس** بليد تسمَّى بالفقيه المدرِّس
فحُقَّ لأهل العلم أن يتَمثلوا** ببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هُزلتْ حتى بدا من هُزالها** كُلاها، وحتى استامها كل مُفلس

والمعنى أن هذه الوظيفة الشرعية قد أصبحت من الاهتضام وسقوط المنزلة حتى صارت مثل الشاة العجفاء البادية الكُلا من شدة الهزال والضعف، إذا عرضت للبيع لا يلتفت إليها ولا يستامها إلا المفلسون الذين تضيق ذات يدهم عن شراء الشياه ذوات القيمة الثمينة المعتبرة.

## الكُتّاب والأستاذ
## في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي

قال ابن شهيد في صدر رسالته مخاطبا لأبي بكر بن حزم (1):

«كنت أيام (كُتّاب الهجاء)، أَحِنُّ إلى الأُدباء، وأصبو إلى تأليف الكلام، فاتّبعت الدواوين، وجلست إلى (الأساتيذ) فنبض لي عرق الفهم، وذَرَّ لي شُريان العلم، بمواد روحانية، وقليل الإلتماح من النظر يزيدني، ويسير المطالعة من الكتب يُفيدني، إذ صادف شنُّ العلم طبقة، ولم أكن كالثلج تقتبس منه نارا، ولا كالحمار يحمل أسفارا».

وله من رسالة أخرى يذكر فيها (المعلمين) و(التلاميذ):

1 – هو أبو بكر يحيى بن حزم شيخ من شيوخ الأدب، قال الحميدي في جذوة المقتبس ص 351 وهو الذي خاطبه أبو عامر بن شهيد برسالة التوابع والزوابع التي سماها «شجرة الفكاهة» وهو من بيت آخر غير بيت الفقيه أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد حزم» أنظر هذا الموضع من رسالة ابن شهيد ضمن كتاب الذخيرة لابن بسام: مجلد 1 ص 245 بتحقيق الدكتور إحسان عباس –هامش رقم 4 ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد بتحقيق بطرس البستاني – نشر دار صادر ص 87-88 .



«وقول الجاحظ: إنا إذا اكترينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهما في رأس كل شهر، ولو اكترينا من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهم (1)، ولم يقل هذا إلا وقد ألف «كتاب البيان» ولو كشف فيه عن وجه التعليم، وصوَّر كيفية التدرّج، لأرى كيف وضعُ الكلام، وتزيين البيان، وكيف التوصل إلى حسن الابتداء، وتوصيل اللفظ بعد الانتهاء.... إلى أن قال:

«وقد كنا أطعمنا من هذا الطعام بعض (التلاميذ) فاستطابه، وعلم مقداره، ولكن البطالة على الفتيان غالبة، والسآمة عليهم مستولية، فمن بنى على تعليم هذا الشأن فلا يعلّم إلا أهل النجابة والمثابرة على التعليم، لأنه من لم ينجب له تلميذ حمل عليه ذلك النقص، وظُن به العجز..» (2).

وقال في فصل آخر من الرسالة:

«قال أبو عامر: وقوم من (المعلمين) بقُرطبتنا ممن أتى على أجزاء من النحو، وحفظ كلمات من اللغة، يَحْنون على أكباد غليظة، وقلوب كقلوب البُعران، ويرجعون إلى فطن حمئة، وأذهان صدئة، لا مَنْفذ لها في شعاع الرقّة، ولا مَدَبّ لها في أنوار البيان... إلى أن يقول:

فهذه حال العصابة من (المعلمين)، يُدرِكون بالطبيعة، ويقْصُرون بالآلة... (3).

---

1 – الذخيرة: 246/1

2 – انظر البيان والتبيين للجاحظ: 402/1-403 .

3 – الذخيرة : 239/1-240 .



ثم قال عن أحد الكتاب، ويدعى بأبي القاسم:

«وربما عرّض بأن يؤخذ عنه شيء من أشعاره ورسائله، ولا يجيبه (تلميذ)، والمحروم محروم، ولو أنه اشترى الزبيب (لصبيان المساجد)، وقشورَ أصل الجوز لصبغ شفاه خراجيات الخانات... وهو يرى أن بعض صبياننا قد أقلقوه حين قالوا: ليست مشيته مشية أديب» (1).

## صورة المؤدب في مكتبه عند لسان الدين ابن الخطيب (ت 776 هـ)

وقال وزير غرناطة لسان الدين ابن الخطيب في رسالة له مداعبا للأديب أبي عبد الله اليتيم (2): ومتندّرا بمهنة التكتيب:

«يا سيدي الذي إذا رفعت راية ثنائه، تلقيتها باليدين، وإذا قُسِّمت سهام وداده، على ذوي اعتقاده، كنتُ صاحب الفريضة والدَّيْن، دام بقاؤك لطُرفة تبديها، وغريبة تُردِفها بأخرى تليها، وعقيلة بيان تُجَلّيها».

ومنها: « وتعرفت ما كان من مراجعة سيدي لحرفة التكتيب والتعليم، والحنين إلى العهد القديم، فسُررت باستقامة حاله، وفضل ماله، وإن لاحظ اللاحظ، ما قال الجاحظ، فاعتراض لا يَرِد، وقياس لا يطَّرد، حبذا والله عيش التأديب، فلا بالضنك ولا الجَديب، مُعَاهدةُ الإحسان،

---

1 – الذخيرة: : 242-241/1

2 – قال المقّري في نفح الطيب: 240/8: واليتيم المذكور هو أبو عبد الله محمد بن علي العبدري المالقي خطيب المسجد الأعلى بمالقة، اشتغل أول أمره بالتكتيب، وبلغ الغاية في التعليم والترتيب، وتوفي في أخريات صفر سنة 750 هـ في الطاعون رحمه الله تعالى».

ومشاهدة الصور الحسان، يميناً إن المعلمين، لسادة المسلمين، وإني لأنظر منهم كلما خطرت على المكاتب، أمراءَ فوق المراتب، من كل مسيطر الدِّرة، متقطِّب الأسِرّة، متنمِّر للوارد تنمر الهِرّة، يغدو إلى مكتبه، كالأمير في موكبه، حتى إذا استقلّ في فَرْشه، واستوى على عَرْشه، وترنم بتلاوة قالونه وورشه، أظهر للخلق احتقارا، وأزرى بالجبال وقارا، رُفعت إليه الخُصوم، ووقف بين يديه الظالم والمظلوم (1)، فتقول كسرى في إيوانه، والرشيد في أَوانِهِ، أو الحجّاج بين أعوانه...

فإذا استولى علي البدر السِّرار، وتبين للشهر الغِرار، تحرّك إلى الخَرْج (2)، تحرك العود إلى الفرج، استغفر الله مما يشق على سيدي سماعُه، وتشمئز من ذِكره طباعُه، شِيَمُ اللسان، خَلْط الإساءة بالإحسان، والغفلة من صفات الإنسان، فأي عيش كهذا العيش؟ وكيف حال أمير هذا الجيش؟ طاعة معروفة، ووجوهٌ إليه مصروفة، فإن أشار بالإنصات، لتحقّق القِصّات، فكأنما طمَس على الأفواه، ولأَمَ بين الشِفاه، وإن أمَر بالإفصاح، وتلاوة الألواح، علا الضجيج والعجيج، وحفّ به كما حف بالبيت الحجيج، وكم بين ذلك من رشوة تُدَسّ، وغمزةٍ لا تُحَسّ، ووعد يستنجز، وحاجة تستعجل وتُحفَز.

هنأ الله سيدي ما خوّله، وأنساه بطيب أخراه أوله، وقد بعثت بدُعابتي هذه مع إجلال قدره، والثقة بسَعَة صدره، فليُغْلِقْهَا بيمينه، ويفسحْ لها في المرتبة بينه وبين خدينة، ويُفرِغ لمراجعتها وقتا من أوقاته عملا بمقتضى دينه، وفضل يقينه، والسلام (3).

---

1 – يعني من تلامذته.

2 – يعني أخذ خراجه وراتبه الشهري.

3 – نفح الطيب للمقري: 8/237-239 .



## من صور التندر بالمؤدبين بغرناطة بالأندلس

ومن قصائد لسان الدين ابن الخطيب في التعريض بخصمه القاضي أبي الحسن النباهي صاحب كتاب «المرقبة العليا» يصفه بتعاطي الرقية وكتابة الحروز على طريقة المتعاطين لذلك من معلمي الصبيان؛ فيقول على لسانه:

أُعوِّذ من يُمسي عليه معلَّقا** حجابي بطه أو بياسين والخَمس
من الجن والعُمَّار أو أمِّ مَلْدَم** وتلك هي الحُمَّى، ووسوسةِ النفس
ومن أم صبيان وسحرٍ وبِغضة** ومن رَبْط ذي عِرْس تكلّف في عُرس
ومن ساكن الحَمَّام والفُرن والرَّحَى** ومن ساكني قبر القتيل من الإنس
ومن غُولةٍ في القفر أو صوتِ هاتفٍ** ومن وَجَع في الرأس يُخرج عن حِس
بهَرْشا هيّا هَرْ شَاهيّا وشَرَاهيًا ** وباسم عظيم جاء في آية الكرسي
فخذه على طهر ولا تَدخلنْ به** خَلاءك، واسمَ الله نزِّه عن الرجس
ونَحِّه إنْ جامعت زوجك يا أخي** إلَى أن تُجيد الطُّهر من ذلك اللمس
وجَلِّدْه واغسِلْه بماء وحُلَّ فيه ما شئته من زعْفران ومن وَرْس
ونَشِّرْ بهِ واشرَبْ لكل إذاية** تَرَ النفعَ حقاً حين تُصبح أو تمسي
وقل رحم الله (الفقيه) فذِكرُه** بخير له خيرٌ من أُجرة ذا الطِّرس
وو الله يا إنْسانُ لولا وصيةٌ** لشيخ نصيح كان من خِيرَة الجِنس
بأن لا يُرَى أجرٌ له غيرَ درهم** لَبيعَ بألفٍ، وهو يشكو من البَخْس (1)

1 –الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لابن الخطيب: 149-150 .



# صورة مؤدب كتاب كما تمثلها بعض أدباء تازة متهكما فيها بمؤدب

## يحاكي في هيئته بعض كبار المقرئين في زمنه،

## وهو أبو العباس الزواوي (1)

قال الأمير أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر في كتابه نثير الجمان في ترجمته للفقيه العدل محمد بن أحمد ابن ابراهيم بن موسى الكومي:

«وأخبرني -رحمه الله تعالى- أنه اجتمع ببلدة تازة مع الفقيه ابن الملوّن وعبد الحق الزيات في بستان لنزهة، فتذاكروا أمر رجل من أهل تازة يتشبه بالفقيه الأستاذ المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن علي الزواوي في قراءته وملبسه وعِمّته، فأنشد أحد الرجلين على لسان المتشبه (2).

أنا الزواوي وهذا مَكتبي** لحِرفة التعليم والتأدُّب

لا أمنع التعليم من يرغبه** وأجدَرُ العلْمُ الذي لم يُرغَب

عندي -فُديتَ- لحيةٌ طويلة** سوداءُ تحكي لحِية المكتئب

وشاربٌ يجري لمَايَ تحته** كالماء يبدو من خلال الطحلب

---

1 – تقدم ذكر اسمه الكامل ونسبه، وكان من آيات الله عز وجل في التجود: انظر دراستنا عنه في كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة»: 65/61/3 وكان إماما في التراويح يصلي بأبي الحسن المريني، وغرق معه في أسطوله بسواحل بجاية في عودته من تونس، فنجا أبو الحسن ومات الزواوي غرقا، رحمهما الله تعالى سنة 749 هـ وانظر كتاب التعريف بابن خلدون: 46-47 والمسند الصحيح لابن مرزوق: 121 .

2 – نثير الجمان لابن الأحمر المنشور تحت عنوان (أعلام المغرب والأندلس: 432-433).



وحاجبان أكحلان اقترنا** خِلْتُهَا بعضَ حواشي الحجُب
وعِمَّةٌ كبيرة هائلة** كهالة قد أحدقت بكوكب
يقول بعض الناس فيها أصطب** والله ما في عمتي من أصطب (1)
وطيلسان حسن خلَّفه** مِن بعده بعض قضاة المغرب
ودِرَّة كَذَنَب السِّرحان في** طول وفي عَرض وفي تقلّب (2)
تلحق سوطي مَن غدا مقتربا** وتلحق الدِّرَّةُ من لم يقرُب
لا غَضَبٌ يميلُ بي ولا رضاً** إني لممزوج الرضا بالغضب
وفي الرُّقى عندي كلامٌ عَجَبٌ** نقلت ذاك من صحيح الكُتُب
كم بيضةٍ للفَطم قد كتبتُهَا** وكم رَقَيْتُ مِن نفاس صَعِب
فَسهَّلَتْ عُسر النفاس رُقْيتي** وبيضتي قد فَطَمت كلَّ صبي (3)

## صورة الطالب في جامعه بسوس عند بعض الأدباء

ومن قصيدة طويلة للأديب النابغة السيد محمد بن عمر الخطاب الإدريسي الحاحي، وقد جمع فيها بين العربية والأمازيغية، قوله يصف مُقامه أيام الدراسة بمدرسة «إكضي» بجزولة من بلاد سوس، ويرسم صورة (الطالب) في المحضرة السوسية.

يا غادةٌ غِناؤها «راغِنْغ»** وذكرها في القلب «أُرتَّفْغ» (4)
لقد حباك الله «يتَّقَّايْت»** كأنها في كبِدي «تَبَّيْتِ» (5)

1 – الأصطب: مُشاقة الكتان.
2 – ذنب السِّرحان: ذيل الذئب.
3 – أعلام المغرب والأندلس: 432-433 .
4 – راغنغ: سيقتلنا. أرتّفْغ: لن يخرج.
5 – تقايت: حنجرة وحلْقا. تبّيت: تقطيع.

ذكّــــرتِني طيب زمــــان «إزْري»** يحــفُّنا بالعطف «أرَّغْ إبْرِي» (1)
فــضَــمنا بفِــتــيــة «إفــولْكِينْ»** غـدْرُهم أو غِـشـهم أُريمْكِينْ» (2)
شـبَّـهـتُم في حـسنِهم بـ«إتْران** وفـي صَــلابَتِــهِمُ ب«إزْران» (3)
وقـد سـقـانا الحُبّ «يتُّكْمِـيـمتِ»** أحلى من السكّر في «تَمِـيـمْت» (4)
وقـــد نزلْنا كلُّنا ب«إكَــضِـي»** وكلُّنا حَرَّ البعـادِ « إمْضِـي» (5)
قــد هاجـروا ديارهـم لـ«تِغْــرِي»** وأيُّ فـضل لفـتًى «أُرْغْــرِي» (6)
ولو تَرَى منظرهمُ «إغَـــقْـــرَانْ»** وقـد أَجَدُّوا ليَنالوا «مَـدْرَان» (7)
وكلُّهـم يـحـــــمـل «تـلْكرّارتِ»** ويُردِفُ الضـربَ على «تلُّوحتِ» (8)
مُـقــرِئُهم إمــامُــهم «أريتْـــزي»** وَمَنْ سَـهـا عن لوحـه «رطِّيـرْزِي» (9)
يظلُّ جــاثمــا على تَفَـرَّشِـيتْ»** وليس يَعـرفُ سِوَى «تورَّشـيت» (10)
قد صار من فرط الطُّوىَ كـ «تِقْليتْ»** وليس تطرُق حمـاه «تجليت» (11)
ســبَّل للقـــرآن كل تُدْرْتْنْسْ»** وطلق الدنيـا لأجل «لخِـرتْنْسْ» (12)
وشُـــغلُه طول النـهـــارُ «أزْرايْ»** مُـعَرِّياً عن هـامـة كـ«أخـسـاي» (13)
لا يقـــبل المزْح ولا «تَبَـــسْلِيتْ»** ويضـــرب النَّشء على «تَزَلِّيتْ» (14)
ينصَحــهم أن يكثـروا «تِغْـدوِين»** ومَنْ أبى فـسيـرَى «تكْضـوين» (15)

---

1 - إزري: مَرَّ ومضَى، ارَّغ إبري: لا يجرحنا
2 -إفولكين: حسان، أريمكينَ: لا يمكن
3 -إتران: النجوم. إزران: الأحجار
4 - يتكميمت: جرعة: تميمت: الحلاوة
5 - إكضي: مدرسة بجزولة. إمضي: ذاق
6 - تِغْري: الدراسة والقراءة. أرغري: لم يدرس ولم يقرأ
7 - إغقَران: حين يقرأون. مَدْران: ما أرادوا.
8 - تلكرارت : الكرار، وهو عود أملس يحك به الطالب لوحته أثناء الحفظ. تلُّوحت: اللوحة.
9 - أريتزي: يخاصم وينتهر. رطيرزي: سيكسره.
10 - تفرشيت: السجادة، تورشيت: رواية ورش.
11 - الطوى: الجوع. 14 - تِقليت: الوزعة. تجليت، الخطأ في القراءة .
12 - تدرتنس: حياته. «لخرتنس: أخرته.
13 - أزراي: تصحيح الألواح (الدوازة) أخساي: القرَع (اليقطين).
14 - تبسليت: الجسارة والوقاحة. تَزليت: الصلاة.
15 - تغْدوين: تكرير اللوحة (النفذات) تكضوين: الندامة.



سوف يذوق في الصباح «أغروش»** بالكفِّ أو بالحبل أو ب «أفروش» (1)
فبعضهم لازال يتلو «إدْلِيف»** وبعضهم يَهْدِرُ مثل «أكْليف» (2)
يحفظ طول الليل «أرَيَطْس»** حتى يسيلَ فَمُهُ «سُلُّوسي» (3)
إذا تلا فليس يخشى «تَضُرِي»** وفيهمُ مَن ليس يَدْريُ تَكُرِي»(4)
وفيهم من ملكته «تِزْوِيتْ»** ومن أذاقته العذاب «تِسْوِيتْ» (5)
وآخرون برعوا «غَمَرْكَيْ»** وشِعرُهم أمْتَنُ من «أساركاي» (6)
وبعضُهم في كل فَنٍّ «حَرْشَنْ»** وثلَّةٌ منهم «سَلاَن أُبَّشْنْ»(7)
وقد أخذنا من فقيه «إِغْرانْ»** يُتحفنا بكل معنى «إدران» (8)
دَروسه من الوضوح كـ «أزال»** وعنده مِن العلوم «إمُدال» (9)
وبيْتُهِ كدَّسَهَا سُورَّاتْن»** وكلَّما احتجْنا لها «نَسِتْن»(10)
ولم نزل نخوضُ بحر تِغْرِي»** حتى بلغنا شَطَّه «أرْنُضْرِي» ( 11)
وقد قطعنا في العلوم «إِكَنَانْ»** وإن أذاقنا الزمان «إِغْنَان» (12)

هذه صورة المودب المشتغل بإقراء القرآن الكريم وأصناف طلبته، وفي مقابلها صورة الفقيه الذي يدرس مبادئ العربية والفقه وغيرها في المدارس القرآنية العتيقة بسوس، وأكثرها ما يزال على هذه الصورة المزدوجة إلى اليوم.

---

1 – أغروش: الضرب. أفروش: الحذاء البالي.
2 – إدليف: حروف الهجاء. أكليف النحل.
3 – أريطس: لا ينام. سلوسي: بالزبَد.
4 – تضرُي: العثار والسقوط. تكري: كلمة.
5 – تزويت: الجفاف أي: البلادة وعدم الحفظ. تسويت: العشق.
6 – غمركاي: في الشعر والنظم. أساركاي: المرضاخ والصخر.
7 – حَرشن: أذكياء. أبشن. كسر الخبز.
8 – إغران: مطّلع ماهر. إدران: دقيق.
9 – أزال: النهار. إمُدال: جبال
10 – سوراتن: بالمخطوطات، نسِتن: نأخذها
11 – تِغْري: الدراسة. أرنضري: لم نعثر
12 –إكنان: الشعاب. إغنان: العناء والألم.
وهذا آخر بيت فيها، وقد تركت من أولها كثيرا لا يتعلق به المطلوب. انظرها كاملة في كتاب المتعة والراحة للفقيه السيد إبراهيم إذ إبراهيم التامري: 407/2-415 .

# الصورة المشرفة لمعلم القرآن الكريم

غير أني لا أتجاوز هذا المقام دون أن أشير إلى أن هذه النظرة الدونية إلى هذه الفئة من المحترفين للتأديب، والوقيعة فيهم من جهة كثير ممن رأينا، لا تعني أنهم جميعا على حد سواء، في الجشع والمشارطة الهادفة إلى طلب المعاش دون نية الإحتساب، ولا أنهم على قدم المساواة في تسخط الناس لأحوالهم، وعدم التقدير لوظيفتهم في التعليم، وكيف يكون الأمر كذلك مع قول النبي – ﷺ- : **خيركم من تعلم القرآن وعلمه**. ولله در الشيخ الفقيه أبي مروان عبد الملك بن موسى الشريشي –رحمه الله– في نظمه لهذا الحديث النبوي الشريف حيث قال:

تعلم كتاب الله والزم تفهُّما** تنل شرفاً عند الإله ومكرمة

لقول رسول الله: خيرُكم الذي** تعلم قرآن الإله وعلمه (1)

✓ ولقد عرفنا من طول صحبتنا لشيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري في مسجد البير الفائض خلاف كل ما يشاع عن الطلبة المشارطين، فقد شارط في هذا المسجد بضعة وأربعين عاما لم يغادره إلى غيره حتى حبسه المرض وتقدم السن –عافاه الله– وكان في كثير من شهور السنة يسهم من شرطه في تموين طلبته، ولا يكاد يأخذ لأهل بيته من المسجد شيئا مما يهدى إليه، وإنما يرصده لطلبته وضيوفه الوافدين على مسجده.

1 –شرح الدرر اللوامع للحلفاوي: الخزانة الحسنية بالرباط برقم 6064 والعامة: 3443 .



وفي كتب التراجم أمثلة زاهية لعدد من أهل هذا الشأن كانوا مشارطين، ولكن كان همهم أكبر من الكسب المادي الذي من الممكن أن يدره عليهم الشرط.

ففي جذوة الإقتباس في ترجمة إبراهيم بن العشاب الأنصاري المقرئ نزيل فاس (ت 583 هـ) أنه «كان يعلم القرآن، ويبيع العشب، ويقرئ النحو» (1).

✓ وفيها في ترجمة محمد بن يعلى التاودي المعلم لكتاب الله من أهل فاس، وكاتن يدعى الخياط «كان يعلم الصبيان فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء، ويردُّه على أولاد الفقراء، ويغسل ثياب الصبيان في قصعة كانت عنده في (المكتب) ويخيطها إذا احتاجت لذلك» (2).

✓ وفي فهرس المنجور يتحدث عن أحد شيوخه، وهو إبراهيم اللمطي فيقول: هو أول من جودت عليه القرآن، بل وعليه حفظته، وقرأت عليه مورد الظمآن ومقدمة الجرومية وعليه تمرنت في إعراب القرآن العزيز. قال:

«وكان ملازما لتعليم كتاب الله العزيز نحواً من خمس وأربعين سنة، ما عُرف له فتور ولا كسل، وتخرج عليه في حفظ القرآن جماعة كثيرة من الصبيان وغيرهم، وتوفي سنة 988 هـ (3).

✓ وفي نشر المثاني للقادري في رسم عبد الرحمن الدراوي (ت 1059 هـ) أنه «كان يؤدب الصبيان بمكتب درب الغرابلي من عدوة فاس الأندلس ويؤم بمسجده، فإذا قبض شيئا من أجرة التعليم أو غيرها أصلح منها المسجد، وما بقي تصدق به، وكان قوته من شعير يأتيه من بلده خاصة، وهو مع ذلك صوام قوام» (4).

---

1 –الجذوة: 89/1-90 ترجمة 13 .
2 – الجذوة: 219/1 ترجمة 185 .
3 – فهرس أحمد المنجور: 73-74 .
4 – نشر المثاني: 49/2 .

ومن أطرف ما يذكر من هذا الطراز، قصة الطالب الفقيه المدرر الذي وقف ما جمع من شرطه، على كرسي الشاطبية وسيأتي الحديث عنه عن قريب.

## الشرط معونة وليس أجرة وقول ابن العريف في ذلك

وينبغي أن يعلم كما تقدم أن الدخول في عقد الشرط أمر اقتضته ضرورة التفرغ عن طلب المعاش بالانقطاع عن الأسباب، والتزام موضع التعليم، ومن ثم فإن ما يتقاضاه المعلم سواء اشترطه أو لم يشترطه، فإنه لا يعدو أن يكون معونة له على هذا التفرغ والانقطاع، كما أنه كما قرره العلماء في مقابل الجهد البدني الذي يبذله المعلم، وليس في مقابل حرف من كتاب الله.

ولقد سبق إلى بيان العذر في هذا الأخذ الاضطراري الإمام مالك إمام المذهب رحمه الله، حين قال لمن سأله عن أجرة معلم القرآن بمحضر عبد الله بن وهب الفقيه، فافتاه بالجواز كما تقدم، وقال: لولا المعلمون، أي شيء كنا نكون؟

ويدل عليه أيضا ما اعتذر به أزهد أهل زمانه وقطره أبو العباس بن العريف الصنهاجي الأندلسي دفين مراكش (ت 536 هـ) حيث يقول:

«إذا علم المعلم من نفسه علم يقين أنه ليس بحريص على حظ نفسه من المال والجاه، وأمكنه أن يستكثر من الصبيان بوجه مباح صحيح، فعل ذلك الغاية، فإن أولى الناس بتعليم الخير أقربهم من القبول، قال:



وليس على المعلم واجبا أن يتولى كل صبي بنفسه في كل أوقاته وأحواله، فإن هذا غلو وحقحقة، وإنما عليه أن يتولى جميعهم بنظره ورأيه حتى لا ينصرف الصبي إلا وقد كتب وقرأ غيره إذا أمكنه، ويتركه إلى الغفلة في بعض الأوقات فلا بد منها، ولابد للمعلم أن يسمح لهم فيها، فإنها العون على وقت الشدة والمجاهدة له ولهم، ولكن ليكن هو المهم في تعليمهم أخلاق الديانة من الحياء والتواضع وذكر أخبار الفقر وعيوب الغنى ونحو ذلك من أوصاف الإيمان، أهم إليه من حفظهم لحروف السواد، يلقي إليهم ذلك كلمة كلمة، وينبههم عليه وقتا وقتا.. قال:

وإني وإن كنت آخذ منهم الأجرة، فإني لم أجلس لهم من أجلها، وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله، لقوله عليه السلام: **خيركم من تعلم القرآن وعلمه**.

ويقول في مكان آخر: «فإن أجرتهم وإن كانت لفاقتي مَسَداًّ، ولحاجتي مَرداًّ، فما من أجلها قعدت، فليس من مجيئها أو فقدها مَسَرّةٌ ولا مبَرَّة، بل هي في بعض النظر حجاب ومضرة، والمرجو منهم الذي قعدت من أجله هو التعليم» (1).

## من صور الإباء وعزة النفس عند الإمام الشاطبي المقرئ (ت 590 هـ)

ومن صور الإباء وعزة النفس عند هذه الطبقة من معلمي كتاب الله شرفاء الأنفس، ما أجاب به الإمام أبو محمد القاسم بن فيره الشاطبي صاحب حرز الأماني وإمام الدنيا في القراءات السبع، فإنه كان شيخ

1 – ابن العريف: طريق السعادة وتحقيق طريق الإرادة (589) مخطوط، وانظر: معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش: مجلة دعوة الحق العدد: 259 عدد شتنبر أكتوبر 1986 ص 98



الإقراء في المدرسة الفاضلية بمصر مستقرا فيها مع طلبته، فحكى أن أحد أمراء مصر، وهو الأمير عز الدين موسك -الذي كان والد أبي عمرو عثمان بن الحاجب حاجبا له- بعث إلى الشيخ الشاطبي يدعوه إلى الحضور عنده، فأمر بعض أصحابه أن يكتب إليه:

قل للأمير مقالة ** من ناصح فطن نبيه
إن الفقيه إذا أتى ** أبوابكم لا خير فيه (1)

## من صور عزة النفس عند بعض شيوخنا

وقد حدث لشيخنا الجليل سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري شيخ طلبة قبيلتنا وأستاذهم، أن وقع بينه وبين بعض الجماعة الذين كان مشارطا عندهم في مسجدهم بعض مراجعة في الكلام عرض فيها به مما أحس معه بالهضيمة، وكان من أعز الناس نفسا، وأرفعهم حرمة عند الخاص والعام، فما كان منه إلا أن دعا بدابته فحمل له بعضُ طلبته ما خفّ عليه من كتبه وأمتعته، وغادر المسجد في الحين، وأوصى الطلبة أن لا يصبح عنده أحد في المسجد في غده، فتفرقوا عن آخرهم، والتحقوا ببلدانهم جميعا.

ولزم منزله، فأوفدت إليه الجماعة بعض أعيانها ليعتذروا إليه لعله يرجع إلى المسجد، فأبى ذلك، فما زالوا يترددون على بابه أسابيع، إلى أن جاؤوا بأعيانهم، وأهدوا إليه ثورا ذبحوه على بابه، وتوسلوا إليه بكل ما يملكون، وأبو أن يرجعوا إلى منازلهم حتى يرجع معهم إلى مسجده، فرجع معهم في آخر الأمر على شروط اشترطها فقبلوها، فعاد إلى مسجده، وعادت المياه إلى مجاريها، حتى تجاوز أربعين سنة في هذا المسجد، ولم يغادره أخيرا إلا حين اشتد به المرض عافاه الله وأدام النفع به وأثابه الثواب الجزيل، وعرفت بعد هذا الحدث قيمة هذا الشيخ وعزة نفسه فلم يعد أحد من جماعته يجترئ عليه.

1 - نفح الطيب للمقري: 234/2 .



# من غرائب الإخلاص للمهنة

قال العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن زيدان في ترجمة المولى محمد بن عبد الهادي الشريف الحسني العلوي حفيد السلطان مولانا سليمان نزيل مكناس ودفينها: «فقيه أستاذ مجود مقرئ له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها وتوجيهها، انتهت إليه رياسة ذلك الفن في زمنه.

حكي عنه أنه سئل عن الإشمام والرَّوم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات التالية، ولما تمم الأبيات، ذهب إلى الحجام، وأمره بقلع ثنيته، ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدرّرا يعلم الصبيان، ويرشد الشيوخ الأساتيذ، نفع الله به خلقا».

أما الأبيات التي أنشدها في ذلك فهي:

يا سائلي نظماً عن الإشمام** والروم فاستمع أخي كلامي
الرفعُ فيه الروم والإشمام** والخفضُ بالروم فقط يُرام
النصب لا رومَ ولا إشماما ** في مَذهب القراء خذ أحكاما
وفي عارض الشكل قبل بالمنع** وهاء تأنيث وميم الجمع (1)

---

1 – انظر إتحاف اعلام الناس: 5/261-262 .



## طالب مدرّر ينشئ كرسيا للشاطبية بالقرويين مما جمعه من شرطه

وهذا القارئ هو أبو القاسم الكوش الدرعي التِفنوتي (ت 953 هـ) من شيوخ شيخ أبي العباس أحمد المنجور: أبي محمد عبد الحق بن أحمد المصمودي، وهو أيضا من تلاميذ الشيخ ابن غازي.

قال الحضيكي: «**نزيل درعة**»، يعرف عند أهل فاس بـ«**الكوش**» وب «**الشيخ**» كان بارعا في كثير من العلم والفقه والعربية والحساب والقراءات، قال:

وهو أول من وقف على «**حرز الأماني**» للشيخ أبي القاسم الشاطبي بفاس لما جمع شرطه في المسجد بدرعة، فبعث به لشيخه المذكور –يعني أبا الحسن علي بن هارون من كبار أصحاب الشيخ ابن غازي– ليشتري به رَبْعا أو عقارا يحبَّس على قرائه، فكتب إليه:

قد بلغت البضاعة واشترينا بها عَرْصَة.. فعيّنت لمن قام بالكتاب المذكور، وكان بعث أولا بشيء فأُكِل في الطريق.. (1).

وقال المنجور في فهرسه في ترجمة شيخه أبي الحسن علي بن عيسى الراشدي:

---

1 –مناقب الحضيكي: 151-153 وأصله في الفوائد الجمة للتمنارتي: 105-106 .



«نُفِّذَ له تدريس **الشاطبية الكبرى**» الذي أنشأ تحبيسه الشيخ الفقيه الفرضي الصالح أبو القاسم الكوش الدرعي، لنظر الشيخ الإمام أبي الحسن بن هارون، ولم يكن لها وقف قبله (2).

فهذا الوقف من فقيه يحترف الشرط في المساجد، يدل على ما قلناه من شيوع الخير وعمومه في هذه الفئة من المؤدبين المحتسبين، الذين إذا شارطوا عادوا بذلك الشرط على أعمال البر والإحسان، كل حسب درجته، وعلينا أن نتمثل قوله في القصة عن هذا الوقف: «وكان بعث أولا بشيء فأُكل في الطريق» فإنه يدل على مبلغ حرصه على تنفيذ هذا المشروع لفائدة طلاب (الشاطبية) بمدينة فاس، ولاشك أن انتدابه لهذا العمل الخيري البديع كان إحساسا منه بمقدار حاجة المشيخة إلى هذا الدعم يُشَدُّ به أَزْرهم في الانتصاب لتدريس هذه القصيدة الفذّة التي قيل: إنه: ما ألف في الملة المحمدية مثلها ومثلُ كتاب الشفاء للقاضي عياض» (3) على أن الرجل إنما هو طالب سابق للشيخ أبي عبد الله بن غازي، ولا ريب أن الدُّر من معدنه.

وهذا العلامة أبو زيد التمنارتي يذكر أصل ما ذكره الحضيكي بعده، وينقل قول تلميذ أبي القاسم الكوش سعيد الهوزالي (4). «وكانت مساكن دراستنا بقرب مسكنه، ونحن نجدُّ غاية الجد، ويقول لنا: ما كنتم تصنعون شيئا، ما هكذا عرفنا طلبة جزولة» (5).

---

1 – فهرس أحمد المنجور: 171 .

2 – نفسه: 67 .

3 – أزهار الرياض: 270/4 .

4 – هو سعيد بن علي بن سعيد السوسي الهوزالي، قال تلميذه التمنارتي: طود من أطواد الأناة والسكينة ولي قضاء الجماعة بالسوس الأقصى نيفا وثلاثين سنة فأحسن السيرة. توفي سنة 1001 هـ. انظر الفوائد الجمة للتمنارتي: 101-100

5 – الفوائد الجمة: 106 .

# ما قلته في زيارتي لمحضرة الفقيه الحاج إبراهيم التامري (1)

زرت قبل ثلاث سنوات الفقيه الأستاذ الحاج إذ إبراهيم التامري في محضرته بمدينة أكادير فوجدت طلبته متحلقين حوله، وهو يقرر لهم أحوال الوارثين والوارثات من أرجوزة الرسموكي في المواريث،

فدهشت من رباطة جأشة، وقوة بيانه -حفظه الله- وعظيم إتقانه واستحضاره، فجاشت قريحتي بهذه القطعة أثناء تحليله للأبيات، ثم أنشدتها في مجلسه بعد الانتهاء، فأمر طلبته بكتابتها، وهي:

مَجلسُكم يا أهل هذا المجلس** كالروض غِبَّ العارض المُنْبَجِس

وقُطبُه الشيخ إذِ إبراهيما ** يَشفي الضَّنا، ويُبرئ السقيما

بكل قول محكَم مبين** وكل نقلٍ عن حُماةِ الدين

وكلِّ فَهم يَسْبُر الأعماقا ** فيُخرج الكُنوزَ والأعلاقا

خاض بنا في عالَم الفرائض** ففضَّ كلَّ مُغْلَق وغامض

وفَتَقَ الرَّتْقَ وما قد انغلق** وبدَّد الظلمةَ منه بالفَلَقِ

وصاغ مِثْل الذهب المسبوك** مستلهِماً فرائض (الرَّسموكي)

فلم يَدَع فائدة أو شاردة** إلاَّ بها زان صنوف المائدة

حتى ارتوت من فيضه الغياض** وامتلأت من علمه الحياض

وقال كل سامع ومحتفل** فهكذا يا سعد تورد الإبل

---

1 - هو مؤلف كتاب المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة، وقد انتفعت به كثيرا في هذا البحث، فجزاه الله عن عمله خيرا.



وهكذا فليكن المُحاضر** إذا ازدهت بعلمه (المَحاضر)

فنسأل المولى له البَقَاء** وأن يزيدَ قدرَه ارتقاء

وأن يحوطَه بحفظ ومَدَد** من العناية لِقَاءَ ما اجتهدَ

وأصلحَ الله به ونفَعَا** ما طَلَبَ (الطالب) علماً ووَعَى

وبُذِلِ العلمُ لوجه اللهِ** مُبَرَّءاً من غَرض التَّبَاهي (1)

## من آداب المشارطة عند فقهائنا

وقد رسم علماؤنا المنظرون -رحمهم الله- حدودا ومعالم للمشارطة، وسيجوها بآداب رفيعة من شأنها أن تصون حرمتها، وأن تحول دون تطرق الألسنة إلى أهلها، وانظر إلى كتاب المدخل لابن الحاج العبدري والفصول الطويلة التي خصها لهذه الآداب، فسوف تجد فيها مقدار الشعور بأهمية هذا المنصب وأهمية ما يحاط به من الحصانة وحفظ المقام.

وانظر إلى ما قاله في بعض تلك الفصول من ذلك منبها:

«وينبغي له أن لا يدع أحداً عنده من الصبيان ممن فيه رائحة من الخصال الذميمة، إذ أن ذلك سبيل للوقيعة في حق بعض من في المكتب عنده، وقد يفضي ذلك إلى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغي، فقد ينسب إلى المؤدب ما لا يليق بمنصبه».

وفيه مفسدة أخرى، وهو أنه قد يكون سببا إلى عدم مجيء الصبيان إليه أو قلتهم، فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق، فليحذر ذلك جهده، والله المستعان (2).

1 – بعض هذه الأبيات مما أضفته إلى القطعة بعد انقضاء المجلس.

2 – المدخل: 321/2 .



كما أن الشيخ ابن الحاج تنبه إلى قضية من قضايا (الإشهار) عن المكتب فكرهها فقال:

وينبغي له أن يتجنب ما يفعله بعض عوامّ المؤدبين من أنه إذا قلّ عنده عدد الصبيان أو فتح مكتبا وليس فيه أحد، فإنه يكتب أوراقا ويعلقها على باب المكتب ليكثر مجيء الصبيان إليه، وهذا لا يفعله إلاسفهاء الناس، وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا، وقد تقدم، ومنصب المؤدب يجلّ عن هذا وأشباهه» (1).

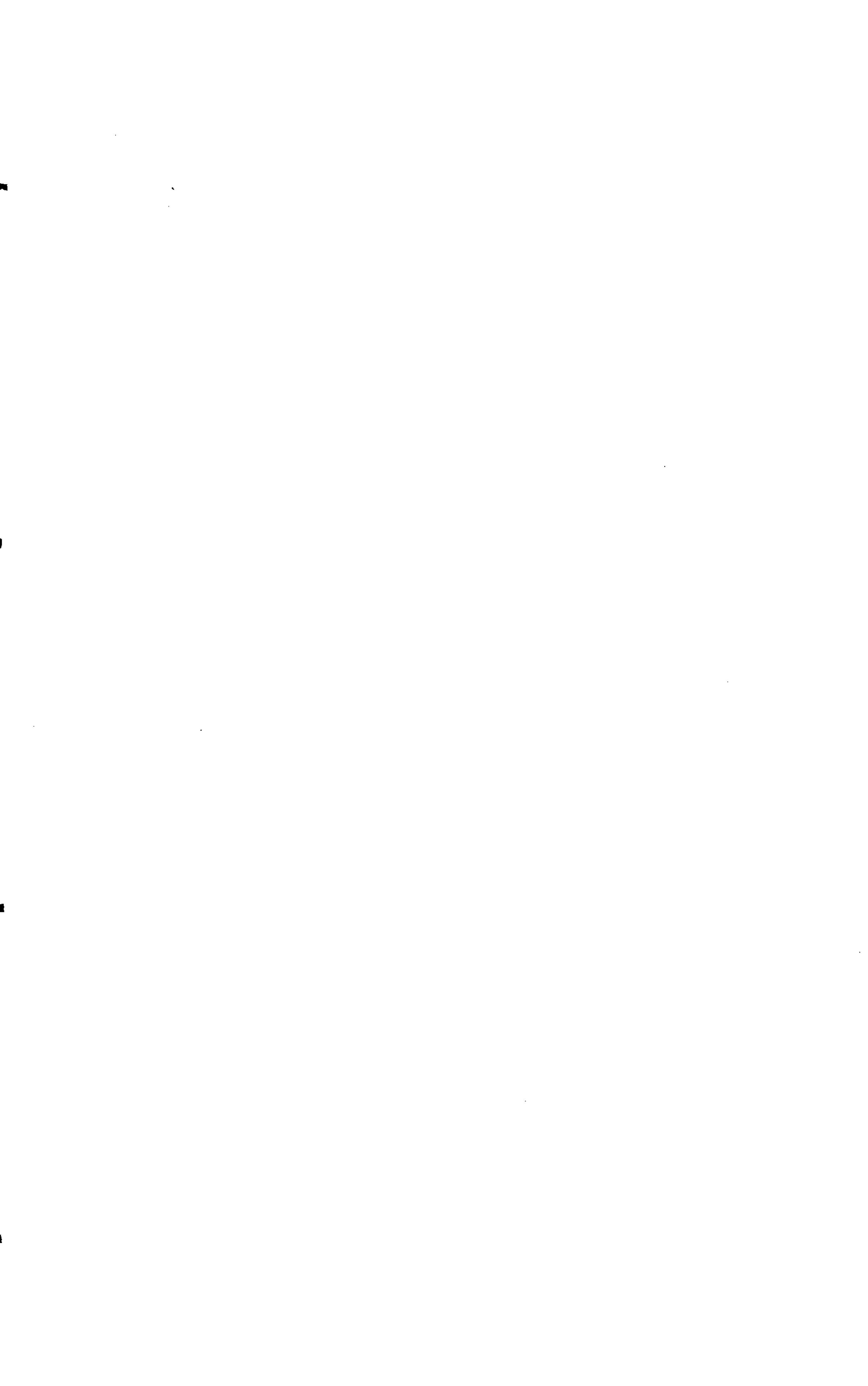
قلت: ما أشبه هذا الذي أنكره ابن الحاج العبدري بما يفعله أهل المدارس الحرة ورياض الأطفال اليوم في مطالع الموسم الدراسي من تعليق اللافتات في الشوارع والأزقة، وتوزيع المطبوعات، وإلصاق الإعلانات للتعريف بمؤسساتهم والدعوة إليها حرصا على الإستكثار من الكسب المادي.

## الاستعانة بالشرط على إتمام الدراسة

ومن الدواعي التي كانت ترغب بعض الطلبة في الشرط المبكر، الاستعانة به على إتمام الدراسة والتحصيل، فهذا شيخ مدرسة المزار بسوس المشهورة في قبيلة مسكينة بالقراءات القرآنية، وهو السيد عبد الله الركراكي يقال عنه: إنه أخذ القراءات في سوس ثم انتقل إلى قبائل جبالة، فكان يشارط شهورا حتى يجمع ما ينفقه، ثم يتوجه إلى القراءة حتى أتم نهمته، واستقر به المقام بمدرسة (المزار) حول سنة 1300 هـ إلى حدود: 1323 هـ فتخرجت على يديه أفواج من الطلبة» (2).

1 – نفسه: 2/321-322
2 – أنظر المعسول: 14/132 .





# الفصل الخامس

## حكايات شعبية مرتبطة بالشرط وأدبياته

كما ارتبطت بالشرط باعتباره يمثل صلب العلاقة المادية بين (الطالب) وبين الجماعة حكايات وأمثال شعبية، منها:

المثل المتداول عند العوام في التيئيس: «غادي تَدِّي شرطك بشْنَةْ مَني»

ومعناه: سوف تأخذ شرطك من الذُرَة، وكأنه يقول: إنك لن تأخذ مني شيئا، وأصله كما يظهر، أن الواحد من الجماعة قد يتخلف عن دفع ما ينوبه من الشرط إلى (الطالب) حين يصفّي محصوله الزراعي الأول من الشعير، ثم يؤجله إلى تصفية ما بقي في بيدره من الحبوب، ثم إذا صفى ذلك أدخله كله إلى مخازنه أو باعه، وأرجأ شرط (الطالب) بدعوى أن يدفعه له من الذرة عندما يحلّ موسمها، وذلك يعني أنه لن يدفع له شيئا بالمرة.

✓ ومن الحكايات أيضا ما سمعته من أحد شيوخ القراءات بناحية الصويرة، وهو الفقيه السيد عبد الرحمن بن العركان -رحمه الله- فقد حكى أن أميرا كان له ولد واحد، وكان يسعى لتربيته على شمائل الرجولة حتى يتأهل لولاية العهد، لكنه شارك في سباق للخيل فسبقه رجل من الرعية يركب فرسا أنثى، فلما رأى ذلك قال لصاحب الفرس: لابد أن تبيعني هذه الفرس، فأبى ذلك وقال: لا أبيعها إلا بستين ناقة، فقال ابن الأمير: لك ذلك، فذهب معه إلى إحدى حظائر الماشية التي لأبيه، فأمر بفتحها، وكان فيها ست وستون ناقة، فأخرجها حتى لم يترك في الحظيرة

غيـر «ست من ستين» فبلغ ذلك إلى والده فـاستنكره وأخذ يعيدها: ست من ستين، ست من ستين»، ثم حلف ليوقدن نارا عظيمة، وليلقين بولده فيها في مشهد عام، حتى يكون عبرة لأهل زمنه، غضبا عليه وانتقاما لما ضيعه من مال أبيه.

فنادى في الناس، وأمر بالحطب الكثير فجمع، وأضـرمت فيه النار، وجيء إليه بولده مغلول اليدين، فسأله الولد: ما الذين تريد أن تفعله بي؟ فقال أريد أن ألقي بك في هذه النار. فقال: إنك لا تزيد على أن تلقيني في «المغيْلِبَة» أي التي يغلبها غيرُها، فدار بينهما الحوار التالي؟ قال الوالد:

وهل هناك من يغلب النار؟

قال: نعم، الماء يغلب النار فيطفئها.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب الماء؟

قال: نعم، العقبة (الذراع) لا يستطيع الماء أن يصعدها ويرقى عليها.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب العقبة؟

قال: نعم، الخيل، سرعان ما تجري فتصعد عليها وتتجاوزها.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب الخيْل؟

قال: نعم، رُكابها سرعان ما يقتحمون عليها ويركبونها.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب ركاب الخيل؟

قال نعم، الحاكم (القائد) يأمرهم أن يأتوا بخيلهم فيأتون جميعا.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب القائد؟

قال: نعم، امرأته تطلب منه الأمر فلا يسعُه إلا أن يرضيها.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب امرأة القائد؟



قال: نعم، ولدها، لا يزال يطلب منها حاجته حتى يأخذها منها.

قال الوالد : وهل هناك من يغلب ولدها؟

قال: نعم، الفقيه (الطالب) يضربه بالدرة والعصا حتى يشبع منه.

قال الوالد: وهل هناك من يغلب الطالب؟

قال: نعم، منحوس الجماعة لا يعطى شرطا ولا يعطي نوبة، وإنما يغري بالطالب حتى يخرجه من المسجد؟

## حكاية خالي الطاهر مع الفقيه المشارط

هكذا هو اسمه عند أهل الجنوب «خالي الطاهر» وكان رجلا قد تقدم في السن عارفا بمنازل الشتاء والصيف، فكان كلما شارط (طالب) جديد امتحنه في ذلك، فإذا لم يجده عالما بها ألحَّ على الجماعة في عدم قبوله إماما ومؤدبا، وما يزال بهم إلى أن يفسخوا العقدة معه والشرط.

ونترك لأحد الباحثين من أهل الشمال أن يقص علينا قصته تحت إسم «عَمِّي قُبَّان» ولعل القصة تروي هنالك عنه بهذا الاسم فيقول:

«كان بدوار رجل مسنّ يعرف منازل الحرث، ولم يكن بالدوار من يحفظ القرآن، وكل من جاء للمشارطة بالدوار يتعرض للامتحان من طرف هذا الرجل المسمى (عمي قبان) فجاء طالب للمشارطة فامتحن واعترف بأنه لا يعرف المنازل، فأقرّه الشيخ فقيها على القرية، واتفقا على أن يعلم أحدهما الآخر، وحبب الفقيه للرجل قراءة القرآن، وأن حفظه أسهل من حفظ منازل الحرث، فبدأ الرجل يقرأ القرآن على الفقيه.



وفي يوم السوق ذهب الفقيه إلى السوق بعدما تم تكتيب التلاميذ، وأقسم أنه ما لم يحفظ كل واحد لوحه يعرض للعقوبة (1).

فلما رجع بدأ بتحفيظ الرجل، فوجده لم يحفظ، فأشبعه ضربا حتى شفى غليله منه، فارتحل الفقيه وتركه عبرة لمن يعتبر» (2).

ويزاد في الحكاية كما هي متداولة في الجنوب المغربي أن الرجل خرج بعد أن أطلقه الفقيه، فلقي بعض من يعرفه فسلم عليه، وقال: كيف أنت يا خالي الطاهر؟ فأجابه متألما بلغته الدارجة: «ما كان ما خالي الطاهر»! فصارت مقالته مثلا سائراً يضرب لمنْ تظنه على حال، وهو على عكسها.

هذا، ومازلت أسمع الطلبة من أهل الشرط يتهيبون المشارطة في بعض الجماعات التي فيها بعض الفقراء من الصوفية خوفا من أسئلتهم والعجز عن الجواب عنها، وهم وإن كانوا في الغالب من العوام، يحفظون الكثير من المسائل والحكايات التي يختبرون المشارطين بها، وخاصة عند أول وصولهم إلى المسجد.

وقد ارتبطت بالشرط طائفة من النوادر تكون مادة دسمة لجلسات الطلبة يحكون فيها من الأحداث والطرائف ما هو جدير أن نعطي منه الأمثلة التالية التي عادة ما يتداولونها في المجامع، فيذكرون من غرائبها ما لذ وطاب. وللطلبة في ذلك دواوين تفوت الحصر ولغالبيتها علاقة بالمحضرة وطلابها ومسائل الرسم والضبط والشرط ونحو ذلك مما يمكن به أن نصنفها ضمن أدبيات المحضرة، وهذه نبذ مختارة منها:

---

1 – يزاد عندنا في القصة قول الفقيه: «يعرض للعقوبة ولو كان خالي الطاهر وكان في العادة يكتب لخالي الطاهر قدرا يسيرا من القرآن يسهل عليه حفظه وعرضه عليه، إلا في هذه المرة، فإنه لما يريده من التنكيل به قد ملأ لوحه بما لا سبيل له إلى حفظه وعرضه عليه حين عودته حتى تنجح الخطة التي دبرها عليه.

2 – كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي: 69-70 .



1- فمن نوادر طلبة الحضرة ما حكي من أن بعضهم ألجأته الهاجرة إلى مسجد فوجد (الكُتّاب) مفتوحا والألواح معلقة كالعادة، فنظر إلى اللوحة العليا منها، فوقعت عينه على كلمة «كثيبا» في سورة المزّمّل (1) كُتبت بتاء مثناة، فخرج إلى ما وراء المسجد وأتى على عاتقه بحجر صلد مستدير كأكبر ما تكون الأثفية (2)، وبصر به تلميذ من تلاميذ الكتاب في مَقيل شجرة بينها وبين المسجد جذبة مديدة، فتبعه مسرعا ليدرك ما يفعل بذلك الجلمود، ثم وجده قد فرش تلك اللوحة على الأرض، ووضع عليها ذلك الحجر، فسأله التلميذ: ما تصنع؟ فأجابه الغريب قائلا: «هذه نقطة اغتُصبت ظلما وعدوانا من «كثيبا» نَصَرته إذ لا نَاصَرَ له منكم، فأعدتها إليه، ثم انصرف لشأنه وقد رأى أنه برْدَ أوَارَهُ (3)، إذ سجّل على الكاتب عُوَاره» (4).

قال الشيخ صالح الإلغي بعد ذكره لهذه النادرة:

وأمثالها كثيرة جدا لا تكاد تدخل تحت الحصر.

ومنها أيضا: ما يحكى عن الفقيه السيد عبد الله إيميحّي.

---

1 - يعني في قوله تعالى: «وكانت الجبال كثيبا مَهيلا» الآية : 13 .
2 - واحدة الأثافي، وهي الحجارة التي تنصب عليها القِدر، وهي ثلاث مناصب في العادة.
3 - يعني: حرارة العطش.
4 - أنظر كتاب المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 61-62 .



# من نوادر الفقيه السيد عبد الله إيميحّي الحَاحي رحمه الله

2- ما يحكي عن السيد عبد الله إيميحِّي من آيت آمر بقبيلة حاحة (1) من أنه رأى لوحة تلميذ، ولعله من تلامذته مكتوبا فيها: (سيجزيهم وصفهم) (2) بألف بين الواو والصاد، فاستدعى التلاميذ وهم كثير، فحين اجتمعوا حوله عمد إلى خشبة طويلة، وحملها على عاتقه، وأستتْبعهم وراءه وهو يقدمُهم نحو البحر، ولم يُخبرهم بمراده حتى وصل إلى مقصده، فدفع تلك الخشبة في البحر، فحينئذ قال لهم: هذا ألف (وصفهم) أغرقناه في البحر ليستريح منه من في البر، فلا يرجع أبدا» (3).

قلت: وهذا الشيخ السيد عبد الله إيميحي -رحمه الله- شيخ حمزاوي قضى عمره في المشارطة، وهو من فحول طلبة هذا الشأن، ويمتاز بروح النادرة، وكان لا يكاد يعترف لأحد في عصره بالحذق، ولذلك كانت نوادره تدور حول هذا المعنى، ومنها:

3- ما حكوه عنه من أنه كان مشارطا في مسجد قرب ساحل البحر في بلاده حاحة، وكان إذا فرغ من أعمال المسجد وشؤون طلبته قعد على ربوة مستقبلا صفحة البحر، كأنه يترقب شيئا، فقيل: إنه سئل عن مجلسه هذا الدائم؟ فقال: إنه يقعد هناك يراقب البحر، فلعله في يوم من الأيام يأتي (بطالب) فإن البرَّ ليس به (طالب) يستحق هذا الاسم.

---

1 – أنظر كتاب المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 61-62 .
2 – من سورة الأنعام: الآية: 140 .
3 – المدرسة الأولى: 62 .

4- ومن مرويات الطلبة عنه أن تلميذاً له كتب لوحته من حفظه، فأخطأ في التلاوة بحيث انتقل من موضع إلى غيره دون أن يعلم، فلما وقف الشيخ على ذلك، وكان يصحح له، قال له: أحمد! أحمد! ألم أقل لك لا تمحُ لوحَك يوم تكون الريح الشرقية؟ فخجل التلميذ، وفهِم مُراده، وعلم أنه يعرِّض به بطريق التلميح إلى أنه يكتب لوحته بالاعتماد على النقل من المصحف، وكان اليوم يوم ريح شرقية، فكانت الريح تقلب له صفحات المصحف، وهو لا يفطن لذلك، فكان يتنقل من موضع إلى آخر دون أن يدري.

5- ومن مروياتهم عنه -رحمه الله- أن بعض رفاقه قالوا له وقد لاحظوا ارتفاع أجور الحصَّادين في إحدى السنوات فازداد الطلب عليهم: فقال: وكيف لا يغلو الحصاد والحصادون كلهم شارطوا في المساجد؟

يعني أن الطلبة الجديرين بهذه الصفة الذين كانوا يشارطون قد فُقدوا، فلما خلت مواضعهم منهم شارط فيها من كانوا في وقت وجودهم إنما يجدون مواضعهم مع الحصادين لا مع الطلبة.

6- ومن ذلك ما سمعته مؤخراً من نوادره، وهو أن طالبا قصده في مسجده فبات عنده وقال: أرجو أن تساعدني فتدلني على جماعة صغيرة لا يتجاوز سكانها الثلاثين أو الأربعين لأشارط عندهم في مسجدهم، فإني لا أستطيع المساجد الكبيرة، فقال له نعم!

فلما أصبح رافقه إلى السوق، وجاء به إلى حافلة ركّاب اجتمع فيها ما بين ثلاثين وأربعين، فأشار إليهم وقال له: اصعد إلى الحافلة وشارط على هؤلاء!



وأغلب هذه الطرائف لها مضمون تربوي، لأنها في الجملة تدور على تصوير حال طائفة من المنتسبين إلى الميدان دون امتلاك الأهلية له، أو تدور على هفوات صدرت من بعضهم ترجع إلى خطإ في التلاوة، أو تحريف في اللفظ، أو غلط في الرسم والضبط. وقد وصف الفقيه السيد صالح بن عبد الله الإلغي بعض هذه البواعث المرتبطة بالخطإ في الرسم أو الضبط فقال:

«فإذا عثر أحدهم على مخالفة في لوح غيره -ولو تركَ وقف في محله أو زيادته في غير محله - فإنه لا يسكت، ولا يتغاضى بل يشيعها في المحافل، لأنها جريمة لا تغتفر، وزلة يجب أن تنشر، ولا يليق في مذهبهم أن تستر، وربما تسعرت بينهم بذلك عداوة لا يخبو لهبها إلا بعد أمد بعيد» (1).

7- قال الشيخ الإلغي:

«ومن ذلك أيضا ما ذكره لي عالم رسموكي من علماء المجلس العلمي من أن تلميذا كتب (إن قارون) بألف محذوفة سهوا، وأسند لوحه إلى حائط الكُتاب المسقف بالأخشاب فذهب لغدائه، ثم دخل طالب غيور، ونظر إلى ذلك اللوح فأخذ مكنسة الكُتاب وصب عليها صَمْغَ دُوِيِّ التلاميذ حتى ابتلت جيدا، فخط بها في الحائط خطاً عريضا طويلا من اللوحة إلى السقف إيذاناً بأنه ألف (قارون) الثابت ولم يكتفِ ولم يشتفِ بهذا، بل أخذ فأسا وطلع إلى السطح فحفر عن الخشبة التي فوق اللوحة حتى قلعها، فأقامها إلى السماء على الحائط مقابل ذلك الخط الذي على اللوحة ودعمها حتى رَسَت بحيث لا تزعزعها العواصف، ومضى لسبيله.

---

1 - المدرسة الأولى: 61 .



وبعد أذان الظهر تذكر التلميذ صاحب اللوحة ما فعل بقارون، فخرج مسرعا إلى الكتاب قبل أن يراه من قصد المسجد للصلاة، وحين قرب من الكتاب رأى خشبة مستطيلة على سطحه لم يكن له بها عهد من قبل، فتعجب من ذلك، وبعد أن دخل ورأى ما حدث، عضّ على أناملِه تحسُّراً وتلهفا، ولسانه الحالي ينشد:

قد كان ما خِفتُ أن يكونا ** إنا إلى الله راجعونا (1)

8- و من ذلك ما يحكونه عن طالب كتب لتلميذ له في سورة البلد (فك رقبة) لكنه كتبها هكذا: «فكوا» فكان التلميذ يقرؤها بالحمل حسب رسم الطالب، فدخل طالب آخر فسمعه يقرؤها هكذا، ونظر في لوحه فوجدها بخط الطالب الفقيه، فأخذ القلم وزادها واوا آخر قبلها، وأمر التلميذ أن يقول: «وفكوا» فأخذ يقرؤها كذلك، فسمعه الطالب الفقيه فزجره، وصحح له «فكوا» فقال التلميذ: قد صححها لي هذا الطالب بزيادة الواو في أولها، فثارت ثائرة الطالب الفقيه، وسأل الطالب الذي زاد الواو: كيف زاد فيها هذا الواو؟ فقال له: زدت أنت فيها واوا في آخرها. فزدت فيها واواً في أولها، فما عليك إلا أن تزيل واوك، وأنا أزيل واوي (2).

9- و مما هو متداول في سائر جهات المغرب بصيغ متقاربة بين الطلبة ما يحكونه عن طالب مشارط يفتي تلامذته من المصحف، وكان إذا فرغ من المصحف لفه في منديل عنده، وربما لف في هذا المنديل بعض ما معه من قطع الخبز، وذات صباح بينما هو يملي على تلاميذه على الطريقة

---

1 - المدرسة الأولى: 62-63 .

2 - متداولة بين طلبة الجنوب المغربي.



المعهودة، جاء تلميذ فقعد أمامه ومعه دواته وقلمه، فبدأ بكتابة البسملة وما يتبعها وكتابة ما يسمى باسم (السايس) وهو نحو نصف سطر يصل آخر ما في الجهة من اللوح بالجهة التي تليها، ثم قال له على العادة:

- زد أسِدي كذا وكذا؟ فالتمس (الطالب) المصحف الذي وضعه بجواره قبل قليل ليفتيه منه، وإذا به يفتقده فلا يجده، ويتذكر أنه كان ملفوفا في صرة مع قليل من الخبز، وكان قد أحس بوجود كلبه قريبا منه، فعلم أن الكلب قد اختطف الصرة بما فيها وذهب بها، فلما أعاد عليه التلميذ قوله: زد أسيدي كذا وكذا؟ قال القولة المشهورة: «سيدنا وسيدك أدَّوه الكلاب» فسارت هذه الحكاية مثلا.

## من حكايات المشارطة

10- ومن حكايات المشارطة ما سمعته من بعض شيوخنا مما جرى له مع بعض أبناء المدرسة.

فقد ذكر أنه في عطلة المدارس العصرية جيء إليه بطفلين: أحدهما يقرأ في الأقسام الأولى، والآخر يأخذ طريقه إلى الكتاب لأول مرة، قال: فكتبت لهذا الطفل الأخير حروف الهجاء ( أ - ب - ت - ث) وأعطيته اللوحة، وبدأت أعلمه النطق بها، فلما قلت له قل: (ألف) أشار إليه أخوه بجانبه: أن لا ينطق بها، فأعدت عليه، فأعاد أخوه الإشارة، فأعدت فأعاد، فقلت لأخيه لماذا تأمره أن يلزم الصمت؟ دعه يتعلم النطق بالحروف، فقال لي: لقد أوصيته في الطريق وبينت له كيف يتصرف، لأني أعرف أنك إذا

قلت له (ألف) فقالها لك فستقول له: (الباء) فإذا قالها، قلت له: (التاء) وهكذا، أما إذا لم يجبك على (الألف) فسوف تقف معه عند هذا الحد، ويسهل عليه التخلص منك دون تطويل معك.

11- وأخبرنا الشيخ المذكور - رحمه الله- أنه جيء إليه بمدرسي آخر، قال: فكتبت له في سورة الفجر: قوله تعالى:﴿إذا دُكّت الأرض دكّاً دكّاً، وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾ مرتين؟ فقلت له: هي هكذا في القرآن الكريم، فقال لي: لأجل هذا أنتم الطلبا ما ربحتم، إذا ما اكفاتكم «دكّا» واحدة وصفّاً واحدة ما تكفيكم اللوحة كلها إذا عمرت (دكّاً دكّاً صفّاً صفّا).

12- ومن هذه الطرائف ما جرى لوالدي مع طفل آخر من الأغبياء المغرقين في الغباوة، - وكنت حاضرا معه عند وقوعها- فقد كتب لوح حروف الهجاء لأحد التلاميذ، وجعل يدربه على النطق بها في اليوم الأول وأيام بعده، ثم كتب له غيرها، ثم غيرها، وبعد ذلك كتبها له جميعا على العادة في لوحته، وامتحنه في درجة استيعابه وحفظه لها، فكان هذا الطفل لا يزيد عن إعادة وترديد ما يسمع من لفظ المعلم بالحرف، فإذا سكت المعلم لم ينطق هو بحرف، فأخذ معه في النهاية في سرد الحروف وهو يحاكي ما يسمعه، فإذا توقف المعلم توقف، فلما بلغ معه والدي -رحمه الله- آخر الحروف قال الوالد: الياء مكسورة فقال: الياء مكسورة، فقال الوالد: آسَمَّرْ فقال الطفل أيضا: أسَمَّرْ، يظنها من الحروف.

13- ومن حكايات الطلبة المشارطين: قصة (الطالب والعطار).

وبيانها أن طالبا كان مشارطا في مسجد، وعنده مجموعة من الطلبة،



والمؤنة ضعيفة، وكان هناك رجل عطار من الباعة المتجولين في البوادي لبيع التوابل وغيرها فجاء العطار مرة في بعض جولاته إلى المسجد، وقد أدركه المساء، فربط دابته بقربه على باب المسجد، وأدخل خَرْجه الذي فيه سلعته وبضاعته إلى داخل مقصورة الصلاة، فلما صلى الطالب العشاء، وانصرف الطلبة إلى قراءة الأسوار على العادة نادى العطار الطالب وأخبره أنه جائع، وأنه ضيف على المسجد، فأشفق الطالب من حاله لغربته عن البلد، فالتمس له ما سد به رمقه إلى الصباح.

وفي اليوم الموالي فعل العطار كفعله أمس، فاستحيا الطالب وقدم له مما حضر.

وفي يوم ثالث ورابع وخامس كان العطار يبيع في تلك الجهة حتى إذا قارب المساء جاء إلى المسجد، وصنع كصنيعه الأول، وربما لم يكن يعنيه أمر الصلاة أيضا، وإنما رأى أنه قد عثر على مكان أمين يبيت فيه، ويأكل من طعام أهله، دون أن يكلفه ذلك شيئا.

فكان لابد من أن يدبر الطالب مع تلامذته على العطار تدبيرا يجعله ينصرف عنهم إلى غير رجعة.

فرسم الطالب لتلاميذه الخطة لتنفيذها ليلة يحضر العطار، وصورتها أنه إذا تناول العطار الطعام ونام، ناموا بجواره بحيث يكون هو الثالث من جهة باب المقصورة، وجاء العطار، وصلى الطالب العشاء، ثم أعطى أوامره لتلاميذه أن ينصرفوا إلى قراءة الأسوار المعتادة، وأخبرهم أنه سيغيب عنهم أول الليل في دعوة عن بعض سكان الجماعة، وأخبرهم أنه لن يتأخر كثيرا، وتوعد من وجده قد أخل بالواجب في قراءته الأسوار بما سينزل به من عقوبة ونكال.

وانطلت الحيلة على العطار، فلم يلاحظ كيف أن التلاميذ بمجرد

خروج الطالب قد تواردوا على المقصورة، وتقاسموا أركانها متظاهرين بالنوم، وكان منهم اثنان قد اختارا لهم مضاجع بجواره على مدخل المقصورة، وساد الصمت زمانا، وإذا بالطالب يدخل فجأة فيجد الصمت مطبقا، فيأخذ في التهديد والوعيد الشديد: أهذا هو ما أوصيتكم به؟ أهذه هي قراءة الأسوار؟ ثم أخذ برجل أول تلميذ على الباب، وخفقه بالسوط، وقال : قم لأسوارك يا كذا ويا كذا! فقال: يا سيدي، دعني أنام، فأنا لست من تلاميذك، أنا العطار، فتركه وفعل مع الثاني مثله، فقال: دعني فأنا العطار! فتركه، وأمسك برجل العطار الحقيقي، وخفقه خفقة، قال: يا سيدي، أنا لست من التلاميذ، أنا العطار! فقال بمنتهى الغضب والغيظ: «كلكم رجعتوا عطارا» ثم أمسك به وأخذ يهوى عليه، والعطار يصرخ بأنه العطار، والطالب يعيد العبارة.. گاع رجعتوا لي عطارا، فما زال يضربه حتى كلّ من الضرب، ومن يومها ما رأوا العطار قط، ولا يدرون ما فعل.

## نوادر السيد الطاهر التسولي في الشمال المغربي والسيد أحمد النمر

وكما كان السيد عبد الله إيميحي مشهورا بروح النكتة في الجنوب المغربي، فقد كان في مدرسة سيدي الزوين قبل عقدين من الزمن طالب يدعى سي أحمد النمَرْ الشيظمي، وتؤثر عنه -رحمه الله- عند الطلبة طرائف ونوادر وملح كثيرة، وقد لقيته أكثر من مرة، وكان مما أذكره مما سمعته منه مرة أنه قيل له عن طالب: إنه تزوج وهو صغير السن، فقال: تسرَّع وما كان ينبغي أن يفعل، فقلنا له لماذا؟ فقال إن طالب القرآن لا ينبغي أن يتزوج حتى تنبت لحيته وتطول على صدره إلى حد أن يدخل فيها القلم، ويضرب الوقف بقوله (إلاَّ اللَّمم) دون أن يسقط القلم عن لحيته.

وكان في شمال المغرب من هذه الفئة من الشخصيات الفكاهية طالب متمكن يقال له سي الطاهر التّسولي «عاش متجولاً بين القبائل، مترددا على المساجد،، لا يعرف القرار والاستقرار، يفتخر بذكائه وقرآنه الذي يصفه بأنه مثل الصخرة لا يتطرق إليه الغلط أو الشك، سواء في حفظ النص القرآني أو في رسمه وضبطه وطريقة أدائه» (1).

وقد ذكر صاحب كتاب «الأنصاص القرآنية ما يدل على أنه شخصية حقيقية لا أسطورية، وحكى عنه جملة من الطرائف، منها ما حدثه به عنه والده منها:

1- أنه مات بقرية بوقمو بقبيلة بني عروس، وأوصى بدفنه بعُلَّيقة (2) لكي لا يتخطاه «الثماينية» (3) قال: ومن النوادر التي يتبادلها الطلبة عن هذه الشخصية:

2- أنه عند موته مرض حتى عفن بعض جسمه وخرج منه الدود، فكان ينادي على الطلبة المتوسطين ليلتقطوا (الوقف) أي: وقف القرآن الكريم الذي يكتب على شكل (مه)، وهو الشكل الذي كان يراه يشبه الدود الخارج من العضو المتعفن من جسمه» (4).

3- ومن ذلك أنه مر بمسجد يوما، وتمنى أن يأكل تين شجرة كانت محروسة من طرف الفقيه، فقال له: ناولني من باكور هذه الشجرة وأشهد لك بالحَذقة في القرآن (التقشقيشة) (5) - وهي شهادة بمثابة وسائل الإعلام للتشهير بالفقيه، فلما ناوله وقضى حاجته قال له:

---

1 - كتاب الأنصاص القرآنية 65/1 .

2 - يعني شجرة يعلق فيها.

3 - تقدم أن المراد بهم: الذين يحفظون أثمانا متناثرة من الأحزاب هنا وهناك.

4 - الأنصاص القرآنية: 66/1

5 - تقدم تفسيرها بأنها تعنى المهارة والحذق في القرآن.



«سأشهد لك بالمهارة، ولكن في اختيار الباكور الجيد» (1).

4- ومن ذلك أنه كان نادراً ما يزور أمه وأخته، ومرة وبينما هو داخل لزيارتهما إذا بأخته تصرح: أمي، أمي، أخي الطاهر قد أتى، فوقف وقال: عشرون عاما من الغيبة (التخنيشة) ولم أستحق لقب (سي)؟ مع السلامة، ورجع دون أن يرى أمه العجوز (2).

5- ومن نوادره مع «الثماينية» أنه بينما هو يسير في طريقه إلى أحد المساجد، إذا بطالب آخر يقصد نفس الاتجاه، وكان مع (سي الطاهر) حمل ثقيل، فقال له الطالب: هات أخفف عنك بعض أثقالك، فأعطاه حمله، وذهبا معا يسيران، وعندما بلغ (سي الطاهر) المسجد طلب منه الطالب الدعاء أن يعينه الله على حفظ مشاكل القرآن، فتعجب (سي الطاهر): وقال له: أما زلت «ثماينيا والله لئن لم ترد لي حملي للمكان الذي لقيتك فيه حتى أحمله بنفسي لأفعلن بك كذا وكذا، لا يريد أن يكون لأحد من «الثماينية» جميل عليه (3).

6- ومن هذه النوادر المنسوبة إليه، أنه كان مُدلاً بنفسه في ضبط رسم القرآن، وأنه اعتاد أن يكتب لوحه من جهتين ويأتي به ليعلقه على باب السوق متحديا بذلك طلبة أفقهِ الوافدين على السوق، مدعيا أنه يستحيل إيجاد خطإ في لوحه، وذات يوم ألقت فتاة تحفظ القرآن نظرة على اللوح، فوجدت كلمة (أمشاج) (4) ينقصها نقط الشين، فعمدت إلى مثقب ملولب، وثقبت فوق الشين ثلاث نقط، فلما رجع ولاحظ ذلك، عمد إلى ثلاثة أحجار كروية متوسطة، ووضعها في «قب جلابيته» فكان عندما يسأل عن ذلك يقول: «هي نقط أمشاج» (5).

---

1 - الأنصاص القرآنية: 66/1 .

2 - نفسه: 66/1 .

3 - انظر كتاب الأنصاص القرآنية: 66/1

4 - في سورة الإنسان - الآية الثانية.

5 - الأنصاص: 66/1-67 .



7- ومنها ما حكوا من طرائفه -رحمه الله- أنه كان عندما يروح للجامع -لينام فيه بالليل - كان يأخذ ألواح الطلبة ويفرشها في الأرض لينام عليها، فلما استفسر عن ذلك قال: ستون حزبا -يقصد نفسه الذي يحفظ القرآن - تنام على الأرض، وأنصاصها معلقة على الحائط؟» (1).

8- وقيل عنه: كان إذا قصد فقيها للقراءة عليه «يقف أمام الفقيه يطلب منه «الرتبة» (2) دون الدخول إلى محل جلوسه، فإن هو حرّك رأسه بالموافقة، أقام في المسجد، وإن هو -أي الفقيه- حرك رأسه بالنفي، نعته ب «الصبع» وذهب إلى حال سبيله» (3).

9- قيل : وسأله رجل «قبان» (4): لماذا يكره (الطالب) الكلاب؟ فأجابه: مات رجل «قبان» مثلك، فتخاصم فيه الطلبة والكلاب، الطلبة يقولون بدفنه، والكلاب تقول بافتراسه، فاستحكمت العداوة بسبب ذلك بين الطلبة والكلاب» (5).

وهكذا يبدو (سي الطاهر) في جميع الأحوال منتصرا للسيادة الطلابية من الأدعياء المتطفلين عليها، وما أكثر ما نجد في هذه الأوساط بين الطلبة من يمثل هذا الصنف وذاك.

---

1 - نفسه: 67/1 .

2 - هي الرتبية التي يأخذها الطالب المسافر معونة له كما سيأتي.

3 - الأنصاص: 67/1 .

4 - لقب يطلق على كل من لا يعرف القراءة والكتابة (الأنصاص القرآنية: 120/4 ).

5 - الأنصاص: 68/1 .



10- ومن آخر ما سمعته من بعض طلبة الشمال من نوادر السيد الطاهر التسولي: أنه كان مارا على مسجد صغير فيه طالب مشارط، فكان يفتي لبعض تلاميذه ويسلك مع آخرين، وكان في كل ذلك يفسد التلاوة، ويفتي غلطا، ويحرف ألفاظ القرآن، فما كان من السيد الطاهر التسولي إلا أن ذهب إلى بعض أشجار الشوك، وجاء بحزمة من عيدانها وأشواكها، وأخذ يسد بها باب المسجد ومنافذ الهواء فيه، فلما شعر به الفقيه وتلاميذه اعتذر بأنه فعل ما فعل إشفاقا على كتاب الله حتى لايذيع ما صدر من الفقيه، وينتشر بين الناس على تلك الحالة من التحريف والتصحيف.

# أغبياء من العيار الثقيل

ويلتحق بهذا اللون من الحكايات المتعلقة بالأغبياء حكايات أخرى لبعض الأدعياء الذين يتظاهرون بالعلم ويتشبعون بما لم يُعطَوْا، ومنها:

1- ما سمعته بأذني من رجل يظهر في زي الفقهاء كانت له حلقة واسعة في ساحة جامع الفناء بمراكش في سنوات الستين من القرن الميلادي الماضي، فقد سمعته يذكر من تسلط الشيطان على بني الإنسان، أنه يصدهم عن ذكر الله بالمشاغل والملاهي، ثم استدل لذلك بسرد آيات سورة الناس، حتى بلغ قوله تعالى فيها (إله الناس) فقال (الفقيه): أنظروا إلى عدو الله ماذا يفعل بالناس. إنه (إلهِ الناس) وفسرها لهم بالمعنى العامي، الذي يفيد أن الشيطان (يلاهي) الناس بالملاهي، وجعل هذه الآية الكريمة التي هي في صفة الله تعالى والثناء عليه بصفة الألوهية، صفة لإبليس لعنه الله، وهذه نتيجة القول في كتاب الله بغير علم، بل هي صورة من صور الغباوة المتناهية والجهالة المفرطة.

2- ما سمعته في عام 1969 م حين أذيعت أخبار وصول أول إنسان إلى سطح القمر، وكنا في دعوة مع جماعة من طلبة القرآن، فتكلم زعيم منهم، وأبدأ وأعاد في كون كتاب الله تعالى قد اشتمل على ما كان وما يكون إلى قيام الساعة، ثم قال حتى هذا الصاروخ الذي يتعجبون منه، فقد سبق إلى ذكره كتاب الله قبل أن يعرفه الروس والأمريكان، ثم قرأ قوله تعالى في سورة ياسين: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون﴾ (1) ففسر (الصريخ) الذي هو الإغاثة والإنقاد بالصاروخ الذي كانت المذاكرة فيه. وهكذا فلتكن الجرءة على التفسير.

3- ما حكاه لي بعض طلبة العلم عن طالب من الأفارقة كان يحفظ بعض أسانيد القراءة وفيها في نهاية السند عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، فكان يقول بدل (عز وجل): (عن ربه عن رجل) بتصحيف الكلمتين.

4- ما حكاه المراكشي في الإعلام عن كتاب الوسيط في تاريخ أدباء شنقيط (2) أن رجلا غريبا مر على أناس من إحدى قبائل الزوايا بشنقيط سماها وهم يدفنون ميتا لهم، فحضر معهم لينال الثواب، فلما وضعوا الميت في القبر، صبّوا عليه شكوة من اللبَن، فقال لهم الغريب ما هذا؟ فقال له عالمهم قال ابن أبي زيد: (ويُصَبُّ عليه اللبن) (3) فقال الغريب: تكفيه الشكوة الواحدة» (4).

---

1 - سورة يسين: الآية: 43 .

2 -أنظر الوسيط: 75 .

3 - هي عبارة في رسالة ابن أبي زيد الفقهية صحفها وأساء قراءتها، ولفظها في الرسالة: «ويجعل الميت في قبره على شقه الأيمن، ويُنصب عليه اللبن) يُنْصَبُ: بالياء والنون الساكنة بعدها صاد مفتوحة وباء مخففة، واللبن بالباء (الموحدة المكسورة)، وهو الآجر وشبهه من الحجارة، والمراد تسقيف القبر به، وذلك معنى نصبه عليه.

4 - الإعلام: 10/161-162 .

د. عبد الهادي حميتو

# حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة

## صور من عناية المغاربة بالكتاتيب والمدارس القرآنية

## الجزء الثاني

المملكة المغربية - منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
1427هـ / 2006م

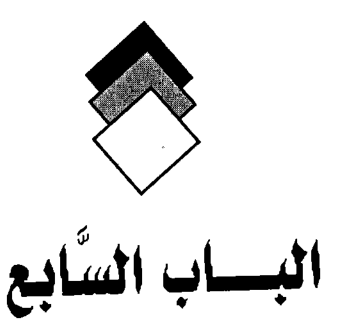
الكتــاب: حياة الكُتّاب وأدبيات المحضرة
المؤلف: د. عبد الهادي حميتو

الطبعة الأولى: 2006

رقم الإيداع القانوني 2162/2006

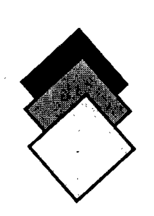
ردمك: 9-5080-0-9954
الإخراج الفني والطباعة : دار ابي رقراق
الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10، شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط
الهاتف: 83 75 20 037 - الفاكس: 89 75 20 037



# البـــاب السَّابع

## وُلوج الكتاب
## والمحضرة ومنهاج العمل





# ولوج الكتاب لأول مرة وأولى
# خطوات الطفل نحو تحقيق معاني وجوده
# والسعي إلى استكمال إنسانيته

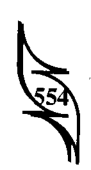
وإذا كان ولوج الكتاب قد غدا بمرور الزمن حدثا عاديا ومألوفا في الوقت ذاته، فإنه قد ارتبطت به تقاليد اجتماعية وأعراف محضرية تدل على مبلغ العناية به، ومراعاة مبدإ التدرج التربوي فيه، حتى تمضي الإجراءات المتعلقة به على وفق ما هو مرسوم ومتعارف عليه بشكل تلقائي، وبصورة تمكن الطفل من الاندماج في بيئته الجديدة، وعدم الشعور بالقسر والاضطهاد في مواجهة هذا التحول الذي يعتبر أول خطوات الطريق نحو الانفتاح على الحياة التعليمية بوجه عام، وفسح المجال لمواهبه للتعبير عن ذاته وطاقاته المختزنة.

وفي الفصول التالية سوف نقف من خلال عناوين صغيرة على مواصفات هذه المرحلة، وكيف كانت تتم ويجري التعامل معها من مختلف الأطراف التي تشارك في إعداد الناشئ الصغير، وتهيئته بوسائل متعددة حتى يتأتى له الانتظام والائتلاف مع واقعه ومحيطه الجديد، إذ تمتاز مرحلة الكتاب عن المرحلة الموالية في المحضرة، وخاصة في أيامه الأولى، بقدر كبير من المعاناة النفسية للطفل الذي ما زال يدرج في أول الطفولة، إذ يجد نفسه ولأول مرة مطلوبا منه أن ينفصل عن أمه وأهله، وأن يقضي فترات طويلة ومتلاحقة بعيدا عنهم، وفي آفاق غريبة عن مألوفه، وهي آفاق



جديدة عليه يقل فيها المرَح أو ينعدم بالمرة، ويمنع فيها الكلام إلا همسا، ويضطر فيها إلى الاندماج القسري مع جماعة وفصيلة من الأقران وغير الأقران، ممن لا عهد له بمعرفتهم، ولا تربطه بهم قرابة أو صلة سابقة، وفيهم الكثيرون ممن لا يروقه منظرهم، بل قد يكون من بينهم من الأطفال المشاكسين من يحدجه بنظراته، وربما من يستفزه أيضا ويتوعده بنوع من الإشارات والحركات، على غير ذنب سلف منه إليه، أو هكذا يخيل إليه. وقد يكفهر الجو في وجهه فجأة حين يتحفز المؤدب وينتصب في جلسته المعتادة ممسكا بعصاه الطويلة التي يقرع بها ألواح الصبية، ويصيب بها بعض الرؤوس أحيانا، ثم لا يفتأ يزجر هذا ويتوعد ذاك، وينذر باقتراب موعد عرض الألواح. وكل ذلك أمام أعين الوافد الجديد، ثم يتكرر عليه المشهد اليوم وغدا وبعده، والمعاناة تطول ويمتد أثرها إليه، غير أنه في كل يوم يكتسب قدرا من التسليم بالواقع إن لم يكن الرضا به، ويعمل الزمن عمله، وتنشأ الألفة، ويأخذ الاندماج في جو الكتاب طريقه إلى نفسه.

وذلك ما سوف نرى معالمه في الفصول الموالية بعون الله.



# الفصل الأول

## تلميذ الكتاب
## وطالب المحضرة وسلم التدرج في التاديب

تلميذ الكتاب هو المحور الذي تدور عليه عملية التأديب، وهو المقصود بالذات بإقامة هذه المؤسسة التعليمية والتربوية، ومن ثم فإن عناية المنظرين من علمائنا وفقهائنا بكل ما يتصل به كانت على طرف الثمام من اهتماماتهم، ومنتهى غاياتهم، وعندما نتصفح ما كتب في هذا الشأن من رسائل أو نظم فيه من منظومات، أو صدر فيه من فتاوى وإجابات على نوازل وقضايا من قضاياه الكثيرة، نجد أن ذلك كان يمثل نسبة وافية جداً لم تدع مجالا من مجالات حياته في الكتاب وأطوارها، ولا في المحضرة وأحوالها، ولا في الرحلة في الطلب وآفاقها، ولا في علاقاته برجال مشيخته وشرائطها وآدابها، إلا وفّته حقه، وأعطته مستحقه، مما تشكل معه فقهٌ محضريّ واسع يمكن أن نتمثل أدنى صوره في الفتاوى المتنوعة التي تستغرق من كتاب المعيار للونشرسي عشرات الأوراق (1) كما نقف بموازاة ذلك على أدب محضري في غاية الطرافة، ما بين فصيح وعامي،

---

1 - أنظر المجلد الأول من المعيار: 29-25/5 - 138-137/6 - 83/7 - 113 - 114 - 156 - 174 - 300 - 236/8 - 237 - 240 - 241 - 242 - 245 - 246 - 247 - 248 - 249 - 250 - 252 - 260 - 262 - 264 إلخ. 60-62 إلخ.



وكله منبثق من جو المحضرة وممارساتها، والحياة الصاخبة فيها، والحافلة بالجد في وقت الجد، وبالمتعة في زمن المتعة، والضاربة في أعماق الوجدان الشعبي بجذورها التاريخية التي تشدّها إلى أصولها الحضارية المشتركة، وتربطها بقيمها الدينية، وأعرافها الاجتماعية العريقة، المنبثقة عن وجدان الأمة وصفاء جوهرها.

وقد رأينا من خلال عرضنا للرسائل والمؤلفات التربوية والمنظومات العديدة التي عرّفنا بها، كيف نال الولدان من اهتمامات المربين القسط الأوفر، ولمسنا كيف واكبت النظريات تطورات الأحداث بهم في التخطيط والتوجيه، ووضع منارات الطريق، حتى تتحقق الأهداف المرسومة لهم على أتم الوجوه وأكملها، ونواصل فيما يلي إعطاء صور أخرى من واقع الكتاب والمحضرة ذات صبغة عملية وارتباط مباشر بالأسلوب الجاري في الحياة المحضرية وما يرتبط بها من أدبيات تجسّد حياة الطالب في كتابه ومحضرته في منشطه ومكرهه، وصلته بمحيطه ومجتمعه الخاص، وهذه وقفات من ذلك.



## لماذا الكتـــــاب؟

# من حقوق الابن عند الإمام المغراوي، ونية الأبوين والمعلم في بلوغه المقْصد

يقول الإمام أبو العباس المغراوي في كتابه جامع جوامع الإختصار والتبيان: «ومن حقوق الابن على أبيه:

1 – انتقاء منبته.

2 – وتحسين اسمه.

3 – وإدخاله المكتب (1).

وعلى قدر نية الأبوين تحصُل للصبي الإفادة والاستفادة، وإنه إذا أتى به أبوه فأدخله المكتب، أخذه مَلَكٌ من يده ثم قال: اجلس على نية أبيك، فليحذر أحد أن تكون نيته في الكُتاب سِجْناً والمعلم حدّادا فيبطل أجره.

كما ينبغي أن تكون نية المعلم إبقاءَ مادة تلاوة القرآن العظيم إلى قيام الساعة (2) إعانة على معجزة النبي – ﷺ– قال الله تعالى آمراً لنبيه عليه السلام: ﴿ **قل اللهُ شهيدٌ بيني وبينكم، وأوحي إليّ هذا القرآنُ لأنذِركم به ومَن بلغ** ﴾ (3).

ونية الأب أداءُ ما قلده الله به من إزالة جهل ابنِه، إذ كل راع مسؤول عن رعيته» (4).

---

1 – يستفاد ما ذكره من أثر مشهور عن عمر رضي الله عنه.

2 – يعني استمرار تواتر نقل القران في الأمة.

3 – الأنعام: الآية 19 .

4 – جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي: 85 .



فدخول الطفل الكتاب أول حق له على والديه بعد أن يقوم على قدميه، وتبتدئ براعم استعداداته الفطرية في التفتح، وتلك أول خطوة يخطوها بمساعدة أوليائه في طريق تأهيله للحياة، وإشعاره بمسؤولياته فيها، وممارسته لأدنى متطلبات إنسانيته، حتى ينطلق من إسار الأمية والجهل، وينبري لاحتلال موقعه وموضعه في ركب الحياة، ويبلغ ما كتب له من الإسهام في مشاركة بني جنسه في مناشطهم العامة، واختياراتهم في عالم القيم العليا التي تحق فيها المنافسة والمساماة.

وقد حفظ آباؤنا -رحمهم الله- لنا هذا الحق ورعوه حق رعايته، فكان ولوج الصبي عندهم للكتاب -لاسيما الولد البكر- أول ما يرونه من حقوق الديانة عليهم، ولذلك كان يخص اليوم الذي يدخل فيه الطفل للكتاب رفقة والده باعتبار خاص من شأنه أن يخلد ذكراه عند الوالدين وعند الولد حين يعقل فيتذكر هذا الحدث الجليل.

قال الإمام السفاريني في كتابه غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب في قوله:

وأنكِرْ على الصبيان كلَّ محرَّم ** لتأديبهم والعلم في الشرع للرَّدي

**تنبيه**: قد صرح علماؤنا في الفقه بأن على ولي الصبي:

1 - أن يأمره بالصلاة لسبع.

2 - ويجب عليه ضربه على تركها لعشر، فهذا صريحٌ في الوجوب.

3 - ويجب عليه أيضا أن يعلمه ما يجب عليه علمُه، أو يقيمُ له من يعلمه ذلك، قال: وفي كلام الشافعي -رحمه الله- وذكره أصحابنا - الحنابلة- أيضا:



يجب على الأب وسائر الأولياء تعليم الابن ما يحتاجه لدينه، لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما- إن لولدك عليك حقا، رواه مسلم.

وقال القاضي من أئمتنا: ومما يجب إنكاره، ترك التعليم والتعلم لما يجب تعليمه وتعلمه، نحو ما تعلق بمعرفة الله تعالى، وبمعرفة الصلاة وجملة الشرائع وما يتعلق بالفرائض، ويلزم النساء الخروج لتعلم ذلك.

وأوجب على الإمام أن يتعاهد المعلم والمتعلم لذلك، ويرزقهما من بيت المال، لأن في ذلك قِواما للدين، فهو أولى من الجهاد، لأنه ربما نشأ الولد على مذهب فاسد، فيتعذر زواله من قلبه» **انتهى** (1).

1 -غذاء الألباب للشيخ محمد السفاريني الحنبلي: 1/235-237



# وصف لأهم المراحل المتبعة في تأديب الأطفال بالقيروان وإفريقية قديما

وقد ظل المؤدبون في القيروان وإفريقية وما إليها من البلاد محافظين على الأنماط المعتمدة عند أمثالهم منذ أيام السلف، كما ترسخت عندهم أعراف محضرية عني فقهاؤهم بالتعريف بها واحترامها وإلزام المؤدبين باعتبارها، مما كان له أثره في توحيد المناهج والبرامج وتقارب العادات المتبعة في التأديب في جميع الأقطار والجهات المغربية.

وقد وصف بعض الدارسين لتطور التعليم العتيق في مناطق إفريقية عبر التاريخ الإسلامي ما كان عليه العمل في البلاد التونسية فقال:

«كان التعليم درجتين: إحداهما التعليم الإبتدائي، ويسمى بالتأديب، ويسمّى معلمه (المؤدّب) و(المكتّب) وموضعه يسمى (الكتاب) وتلامذته (أبناء الكتاب) أو (أبناء المكتب)، وهو التعليم الذي يتلقى فيه الصبي حروف الهجاء والكتابة تدريجيا، ويلقّن سور القرآن القصيرة. قال:

وكانت لهم طريقتان في تعليم القرآن: طريقة تبتدئ القرآن من سورة البقرة، ثم السور التي بعدها إلى ختم القرآن على ترتيب المصحف، وطريقة تبتدئه من آخر سور القرآن على ترتيب المصحف من المعوّذتين، وكانوا يبتدئون بفاتحة الكتاب في كلتا الطريقتين.

ذكر أبو زيد الدباغ في كتابه معالم الإيمان أن عبد الله بن غانم قاضي القيروان (ت 190 هـ) من أصحاب مالك، دخل عليه ولده من (المكتب) فسأله عن سورته، فقال: حوّلني المعلم من سورة (الحمد) فقال:



اقرأها فقرأها، فقال له: تهجَّها، فتهجّاها، فأعطاه نحوا من عشرين دينارا، وقال: ادفعها لمعلمك» (1).

وكان تعليم القرآن إما: بالكتابة في الألواح، وإما بالتلقين باللفظ، وتسمى الكيفية الأولى (النظر) والثانية (الظاهر) أي عن ظهر قلب (2) ويعلم القرآن الغلمان والجواري دون اختلاط، قال سحنون: كانوا يَعُدون تعليم الجواري مع الغلمان فسادا» (3).

ويكتبون في الألواح بالمداد، فإذا حفظ التلميذ ما كتبه محا اللوح، وكتب فيه قرآنا آخر، ثم إذا تعلم الصبي الكتابة صار يكتب من القرآن كل يوم في لوحه مقدارا مناسبا لقدرته، إلى أن يجمع القرآن» (4).

## ومن تقاليد ولوج المكتب في بلاد سوس كما وصفها الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي في كتابه: « المدرسة الأولى » قال:

«المعمول به عندنا أن الطفل يذهب به وليه للمكتب إذا قارب خمس سنين ويستصحب معه تحفة مناسبة له ولتلاميذ الكتاب ومعلمهم (الطالب) وتلك التحفة تكون مما يؤكل أو ما يلبسه الطالب أو يتطيب به.

وبعد ظهور السكر يُدفع أيضا في تلك التحفة، وكَمُّها وكيفها يقدر بقدر رجاء الولي، قل ما له أو كثر، قال:

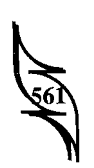
---

1 – كتاب أليس الصبح بقريب للعلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي: 48 وانظر القصة في المجلد الثاني من معالم الإيمان لأبي زيد الدباغ.

2 – أليس الصبح بقريب: 48 .

3 – نفسه: 48 .

4 – نفسه: 49 .



ويَمـثُلُ الطفل تحت مـصطبـة (الطالب) الذي يؤنسـه بكلام لـذيذ ألطف من مُناغاة أمه، كلام يملأ سمعه ولا ينساهُ سحابة يومه.

وبعد الإيناس يتناول منه لوحه الذي هيأه له وليُّه وناوله إياه من قبل فتأبَّطه» (1).

إنها صورة متشابهة تدل على تبادل مشاعر الغبطة والحفاوة بهذا الوارد الجديد.

## ومن تقاليد ولوج المحضرة في الصحراء المغربية وبلاد شنقيط كما وصفها الأستاذ الخليل النحوي في كتابه «بلاد شنقيط»

«وهكذا يمر الطالب بمرحلة ابتدائية تحضيرية تُعِدّه لدخول المحضرة.

ويبدأ الطالب طريقه إلى المحضرة عندما يكمل أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام، أو إذا بلغ خمس سنين (عادات مختلفة)، أو بمجرد ما يلمس فيه أهله الأهلية للدراسة، وهم يمتحنون الطفل عادة في سرد الأعداد الأولى من واحد إلى عشرة، فإن نجح بدأوا تعليمه، وغالبا ما تتولى النساء التعليم في هذه المرحلة، فيعلمن الطفل الحروف بالترتيب الهجائي التالي: أ - ب - ت - ث - ج - ح - خ ... إلخ ثم يعودون إلى نفس الحروف يمرّنون الطفل على الشكل (الحركات) بَ - بُ - بِ - بْ ....

وبعدئذ يبدأون تدريس الطفل القرآن، وكثيرا ما يكون البَدء بالسور القصار..» (2).

1 - المدرسة الأولى: 49-50 .

2 - بلاد شنقيط - المنارة والرباط للخليل النحوي: 169-170 .



# كيف يبدأ في الكُتاب و أول ما يكتب له في بلاد سوس وجنوب المغرب كما وصفه صاحب كتاب « المدرسة الأولى » (1)

1 – أول ما يكتب (الطالب) للطفل البسملة والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ –.

2 – يطلب من الطفل أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم... إلى آخر ما كتب له كلمة كلمة.

3 – يكتب له ثلاثة إلى أربعة من أول حروف الهجاء.

4 – يعلمه كيف يتهجاها «ألف –باء – تاء – ثاء..

5 – يفعل مثل ذلك في الأيام الموالية بعد أن يكون الطفل قد ميز بين الأحرف السابقة.

6 – يعلمه الحركات والسكون والتنوين والشدة والمد.

7 – يأخذ في تعليمه الهجاء.

8 –يبدأ في تحفيظه سورة الفاتحة.

9 – يأخذ معه في حفظ السور القصار.

10 – بداية تعليمه الخط بالتحنيش.

11 – تعليمه الكتابة بالاستفتاء.

12 – تنبيهه إلى قواعد الرسم والضبط.

1 – أنظر كتاب المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 49-56 .



تلك هي المعالم الأساسية التي يتدرج (الطالب) الفقيه بالتلميذ فيها في المرحلة الأولى من حفظه للقرآن الكريم، وعلى هذا النسق في التدرج تعلمنا في (الجامع) و(المحضرة*) الأولى، وعليه يجري العمل حتى اليوم في عامة جهات الجنوب والشمال والشرق والغرب من بلادنا.

وهذا أحد الباحثين المختصين من أهل الشمال المغربي يصف مثل هذا النسق فلا يكاد يختلف في شيء فيقول:

## كيف يبدأ في الكُتّاب ويتدرج
## وأول ما يكتب له في شمال المغرب
## كما وصفه صاحب كتاب (الأنصاص القرآنية)

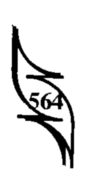
والجدير بالذكر أنه خلال المرحلة الأولى لتعليم القرآءة والكتابة توجد وقفة يستحسن التأمل عندها للإشارة إلى طريقة تعلم الحركات التي يتعلمها الطفل أثناء كتابة لوحه.

فالطفل خلال هذه المرحلة:

1 – يتعلم الحروف الهجائية مهملة.

2 – ثم بالتعجيم.

3 –كما يتعلم رسم الكلمات القرآنية عن طريق تتبع الأثر، والتي يطلق عليها «التحنيش» حيث يكتب الفقيه على لوح التلميذ الكلمات المراد تعلمها بواسطة مؤخرة القلم، الذي يترك أثرا حفريا على الطبقة الشحمية التي يخلفها «الصلصال» على اللوح بعد محوه، فيأتي تلميذ متقدم يعيّنه



(الفقيه) ليأخذ بيد (التلميذ) المبتدئ، ويمرّان بقلم واحد على ذلك الأثر حتى يستأنس على الكتابة بنفسه دون الاعتماد على الغير.

4- بعد الكتابة يتقدم للتصحيح والضبط حيث يلقّنُ الحركات وحروف المد واللين المتولدة عنها أثناء ضبط البسملة على شكل سؤال وجواب: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾.

5 – وأسفل اللوح يكتب (الفقيه) سطرا طويلا، ويضع عليه الحركات حسب موقعها ويبدأ الحوار عما يتولد عن هذه الحركات من حروف المد واللين.

6 – المرحلة الثانية: الشروع في القراءة بالوقف (1) حسب مدرسة الإمام ابن أبي جمعة الهبطي (ت 930 هـ) المتفق عليها بالمغرب.

7- إن الطفل أخذ يكتب على لوحه قطعة كبيرة بالنسبة لسابقتها، وأصبح يكتب «ربع» بدل ما كان يكتب من قبل «الخروبة» (2)، كما أصبح يكتب من حفظه بعدما كان يعتمد على الإملاء.

8 – أن الطفل أصبح قاب قوسين من استيعاب القرآن الكريم، وهو من حيث المستوى العلمي والجسمي أصبح مستعدًا لقبول أشياء جديدة يحفظها ليدعم محفوظاته.

9 – فالفقيه في هذه المرحلة عليه أن لا يترك الفراغ للتلميذ الذي سيصبح عما قريب «طالبا صغيراً» بل عليه أن يملأ فراغه بالجديد، وهذا

---

1- هذه المرحلة لا تبدأ عند الطفل في أكثر البلدان المغربية إلافي الختمة الثانية.

2 -الربع: يعني ربع حزب من الأحزاب الستين التي طبعت عليها المصاحف الحالية بالمغرب، ويجري العمل عليها في التعليم من أيام الحافظ أبي عمرو الداني، والخروبة تعني ثمن الحزب بلغة أهل الشمال، وتسمى في الجنوب والشرق باسم الثمن.



الجديد هو «الأنصاص» لتكون رصيداً وشاهداً يستحضرها عند الكتابة، وليصبح قرآنه محاطا بسياج من القواعد على شكل «أنصاص» يستحيل تسرب الأخطاء من خلالها إذا ما استوعبها وحفظها» (1).

## وصف آخر للمرحلية المتبعة في الكتاب

ويذكر الأستاذ سعيد أعراب في أول كتابه «القرآن والقراءات بالمغرب» أولى مراحل الكتاب فيقول:

«يدخل الصبي الكتاب عندما يعقل، وغالبا ما يكون ذلك في السنة الخامسة أو السادسة، وربما بدأ بعضهم في الرابعة أو السابعة.

وطريقة التعليم في الكتاب:

أن يبدأ الطفل بحفظ الحروف الهجائية (ألفبا).

ثم يحفظ بعض السور القصار: يقرأ المعلم الآية والآيتين، فيرددها الطفل حتى يحفظها.

والشأن أن يكون لكل صبي لوح يكتب فيه ما يريد أن يحفظه، فإذا حفظه محاه ليكتب شيئا جديدا، وهكذا يتدرج في حفظ الآيات والسور حتى يختم القرآن (الختمة).

ثم يبدأ (السلكة) من (ألمَ) بالربع أو النصف حسب استعداد الطفل وذكائه، وتتكرر السِّلَك والختمات حتى يحفظ القرآن جيدا (ويصفي لوحه).

والسنة المتبعة بالمغرب:

1 -كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي: 1/49-50 .



أن يبدأ الطالب القرآن أولا بقراءة نافع: رواية ورش، ثم رواية قالون (التحنيش)، ثم قراءة ابن كثير (المكي) وأبي عمرو البصري (سما)، ثم السبع (حمزة) (1).

## من تقاليد ولوج الكُتّاب
## لأول مرة بمدينة آسفي العتيقة

جاء في تقييد خطي للعلامة الفقيه الهسكوري مؤسس «مدرسة الهداية الإسلامية» بمدينة آسفي ما يلي:

«كان سكان مدينة آسفي إذا بلغ الولد خمس سنين وخمسة أشهر وخمسة أيام يشترون له جلبابا حسنا وسلهاما مثله كذلك، ويملأون طبلة بالعسل الجيد وأخرى بالحليب، وآنية بالتمر الحسن. ومعها قالبان من السكر وربع كيلو من الأتاي الجيد، والنعناع.

وينظرون خادما ليحمل ذلك إلى الكتاب القرآني، وخادما آخر يحمل الصبي ووجهه مُغطًّى بقب الجلباب.

وعندما يدخل الكُتاب يقف أمام الفقيه المعلم، فيزيلون الغطاء عن وجهه رجاء من الله أنه لا يرى إلا الكتاب والمعلم في مستقبله وكذلك لوحاً يصحبه معه.

---

1 - القراء والقراءات بالمغرب: 11



**ومن العادات الأندلسية:**

أن السيد الفقيه يكتب في اللوح شيئا ويدهنه بالعسل، ويُلعِقه الصبي، ويُعطيه تمرة أو تمرتين من التمر وشيئا من الحليب ثم يصبح الصبي يلقن الحروف الهجائية (1).

أرأيت كيف هي الحفاوة بهذا اليوم؟ وهل يمكن أن تزول هذه الصورة من ذاكرة الطفل، وهو يستقبل في الكتاب ضيفا جديدا بمثل هذا الاستقبال اللطيف؟

## تقاليد مغربية أندلسية في الاحتفال باليوم الأول لولوج الطفل للكتاب

وقد حرر العلامة محمد بن عبد العزيز كرضيلو الأندلسي الأصل، هذه المراسيم التي كان عليها العرف القديم في الحفاوة بولوج الطفل للكتاب لأول مرة، فقال في «نكتة المعلمين».

ثم الفتوح لدخول المكتب ** من غير تكليف على أبي الصبي
ليس به بأس، وللتفاؤل ** فاكتُب له بسملةً بالعسَلِ
في لوحه، وبعد ذاك يَلعَق ** فهْو لحفظه الكتاب ألْيَق
وينبغي إدخالُه يوم الأحد ** في رمضان، وهو أولُ العدد
مستترَ الرأس لئلا يلتقي ** مع البهائم تفاؤلا فَقِ
وقيل: إن وافى من الأعوام ** خمسا، كما الشهور والأيام (2)

---

1 - تقييد مصور من خط الفقيه الهسكوري رحمه الله.
2 - نكتة المعلمين لمحمد بن عزوز كرضيلو (أنظر نصها الكامل فيما قدمنا في ص 386).



ويمكن تلخيص هذه العناصر كما يلي:

1 – يقدم الطفل عند دخول المكتب لأول مرة شيئا من الفتوح للمعلم المؤدب.

2 – يكتب له المؤدب البسملة في لوحته بالعسل ويلعقه منها بلسانه.

3 – يكون دخوله يوم الأحد في أول يوم أحد من شهر رمضان المعظم

4 – يكون في الطريق إلى الكتاب مغطى الرأس عن النظر إلى البهائم أو نظرها إليه تفاؤلا بأن يكون راجح العقل قوي الفهم، إذ بهما يتميز الإنسان عن غيره.

5 – يكون سنه عند الدخول خمسة أعوام وخمسة أشهر وخمسة أيام كما يقتضيه العرف القديم.

## تهنئة بولد تعلم الخط في كُتَّاب أندلسي

ومن مظاهر الغبطة التي كانت تغمر الآباء حين يشاهدون فلذات أكبادهم من الولدان الصغار، وقد أخذوا طريقهم في هذا النوع من التعليم الأولي، هذه الإشارة الفذة التي نجدها عند الإمام المقّري في نفح الطيب قال: هاك يا مولاي خَطّاً ** مَطَّه في اللوح مَطّاً

ابنُ سبع في سِنيه ** لم يُطِقْ للّوح ضبطا

دُمتَ يا مولاي حتى ** يلِدَ ابن ابنك سِبْطا (1)

1 – نفح الطيب: 123/5 .



# سرقة أولاد الحلال بالعين

وحدثني والدي عبد الله بن إبراهيم حميتو -رحمه الله- عن شيخه السيد أحمد الهواري (1) أنه بينما هو يقرأ عليه في أول عهده بتعلم الخط، دخل عليه الشيخ إلى (الحضار) وقد فرغ من كتابة لوحته، قال: فوجدني قد تأنقت في تجويد الكتابة وبيان الكافات والصادات والضادات محاكيا بها طريقة الشيخ، فجعل الشيخ يتأملها ببالغ الإعجاب، ثم قال لي: «إيه يا سيدي، أولاد الحلال يسرقون بالعَين، وأولاد الحرام يسرقون باليد» يشير إلى سرقتي لكتابته بالتقليد والمحاكاة من باب المشاكلة اللفظية.

## من بواكر النبوغ في الكتاتيب في الأندلس:

حكى ابن الأبار الحافظ في كتابه تحفة القادم في رسم أبي بكر محمد بن ولاد من شعراء غرب الأندلس أنه:

«كان له حفيد صغير يتعلم في (الكتاب) فتغدّى معه يوما، وقد خبر منه نُبلا وفطنة، فسأله إجازة قوله:

أكلنا الخُبز مصبوغا بزيت

فقال الصبي:

غِذاء نافعاً في كل بيت

---

1 - كان هذا الشيخ مشارطا بمسجد سيدي امحمد بن جعفر بجماعة الصهاهلة ببلاد الكريمات، إقليم الصويرة وقد قرأ عليه عدد كبير من طلبة الجهة رحمه االله، ومنهم والدي المذكور تغمدهما الله برحمته.

فقال ابن ولاد:

فلو شيء يرد الميْت حيا

فقال الصبي:

لكان الخُبز يُحي كل مَيْتٍ(1).

✓ وحكى عبد الواحد المراكشي في المعجب في حديثه عن الشاعر الكاتب الوزير عبد المجيد بن عبدون صاحب المرثية الرائية الشهيرة في رثاء بني الأفطس ملوك بطليوس وجهاتها.

قال: وكان أبو محمد هذا يكتب للمتوكل على الله ونمت حاله معه:

«حكى عن نفسه -رحمه الله- أنه كان بين يدي مؤدبه، وسنه إذ ذاك ثلاث عشرة سنة، فعنّ للمؤدب أن قال: الشعر خُطة خَسْفِ

وجعل يردد هذا القول، قال الوزير أبو محمد -رحمه الله- فكتبت في لوحي مجيزا له:

**لكل طالب عُرف**

ثم خطر لي بيت ثان، وهو:

للشـــيخ عَـــيْـــبـــة عَـــيْبٍ ** ولـــلـــفـــــــــــــــتَـى ظَـرْفُ ظَـرْفِ

قال: فنظر إلي المؤدب وقال: يا عبد المجيد، ما الذي تكتب؟ فأريته اللوح، فلما رآه لطمني، وعرك أذني، وقال: لا تشتغل بهذا! وكتب البيتين عنده» (2).

---

1 - تحفة القادم لابن الأبار: 37 ترجمة رقم 13 .

2 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب: 130-131 .



# خطوات التعليم الأولي كما رسمها الشيخ « الفقيه الهسكوري » في مدرسته العتيقة

«الهداية الإسلامية .. بمدينة آسفي في أواخر المائة الرابعة عشرة من الهجرة مما كتبه بخط يده رحمه الله.

1 – تلقين الصبي الحروف الهجائية.

2 – تدريبه على التهجّي.

3 – مرحلة التحنيش بمؤخر قلم القصب أو قلم الرصاص، والصبي يعيد ما كُتب بالصمغ.

4 – تدريبه على قراءة ما كتب في لوحه.

5 – ابتداء قراءة القرآن من سورة الأعلى (حزب سبح) من غير وقف إلى حزب (فنبذناه).

6 – تدريبه على القراءة بالوقف بعد الحزب الخامس عشر.

7 – العناية بختم القرآن في آخر سورة البقرة.

8 – بداية حفظ المتون لتصحيح الرسم والضبط.

9 – بداية حفظ المبادئ كالمرشد المعين في التوحيد والعبادات.

10 – بداية الجلوس في الحلقات العلمية في المساجد وملازمة قراءة الحزب (1).

---

1 – من تقييد خطي للفقيه الهسكوري رحمه الله، وقد أدركته شيخا قد أسن وزرته قبل موته رحمه الله.



# سلم التدرج في التأديب كما كان يجري به العمل في مدينة فاس

يعتبر الشيخ أبو حامد محمد العربي ابن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي أحد النماذج الرفيعة التي تمثل سلم التدرج في التأديب كما ظل يجري به العمل في مدينة فاس في أوائل عهد الدولة العلوية المجيدة، كما يعتبر أحد بواكير ثمار الحركة العلمية المزدهرة بفاس والقرويين في أوائل المائة الحادية عشرة.

ولد الشيخ محمد العربي سنة 1052 هـ، وكانت أسرته قد انتقلت من مدينة القصر الكبير إلى مدينة فاس، فكان لأبيه أبي المحاسن يوسف الفاسي صيت ذائع ورسوخ قدم في العلم والتعليم والإفادة كما نوه به ولده المذكور في كتابه الحافل الذي ألف فيه وسماه مرآة المحاسن، وهو مطبوع قديما.

اعتنى الشيخ أبو المحاسن بولده أبي حامد، فما كاد يناهز السنة الرابعة حتى بدأ والده في تعليمه الحروف وبعض الفاتحة في اللوح، ثم أدخله (المسيد) وهو ابن خمس سنوات، قال:

«وتولى تعليمي على قدر سني شيخنا العالم الصوفي أبو عبد الله محمد بن علي النيجي (1)، فحفظت الحروف والفاتحة وما قرب من ذلك، وكان ذلك التعليم ليس على سبيل التحتيم، إنما كان لإلف القراءة والأنس بها، ليأتي الوقت المعتدّ لها وقد سكنت النفس إليها وأنست بها» (2). قال:

---

1 –هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي النيجي، ولد سنة 947 هـ، وكان مشاركا كثير الحفظ للغة، حسن الشعر، حافظا ضابطا لمحفوظه، قرأ في بني زروال، وأتم دراسته بفاس علي يد أحمد المنجور وطبقته. أنظر ترجمته في مرآة المحاسن في أخبار الشيخ أبي المحاسن لمحمد العربي الفاسي (مطبعة فاس الحجرية: 1324 هـ الصفحة 77).

2 – مراة المحاسن: 160 .

ولما جاوزت الخمس سنين ابتدأت القراءة على الشيخ الفقيه أبي الحسن علي بن أحمد ابن سعيد (1) فقرأت عليه القرآن على الطريقة المعهودة في التعليم بالمغرب، حيث بدأت بالفاتحة، ثم سورة الناس، ثم سورة الفلق.. إلى سورة البقرة.

ثم عرض لشيخي هذا عذر ، فابتدأت القراءة من سورة القمر على شيخي أبي الطيب يوسف بن مهدي (2) إلى تمام الختمة، ثم قرأت عليه ختمة ثانية فحفظت القرآن.

ثم قرأت عليه في اللوح نحو عشر ختمات بعضها لورش، وبعضها لقالون، وكنت أجوّد عليه وعلى والدي أبي المحاسن.

ولازمته بعد ذلك ثمان سنين قرأت عليه فيها مورد الظمآن للشيخ أبي عبد الله الخراز في الرسم، ورجزه في الضبط، والدرر اللوامع للشيخ أبي الحسن بن بري، والشاطبية، والآجرومية، والألفية، واللاميّة (3) ورسالة الشيخ ابن أبي زيد، ومختصر الشيخ خليل، وشرح الصغرى للسنوسي (4) ومقدمته» (5).

---

1 - نفسه: 209 وكانت وفاة هذا الشيخ سنة 1005 هـ .

2 - مرآة المحاسن: 148 .

3 - الألفية المذكورة هي المعروفة أيضا بالخلاصة لابن مالك في النحو، واللامية هي لامية الأفعال وهي له أيضا..

4 - المراد محمد بن يوسف السنوسي الحسني (ت 895 هـ) صاحب المؤلفات في العقائد وغيرها، وله فيها كتاب أم البراهين في العقائد (مجموع المتون الكبير: 3-6) وله العقيدة الكبرى والصغرى ولأبي العباس المنجور على كل منهما حاشية ما تزال مخطوطة. انظر مقدمة تحقيق محمد حجي لفهرس أحمد المنجور: 6-7 . وأما مقدمته فهي في علم المنطق (انظر فهرس المنجور: 30-36) .

5 - مرآة المحاسن: 148 .

# الفصل الثاني

## برنامج العمل، وأدوات الكتاب وآليات المحضرة

تتميز مرحلة (الكتاب) عن مرحلة (المحضرة) كما قدمنا من حيث المستوى التعليمي، إلا أنهما معاً بمنزلة الوجهين لعملة واحدة، ومن ثم فإنهما تشتركان في جملة من الأدوات والآليات وتنتظمهما جملة من التقاليد والأعراف المنظمة، ويسري عليهما جميعا ما يسري على كل واحدة منهما كل بحسبه ومستواه.

ويبتدئ العمل اليومي في الكتاب المستقل كما يبتدئ في المحضرة المشتملة على كتاب، وفي الجامع المشتمل على محضرة وكتاب، مع أول الصباح، وفي كثير من البوادي مع طلوع الفجر أو قبله بساعة فيما يخص الجوامع والمحاضر التابعة لها.

وفي العادة يقوم المؤدب بالطواف على حوانيت طلبته وتلامذته، ينقر عليهم الأبواب بمفتاح كبير في يده أو بعكازة يستعملها لذلك مع المناداة على بعض الأسماء وإصدار الأمر بالقيام للأسوار والألواح.

وأحيانا يضرب المؤدب بعصاه على باب مقصورة الصلاة أو غيرها ويكرر ذلك مع المناداة، فإذا قرب وقت الأذان أمرهم بالوضوء ثم رفع صوته بالأذان لصلاة الصبح، أو أمر بذلك بعض طلبته.



فإذا قضيت الصلاة استفتح الحزب الراتب من القرآن، وراقب من حضر ومن تخلف، وربما خرج لإحضار المتخلف بعد أن يكون قد ناله بدرته إن كان صغير السن أو بالزجر إن كان كبيرا.

فإذا انتهى الجميع من الحزب قام الصغار إلى قراءة ألواحهم، وقام الكبار إلى «أحزاب النوبة» وهي ثلاثة أحزاب: ما قبل الحزب الراتب ثم الحزب الراتب وهو حزب اليوم ، ثم الحزب الذي يليه.

فإذا فرغوا انصرفوا إلى قراءة الألواح استعداداً لعرضها ومحوها، ثم يبتدئ عرض الألواح على المؤدب بالتناوب، فمن كان حافظا حفظا كاملا أمره بمحو لوحه والأخذ في قراءة محيته أو حزب لوحته ريثما تجف لوحته، ومن قصر في الحفظ زجره أو قنّعه بمقنعته، ورده على عقبه ليعيد قراءة اللوحة حتى يحفظها، ثم يعرضها من جديد.

وفي هذه الأثناء يكون قد تكامل الحضور في الغالب، والتحق الصغار الذين باتوا في منازل أوليائهم، فاندمج الجميع في مجلس الإقراء المشترك بين الكتاب والمحضرة وحاول المؤدب توزيع اهتماماته وخدماته على الجميع، مع اختصاص المبتدئين بمزيد عناية، لا سيما من كان حديث العهد بالكتاب، وهذا ملخص لمراحل تعليم الصغار كما يجري بها العمل إلى وقتنا الحاضر في هذه المؤسسات من التعليم الأولي:



# مراحل تعليم الطفل في الكتاب
# ثم في المحضرة في وقتنا

1 - مرحلة الاستقبال، وتختص باليوم الأول أو نصفه، وهي مرحلة استئناس يترك فيها الطفل مع من هم في مثل سنه فلا يؤمر بأخذ لوح ولا بقراءة، ولا يمنع من الخروج أو الحركة مع مرافقه أو غيره تأليفا له ورفقا به. ويستحسن إذا كان قد حضر معه بعض أقاربه أن يبقى معه لبعض الوقت حتى يستأنس بالجو العام.

ويحسن أن يستعمل المؤدب معه نوعا من الملاطفة والابتسام في وجهه والضحك معه وسؤاله عن اسمه، وإهداء شيء من التمر أو الحلوى إذا كان صغير السن.

كما يستحسن أن يكف المؤدب عن حمل عصاه والتلويح بها فضلا عن الضرب بمحضره، حتى لا يبادر بترويعه، فربما حمله ذلك على الهرب والذعر من المؤدب.

وقد حضرت صبيا في مدرسة سيدي الراضي ببعض جهات بلاد عبدة جاءت به جدته إلى المؤدب، وهو يملأ الجو صراخا، ويضرب بيديه ورجليه الأرض، ولا يسمع من أحد، فلما وصل إلى المحضرة، ووجد الأطفال ممسكين بالألواح في هدوء وسكينة، وتقدم إليه المؤدب بوجه طلق بشوش، وقدم إليه حلوى وقطعة من النقود، سكت وكف عما كان فيه، ثم ما لبث أن أخذ فيما يأخذ فيه الصغار ممن يعرفهم، وكأنه لم يكن منه إباء وامتناع.



2 – إعطاؤه اللوح في وقت لاحق، ويكون اللوح مناسبا لسنه حتى لا ينوء بثقله.

3 – يكتب له في لوحه أول الحروف الهجائية إلى ستة أو سبعة أحرف مع البسملة في أعلى اللوح، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه بعدها.

4 – يدرب على النطق بالحروف بترديد ما يقوله المعلم بعده.

5 – يكتب له في اليوم الموالي أو بعده مزيد من الحروف ويدرب على النطق بها.

6 – يدرب على محو لوحه واستعمال الصلصال بمساعدة غيره.

7 –يدرب على التمييز بين الحروف المتشابهة بملاحظة النقط وعددها وموضعها.

8 – تكتب له الحركات أسفل اللوح حتى الحروف الهجائية برسم سطر أفقي وفوقه الحركات المتعلقة بالنصب والضم والتنوين والشد والهمز والمد، وتحته الحركات المتعلقة بالخفض والتنوين المخفوض، وحروف المد الثلاثة.

9 – يعلم أسماء الحركات والسكون وأنواع الضبط، ويدرب على هجاء الحروف مضبوطة.

10 – يدرب على هجاء أول سورة الفاتحة، أو سورة الإخلاص والمعوذتين.



11 – مرحلة التكراج (التحنيش) بأن يرسم له صور الكلمات بالتكريس على اللوح بمؤخرة القلم أو بقلم الرصاص، ثم يعطيه قلم الصمغ ويأمره بالتكريس على الرسم بعد تدريبه على الإمساك بالقلم، ومساعدته على ذلك برفق وأناة.

12 – وفي المرحلة الموالية أي: بعد أيام من التمرن على التكريس على هذه الطريقة يكتب له سطرا على الطريقة السابقة أو أكثر، ويترك تحته سطراً مثله فارغا، ويأمره بأن ينقله إليه محاكيا لكل كلمة في السطر الفارغ، ويفعل ذلك معه عدة أيام حتى يتمكن من المحاكاة لما يراه من الحروف.

13 – ينقله بالتدريج إلى مرحلة الإملاء، فيملي عليه أولا بعض ما سبق له أن تدرب عليه، كسورة الفاتحة وسورة الإخلاص أو غيرها من السور القصار.

14 – ثم يبدأ معه في العناية بالحفظ مبتدئا بسورة الفاتحة ثم سورة الأعلى فما بعدها، ويتدرج هكذا حزبا بعد حزب إلى آخر سورة البقرة.

15 – يأخذه بعرض محفوظه كل صباح ليمحو لوحه ويجدد كتابته وينظر له في المقدار الذي يمكنه حفظه حسب سنه وحذقه.

16 – يجزّئ له الكتابة، فيكتب له أو يملي عليه نصف اللوح ويأمره بقراءته وحفظه، حتى إذا حفظه أو قارب ذلك أتم له الباقي.

17 – يهتم بتصحيح ما كتبه في لوحه وتقويم رسمه وضبطه وقراءته له قراءة سليمة خالية من اللحن.



18 – يقرأ معه أولا عدة مرات حتى يتدرب على قراءته وحده.

19 – يختبر درجة تحصيله بعد ساعة أو أكثر ومدى سلامة قراءته.

20 – عرض اللوحة في آخر فترة الصباح قبل الانصراف للفطور.

21 – قراءة اللوحة القديمة، أي: الصفحة السابقة من اللوح لمزيد من الحفظ تمهيدا لعرضها على المؤدب في الغد من أجل محوها وكتابة غيرها.

22 – قراءة الأسوار في أوقات الفراغ حسب القدر المحفوظ منها.

23 – الاشتراك مع الآخرين في قراءة الأسوار جماعة للمراجعة.

24 – الاهتمام بالرسم والضبط ومواضع الوقف في كتابة الألواح وتصحيحها

25 – الالتزام بحضور قراءة الحزب الراتب في الصباح والمساء.

26 – الاشتراك في الأنشطة المحضرية الموازية للتدرب على القراءة وصيغها، وحفظ الأنصاص القرآنية وإنشادها.

27 – التدرب على تصحيح الألواح مساعدة للمؤدب في وقت الفراغ.

28 – الاعتناء بحفظ الكراريس أي: المتون المتعلقة بالرسم والضبط والأداء.

29 – الاعتناء بقواعد التجويد، والتدرُّب على حسن الترتيل.

30 – الحصول على الفصال وشد الرحلة (التخنيشة) لاستكمال التأهيل، أو حفظ الروايات، أو الالتحاق ببعض المدارس العتيقة أو المعاهد الأصلية لطلب العلوم الشرعية.



# برنامج الكتاب ووسائله التعليمية

ويصف لنا بعض الباحثين وضعية الكتاب في عصرنا، ويتحدث عن بساطة أدواته ولوازمه فيذكر أنه «يخضع في عرفه التقليدي لشكليات تنظيمية تكاد تتفق في جوهرها، وتختلف اختلافا بسيطا بحسب الجهات والمدن والبوادي، وبحسب بعض الاجتهادات الشخصية التي تلحق هذه الشكليات أحيانا.

فمن حيث استعمال الزمن، فالأسبوع الدراسي فيها يبتدئ عشية يوم الجمعة، ويستمر إلى مساء يوم الأربعاء، وهو أسبوع مكثف بالحضور والعمل والدراسة، يستغرق كل وقت التلميذ في النهار، مع شطر كبير من أول الليل إلى آخره (1).

ويختص الصباح الباكر بمواجهة الألواح المحفوظة ومحوها وإعدادها والجلوس لكتابتها بالنسبة للحافظين، أو كتابة شطر منها أمام الفقيه بالنسبة للمستملين، أو تعلم الكتابة فيها بالنسبة للمبتدئين (2).

أما اللوازم أو الأدوات فتكاد تنحصر في قلم من القصب ودواة ولوح خشبي ممرور عليه بالصلصال الأبيض، لكن رغم ما يلاحظ على هذه اللوازم من حيث قِلتها وبساطتها، فإن المستعمل لها يعرف كيف يستخدمها أحسن استخدام، فيؤدي بها وظائف شتى، فقلم القصب إن لم يكن معدّا للكتابة من جهتين، فسيكون مهيئاً لأن يكون وسيلة لتسطير اللوح، أو بيكارا لرسم دائرة الختمة، أو مساعدا

1 -أنظر كتاب مدارس سوس العتيقة: 13 وما بعدها وكتاب المعسول 227/18.

2- كتاب الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ إبراهيم الوافي: 20 .



على تحكيك ألفاظ القران وترددها من أجل الحفظ، والصمغ الذي في الدواة هو للكتابة، وهو في نفس الوقت لوضعه مِرْهَما على الجروح التي قد تلحق المتعلم أثناء وجوده في الكتاب أو المحضرة من جراء الضرب و غيره. أما اللوح الخشبي فهو للقراءة ووسيلة وقاية من الضربات العشوائية التي يوجهها المعلم في كل لحظة، بسبب أو غيره، واللوح أيضا تُكأة غير مباشرة للتلميذ عليها يعتمد ليستريح من طول الجلوس، وبسببها يتحرك يمينا ويسارا أثناء القراءة، وبها يغطي وجهه في حركات كلامية أو لفتات سريعة إلى من بجانبه من الأطفال.

وهكذا توظف هذه اللوازم في الكتاب بحسب الحاجة توظيفا متقنا (1).

هذه هي أهم المراحل التي يمر عبرها المتعلم، ويأخذ بها المؤدبون ممن تعلمنا عليهم، وربما اختصر بعضهم منها ما لم ير له داعيا، أو لم يجد له فراغا كافيا، وذلك لاشتغاله بأمر الكبار، وتعهدهم وتصحيح ألواحهم، وعلى الرغم من تخصيص فترة الصباح عادة للصغار، والمساء للكبار، فإن الأشغال كثيرا ما تترادف فتملأ الزمن كله، فلا يجد المؤدب مناصا من تقليص بعض المراحل، مما يكون له أثر سلبي على مردوديته.

ولقد أثنى بعض الباحثين على هذه الخاصية التي تتوفر في (الكتاب) ولا تتوفر في غيره وهي أنه «يحتوي على عدة مستويات متفاوتة في حجرة واحدة، الشيء الذي فشلت فيه المدرسة الحديثة على مستوى المدينة، فالمتعلمون في المدرسة القرآنية في حجرة واحدة، يتفاوتون أعماراً وذكاء واستيعابا وحفظا، فنجد مجموعة في مرحلة التهجي وأخرى في مرحلة التعليم بالمحاكاة، وأخرى بدأت تعتمد على نفسها، وأخرى تجاوزت مرحلة

1 - نفسه: 20 .



الإملاء والاستملاء، والكل في نظام محكم بديع، والمعلم على بصيرة بكل واحد يسمع لهم قراءة الألواح يوميا، وقراءة الأسوار بالتناوب، والمسيرة تتحرك» (1) قال: «وللفقيه المعلم الحق في أن ينتقل بالتلميذ من مرحلة إلى أخرى حسبما يراه من استعدادات فكرية وحفظية، فلا ينتظر انتهاء السنة الدراسية لينقل الطفل من مستوى لآخر. فالتلميذ الذي يحفظ ما يكتب له بسرعة ينتقل يوميا من مستوى لآخر، حيث لا ينتظر المتعثرين الذين ليست لهم استعدادات فطرية للحفظ والاستيعاب» (2).

وهكذا يتمكن الكتاب وتتمكن المحضرة من خلق الحوافز وبعث الحيوية في مواهب الناشئة بصورة لا يتأتى مثلها في المدرسة العصرية الحديثة، إذ أن من شأن هذا التنوع والتمازج بين مستويات التعليم أن يجعل الطفل أوسع أفقا ودراية وأسمى طموحا، لتعرفه على ما ينتظره من مستويات في المحضرة التقليدية فنحن قد عرفنا الكثير ونحن صغار عن القراءات السبع ورواياتها، والكراريس القرائية، بسبب رؤيتنا لألواح الطلبة، وسماعنا منهم واحتكاكنا بهم أثناء وجودنا معهم في محضرة واحدة لعدد من السنين.

يضاف إلى هذا نوع فضول ينشأ مع الأطفال وينمو معهم، فهم إلى ما يشتغل به من فوقهم أطمح، وإليه أحن، لا سيما إذا كان هناك تقارب في السن، وانفتاح في العلاقات، وعلو في همة المتعلم. وقديما التفت إلى مثل هذا الرئيس ابن سينا وعلل له بقوله:

1 - كتاب الأنصاص القرانية: : 23/1

2 - نفسه: 23/1 .



«لأن الصبي عن الصبي ألقن، وهو عنه آخذ، وبه آنس، ووجود الصبي مع غيره من الصبيان ادعى إلى التعلم والتخرج، فإنه يباهي الصبيان مرة، ويغبطهم مرة، ويأنف عن القصور عن شأوهم مرة، ثم إنهم يترافقون ويتقارضون الزيارة، ويتكارمون ويتعاوضون الحقوق، وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة، والمساجلة والمحاكاة، وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم، وتمرين لعاداتهم» (1).

وما من أحد يجري مقارنة بسيطة بين النمط التعليمي المختلط كما يجري في الكتاب، أي: في اختلاط المستويات في مجالس التعليم، إلا وهو يدرك أهمية ما يخلقه ذلك في أصحابها من حوافز، ولذلك اعتبر بعض الدارسين «أهم سمة كانت تطبع أعمال (الكتاتيب القرآنية) وتكون حافزا على ارتفاع (مردوديتها) هي سمة التنافس، سواء من حيث الإشراف والتسيير، أو من حيث العطاء والمردودية، ويكون التلاميذ تبعا لذلك أحرارا في الاستفادة من هذا التنافس والانتقال من (الكُتاب) الجيد إلى (الكُتاب) الأجود منه، دون اعتراض عليهم في ذلك، حتى وإن كانت هناك حساسية بين أهل هذه المؤسسات، خصوصا في البوادي، فإن المؤسسة التعليمية، أي: (الكتاتيب القرآنية) ومن يعمرها من التلاميذ تكون منزّهة عن أن تؤخذ بذلك، فهي محترمة من قِبَل الجميع، وتكاد تشكل في حد ذاتها حرما آمنا مطمئنا، وقد اكتسبت كل ذلك التوقير والتعظيم بما تؤديه من دور في شأن تحفيظ كتاب الله ونشره بين الأطفال والولدان الأبرياء... ويا ويح من تحدثه نفسه أن يقرب بسوء مسجداً أو مدرسة أو حَرَما أيّا كان، فإن رجالات القبيلة لا تأخذهم عليه الشفقة ولا الرحمة» (2) .

---

1 - أنظر كتاب ابن سينا والنفس الإنسانية للدكتور محمد خير عرقسوس وحسن ملا عثمان: 202 مؤسسة الرسالة ط - 1 : 1402 هـ - 1982 - بيروت - لبنان .

2 - أنظر سوس العالمة: 25 والدراسات القرآنية بالمغرب: 19-20.

# ترتيب الحروف الهجائية عند المغاربة

وأشير هنا إلى أن ترتيب الحروف الهجائية عند أهل المغرب والأندلس من قديم الزمان مخالف لمثله عند أهل المشرق مع اتفاق الجميع على عدد الحروف.

وقد وصف الحافظ أبو عمرو الداني طريقة أهل المغرب والأندلس، وذكر بعض ما اعتبره العلماء عللا لترتيب هذه الحروف على هيئتها المعهودة بتقديم الألف فالباء فالتاء فالثاء إلى آخرها إلى أن انتهى إلى الزاي فقال:.

«إلى ههنا اتفق ترتيب الجميع من السلف وتابعيهم من أهل المشرق وأهل المغرب، واختلفوا في ترتيب ما بعد ذلك من المزدوج والمنفرد إلى آخر الحروف.

فرسمَ أهل المشرق بعد الراء والزاي السين والشين، وهما على صورة واحدة، لمؤاخاة السين الزاي في الصفير الذي هو زيادة الصوت. وتقدمت السين الشين كما تقدم غيرُ المعجم من المشتبهَيْن في الصورة المعجَم، لأن الاشتباه وقع بالثاني من المزدوج، لا بالأول، لأن الأول جاء على أصله من التعرية، ففرق بينهما بأن نُقِط الثاني، لأن النقط إنما استعمل ليفرق به بين المشتبه من الحروف في الصورة لا غير، ولولا ذلك لم يحتج إليه ولا استعمل، فهو فرع والتعرية أصل، والأصل يقدم على الفرع، فلذلك تقدم غير المنقوط من المزدوج.



ثم علل لباقي الحروف إلى الياء آخر الحروف (1) ولم يتعرض لذكر حرف لام ألف. وهو في التعليم المغربي يرتب هو والهمزة على التوالي بين الواو والياء.

وقد أشار إلى هذا العلامة ابن عبد الملك المراكشي وإلى اختلاف الترتيب المغربي عن المشرقي فقال الذيل والتكملة:

«فاعلم أن ترتيبها ببلاد المغرب والأندلس، وهو موافق ترتيبها ببلاد المشـرق في هذا الكتـاب (2) إلى الزاي، ويلي الزاي عند أهل الأندلس والمغـرب: ط - ظ- ك - ل - م - ن - ص - ض - ع - غ - ف - ق (3) س - ش - هـ - و - ي . ويدرجون بين الواو والياء لام ألف» (4).

وكان شيوخنا يكتبونها في التعليم على صورة كلمات ثلاثية هكذا:

أبَتٍ - ثَجَحٍ — خَدَذٍ - رَزَطٍ - ظَكَلٍ - منصٍ - ضَعَغٍ - فَقَسٍ - شَهَوٍ - لاٍءَيٍّ .

فهذه ثلاثون في العدد، وهي في الحقيقة تسعة وعشرون، لأن الألف والهمزة حرف واحد، إذ يكون تارة ساكنا، وتارة حاملا للهمزة، كما إذا كانت أول الكلمة.

---

1 - المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني: 28-33 .

2 - يعني كتابه الذيل والتكملة في ترتيب أسماء الأعلام المترجمين فيه.

3 - وفي الفاء والقاف أيضا اختلاف، فالفاء عند أهل المغرب تنقط بواحدة من أسفل، وهي عند أهل المشرق بواحدة من فوق، والقاف عند أهل المغرب بواحدة من فوق وعند أهل المشرق بنقطتين من فوق. وأنظر المحكم للداني: 37-38 .

4 - الذيل والتكملة: 253/1/1 ترجمة 327 .



# الوسائل والأدوات التعليمية في الكتاب والمحضرة القرآنية

وكما أن الكتاب والمحضرة مؤسسة شعبية، فإن أدواتهما ووسائلهما أيضا شعبية بسيطة، ومن الإنتاج المحلي في الغالب، ولذلك كانت هذه المؤسسة تقوم على مبدإ الاكتفاء الذاتي (1) وخاصة في البوادي، فقد «كانوا يتخذون الألواح والأقلام وأدوات الكتابة وغيرها من الأخشاب المحلية وإنتاج الماشية، كما كانوا يوقدون النار ليلا على الأخشاب التي تستجلب من ظاهر القرى، فتكون ضياء للقارئ ومصطلى للمقرور في أوقات البرد» (2).

وأهم هذه الأدوات وأكثرها ارتباطا بالطالب:

1- **اللوح الخشبي:**

ويؤخذ عادة من أشجار الكركاع، وهو أجودها أو من الأَرز، أو من الصفصاف أو العرعاع أو غيرها من أنواع الخشب، ويختلف حجم (اللوحة) بحسب سن المتعلم وحاجته، لتتسع للمقدار الذي يتأتى له حفظه واستيعابه في كل مرة، وتتباعد كلمات الكتابة فيه وسطورها كلما كان في مراحله الأولى، وتتقارب في السلكة الثانية إلى كتابة ربع الحزب، ثم في التي بعدها أو فيما بعدها، إلى كتابة نصف حزب في كل يوم ، وفي أحيان قليلة في المرحلة الأخيرة يكتب حزبا إلا ربعا في اليوم.

---

1 - كتاب بلاد شنقيط – المنارة والرباط للخليل النحوي: 10 .
2 –نفسه: 147 .



ويؤمر الصبي بالمحافظة على لوحته حتى لا تنكسر بالسقوط من يده، أو بوطء الأقدام عليها، ولذلك يجعل في أعلاها ثقب تعلق منه بخيط عند الفراغ من القراءة في الأوتاد المخصصة لذلك في « الخربيش» كما قدمنا، ومحالظة الصبي على لوحته وخلوها من الكسور أول علامات نجابته. وإذا صدع الصبي لوحته مع ذلك ذهب بها إلى القين (الحداد) في قريته أو يوم السوق فيضبّبها له ويشدها بصفائح من المعدن، والغالب أنه يصلحها له بالمجان طلبا للأجر، وربما تكررت الكسور والشقوق في اللوحة فتكررت الجبائر والصفائح تبعا لها في أعلى اللوحة ووسطها وأسفلها ليكون أوثق لها (1).

وقد يتخذ الكبير لوحتين في بعض الأحيان ليتمكن من الحصول على نوبته إذا كثرت الألواح عند المؤدب، فكلما وضع عنده لوحة في انتظار تصحيحها، اشتغل بالقراءة في الأخرى ريثما تصل نوبته، فيكون في هذه الأثناء قد تمكن من حفظ التي معه، فيبادلها بالأخرى وهكذا.

وللوح شأن عظيم واعتبار كبير عند أهل المحاضر، ولذلك يحرص كثير من المتخرجين من المحاضر في البوادي على الاحتفاظ بآخر لوح حصل في أيديهم في سلكة الفصال. وكلما كان مصححا بقلم بعض الشيوخ المعتبرين في الجهة كانوا عليه أحرص ، وبه أغبط وأفخر (2).

1 – أنظر كتاب المدرسة الأولى للفقيه السيد صالح بن عبد الله الإلغي: 46 .
2 –سيأتي الحديث عن الأدبيات المرتبطة باللوح.



2- القلم:

ويرتبط القلم أيضا بحياة الطالب والطفل الصغير باعتبار القلم الوسيلة إلى الكتابة، وهي أهم وسائل التعليم، ولذلك جاء ذكرهما مقترنين في أول ما نزل من القرآن الكريم في سورة العلق. والعادة أن يكون القلم من القصب العادي، وربما صنع في بعض الجهات من عيدان النخل. ويبرى بالسكين الحاد من مقدمه ومن جوانبه ثم يدقق رأسه بعناية، ويخذ فيه أخدود صغير يمتلئ بالمادة الصمغية حين يغمس في الدواة، وغالبا ما يكون طوله دون الشبر، ويتخذ الكبير أقلاما عديدة تختلف شكلا وحجما ودقة وغلظا يستعملها حسب حاجته، وربما اتخذ لها وعاء يجمعها وهو:

3- المقلمة:

وفائدتها حفظ الأقلام من الضياع والانكسار، وتصنع من القصب المجوف الغليظ.

4- الدواة:

وهي قنينة صغيرة من الزجاج أو الخزف أو غيره يصب فيها الماء الكافي، ويوضع فيها مقدار من مادة الصمغ، وتحشى بليقة من الصوف أو القطن أو الإسفنج لإمساك الصمغ، والحيلولة دون انكسار سن القلم عند الاستمداد من الدواة أثناء الكتابة.



5- **الصمغ:**

وهو المادة الصبغية المستعملة في كتابة اللوح، وتنطق في اللغة الفصيحة بالغين المعجمة، وفي اللهجات المحلية بالخاء المعجمة في جهات الجنوب، وبالحاء المهملة في سوس وما إليها، ويصنع من الصوف المتلبدة تحت آباط الأغنام والودحة المتجمعة عند أذيالها، وذلك بوضعها في إناء يجعل على النار إلى إن تحترق وتصبح حمما لزجة، ثم يضاف إليها قليل من الماء والملح حتى تنعقد على صورة عجين، ويمكن الاحتفاظ بها سائلة في قنينة أو تجفيفها والاحتفاظ بمادتها في وعاء خاص ويقرض منها عند الاستعمال.

وربما صنع الصمغ من مادة صبغية أخرى، وأكثرها استعمالا قرون الأكباش تحرق على النار ثم تفت في إناء خاص ويعاد إحراقها وإضافة قليل من الماء إليها ثم تترك حتى تجف.

6- **الصلصال:**

ويقال له: الصنصار أيضا، وهو مادة طينية تستخرج من بعض الآبار تكون صفراء أو ملونة على شكل حجارة يسهل ذوبان جزء منها وتحلله بالماء عند تمريره على صفحة اللوحة المبتلة، ويحك حجر الصلصال على صفحة اللوحة عدة مرات إلى أن يكتمل طلاؤه، ثم يسوى بالكف أو الذراع حتى يعم جوانب اللوحة ويترك في حرارة الشمس أو يقرب من النار ليجف بسرعة، ثم يحك اللوح حكا خفيفا بخرقة أو بكف اليد حتى يسلس لمرور القلم عليه.

1 - أنظر الابتهاج بنور السراج للبلغيثي: 1/5-14 .

7- السكين:

وهو الآلة الحادة المعروفة التي تبرى بها الأقلام كما أشار إلى ذلك العلامة العربي المساري بقوله في سراج طلاب العلوم:

ولتجعلن حولك سكينا إذا ** ما قلم عصى فرأسه انبُذا الأقلام

8- المسطرة:

وهي أداة دقيقة على قدر عرض اللوحة تستعمل لتسطيرها، وغالبا ما تتخذ من جريد النخيل في طول ذراع أو أقل، ولها في مقدمها رأس معقوف يساعد عل الإمساك بجانب اللوحة للتمكن من التسطير، ويسمونها في شمال المغرب «الحناشة» (1).

وحين تتعذر المسطرة المذكورة يستعمل بدلها لوح صغير يوضع على مسامتة اللوحة ويمسك باليد من أسفله، ويسحب إلى أسفل كلما تم تسطير سطر من أول اللوحة إلى منتهاها أو بحسب الحاجة.

9- الكراك:

وهو عود يتخذ غالبا من غصن الزيتون أو غيره، في مثل غلظ الأصبع، وقد يغالى فيه فيزاد في طوله وعرضه، ويبالغ في تجويده وتزويقه ونقشه وكتابة اسم صاحبه عليه، وقد يحتفظ به القارئ طول مدة قراءته ثم يجعله بعدها من ذخائره، وينحت من جهاته الأربع، ويحرف قطعه من جهة

1 - أنظر وصفها في كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي: 60/1 .



رأسه حتى يساعد على إمراره على السطور والضغط عليه مع الطرق اليسير للوح به أثناء قراءة اللوح، لأن ذلك مما يساعد على التركيز، فيحصل الحفظ ويرسخ المحفوظ، ويسمى في أكثر الجهات المغربية بالكراك بالكاف وبعدها راء مشددة وألف وكاف، وفي جهتنا في جنوب مراكش يقال الكرّار بالراء، وسمعت في بعض الحواضر من ينطقها بالجيم (الكرّاج)، كما رأيت من يقول فيها (الكراكة) بالتأنيث كما يقول أيضا (التبّاعة) (1) والحكّاك) (2).

10- المحاية:

هي خرقة أو إسفنجة تستعمل لحك آثار الكتابة بعد محو اللوحة بالماء، وقد تطلق على الجابية أو الإناء أو الإجّانة التي يصب فيها الماء لاستعماله في غسل الألواح. وتسمى باسم موضع (المحي)، ويكون في بعض أركان الجامع أو المحضرة غير معرض لدوْس الأقدام.

هذه هي جملة أدوات الكتاب والمحضرة، ومنها ما هو أساسي، وما هو كمالي يمكن الاستغناء عنه، وقد تعدّ معها أدوات أخرى من أدوات التعليم كالدرة والفلقة، ولكن هذه الأدوات من اختصاص المؤدب، وسوف نخصها في موضعها بفصل خاص.

---

1 - قال الدكتور عبد الهادي التازي في كتابه أبو العباس المغراوي وفكره التربوي ص 90 بالهامش 2 : «ما نزال نذكر أننا كنا نستعمل ما يسمى بالتبّاعة أو الكراكة لهذا الغرض، وهي: عبارة عن عود صغير في حجم القلم يزخرف حسب رغبة صاحبة ليصلح كمرشد للحروف».

2 - انظر كتاب المدرسة الأولى للفقيه الإلغي: 48 .



# الفصل الثالث

## قدسية اللوح في الحياة المحضرية
## ورمزيته وما يرتبط به من أدبيات

اللوح هو قطب العملية التعليمية وعمادها، وهو رمز بارز لحياة المحضرة الحافلة بالجد في الطلب، وصدق الرغبة في تحصيل الأرب، وقد جاء ذكره في كتاب الله العزيز قرينا للوحي المنزل، ووعاء للكتاب المرتل، فقال سبحانه وتعالى في معرض الامتنان على نبيه موسى عليه السلام: (وكتبنا لها في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء، فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) (1) وذكر عن موسى أنه (ألقى الألواح) (2) فعلم منه أنه كان ممسكا بها يتعهدها ويقرأ ما كتب له فيها، قال أبو محمد بن عطية: (بقوة) معناه: بجد وصبر عليها، واحتمال لمؤنتها، قاله ابن عباس والسدي» (3).

قلت: وكذلك هو اللوح، هو رمز لحياة الجد والصبر والاحتمال، ومظهر لقوة الإرادة وصحة العزيمة، وتحمل مؤنة الاختيار الصعب.

---

1 -الأعراف: الآية: 145 .
2 - الأعراف: الآية: 150 .
3 -المحرر الوجيز لابن عطية: 452/2 .



إن اللوح في المحضرة لا يعني فقط هذا المسطح الخشبي الذي يخط فيه القارئ بالقلم والصمغ، وإنما هو فوق ذلك بالنسبة للطالب هو الرفيق القديم، والصاحب بالجنب، المستحق للإحسان، والصديق الدائم الذي يلقاه كل يوم بالبشر، فيبسط له الوجه، ويقدم له العون، ويساعده على التصرف، وهو الذي يرمز لملفوظه، ويتسع لمحفوظه، ويكون له ردءاً عند الشدة، وعُدة عند الحاجة إلى العدة، فيرُدّ به الشِّرَّة، ويتّقي به من يد (الفقيه) الدِّرة، ويقوّم به صُلبه عند طول الجَلسة، ويمكّنه عند الغفلة من نظرة الخِلسة، أو مداراة النَّعسة، يصغر حجما بصِغره، ويزداد جِرماً يكبره، وهو لا يمل من العيش في حجره، أو بين سَحره ونحره، ولا يشكو من ضربه ونقره، ولا يضيق ذرعا بما يجري عليه من عمليات الرأب عند صدعه أو كسره.

ليس اللوح في حساب الطالب المتمرس وسيلة من الوسائل، وإنما هو رسالة من أكرم الرسائل، ورحِمٌ واجبة الوصل، وحياة ظاهرة الفضل، وقيمةٌ محضرية لا تعرف المثل، إنه الرمز الذي يجسد عنده روح الطموح، ويهوّن عليه مواجهة الصعاب، ويدربه على الصبر على الغربة ومعاناة الأسفار، وشد الرحال في تدويخ الأقطار.

وللوح إلى ذلك كله قداسة مكتسبة من مضمونه، ومستكنة في مكنونه، فتوقيره توقير لما فيه، والغضّ منه سفه لا يسهُل علاجُه وتلافيه، والعدوان عليه بالإستبدال به وتقديم الكنانيش عليه، من باب ما خاطب الله تعالى بني إسرائيل على لسان نبيهم عليه السلام في قوله:

(قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟) (1) وإليك هذه الواقعة، وكيف استقبلها الناس؟

---

1 -البقرة: الآية: 60 .



# فتوى لبعض فقهاء أسفي في جواز تعليم القرآن في غير الألواح بعد اعتراض الناس على بعض المعلمين للقرآن في المدارس الحرة.

ولما أقدم الفقيه مولاي عبد السلام بن محمد مولاي الحاج الحسني بمدينة أسفي عام 1940 م على إلغاء استعمال الألواح الخشبية في تحفيظ القرآن في مدرسته الحرة، وأحل محلها الكنانيش، أنكر عليه الناس بدعوى أن ذلك يؤدي إلى امتهان القرآن الكريم بسبب عدم تحفظ الصبيان في استعمال الكنانيش، والأجزاء القرآنية، فقام بعض العلماء بمناصرته وتحرير فتاوي في جواز ذلك، فكان ممن كتب في ذلك الفقيه الحاج الحسن بن الطاهر وعزيز في رسالة سماها: «فتح العليم، في الرد على منكر حسن التعليم» أبدأ فيها وأعاد.

وكتب على هذه الرسالة بالموافقة والتقريظ بعض الفقهاء مثل:

- ✓ الفقيه السيد محمد بن أحمد العبدي.
- ✓ والفقيه السيد محمد بن محمد العلمي الفاسي.
- ✓ والأستاذ السيد علال الفاسي الذي كتب في 15 جمادي الأولى

1351 هـ ( 15-17 شتنبر 1932 م) الفتوى التالية، ونظرا لأهميتها وذهابها من أيدي الناس نورد نصها كما جاءت في بحث الأستاذ الطاهر وعزيز المنشور في حوليات كلية الآداب (1).

1 -مجلة كلية الآداب بالرباط العدد: 22/21 ص 262-263 .



# فتوى الأستاذ علال الفاسي في جواز إقراء القرآن في غير الألواح

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

أما بعد، فقد اطلع كاتبه على ما حرره الفقهاء الأجلة، من إباحة الإستعاضة عن الألواح في قراءة القرآن بالدفاتر والأوراق المكلوءة بعين العناية والحفظ من الأستاذ، فألفاه تحريرا صائبا صوب الصواب، موافقا للحقيقة التي لا يمتري فيها أحد من أولى الألباب، وليت شعري متى كان أخذ الألواح شيئا مقدسا لا يجوز العدول عنه إلى غيره، أم ما هي الميزة التي تمتاز بها الألواح عن ما سواها من الأوراق والجلود والعظام وأوراق البَردي مما كان مستعملا في العصور السالفة والأزمنة الغابرة، كما يعلمه كل مطلع على التاريخ، مستجل لغوامضه، إن كل من يعارض في هذا أو يروم الإنتقاد على مرتكبه، ليس إلا مقلداً جامداً غير مؤمن بنعمة العقل التي أوتيها، ومن ينكر دخول التطور في أساليب التربية والتعليم، وتمشيتها بحسب الروح السائدة في العصر، إلا كل عقيم الفَهم، عديم الإدراك؟

وقد قال سيدنا علي -كرم الله وجهه- علموا أولادكم، فإنهم خلقوا لجيل غير جيلكم، فإذا كان الجيل يتبدل ويتطور بين الأب وابنه، وتقتضي المصلحة تعليم الأولاد ما ينفعهم حسب الجيل الذي خلقوا له، فكيف لا يكون التطور واجبا بعد مُضيٍّ العصور وتطاول الأزمنة؟



إن جمودنا على كل ما ألفينا عليه آباءنا، ووقوفنا مع كل التقاليد التي ألفناها دون نظر في عواقبها، أو اكتناه لحقائقها، لمن الأسباب الرئيسية التي أوصلتنا إلى هذه الدرجة السفلى من التأخر والانحطاط، وأوقعتنا في هذه الهوة السحيقة التي لا منجاة منها إلا باستخدام العقل، والتمشي مع روح التطور الحديث، يجب على كل من يستطيع الإرشاد والتنوير أن يفتح للناس بصائرهم، وينبههم إلى مواقع الغلط التي يأتيهم منها الخطر الكبير، ويكون على بينة من أمره، لا ينكر القديم لقدمه، ولا يستنكف من الانتفاع بما استجد في العصر لحدوثه، عاملا بقول الشاعر:

إن هذا القديم كان جديدا ** وسيغدو هذا الجديد قديما

عليه أن يكون من الذين ينظرون إلى الأساليب فيقتبسون أنفعها، ويستمعون القول فيتبعون أحسنه، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين؟

15 جمادي 1351 هـ - كتبه بمدينة أسفي عن استعجال وتحته توقيعه (1).

## تعليق على الفتوى

تلك وجهة نظر تحترم ولاشك، تأخذ بالرخصة، ولكنها تنزّلها في مكانها وتقدّرها بقدرها، فلا تعدو بها مواضع الحاجة إليها، إلا أنها مع ذلك قد اصطدمت بالمألوف، ورأى المتصدُّون لها ممن أنكروا جعل الدفاتر مكان الألواح، أن فتح هذا الباب نذير شر، وسابقة خطر، يخشى أن تتسع فتعم بها البلوى، وتعظم في تبنيها الدعوى، وينتهي الأمر كما وقع بالفعل في

1 -مجلة كلية الآداب - الرباط - العدد 21-22 ،صفحات من تاريخ أسفي للأستاذ الطاهر وعزيز: 262-263).



الكتاتيب في العقود الأخيرة، إلى الاقتصار، على تحفيظ السور القصار المطبوعة في بعض الأجزاء، وتشريك الصبيان في السورة الواحدة على السبورة يرددونها وراء معلمهم أو معلمتهم بصوت واحد، وبذلك ينحصر نظر المتعلم في سور محدودة لا تكاد تمحى رسومها من السبورة حتى تنمحي من ذاكرته، إذ ليس هناك إملاء لها، ولا سلاكة ولا عرض، وإنما هو جدول حصص يومي يجب اتباعه والعمل بموجبه، وينتهي كل شيء.

إن بقاء المحضرة في أوجها وقوتها رهين ببقاء اللوح فيها، وبالمحافظة على الأعراف الجارية التي ثبتت نجاعتها، واطَّرد عبر العصور نجاحها، أما التهاون به وبالمراسيم المرتبطة به من إفتاء وكتابة وتصحيح وسلاكة وغير ذلك من ضروريات العملية التعليمية التقليدية، فسوف يفضي تلقائيا إلى الاعتماد على النقل الحرفي لما في المصحف، حتى في حال وجود خطإ أو سقط فيه، مما يحدث من حين إلى آخر في بعض الطبعات (1).

ورحم له مشايخنا الذين لم يكونوا يقبلون من المتعلم أن تكون له صلة بالمصحف في أطوار تعلمه بأية حال، ورحم الله طلبة الأمس الذين كانوا يقيمون الدنيا ولا يقعدونها على من يجدونه يترك الجثو على الركب عند الشيوخ لتحصيل القرآن وعلومه، ويكتفي بالاعتماد على المصحف.

وإلى القارئ الكريم كيف كان النظر إلى هؤلاء المصحفيين كما يسمون في التراث المحضري.

---

1 - من أمثلة ذلك ما وقع من المشادة بين الطلبة في تركيب التنوين في قوله تعالى في سورة النوبة: «إن الله غفور رحيم خذمن أموالهم صدقة» فقد طبع التنوين متتابعا فوق الميم من رحيم في عدد من المصاحف مع وجود حرف الحلق بعده، وهو الخاء من خذ، وهو خطأ محض، ومع ذلك فقد قال كل قائل في ذلك وتوجيهه كل ما حلا له وخيل إليه، ظنا أن لهذا الموضع خصوصية علي غيره من مواقع التنوين قبل الخاء في المصحف.

# طالب اشتبه فيه أنه يكتب من المصحف ويخفيه في كيسه

من أعراف المحضرة الراسخة الجذور تنزه (الطالب) المشارط عن امتلاك مصحف للقرآن الكريم، أو إظهاره في موضع إقرائه بأية حال من الأحوال، وإلا كان بذلك عرضة للألسنة الحداد، التي قد تَطعنُ في حفظه وحِذقه، وترميه بالاتكال على النقل عنه، أو الاعتماد عليه في تصحيح الألواح فيما يشكّ فيه كيف يرسم، ونحو ذلك مما يحُط من مكانته، ويجعله عرضة للاتهام، لا سيما من كان حديث العهد بالمشارطة، فإن ظهور طلبة جماعته على مصحف عنده، هي بداية الطريق إلى ازعاجه عن مسجد الجماعة إلى أن يثبت عندهم بالاختبار والمطاولة أنه من الحذق بالمكان الذي لا تتطرق إليه فيه التهمة، وذلك ليس بالأمر السهل.

والأصل في هذا الاحتياط المبالغ فيه أحيانا، هو الاعتقاد بأن الاعتماد في نقل القرآن إنما هو على المشافهة والأخذ من أفواه الرجال، لا على النسخ من المصحف، ولذلك كانوا يحذرون من الأخذ عن (المصحفيّين) أو (الصحُفيين) الذين يعتمدون على المصاحف الخطية والصحف المدونة، وقد تقدم لنا قول أبي عمرو الداني في أرجوزته المنبهة:

---

1 - صلة الصلة: 263-262/5 ترجمة 538 .

2 - أنظر بحث: دار القرآن في عالم التجويد للأستاذ عبد الله الجراري: مجلة الإيمان: العدد التاسع السنة الأولى: 1384 هـ 1964 ص 29 .

3 - أنظر جريد الميثاق العدد العدد: 131-132-133 السنة 8 ص 75 .



والعلمَ لا تأخذه عن صحْفِي ** ولا حروفَ الذكر عن كُتْبيّ
ولا عن المجهول والكذاب ** ولا عن البِدعِي والمُرتاب
وارفض شيوخ الجهل والغباوة ** لا تأخذنّ عنهم التلاوة

وقال أبو عبد الله الشمني المغربي في هذا المعنى:

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة ** يكن عن الزيغ والتصحيف في حرم
ومن يكن آخذاً للعلم عن صُحُف ** فعلمه عند أهل العلم كالعَدَم (1)

وقال أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي:

يَظُنُّ الغُمر أن الكتب تهدي ** أخا جهل لإدراك العلوم
وما يدري الجهولُ بأن فيها ** غوامضَ حَيَّرتْ عَقْلَ الفهيم
إذا رُمت العلومَ بغير شيخ ** ضَلَلت عند الصراط المستقيم
وتلتبِس الأمور عليك حتى ** تكونَ أضلَّ من توما الحكيم (2)

ومن هنا حذر أهل العلم من الأخذ عمن لم يعرف له شيخ معتبر في فنه، ولا سيما إذا تعلق الأمر بقراءة وتصحيح رواياته وعلوم أدائه.

وانطلاقا من هذا حظر المشايخ أيضا على طلبتهم الرجوع إلى المصحف عند كتابة الألواح، فضلا عن النقل المباشر منها، وذلك لما يؤدي إليه من اعتماد الطالب على النقل، لا على الشيخ، ومن شأن ذلك أن يضعف همته في المنافسة وطلب التجويد والاتقان، كما أن الطالب قد يظنه على حال من التحصيل والحذق في الحفظ، وإتقان الرسم والضبط، وهو إنما ينقل عن المصحف، ومن هنا اشتد ولوع طلبة القرآن بالذين هم مضنة استعمال المصحف في كتابة اللوح، وربما لمزوا الواحد منهم بأنه يملك

---

1 - أنظر نسبة البيتين في الإعلام للمراكشي: 18/2 .
2 - المراد به: توماس الحكيم، وهو توما الأكويني أحد علماء اللاهوت عند النصارى في روما، ويقال إنه درس المنطق وأراد الإستدلال به على الإلهيات، فـفسد عليه الأصل والفرع.، أنظر نسبة الأبيات إلى أبي حيان في الإعلام للمراكشي: 18/2 .

(الذئب) أو يخفيه عن الأنظار بين كتبه وأمتعته لاستعماله عند الحاجة، ولا أدري وجه الشبه الذي به تنزّلوا هذا التنزل السفيه في إطلاق اسم الذئب على المصحف الشريف ذهابا وراء هذا التقليد الهزيل.

وإلى القارئ الكريم هذه الحكاية الميدانية عن حادثة من هذا النوع ارتاب فيها جماعة من الطلبة في مسجد في شأن طالب جديد وارد عليهم رأوا في كيسه ما يشبه أن يكون مصحفا، يقول الفقيه الأستاذ الحاج إبراهيم التامري في كتاب المتعة والراحة في ترجمة بلديِّه السيد أحمد بن سعيد إيميحي من شيوخه:

«أمضى حياته في تعليم القرآن، وإليه تشد الرحال في قطره، أدركته وهو من عداد مشيختي.. قال.

وكان حيناً في مسجد «سيدي عكايْش» (1) عند العلامة سيدي أحمد البعمراني، حكى لي أنه آواه الحظ للأخذ عن هذا العلامة، فألفى المدرسة تموج مَوْجاً بأرباب القراءات، فصادف وقت القيلولة، فدخل مصلى الزاوية، وعلى ظهره كيسٌ فيه لوحُه، وخبزةٌ عريضة أعدَّها للنوائب، ولكنها ظهرت داخل الكيس كأنها حجم (مصحف قرآني) مما جعل الطلبة يتنادرون عليه، ويصيحون: أخرج –يا جاهلُ– المصحف من المقصورة، وهو لا يحرك ساكنا، والنظر والكتابة من المصحف آنذاك عيب يُسقط صاحبه من أعين الناس، إلى درجة الازدراء به. قال:

ولما لقيت الأستاذ رحّب بي وآنسني، فذكرت له رغبتي في سماعي قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري. وعند ذلك تبخر اعتقاد المتشيطنين بي وأكبروني أتم إكبَار» (2).

1 – هي مدرسة قرآنية كانت واسعة الشهرة في ايت زلطن بقبيلة حاحة بإقليم الصويرة في أواسط القرن الرابع عشر الماضي، وقد أخبرني شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم أنه كان يقرأ فيها بالروايات في هذا العهد.
2 – المتعة والراحة: 1/447-448 .



## اللوح وحرمة القرآن

ومن الأمثال الشعبية السائرة عندنا في المغرب مما يتعلق بحرمة القرآن الكريم واستشعار قدسيته: «في حق ما في المصحف تقبل الجلود».

ولقد اعتبروا هذا المعنى أيضا في الألواح، ولذلك كان أشياخنا يأمروننا بصيانتها وتعليقها عند الفراغ منها في مواضعها المخصوصة، لا خوفا عليها من الكسر بتعرضها لدوس الأقدام فحسب، وإنما رعاية لقدسية ما تضمنته من كتاب الله. ولهذا كانوا يتخذون أيضا مَمْحَى الألواح في بعض الأركان التي لا تطؤها المارة حرصا على هذا المعنى من الحرمة الزائدة.

ولقد خشي بعضهم من أن يكون التهاون في مثل هذا مفضيا إلى الردة عن الدين، ففي نوازل الفقيه الصحراوي سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي أنه:

«سئل عن نساء نظرن لوحا به بولُ صبي لم يمس نفس الحروف، فأمرت كل واحدة منهن الأخرى بالمبادرة إلى غسله، وأخذته إحداهن فناولته صبيا فغسله، هل هذا توانٍ يوجب الردة، أم لا؟

فأجاب أن لا ردّة فيه إذا لم يحصل في ذلك توانٍ بيّن يظهر منه الاستخفاف بحرمة القرآن العزيز، بل أن يكون لا تواني في ذلك أصلا، أو توانٍ غيرُ بيّن، وإذا احتمل الأمر كونه ردة أولا. لم تكن فيه ردة كما في الشفا للقاضي عياض (1).

---

1 - أنظر كتاب الشفا في الصحراء المغربية للأستاذ محمد الكبير العلوي دعوة الحق - عدد خاص عن القاضي عياض: العدد: 3 رجب 1401 / ماي 1981 الصفحة: 59 .

# الخليفة المأمون العباسي
# يكرم صاحبه في الكُتَّاب من الخدم،
# إذ كان يسابق غيره فيمحو له لوحه

كان الخليفة المأمون قد عهد به أبوه الرشيد إلى مؤدبه القارئ الشهير أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي (ت 202 هـ) ووكل الرشيد به سعيدا الجوهري يقوم على تعليمه، وكان لسعيد الجوهري غلام قد لُزّ بالمأمون في (الكُتاب)، فكان إذا احتاج المأمون إلى محو لوحه بادر إليه، فأخذ اللوح من يده فمحاه، وغلب على غلمان المأمون في عهد خلافته، ومسحه وجاء به فوضعه على المنديل في حجره، فلما سار المأمون في عهد خلافته إلى خراسان، وكان من أخيه الأمين ما كان، خرج إليه غلام سعيد، فوقف بالباب حتى جاء أبو محمد اليزيدي، فلما رآه عرفه، فدخل فأخبر المأمون، فقال له مستبشرا بقدومه:

لك البشرى، ثم أذن له فدخل عليه، فضحك إليه حين رآه، ثم قال: أتذكر وأنت تبادر إلى محو لوحي؟ قال: نعم يا سيدي! فوصله بخمسمائة ألف درهم» (1).

1 - المحاسن والمساوئ للبيهقي: 642 .



# ومن المأثورات الأدبية المتعلقة باللوح وبعد الهمة في الطلب

قول الشيخ محمد حنبل الشنقيطي من أدباء موريتانيا يخاطب لوحه ويناجيه:

عِمْ صباحاً أفلحت كلُّ فَلاح ** فيكَ يا لوْحُ لم أُطِعْ ألفَ لاحِ
أنت يا لوح صاحبي وأنيسي ** وشفائي من غُلّتي ولُواحي (1)
فانتصاح امرئ يروم اعتياضي ** طلَبَ الوفر منك شر انتصاح (2)
بك لا بالغِنَى كَلِفْتُ قديما ** ومُحَيَّاك لا وجوه المِلاح (3)

وقال آخر يحث على ملازمة اللوح والصبر على ضيق العيش في المحضرة:

إذا لاح شهر الصيف لابد من فتىً ** تنقّل خوف الجوع عن لوحه دهرا
ترى قاصر الهِمَّات يشتاق أهله ** وذو الهمة العليا إذن يألف الصبرا (4)

ويقول الشيخ محمد حامنا بن آلا (ت 1379 هـ) مخاطبا ولده حافزا له على لزوم اللوح:

---

1 – الغُلّة واللُّواح – بضم أولهما: العطش.
2 – الوفر: الغنى.
3 – القطعة في كتاب بلاد شنقيط – المنارة والرباط: 148 .
4 – بلاد شنقيط: 140 .



يا أحمدَ الحُسْن اقرأْ لوحُك الكَرَمُ ** اللوحُ لا الأصل والدينارُ والنَّعَم
الأصل لابن الزّوايا لوحُــه أبدا ** إن يَخْلُ منه فلا عزٌّ ولا كَرم (1)

ومن المأثورات الشعبية التي يتداولها العامة عندنا، وكنت أسمع البيت الثالث منها كثيرا من جدتي والدة أبي رحمها الله، واسمها كلثوم بنت محمد حميتو:

ياطالبا تقرأ في البوادي ** اقرأ وشد حْزامك يا البُجادي (2)
لو كانت القراءة بالرُّقاد ** لحفظه القِطُّ في الرماد
كَدِّس ولا تدرُس وكن نَعَّاسَا ** آخيرْ زمانك تكُنْ خَمَّاسا (3)

ومما يتبرك به النساء في زف العروس عندنا في البادية قولهن وهن يبرزن منشدات:

وباسم الله ** وبالله
وباش نَبْداوْا ** الطُّلبا واللّواح

وقال آخر في وجوب الرحلة على الطالب إثباتا لرجولته:

إذا الفتى لم يركب الأهوالا ** ولم تقطِّع رجله النعالا
ولم يَغِبْ عن أهله الأحوالا ** يطلب علما ويصيب المالا
فأعطِه المِروَد والمِكحالا ** وزد له الأخراصَ والخَلخالا
ودعه أن يجالس العيالا ** فذاك لا يشابه الرجالا (4)

---

1 – نفسه: 87 .
2 – البجادي: القليل المعرفة.
3 – الخماس: الأجير الذي يعمل في الفلاحة عند غيره على خمس ما يحصل منها.
وانظر الأبيات في كتاب الأنصاص القرانية: 44/1 مع بعض الإختلاف في اللفظ.
4 – نقلها صاحب كتاب المتعة والراحة: 327/1 .



# جئت مرة أخرى

ومن الحكايات الشعبية المتداولة عندنا في شأن صبر النساء بالبادية على مفارقة أبنائهن من أجل رحلة الطلب، ما يذكرونه من أن طالبا فارق والدته وأهله، وذهب يتنقل من جامع إلى جامع ليستكمل ثقافته القرآنية، فكان في البداية يقضي السنة والسنتين في الغُربة قبل أن يرجع لزيارة الوالدة، وفي إحدى المرات تخلف عن الزيارة المعتادة ست سنين أو سبعا، فلما جاء زائراً دخل المنزل فوجد والدته منشغلة في منسج الصوف كعادتها تحوك الثياب، فلما جاء ليسلم عليها لم تقم إليه، وإنما أخرجت إليه يدها من المنسج من بين خيوطه، وقالت بلهجتها الشلحية مرحبة به: أحمد، «تُوشْكيتْ دَاغْ!» ومعناها: جئت مرة أخرى!.

ومن المعلوم أن الحكاية لا تستهدف التعريض بغِلظة قلب الوالدة وعدم مبالاتها بفِلذَة كبدها وطول غيبته عنها، وإنما هدفها التنويه بوعي هذه الوالدة، وإدراكها لنُبل الغاية التي من أجل تحقيقها تجشم وتجشمت معه هذه المعاناة، وفي سبيل ذلك تهون هذه التضحيات، ورحم الله الشاعر الطغرائي حين يقول في لامية العجم:

لو كان في شرف المأوى بلوغُ مُنًى ** لم تبرَح الشمس يوما دارة الحمل

ومن المأثورات التي كنا نسمع فقهاءنا يتناشدونها لتحريك الهمم قول من قال:



قالت مسائل سحنون لقارئها: ** بالدَّرْس يُدرك مني كلُّ ما استترا (1)
لا يُدرك العلم بَطَّالٌ ولا كَسِلٌ ** ولا مَلولٌ ولا من يألف البَشَرَا

وقال بعض الشعراء في لزوم الضرب في الأرض:

جُلْ في البلاد تنل عزاً ومكرمة ** في أي أرض فكُنْ تبلغ مُناك بها
جُلُّ الفوائد بالأسفار مكسَبُهُ ** والله قد قال: (فامشوا في مناكبها) (2)

# لوْح الخشب ولوحُ القلب

وقد رأى بعض الأدباء ما للحفظ والاستيعاب بواسطة الألواح التي تمحى بعد إيداع ما كتب فيها في لوح القلب، من الفضيلة على مجرد الجمع دون استيعاب، مع الاكتفاء بحفظ ذلك في الأوراق والكتب، فقال:

إذا ما غَدَتْ طَلاَّبةُ العلم ما لَهَا ** من العلم إلاَّ ما يُخلَّد في الكُتْبِ
غَدَوْتُ بتشمير وجدٍّ عليهم ** ومِحْبَرتي سمعي، ودفتَرُهَا قلبي (3)

وقال آخر:

يا أيها الطالب الآداب مبتدرا ** لا تسْهُ عن حملك (الألواح) للأدب
فحملُها أدب تحوي به أدَباً ** وسوف تَنقُل ما فيها إلى الكُتُب
وليس في كل وقت ممكنا قَلَمٌ ** ودَفتر، يا عديم المِثل في الحسب(4)

1 -مسائل سحنون: يقصدون بها مدونة سحنون في الفقه المالكي أنظر الإعلام للمراكشي: : 193/7
2 - أنظر المتعة والراحة للفقيه التامري: 241/3 .
3 - كتاب المحاسن والمساوئ للبيهقي: 26 .
4 - نفسه:67 .



ومن أبيات الإمام الشافعي المشهورة في هذا المعنى قوله:

علمي معي حيثما يمّمت ينفعني (1) ** قلبي وعاءٌ له لا بطن صندوقي

إن كنت في البيت كان العلمُ فيه معي ** أو كنت في السوق كان العلم في السوق (2)

# نظرة لسان الدين ابن الخطيب للطالب البربري

يقول لسان الدين محمد بن الخطيب وزير غرناطة وأديب الأندلس (ت 776 هـ) يصف مدينة مكناس في كتاب رحلته: «نفاضة الجراب فيمن بقي من الأصحاب» (3):

«وأطَلَّت مدينة مكناسة في مظهر النجد، رافلة في حلة الدوح، مبتسمة عن شنب المياه العذبة، سافرة عن أجمل المرأى، قد أحكم وضعها (الذي أخرج المرعى)، قيد البصر، ، وفذلكة الحسن، فنزلنا بها منزلا لا تستطيع العين أن تُخلفه حسنا ووضعا...

وبدا خلها مدارس ثلاث لبث العلم، كَلِفت بها الملوك الجلة الهمم. وفيها خزائن الكتب، والجراية الدارة على العلماء والمتعلمين.. إلى أن يقول: وفيها أقول:

بالحسن من مكناسة الزيتون ** قد صَحَّ عُذْرُ الناظر المفتون

فَضْلُ الهواءِ وصحة الماء الذي ** يجري بها وسلامة المخزون

سَحَّت عليها كل عين ثرّة ** للمزن هاميةِ الغمام هَتون

فاحمرَّ خدّ الورد بين أباطح ** وافترَّ ثغر الزهر فوق غصون

---

1 - في رواية: يتبعني، وفي رواية: كان معي.

2 - ديوان الشافعي.

3 - لم يصل إلينا من الكتاب بأجزائه الأربعة إلا الجزء الثاني، وقد طبع عن نسخة بالأسكوريال مسجلة برقم 1755، وطبع مؤخرا بتحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني.

ولقد كفاها شاهداً مهما ادّعتْ ** قصبَ السِّباق القربُ من زرهون
جبل تضاحكت البروقُ بجوّه ** فبكتْ عِذَابُ عيونه بغُيون
وكأنما هو بَرْبَرِيٌّ وافدٌ ** في لوحه: (والتين والزيتون)(1)

فانظر إلى هذا التشبيه الذي فيه المشبه هو جبل زَرْهون المكسوُّ بالتين والزيتون، والمشبه به هو البربري الوافد على الجهة في لوحه (والتين والزيتون)، ودعك من النظر في وجه الشبه بينهما في مخيلة الشاعر الوزير، واعتبر بقوله: (بربري وافد)، فإنك ستجد فيه الملحظ الذي صدَّرْنا به من قول العلامة ابن خلدون عن أهل هذا الجيل: «فهم لذلك أقومُ على رسم القرآن وحفظه من سواهم» (2).

وما يزال الواقع إلى يومنا هذا على هذه الحال، فأهل هذه الجهة أقوم إلى زمننا بتحقيق رسم القرآن وضبطه وروراياته، ولا ينبئك مثل خبير.

## حبَّذَا اللوح صاحباً واليَرَاعُ

وهذه صورة أخرى رسمها المؤلف كاتب هذه السطور يوم كان يعمل في التدريس ببلاد الرحامنة بمقر ابن جرير من ضواحي مدينة مراكش يتذكر فيها تطويح الأقدار الإلهية به بعيدا عن ملاعب الصبا ومجَرَّ أرسان الشبيبة، إلى حيث اقتضت ظروف العمل في الوظيفة الرسمية، مما أشعره بفداحة الغربة، وأذكره بعهود الوالدة -رحمها الله- التي توفيت بعد شهور من فرحها بأول ختمة منه للقرآن الكريم عام 1950 م. وتاريخ نظم القطعة 12 يناير 1969 م.

1 -النص في كتاب الروض الهتون لابن غازي : 69-70 وانظر اخر المجلد المطبوع من نفاضة الجواب لابن الخطيب: 373 .
2- مقدمة ابن خلدون : 538



ولدتْني أُمّي بيُسْرَاي لَوحٌ ** خَشَبِيٌّ، وفي يميني يَراع (1)
وعلى كتِفي جِرابٌ يغنّي الجوعُ في طَيّه، ويَمْكُو الضياع (2)
دفعتْني إلى الحياة وعادت ** للأعالي كما يعود الشعاع
دُونما كِلْمَتَيْ وَدَاعٍ أخير ** ليت شعري وما يفيد الوداع؟
تركتني في رحلة بَدْؤُهَا الغَيْب، وآخرُها السبيلُ المُشاع
رحلةٌ في السَّراب سيانِ في الحُسبانِ منها الرُّسُوُّ والإقلاع
لم يَزَل في مَتَاهِهَا للمجاديف بكَفِّي تَلَكُّؤٌ واندفاع
وبعينيَّ وَقْدةٌ صَمَدَ الإصرَارُ في دِفْئها وعاش الصراعُ
أنا يا أمُّ ما أزال مع المو ** ج وإن خانَني لديْه الشِراع
سِندبادٌ أنا وإن خُضْتُ في البَرِّ، وللسِّنْدِبَادِ ذِكْرٌ مُشاع
غيْر أنّ وراء (تَخْنِيشَتي) (3) سِرّاً وسِرُّ الكِرام ليس يُذاع
فاذكريني هناك في دار مثوا ** كِ فإنّي هنا شريدٌ مُضَاع
وعليك السلامُ من ذي زماع ** سيُري الحادثات كيف الزِّماع (4)
أنا للَّوحِ واليَرَاع حَلِيفٌ ** حبَّذا اللوحُ صاحباً واليَراع.

1 – اليراع: قلم القصب المعد للكتابة.
2– الجراب: يقوم مقام الخنشة، ويمكو: يصفّر كناية عن التشرد عن ملاعب الصبا وديار الأهل.
3 – التخنيشة: مأخوذة من اسم «الخنشة» رهي الكيس الذي يحمل فيه التلميذ (المسافري) لوحه وأقلامه وتقاييده وبعض زاده وثيابه عند رحلته إلى الشيوخ والقبائل النائية لإتمام قراءته على غير شيوخ البلد الذين قرأ عليهم، وهي تعني في مدلولها: (الرحلة العلمية).
4 – الزِماع: الشجاعة والإقدام. أنظر – زمع في اللسان: 8/143-144 .



# مازال يَحمِل في المَفاوز لوحَه وجِرابَه

ومما قلته في حفلة تكريم وزارة الأوقاف بالرباط لأحد حفاظ القراءات في قاعة الحفلات بحسان من مدينة الرباط، وتوزيع الجوائز على الفائزين بمسابقة القرآن الكريم (1).

يا منتدى حسان جادك وابلٌ ** زاك من القُبُلات والأشواق
يا ملتقى للفضل كم من آية ** جَلَّى محاسنها، ومعنى راق
أحللتَ أهل الذكر في مُتبَوَّأٍ ** باهِي المِنصَّةِ، باهرِ الإشراق
من كل أفُقٍ صَفْوةٌ قد برّزوا ** في السبق، بل فازوا على السُّبَّاق
نَخَلَتْهم النُّقّاد كلَّ مجوِّد ** يَشجي النفوس بصوته الدفّاق
يتفجر التنزيل بين ضلوعِه ** كالنبع يدْفُقُ من خلالِ سَواق
ضاءت سرائرُهم بسِرِّ حروفه ** وتملَّأوا من هَدْيه المِغداق
يا أيها الجمع الحفيل تحية ** للنائلين الفوزَ باستحقاق
وتحيةً من بعدها لمن احتفَوا ** ودعَوا لهذا المحفِل التَّوّاق
ورَعَوْا بتكريمٍ المَبَرة قارئاً ** فَحْلاً من الحُفَّاظِ والحُذّاق
رَسَختْ رواياتِ البُدورِ وشُهْبِهَا ** في صدره كالنَّقْش في المُهراق (2)
لا يَمتري فيها امتِراءَ مُحاذر ** يخشى العِثارَ، ولا يلوذ بواق
ما زال يَحمِل في المفاوز لوحَه ** وجِرابَه حَمْلاً على الأعناق
ويُرِي الهواجِرَ من صرامة عَزمه ** أمضى مِن الصمصام والمِزْراق

1 - المراد حفلة توزيع جوائز مسابقة جائزة محمد السادس للقرآن الكريم بقاعة الولاية بحسان، وتكريم السيد الطاهر الحريري العشراوي أحد شيوخ القراءات بمدرسة سيدي الزوين بحوز مراكش في أواخر شهر رمضان عام 1425-2004 .

2 - المهراق: الصحيفة.

يَلْقى المشايخ كابراً عن كابر ** من كل واعية الفؤاد دِهاق

حتى غدت منه القراءة فِلذةً ** مِنْ ذاته موشوجة الأعراق

وتوطَّأت أكنافُها حتى غدا ** صَعْبُ المِراس كَطِيِّع الأغلاق

وتشرَّبت منه الشِّغافُ حروفَها ** فجَرت كمَجْرَى النُّسْغ في الأوراق

فالعَشرُ منه كبيرُها وصغيرُهَا ** كمشاهِد المِرآة للأحداق

جُلِيَتْ له طُرق الرواية فاجتلَى ** وجَنَى الثمَار دوانِيَ الأعذاق

يتبادل الدانيُّ والجزريُّ في ** إيوانه الممدود كأسَ عِتاق

طوراً بحرز الشاطبي وتارةً ** بالنشر والتحبير للأوراق (1)

ظفِرتْ بسيدي الزَّوَيْن منه مَنارةٌ ** ظلت لهذا الشأن دارَ سِباق

حَفِظتْ كنوز السبع منذ تَبلَّجَتْ ** فيها بُدورُ السبع دون مَحاق

ما زالت الذكرى بجَرْمونِيِّها ** والقاسمي تجيش في الأعماق (2)

إن كان طاهرهم تأخرّ عصرُه ** فلقد تقدم فيه بالإطلاق

فله التحيةُ غِبْطةً وحِفَاوة ** يسري بنفحتها أبو رقراق

---

1 – حرز الأماني للشاطبي في القراءات السبع، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري، والتحبير فيها له أيضا.

2 – الجرموني سيدي سعيد العبدي من قراء العشر مات حول سنة 1960، والقاسمي سيدي علال من قراء العشر الصغير رحمهما الله.

## حانوت المسافر ورمزيتها في المحضرة

والحانوت، وهو البيت الصغير في المحضرة أو المدرسة يسكنه التلميذ أو (المحضري) مع بعض أقرانه من أهل جهته في الغالب، ويعتبر أحد رموز حياة المحضرة، وأحد أركان استقرار (المسافري) في عهد الطلب، واندماجه الكامل في مسار الحياة المحضرية، وانفصاله عن التعلق بمنزل الأهل.

وذلك أن الحانوت في المحضرة يُوفّر الكثير من عوامل الاستقرار النفسي للمسافر في المحضرة، لأنه إلى جانب توفيره له المثوى بالمجان، يعتبر ملكا موقتا له، وللنازلين معه فيه إذا ضاقت الحوانيت الموجودة عن انفراد كل طالب بحجرته، ففيه يضع متاعه وزاده، ويضع لوحه وكتبه، ويطبخ عند الحاجة طعامه، ويستقبل ضيفه، ويقرأ أسواره، ويكتب لوحه، إلى غير ذلك مما يتمرن به على الاستقلال الشخصي إذا كان وحده، والاعتماد على النفس، أو على التعاون والتفاعل والاندماج مع غيره إذا كان الحانوت مشتركا، وحتى في هذه الحالة فإن على التلميذ (المسافري) أن يتخذ له صندوقا من الخشب أو غيره يكون متينا، ويجعل عليه قفلا مناسبا ليودعه بعض ما يختص به أو يخاف عليه.

ولقد يقضي (المسافري) المدة الطويلة في حانوته حتى يصبح كالملك الشخصي له، لا سيما إذا كان قد قام بترميمه أو الزيادة فيه، فقد يلزمه حتى بعد تخرجه، ولا يحب الانفصال عن المحضرة بسبب إلفه له، وربما أقره الفقيه للاستعانة به على محضرته لتصحيح الألواح، والنيابة عنه عند الغياب، فيستمرئ هذه الحياة، فتطول إقامته حيث هو، وربما إلى موت



صاحب المحضرة أو انتقاله، فربما حل محله في نهاية المطاف إذا رضيته الجماعة وطلبتها لخلافته له.

ولقد عرفت في عدد من مساجد الجنوب صوراً من هذه الظاهرة حل فيها بعض قدامى الطلبة محل أشياخهم بسبب طول الإقامة قديما عندهم، وحاجتهم إليه، ومصادفتهم نوعا من الاستعداد عنده لذلك بحكم طول لزومه لحانوته هناك، وقد رأيت هذا في عدة محاضر بسوس، وغيرها (1)، وأعرف عددا من هؤلاء قد انقطع في حانوته حياته، فلم يتزوج ولم يشارط، وإنما يحصل على قوته مما يصل إلى المدرسة أو المحضرة، أو مما يجمعه مع بعض الطلبة من (الدور) أو (أدوال) ويحتفظ بعضهم بلوحه الذي يكتبه من حين لآخر، ويبعث به إلى (الطالب) ليصححه، وكأنه بذلك يجعل مسوغا لوجوده وبقائه في المحضرة، ولا سيما من كان من أهل الروايات، فإنه يشتغل بحفظ المتون أي (الكراريس) ويأخذ بلوحته في الغالب في مباحث (تصوير الهمز) وهو علم قائم بذاته، ولا سيما إذا أدرج فيه ما بين حمزة وهشام مما خصه الشاطبي وغيره بالنظر ونظمت فيه المنظومات الكثيرة ووضعت عليها الشروح العديدة.

هذا وبحكم ارتباط حياة الطالب في المحضرة بمجموعة من الأواني الخاصة به مما يعتبر من ضروريات عيشه المستقل في حانوته التي هي مملكته الصغيرة في هذا المستوى من العمر، فإن بعض الطلبة قد احتفظ لها في سجل ذكرياته النفسية بوجود راسخ عبر عنه أحد قدامى طلبة المحضرة الحاحيين، وهو الفقيه الأديب السيد محمد بن عمر الخطاب نزيل أولاد تايمة بهوارة كما يلي:

---

1 – يمكن التمثيل لذلك بمدرسة أزرو بضاحية أكادير وجامع بنجمود بقرب سيدي بيبي قيادة اشتوكة وبمدرسة سيدي الزوين بالحوز المراكشي.



## من شعره في خطاب طاجينته الصغيرة وإبريقته

فمن شعره في أيام الطلب يخاطب أواني بيته المدرسي بزاوية «إكضي» بوادي الجبل أيام أخذه فيها على أستاذه سيدي إبراهيم بن علي الأنزي، وهي من أظرف قصائده:

أطاجنتي الصغيرة كم شويْتِ ** وكم ذُقت العذاب وما اشتكيتِ
لقد أتقنتِ فن الطبخ حتى ** حكيتِ عن الطواجن ما حكيت
لئن غطيتِ عنا كلَّ سِرّ ** فقد باح البُخار بما حوَيْتِ
فلا لحمٌ ولا سردينَ فيها ** وما فيها سوى بصل وزيت
لقد بعثتْ بنَفحتها الأماني ** وعطَّر طيبُها أرجاءَ بيتي
تفرَّقَ عِطرها من كل فَجٍّ ** فشُمَّت في الحجاز وفي الكُويت
فلا تأسف لمن جاعوا وماتوا ** فطاجنَتي ستبعث كل مَيْت
سآكلها بفنجان كثيف ** لذيذِ الطعم يَسكر كالكُميْت
وأُردِفُها بأبيات رقاقٍ ** معاني الحُب تملأ كلَّ بيت
فيا صينيَتي جوزيتِ عنا ** فقد أتت السعادةُ مُذْ أتيت
ويا ابْريقتي الحسناءَ سقياً ** ورَعياً، كم صَبَبْتِ وكم سقيت!
أذَبْتِ السكَّر الثَّلْجِي ذَوْباً ** فأثَّر في الشراب كما رأيت
وأسقيتِ الأحبة نصف كأس ** فما ارتوت البطون وما ارتويتِ
ويا غلاَّيتي السوداءَ صيحي ** فإن القلب يفرَح إن غَلَيْت
عهدتُك زوجةَ الكانون دهرا ** فهل أبغضت زوجَك أو قلَيْت؟
ظننتِ الغازَ أرحَمَ منه ناراً ** فأخطأتِ الصواب وما اهتديت
فصبراً إنْ عَراك الحَرُّ صبراً ** وصبراً إن أُهِنْتِ أو اكتوَيْت (1)

---

1 - المتعة والراحة: 2/402-403 .



# ومن ذكريات مدرسة أبي مروان بسوس للفقيه ابن عمر الحاحي

ومن شعره هذه الرائية الرائعة التي شارك بها في تكريم شيخه أبي سالم إبراهيم التملي قيم مدرسة أبي مروان بمناسبة أربعين سنة على قيامه بالتدريس في تلك المدرسة قال:

تذكرتُ أياماً خلون ب«أدرار» ** وعصرا تَقَضَّى عِطْرُه عِطْرُ نوار
تذكرت أحبابا هناك ألفتهم ** وما أهلُهم أهلي ولا دارُهم داري
تذكرتها من بعد عشرين حجة ** وهل بعد هذا العهد رسمٌ لتذكار
قصدت أبا مروان بالشعر فانبرت ** فُتوح من الألطاف جاد بها الباري
ذكرت أبا مروان والطَّود شامخ ** بجانبه كالحائط المائل الهاري
و«تنكوت» في أجوائه مشمخِرَّةٌ ** وقمتها كأنها رأس مسمار
إذا نَفَر الإنسان منها فإنها ** خَلَت لنسور يمَّمَتها وأطيار
فكم نَبَت الريحانُ بين صُخورها ** فيا لَعبيرٍ فاحَ من صُمٍّ أحجار
وكم جئت بالشيح الشَّذيّ من الذُّرَى ** وما بي أو صاب، ولست بعطَّار
ولكنني أهوى الشذَى وأريدُه ** لكأس تُزيح الهم والغم مِعطار
ذكرت أبا مروان، والجمع حافِلٌ ** بكل صبيح الوجه، جافٍ عن العار
وجِلْستنا بالسفح ما بين كاتب ** وشادٍ لأشعار وتال لأسفار
وكم لحَّن الطلاب بالليل قطعةً ** وكم جهروا باللحن من غير أو تار
وكم جلسة للنحو طاب نقاشها ** لقيت بها الفرَّاء من بعد إقبار
وكم أصمعي في جَزولة خاملٍ ** وكم حاتم صادفت في طي أطمار
وكم من عُكاظ للقريض حضرتها ** أقيمت بها هيجاء نثر وأشعار

تصدَّى جرير للفرزْدق وانبرت ** معارك نظم بين بِشْر وبشّار
وكم صغت في مدح الصغير خَرائدا ** فكافأني عنها بِحُور وأبكار
وكم بَعَثَ الإحماضُ بيني وبينهم ** مَلاحمَ نَقْد تقذف النار بالنار
ودورتنا للسَّرْدِ والليل ناشِرٌ ** حَنَادِسَه، والبرد يَفتك بالساري
وكم وَعْوَعَ الذئب الأزَلُّ على الرُّبى ** فنبّهنا للفجر من قبل إفجار
فهبّ الفتى من نومه غيرَ غافل ** يراجع سِفراً قبل مطلع إسفار
ونُزهَتَنا في النهر ما بين غاسل ** ومغتسِلٍ في البارد السلسَل الجاري
وكم جولةٍ للذئب بين بيوتنا ** ويمنعُنا من طرده حُرمة الجار
ذكرت عهودا أبْرَمَتْها يدُ الهوى ** وحَصَّنَها الإخلاص من نكت غدار
وإخوانَ صِدق بالوفاء عهِدتهمْ ** نسيت بهم أهلي ورهطي «إِذُو مغار»
وأهل «تِزِي» الأمجادَكم رحَّبوا بنا ** تسلّمنا بالعز دار إلى دار
معاهد جِدٍّ يمقت الهزَلَ أهلُهَا ** وأطلال حُب ذات ماض ومِقدار
عكَفت بها حتى نَحفْت كأنني ** رقيق من الأقلام أرهفَه الباري
أقمتُ بها حتى قضيت لُبانة ** وبُؤتُ بألطاف، وفُزت بأسرار
ذكرتُ أبا مروان والشيخُ مشرِقٌ ** وطَلعتُه كالبدر ليلة إبدار
مواعظه يطردن كل غِواية ** وأنواره يَجْلونَ أنواءَ أغيار
يعلّمنا من علمه كلَّ نافع ** وكلَّ مفيد في المعارف مختار
وينصحنا كي نَقرِن العلم بالتُّقَى ** ونُصلح تلك الدار من هذه الدار
يُعلّمنا أن الحياة قصيرةٌ ** وأن سراب العصر أخدعُ غرَّار
وأن الفتى مهما تملَّك واقتنى ** فحصتُه في الأرض سبعةُ أشبار
يعلّمنا أن الكتاب رسالة ** من الله فيها للورى أيُّ إنذار
سلام على شيخ الشيوخ ورهطِهِ ** ومن في حماه من تقاة وأبرار



ســـلامٌ على تلك المنازل دائم ** وسَحَّ على أرجـائهـا كلُّ مِـدْرار

مَنائرُ رُشْـد كن للنَّشءِ مَـعـقِـلا ** يلوذ به من كل صِـبـرٍّ وإعـصـار

فيا طالبا قد ساح في الأرض باحثاً ** عن العلم والعِـرفـان، ألمم ب«أدرار»

إذا شئت آدابا وعلما وحكمة ** فهاجر إلى «نجد» تجد خير أنصار

تجِدْ فيه ما يُرضيك من كل ماجدٍ ** وكلّ كـــريم للكرائم نـحَّـار

أنِخْ بأبي مروان واسأل شيوخه ** تجـدْ كل حَـبْـر ثاقب الفكر نظار

وعـرِّج على «إيكضي» الأديبة إنها ** مَـنارة أنوار، وروضــة أزهـار

وسلم على «المولود» وأقرأ مناره (1) ** فـفـيـه بحوث تنفع الطالب القـارئ

سلام على أبناء «ولتيتة» الألىَ ** أعـدوا صنوف الزاد للزائر الطاري

إذا ضَنَّ بالدينار كَـزٌّ فـإنهم ** يشـيـدون بالدينار علم ابن دينار

لئن رحل «المختار» عنكم مكرَّما ** لقـد صنعت آثاره ألف مـخـتـار

وإن جمع «المعسول» كل يتيمة ** فكم ترك «المعسول» للباحث الداري (2)

وهكذا يصف الأديب ابن عمر الحاحي حياة المحضرة، ويدخل بنا في صلب العلاقة الحيمية بين الطالب (المسافري) وبين محيطه الطلابي الذي يسمو على كل رابطة من كل عرق أو نسب أو جنس، وينشئ وشيجة أخرى من الأخوة لا يجد الطالب أريجها ولا يتنسم ريحانها إلا في جو المحضرة والمدرسة، وذلك ما أشار إليه بقوله:

ذكرت عـهوداً أبرمتها يدُ الهوى ** وحـصَّنهـا الإخـلاص من نكْثِ غَـدار

وإخوان صدق بالوفاء عـهدتُهم ** نسـيت بهم أهلي ورهطي «إذومـغـار»

---

1 - يعني كتاب منار السعود.

2 - وقد تركت منها أبياتاً رغبة في الاختصار، وانظر نصها في كتاب المتعة والراحة: 2/405-407



إنه الاندماج في حياة المحضرة، والشعور بالراحة النفسية بوجود الطالب مع أبناء سربه، المجانسين له في اهتماماته، والمتناغمين معه في هذا الجو اللطيف الذي يفتقده في غير هذه البيئة الخاصة، على الرغم من افتقارها وافتقاره فيها إلى كثير من متطلبات الحياة الناعمة والعيش الغريض، وكما عبر عن ذلك طالب مغترب فقال:

تلاميذُ شتَّى ألف الدهرُ بينهم ** لهم همم قُصوى أجلُّ من الدهر
يبيتون لكن ما لديهم سوى الهوا ** ولا من سرير غيرَ أرمِدةٍ غُبر (1)

إنهم يلتحفون الهواء، ويفترشون الرماد الأغبر في أرض المحضرة، ولكنهم في أتم الغبطة والرضا ينشدون مع أبي عبد الله بن مرزوق في شرحه على البردة.

أعاذلتي على إتعاب نفسي ** ورَعْيي في الدُّجَى روض السُّهاد
إذا شام الفتى برقَ المعالي ** فأهون فائت طعمُ الرقاد (2)

1 – أنظر تاريخ النحو العربي للدكتور محمد المختار ولد أباه: 437 .
2 – أنظر فهرسة ابن غازي (التعلل برسوم الإسناد): 67 .



## دستور التحصيل وأخلاقيات المحضرة كما رسمها لابنه وأستاذه سيدي محمد بن محمد بن علي مفتي الجزائر في وصيته إليهما.

الحمد لله رب البيت والحُجُب ** منزِّل الوحي والآيات والكُتُب
بدأت نظمي بحمد الله مفتتحا ** كما أتى في افتتاح الذكر والخطب
وبالصلاة على الهادي أُشرِّفه ** محمد طاهر الأعراق والنَّسَب
الفاضح البدر حسناً عند طلعته ** الخاتم الفاتح المنعوت في الكُتُب
قد جاءنا بكتاب الله أنزله ** عليه سبحانه بالمنطق العربي
وكان ينزل جبريل الأمين به ** شيئا فشيئا بحكم الأمر والسبب
فهو الغناء الذي لا فقر يتبعه ** وهو الشفاء لذي ضرّ وذي وَصَب
فقل لمن يعتني بالمال يجمعه: ** العلم أفضل من مال ومن نشب
المال يَفني، ويبقى العلم صاحبُه ** ما دام حيّاً رفيع القدر والرُّتَب
والعلم صاحبه في راحة أبدا ** والمال صاحبه في الكدِّ والتعب
لازم بُنَيَّ كتاب الله، فهوْ لنا ** أجَلُّ من كل موروث ومكتسب
واصْرِفْ إلى حفظه الأوقات مجتهداً ** وانهَض ولا تشتغل باللهو واللعب
فإن حفظت كتاب الله وانفتقت ** عليك أزهاره، فانهض إلى الطلب
وحصِّل النحو إن النحو صاحبُه ** معظمٌ بين أهل الفضل والأدب
من لم يكن عالما بالنحو كان إذا ** حلَّ المجالس معدودا من الخشب
واحفَظ لشيخك ما إن عشت حرمتَه ** واجعَلْه في البر والتوقير مثل أب



قـبِّل يديه إذا لقـيـتـه أبدا ** فكم أفـادك من علـم ومن أدب
وكن كـريما حليـما عـاقلا فطناً ** منزَّه الخُلق عن طيش وعن غـضب
وصُن لسـانك عن هجْـوٍ وعن سـفَـهٍ ** ومن مـجـاورة الأوباش والكذب
واحفظ خصال الرضا عن كل ملتبس ** بهـا، وكن للعُـلا والمجـد ذا طلب
ولا تقل: إن آبائي شـرُفت بهم ** ليس الفتى من يقول اليوم كان أبي
وكنْ صبوراً على غيظ الحسود فما ** يُشـان إن وُضع اليـاقوت في اللهب
لا يسـتوي العِقْدُ من درّ ومن ودَعٍ ** ولا السَّـبيكةُ من صُـفـر ومن ذهب
كذا الطبيعة من خُبث ومن كرمٍ ** والحنظل المُرُّ لا يُقـتـاس بالرّطب
وكن على الصلوات الخمس محتفظا ** فـإن تاركَـهـا مُـشْفٍ على العطب
حصِّل فرائضـها حفظا ومعرفة ** ولا تضـيّع لهـا الأوقـات في سـببِ
عما قليل بحول الله تُبصَرُ في ** صـدر المحـافل للتـدريس والنُّخب
تكون للجمع في المحراب قـدوتَهم ** وترتقي منبَـر الأجـداد للخطب
تُبدي فصاحة سَحْبانٍ وتنثُرها ** بمنطِق رائق أحلى من الضـرَب
وتكتسي حُلل العلم الذي طلعت ** أربابه في دياجي الجـهل كـالشـهُب
مَن فارق العلم حل الذُّلّ ساحتَه ** ولـم يـعظَّم ولم يُـكـرَمْ ولـم يُـهَـب
كم من صـغـير يُرى والعلمُ كبَّره ** مـؤيَّدٍ طاهر للعـز مُكتـسب
وكم كـبـير يُرى والجهلُ صغَّره ** مُـبَكَّتٍ خـامل في الذل والغَلَب
فانظر إلى حكمة الأقدار كيف جَرت ** في ذا وذاك لعـمري غـاية العـجب
وبعدُ يا أيها الأسـتاذ أنت على ** تهـذيب ذا الطفل لا تغـفُل ولا تَغِب
أفِـدْهُ علمـا، وكن فـيـمـا تُعلمُـه ** مـثلَ المشـحّـد يبـدي رَوْنَق الذهب
لا يستوى صِغَرُ التعليم مع كِبَر ** فاللِين في الغصن ليس اللين في الحطب
ولْتكسُه من جمال الخط بجتهَه ** حـتى يُرى دُرراً في كل مُكتَـتَب



وراعِ فيه حقوقاً أنت تعلَمها ** منها الصداقةُ ثم الرعيُ للنسب
وأختِم القول مني بالصلاة على ** خير البريَّة من عُجم ومن عَرب
ما أضحك الروض دمعُ القطر مُنهملا ** وغرَّدَ الطير في الأدواحِ والقُضُبُ (1)

## علو الهمة في الطلب والتحصيل

وكما أبدع المغاربة في حفظ كتاب الله وبَرَعوا في تحصيل علومه، فقد عبروا عن همم لهم في منتهى العلو والسمو، وتجلى ذلك عندهم أكثر ما تجلى في كثرة الترحال، وطول الأسفار في لقاء الرجال، كما تجلى في الصبر على المعاناة في الغربة مع قلة ذات اليد، وطول التردد في البلدان والآفاق، والانتجاع للطرق والروايات، وقد عرَف لهم المشارقة هذا الفضل وسلموه، ونوهوا بكثير منهم فيه.

## رحلة أبي القاسم الهذلي

فهذا القارئ المغربي الجزائري أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة الهذلي البسكري (ت 465 هـ) يقول عنه الحافظ الذهبي في كتاب معرفة القراء الكبار، وطبقاتهم على الأعصار:

1 - من كتاب مجموع القصائد والأدعية في التوسل للشريف محمد بن عبد الرحمن: 48-50

«المقرئ الجوال، أحد من طرق الدنيا في طلب القراءات، رحل من أقصى المغرب إلى بلاد الترك، وكانت رحلته في خمس وعشرين وأربعمائة وبعدها، وقد ذكر الشيوخ الذين قرأ عليهم، وعدتهم 122 شيخا، ثم سمّاهم إلى أن قال نقلا عن كتابه الكامل في القراءات:

«فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا، من آخر المغرب إلى باب فرغانة يمينا وشمالا وجبلا وبحرا، ولو علمت أحداً تقدم علي في هذه الطريقة (1) في جميع بلاد الإسلام لقصدته. قال الذهبي: إنما ذكرت شيوخه وإن كان أكثرهم مجهولين، لتعلم كانت همةُ الفضلاء في طلب العلم. قال:

وألفّت هذا الكتاب -يعني الكامل- فجعلته جامعا للطرق المتلوة، والقراءات المعروفة، ونسخت به مصنفاتي، كالوجيز والهادي وغيرهما، وتوفي رحمه الله بنيسابور ببلاد فارس (2).

وقال الحافظ ابن الجزري في طبقات القراء:

«أبو القاسم الهذلي البسكري (3) الأستاذ الكبير الرحّال، والعَلَم الشهير الجوّال، ولد في حدود التسعين وثلاثمائة تخمينا، وطاف البلاد في طلب القراءات، فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته، ولا لقي من لقي من الشيوخ، ثم نقل قوله في مقدمة كتاب الكامل في تسمية شيوخه المشهورين، وذكر أن نظام الدولة الوزير السلجوقي قرره في

---

1 – في غاية النهاية: في هذه الطبقة.

2 – معرفة القراء الكبار للذهبي: 1/347-350، وكتابه الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها ما زال معروفا مخطوطا، وعندي مصورة منه في مجلد ضخم جدا.

3 – صحفت في غاية النهاية إلى اليشكري بالياء والشين، والصواب ما ذكرته نسبة إلى بسكرة بالجزائر.

مدرسته بنيسابور، فقعد سنين وأفاد، وكان مقدّما في النحو والصرف وعِلل القراءات (1).

وقد اشتمل كتابه «الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها» على ألف وأربعمائة وتسع وأربعين ما بين رواية وطريق، وقد ضمّن الحافظ ابن الجزري كثيرا منها في كتاب النشر (2).

وهذا المقرئ الجليل القاسم بن عبد الرحمن بن دحمان الأنصاري المالقي (ت 575 هـ) يذكر مؤلفُ أعلام مالقة» في ترجمته أنه تلا بالسبع مع خمسين رواية عن نافع وأربعين ومائة عن ابن كثير على المقرئ أبي علي بن يملا، قال: ومحله في العلم وشهرته تغني عن الإطالة فيه والحمد لله» (3).

## طرائف ونوادر تتعلق بعلو همم الطلبة في الطلب وتنكيتهم على الأغبياء

1 – فهذا الشيخ المقرئ الكبير السيد أحمد النجاري (أنجار) الباعمراني من أهل القرن الرابع عشر الهجري، يذكر عنه أنه رمى بلوحه في مسجد قريتهم (4) والتحق بشمال المغرب دون أن يعرج على أسرته ليُخبرهم بقصته، فقد حفظ القرآن بالمسجد المذكور، وانتقل إلى مدرسة بونعمان. وأتقن حرف المكي، وجاء ليزور والديه، فدخل مسجد قريته الذي تعلم فيه أولا عند أستاذه الذي أقرأه القرآن برواية ورش، فوجده يصحح

---

1 – أنظر غاية النهاية: 2/397-401 ترجمة: 3929 .

2 – أنظر أسانيده بكتاب الكامل للهذلي في أول كتاب النشر في القراءات العشر: 1/91-93 .

3 – أعلام مالقة: 337 ترجمة 155 وانظر ترجمته في غاية النهاية: 2/19 ترجمة: 2592 .

4– مسجد بيفُرْةَ بايات يا عمران، وهو مسجدُ أم الدُّفلى» وشيخه به الأستاذ محمد بن إبراهيم .

الألواح القرآنية، فأعطاه الأستاذ لوحا ليصحّحه ويعينه فيما هو مشتغل به، وبعد هنيهة سأل الأستاذ تلميذه قائلا: أي كلمة وصلتها أيُّها النجّاري بالقلم؟ فقال له أبو العباس النجاري «برازقين» في قوله تعالى: (ومن لستم له برازقين) (1) فقال له الأستاذ: هل راء كلمة «برازقين» مفخمة أو مرققة في قواعد الأداء والتلاوة؟ فلم يستحضر النجاري الجواب، واحتار، ووضع اللوح في الحين بجانب الأستاذ، وخرج ولم يودّع أحدا، وآلى على نفسه أن لا يرجع إلى بلده حتى يتقن السبع والعشر.

وفي طريقه بأحد الجبال تعرض له ثُعبان وقت الهاجرة، ولم يكن من النجاري إلا أن ضربة بحافة نعله فمزّقه قائلا:

إن سُمَّ «برازقين» أفْتكُ من سُمِّك.

وسار الطالب النجاري في طريقه، ولم يرجع إلى بلاده حتى أتقن القراءات السبع والعشر وقرأ في بلاد جبالة بمصطلح أهلها وعددهم في القراءات (2)، فلما رجع من رحلته وجد أهل زاوية سيدي وجاج بأكلو في حاجة إلى مقرئ في مدرستهم. فشارط فيها، وأقام يقرئ بها الروايات إلى أن توفي عليه رحمة الله (3) وكان خروجه من مدرسة بونعمان سنة 1210 هـ. وهي يومئذ مدرسة تقرأ فيها القراءات العشر، وكانت وفاته بأكلو سنة 1286 هـ (4).

---

1 – الحجر: الآية 20

2 – كان أكثر قراءته بنواحي تطوان.

3 –انظر هذه القصة بلفظ الدكتور إبراهيم الوافي في كتابه: الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري: 107-108 .

4– مسجد بيفْرْةَ بايت باعمران، وهو مسجدٌ أم الدّفلى» وشيخه به الزستاذ محمد بن إبراهيم .

2 – ومن هذه النوادر في علو الهمة ما ذكره بعض الباحثين عن طالب من نواحي الشياظمة (1) كان يحفظ القرآن برواية ورش حفظا غير تام فدخل ليقرأ الحزب الراتب في جماعة بمسجد مع شيخ يحفظ السبع، فحصلت له هفوات في القراءة أمام الشيخ السبعي خجل منها، ولما انتهوا من قراءة الحزب سأله الشيخ وقد عرف أنه من منطقة يكثر فيها شجر التين: هل نضج التين عندكم أم لا؟ ففهم الطالب الوراشي أن كلام الشيخ مدخول، وأن فيه تعريضا ودلالة على أنه لا يتقن حفظ القرآن، وإنما يتقن أكل التين الذي تعود أن يأكله في بلدته ومسقط رأسه، فأسرّها الشاب في نفسه ولم يتنفس الصُّعداء، إلا بعد أن قطع المسافات من بلاد الشياظمة إلى الزاوية البوسونية ببلاد حمير، ولم يرجع منها لبلده حتى أتقن القراءات السبع إتقانا شهد له به» (2).

3 – ومن هذه القصص في علو الهمة وشمم النفس أيضا ما حدثنا به عن نفسه أحد أصدقائنا من طلبة القراءات الحفاظ (3) أنه لما انتهى من حفظ القرآن شارط في بعض مساجد عبدة سماه لنا، وكان يقرئ فيه الصبيان، «فصنع رجل من الجماعة مأدبة دعا إليها الطلبة، وكان ممن حضرها طالب من حفاظ السبع (4) فكنا على العادة نتناشد الأنصاص القرآنية فأنشدت بيتا فيه شيء من أحكام الرواية، فقال لي الطالب السبعي – وهو يعلم أني لا أحفظ الروايات: اقرأ لنا بما يدل عليه البيت المذكور. قال: وكان ذلك بحضور الطلبة والجماعة، فوقع لي حرج عظيم، وتمنيت

---

1 – هو المقرئ السيد مبارك بوذينه القرمودي –رحمه الله– توفي عازبا في منتصف القرن الرابع عشر الهجري.

2 – أنظر كتاب الدراسات القرآنية بالمغرب للأستاذ إبراهيم الوافي: 108 .

3 –هو السيد الحاج الطاهر الحريري العشراوي العبدري المقرئ المدرس حاليا بمدرسة سيدي الزوين بحوز مراكش، وقد أخبرنا بهذه الحكاية عام 1982 م بمدينة آسفي.

4– هو الشيخ السيد عبد الرحمن بن دحُّ الدكالي نزيل آسفي والمقرئ بمدرسة سيدي علي بن معاشو (المعاشات) بقرب سوق أحد الدرى بالشياظمة قرب مدينة الصويرة إلى وفاته رحمه الله حول عام 1420 هـ .

لو ساخت بي الأرض، ولاحظ بعض الطلبة الحال، فقال لي: هل حان موعد صلاة الظهر؟ قم بنا لنجدد الوضوء، ثم أخذ بيدي، فلما خرجنا جعل يصبّرني ويواسيني. ولما رجعنا إلى المجلس أقفلنا هذا الموضوع، ولكني بعد تفرق الطلبة جمعت الجماعة في المسجد وودّعتهم، وحملت أمتعتي إلى مسجد جديد بحثت عنه قريب من أحد شيوخ القراءات بمدينة أسفي (1) فجعلت اختلف إليه بلوحتي كل يوم في حفظ القراءات حتى ختمت ختمة بالمكي ثم أخرى بالبصري، فحفظتهما عليه حفظا بالغاً، ثم شددت الرحال إلى مدرسة سيدي الزوين فقرأت بالسبع على أستاذها الحاج عابد السوسي –رحمه الله– ثم بالعشر الكبير أيضا، ثم قرأت بالعشر الصغير على الأستاذ السيد علال القاسمي العبدي العشراوي –رحمه الله– فلما قضيت ذلك جئت إلى الشيخ السيد عبد الرحمن بن دحُّ فقلت له: – جئت لتسمع مني ما يدل عليه البيت الذي سمعته مني سابقا. فكنا نقرأ الختمة بالسبع من أولها إلى آخرها.

4– ومن هذه القصص في علو الهمة ما ذكره أيضا بعض الباحثين عن بعض أهل بلده حين سمع من يرميه بنسيان الفن لطول العهد به، فذكر أن أحد الأغنياء شارط مقرئا سبعيا من أجل تعليم ولده وتحفيظه القرآن، فتقوّل الآخرون بدافع التنافس والغيرة في حفظه للسبع، وقالوا: إنه لا يحفظ السبع، وبلغ ذلك إلى علم المقرئ السبعي، وكان قد نوى مغادرة المكان بانتهاء التعاقد (الشرط) فآلى على نفسه أن لا يغادر صاحبه حتى يقرئ

---

1 – هو الشيخ السيد امحمد العبادي شيخ الزاوية بآسفي رحمه الله.



ولدَه القراءات السبع، ويصبح بارعا فيها على مرأى ومسمع من الآخرين، فأقام هنالك حتى أبر الله تعالى قسمه، ومازال تلميذه الذي أبر الله فيه قمسه حيا يرزق، وقد أحيا الله به علم القراءات في جهته إلى اليوم (1)، وهكذا كانت الهمم عند ذوي النفوس الحية (2).

5- ومن قصص علو الهمة وسمو النفس ما رأيته من شيخي الذي قرأت عليه القرآن في صغري، وهو الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري إمام مسجد البير الفائض بالكريمات سابقا، الذي قضى فيه نحو ثلاث وأربعين سنة يقرئ بالروايات المرموز لها بـ«سما» (3)، وقد زرته هناك في عام 1982 م فوجدت عنده القارئ العبدي السيد الطاهر العشراوي -الآنف الذكر- جاء إليه زائرا وباحثا عن شيخ يحفظ الاختبار الخاص بقراءة البصري، فاعتذر له، وأحاله على الشيخ سيدي الحاج إبراهيم النومري إمام مدرسة بن جمّودّ بناحية أكادير، فطلب مني السيد الطاهر العشراوي مرافقته حين أخبرته بمعرفتي به، وأني سبق لي أن زرته في تلك المدرسة وأنا طالب، وفاجأنا شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم بقوله: إنه يتعذر. عليه أن يرافقنا ليقرأ بالاختبار عليه نظرا لتقدمه في السن، وانشغاله بأمر طلبته، ولكنه ألحّ إلحاحا كبيراً على السيد الطاهر إذا قرأ بالاختبار، أن لا يرجع به إلى بلاده حتى يمرَّ عليه ليقرأ به عليه، فكان كذلك، فأخبرني أنه وجد الشيخ قد ختم ثلاث ختمات بالرمزية بقراءة البصري مستعدّاً لقراءة الاختبار حين رجوع السيد الطاهر إليه. فرجع فقرأ عليه شيخناحتى حفظ الاختبار (4).

1 -الشيخ الأول الذي أقسم أن لا يغادر صاحبه حتى يقرئ ولده بالسبع هو السيد محمد بن ابراهيم القرمودي رحمه الله المعروف باسم «سي زروال» وهو من تلاميذ القارئ الشهير ابن العربي الصحراوي البوعطاوي، والتلميذ الذي حفظ عليه السبع وأصبح أستاذا فيها هو شيخ مدرسة المعاشات الفقيه الحاج أحمد بن الطاهر الراجي المشهور بابن الكونتري الشيظمي نزيل الصويرة حاليا شافاه الله تعالى وبارك في عمره.

2 - أنظر كتاب الدراسات القرآنية بالمغرب للأستاذ إبراهيم الوافي: 108 .

3 - هي المعروفة عندنا بقراءة البصري بطريق الإرداف.

4- ما زال هذا الشيخ بقيد الحياة -حفظه الله وبارك فيه- وقد زرته قبل أيام في منزله.

6- ومن قصص هؤلاء النوابغ قصة الشيخ أبي علي الخالدي السكتاني السوسي، في علو الهمة، ترجم له تلميذه القاضي أبو زيد التمنارتي في «الفوائد الجمة» فقال:

«شيخنا الأستاذ الزاهد المتجرد أبو علي الحسن بن إبراهيم الخالدي السكتاني قرأت عليه ختمات بالحرميَّيْن (1)، وبهماباللوح إلى سورة التوبة، وكنت أقرأ عليه في جوف ليلة من الليالي، ثم أحسست بيده أجالها بيني وبين الحائط، فقلت له: إني لم أستند، فضحك فقال: لو فعلت لقمت عنك.

وكان شديد الخُلُق، منقبضا عن الناس، صلباً مع المشايخ، قال لي:

ذهبت صبيحة يوم باردة للأستاذ أبي العباس الزموري (2) لأجود لوحتي، فدققت عليه فخرج، فجلست لأقرأ، فقال: أَخِّرني لسويعة فارجع، فقلت له: لا، فراودني بذلك فأبيت، فدخل عرصة له فاغتسل بالماء البارد، وجوّد لي، فعلمت أنه جنب. قال:

وأتيت مرة أبا العباس المنجور (3) بلوحتي، فجلست بين يديه، وتعوذ وشرع في القراءة فسكت، فقال لي: اقرأ، وكان متلثما، فقلت له: حتى تحط اللثام، ألم يبلغك أن القراءة تؤخذ من أفواه الرجال؟ فحط اللثام، فقرأت معه.

وأتيناه مرة وهو في جمع من الفقهاء بجامع القرويين نجوّد عليه، فقال لنا: لغير هذه الساعة، فانصرف أصحابي وبقيت، فقال لي: وأنت؟ فقلت" أنا هذه الساعة أحب! فجَوِّدْ لي، فسُرَّ بذلك.

---

1 - يعني بقراءتي نافع وابن كثير المكي.

2 - هو الأستاذ المقرئ أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر الزموري الصنهاجي النحوي نزيل فاس، توفي سنة 1001 هـ أنظر درة الحجال لابن القاضي 154/1 والإعلام للمراكشي 43/2 .

3 - هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن المنجور الفاسي صاحب الفهرس المشهور، توفي سنة 995 .



وقال لي: ختمت القرآن باللوح على المشايخ ستا وثلاثين مرة، وحققته وأحكامه من أفواه المشايخ، وكان يسألني عند القراءة عن وجوه اختلاف القراءات فأجيبه بسند ذلك من العربية أو النحو أو التصريف، وكان لا يُحسن شيئا منها» (1).

## من غرائب الأخبار في سرعة الحفظ

أخرج الخطيب أبو بكر البغدادي بسنده عن العباس بن الفضل، حدثني محمد بن أبي السريّ البغدادي قال: قال لي هشام بن الكلبي: «حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيتُ ما لم ينسَه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتا وحلفت أن لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن، فحفظته في ثلاثة أيام» (2).

## قصة الشيخ الأنسوي الجزولي الشهير بأحمد (أحماد)

7 – ومن أمثلة علو الهمة: الشيخ الأستاذ المحقق أبو عبد الله محمد بن علي الجزولي الرحالي الأنسوي (3) الكفيف (ت 1009 هـ) الشهير بأحمد من خريجي محضرة الترغي: قال عنه تلميذه أبو زيد التمنارتي في فهرسته:

1 – الفوائد الجمة: 145-146

2 – تاريخ بغداد للخطيب: 45/14-46 ترجمة 7386 .

3 – نسبة إلى أنسا، وهي مدينة مندثرة براس الوادي بسوس قرب أولوز، تقدمت الإشارة إلى مرور الرحالة العبدري عليها في رحلته الحجازية، وقال عنها آخر بلاد السوس من أعلاه، وأنها خلت من كل قارئ ومقروء عليه، وقاصد ومقصود إليه» أنظر الرحلة: ص 8 ، وانظر ترجمة الأنسوي في مناقب الحضيكي: 45/2 والإعلام للمراكشي 226/4-227 .



«شيخنا الأستاذ المحقق.. أخذ عن الأستاذ الترغي (1) أخذ إحاطة واعتبار. ومن مظاهر سمو نفسه وعلو همته ما حكاه التمنارتي قال:

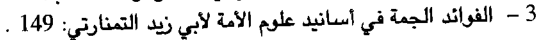
«وقال لي: لي سنة كاملة وأنا أرِدُ باب الشيخ محمد بن يوسف الترغي للقراءة عليه فيدفعني عنه، وربما يخرج ويجدني ببابه، فيقول: مازلت يا أعمى لم تقنط؟! فيطردني، حتى تمت السنة وأنا في ملازمة بابه.

ولما أراد الله أن يفتح علي جئته في يوم مطر متلوثا بالطين، فقعدت ببابه، فخرج عليَّ وأدخلني، وبكى بكاء كثيرا، فقال اقرأ، فقرأت عليه بالسبع. ولازمني فلم يمض إلا قليل، ففتح الله علي بحفظ جميع طرقه، وأذن لي في التجويد، وكتب لي الإجازة عن شيوخه».

قال التمنارتي:

ورد علينا بتارودانت ولم يطل بها مُقامه، ثم رجع إلى مراكش، ثم انتقل منها لزاوية شيخنا أبي محمد عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم (2) وبقي عنده مكرما إلى أن مات في رمضان سنة تسع وألف بالطاعون الواقع في ذلك التاريخ، ودفن هناك وقبره معروف مزاره» (3).

ثم قال التمنارتي مما يدل على صلابة عزيمة هذا القارئ الفحل، وهو يذكر شيخه التالي: المعروف بالفاسي:



1 – هو محمد بن يوسف الآنف الذكر نزيل تارودانت، ومعلم أبناء الملوك بها في عهد السعديين.

2 – تقع في مركز سوق الجمعة بايت داود من قبيلة حاحة قبلة مركز سميمو، وهي تابعة لإقليم الصويرة وتبعد عنها بنحو ثمانين كلم، وقد زرتها قبل عشرين عاما وصليت في مسجد الزاوية المذكورة، وهو مسجد عتيق، ولم أجد فيه الطلبة، لأن الزمن كان زمان عواشر فيما أذكر، ولعله المسجد نفسه الذي بقي فيه الأنسوي إلى وفاته رحمه الله.

3 – الفوائد الجمة في أسانيد علوم الأمة لأبي زيد التمنارتي: 149 .



«شيخنا الأستاذ أبو عبد الله محمد بن علي السكتاني المعروف بالفاسي، وإنما قيل له: (الفاسي) لأنه قاد الأستاذ الكفيف المذكور من مراكش إلى فاس حين كان يقرأ عليه ورده كذلك إلى مراكش، وحمل الطرق العشر (1) عن مشيخة فاس.

قال التمنارتي: «قرأت عليه صدرا من الشاطبية وأوائل الأصول، ولم يزل في قيد الحياة حفظه الله» (2).

## رسالة أبوية إلى معلم صبيان ترسم له دستور التعليم في رحلة ( التخنيشة )

في كتاب المعسول للأستاذ محمد المختار السوسي رسالة أبوية أتحفنا بها ترسم لمعلمي الصبيان بنود دستور التربية والتعليم كما تمثلها هذا الوالد حين بعث بفلذة كبده إلى الكتاب، ويتعلق الأمر برسالة الشيخ عبد الله الجشتيمي السوسي إلى معلم ولده عبد الرحمن، والوالد هو عبد الله بن محمد التملي الجزولي الجشتيمي (ت 1198 هـ) (3) والولد هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي العالم المشهور (ت 1229هـ) صاحب المواقف والفتاوي العلمية الكثيرة (4) وأول رسالة الوالد قوله بعد الافتتاحية:

---

1 - يعني العشر الصغير، وهي الروايات الأربع عن نافع من طرقها العشر كما أخذ بها المغاربة.

2 - الفوائد الجمة: 150 .

3 - له ترجمة بقلم ولده في كتابه: مناقب أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله الجشتيمي وهو مخطوط في الصفحة : 23-25 منه وانظر المعسول: 6/8-19 .

4 - ترجمته في المعسول: 6/21 وما بعدها.



«أما بعد فهاك ولدي عبد الرحمن -كمل الله فيه رجاءنا ورجاءك- فاحفظه من الخروج مع الصبيان والكبار للسّكك والديار والفدادين، لا يخرج إلا لقضاء حاجة الإنسان، ولا يذهب به أحد للدار قريبا أو بعيدا، إلا أن تذهب معه، ولا يقعد مع كبار الصبيان وغيرهم، وأدبه بحسن الآداب، من غض البصر، وقلة الكلام، وتقليل الشرب والأكل والضحك، ولا يرفع فيك العينين، ولا يكلمك إلا في استفتاء أو نحوه، ولا تترك أحدا أن يتكلم معه حتى ولدك ، فمن أراد أن يعطيه شيئا فليأت به إليه، ولا يأكل حتى يجوع. فإن إدخال الطعام على الطعام مضرة عظيمة، والجوع أنفع من الطعام، ولا يكثر الشرب، ولا يشرب إثر الأكل حتى تمضي ساعة، ولا يذكر له أحد هذه البلاد فيشوش عقله، وعبس له في وجهك، وأغلِظ له كلامك، وخوّفه أول ما جاء حتى يخافك، ثم ارحمه.

وابدأ لوحه من أول (البقرة) يكتب بيده بسرعة، وعلمه الكتابة، وكيف يقرأ بسرعة من غير ترديد الكلمات، فإذا محا لوحته قرأها، وبعد الكتابة، وبعد التصحيح، وعند القائلة، ولينم قليلا قبل الظهر، وكلما رفع بصره عن لوحته لنظر أحد أو لاستماعه زجرته، ونبّهه من النعاس فإنه كثيره.

وشد مئزرك لتؤدي حق تلاميذ أهل البلدة، فلا يشغلنك عنهم ولدي، وانههم عن الكذب، والحلف إلا أن يشاء الله، ولا يأكل ولا يشرب حتى يسمي الله، ويحمد آخره، ويسمى عند الرقود ، وعند الدخول والخروج، ويفتتح القرآن بما كان يقوله أولا، فما علمت فيه الحرام أو الشبهة فلا تدعه يأكله، فإن كل لحم نبت بالحرام فالنار أولى به...»

ولا تتركه يتعدى على الصبيان حتى بالكلام، فإنا أردناه للمسكنة والصلاح، فالله يربّحك منه ومنا، ويرزقك وإياه ما تتمنى في دار الدنيا والآخرة، ولا تبعثه إلينا حتى ترى كلامي، فإن جاء من غير أمرك فالحقه

في الطريق، واضربه إلى هناك، فهو ولدك قد وكلتك عليه توكيلا مفوَّضا، ولا تطلع على سره أحدا في القراءة ولا غيرها، فمن سألك عنه فقل له: نرجو له الخير، فالله ينفعه وغيره على يدك، ويكثر بك النفع في المسلمين، آمين» (1).

هذه هي الرسالة النموذجية التي تمثل الرغبة الصادقة من الآباء في تعليم أبنائهم كتاب الله تعالى، وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة والتشبع بآداب المحضرة مع الشيخ وغيره، وترسم للمعلم دستور المعاملة مع الصبيان.

وقد لاحظ العلامة محمد المختار السوسي في التعقيب عليها أنها «تَجمع لُباب الآراء في تربية النشء، خصوصاً نشءَ البادية وأبناء العلماء، وقد برهنت على نية الأب في ولده، وعلى أنه يريد النصح للجميع، كما أن فيها ما لا يُحبذه أصحاب علم هذا العصر فيما جرّبوه، ولهم فيه رأيهم الخاص اللائق بهم، ولعبد الله نظره الخاص اللائق ببيئته» (2).

## تجزئة القرآن
## للحفظ والاستظهار والكتابة في اللوح

1- تجزئة الخمس آيات أو السور القِصار، وهي لتعليم الصغار والمبتدئين (3).

2- تجزئة عشر آيات، وهي المأخوذ بها عند السلف كما أشار إلى ذلك أبو مزاحم الخاقاني في قصيدته في القراءة والقراء في قوله:

---
1 - المعسول: 18/6
2 - نفسه: 18/6-19
3 - العبدري في المدخل: ص 7 .

وحكمك في التحقيق إن كنت آخذاً ** على أحـــد أن لا تزيد على عـــشـــر

3- تجـزئة ثلاثين آية، وبها عـرض ورش على نافع، إلا أن أصـحـابه كانوا يساعدونه نظرا لغربته عن البلد، فكان كل واحد من أبناء المهاجرين والأنصار يهبه من حصته في العرض حتى ختم على نافع أربع ختمات في شهر، وخرج عائدا إلى مصر (1).

4- تجزئة الأثمان أي ثمن الحزب لكل يوم، وعليها العمل في المغرب في تحفيظ القرآن لمن تجاوزوا التعليم الأوّلي ونمت ملكة الحفظ عندهم. والعادة أن يُملي الشيخ على المتعلم نصف اللوح، ثم يعمل على حفظه في أول الصباح، ثم يعرضه عليه، ويكتب له النصف الباقي فيقرأ فيه فيما بقي من فترة الصباح، ويعرض الجميع قبل الانصراف إلى منزله.

5- تجـزئة الأرباع - وهي ربع الحـزب لكل يوم، وتكون عـادة في أواخر الختمة الأولى وجميع الختمة الثانية والثالثة، وفيها يكتب لوحه بنفسه بالإملاء عليه، ويتدرب على الرسم.

6- تجـزئة أنصـاف الأحـزاب، وهي المرحلة الموالية، وفيـهـا يهتم بتصحيح الرسم والضبط وحفظ الأنصاص، وأخذ قواعد الأداء والتجويد وتحقيق مواضع الوقف.

ويأخذ بها أيضا أصحاب الروايات بمعدل ربع في كل جهة من اللوح يحفظان جميعا في كل يوم.

7- تجزئة الأحزاب، وهي تقسيم المصحف إلى ستين قسما، يسمى كل قسم حزبا، والعمل على هذا التقسيم في المصاحف المغربية من قديم كما جرى العمل على هذا التقسيم في المغرب من عهد الموحدين في قراءة

---

1 - غاية النهاية لابن الجزري: 503/1



الحزب بمعدل ختمة كل شهر، أي بقراءة حزب بعد صلاة الصبح، وحزب بعد صلاة المغرب، وهذا هو الغالب اليوم في الحواضر.

- وفي أكثر البوادي- لا سيما في جنوب المغرب وشرقه، يجري العمل على قراءة «الحزب الناصري» أو ما يعرف باسم «حزب الشيخ» والمراد به الحزب الذي اختاره الشيخ أبو العباس أحمد بن ناصر صاحب الزاوية الناصرية بتامگروت الذي رتب لطلبة القرآن قراءة الحزب عِوَض الوِرد الذي يعطيه في طريقته للعامة، ويختم فيه القرآن الكريم كل خمسة وثلاثين يوما بمعدل حزب في الصباح وحزب في المساء، إلا في صباح الجمعة فتقرأ سُوَرُ يس والدخان والواقعة والملك، بدلا من الحزب المعتاد، وإلا في مساء يوم الخميس فتقرأ سورة الكهف وحدها.

8- تجزئة الأجزاء، وهي ثلاثون جزءاً بمعدل حزبين في كل جزء، وتغلب هذه التجزئة في المشرق.

9- الخَمَسات، وهي اثنتا عشرة خمسة، وقد تسمى باسم «السلكة» أو «الربعة» أو «التفريق» وهي مستعملة عندنا كثيراً في توزيع القرآن الكريم على القراء من أجل قراءة ختمة كاملة ولذلك يطلق اسم «السلكة» على المناسبة نفسها، وهي عادة تكون في مقدمات الأعراس وفي المآتم.

- كما تستعمل الخمسات أيضا لمراجعة «الأسوار» من طرف المبتدئين.

10- تجزئة الأسباع، وتوجد في بعض المصاحف المغربية، يقسمون القرآن إلى سبعة أسباع بحسب ما يقرأ كل يوم من أيام الأسبوع.



11- تجزئة السبعة والعشرين جزءاً، والغرض منها أن يوافق ختمه ليلة السابع والعشرين من رمضان ليشهد الجميع نهاية الختمة.

12- التجزئة من أجل قيام الليل، وهي خاضعة لاختيار القارئ، وربما راعى فيها التقسيم الثابت عن السلف إلى: السبع الطوال - والمثاني - والمئين - والمفصل . وبيان ذلك في كتب علوم القرآن.

وأهم هذه التقسيمات والتجزئات في الكتاتيب والمحاضر، معرفة رؤوس الأثمان والأرباع والأنصاف والأحزاب ورؤوس الخمسات، للحاجة اليومية إليها في كتابة الألواح، لتحديد المقدار الذي يتناسب مع مستوى المتعلم، وكذلك لحاجته إليها لتحديد ما يطلب منه عرضه أو مراجعته من الأسوار، وكذلك من أجل قراءة الحزب الراتب. وقد أشار بعض العلماء إلى هذا التقسيم الذي عليه العمل إلى اليوم في جميع أقطار المغرب العربي، وعلى أساسه طبعت المصاحف المتداولة فيها بروايتي ورش وقالون عن نافع، فقال الشيخ محمد الطاهر التليلي التونسي في نظمه الموسوم بتلخيص الأرقام والأعداد، لما وجد في القرآن من الأعداد، وهو نظم يشتمل على 589 بيتا من الرجز فرغ من تبييضه كما قال سنة 1403هـ.

وقسَّموا القرآن بالأجزاء ** إلى الثلاثين على السواء
فكل جزء ضمنه حزبان ** والحزب في أثمانه ثمانٍ
أرباعه أربعة مألوفة ** لكل رُبْع حصةٌ معروفة (1)

---

1 - أنظر كتابه: مسائل قرآنية - منظومات: 137 .



ومماجاء من الأدبيات في أجزاء القرآن الكريم هذه القطعة التي اختارها أبو إسحاق الحصري القيرواني من شعر أبي الفتح كشاجم قال:

من يَتُبْ خشية العقاب فإني ** تُبت أُنسا بهذه الأجزاء
بعثتني على القراءة والنسكِ، وما خِلتُني من القُراء
حين جاءت تروقني باعتدال ** من قدود وصيغة واستواء
سبعة أشبهت لي السبعةَ الأنجُمَ ذات الأنوار والأضواء
كُسيت من أديمها الحالك اللو ** ن غِشاءً أحبِبْ به من غشاء
مشبِهاً صِبغة الشباب ولمَّا ** تِ العذارَى وَلِبْسة الخُطباء
ورأت أنها تُحَسَّن بالضِّدّ، فتاهت بحلية بيضاء
فهي مسودَّةُ الظهور، وفيها ** نورُ حقّ يجلو دُجَى الظلماء
وكأن الخُطوط فيها رياضٌ ** شاكرات صنيعة الأنواء
وكأن البياضَ والنَّقط السُّو ** دَ عبيرٌ رشَشته في مُلاء
وكأن العشور والذهب السا ** طع فيها كواكبٌ في سماء
وهْي مشكولة بعِدّة أشكا ** ل، ومقروءة على أنحاء
فإذا شئت كان (حمزة) فيها ** وإذا شئت كان فيها (الكسائي)
خُضْرةٌ في خلال حُمْرٍ وصُفْرٍ ** بين تلك الأضعاف والأثناء
مثلَما أثّر الدَّبيب من الذَّ ** رِّ على جِلْدِ بَضةٍ عذراء (1)
ضُمِّنَتْ محكَم الكتاب كتابِ الله ذي المَكرُمات والآلاء
فحقيق علي أن أتلو القر ** آن فيهن مُصبحي ومَسائي» (2)

---

1 - رواية الديوان: «غضة غيْداء»

2 - زهراء الآداب للحصري: 2/441-442 .



# أرجوزة اللؤلؤي في آداب الطلب والإجمال فيه

ومما يؤثر عن علمائنا المتقدمين في آداب الطلب، هذه الأرجوزة العصماء، وهي مما اختاره الإمام أبو عمر بن عبد البر النمَري القرطبي في كتابه «جامع بيان العلم وفضله، وما جاء في روايته وحمله» ومهد لها بقوله:

«وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم، ما ينسب إلى اللؤلؤي من الرجز، وبعضهم ينسبه إلى المأمون، وقد رأيت إيراد ما ذكر من ذلك لحسنه، ولما رجوت من النفع به لمن طالع كتابي هذا نفعنا الله وإياه به، قال:

واعلم بأن العلم بالتعلم ** والحفظِ والإتقان والتفهم
والعلمُ قد يُرزَقُه الصغير ** في سِنِّه ويُحَرمُ الكبير
فإنما المرء بأصغرَيه ** ليس برجليه ولا يدْيه
لسانُه وقلبه المركَّبُ ** في صدره، وذاك خَلق عجَب
والعلمُ بالفهم وبالمذاكرة ** والدرْس والفكرة والمُناظرة
فرُبَّ إنسان ينال الحِفْظا ** ويورد النص ويحكي اللفظا
وما له في غيره نصيبُ ** مما حواه العالم الأديب
ورُبَّ ذي حِرصٍ شديد الحُب ** للعلم والذكر بليدِ القلب
معجَّز في الحفظ والرواية ** ليست له عمن روى حكاية
وآخرٌ يُعْطى بلا اجتهاد ** حفظا لما قد جاء في الإسناد
يهُذُه (1) بالقلب، لا بناظرِه ** ليس بمُضْطَرٍّ إلى قماطره
فالتمِس العلم وأجمل في الطلب ** والعلم لا يحسُن إلا بالأدب
والأدبُ النافع حسنُ السمْت ** وفي كثير القول بعضُ المقت

---

1 - يسرده حفظا



فكن لحسن الصمتِ ما حَيِيتا ** مـقـارفـا تحـمَـدُ مـا بقـيـتـا

وإن بدَتْ بين أناس مــســألة ** مـعـروفـة في العلم أو مـفـتـعلة

فـلا تكن إلى الجـواب سـابقـا ** حـتى ترى غـيـرك فـيـهـا ناطقـا

فكم رأيتُ من عـجـول سـابقٍ ** من غـيـر فـهم بالخطاء ناطقٍ

أزرى به ذلك في المجـالس ** عند ذوي الألبـاب والتـنافُس

والصـمت فـاعلم بك حـقـا أزين ** إن لم يكن عندك علم مُـتـقـن

وقل إذا أعـيـاك ذاك الأمـرُ ** مـا لي بما تسـأل عنه خُـبْـر

فـذاك شطر العلم عند العُلَمَـا ** كـذاك مـا زالت تقـول الحُكَمَـا

إيَّاك والعُـجْب بفـضل رأيكا ** واحـذر جواب القول من خطائكا

كم من جـواب أعـقَب الندامـة ** فـاغـتنِم الصـمت مع السـلامـة

العلم بحـر مُنتـهـاه يَبْـعُـدُ ** ليس له حَـدٌّ إليـه يُقـصَـدِ

وليس كلُّ العلم قـد حـوَيْتـه ** أجل، ولا العُشْر ولو أحصيتَه

ومـا بقي عليك منه أكـثـرُ ** مما علمت، والجَـواد يعـثـر

فكن لما سمعتَه مسـتفـهمـا ** إن أنت لا تفـهـم منه الكلمـا

القـول قـولان: فـقـول تعـقِله ** وآخـرُ تسـمَـعـه فـتـجـهَله

وكل قـول فـلـه جـواب ** يَجْـمَـعـه البـاطل والصـواب

وللـكـلام أولٌ وآخـرُ ** فافـهمـهما، والذهنُ منك حـاضـر

لا تدفَـع القـول ولا تَرُدَّه ** حـتى يؤدّيك إلى مـا بَعـدهُ

فـربما أعـيـا ذوي الفـضـائل ** جـواب مـا يُلقَى من المسـائل

فـيُمسكوا بالصمت عن جوابه ** عند اعتراض الشك في صـوابه



ولو يكون القـول في القـيـاس ** من فـضـة بيـضـاءَ عند الناس
إذن لكان الصـمت من خـيـر الذهب ** فـافـهم هداك الله آداب الطلب (1)

وهذه الآداب وإن كان الناظم قد توجه بها إلى طالب العلم الشرعي الخائض في مسائل الفقه، والمحتاج إلى المناظرة، فإنها قد تضمنت من التوجيهات العامة ما يعتبر طالب القرآن أحوج إليها من غيره، ولاسيما خلق التواضع، فإنه سيد الشمائل ورأسها، وهو تاج الحلى التي يزدان بها كبار القراء، وأئمة العلماء، وما مدح التواضع بأحسن من قوله عليه الصلاة والسلام: «من تواضع لله رفعه».

1 - جامع بيان العلم وفضله: 1/146-148 .



# مِن ذكريات الكُتَّاب والمَحْضَرَة

ومن أشعار المؤلف من قطعة الإهداء التي قدَّم بها إلى القارئ المغربي دراسته التي نشرتها له وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مؤخراً بعنوان:

## [قراءة الإمام نافع عند المغاربة من رواية أبي سعيد ورش]

## إلى قارئ الذِكر الحَكيم

بَيْني وبَيْنك كَم نَسَبْ ** نُنْمَى إليهِ، وكَمْ سَبَبْ
شَتَّى الوشَائِج بَيْنَنَا ** نُدْلِي بِهَا عِنْدَ النَّسَب
في اللَّوْح مُنْتَظِمَ السُّطو ** رِ يَخُطُّهُ قَلَمُ الْقَصَب
في الصَّمْغ مِنْ مُهَج المَحَا ** بِرِ قَدْ تَحَدَّرَ وانْسَكَب
في الحَرْفِ مَمْشُوقَ الْعَذَبْ ** في الخَطِّ مُعْتَدِلَ النِّسَبْ
في الشَّيْخ مَرْهُوبَ الجَنَا ** بِ إذا اسْتَبَدَّ بِهِ الْغَضَب
في كلِّ مَحْضَرَة سَبَب ** يُدْنِي إلَيْكَ عَلَى كَثَب
رَحِمٌ أحَقُّ بأن تُرَى ** تَرْعَى لَهَا حقّاً وَجَب
يا قارئَ الذِكرِ الحَكيم أجَلّ عِلْقٍ يُكْتَسَب
يا ناذِراً للعُمْرِ فِيهِ عَن المَكاسب والنَّشَب
مُتَبَوِّئاً مِنْ عِلمِه ** أسْنَى المَنَازِل والرُّتَب
يَطْوي عليْهِ جَنَانَه ** يَتْلُوه مُلْتَزِمَ الأدب
أُهْدِيكَ مَقْرَأ نَافِعِ المَدَنِيِّ قارئِكَ الأحَبّ
عِنْدَ المغارِبَةِ الأُلَى ** جَعَلُوهُ أفضَلَ مُنْتَخَب



أرسلتُ في تاريخِه ** قَلَمي يُلَمْلِمُ ما انشَعَبْ
ويجُوسُ في أرجَائِهِ ** بَيْن المَدارس والشُّعَبْ
وأَدَرْتُ حَوْلِ رجَالِهِ ** أشْهَى إليك من الضَّرَب
فإذَا رضيتَ نَسِيجَهُ ** فلقَدْ أصبْتُ بِكَ الأَرَب
وَمَتَى يَكُنْ عَيْبٌ بِهِ ** فَالصَّفْح مِنْ شِيَمِ العَرَب
ولَرُبَّ عُذْرٍ سُقْتُهُ ** إنْ كَانَ عُذْرٌ قد وَجَب

أنّي مَهَدتُ لك الطريق، ولم أُقَصِّرْ في الطَّلَب

[ورقة **الإهداء في أول كتاب قراءة الإمام نافع:** 6/1 ].



# الكتاب القرآني
# وصلاة الاستسقاء وطلب الغيث
# وما يصنع من «المعروف» لذلك

ومن السنن المألوفة في الحواضر خاصة، وربما في بعض البوادي أيضا، إقامة صلاة الاستسقاء عند حدوث الجدب أو تخلف المطر عن وقته.

ففيما أدركنا الناس يفعلونه في كل سنة غالبا في أولْ الموسم الزراعي أو في أثنائه، أنهم إذا طال عهدهم بالغيث، قام رجال من الجماعة المحلية فطافوا على منازل القرية يجمعون من أهلها ما يعطونهم من مال، أو جشيشة شعير، أو غير ذلك، ثم يشترون، أو يعطيهم بعض أصحاب الأغنام شاة من غنمه، فيختارون يوما من أيام الأسبوع، والغالب أن يكون يوم الأربعاء أو الجمعة، فيذبحون الشاة، ويطبخون الطعام في «أخربيش» الجامع، ويطعمون منه الطالب وصبيان مسجده وطلبته ومن حضر، ثم يقرأون «التفريق» وما تيسر من التلاوة، ويختمون بالدعاء، وربما أخذوا سطلاً من الماء فرشوا به ساحة المسجد، ونضحوا به في وجوه من هناك تفاؤلا بالسُّقيا.

ويسمون هذا باسم «المعروف» (1) وهو خاص بطلب الغيث، ولا يصلون فيه صلاة الاستسقاء، وإنما يكتفون بصلاة الفريضة والدعاء بعدها.

1 - ومن الطريف أن نساء البلد يقمن أحيانا بمثل هذا التجمع فيما يسمونه «تاغنجا» ولكن اجتماعهن لا علاقة له بالمسجد وصبيان المكتب، لأنه لايشارك فيه غير الإناث، ومن عادتهن أن يسقن بقرة يضعن على ظهرها ثوبا يجللنها به، ويسرن خلفها إلى أن تبول على الثرى فتبلها، فيرين أن فعلها ذلك إذا كان عاجلا دل على قرب المطر، وإذا كان غير ذلك دل على استمرار القحط، وذلك ولاشك سخف وتدجيل، ولعله لذلك صار في طريقه إلى الاقراض إلى غير رجعة، وأحسبه من بقايا الوثنية القديمة.

وأما في الحواضر فالأمر مختلف، إذ يندب الناس إلى الاستعداد لها قبل أيام، وذلك ليصوموا ما تيسر قبل طلب السقيا وقبل الخروج إلى صلاة الاستسقاء مع إمام المسجد، كما يؤمرون بالإكثار من الصدقات وأعمال البر، كصلة الأرحام، وتفقّد الأرامل والأيتام، ويُؤمر المؤدبون بإعداد صبيان مكاتبهم بألواحهم المكتوبة للخروج مع الناس إلى المصلى، وتعطل القراءة في هذه الكتاتيب والجوامع ذلك الصباح أو في اليوم كله للحفاوة بهذه المناسبة، ويكون هذا اليوم يوما مشهودا.

وقد اعتبر بعض الباحثين من شروط القبول عند الطالب (الفقيه) المترشح للشرط في الشمال المغربي ومن تمام مؤهلاته التي تؤهله لهذه المهمة:

«أن يكون عارفا بمناجاة الاستسقاء وطلب الغيث عندما يتوجه بتلامذته لصلاة الاستسقاء، أو عند التجمعات الطلابية لنفس الهدف، بينما الطلبة يقرأون أسلاكا من القرآن الكريم يكون التلاميذ الصغار يطوفون بالمسجد يرددون استغاثات وتضرعات إلى الله العلي القدير بأن يرحمهم ويُمطر عليهم قطرات المطر» (1).

وما تزال هذه السنة الحسنة في خروج الصبيان إلى الاستسقاء بألواحهم في كثير من الحواضر إلى اليوم، وهم في العادة الجارية من قديم يدعون إلى ذلك عن طريق المؤدبين لهم فيحضرون، ومع كل مؤدب صبيانه، ويكون اجتماعهم في المسجد الأعظم من المدينة من حيث ينطلق

---

1 - كتاب الأنصاص القرآنية: 37/1 وانظر بعض التوسلات التي ذكرها هناك.



موكب الإمام إلى مصلى الاستسقاء، ومعه المصلون، وبين أيديهم الصبيان بألواحهم يرددون معهم بعض الأدعية التي يتلقنونها، وأكثرها انتشارا واستعمالا قولهم:

«اللهم اسق عبادك، وبهائمك (1)، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت».

وكثيرا ما يرددها أهل المساجد في أعقاب الصلوات اليومية كلما أحسوا بتخلف المطر.

ومن الأدعية الجارية كثيرا في طلب السقيا في البوادي قولهم في الطريق إلى المصلى:

مولانا نسعى رضاك ** وعلى بابك واقفين
لا من يرحمنا سواك ** يا أرحم الراحمين
دخلنا عليك بالمختار ** والصحابة والأنصار
غِيث عبادك بالمطر ** يا عزيز يا غفار

وكثيراً ما نسمع الأطفال في أوقات الجدب ينشدون في جماعات وهم يسيرون في الدروب والأزقة بأصوات مرتفعة قولهم:

السبولة عطشانة ** وغِثْهَا يا مولانا (2)

---

1 – هكذا يذكرها أهل البادية، وفي الحواضر يقولون: وبهيمتك، وكلاهما صواب.

2 – والملاحظ أنه لضعف الثقافة المحضرية في الساحة أخذنا نسمع من الأطفال بدائل أخرى ليس فيها شيء من الحس الديني كقولهم وهم يخترقون الأزقة:

الشتا تاتا تاتا ** يا أولاد الحرّاثه
الشتا صَبِّي صَبِّي ** را وْلايْداتَكْ في قِبِّي

ولاشك أن هذا لغو من القول الصبياني لا معنى له، ولا فيه شيء من الضراعة لله عز وجل وطلب السقيا منه.



## سنة الاستسقاء بالصبيان وكتابة الألواح لذلك

تقدم لنا في رسالة آداب المعلمين لسحنون قوله، ونقله أيضا أبو الحسن القابسي فيما يلزم المؤدب أن يعلم صبيانه:

«وإذا أجدب الناس فاستسقى بهم الإمام، فأحب للمعلم أن يخرج منهم بمن يعرف، ليبتهلوا إلى الله -عز وجل- ويرغبوا إليه، فإنه بلغني أن قوم يونس- عليه السلام- لما عاينوا العذاب خرجوا بصبيانهم يتضرعون إلى الله تبارك وتعالى بهم معهم، فرفع عنهم العذاب» (1).

قلت: ومن الأناشيد العتيقة التي يتداولها طلبة القرآن عندنا إلى اليوم وينشدونها في المجامع إذا تخلف المطر، وفيها الإشارة إلى قصة قوم يونس عليه السلام:

سُقْيا لأرض غَشَاها القحط من زمن ** فامنن بغيثك يا منّان يا الله
الغيث رحمتنا، والما معيشتُنا ** والقحط يُهلكنا فاصرفه يا الله
أَرْوِ البلاد بغيث مُسبل هاطِلٍ ** تُحيي به الزرع والأشجار يا الله
وارحم تضرعَ مَن يدعُوك يا صمَدُ ** يا غَافِرِ الذنب يا ذا العفو يا الله
وارحم طيورَ الهوا في الجوّ طائرةً ** وارحَم بهائِم في مَرعاها يا الله
الشيخُ والطفل والنِّسْوان قد قَنَطوا ** وكلُّ حيّ من الأنعام يا الله
أجِبْ دعانا ولا تُشمِتْ بنا أُمَماً ** لم يَعرفوك ولم يَدْعوك يا الله
وقَوم يونس إذ أحاط البلاءُ بهم ** نجّاهم ربهمْ إذ قالوا يا الله
ثم الصلاة على المختار سيدنا ** ما دامت الشمسُ والأفلاك يا الله (2)

---

1 – رسالة آداب المعلمين: 362 .

2 – من محفوظاتنا في المحضرة، ويسميها الطلبة في شمال المغرب «استغاثة نملة» أنظر الأنصاص القرآنية 37/1 .



وقال بعض الزجالين الشعبيين من مراكش من قطعة بعنوان «جاد العاطي» يصور أيام الجفاف وعادة خروج الصبيان بالألواح يستمطرون شآبيب الغيث من الرحمن سبحانه عند احتباس المطر:

كنا صبيانْ والبالْ مَرْتاح ** دُوارْنا ما يْزُوروهْ سُواح
نحملْ الگلال في كلْ صباح ** وكل خطوة للبيرْ أفراح
جات للدوار أيام عْجاف ** جفّ البيرْ، والوزن خفاف
كل واحد حْزنْ وخاف ** وقال خيِّمْ علينا الجَفاف
(لْمَحَضْرة) رافعين (الألواح) ** احْنَا صبيان، واش دَرْنا؟
يا رب ليك ادْعِينا ** الطَف بنا، ولا تْحافينَا
غْيامْ الحال في رَمشة عِين ** جادْ العاطي بمطر غزير
جرت سواقي يَبْست سْنين ** جود العاطى ما له تقدير
مَنُّو الرحمة منّو الغْوين ** ضامَنْ الأرزاق بيِدو الْمصير (1)

# عادة كتابة اللوح غير منقوط الحروف في الاستسقاء عند طلبة البادية

ومن طريف ما رأيته عند بعض شيوخي في المحضرة قبل أكثر من خمسين سنة (2) كتابة ربع (ولو بسط الله الرزق لعباده) من آخر سورة الشورى في لوح كتابة خالية من النقط، ثم تعليق هذا اللوح على مكان مرتفع مواجها للجهة التي تهب منها رياح الشتاء غالبا، وهي الغرب، ولست أدرى متى نشأت هذه العادة المحضرية ولا المستند الذي جعلهم يكتبون

1 - ديوان سنابل الخَريف لمحمد بريكي بلقائد: 66 .
2 - أعني في مسجد البير الفائض بالكريمات بإقليم الصويرة.

الكتابة مجردة من نقط الاعجام؟ وكل ما يمكن أن يستنبط من صنيعهم، أنهم كتبوا هذه الآيات بالذات لتضمنها قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، وهو الولي الحميد﴾(1).

وأما كتابة الحروف مجردة من النقط، فلعلهم أرادوا بها موافقة خط المصحف العثماني الإمام الأصلي قبل أن ينقط على أيدي التابعين، لأنهم كتبوه مجردا من النقط (2).

وما تزال كتابة ربع (ولو بسط) معروفة عند الطلبة في الجنوب، وإن قل استعمالها، وقد بلغني أن منهم من يكتبه خاليا من النقط، ويزيد على ذلك كتابته مفصول الحروف هكذا (و – ل – و – ب – س – ط) إلى آخره، ولا أعلم لهم مستندا في ذلك غير ما تقدم، وذلك شائع إلى اليوم.

ويعلقون اللوح المذكور في أعلى مقصورة الصلاة في مواجهة (عين الشتاء) ولا ينزلونه إلا بعد أن يمحو كتابته الغيث النازل إذا عجل الله سبحانه استجابة الدعاء، وإلا تركوه على هيئته معلقا، وقد رأيته على هذا الوضع في أكثر من مسجد بعد ذلك وأنا أقرأ القرآن.

ومن أدعية الطلبة وصبيانهم بعد الصلوات لهذه الغاية ما يدرجونه في ختم الحزب، وهو قولهم عند تخلف الأمطار عن إبانها:

يا ربَّنا يا سامع الدعاء ** أنزل لنا الغيثَ من السماء

ومن قولهم:

أحيها يا مُحْيِي الرّفاتْ ** من بعد ما صارت رَميم (3)

والأرضُ تطلب النبات ** والغيثُ منك يا كريم (4)

---

1 – سورة الشورى: الآية 26 .

2 – أنظر المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني: 16-18 .

3 – قد يبدلون الشطر الأول بلفظ السَّقيا فيقولون:

اسقها يا مسقي الرفات.

4 – مما كنا ننشده في المحاضر ونحن صغار مع بعض شيوخنا في أوقات الجدب.



ومما ينسب في طلب السقيا للشيخ. أبي مدين شعيب الصوفي المشهور قصيدته المشهورة التالية، وهي مما يحفظه بعض الطلبة وينشدونه توسلا إلى الله تعالى واستدرار الرحمة:

## القصيدة الغيثية لأبي مدين المعروف بالغوث في دعاء الاستسقاء

يا من يغيث الورى من بعد ما قَنَطوا ** ارحم عَبيداً أكفّ الفقر قد بسطوا
واستنزلوا جودك المعهودَ فاسْقِهِمُ ** رَيّاً يُريهم رضاً لم يَثْنِه سَخَط
وعامل الكل بالفضل الذي ألفوا ** يا عادلاً لا يُرى في حُكمه شَطَط
إن البهائم أضحَى التُّربُ مَرْتَعَها ** والطير تغدو من الحصباءِ تلتقط
والأرض من حلة الأزهار عارية ** كأنها ما تحلت بالنبات قَطْ
وأنت أكرم مفضال تمدّ لهُ ** أيدي العُصاة وإن جاروا وإن قَسَطوا
ناجَوك والليل حلاه الظلام سَنىً ** كما يُحَلّي سواد اللِّمة الشَّمَط
فشاربٌ بذنوب الذنب غصٌّ به ** وآخرون -كما أخبرتنا- خلطوا (1)
ومنهم في لفيف العيش وهو يرى ** في سلك من حام حول العرش ينخرط
ومُلحِد يدَّعي ربا سواك لهُ ** حيران في شرك الإشراك يختبط
كل ينال من المقدور قِسمتَه ** قوم ترقَّوا، وقوم في الهوى سقَطوا
حكم من الله عدلٌ في بريَّتِه ** فرضٌ علينا له التسليم مشترَط
ومن تصدَّى لحكم الله معترضا ** فقد تصدَّى له الخِذْلان والغلطِ

---

1 – يعني: خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئا.. (التوبة)



وما ذُنوب الورى في جنب رحمته ** وهل يقاس بفيض الأبحُر النُّقَط
فما لنا ملجأٌ غير الكريم ومَنْ ** يُلْفَى على الحوض، وهو السابق الفَرط (1)
ذاك الرسول الذي كل الأنام به ** يوم القيامة مسرور ومُغتبط
صلَّى عليه صلاة لا نفادَ لها ** مَن اسمْه باسمه في الذكر مرتبط (2)

وهذه القصيدة مشهورة يتوسل بها عند احتباس المطر، ويحفظها بعض الطلبة، وقد خمسها من الأدباء الأديب محمد بن عبد الرحمن الحوضي بقصيدة قال في أولها:

يا من برحمته الأرزاق تنبسط ** يا من يغيث الورى من بعدما قنَطوا
يا من يعامل بالإحسان إن قسطوا ** يا من يغيث الورى من بعدما قنطوا
ارحم عبيداً أكف الفقر قد بسطوا (3)

✓ ومما ينشد في هذا الغرض، وهو للسلطان عبد العزيز بن أبي العباس المريني:

اللهُ يَلطف بالعباد فواجبٌ ** أن يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه ** من بعدما قنطوا وينشر رحمته (4)

---

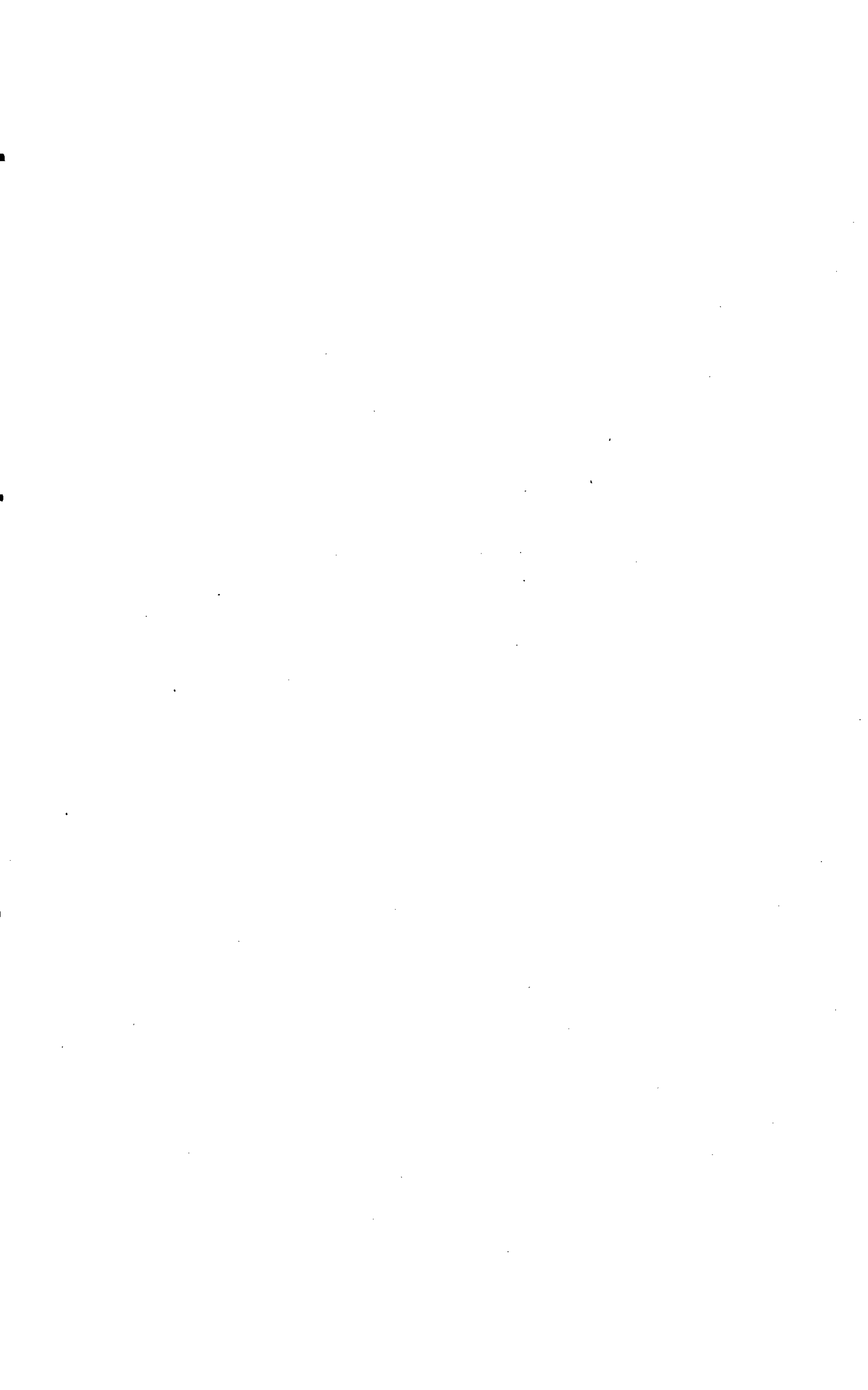
1 – يعني: النبي –ﷺ– لقوله: فأنا فرط لكم على الحوض.

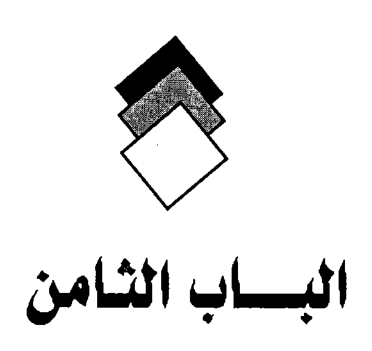
2 – القصيدة في مجموع القصائد والأدعية في التوسل إلى الله.. جمع وتنقيح الشريف محمد بن عبد الرحمن ص 51 ط 1 : 2004/2203 مطبعة النجاح – الدار البيضاء.

3 – أنظر الإعلام للمراكشي: 177/10 ترجمة 1556 .

4 – نقله الناصري في الاستقصا: 80/4 .

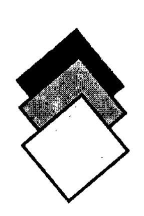






# الباب الثامن

## نظام تصحيح الألواح،
## وأهم مصطلحاته في الكتاب والمحضرة المغربية





# الفصل الأول

## سلم التدرج في تصحيح الألواح عند المشايخ

تتجلى مهارة (الطالب) ومقدار حذقه في أمرين أساسيين:

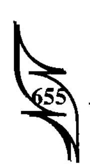
1- في درجة عنايته بتصحيح ألواح طلبته وتلاميذه.

2- في درجة حذقه في التصحيح ومعرفته وحفظه للمادة العلمية التي تعتبر بمنزلة الرصيد المعرفي أو المواد الأولية التي يتطلبها عمله في التصحيح للألواح.

وتبدأ الحاجة إلى العناية بالتصحيح عند المتعلم من الشروع في الختمة الثانية أو قبل ذلك، بحسب درجة ذكائه وحذقه، إذ أنه في الختمة (السلكة) الأولى يدرّب على مجموعة محدودة من القواعد، وخاصة عند شروعه في «الاستفتاء» وكتابته للوحه بيده كاملا.

**فمن أول ما يتعلق ويؤمر بالالتزام به في الختمة الأولى: بعد مرحلة الهجاء:**

1- كتابة البسملة بحروفها كاملة في أعلى اللوح، وبعدها لفظ: وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما» ويترك فراغا بمقدار ثلاثة أسطر فارغا في أعلى اللوح بعد البسملة.



2- يتعلم بعض الرموز التي تعرض في أثناء كتابة اللوح، وأهمها للمبتدئين علامة «ثمن» ربع» «نصف» «حزب» للدلالة على مواضعها من كل حزب بلغه. كما يتعلم الرمز الدال على البسملة أول كل سورة سوى سورة براءة، وهو في اصطلاح المؤدبين عبارة عن نجمة خماسية كتلك التي في الراية هكذا: ✡

فإذا وصل إليها في الكتابة رسمها كذلك مادام في الختمة الأولى، فإذا قرأها قرأها بحروف البسملة الكاملة لأنها إنما ترسم كذلك للاختصار، هكذا تعلمنا على شيوخنا.

ويتعلم أيضا علامة السجدة فيكتب ثلاث نقط كبيرة وسط السطر في مواضع السجدات المشهورة في مذهب الإمام مالك رحمه الله، وهي في أحد عشر موضعا، وليس منها شيء في المفصل، أي: فيما بعد سجدة حم فُصّلت إلى آخر القرآن.

3- ويتعلم من ضوابط الكتابة أن يترك نقط حروف «ينفق» إذا كانت في آخر الكلمة مثل: الحي ومن وكيف والحق وما شابهها.

4- ويتعلم بعض النصوص البسيطة مثل:

إذا أتاك الخاء قبل الدال ** فانقُط ولا تَخَفْ من الأشكال

سوى اخْدَعوك خَدّك الأُخدُودِ ** أخدان في النسا وفي العقود

ومثل:

مِنهُنَّ منكن بالاتّصال ** لَعَنِتُّم مِتُّمْ بغير الدال

ومثل:

ثلاثة فاعلم تسوق المدَّة ** الهمز والسكون ثم الشدَّة



ومثل

احـــذِف بناتٍ في ثلاثِ كلمـــات ** فـي النحل والأنعـــام أم له البناتْ

5- يحفظ النصوص المتعلقة برسم «في ما» المنفصلة، و«نعمت» بالتاء المبسوطة و«رحمت» مثلها، و«لعنت» كذلك وما أشبه هذا، وكل ذلك قبل تمام الختمة الأولى في الغالب أو في أول الثانية على الأكثر.

## ما يُعنى به في الختمة الثانية وما بعدها

وأما في الختمة الثانية فيبتدئ قلم الطالب في ملاحقة ما كتبه التلميذ رسما وضبطا، وتبدأ مرحلة «التجباد» (1) أو الإصلاح بالقلم الغليظ داخل اللوح وبين السطرين، ويصف لنا صاحب كتاب المدرسة الأولى هذا الطور كما يجري فيه العمل بسوس فيقول:

«إذا ختم التلميذ القرآن استبدل لوحه المتوسط بكبير يسع ما يكتبه فيه من القرآن وما يكتبه فيه الطالب عند التصحيح، فإن المعتاد أن الطالب إذا رأى خطئاً في رسم كلمة أو شكلها يخط من فوقها خطا مستقيما إلى أعلى اللوحة أو أسفلها، حيث يجد بياضا يصلحه فيه بقلم غليظ يُعَدّ لتصحيح الألواح، يسمى «قلم العرض» أو برأس سبابته بعد أن يمده من الدواة، كل ذلك ليترسخ إصلاحها في ذاكرة التلميذ، فلا يقع في تحريفها مرة أخرى، ويكتب له أسفل اللوحة كل يوم أبياتا مهلهلة ليحفظها ويرجع إليها عند إرادة الاستدلال بها وقتا ما، تنص على نظائر تلك الكلمة التي

1 -سيأتي أسفله بيان المراد به.



حرفها أو حرّف شكلها، أو أخطأ في حذفها أو وصلها أوضدهما، أو نحو ذلك، ولذلك تسمى عندهم تلك الأبيات التي تكتب على عواهنها «تانصين» (1).

ويسمون ذلك الإصلاح «الجبذ» بتأخير الذال لما فيه من مد ذلك الخط المجبوذ. يقول تلميذ لتلميذ مثلا: جبذ لك الطالب واحدة أو اثنتين، وأنا لم يجبذ لي حتى واحدة أو نحو ذلك، ويقع هذا (الجبذ) بين التلاميذ واللِّدات (2) أيضا، فإذا عثر أحدهم على مخالفة في لوح غيره -ولو ترك وقفا في محله، أو زاده في غير محله- فإنه لا يسكت ولا يتغاضى، بل يشيعها في المحافل، لأنها جريمة لا تغتفر، وزلة يجب أن تنشر، ولا يليق في مذهبهم أن تستر، وربما تسعرت بينهم بذلك عداوة لا يخبو لهبها إلا بعد أمد بعيد (3).

قلت: ما وصفه هذا الفقيه من كيفية التصحيح و(الجبذ) هو الجاري به العمل في سائر المغرب وفي جهتنا، إلا أنه عندنا يحيط الكلمة المرسومة أو المضبوطة خطئا بدائرة ثم يمد منها خطا إلى موضع إصلاحها في أعلى اللوح أو أسفله (4).

---

1 - تانصين: باللغة الأمازيغية، ومرادهم بها: الأنصاص، وهي المنظومات أو القطع من النظم التي تشتمل على قواعد الرسم والضبط والتجويد ونحو ذلك.

2 - جمع لِدة بالكسر وتخفيف الدال، وهم المتقاربون في الميلاد من الأقران.

3 - المدرسة الأولى: 61 .

4 - إذا كان الصبي في سلكته الأولى أو حتى في الثانية لم يقم المصحح بجبذ أخطائه إلى أعلى اللوح أو أسفله، وإنما يصلح الخطأ في موضعه بقلم غليظ، ويكتفى بتنبيهه عليه عند (السلاكة) إذا كانت الأخطاء قليلة، وربما تفنن في التنبيه على الأخطاء في موضعها من السطر حتى يظل التلميذ يتذكرها، وما زال كاتب هذه الحروف يذكر أنه في قراءته على شيخ له في أول عهده كتب في سورة القلم «ليصر منها» بالسين،و فرسم له شيخه دائرة الصاد على اللوحة من آخر سطر فيها إلى أعلاها، وكذلك فعل في سورة الإنسان حين كتبت بالصاد: «وشددنا أسرهم» فرسم لي سينا سنها اليمنى في يمين اللوحة واليسرى في يسارها ووسطها في الوسط.



وكذلك الشأن أيضا في سائر جهات الشمال المغربي، يقول صاحب كتاب الأنصاص القرآنية في هذا السياق:

«فالفقيه الذي «يسلك» ألواح التلاميذ المبتدئين و«الطلبة المخنّشين» قد يفاجأ بخطإ في لوح هؤلاء أو أولئك، فيقوم بإبراز ذلك الخطإ وتصحيحه بقلم غليظ يجعل من الطالب المعني بالأمر يخجل من الخطإ المرتكب، يقوم المصحح بعد ذلك باستعراض نظائر تلك الكلمة والأماكن التي توجد فيها في نظم بسيط قريب إلى عقلية التلميذ والطالب، وعادة ما يفتتح هذا النظم بالعبارة: «وهاك يا طالبا» بمعنى: خذْ أيها الطالب الوضع الصحيح للكلمة التي أخطأت فيها مع نظائرها في القرآن الكريم.

وأغلب هذه الأنصاص التي تكون ناقصة الوزن والقافية والتفعيلة الشعرية تدخل في إطار ما سماه سيدي عبد الله كنون بـ«أدب الفقهاء» (1) الذي يكون الشعر فيه تعليميا يهتم بالمادة العلمية أكثر من اهتمامه بالقافية، بل ربما تكون اللغة العامية الأكثر تداولا هي المستعملة فيه، حتى تعلق بدهن المتعلم دون اللجوء إلى المعاجم للبحث عن المصطلحات والتعريفات والإشتقاقات اللغوية. قال:

وتساهلهم في بناء أنصاصهم العلمية لا ينقص من قيمتهم ولا من علمهم، فهم في الواقع أثبتوا وجودهم في الساحة الوطنية بما خلفوه من ذخائر ونفائس علمية تفوق الحصر والعد، أعطت للمغرب شخصية واضحة في هذا الميدان ينعدم نظيره فيها في البلاد العربية الأخرى (2).

---

1 - كتاب أدب الفقهاء للعلامة سيدي عبد الله كنون رحمه الله كتاب جمع فيه قطعا كثيرة من الشعر العلمي والتعليمي وبين قيمته الفنية والأدبية إلى جانب فوائده العلمية. انظر لائحة مصادر هذا البحث.

2 - كتاب الأنصاص القرآنية: 102/1 .



ومن أجل هذه الأنصاص تشد الرحال من الآفاق البعيدة، ويتنافس طلبة القرآن في الرحلة إلى من اشتهروا بوفرة محفوظهم منها.

## الأعراف الجارية
## في تصحيح الألواح ورعاية مستوى المتعلمين

ومن خلال آثار قلم الشيخ على سطور اللوح وفي أعلاه وأسفله، يمكنك التعرف على مستوى الحذق عند الشيوخ، وعلى مقدار نباهتهم ونصحهم في التعليم، وعلى مقدار رسوخ قدمهم في الرواية، وسعة حفظهم، ونوع محفوظهم، ودرجة ضبطهم وإتقانهم.

وتصحيح الألواح يكون على حسب مستوى صاحب اللوح، ولذلك يضع الشيخ على اللوح من الأنصاص والحطيات والرموز الروائية ما يتناسب ومستوى الطالب، وما يخدم أيضا هذا المستوى في الرسم والضبط إن كان في المراحل الأولى، أو في التجويد وقواعده إن كان قد أخذ في التقدم، أو في مسائل الخلاف بين أهل الأداء إن كان قد صفا لوحه وأخذ يدرج نحو النهاية، أو في اختلاف الروايات وغيرها إذا كان قد شرع في ذلك أو تقدم فيه.

وهكذا يكون الحضور الكافي لما يحتاج إليه الطالب من الكراريس العلمية التي تيسر له الاستدلال لهذه الأحكام عند الحاجة وتكون رصيده العلمي للمستقبل.



وقد يضطر الشيخ إلى تنظيم العمل في التصحيح باتخاذ بعض المساعدين له في ذلك، فيتولى هو التصحيح لأهل المستويات العالية والمتقدمة، ويعهد بألواح غيرهم إلى طلبة نجباء ممن تقدموا في التحصيل فيصححون لهم.

وللتمثيل لذلك نسوق ما ذكره بعض المترجمين في ترجمة القارئ الكبير المعروف بالضحّاك من قبائل آيت باعمران بسوس أحد كبارتلامذة سيدي أحمد أنجار البوجرفاوي.

وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضحاكي –نسبة إلى الضحاك من قرى آيت باعمران بسوس.

حفظ القرآن بمسقط رأسه، ثم التحق بمدرسة أكلو فأخذ عن الشيخ أنجّار، وكان من عُمَد القراءات السبع، إمام جليل القدر، قليل النظير في عُزلته وفي عزوفه وعبادته، وفي إقباله على تعليم القرآن بمختلف الروايات، قال الشيخ محمد المختار السوسي:

اقرأ بمدرسة «بوكرفا» مدة، وكان عنده من أصحاب القراء نحو 85، منهم أصحاب قالون والمكي والبصري، فكان يمرّ على ألواحهم أصحاب حمزة، وهم من أتقنوا السبع، وكان هو فقط يمرّ على ألواح السبعيين، تجعل أمام بيته الذي ينعزل فيه، فيأخذها مرة واحدة في الهاجرة إليه، فإذا مر بها وضعها في نافذة، فيحركها فيتناولها أربابها.. توفي رحمه الله سنة 1323 هـ (1).

1 - أنظر المعسول لمحمد المختار السوسي: 198/12 .



ولا شك أنه في مروره على الألواح كشأن مساعديه، كان يتفنن في الاستعانة بمحفوظه لتطريزها بما تحتاج إليه من الأنصاص والنظائر والرموز العلمية المختلفة كل حسب مستواه.

## قصة معاناة طالب مع الرسم وحفظ الأنصاص

وينبغي أن أشير هنا إلى أن الموهبة ضرورية في قطع التلميذ والطالب لهذه المراحل بسرعة، وربما توقف بعض ذلك على العناية الزائدة من الشيخ وحسن التعليم، مع امتلاك الشيخ لناصية مادته، لأن فاقد الشيء لا ينتظر منه أن يعطيه لغيره.

ولقد تظهر مع كل هذه العوامل حالات من الغباوة عند بعض المتعلمين، فلا يغني فيه أن تكتب له القاعدة، ولا أن تحمله على حفظ النصوص المتعلقة بها، لأن ذلك لا يقدم بالنسبة إليه ولا يؤخر، ويظل حاله إلى وقت طويل، أو إلى الأبد، يجري على هذا المنوال، إذا ذكرته بالقاعدة ذكرها، فإذا انقضى المجلس «عادت ريمة، إلى عادتها القديمة».

وأذكر هنا قصة معاناة طالب كان يقرأ معنا، وكان أكبر منا سنا، وأكثر اجتهادا، لا يكاد يضع اللوح من يده إلا عند الضرورة، ومع هذا كان كأنما ينحت في صخر.

ومن الوقائع التي تكررت عليه في مجال (الأنصاص) واقعته مع قوله تعال« (من يهد الله فهو المهتدي) في سورة الأعراف وسورة الإسراء وسورة الكهف. فقد كان إذا بلغ بلوحته في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿أو لم يهد للذين يرثون الأرض﴾ كتب (يهدي) بياء مردودة بعد الدال، فيجبذها



له (الطالب) إلى أعلى اللوح، ويكتب له النص المتعلق بألفاظها الثمانية التي ترسم بدون ياء، وهو قوله:

الملأُ نتَـقْنا كـرَّمْنا ترى الشـمس ** وعَنَتْ توفّـاكم أظلمُ لا تُلهِـمكمْ
ويَهْـدِ بغـيـر الزايد هاك ثمـانيـة ** فـيـا رب تُبْ علينا وارحَم شـيـوخنا

فـيظل المسكين سحـابة يومـه يردد هذين البـيـتين رجـاء حـفظهـمـا ورسـوخـهـمـا في ذاكرته، حتى إذا مـحـا لوحـه، وبعد أيـام قليلة بلغ إلى قوله تعالى ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ كتبها (يهدي) بالياء الزائدة،، فجبذها له (الطالب) مرة أخرى. وكتب تحـتـهـا النص: الملأ نتقنا كرّمنا ترى الشمس) فظل كـرة ثانيـة يكرره طول اليـوم، ثم بـعـد شـهـرين أو قـريب من ذلك يصل بلوحه إلى قوله في الإسراء: (ومن يهد الله) فيكتبها بالياء الزائدة، ويجبذها الشيخ ويكتب النص، ويظل يردده طول الوقت، وبعد يوم أو أكثر يصل إلى التي بعدهـا في سورة الكهف فـلا يشـعـر إلا وقد رسـمـهـا كسـابقاتهـا، وعاد مـعـه (الطالب) إلى حـالـه، وعـاد هو إلـى ترديد البيـتين بـلا هـوادة ولا فـائدة ترجى (1)، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

## نظام «السلاكة» بعد تصحيح اللوح وفوائده:

يطلق بعض البـاحـثين اسم «السـلاكـة» على تصـحـيح الألواح بعـد كتابتـهـا، وربما استعمل في شمـال المغرب بهذا المعنى (2)، فمعنى «سلك» لوحه على هذا الإطلاق: صـحـحـه عند شـيـخـه بإمـرار نظر الشـيـخ عليـه، ومـتـابـعـة

1 - انتهى الحال بصاحبنا إلى ترك القراءة، واحترف التجارة بالدار البيضاء فنجح فيها، وكل ميسر لما خلق له.
2 - بهذا المعنى استعمله مؤلف كتاب الأنصاص القرآنية أنظر: 102/1 ومؤلف كتاب القراء والقراءات بالمغرب: 12 .



الرسم والضبط والوقف لتعقب ما يحتاج إلى التصحيح، وجبذه إلى أعلى اللوح، أو إصلاحه داخله في موضعه من السطر بالنسبة للمبتدئين.

ويطلقُ اسم «السلاكة» بمعنى آخر في جنوب المغرب وشرقه وغربه بمعنى قراءة الشيخ مع التلميذ لوحه عقب تصحيحه مرة أو أكثر ليتمرن على القراءة، وليَلفت نظره إلى ما أخطأ في ضبطه، أو يخاف أن ينحرف لسانه بكيفية أدائه، وربما اكتفى بعض الشيوخ بالإنصات إلى التلميذ وهو «يسلك» لوحه، فإذا احتاج إلى تنبيهه على شيء نبهه عليه، وقد يأمره بتكرار «السلاكة» أكثر من مرة:

ويظهر من بعض الإشارات التاريخية أن «السلاكة» بمعنى قراءة الشيخ مع تلميذه بصوت واحد كانت معروفة في القرن العاشر الهجري، فهذا الفقيه يوسف بن عابد الإدريسي الحسني الفاسي من أهل هذا القرن يذكر في رحلته أنه لما وصل إلى وادي تافيلالت عام 990 هـ قصد القارئ المشهور هناك عبد الرحمن الملقب بمن لا يخاف إلا الله تعالى. قال: «فوجدته في حال القيلولة، وما وجدت إلا طلبة العلم، كل على حاله... ثم ذكر أنه بدأ القراءة عليه قال: «فقرأتُ عليه من أول البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ (1). وأنا وإياه في صوت واحد على عادة القراء الذين كنا نقص (2) عليهم من الألواح، يقرأون معنا في صوت واحد، ويرون كيف تكون مخارج الحروف من أفواههم، وصيغة المد والقصر، وغير ذلك، قال:

---

1 - الآية 19 - الربع الثاني من الحزب الأول.

2 -يستعمل أهل المشرق قديما «قص» بمعنى قرأ القرآن أخذا من قوله تعالي: «إن هذا لهو القصص الحق» وقوله «نحن نقص عليك أحسن القصص»، وفي ترجمة عبد الله بن كثير المكي ثاني القراء السبعة أنه «كان قاص الجماعة بمكة، وهو من الطبقة الثانية من التابعين» (الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن علي بن الباذش: 1/77-78 .



وسألته عن قراءة الجن الذين كانوا يقُصُّون عليه قراءتهم، فقرص أذني يؤدّبني وقال: ما حملك على هذا يا ابن أبي الوكيل؟ وهو قابض بأذني، وهو يَفحَسُهَا بيديه الكريمتين، وهو يضحك تبسما(1) .

ومن فوائد «نظام السلاكة» أنه يمكن الشيخ من تفسير ما يحتاج إلى التفسير مما يكون قد وضعه بقلمه على السطور مما يدخل في «نظام الدوازة» أي نظام تصحيح الألواح، وأكثر ما يوضع عليه هو عبارة عن رموز تحتاج إلى معرفة اصطلاحات المشايخ فيها ومرادهم بها، كما أنها فرصة أيضا لتنزيل الاستدلالات (الأنصاص) على الأحكام المقصودة منها.

ويعتبر المشايخ «السلاكة» ضرورية للطالب في المحضرة مهما بلغ في الحذق وصفاء اللوحة، إذ يرون أنها تتضمن من الناحية الأدبية استمرار تبعية الطالب للشيخ وبروره به، والتعبير عن استمرار حاجته إليه وعدم استغنائه عنه، وأقل ما فيها التبرك بآثار قلم شيخه على لوحه، فلذلك لا يدع الطالب اللوح مادام في المحضرة إلا بعد إذن الشيخ له بذلك لئلا يشتغل به عن مساعدته في طلبته إذا استعان به في ذلك.

وتحضرني هنا قصة عيسى بن مينا قالون أحد الراويين المشهورين عن نافع بن أبي نعيم، إمام أهل المدينة في القراءة، وكان قالون ربيبه ابن زوجته ويعيش معه في منزله. قال ابن الجزري في طبقات القراء: وقال النقاش:

«قيل لقالون: كم قرأت على نافع؟ قال ما لا أحصيه كثرة، إلا أني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة.

---

1 - ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضر موت للفقيه يوسف بن عابد الإدريسي : 98-90



وقال عثمان بن خرزاد: حدثنا قالون قال:

قال لي نافع كم تقرأ علي! اجلس إلى اسطوانة حتى أرسل إليك من يقرأ (1).

## طالب ماهر أراد اختبار دقة نظر شيخنا في « السلاكة »

وأذكر هنا قصة طالب نابه ممن صفا لوحه في بلاده، وكان من فرقة «تالّة» بنواحي الصويرة فعرف باسم «التلاوي» بدأ على شيخنا ختمة باللوح برواية ورش، فلم يجد الشيخ موضعا قط لوضع قلم التصحيح في لوحته من أول القرآن إلى آخره، فلما شارف الختم، وكان قد بدأ من أول القرآن، كتب قوله تعالى في سورة الفجر (وثمود الذين جابوا الصخر بالوادي) فكتبها بالسين عوض الصاد.

فيقال: إنه تعمد ذلك ليختبر دقة نظر الشيخ وحذقه في «الدوازة» (2) وهل كان يقوم بتصحيح لوحه، أم كان فقط يتكل على مهارة صاحبه واكتمال ملكته؟ فأصلحها له الشيخ داخل السطر تأدبا معه، ولم يشهر به بجبذها إلى أعلى اللوح، واكتفى بأن كتب له النص المتعلق بها وهو:

وقل جابوا الصخر في صخرة إذ أوينا ** إلى الصخرة بالصاد في جميع السخر

فلما رأى هذا الأدب الجم من الشيخ ندم على فعلته، فيقال إنه ذهب حتى اعتذر إليه، وطلب منه أن يأذن له بقراءة أبي عمرو، لأنه كان متقنا لقراءتي نافع وابن كثير، وربما لقراءة أبي عمرو أيضا، فأذن له، فكان يكتب في لوحته في كل جهة حزبا إلا ربعا، ولا يكتب إلا الكملات التي تختلف

1 -غاية النهاية لابن الجزري: 615/1 ترجمة 2509 .

2 - هو الاسم الذي يطلق على السلاكة في الجنوب، وفيه النطق بالجيم دالا.



فيها الروايات، ولا يضبط شيئا منها بالشكل، وذلك منه نوع من الإختصار والإقتصاد، فإذا صحح له (الطالب) وضع له الرموز المتعلقة بالإرداف فوق تلك الكلمات لترتيب أدائها، فإذا أخذا في «السلاكة» قرآ من حفظهما وفق تلك الرموز المرسومة فوق الكلمات، وهكذا حتى ختم «السلكة» بذلك.

## قصة طالب يجهش بالبكاء أسفا على ما فاته من دقّة (السلاكة)

وهذا الطالب كان -رحمه الله- يدعى السيد بلعيد بن الفقير، وكان في بدايته يقرأ معنا في مسجد جماعتنا على والدي -رحمه الله- فنقله والده بعيدا عن منزل أهله رجاء أن يتفرغ للقراءة وينقطع إليها، فذهب به إلى جامع «صويرة مرامر» بالشياظمة عند طالب متوسط الحال في الحذق، لكنه كان مشهورا -رحمه الله- بالحزم في التدرير ومراسيم المحضرة، فلازمه السيد بلعيد سنوات حتى حفظ القرآن، واستنزف ما عند شيخه المذكور السيد إبراهيم، وشهد له رفاقه باكتمال الآلة، وشفوف المنزلة في الحذق برواية ورش ورسمها وضبطها، وحفظ السطر والأنصاص، وما يتعلق بالسلاكة، حتى اقتنع بأنه لم يعد يضاهيه في ذلك أحد في موضعه ولا في أقرانه، وكان أكبر منا سنا بقليل.

فبينما نحن نقرأ على شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم إمام مسجد البير الفائض ببلاد الكريمات من إقليم الصويرة، إذا بالسيد بلعيد يأتي بلوحه إلى شيخنا، وفي نيته أن يستأذن الشيخ في البدء برواية قالون بعد أن يكتب لوحا أو لوحين برواية ورش، وبعد أن يؤكد له أنه متقن لهذه



الرواية الأخيرة رسما وضبطا وأحكاما، ولم يعد في حاجة إلى مزيد ليبتدئ في المرحلة الموالية.

فكتب أول لوح له برواية ورش وضبطه، ووضعه مع الألواح في محضرة الشيخ حتى لا يعلم الشيخ بصاحبه قبل تصحيحه، وهو يرى أن الشيخ سوف يمر ببصره على اللوح، ولن يجد سبيلا إلى ما يستدركه عليه، فوصل الشيخ إلى لوحه، وأجرى نظره وقلمه عليه، فرأى خطا جميلا لا عهد له به، فارتاب بأن يكون للطالب الجديد، فطرّز له اللوح تطريزا لا عهد له به، وتعقبه في مواضع من الرسم والضبط، وكتب له من الأنصاص ما لم يسمع به قط، فلما دعا به ليسلك عليه اللوح، ونظر إلى أثر قلم الشيخ استعجم عليه القرآن، كأنه ما قرأ أمام أحد من قبل.

ولما أنهى «السلاكة» أمام الشيخ جاء بلوحته إلى حانوته، فأسندها إلى الجدار، وأجهش بالبكاء الشديد حتى تعجب منه رفاقه، فلما سألوه عن السبب، وظنوا أنه استوحش من الغربة واشتاق إلى الأهل، أجاب: ليس على ذلك أبكي، ولكن على سنوات من عمري أضعتها ركنت فيها إلى الكسل، بعد أن ظننت أنه لم يعد على وجه الأرض من بلغ في الإتقان للقرآن مبلغي، وها أنذا أكتشف في أول لوحة أني في حاجة إلى أن أبتدئ القراءة من حروف الهجاء (1).

وقديما قال الشاعر شهاب الدين المصري المعروف بابن الخيمي بيته الذي صار يضرب به المثل:

يا بارقا بأعالي الرقمتين بدا ** لقد حكيت ولكن فاتك الشنَب (2)

---

1 -لازم هذا القارئ -رحمه الله- مسجد شيْخنا مع بعض رفاقه، وأحسبه أتم عليه حفظ رواية ابن كثير، ثم التحق بمدرسة سيدي الزوين وقرأ فيها حتى نبغ ثم أصيب بمرض حول عام 1955 هـ رجع بسببه إلى منزل أهله بالشياظمة فتوفاه الله إليه رحمة الله عليه.

2 - أنظر البيت في قصيدة ابن الخيمي في رحلة ابن رشيد (ملء العيبة) 3/203-204 (مصر عند الورود).

## من قصص «السلاكة» للنساء القارئات

ولقد أخذت النساء في المغرب والأندلس في الحواضر بجانب طيب من العناية في ميدان تحفيظ القرآن وإتقان رواية ورش، وفيهن من قرأ بالروايات وحصل على الإجازة فيها من كبار القراء.

1 - فقد ذكر أحمد بن عميرة الضبي في البغية في رسم أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني إمام أهل المغرب في القراءات (ت 444هـ) قال ابن عميرة: أخبرني أبو الحسن نجبة بن يحيى (1) قال: أخبرني من أثقه أن أبا عمرو المقرئ أقرأ بالمرِيَّة مدة، وكانت ريحانةُ تقرأ عليه القرآن بها، كانت تقعد خلف ستر، فتقرأ ويشير لها بقضيب بيده إلى المواقف (2)، فأكملت السبع عليه، وطالبته بالإجازة فامتنع، وقرأت عليه خارج السبع روايات (3).

فقرأت عليه ذات يوم (وقالوا لا تنفروا في الحَرّ) فقال لها: اكسري الحاء فقلت: (وقالوا لا تنفرو في الحِرار) (5)، فقال: أنا لا أجيز مثل هذه! والله لا بَرحتُ أو أكتب لها، فكتب إجازتها في ذلك الموضع» (6).

2- ومن هؤلاء القارئات في الأندلس امرأة أبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني صاحب الكافي في القراءات السبع ( ت 476 هـ)،و وهي أم شريح الخولانية أم أبي الحسن شريح المقرئ المحدث بإشبيلية (ت 539 هـ).

---

1 - سبق التعريق بمحضرته في مراكش على عهد الموحدين.

2- يعني إلى مواضع الوقف السليم، إذ لم يكن قد عرف الوقف المعروف اليَوم الذي قيد عن الإمام محمد بن أبي جمعة الهبطي المتوفى بفاس عام 930 هـ، وهو من أهم تلاميذ الشيخ أبي عبد الله بن غازي.

3 - كان أبو عمرو الداني يقرئ بقراءة يعقوب الحضرمي إمام أهل البصرة من القراء العشرة، وله فيها مفردة ألفها.

4 - من الآية رقم 82 من سورة التوبة.

5 - يعني أنها فطنت إلى أن كسر الحاء في لفظ (الحِر) يعني محل عفة المرأة، فعدلت إلى قولها (الحرار) جمع حرة وهي الحَرارة، فكأنها قرأتها على التفسير تجنبا للوقوع في الحرج أمام الشيخ.

6 - بُغية الملتمس للضبي: 411 ترجمة 1185 .



قال ابن عبد الملك في كتاب الذيل والتكملة: «أخذت عن زوجها أبي عبد الله بن شريح، وكانت تقرئ من خف عليها خلف ستر، بحرف نافع» قال:

وكان أبو بكر بن عياش بن بقي قد قرأ عليها في صغره، فكان يفخر بذلك ويذاكر به ابنها شريحا ويقول: قرأت على أبيك وأمك، فلي مزية على أصحابك وماتّة لا يمُتُّ بمثلها أحد إليك، فيقر له الشيخ ويصدقه (1).

3- ومن مفاخر نساء الدولة العلوية في هذا الشأن زوجة المولى إسماعيل العلوي: خناثة بنت بكّار المغافرية.

فقد ذكر العلامة القادري في خاتمة كتاب نشر المثاني في رسم الفقيه الأستاذ الكاتب أبي عبد الله محمد بن المكي الدكالي أنه:

«كان -رحمه الله- تسلك عليه اللوح الذي تقرأ فيها القرآن السيدة الحاجة الفضيلة خناثة بنت الشيخ الجليل سيد قومه وشيخهم بكّار المغافري أم أمير المؤمنين مولانا عبد الله ابن مولانا إسماعيل الحسني، لأنها كانت تحفظ القرآن العظيم، وتكتب لوحها بيدها، وتبعثه له مع أمَتها (يسلكه لها)، ولما رحلت إلى الحج سار معها بقصد الحج فحج ورجع.. وكانت السيدة خناثة هي أفقه نساء مولانا إسماعيل وجواريه وأتقاهم وأورعهم وأحسنهم سيرة (2).

---

1 - الذيل والتكملة: السفر الثامن القاسم الثاني: 495 ترجمة 284 .

2 - نشر المثاني 219/4 .



## الأنصاص القرآنية التي تطرز بها الألواح:

والأنصاص القرآنية بحر زاخر يشكل محفوظ القراء، ويتداولها التلاميذ والطلبة بالحفظ والنسخ، ويحرصون على حفظ متونها الأصلية التي تقتبس منها كمورد الظمآن في الرسم لأبي عبد الله الخراز، وعمدة البيان في الضبط له، ودلالة التعليم وهي أرجوزة في الرسم للغنيمي، ونصرة الكتاب في الرسم لابن الأكمه الصحراوي الغرفي، وأرجوزة فكرة ساعة، وهي حذفية ورسمية لعبد الواحد القرمودي الرجراجي، وتحفة القراء في رسم رواية ورش لابن البهلول الرحالي السرغيني، إلى جانب العدد من الحذفيات والثبتيات وأنصاص الحمل والإعجام والتاءات المبسوطة والأخرى المتعلقة بعدد ورود الكلمة في القرآن على وجه من الضبط أو الوقف أو التقديم والتأخير. والفصل والوصل، والإدغام والفك، وأنواع التنوين، والهمز والوصل، تضاف إلى هذا سيول زاخرة من المتون والنصوص تهم الأداء والتجويد، واختلاف الروايات، ورموز القراء والقراءات، واختلاف طرق الأئمة، وجمع الروايات والإرداف، والوجوه المصدرة للقراء، وغير ذلك مما لا يحيط به الحصر والإحصاء.

ومن الجدير بالذكر أن منظومات الأنصاص واسعة الانتشار في جميع جهات المغرب، ومنها قسم كبير منظوم في الرسم والضبط باللهجات المحلية، ولذلك نجد كتابا ككتاب «الأنصاص القرآنية» للدكتور عبد العزيز العيادي من شمال المغرب قد اشتمل على مئات القطع من الأنصاص القرآنية، ولكن غالبيتها باللهجات المحلية هناك، ولا يكاد يعرفها أهل الجنوب والشرق والغرب من المغرب بصيغها التي اشتمل عليها الكتاب



المذكور، وبالمقابل نجد في الجنوب المغربي وغيره سيلا زاخراً مماثلا من الأنصاص في أوزان وصيغ أخرى لا توجد في ذلك الكتاب، ولا يستعملها أهل الشمال، وفي بعض جهات سوس أ نصاص باللغة الأمازيغية لا تستعمل إلا هناك. وفي جهات دكالة وما جاورها توجد قصائد وأزجال باللهجة المحلية تتضمّن إحصائيات لكثير من كلمات القرآن حسب رسمها أو اختلاف ضبطها، مما لا يتسع المجال للتعريف به.

وما يقال بالنسبة للأنصاص يقال أيضا بالنسبة للحطّيات التي تتضمن النظائر (الأخوتات) كما تتضمن (السطر) الأعلى وغيره، والعدد لكل كلمة في القرآن، وتختلف فيه أيضا أساليب أهل الشمال عن غيرها مما يستعمل في الجنوب والغرب وبلاد سوس.

وسأكتفي بإعطاء أمثلة مما يستعمل في سوس وما إليها من بعض الرموز باللغة الأمازيغية لضبط بعض كلمات القرآن رسما وضبطا، وذلك لما فيها من الطرافة، وقد أخذناها عن شيوخنا أيام الطلب، ولا توجد في كتاب.

## نُبذة عن ظهور الأنصاص في المحاضر المغربية

وقد أثار بعض الباحثين في سياق حديثه عن أهمية الأنصاص القرآنية في تثبيت قواعد الرسم والضبط والأداء وتقريبها من المتعلمين، سؤالا وجيهاً عن بداية ظهور هذه الأنصاص فذهب إلى القول «بأننا لا نعرف بالضبط متى بدأت هذه الأنصاص في المغرب؟» (1).

وذكر غيره أنها كانت ببلاد الأندلس في حدود المائة السادسة للهجرة (2).

---

1 – أنظر الدكتور التهامي الراجي في بحث بدعوة الحق: عدد فبراير: 1969 ص 22-23 .

2 – الأستاذ سعيد أعراب: جريدة الميثاق: العدد 165 فبراير: 1973 وكتاب القراء والقراءات. بالمغرب: 170 .

ونقل صاحب كتاب «الأنصاص القرآنية» وغيره أنه جاء في برنامج شيوخ أبي الحسن الرعيني أن أبا الحسن علي بن محمد الرعيني الإشبيلي (596-666 هـ) في معرض حديثه عن شيخه المقرئ أبي علي محمد بن أحمد الأنصاري المعروف بـ الزبَّار، أنه أنشده:

حكيم عليم في التلاوة خمسة ** فلا تسمعن من قول من قال سادسُ

ففي سورة الأنعام منها ثلاثةٌ ** وفي الحِجْر حرف، ثم في النمل خامس (1)

قلت: وما أشار إليه الباحثان هو في ترجمة المقرئ المذكور، وهو أول شيوخ الرُّعَيني في برنامجه، إلا أن اسم هذا الشيخ في البرنامج المطبوع عمر بن أحمد، قال عنه الرعيني: «معلمي في المكتب» (2).

قال الرعيني: وأنشدني أيضا:

سألت إذا أتى لعبٌ ولهْوٌ ** وكم من موضع هو في القرآن

فحرف في الحديد وفي القتال ** وفي الأنعام أيضا موضعان (3)

قلت: وقد ضبطه المشايخ في المغرب بصورة أخرى فيما حفظناه عن شيوخنا بلفظ.

اللهو قبل اللعب إثنان ** في صرفت تجادلوا بياني

وتعقيبا على كل ما تقدم أقول: عرفت بداية الأنصاص قبل هذا التاريخ بنحو مائتي عام، وأقدم ما وقفت عليه منها مذكور في كتاب التنزيل في رسم المصاحف لأبي داود سليمات بن نجاح تلميذ أبي عمرو الداني المتوفى ببلنسية سنة 496 هـ.

---

1 - الأنصاص القرانية للدكتور عبد العزيز العيادي العروصي: 100/1 والقراء والقراءات بالمغرب للأستاذ سعيد أعراب: 170 .

2 - برنامج شيوخ الرعيني: ص 8 .

3 - نفسه: ص 8 .



وأطرف من هذا أنه سبق إلى نظم مواضع ورود لفظي اللعب واللهو، فقال في أول موضع من ذلك في سورة الأنعام:

وقلت مرجّزا للحفظ في ذلك:

أعلم بأن اللعب قبل اللهوِ ** أربعةٌ أحصيتُها للسهو
في سورة الأنعام منها اثنان ** وفي الحديد والقتال اثنان
تتمة العدة فاعلمنْه ** وميِّز القريض واحفَظنْه (1)

وقال في سورة الأنعام أيضا عند ذكر «ما لا ينفَعُنَا ولا يضرنا»:

«وينشد في النفع قبل الضر:

النفع قبل الضر سبعةُ أحرفٍ ** ليست تغيب عن ذوي الأفهام
قد بُيِّنَت فوجدتها مبثوثةً ** حرفان في الأعراف والأنعام
وقرأت حرفا ثالثا في يونس ** وكتبتُه في اللوح بالأقلام
والأنبيا والرعد عندهما معاً ** حرفان عند عبادة الأصنام
وكذاك في الفرقان حرف «سادس» ** وسَبَا تُفيدك سابعاً بتمام
ويقال في الشعراء منها ثامن ** لا غيرُ فاحفظها بحسن نظام (2)

وقد سبق أبو داود أيضا إلى نظم حكيم عليم فجعلها سبعة، لأنه أضاف إليها ما فيه «ال» فقال أيضا في سورة الأنعام عند الأول منها:

«ونظمْتُ في ذلك ليُحفظ فقلت:

حكيم عليم في التلاوة سبعة** ولا تضبطنَّ قولَ من قال سادسٌ
ففي سورة الأنعام منها ثلاثة** وفي الحجر حرفٌ ثم في النّمل خامسٌ
وباللام للتعريف في الذّرْو (3) سادسٌ** وفي زخرف من قبل نصف يجانس (4)

---

1 – كتاب التنزيل: مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود: 477/3 .
2 – نفسه: 492-493 .
3 – يعني: والذاريات ذروا.
4 – كتاب التنزيل: 499/3-500 .

وقال عند ذكر ما نزّل اليه بها في سورة الأعراف بالتشديد: «وقلت في ذلك:

ما نزّل الإلهُ بالتثقيل ** حرفٌ في الأعراف بلا مثيل (1)

قال: وإن شئت قلت:

ما نزل الإله في القرآن ** مثقَّل الزَّاي مع السلطان

حرف في الأعراف بلا نظير ** فاطلب -هديت- العلم بالتشمير

وإن شئت قلت:

ما نزّل الله بلا إشكال ** في الملك والأعراف والقتال (2)

وبعد فراغي مما ذكرته بخصوص سبق أبي داود سليمان بن نجاح (ت 496 هـ) إلى نظم حكيم عليم، وقفت في كتاب معجم السفر لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الحافظ الأصبهاني المحدث (ت 576 هـ) على قوله في رسم أبي محمد عبد الله بن القاسم بن عثمان المقرئ القيرواني:

«وأنشدني قال: أنشدني أبو عبد الله التونسي بمكة ولم يسمّ قائله:

حكيم عليم خمسة ليس غيرُها ** فلا تسمعن -يا صاح- من قال سادس

ففي سورة الأنعام منها ثلاثة ** وفي الحجر حرف، ثم في النمل خامس (3)

ومن هذا يظهر أن ما أنشده أبو الحسن الرعيني في برنامج شيوخه بخصوص «حكيم عليم» من إنشاد شيخه أبي علي الزبّار – الآنف الذكر من أهل المائة السابعة – ليس من نظمه، كما أن تداول مثل هذه الأنصاص

---

1 -لا أدري كيف قال بلا مثيل مع وجود نظيرين له في القتال والملك، وقد أنشدنا الشيوخ في ذلك:

ما نزل الله بشد الزاي ** في الملك والأعراف والقتال

وسيذكر ذلك على الصواب في المثال الأخير.

2 – كتاب التنزيل: 3/547-548 .

3 – معجم السفر لأبي طاهر السلفي: 164-165 ترجمة 519-520 .



كان أقدم من هذا التاريخ بأكثر من قرنين من الزمان، لرواية السلفي لهذين البيتين في المائة السادسة، ونظم أبي داود لما تقدم قبلهما في المائة الخامسة.

ورأيت للإمام أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المقرئ (ت 643 هـ) صاحب أبي القاسم الشاطبي قطعة في باب الياءات من شرحه على الشاطبية المسمى بفتح الوصيد في شرح القصيد (1). وأشار إليها أيضا في كتابه جمال القراء وكمال الإقراء (2) نظم فيها الياءات المجمع على ثبوتها عند السبعة وصلا ووقفا قال فيها:

ألا قل لمن وافاك يسأل راغبا ** عن الياء ذات الوصل والوقف عن خبر
فتلك ثمان بعد عشرين أثبتت ** كتابا، وراعَى خطها كل من يقرى
فمنها فإن الله يأتي، وقبله ** مضى ياءُ واخشوني المقدم في الذكر
وفاتبعوني تحتها ثم يَهْدِني ** بالأنعام مع يأتي هداني ألا فادر
وفي سورة الأعراف يأتي وبعدَهُ ** بها المهتدي من غير شك ولا نُكُر
وجاء فكيدوني بهود ويوسف ** مع اتبَعَنْ نبغي بها عن أولي السُبْر
وفي آي إبراهيم من غير ريبة ** فمن تبعني، ثم المثاني لدى الحجر
وفي النحل تأتي كل نفس، وبعده ** وقل لعبادي حرف سبحان يا مقري
ومن بعده في الكهف ياءُ اتبعتني ** وفي مريم خذ فاتَّبعني على ذكر
وفي اتبعوني حرف طه ويعبدو ** نني قبله، الزاني لدى النور فاستقر
وياسين قل فيها اعبُدوني وصاد فيها ** الأيدي أخيرا لا يَريبَ أخا حجر
وفي زُمر حر فا هداني ويتقي ** وقل بالنواصي ثابت واضح الشطر

1 – فتح الوصيد: 613/2 .
2 – جمال القراء: 631/2 .



وتوذونني في الصفّ أخرتني المنا ** فقون حوتها، وهي خاتمة الزهر
وحرز الأماني فيه ياءان بيّنا ** فأغنى بيانا أن أضمِّنها شعري (1)

## مقارنة لنماذج من الأنصاص بلهجة أهل الشمال و أهل الجنوب

وهذه بعض الأنصاص المحضرية المتداولة في الشمال المغربي في ضبط مسائل الرسم، وتتجلى من خلالها الحمولة المصطلحية المستعملة في ميدان الإقراء وفي الزجل الشعبي الخاص بالمحضرة.

ففي الجنوب المغربي يحفظ الطلبة هذا النص المتكون من بيت واحد في تحديد عدد «أينما» بالاتصال في الرسم وتسمية الأرباع الموجودة بها، ومعنى ذلك أن ما سواها حيثما وجد فهو «أين ما» بالانفصال، بينما اتجه الطلبة في الشمال إلى العناية بمواضع المنفصلة، فنظموا فيها النص التالي، وأتبعوها بالمتصلة بعده هكذا:

| | | | |
|---|---|---|---|
| أيا طالب سِرْ خَنّش | وعلى الدهاة روحْ فَتّشْ | واقرا القرآن بورش | عن ذاك المدني |
| فخذ الفتيا صحيحا | وقبل الفجر تصْحا | وذَكّنْ ذِكْ اللوحا | والأسوار تكررني |
| واش عرفت شي بَنات | (أين ما)مفروقات | نحكيهم شي غزالات | ثمانية في القرآن |
| سيقول به بْديت | تنالوا به ثنيت | حرّم له اشْكيت | من حر النيران |
| وفي مريم البتول | لا ضير شفتو يگول | أنا راني مشغول | في نُهيت سَباني |
| بمواقِع يبكي | قد سمع راه يشكي | إلى الله الكافي | هو اللي يخلصني |
| وزد بالإتصال | أربعة جاوني للبال | ولا غيرهم يقال | لورش سلطاني |
| ما ننسخ جا خبروا | فليقاتل جاروا | فضل مشهور | ينته شافاني |
| وبعدُ مسك الختام | بالصلاة والسلام | على خير الأنام | وطه العدناني (2) |

1 – قال في فتح الوصيد: 615/2: هذا قول أبي عمرو في كتاب التبيين الذي صنف في الياءات –يعني كتاب الداني– قال: وعلى ما فيه نظمت هذه الأبيات.

2 – أنظر كتاب الأنصاص القرانية: 256/1 .



وبينما ينشد طلبة الجنوب في تحديد «في ما» المفصولة قولهم:

يا سـائلا عن (في مـا) في المردود ** إحـدى عـشـرْ في جـملة القـرآن
والـوالـدات يا أيهـا الرسـولُ ** قـد خـسـر الذين قل تعـالوا
وذا النون أفـحـسِـبْـتم يا أخي ** قـالـوا أنومن أو لـم يسـيـروا
وعـنـدهـم زدهـم فـمـن أظـلـمُ ** إذا وقـعـت كـمـل المردود

يقول: طلبة الشمال في مثل ذلك:

نبدا بقولي يا سادات    نظيـمي على شي بنات    يقـال لهم (في مـا)    محجوزات ظهروا لي
في الوالدات الأخير    لا يُحـزنك يا ناظر    قد خسر راح يطير    لِتَـعـالوا مَـرْويا
وذا النون يا الطالب    في سْـوَارُوا راهُ راغب    أنـومـن يمشي راكب    يسـيـروا للرُّومـيا
وقـاصـرات الطرف    أظلم مَنُّو خَـوْفِي    وقـعت ربي الشـافي    هو يشفي مابيا (1)

ويقول أهل الجنوب في «نعمت» بالتاء المبسوطة:
الخـمـر لن تنالوا ثاني حـرّمت ** إثـنـان بـدّلـوا ثلاثٌ حـفـدات
ومـن يـسـلـم قـل إنمـا أعـظـمـكـم ** والطور «بـنـعـمت» يا ذا الـفـهمِ
ويقول أهل الشمال في مثل ذلك:

نبدا بقولي يا سَدات    نظمي على شي بنات    يقـال لهم (نعـمت)    مطلوقـات ظهرو ليا
أولـهم في الخـمـرِ    تنالوا على قـبـري    في حرمت خذ خبري    نـخـبـركم بالثـانيـا
ومـعـا في بدلوا    وفـضـل مِـثـالوا    أربـط لـه الأول    وسـرح مـا بقـيـا
وتـأتـي ومن يـسـلـمْ    أعظكم رَاه مُـقـيم    وغلمـان به نخـتِم    نقط الألف واليا (2)

1 – نفسه: 260/1 .
2 –نفسه: 281/1 .

وإذا أنشد أهل الجنوب في رسم (رحمت) بالتاء المبسوطة بيتا واحدا هكذا:

ورحمتُ البِكر وهُود والأعراف ** مريم والرومِ معا في الزخرف

أنشد أهل الشمال في ذلك نفسه الزجَل التالي:

| | | | |
|---|---|---|---|
| نبدا باسم الغني | ما تراهْ أعياني | من فضلُ يرحمني | سبحانه الخَلاَّق |
| سبحانه سبحان | الواحد المنان | والصلاة على العدنانْ | لعنده نَلحقْ |
| ونزور المصطفى | الكعبة المشرفة | والمروة والصفا | مع أبي بكر الصديقْ |
| ونشهد في مقاموا | واجعلني في زْماموا | والوالدين يرحموا | ينجو من القلق |
| فسبعةُ طفلات | كأنهم غزالات | واسمهما (رَحْمَتْ) | سماهم الخلاق |
| نحكيهم شي غْزالات | يهيّجوا يا سادات | واسوالفهم مطلوقات | واخدودهم تَزْواق |
| سكنوا في شْعاب وكْدات | فروا من الممات | خافوا من الصيدات | رجال بارود وسْلاق |
| وحدا سكنت في بلاد | واذكروا للميعاد | والثانية يا الأسياد | في صرفت تلاق |
| الثالثة موجودا | وساكنة في هودَ | وكلت أنا بعد | يا صالح نَرْزاق |
| الرابعة نرويها | في مريم نحكيها | وكُلْ لقاريها | خذ قولي مُستحق |
| وبَعدها في الرّوم | الدنيا لا تدوم | لمن فيها مغروم | ذنوبك تغرّق |
| اثنين مثل الكمرات | في الزحرف أنت | كالوا لي يا سدات | إلى الله نسبَق |
| وأمي وأبي | ترحمهم يا ربي | بجاه العربي | هو مول البراق (1) |

ويقول أهل الجنوب في رسم (امرأت) بالتاء المبسوطة إذا كانت غير منونة:

---

1 – كتاب الأنصاص القرانية: 280-279/1



امـــــرأة إن نـوِّنت بـالـهــــاءِ ** وإن أتـت واحـــــدةٌ بـالـتـــــاءِ

أما طلبة الشمال فيقولون:

| | | | |
|---|---|---|---|
| الطلبـا يا سـاداتي | نحكي لكم قـصـتي | في رسم (امــرأتِ) | المسرَّحة في الدنيا |
| امــرأت عــمــرانا | في اصطفى مـبـيَّنا | والعزيز رب السجن | وقــائلٌ بالنِّيــا |
| فـرعـون في وقــعـا | والتـحـريم مجتمعا | ثلاثة مــخـبّـعـا | وسـبـعـة مـرويّا |
| وعكسـهم مـربوطات | أربعــة يا ســادات | يوصيكم عند الممات | لاخير في هذا الدنيا |
| نكحـتُم بالبـيـان | لتُلَقَّى يا الإخـوان | ونعــتـهم بالتنوين | خذهم مني هديًا (1) |

ويقول أهل الجنوب في (لعنت) بالتاء المبسوطة:

أن لعـنتُ الله فـنجــعـل لعنتَ ** الْعَنَت مـنكم لعنتُ أخــتــهـــا

بينما ينشد أهل الشمال:

| | | | |
|---|---|---|---|
| و(لعنت) مطلوقــات | أربعـــة ياســادات | نذكرهم في القراءات | لمـن تـأمــــلا |
| في أحس واحــــدة | والمحـصنات فـريدة | من حـرِّم مـوجـودة | ونـور تـهـلّـلا (2) |

ومن أزجال المحضرة في دكالة القبيلة المغربية في ضبط (الجحيم) بالوقف:

| | | | |
|---|---|---|---|
| نـبـدا باسم العظيم | على وقف الجـحـيـم | والكســـــرة تحت | الميم يَجّ (3) ظهروا ليا |
| مـا ننسخ يا إخـوان | حـرمت بالبـيــان | تجـــدن سلطان | والعـــسْكر قـــويا |
| فـفي اشـتـرى عـلاَّم | يــدافــعُ هــزَّام | راكب فــرس ادهام | يـتـبع الوحــشـا |
| احـشروا يا هيـهات | فـيه شي ثلاث طفـلات | والسوالف مطلوقات | والحـنــانـي وردِّيـا |
| فـنبـــذناه طواف | راكب عــودوا خطاف | غــافـر منه تخـاف | خطبكم مـــــرويا |

1 - نفسه: 282/1 .
2 - نفسه: 283-282/1 .
3 - يعني 13 كلمة.

ألـم يـان انـفـطـرت    نحكيهم شي غزالات    وسـوالف مطلوقـات    وخـواتم ذهبـيـا
نـظـم هـذا الـكـلام    دُكـالي يا فـهـام    شيخوا عبد السلام    شريف الوسيـلا (1)

ويضـبـط أهـل الجنوب عـدد مـرات تكرر (ذلك هو الفـوز العظيم) في القرآن الكريم فيقولون:

وذلك هـو الـفـوز الـعـظـيـمُ ** سـتـة أحـرف فـخـذ نظيمُ
اشـتـرى يوذون كـذا لا أملك ** في غـافِـرِ بمـوَاقـعْ كم تركـوا

بينما يضبط هذا العدد أهل الزجَل بقولهم:

نبـدا باسم الكريم    (هو الفـوز العظيم)    سـتـة قـال الناظم    يا من باغي يقـرا
يـوذون فـي بـرا    إن الله اشـتـرى    لا أمـلك ضـرًا    هو يردّ الكـسـرا
في غـافـر الزلّات    تغـفـر لي مـا فـات    أنا عـبـدك نهّـات    لمن بيـدو القـدرا
كم تركـوا فـافْـهَم    لا أقـسم نخـتَم    بالصـلاة والسـلام    طه زين البَشـرًا (2)

ومن ذلك قولهم في حصر ألفاظ «وكل» بالواو والتنوين المرفوع:

(وَكُـلٌّ) يـا فـهـيـم ** بـالـواو والـتـرسـيـمْ
خـمـسـة قـال الناظم ** عُـمَـرْ بو عـسِـريّة
واعـلـمـوا ظـهـرت لـي ** وذا الـنـون نَـتْـلـي
وَقَـعَ رَسْـلَـبـتْ لـي ** أنـزلـنـا حـفـيّـة
هـل أتـاك فـي ص ** نـطـلـب رب الـعـبـاد
مـا يَـرزقْـنَا فَـسَـاد ** بـاحـسـان ولـديـا (3)

---

1 – الأنصاص القرآنية: 519/2 .
2 – نفسه: 272/1 .
3 – من محفوظاتي عن والدي عبد الله بن إبراهيم حميتو رحمه الله.



# وسائل تحبيب الأنصاص للمبتدئين وتقريب مسائل الرسم و الضبط

ولتحبيب هذه الأنصاص للمبتدئين وتقريبها منهم عمد الطلبة إلى نظمها بلغة شعبية سهلة، وضمنوها بعض الاهتمامات المتعلقة بمستوى المتعلمين تنتزع من البيئة المحلية، وتشتمل على بعض الأسماء أو المآدل أو الأشياء التي تشد انتباه الطفل ويسهل عليه حفظها كقولهم:

يا طالباً تقرا وتاكل بَطاطا ** لمَنْ عَزْمِ الأمور في لو بَسَط

وقولهم:

يا طالباً تقرا وتْصيَّد القنفوذ ** وَلَتكونَنَّ في أنيبوا مجبوذ

وقولهم:

يا طالباً تقرا وتصعَدْ في الجبال ** سبّق (لكم) أخّر (به) في لن تنال

وسِّط (بِهِ) واسقُط (لكم) في الأنفال ** هذا الذي جرى به كلُّ عَمَل

وقولهم في «الأمثال» بإثبات الألف في النصف الأعلى من القرآن وحذفه في غيره:

وثبتُ (ذلك) وحذْفُ (قال) (1) ** عند المحققين في دكاله

وأحيانا يعلمونه قواعد الرسم والضبط ضمن جُمل وتعابير شعبية ذات معان مناسبة للحال أو موافقة للفظ. كقولهم في الميم الساكنة قبل الباء: «ما يضبطها سوى ولد الكلبة».

1 - يعني «الم ذلك» أول النصف الأعلى من القرآن، ويعني بقال «قال ألم أقل لك» أي النصف الثاني من القرآن



وكقولهم : في حذف ألف «وامتازوا» : رافَدْ عُكَّازوا

وقولهم في «ناضرة إلى ربها ناظرة»: ذاك اللي ما عندوا عصا جاري على اللي بعصاتوا.

وقولهم في «هو وهي»: ما يشدّدهم إلا الرِّزِيَّة».

وقولهم في «باعد» بالحذف: «الألف فوق السطر كاعد».

وقولهم في «عاليَها» بالحذف «سافلها» بالثبت: «عاليَها مْعَلِّي، سَافِلَها مْدَلِّي.

وقولهم في «هل ثوُب»: تعجم وتْشَدّْ مثل الذوَيْبة.

وقولهم في سين «تسوَّروا» قط اكحل باظفاروا.

وقولهم: في الظاء المشالة بعد العين وأن لها رقبة إلا ثلاث كلمات:

الوعظ كلُّهم مراقبون ** جابوا جمالهم وراحلون

خلَّوْا في دارهم عضُّوا عِضين ** ويوم يعَضُّ أتت مبينا

وقولهم في بيان تسهيل الهمزة وكتابتها من غيرياء في بياض السطر في الأمثلة الآتية:

وكل ما يكتب بالتسهيل ** من غيرياء خذه يا خليلي

أئنك في سورة الصديق ** وسورة اليقطين بالتحقيق

وكل أئذا بغير الواقعة ** أئنا لمردودون في الحافرة

أولقى أؤ نزيل أؤ شهدوا ** أأله مع الله تم العدد (1)

---

1 -أنظر الأبيات في كتاب مفتاح الأمان في رسم القرآن لأحمد مالك حماد الفوتي: 78 وهي من محفوظاتنا عن الوالد رحمه الله

وقولهم في التسهيل تحت الياء:

يا طالب التسـهيل تحت اليـاء ** عـدده حـاءٌ بلا خـفـاء

أئـمـة أئـن قـل أئـنـكـم ** وصف لـهم أئفكا قـبل ذُكِّـرتُم

وأننا لتـاركـوا لمخـرجـون ** وأئذا فـي المُزن عُـوْا ياقـارئون (1)

وقولهم في ضبط «اللائي»

واللائي في الضـبط له وجـهـان ** مـسـهـلا فـيـمـا حكاه الداني

والنقط تحت اليـاء بالحـمـراء ** ودارة من فـوق تلك اليـاء

فـدارة عـلامـة السكون ** والنقط شكل الهـمـز باليـقين

وإن تشـأ تركت تلك النقطة ** ودارةٌ تكفي فـحـصل ضـبطه (2)

وقولهم في رسم «لا تامننا» في سورة يوسف عليه السلام:

يا سـائلا عن رسم لا تـامننا ** والنون مـحـذوفـة قـبل النونا

ونقطة الإشـمـام فـاجـعل بينهم ** فـهكذا جـا لا تخـالفْ رسـمـهم (3)

ومن الأنصاص البسيطة ما هو منظوم للصبية الصغار، ولذلك تفنّن المعلمون القدامى بخفة أرواحهم، فنظموا أزجالا مناسبة لأعمارهم لا تخلوا من طرافـة وإثارة، وربما كـانت باللـهـجـات المحليـة، أو تضـمنت بعض المستملحات من أجل تحبيب حفظهما للولدان.

ومن ذلك قـولهم في رسم (تولاه) بلام ألف ونقطة إمـالة تحـتـهـا في سورة الحج:

1 -نفسه: 78 والمزن يعني سورة الواقعة.

2 – من محفوظاتي عن والدي رحمه الله، وهو أيضا في مفتاح الأمان للغوتي: 139 .

3 – متعة المقرئين للعلامة الجراري: 108 .



يا احْـــمَـــيْـــدة يا الظريف ** (تــــــــولأه) لام ألـــــــــف
والـــنـــقـــطـــة تحــت الألـــف ** فـي الحـج يـا ســـــــــائـلا (1)

ومنه قولهم في رسم (ولا تنابزوا بالألقاب) في سورة الحجرات:

يا مــــصــــبّنين الصـــــوف ** مـــــــــا داز عـلـيـكـم حـلُّـوف
(تـــنـــابَـــروا) ثـــابـــت ** ،بالألـقـــاب مـــحـــــذوف (2)

ومنه قولهم في رسم (الأعناق):

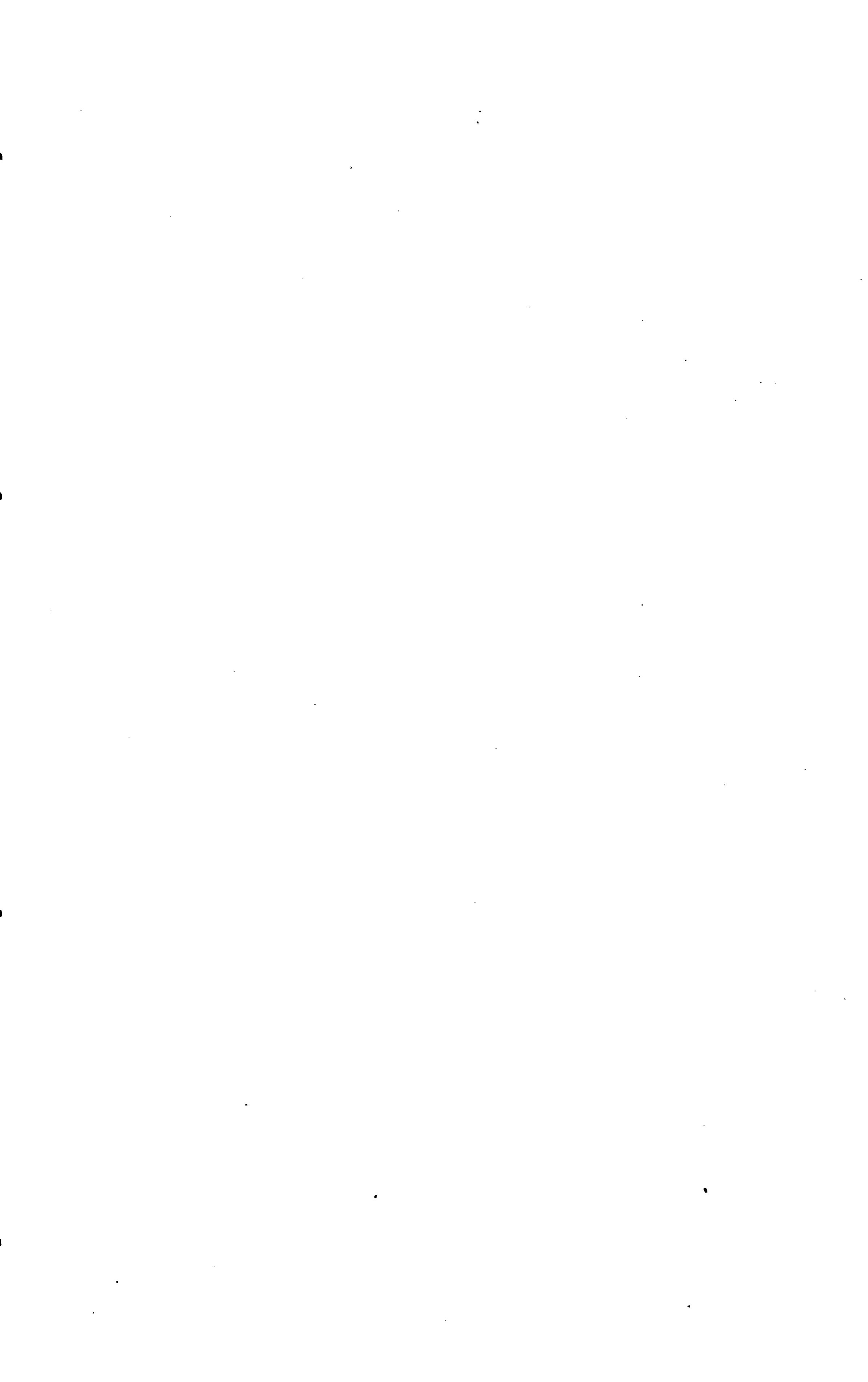
يا طالباً تقْرا وتمشي في الأسواق ** أوصيك يا أخي: لا تحذف (الأعناق) (3)

ومنه قولهم بالأمازيغية:

(من ذا الذي يقـرض) واوْ أوركـيس إيلّي ** (إن تُقْرِضوا) و(أَقْرِضُوا) كدَّار أيلّي (4)

1 - متعة المقرئين للعلامة عبد الله الجراري: 108 .
2 - نفسه: 109 .
3- نفسه: 109 .
4 - معناه أن الأولى لا واو فيها، والثانية والثالثة بواو الحمل بعد الضاد.





# الفصل الثاني

## النظائر والحطيات والعدد في الحضرة المغربية والرموز المستعملة في التصحيح

كما اختصت الحضرة المغربية بالعناية بمعرفة النظائر المتشابهة في الرسم والضبط فيما يعرف عندهم باسم « الأخوات» أو الوزنيات أو «الحط»، واعتبروا المهارة في حفظ ذلك واستحضاره عند تصحيح الألواح والاستدلال للقواعد وتحديد معالم الرسم والضبط من تمام الشخصية العلمية ومظاهر الإنافة والشفوف عند القارئ المتصدر.

وتأتي مرحلة حفظ هذه النظائر بعد المراحل الأولى من التحصيل، وتتعاون مع أنصاص الرسم والضبط والعدد في تثبيت القواعد ومعرفة الفروق وتمييز الحالات المختلفة التي تأتي عليها أوضاع ألفاظ القرآن لتقييد مواضعها. وتقوم العملية على تتبع العلاقات اللفظية بين حروف الكلمة في نفسها أو بين كلمتين متتابعتين، إما في الرسم، وإما في الضبط، وإما فيهما، وعلى ملاحظة عدد تكرر اللفظ في القرآن الكريم على هذه الصفة بتسمية الربع من الحزب الذي وقع فيه ذلك، أو تسمية السورة أو نحو ذلك فيما يتعلق بالعدد أو الثبت أو الحذف أو الحمل أو الوقف وغير ذلك.



وقد عني بعض المبرزين من قرائنا المتأخرين بوضع مسح شامل لهذه الظواهر في جميع القرآن فيما يعرف بنظام «الحط» أو «الحطيات» وتعني ما يُحَطّ وينزّل فوق الكلمة عند تصحيح اللوح من العدد الذي يشير إلى نظائرها أو عدد تكررها أو وصلها أو وقفها أو سوى ذلك من أحوالها.

وقد اعتبر بعض الباحثين الفقيه المقرئ أبا عبد الله أعجلي «مؤسس المدرسة الحطية بالمغرب» (1)، وهو الفقيه المدرس أبو عبد الله محمد بن إبراهيم أعجلي البعقيلي السوسي (1200-1271 هـ). أخذ القراءات السبع بقبائل جبالة من شمال المغرب، وتنقل لذلك في أحواز فاس في بني مسارة وبني زروال وغيرها.

ولما رجع إلى الجنوب دخل قبيلة حاحة فشارط في مدرسة سيدي عبد الواسع من قبيلة نكنافة من إقليم الصويرة (2). وقد عني عناية خاصة بوضع المعاجم القرآنية المساعدة على حصر ظواهر الرسم والضبط والنظائر المتشابهة والمتماثلة، فألف في ذلك المؤلفات التالية:

الإتصال، والوزن، وميم الجمع، ووزن ميم الجمع، وهاء الضمير، والتنوين، ووزن التنوين، والوقفية، والحطية، وقد اشتهر من مؤلفاته كتابه «الهداية لمن أراد الكفاية في ضبط أواخر الكلم بما صح بالرواية» وهو في مجلدين كبيرين وقفت عليهما (3).

---

1 - أنظر الأستاذ سعيد أعراب في جريدة الميثاق: العدد: 162 أكتوبر 1972 م، وكتاب القران والقراءات: 67.

2 - المعسول لمحمد المختار السوسي: 292/5 .

3- ومنه نسخة بالخزانة العامة بالرباط



وكما نبغ الشيخ أعجلي في الجنوب في هذا الشأن، نبغ في الشمال الشيخ الحاج أشماخ الذهب الحزمرى (1) من قرية دار النجار قرب دائرة دار ابن قريش من عمالة تطوان (كان حيا سنة 1329 هـ) وله مؤلفات في ذلك منها كتاب الاتصال، ومنظومة الجوهرة وغيرها (2).

ونبغ في الشمال أيضا في هذا الشأن أبو العباس الميزوري (3).

ويظهر أن فكرة جمع النظائر والحطيات قد نمت عند الطلبة تدريجيا ، فكانت في البداية مقتصرة على حصر النظائر الخاصة بالكلمات الصعبة التي يخطئ المتعلمون في رسمها أو ضبطها حتى تكون نبراسا يهتدون به في شأنها، ثم تطور ذلك إلى وضع إحصاء عام لكل الظواهر المتقاربة والمتشابهة والمتماثلة للتمكن من استحضارها عند كتابتها أو الاستدلال عليها في تصحيح الألواح أو الرجز بها في المجامع الطلابية إذا كانت منظومة، ومن هنا ظهر عند المتأخرين ما يعرف باسم «السطر» (4) وكان في أول أمره يقتصر على النظائر والحطيات الخاصة بالسطر الأول من اللوح، ثم تدرج الطلبة فعمموه على جميع القرآن الكريم، وأصبح حفظ السطر بالمعنى العام عنوان النبوغ والتبريز في الحفظ، ودليل حسن البراعة في «تَوَرّاشيت» وبلوغ أقصى الأمد في إتقانها.

---

1 -هو الحاج محمد بن الذهب أشماخ الحزمري، فرغ من تأليف كتاب الإتصال يوم الجمعة ثاني شعبان: 1329 ونظم قبله قصيدة الجوهرة بلهجة الشمال المغربي في موضوع الإثبات والحذف، وفرغ منها في 27 ربيع النبوي عام 1309. أنظر كتاب الأنصاص القرانية: 109/1 .

2 – كتاب الأنصاص: 109/1-111 .

3 – كتاب القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب: 67-68 .

4 – لأخذ فكرة عن السطر يحسن الرجوع إلى كتاب المدرسة الأولى للفقيه صالح الإلغي : 115-116 .



ولم يكن شيوخنا الذين قرأنا عليهم يعتنون من هذا إلا بالسطر الأول، فإنهم يضعون على كل كلمة منه ما يناسبها من عدد النظائر، ويقولون في العدد : (هنا وكذا وكذا) يعنون وجود الكلمة في هذا الربع وفي ربع كذا وربع كذا، بحسب مرات التكرر في كتاب الله (1).

لكن إذا وقع للمتعلم خطأ في رسم كلمة أو ضبطها يقومون حينئذ بجبذها إلى أعلى اللوح أو أسفله بخط غليظ، ثم يضعون عليها عدد النظائر، أو عدد التكرر، ثم يكتبون النظائر المشابهة، أو يعينون مواضع الورود حيث تكرر لفظها.

فإذا أخطأ المتعلم مثلا في كتابه «عفا وأصلح» فكتب «عفا» بالياء كما تكتب «كفى» فأن الطالب يجبذها له إلى أعلى اللوح، ويضع عليها رمز (اثنين) ويكتب فوقها أو تحتها (الصفا والمروة)، وكذلك إذا صحح السطر الأول من ربع (إن الصفا والمروة) فإنه يضع فوق (إن الصفا) (إن الصلاة) وفوق (الصفا) (عفا –شفا) وفوق (الصفا والمروة (عفا وأصلح) وفوق (والمروة) (والمرجان) وفوق (من شعائر) (من شهيد – من شر – من شافعين– من شاطئ) وفوق (شعائر الله) (ذكر الله – أمر الله) وفوق (اعتمر–فلا) (كفَرفَلا).

وإذا أخطأ في مثل (مائة سنين) فضبط التاء بكسرة واحدة، فإن (الطالب) يجبذّها ويضع عليها (بقرات – سمان)، (كلمة سواء) وإذا أخطأ في مثل (سابق النهار) فكتبها (سابقوا) بالحمل، جبذها له، ووضع عليها نظيرتها

1 -أنظر كتاب الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ إبراهيم الوافي: 48-51 .



(الطارق النجم) وإذا أخطأ في ضبط (بشهاب قبس) فنون الباء بكسرتين جبذها له، وكتب تحتها (العذاب قليلا) (1)، وإذا أخطأ في ألف (دنا فتدلى) جبذها له وكتب معها (نافقوا، فليتنافس - سَمْعنا فتى)، وإذا أخطأ في (تذودان) جبذها له وكتب نظيرتها (فذو دُعاء) وهكذا في سائر ما قد يخطئ فيه من مسائل الرسم والضبط في جميع القرآن.

## رموز محضرية لتحقيق مسائل الرسم و الضبط و المتشابه

1- رمز للحاء الثابتة قبل الفاء:

«**أحَلْبْ يَفٌ**»: ومعناه بالأمازيغية: إناء الحليب انهرق وتفصيله هكذا حسب الحرف الأول من النظائر أو ما يرشد إلى الكلمة.

| | |
|---|---|
| الألف: | إلحْافاً (سورة البقرة) |
| الحاء: | حافّين (سورة الزمر) |
| اللام: | لما عليها حافظ (سورة الطارق) |
| الباء: | بصِحاف (سورة الزخرف) |
| الياء: | يُحافظون (الأنعام والمومنون والمعارج) |
| الفاء: | في الحافرة (النازعات). |

2- «**وَلْفْنَا أثَايْ**»: (للياء المتطرفة الثابتة).

الواو: وألفَيَا (سورة يوسف)

1 - يضاف إليها «دأبِ قومِ نوح».



اللام: لَقيًا (سورة الكهف)

الفاء: فاتيًا (سورة الشعراء)

النون: نَسيًا (سورة الكهف)

الألف: أتيًا (سورة الكهف)

التاء: تَنيًا (سورة طه)

الياء: يُغنيا (سورة التحريم)

3- «**طَمْ جَتْ عَنْدِ**»: (للألف الوصلية المخفوضة المنقوطة بعد أو) وبالأمازيغية (طَمَجُّتْ نْعَدِّ) ومعناها: المرأة القرعاء الرأس المنسوبة إلى رجل اسمه «عدِّي» أو المراد: قرعته هو بمعنى: شعر رأسه.

الطاء: أو اطرحوه (سورة يوسف)

الميم: أو امرأة (سورة النساء)

الجيم: أو اجهَروا (سورة المُلك)

التاء: أو آيتِنَا (سورة الأنفال)

العين: أو اعتَمَر (سورة البقرة)

النون: أو انفِروا (سورة النساء)

الدال: أو ادفَعوا (سورة آل عمران)

4- «**تَسَمِ**»: وهو اسم إبرة الخياطة بالأمازيغية (لكلمات ثلاث في ربع «واكتب») من سورة الأعراف تشتبه مع ما في ربع «ولا تلبسوا» في سورة البقرة.



التاء: تُغفَر (سورة الأعراف)

السين: سنزيد (سورة الأعراف)

الميم: منهم قولا (سورة الأعراف)

ومنهم من يقول: (تسمر) ويقول في الراء: (فأرسلنا) في مقابل (فأنزلنا) في البقرة.

5- «**طَحُقَّتْ خَوَ**»: (الألف الوصلية المنقوطة من فوق بعد أو).

الطاء: أو الطفل (سورة النور)

الحاء: أو الحوايا (سورة الأنعام)

القاف: أو القتل (سورة الأحزاب)

التاء: أو التابعين (سورة النور)

الخاء: أو الخوف (سورة النساء)

الواو: أو الوالدين (سورة النساء).

6- «**يَشْتَهِلً**»: (لكلمة أنّى بألف مقصورة).

الباء: أنّي يوفكون أنّى يُحيي، أنّى يُصرَفون أنّى يكون.

الشين: أنّى شئتم ( سورة البقرة)

التاء: فأنّى توفكون (سورة يونس)

الهاء: أنّى هذا (سورة آل عمران)

اللام: أنّى لَكِ (سورة آل عمران) وأنّى له (سورة الفجر).

7- «**عَمِتْ**»: (لثلاث كلمات في سورة مريم مهملة التاء يخطئ فيها الطلبة).

العين: عُتِيّاً (سورة مريم)



الميم: ماتياً (سورة مريم)

التاء: تَقياً (سورة مريم)

8- «دمي»: (لثلاث كلمات في ربع «مد الظل» مهملة يخطئ فيها الطلبة).

الدال: دليلا (سورة الفرقان)

الميم: متابا (سورة الفرقان)

الياء: يَبيتون (سورة الفرقان)

9- «عَدّ ثُورُهُمْ»: (للياء المنونة بالنصب المخفَّفة من الشد).

العين: عالياً (سورة الدخان)

الدال: داعياً (سورة الأحزاب)

الثاء: ثاوياً (سورة القصص)

الواو: وادياً (سورة التوبة)

الراء: رابياً (سورة الرعد)

الهاء: هادياً (سورة الفرقان)

الميم: مُنادياً (سورة ال عمران) (1).

---

1 -كلها مما حفظته من والدي رحمه الله في الكتاب في الختمة الأولى.



# رموز لألف الوصل المنقوط
# من أسفل بعد التنوين

وهو = خَثْعٍ – سَوْحٍ– أَرْنَسٍ – شَوْلَعٍ– أنْكُمْ– قَبَخْفَرٍ

خَثْعٍ :فَخيرٌ اهبطوا – ثلاثةٌ انتهوا – عليمٌ أعلموا

سَوْحٍ : سبيلا اتخذوه – وأموالٌ اقرفتموها – حكيم انفروا

أَرْنَسٍ : إفكٌ افتراه – رجلٌ افترى نوحٌ ابنَه – سَبيلٍ استجيبوا

شَوْلَعٍ : شيا اتخذها – ورهبانيةً ابتدعوها – لهواً انفضُّوا – عَلَقٍ اقرأ.

أنْكُمْ : أليمٌ استغْفِرْ نُفُوراً استكبارا كَرَمادٍ اشتدت – منشوراً اقرأْ

قَبَخْفَرٍ : قريةٍ استَطْعَما – بِغُلامٍ اسمْه – خيرٌ اطمأنّ – فِتنةٌ انقلبَ – راسياتٍ اعملوا.

# رموز محضرية
# لتدليل صعوبات تلاوة المتشابه من القرآن

1- **نموذج من فواصل سورة الرحمن لضبط ترتيب الآي بعد قوله تعالى:** ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾

فقد جمعوا أوائل حروفها في البيت التالي:

خَـرَمَ يُوَكِّيُّ سَـيَـيْفُ فـيـهـوذُ ** فَـفَمُ فَكَهْـوَمُ فَـفْفُ حَلْمَـةَ جَـلاَ



وبيانها هكذا:

خرم: خَلَقَ – رَبُّ – مرجَ

يُوَكِّيُ: يُخْرَج – وَلَهُ – كُلُّ – يَسألُه.

سَيَيْفُ: سنفرُغ – يا معشر – يُرسَلُ – فإذا انشقت

فَيَهْوَذٌ: فيومئذ – يُعْرَف – هذه – ولمن خاف

فَفَمُ: فيهما – فيهما – متكئين.

فَكَهْوَمُ: فيهمن – كأنهُن – هل جزاء – ومن دونهما – مُدهامَّتان.

فَفْفُ: فيهما – فيهما – فيهن.

حَلْمَةَ: حُورٌ – لم يَطْمِثْهن– متكئينَ تبارك اسم ربك

2– **نموذج لتذليل صعوبات سورة النمل في قوله تعالى: «أإله مع الله»**

وقد جمعوا حروفه في قولهم: بِبَقْتَقٍ وبيانها هكذا:

ب: بل هم قوم يعدلون

ب: بل أكثرهم لا يعلمون

ق: قليلا ما تذكرون

ت: تعالى الله عما يشركون

ق: قل هاتُوا برهانكم إن كنتم صادقين.



**3- نموذج لتذليل صعوبات سورة «والمرسلات» في قوله تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾**

وهو منظوم هكذا:

أَلَمْ أَلَمْ أَلَمْ كــذاك في ابتــدا ** انطلِقُـوا هذا هذا مـقـيّـدا
إن المتـــقــين كلـوا وإذا ** فـبـأي حـديث بعـده لا زائدا (1)

**4- رموز لتذليل صعوبات سورة القمر بعد قوله «كذبت» وقوله: ﴿إنا أرسلنا﴾**

وهو عِتْقٌ رَصَّحَ. وبيانه هكذا:

العين: كذبت عاد.

الثاء: كذبت ثمود

القاف: كذبت قوم لوط.

الراء: إنا أرسلنا عليهم ريحا

الصاد: إنا أرسلنا عليهم صيحة.

الحاء: إنا أرسلنا عليهم حاصبا.

**5- رمز لتذليل صعوبة معرفة ضبط الكلمة عند الوقف عليها في ربع (وإلى مدين).**

وهو قولهم: «تُرَتِسُ».

التاء: ما استطعتُ

---

1 -هذه الرموز مستعملة إلى اليوم في بعض جهات الجنوب المغربي، والأول والثالث مما أخذته عن والدي رحمه الله عند قراءتي عليه للختمة الأولى.

الراء: فأَوْرَدَهم النارَ

التاء: عذاب الآخر

السين: مجموعٌ له الناسُ.

6- **رمز للهمزة المفتوحة بعدها همزة مسهلة مكسورة من كلمتين** (1)

وهو «**أشاوش**» ومعناه بالأمازيغية المدراة التي تحمل بها الأشواك (2).

الهمزة: أشياءَ إن تُبْدَ لكم تسؤكم (المائدة)

الشين: شهداءَ إذ حَضَرَ (البقرة)

الألف: أولياءَ إنا أعتدنا (الكهف)

الواو: والفحشاءَ إنه من عبادنا (يوسف)

الشين: شاءَ إن الله (التوبة)

## رموز لتحقيق بعض قواعد الضبط والتجويد

ومن الرموز المستعملة لتعليم المبتدئين مما يكتب في أسفل اللوح لتصحيح قواعد الشكل والضبط وبيان كيفية رسم التنوين والإظهار والإدغام، الرموز التالية:

**لَمْنَرَ**: هكذا يكتبونها، وهي رمز للحروف الأربعة التي يدغم فيها النون والتنوين إدغاما خالصا لا يبقى معه صوت النون، ولذلك تعرى النون الساكنة من السكون.

وذلك مثل «وأنْ ليس» و«مِن ملك» و«مَن نشاء» و«من ربك»

1 - تكتب الهمزة الثانية مسهلة بنقطة تكتب مكانها تحت الألف دون كسرة.

2 - يقال فيها المدرى والمدراة - أنظر مادة «دري» في لسان العرب: 255/14 .



**يوّ**: وهو رمز لإدغام النون والتنوين إدغاما ناقصا يَبْقَى معه صوت الغنة، ولذلك تبقى علامة السكون على النون، وذلك مثل «من يشاء» و «من وليّ» وبنبإ يقين» و«إله واحد».

**يرملون**: هذه الكلمة تجمع الإدغامين الخالص والناقص، وتستعمل في الألواح للدلالة على الأحرف التي تدغم فيها النون الساكنة والتنوين.

كما تستعمل أيضا لتعليم قواعد التجويد عند الأزرق عن ورش فتقسم بحسب الإدغام مع الغنة أو عدمها إلى ثلاثة أقسام كما يلي:

**رَلٍّ**: ادغامُ خالص بغير غنة مثل: «مَنْ رَّاق» «غَفور رَّحيم» «ولم يكن له» و«آية لك».

**مَنّ**: إدغام خالص بغنة: «من ناصرين» «كَلاً نُّمِدُّ» «من مَّلَك» «أجل مسمى».

**يَوّ**: إدغام ناقص بغنة: «منْ يَّهد الله» بنبإ يقين» «إلهٌ واحد» (1).

## رمز لإظهار النون وتراكب التنوين وترك الغنة

وقد رمزوا لإظهار النون والتنوين مع أحرف الحلق والدلالة على ذلك بعلامات الضبط بالرمز التالي، وهو: **أهَحَخَعَغٍ**» مع تراكب التنوين قبل الحرف.

---

1 - جمع بعضهم هذه الأحكام نظما فقال:

للنون والتنوين حكم يُلفى ** إدغام إظهار وقلب إخفا
للحلق اظهِرْ واِقلبْن للباء ** في «يرملون» ادْغِمْ بلا امتراء
بغير غنة بلام وبِرا ** «ينمو» بغنة كذا ما قُرِّرا
«منٌّ» بغن خالص اقرأهما ** «يوّ» بغن ناقص يا فاهما



الهمزة: «ويَنْأوْن» «عذابٌ أليم»

والهاء: «من هاد» «جُرُفٍ هارٍ»

والحاء: «مَنْ حادّ» «عليمٌ حكيم»

والخاء: «مِنْ خير» «ومغفرة خير».

والعين: وَمَنْ عاد» «واسعُ عليم»

والغين: «مِنْ غِلٍّ» «بوادٍ غيرِ»

## رموز فقهية للمبتدئين

ومما اعتنى به بعض مشايخ المحاضر استعمال الرموز أيضا لتقريب بعض المبادئ الفقهية. ومنها:

1- **رمز لفرائض التيمم:** (**نُضْ يَوَا صَمْ مُدَّ**) (1).

النون: النية.

الضاد: الضربة الأولى.

الياء: اليدين

الواو: الوجه

الصاد: الصعيد الطيب.

الميم: الموالاة

الميم الثانية: متصل بالصلاة.

الدال: دخول الوقت

---

1 – هذه الرموز مما أخذناه عن شيوخنا، وهي موجودة في الكتب الفقهية المستعملة في المحاضر والمدارس العتيقة.



2- **رمز لما يصلي الفرض بالوضوء الذي فعل من أجله: (سنرجعكم)**

السين: سنة ركعتي الوضوء وتحية المسجد

النون: نافلة كالضحى وغيرها من السنن النوافل والرغائب

الراء: ركعتا الطواف.

الجيم: الجنازة

العين: العيدين

الكاف: الكسوف والخسوف

الميم: مس المصحف

3- **رمز لما لا يصلي به الفرض بالوضوء لاجله : (سنقتم)**

السين: السوق

النون: النوم

القاف: القبور

التاء: التبرد

الميم: ملاقاة السلطان

4- **رمز لموانع الإرث: (عش لك رزق)**

العين: عدم الإستهلال صارخا عند الولادة.

الشين: الشك في تقدم وفاة الوارث والموروث أيهما مات أولاً؟

اللام: اللعان في التهمة بالزنى ولا توارث بين الزوجين بعده.



الكاف: الكفر، إذ لا توارث بين ملتين.

الراء: الرق، وهو العبودية، فلا يرث العبد سيده

الزاي: ابن زنا، لا يرث أباه من الزنى ولا يرثه أبوه منه.

القاف: قتل العمد، فلا يرث القاتل المقتول.



# الفصل الثالث

## عناية المغاربة بكراريس الرسم والضبط والروايات

وأهم ما يعنى به المشايخ المدررون تلقين التلاميذ مسائل الثبت والحذف، وذلك لكثرة دور الألف المحذوفة في القرآن الكريم، ولأهمية تحصيل قواعد ذلك، عني كثير من المقرئين بجمع الألفات المحذوفة وحصر عددها في كل حرف من حروف الهجاء، ثم زادوا فنظموا ذلك في أراجيز تيسير ا لحفظه واستحضاره عند الكتابة وتصحيح الألواح، وفي ذلك يقول بعض من كتب عن الموضوع من أهل شمال المغرب:

«وللفقهاء (1) لمغاربة مشاركة فعالة في تأطير (الحذفيات) وتسهيلها وتقريبها إلى مستوى التلاميذ والطلبة، ليكونوا على بينة من أمر كتابة قرآنهم».

وقد استهل أبو عبد الله الخراز أرجوزته «مورد الظمآن» بذكر أهم الضوابط التي يستأنس بها في معرفة القواعد الكلية التي روعيت في رسم المصحف فيما يتعلق بحذف الألفات، فكان مما قال:

باب اتفاقهم والاضطراب ** في الحذف من فاتحة الكتاب

وللجميع الحذف في الرحمن ** حيث أتى في جملة القرآن

---

1 - يقصد (الفقهاء) بمعنى المدررين للصبيان.



كـــذاك لا خـــلاف بين الأمـــة ** في الحذف في اسم الله واللهمه
لكثـرة الدور والاســتـعـمـال ** عـلـى لـســـــــان لافظ وتـال
وجـاء أيضـا عنهم في العـالمين ** وشـبـهـه حـيث أتى كـالصـادقين
ونـحـــــــو ذريات مـع آيات ** ومـــسلـمـــات وكـــبـــيّنات
من ســالم الجـمـع الذي تكررا ** مـا لم يكن شُـدِّد أو إن نبـرا (1)
فـثـبـت مـا شـدد مما ذُكـرا ** وفي الذي هُمِـز منه شُـهِّـرَا
والخلف في التـأنيث في كليهما ** والحذف عن جُل الرسوم فيـهما
وجاء في الحرفين نحو الصادقات ** والصالحات الصابرات القانتات
وبعـضـهـم أثبت فـيـهـا الأولا ** وفـيـهـمـا الحذف كـثـيـرا نُقـلا
وأثبت التنزيل (2) أولى يابسات ** رسـالة العـقـود قل وراسـيـات
رجح ثبــتــه وباســـقـــات ** وفي الحـواريّين مع نَحْـسـات
أثبـــتـــه وجـــاء ربّانيـــون ** عنه بحـــذف مع ربّانـيـين (3)

وقد عني أبو عبد الله الخراز هكذا بذكر مسائل الخلاف بين علماء الرسم، وخاصة بين الحافظ أبي عمرو الداني في كتاب المقنع وتلميذه أبي داوود في كتاب التنزيل، وزاد بعض الخلاف الذي نقله الإمام الشاطبي في رائيته: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، وكذا بعض ما نقله الإمام أبو الحسن علي بن محمد المرادي المشهور بالبلنسي الأندلسي في كتاب «المنصِف».

---

1 - يعني: همز نحو «فمالئون» و«الخاطئون»
2 - هو كتاب التنزيل في رسم المصاحف لأبي داود سليمان بن نجاح (أنظر فهرسة المصادر والمراجع)
3 - أنظر شرحه دليل الحيران للمارغني: 26-32 .



ثم جاء بعد الخراز علماء عملوا على اختيار المشهور فرجحوا وصححوا حتى استقرت مسائل الرسم على ما رسمت عليه المصاحف وضبطت، وعمل عدد كبير من المعلمين للصبيان على تذليل هذه المسائل وتقريبها من المتعلمين في أراجيز سهلة من أجل حفظها. واشتهرت في ذلك «الكراريس» التالية في رسم القرآن:

1- أرجوزة الملخِّصة في الرسم للفقيه عبد الواحد بن الحسين الركراكي الواد نوني البعمراني، وأولها:

الحمد لله على النعماءِ ** حمداً بلا عدٍّ ولا انتهاء

2- أرجوزة تسهيل الحذف لعلي الجكاني، وأولها:

يقول من لنفسه أسير ** وقلبه من ذنبه كسير
المرتجي العفو من الرحمن ** تفضلاً عليٌّ الجَكاني

3- أرجوزة روضة الصبيان في الحذف والإثبات، لم أقف على ذكر ناظمها، وأولها:

أحمد ربي الله جل محكما ** على الذي به عليَّ أنعما

إلى أن يقول:

سميتها بروضة الصبيان ** في الحذف والإثبات في القرآن

4- أرجوزة السراج في حذف المبين ونوره للمقرئين لأحمد بن عمرو الجكاني الشهير بطوير الجنة أو الطالب الصحراوي، وأولها:

يقول راجي رُحم من يرحمُه ** الجكاني نجل عمرو واسمُه
أحمد لقِّب بطير الجنة ** أفاض ربي عليه مَنَّه
الحمد لله الذي خوّلنا ** نعمه، وذكره مَنحَنا

إلى أن يقول

وبعـد فـالعـون من الله الكريم ** في جمع ما حذف في الذكر الحكيم

سـميته السـراج في حـذف المبين ** ونورُه للمـقـرئين مـسـتـبين

5- مصباح الرسام في قراءة السبعة الأعلام لأبي عبد الله محمد الراضي بن عبد الرحمن السوسي وأولها:

يقـول راجي رحـمـة القـدوس ** محمد الراضي الأستاذ السوسي

6- أرجوزة كفاية الطلاب في رسم الستة غير نافع لأبي العلاء إدريس بن محمد المنجرة، وأولها:

حـمـدا لربنا من فـضله اصطفى ** لحـفظ وحـيـه الذي هو الشـفـا

إلى أن يقول

سـمـيـتـه كـفـاية الطُّلاب ** أرجـو به الجـزا من الوهاب

7- أرجوزة في رسم السبعة للفقيه محمد بن سعيد بن عمارة البنوني الواد نوني، وأولها:

الحـمـد لله الذي علمنا ** من العلوم مـا به فـضّلنا

8- أرجوزة في رسم السبعة لعلي بن الشرقي السجدالي، وأولها:

يقـول راجي عـفـو ذي الجـلال ** علي الضـعيف المذنب السـجدالي

9- أرجوزة رسم الستة أو درر المنافع في رسم القراء الستة السماذغ غير نافع لأبي العلاء إدريس بن عبد الله الودغيري الملقب بالبكراوي قال في عدد أبياتها:

أبيـاتهـا عـشـر تضيء كـالدرر** وعـشـرة ومـائتـان تعـتـبـر

10- عمدة البيان في حكم المحذوف في القرآن لأبي العلاء إدريس بن عبد الله الودغيري أولها قوله:

الحمد لله الذي قد اصْطفي ** لوحيه المصون قوْما شُرَفَا

وختمها بقوله:

ثم بحمد الله في ذي القعدة ** عشرين عاما قبل تسع عدة
من بعد عشرةٍ من المئينا ** ومائتين قُل من السنينا
سبعين بيتا مع ثلاثمائة ** وعشرة عدته مع سبعة

11- متن المصباح في رسم القرآن لسيدي محمد الفاسي، وأوله:

بسم الله الحمد له به ابتدا ** ثم الصلاة والسلام أبدا

12- أرجوزة نصرة الكتاب المبينة لمختار الأصحاب لمحمد التهامي بن الطيب الغرفي المسيفي المدغري الفلالي الضرير، فرغ منها في رمضان عام 1247 هـ، وأولها:

قال عبيد ربه المحتجب ** محمد التهامي ابن الطيّب
من بعد بسم الله الرحمن الرحيم ** مسهل الخط لذي الذكر الحكيم
الحمد لله الذي قد أنزلا ** كتابه على إمام الفضلا

13- أرجوزة الإعلان بتكميل مورد الظمآن في رسم باقي الأئمة الأعيان لعبد الواحد بن عاشر، وأولها

بحمد ربي ابتدا ابن عاشر ** مصليا على النبي الحاشر
هاك زوائد لمورد تفي ** بالسبع معه من خلاف المصحف

14- أرجوزة كشف العَمى والرين، عن ناظر مصحف ذي النورين: لمحمد العاقب بن مايابى الجكاني الشنقيطي، وأولها:

حـــمــــدا لمن علم بـالأقـــلام ** وجـــمـع الـقـــرآن في الإمـــام

15- أرجوزة المحتوي الجامع، على رسم الصحاب وضبط التابع، لعبد الله بن محمد الأمين بن فال الجكاني، وأولها:

الحـــمـــد لله الذي رسْمَ الكتـــاب ** وضَـــبْطه علمنا بلا عـــتـــاب

16- أرجوزة في الثبت والحذف في القرآن لأبي العباس أحمد بن عبد الله الميزوري المسّاري وأولها:

يقـــول أحــمـــد بن عـــبـــد الله ** المرتجي مـــغـــفـــرة الإله

17- أرجـوزة مـوصل الكُتّـاب، إلى بيـان الحذف في الكِتـاب، لم أقف على ذكر ناظمها وأولها:

الحـــمـــد لله الذي قـــد أنزلا ** كـــتـــابه على نبي فـــضـــلا

إلى أن يقول:

ســـمـــيـــتـــه مـــوصّل الكُتّـــاب ** إلى بيـــان الحـــذف في الكتـــاب

18- أرجوزة في الضبط لسيدي عبد السلام الزروالي يقول فيها:

عـــوارض الحـــروف من تنوين ** أوشـــد أو تحـــريك أو سكون

أومط أو نقط لذات الحـــــرف ** أو مـــبـــدل من شكله فلتـــعـــرف

حكم الجيع الفصل في الوضع على ** حروفـهـا أو تحتـهـا قل مُسْجلا

19- أرجـوزة تحـفـة القراء في بيـان رسم القـرآن على رواية ورش لمحمد العربي بن البهلول بن عمر الرحالي السرغيني، وأولها:

بـدأت باسـم اللـه ذي الجـــلال ** أحـــمــــده جلّ بكل حـــال



20- أرجوزة البسط والبيان فيما أغفله مورد الظمآن لابن عمر البيوري، وأولها:

يقول نجل عمر البيوري ** المرتجي مثوبة الغفور
الحمد لله العظيم الباقي ** الباعث المهيمن الخلاق
وبعد خذ نظما يفي بالمقصد ** برسم ما أغفله في المورد

21- أرجوزة فيما أغفله الخراز في المورد لأبي زيد عبد الرحمن بن القاضي، وأولها:

وهاك ما حذف في التنزيل ** وليس في المورد خذ تفصيلي

22- قصيدة في الرسم لأبي زكريا يحيى بن موسى الجزولي المشهور بلُقمان، وأولها:

بدأت ببسم الله الرحمن مولانا ** وسيدنا الرحيم سبحان ذي الغفر

23- أرجوزة الطالب عبد الله الشنقيطي وشرحُها مفتاح الأمان في رسم القرآن، وناظمها عبد الله بن محمد الأمين بن فال الجكاني من أهل القرن الثالث عشر الهجري، وأولها قوله:

الحمد لله الذي رسْم الكتاب ** وضبطه علمنا بلا عتاب

24- منظومة لامية لأحمد بن عبد الله الميزوري المساري -الآنف الذكر- مشهورة في شمال المغرب ومنها قوله:

وزد ألفا خطا قبل ذال لا أذبحن ** قبل يا ملائه ولو بجمع تلا
وبعد شين لشايء التي لدى الكهف ** وتايئسوا من رَوْح بعد التاء نزلا
وياييئس بعد اليا محركة معا ** بعد ميم مائة ومائتين جلا



25- أرجوزة في الرسم لعبد الواحد بن الحسين الركراكي المذكور صاحب الملخصة، أولها قوله:

أول ما نستفتح المقالا ** بذكر حمد ربنا تعالى

فالحمد لله على ما أنعما ** حمدا به يجلو عن القلب العمى

وهي المشتملة على الأبيات المتداولة في زوائد الياءات لورش التي أولها قوله:

القول في زوائد القرآن ** تلحق بالحمرا فخذ بياني

أولها الداعي إذا دعاني ** ثم من أتبعني العمران

وتسألنّي يوم يأتي هودِ ** دعائي في الخليل معْ وعيدي

26- أرجوزة في الثبت وتسمّى إفادة الصبيان، في رسم القرآن، لأبي عبد الله محمد بن بوزيان أولها:

أبدا بحمد ربنا العلي ** ثم الصلاةْ على النبي المكي

فهاك أحرفا أتت بالثبت ** قد وردت عن جميع السادات

27- قصيدة كشف الرموز، وتعرف عند الطلبة باسم «الكناوية» في الرسم. وهي قصيدة لامية لأبي العباس أحمد الربيعي السوسي، وموضوعها الثبت والحذف في القرآن الكريم، رتبها على حروف المعجم من الهمزة إلى الياء، في نحوه 800 بيت (1) .

28- قصيدة النجمة المضيئة لامية أيضا لأبي عبد الله محمد بن حمان أشماخ الحزمري في موضوع الثبت والحذف، ضمنها قصيدة أبي العباس أحمد بن عبد الله الربيعي السوسي -الآنف الذكر- وتقع في 931 بيتا، نظمها سنة 1323 هـ (2).

1- أنظر القراء والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب : 166 .

2 – نفسه: 167 .

29- حذفية ورسمية للشيخ عبد الواحد القرمودي الرجراجي المسماة «فكرة ساعة» وأولها:

يقول من عفوَ الإلَه راج ** عبد الواحد القرمودي الرجراجي

الحمد لله وباسم الله ** مبتدئا مستعينا بالله

يقول في مقدمتها:

برسم ورش أعني للصبيان ** في كل ما رُمت من البيان

سميته «فكرة ساعة» على ** ما خُصّ من مجد وجود وصلا

يقول في أول باب منها.

بابٌ وهاك ضابطاً في وضع ** رسم المثنَّى وسليم الجمع

أما المثنى وسَطاً لا طَرفاً ** في الإسم والفعل جميعا حُذفا

مِثاله كرجلان يَسجُدان ** وكا للذان، ما سوى تكذبان (1)

وكل جمع سالمٍ كالعالمين ** حيث أتى في الإسم مثل الصابرين

واللاعنون والمهاجرينا ** والصالحون متقابلينا

وفي المؤنث كطيّبات ** ومسلمات ومصدِّقات

والحذف في الحرفين مثل قانتات ** والباقيات الصالحات الصادقات

وكشهادات ومثل خالات ** وفي المغيرات وفي معلومات

فقس على المذكور كل ما ترى ** من سالم الجمع الذي تكرَّرا

ما لم يكن مهموزا أو مشدّداً ** فالثبت فيها قبل ذين وردا..

1 - كتبنا الجميع بألفات ثابتة مراعاة لكتابة الكلمات بالآلة التي يتعذر فيها وجود الألف المحذوفة واللام المرشوقة.



وقال في ختامها:

فـي ثـانـي يـوم مـن ربـيـع الأول ** في عـام (طمـرش) (1) بلا تماطُل
أبيـاته سـبـعـون بعـد المائتين ** وزد عليـهـا تسـعـة وخـمـسين (2)

## كراريس علوم الأداء وبرامج التدريس في المحضرة المغربية وترتيب الروايات

وعلى الرغم من عدم وجود هيئة علمية رسمية تشرف على هذا النوع من التـعليم المحضـري، وترتب سنوات الأخذ فـيه، وتضـع البـرامج العلمـية وتحـدد المواد وترسم المناهج، فـقـد كـانت بـين المشـايخ المدررين والعلمـاء والقراء المدرسين أعراف مـحضرية سائدة تقوم بهذا التنظيم بتلقائية عجيبة وبحـرية أيضـا، إذ أن المشـايخ هم الذين يقـدرون حـاجـة مـحـاضـرهم والمستويات التي فـيها، وهم الذين يقررون المواد العلمـية فـيـها، ويخـتـارون المتـون و«الكراريس» التـي يعـتـمـدونهـا، ويأمـرون تلامـذتهم وطلبـتـهم بانتساخها وحفظها، كما أنهم يحرصون على أن يذيّلوا بأبيات منها ألواح المتـقـدمين فـي الدراسـة والتـحـصـيل، ويأمـرون باسـتـغـلال أيام العطل الأسبوعية وغيرها في هذا الشأن للحفظ والنسْخ.

وهكذا أدركنا بعض مشـايخنا يعطون لبـعض نبـهـاء الطلبـة من ذوي الخطوط الجـيـدة بعض المتـون والكراريس في الرسم والضـبط والتـجـويد وأصول الأداء واختلاف القراء. ليقوموا بأخذ نسخ منها للشيخ ولأنفسـهم في أيام العطل الأسبوعية.

1 -يساوي تاريخه: 1249 هـ.
2 - مخطوطاتها نادرة وقفت على واحدة منها مؤخرا عند بعض الطلبة.

وأهم «الكراريس» التي يعتني بها المشايخ منذ ظهورها إلى اليوم:

1- قصيدة الإمام الحصري الرائية في قراءة نافع من روايتي ورش وقالون، وأولها:

إذا قلت أبياتا حسانا من الشعر ** فلا قلتها في وصف وصل ولا هجر

2- أرجوزة ابن بري «الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع، لأبي الحسن بن بري التازي، وأولها:

الحمد لله الذي أورثنا ** كتابه، وعلمه علّمنا

3- أرجوزة مورد الظمآن في رسم حروف القرآن لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الخراز، وأولها:

الحمد لله العظيم المنن ** ومرسل الرسل بأهدى سنن

4- تحفة المنافع في قراءة الإمام نافع لأبي وكيل ميمون بن مساعد مولى الفخار، وأولها.

الحمد لله الذي هدانا ** لصفوة الإيمان واجتنابا

5- الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقود الديانات لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، وأولها:

الحمد لله العليّ الفَرْدْ ** أهل المعالي والسَّنا والمجد

6- أرجوزة الميمونة الفريدة في نقط المصحف لأبي عبد الله القيسي الضرير، وأولها:

الحمد لله الذي اصطفانا ** وذِكْرَه أورثنا وفانا

7- أرجوزة الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية لأبي وكيل ميمون مولى الفخار، وأولها:



يقــول راجي رحــمــة الغــفــار ** والفــوز بالحُــسنى مع الأبرار

8- قصيدة حرز الأَمَاني (الشاطبية) للقاسم بن فيره الشاطبي، وأولها:

بدأت ببـــسم اللـه في النـظم أولا ** تبـارك رحـمـانا رحـيـمـا ومـوئلا

9- أرجـوزة الـدرة السنيـة في ترجيح خـلاف البَـرِيَّة لأبي القـاسم أحـمـد التازي، وأولها:

من بعــد حــمــدا لله صليت على ** مــحــمــد خــيــر نبي أُرســلا

10- أرجوزة البـارع في قراءة الإمام نافع لأبي عبد الله محمد بن آجروم الصنهاجي، وأولها:

يقـــول من عـــفـــو الإله راج ** وعــونه مــحــمــد الصنهـاجي

11- أرجوزة النافع في أصل حرف الإمـام نافع لأبي زيد عبد الرحمن بن أبي غالب الجادري، وأولها:

الحــــمـــــد لله العظيم ** منـزِّلَ الـذكـــــــر الحـكـيم

12- أرجوزة الشيخ محمد الغنيمي «دلالة التعليم في الرسم» وأولها:

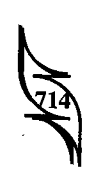
الحـــــمـــــد لله العلي الأعلى ** حـــمـــــدا يدوم بدوام المولى

13- أرجوزة تفصيل عقد الدرر لأبي عبد الله محمد بن غازي، وأولها:

الحــمــد للإله والصـــلاةُ ** على الذي به اقــتــدى الهــداةُ

14- تحـفـة الألَيف، في نظم مـا في «التـعـريف» لأبي عـبـد الله مـحـمـد بن إبراهيم الصفار، وأولها:

بدأت بحـمــدا لله نظمي مـصليـا ** على أحـمـد والآل والصــحب أولا



15- قصيدة العامري في الطرق العشر النافعية لمحمد بن محمد بن مالك العامري، وأولها:

بحـــمــد إله العـــرش أبدأ أولا ** لألفي به نظمـــا به بالٌ أكـــمـــلا

16- قصيدة الوهراني في الطرق العشر النافعية لمحمد بن أبي جمعة الوهراني المغراوي، وأولها:

بدأت بحـمـد الله مـعـتـصـمـا به ** نظامـا بديعـا مُكَمَّـلا ومـسـهَّـلا

17- أرجوزة نظم التعريف (التعريف الصغير) فيما خالف فيه العتقى والأصبهاني الأزرق عن ورش وما خالف فيه الحلواني والقاضي محمد بن هارون أبا نشيط المروزي عن قالون لأبي الحسن علي بن سليمان القرطبي، وأولها:

الحـــمــد لله القـــديم البـــاقي ** الواحِـد المهـــيــمن الخـــلاق

18- قصيدة الأجوبة المحققة (رائية الوقف) لأبي عبد الله القيسي، وأولها:

أيا طالبـا في الوقف حكمـا ممهـدا ** على كل حـرف حين يتلى من الذكـر

19- أرجوزة تكميل المنافع في الطرق العشر المروية عن نافع لعبد السلام بن محمد المدغري، وأولها:

يقـــول راجي عـــفـــو خـــالق الأنام ** نجل مـــحـــمـــد عـــبـــيـــد للســـلام

20- أرجوزة الدرة المضيئة في علل أحكام قراءة نافع لعبد الله المغراوي البرجي، وأولها:

الحـــمـــد لله الكريم البـــاري ** ســـبـــحـــانه من ملك قـــهـــار

هذه أهم المنظومات المتداولة في المحاضر المغربية، والمستعملة حتى اليوم عند مشايخ الإقراء وعليها كان اعتماد شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري إمام مسجد البئر الفايض بالكريمات من قبيلة الشياظمة

من نواحي الصويرة، وقد انتفعت بها غداة قراءتنا عليه خلال الستة الأعوام التي لزمته فيها، كما حصلت على نسخها من خزانته بعد ذلك عند اشتغالي بالبحث في قراءة الإمام نافع عند المغاربة ومقوماتها ومدارسها إلى نهاية المائة العاشرة.

وعلى الرغم من تراجع الإهتمام بهذه الكراريس عند أهل الجيل الحاضر والذي قبله من حيث الحفظ والمدارسة، فإن بقية باقية ما تزال إلى اليوم في بعض الجهات، وقد زادت عليها كراريس أخرى في الرسم والضبط وأصول الأداء وغيرها حلت محلها في غالب الأحيان عند المتأخرين، ألا أن الجملة ما تزال بحمد الله - محفوظة في خزائن مشايخ الإقراء.

## مادة الكراريس ودخولها في التدريس عند أصحاب المحاضر المتقدمة

ولقد فطن مشايخ المحضرة عندنا في المغرب منذ أوائل المائة الثامنة: عصر أبي عبد الله ابن القصاب وأبي عبد الله بن آجروم وأبي عبد الله الخراز الشريشي وأبي الحسن علي بن بري التازي وأبي عبد الله الصفار التينملي وأبي عبد الله القيسي وأبي وكيل ميمون الفخار وسواهم، إلى أهمية هذه المنظومات والأراجيز التعليمية المساعدة، فاعتنوا برواية المشهور منها كالمنظومة الرائية للحصري، وحرز الأماني للشاطبي، والتكملة المفيدة للقيجاطي، وعقيلة الأتراب للشاطبي أيضا، والمُنصف لأبي الحسن البلنسي، ونظموا في معناها وعلى منوالها منظومات رأينا هذه النماذج منها في هذه القائمة والتي قبلها وأراجيز كثيرة لم نذكرها.

وقد دخلت هذه المنظومات التعليمية ضمن ثقافة (المحضرة)، وأمست جزاءا من الرصيد العلمي الذي تعنى به المشيخة، ويرحل الطالب من أفقه إلى غيره طلبا لتحصيله، والحصول على نسخه، وأصبح على الشيخ المتصدر في هذا المستوى من (المحاضر) أن يمتلك خزانة علمية تشتمل على هذه المنظومات وما وضع عليها من شروح الأئمة، وربما جعل بعضهم هذه الشروح ضمن ما يشتغل بدراسته وتدريسه مع خاصة طلبته كما سنراه (1).

وقد عرفت مدارس القراءات بفاس في أواخر العهد الوطاسي، وأوائل العهد السعدي في المائتين التاسعة والعاشرة من الهجرة على عهد أبي عبد الله الصغير النيجي (ت 879 هـ) وأبي عبد الله بن غازي (919 هـ) وأبي الحسن علي بن هارون المطغري (ت 951 هـ) وأبي عمْرو عثمان بن عبد الواحد اللمطي المكناسي (ت 954 هـ) وأبي عبد الله محمد مجبر المساري (ت 978 هـ) وأبي عبد الله محمد بن علي بن عدّة العِدِّي (ت 975هـ) وأبي الحسن علي بن عيسى الراشدي، (ت 961 هـ) وأبي إسحاق إبراهيم اللمطي (ت 988 هـ) ظهور (الكراسي العلمية) المخصصة لهذه المنظومات التي أطلق عليها اسم (الكراريس) وهذه الكراسي كانت في المساجد الكبرى وجامع القرويين بفاس وجامع الأندلس بها، وببعض المدارس التابعة للقرويين، وأكثر القائمين عليها هم من كبار تلاميذ مدرسة الشيخ أبي عبد الله بن غازي بفاس.

1 – أنظر حديث أبي العباس المنجور عن ما سماه «الة تحصيل الطالب» في فهرسته: 65 .



وفي فهرس أبي العباس المنجور سجل حافل عن هذه الكراسي والكراريس العلمية، التي كان أولئك الأئمة الذين سميتهم أعلاه يقومون بها، ممن أخذ عنهم المنجور مما يتصل بهذه الكراسي والكراريس الخاصة بتدريس بعض علوم الرواية والرسم والضبط بالمحاضر الفاسية في أوائل عهد السعديين، وكان أبو العباس المنجور واحداً من الذين كانوا يحضرونها حتى تخرجوا منها.

## نماذج من الكراسي العلمية والكراريس الخاصة بالشاطبية والدرر اللوامع

### ومورد الظمان بمدينة فاس منتصف القرن العاشر

✓ قال أبو العباس أحمد المنجور في ترجمة علي بن موسى بن هارون المطغري إنه ذكر في ثبته الذي ذكر فيه ما أجازه به شيخ الجماعة أبو عبد الله بن غازي عام 906 هـ مما قرأ هو على الشيخ أو قرئ بمحضره: أنه عارضه القرآن العزيز نحو عشرين ختمة بعد ختمة السبع، ومن قبلها سبع: ثلاث لورش، وثلاث لقالون، والسابعة بالطرق العشرة (1)، قال:

ختمها في اثني عشر يوما مقفلنا من سلا «حرسها الله» ثم ذكر باقي مروياته عن ابن غازي في الفقه والحديث والسيرة واللغة وغير ذلك ثم قال:

---

1 - يعني: الطرق النافعية العشر من الروايات الأربع عن نافع.

ومن كتب القراءات صدر (التيسير في القراءات السبع) لأبي عمرو الداني، وناولني سائره، وأجازنيه حسبما هو في الإجازة القرآنية، و(الشاطبية الكبرى (1) لأبي القاسم الشاطبي - رحمه الله.

قال ابن هارون:

«عرضتها عليه في مجلس واحد من صدري، وكذلك رجز ابن بري: (الدرر اللوامع) وكذلك ( مورد الظمآن) لأبي عبد الله الخراز...» (2).

قال المنجور: «وكان غاية في حفظ القرآن، يعرف ذلك من قيامه ليلة خمس وعشرين (3) من رمضان بمحراب جامع القرويين، فإنه كان لا يستنيب ليلته تلك أحدا مع كبر سنه، ويسمع منه القرآن كالحَجر، لا يتتعتع فيه ولا يقف، ولم يخلف بعده في فنه مثله رحمة الله عليه... ولما قربت وفاته أخذ يتلو القرآن مع الأستاذ الحاج أبي عبد الله الزروالي، ممن جمع عليه القرآن بالقراءات السبع، بدأ الختمة من أولها، حتى وصل إلى قوله تعالى: «ولا تجادلوا أهل الكتاب» (4)، فوقف الشيخ ولم يستطع الكلام، فاستمر الزروالي على القراءة، فعند الختم قبضت روح الشيخ رحمة الله عليه، وتوفي بالقعدة من عام أحد وخمسين، وقد نيف على الثمانين...» (5).

1 - الكبرى هي اللامية في القراءات السبع، والصغرى هي الرائية: عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد، نظم فيها ما في المقنع في رسم المصاحف لأبي عمرو الداني.
2 - فهرس أبي العباس أحمد المنجور: 40-42 .
3 - كذا، ولعلها ليلة سبع وعشرين.
4 - سورة العنكبوت.
5 - فهرس أحمد المنجور: 49-50 .



✓ وقال المنجور في ترجمة عثمان بن عبد الواحد للمطي المكناسي:
«كان مجيداً للقرآن العزيز حفظا وأداء، مع حسن نغمة به ما سمعتها من غيره، ورسما وضبطا، وعلما بأحكام ذلك، والنحو الغزير... قرأ على شيخ الجماعة أبي عبد الله ابن غازي، وجمع عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع، وأجازه، ولازمه في التفسير وغيره من دروسه سنين...»

قرأت عليه بحرف نافع ثلاث ختمات من القرآن العزيز: إحداها بطريق ورش، والآخريين بطريق قالون، وحضرت عليه جملة وافية من (ألفية ابن مالك) بمدرسة (الحلفاويين)، ينقل لفظ (المرادي)، وتفهيمه كما ينبغي، ويطرّز ذلك بما يجلب على المَحَلْ من نص (الكافية) و(مورد الظمآن) للأستاذ أبي عبد الله الخراز بمدرسة (الصهريج) من فاس الأندلس، ينقل عليه كلام ابن أجطّا بلفظه، وكان منفردا عن الناس حين فراغه من التجويد، مقبلا على شأنه، متواضعا منصفا» (1).

✓ وقال المنجور في ترجمة أبي عبد الله بن مجبر المساري:

«كان متقنا لعلوم القرآن، (كحرز الأماني) و(الدرر اللوامع) و(مورد الظمآن) مع ذيله (2) حفظا وفهما، مع البحث والإمعان، عنده تقاييد الشيوخ (3) وزاد هو عمن لحقه منهم ومن بنات فكره ما فاق به الأقران» ثم قال:

---

1 – فهرس احمد المنجور: 62-63 .
2 – هو ذيله في الضبط ويسمى عمدة البيان.
3 – وصلت إلينا هذه التقاييد المتلقاة عن شيوخ فاس، وتسمى باسم «الطرر الفاسية».



«وكان يحفظ السبع حفظا بالغا يفوق فيه أقرانه، يستحضر نصوص (حرز الأماني) ولا يحتاج إلى أن ينظر (التيسير) و(إنشاد الشريد) (1) أو غيرهما، ودرس كثيرا في كتاب الله العزيز حتى أتقن حفظه كالأستاذ العِدِّي (2).

قال المنجور: ختمت عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع، وحضرت عليه (الألفية) بمسجد (الصوّافين).. وقرأت عليه جملة وافرة من (الخزرجية) ومن (الشاطبية الكبرى) بلفظي إلى سورة الأنعام.

كنت أقرؤها عليه بين المغرب والعشاء (بجامع القرويين)، ينقل عليها من (الجعبري) (3).

✓ وقال المنجور في ترجمة أبي القاسم بن محمد بن إبراهيم الدكالي من أصحاب ابن غازي:

«كان من الأساتذة المعتبرين، عارفا بعلوم القرآن أداء ورسما وتفسيرا، ممتعا من الكت العلمية: التفسير والحديث والعربية وغير ذلك مما جمعه صهره والد زوجته الأستاذ الكبير، ذو النحو الغزير، الفقيه الفرضي أبو عبد الله الهبطي، وهي إعانة كبيرة على الطلب، كما كان بعض الشيوخ يقول:

آلة تحصيل الطالب: كتب صحاح، وشيخ فتاح، ومداومة وإلحاح.. قال: وكان ينقل (شرح ابن عبد الكريم الأغصاوي على الدرر اللوامع) بفصوله ويستوفيه، ويطرزه بكلام الأستاذ الكبير أبي وكيل ميمون المصمودي مولَى الفخار في (التحفة)، وكان آية الله عز وجل في ذلك...»

---

1 – إنشاد الشريد من ضوال القصيد حاشية على الشاطبية لابن غازي .

2 – سيأتي ذكره عن قريب.

3 – يعني من شرح كنز المعاني للجعبري، أنظر فهرس أحمد المنجور: 63-65 .



قال المنجور: حضرت عنده جملة وافرة من التفسير و(ألفية ابن مالك) و(الدرر اللوامع) و(حرز الأماني)، وقرأت عليه من القرآن العزيز بالقراءات السبع من فاتحته إلى حزب واذكروا الله» (1).

✓ وقال في ترجمة عبد العزيز بن عبد الواحد للمطي:

«كان هذا الرجل آية الله في التوسع في العلوم والتفنن فيها.. وحج أزيد من ثلاثين حجة، قال: «وأخذ يدرس جادا في فنون من العلم (بمدرسة العطارين) وغيرها... وكان -رحمة الله عليه- متواضعا لا يتكبر عن حضور مجلس، وكثيرا ما يأتي يوم الخميس إلى (جامع القرويين) لحضور مجلس الشيخ الأستاذ أبي القاسم بن إبراهيم في (الدرر اللوامع) (2).»

✓ وقال المنجور في ترجمة العدِّي:

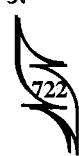
«ومنهم الشيخ الأستاذ الحافظ لكتاب الله الحفظ المتقن، متنا وأداء ورسما وضبطا: أبو عبد الله بن علي بن عدة الأندلسي المشهور بالعدِّي.

درس القرآن العظيم الدرس البالغ، اشتهر عنه أنه كان يدرُس اللوح من القرآن ألف مرة حتى حفظه ذلك الحفظ، بحيث لا يقف ولا يتتعتع، يضرب به المثل في الحفظ، على أن القرآن غلاب، قد يقف فيه من لا يظن به ذلك، وكانت أحكامه أداء ورسما وضبطا حاضرة لديه، ويحفظ في ذلك منظومات لقواعد وجُزئيات، وكان له خط رائق، ونَسخ نسخا عديدة من كتاب الله -عز وجل- للسلاطين وغيرهم، والناس يتغالوْن في نسْخِه.

---

1 -فهرس احمد المنجور: 65-66 .

2 - فهرس احمد المنجور: 35-36 .



قال: ومثله في جودة حفظ القرآن بكثرة الدرس شيخنا الأستاذ أبو عبد الله بن مجبر، وكانا معا يقصدان لتصحيح نسخ القرآن من حيث المتن والرسم والضبط قال المنجور: لازم دروس شيخ الجماعة أبي عبد الله بن غازي في التفسير وغيره، وسمع عليه (صحيح البخاري) وجمع عليه وعلى الأستاذ أبي العباس الدَّقّون القرآن بالقراءات السبع، وأجازه كل منهما فيه وفي غيره...

«وجوّد عليه القرآن من الطلبة من لا يُحصى، وممن قرأ عليه بعض القرآن بالسبع: شيخنا العلامة أبو محمد عبد الوهاب الزقاق، وتلوت عليه بالسبع ختمة من القرآن من فاتحة الكتاب إلى آخره، ومن أخرى إلى أثناء سورة الأنعام، وكان يحفظ السبع أيضا، فكثيرا ما قرأنا منه جزءاً كاملا في المجلس الواحد بسرعة» (1).

وقال المنجور في ترجمة شيخه أبي عبد الله محمد بن أحمد العبسي:

«ومنهم الفقيه الأستاذ النحوي الخطيب نيابة أبو عبد الله محمد العبسي.

قرأ على شيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن غازي وجمع عليه القرآن العظيم بالقراءات السبع وأجازه فيه وفي غيره.

قال المنجور: وحضرت عنده مجالس يعرب فيها القرآن، ويقرئ (الألفية) بنقل المرادي، و (مختصر خليل) وشيئا من التفسير من (الدرر اللوامع) بكرسيه بجامع الأندلس، ثم ذكر وفاته سنة 964 هـ (2).

---

1 – نفسه: 66-67 .

2 – فهرس المنجور: 69



فهكذا كانت الكراريس تعم جميع حلقات الدرس عند أصحاب أبي عبد الله بن غازي ورجال مدرسته حيثما تصدروا كما رأينا في هذه التراجم عن الشيخ المنجور. وكان للدرر اللوامع خاصة من بين هذه الكراريس النصيب الأوفر، ويكفي في أهميتها القصوى، أنها استأثرت بكرسيين كبيرين في مسجد (جامع القرويين) كما تقدم، وفي مسجد (جامع الأندلس) بفاس.

ثم يليها في الرتبة أو يزاحمها، كرسي مورد الظمآن في الرسم لأبي عبد الله الخراز، فقد رأينا العناية بدراسته مواكبة لدراسة دُرر ابن بري.

ولقد ظلت هذه العناية، بهذين الرجزين قوية قائمة في هذه الكراسي أكثر من ثلاثة قرون ونصف.

ومما نقرؤه في نشر المثاني للقادري عن استمرار هذه العناية بتدريس هذه الكراريس في الحضرة المغربية ما ذكره العلامة الفقيه محمد بن قاسم القصار مما كتب به إلى الفقيه أحمد بن العربي العلمي قاضي شفشاون (ت 1027 هـ) فإنه قال له:

«وأعجبني إقراؤك (الرسالة) وفرحت بها، لأنك ربما اقتصرت على المحتاج إليه، وختمتها سريعا، وكذلك إقراؤك الخراز أعجبني، واعتمد على ابن أجطا، فإنه صحيح النقل جداً، وكثير من شروح (الخراز) فيه تحريف» (1).

---

1 - نشر المثاني: 221/220/2 .



وقال القادري في ترجمة محمد بن عبد الرحمن القصري الزامر (ت 1076 هـ) نقلا عن تلميذه الحافظ أبي زيد عبد الرحمن الفاسي: «فختمت عليه القرآن في ذلك العام، وحفظته في أول ختمة على التمام، وأنا ابن سبعة أعوام، وبدأت الختمة الأخرى مع (الكراريس) (1).

## الوقف على كرسي الشاطبية لأول مرة بفاس

وقال المنجور رحمه الله في ترجمة أبي الحسن الراشدي

«ومنهم الشيخ النحوي الصالح أبو الحسن علي بن عيسى الراشدي، كان يحسن علوم القرآن أداء ورسما وضبطا، ويُلقي (الكراريس) و (ألفية ابن مالك) إلقاء حسنا.

نفَّذ له تدريس (الشاطبية الكبرى) الذي أنشأ تحبيسه الشيخ الفقيه الفرضي الصالح أبو القاسم الكوش الدرعي، لنظر الشيخ الإمام أبي الحسن ابن هارون، ولم يكن لها وقف قبله، فأقرأها، وأعاد، محضرا بالمجلس لكثير من شراحها كالسخاوي (2)، وأبي شامة (3) والفاسي (4) والجعبري (5)حتى تفقه فيها، وكنت أنا وبعض الطلبة قرأناها عليه قبل ذلك الوقف، حضرت عنده فيها إلى فرش الحروف (بمسجد الشُرفاء) حيث كان يدرس (البردة) يوم الخميس ويوم الجمعة، وكان كثير المطالعة لاستيعاب أبي عمر ابن عبد البر (6)، فكثيرا ما يورد منه من حفظه».

---

1 – نفسه: 2/156-157 .

2 – المراد كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد للإمام السخاوي، وقد طبع مؤخرا (انظر لائحة المصادر والمراجع).

3 – المراد كتاب إبراز المعاني من حرز الأماني – طبع أكثر من مرة.

4 – المراد كتاب اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة لمحمد بن الحسن الفاسي، حققه الأستاذ الحسن صدقي، ولم يطبع بعد.

5 – تقدم ذكره وهو كنز المعاني، حقق بعضه الأستاذ أحمد اليزيدي رحمه الله وهو مطبوع.

6 – المراد كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر بن عبد البر النمري القرطبي.

«قرأ على شيخ الجماعة الإمام أبي عبد الله بن خلف، وجمع عليه القرآن العزيز بالقراءات السبع، وأجازه فيه وفي غيره، وعلى أساتيذ عصره أيضا كأبوي العباس الدقّون والحبّاك، وأبي عبد الله الهبطي ... وكان قدومه على فاس سنة إحدى عشرة -يعني بعد التسعمائة- وقال لي: إنه رأى أبا العباس بن زكريا المغراوي التلمساني، وأنه كان يأخذ (المعروف) (1) من داره وهو صغير، ولم يأخذ عنه.

قال المنجور: «قرأت عليه من القرآن العظيم بالقراءات السبع من فاتحته إلى (ولقد جاءكم موسى بالبينات) (2) وحضرت عليه جملة وافرة من (البردة) ومن (الشاطبية الكبرى) إلى فرش الحروف، وكنت أقف على حانوته بالسماط وأستفيد منه» (3).

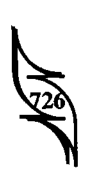
وقد ذكر العلامة عبد الله الجراري أهمية هذا الحدث، وهو إنشاء كرسي للشاطبية وأثره في إثراء الدراسات القرآنية لهذا العهد، فقال:
«كان المقرئ علي بن عيسى الراشدي التلمساني أستاذا للقراءات في الدولة السعدية، كما كانت له دراية واسعة في قواعد اللغة والأدب، وقد استهل عمله بتدريس (الكراريس) وهي: المنظومات الأولية المتعلقة بضبط القرآن ورسمه وتجويده.

ثم أسند إليه (كرسي الشاطبية) بمسجد الشرفاء، قال:

والعناية برسم القرآن وضبط حروفه كانت من أقدس ما يتعاطاه علماؤنا، لما في الاشتغال بذلك من الأهميّة العلمية في التفسير وعلومه، إذ

---

1 - المعروف: هو المسمى عندنا بالرتبية وسيأتي ذكره في روافد الشرط.
2 - يعين الربع الأول من الحزب الثاني من القرآن الكريم.
3 - فهرس أحمد المنجور: 68 .



معرفة حروفه ورسمها إثباتا وحذفا ووضعا وإمالة وفتحا وما يمتّ إليها بصلة، لا تنفك تساعد الناظر في القرآن ونصوصه على الوصول إلى المفهوم الهادف، إلى حد كان معه الذي لا يحسن هذا الصنف من فنون القرآن غير مرموق في صفوف الدارسين والقراء.

وشيء من هذا القبيل أدركناه في دراستنا الأولى، حتى كان مجرد الحفظ للكتاب، وإن لم يتوفر مستظهره على ثقافة علمية، فإنه يعترف له بالمكانة ويحظى بالتقدير والاعتبار.

وإدراكا منهم لهذه المزية والأهمية نجدهم يعتنون بالرسم والضبط اعتناء زائدا، بل يضعون لذلك ضوابط يصوغونها في أراجيز وأبيات تحفظ تلك القواعد الرسمية وأسسها.

وقد أفرغ علماؤنا -خاصة قراءهم- طاقة كبيرة للكتابة في هذا الموضوع الهام رسما وضبطا للحرف القرآني وحياطته بما يجب له من قداسة» (1).

ثم قال رحمه الله: «وكم كان ولوع المؤلف -يعني نفسه- يراوده على جمع ما أمكن من تلك النصوص، والحديث عنها وما تضمنته داخل أشطارها، وإن لم يأخذ بعضها الطابع العروضي أحيانا، لما تحويه في طيها من تلميحات وتلويحات جدية وفكاهية حلوة تدعو إلى استساغتها وحفظها(2).

1 -متعة المقرئين للجراري: 14-15 .

2 - نفسه: 15 (الهامش رقم 6).



أقول: وهذا الولوع الذي كان يراود الأستاذ الجراري -رحمه الله- هو الذي أملى علي أن أفيض في فصول هذا الباب، بل أملى علي أن أخص هذا الميدان بهذا الكتاب، ضنانة به أن تتجاوزه أقلام الباحثين. فلا تكاد تجد من البحث الرصين فيه إلا الإلمامة اليسيرة هنا وهناك، والله سبحانه الموفق.

ومن أفذاذ هذا الرعيل ممن تحدث عنهم الشيخ أبو العباس المنجور في فهرسه القيم ممن اعتنوا (بالشاطبية) ودراسة (الكراريس) خلفا لابن عيسى الراشدي تلميذه: أبو سالم إبراهيم اللمطي.

قال المنجور: «ومن شيوخنا الذين قرأت عليهم في ابتداء الطلب، الأستاذ الصالح البركة الحاج أبو سالم إبراهيم اللمطي. هو أول من جودت عليه القرآن، بل وعليه حفظته، وقرأت (مورد الظمآن) و(مقدمة الجرومية) وعليه تمرنت في إعراب الكتاب العزيز.

وقرأنا معا السبع على الشيخ الإمام أبي الحسن بن هارون في سنة واحدة وأجازنا معا، وحضرت معه أيضا عند الشيخ الأستاذ أبي الحسن بن عيسى -الراشدي- في (حرز الأماني) و(البردة)، وكان هو ممن قد لازمه معروفا به سنين طويلة في علوم القرآن والنحو وغير ذلك، وعليه تخرج.

وولي تدريس (الشاطبية) و(البردة) بعد موت ابن عيسى، فعالجهما وقام وقعد نحواً من خمس وعشرين سنة حتى نفذ فيهما ونجب.

وكان ملازما تعليم كتاب الله العزيز نحواً من خمس وأربعين سنة، ما عرض له فتور ولا كسل، وتخرج عليه في حفظ القرآن جماعة كثيرة من الصبيان وغيرهم. .. وتوفي -رحمه الله - سنة ثمان وثمانين وتسعمائة» (1).

---

1 - فهرس أحمد المنجور: 73-74 .



وهكذا أخذت الكراريس التعليمية مكانتها في الحضرة المغربية، وأسهمت بدورها في إثراء الدراسات القرآنية، وإغناء الرصيد المعرفي عند القارئ المغربي، مما زاد في تنمية مداركه، وأهّله لكي يتبوأ الكراسي العلمية ويحصل على مراكز الشياخة والأستاذية، بكفاءة تامة وجدارة واستحقاق، وصار تدريس الكراريس داخلا في وظيفة الطالب الحاذق المتأهل، ومعدودا من معارفه التي تبين عن منزلته، وغدا مألوفا أن يقال في ترجمته كما قيل عن عبد الرحمن الرايس الفاسي (ت 1109 هـ): «كان يدرس (الألفية) و(الشاطبية) و(الكراريس) و(الرسالة) (1).

وكما قال أبو زيد التمنارتي في ترجمة شيخه الأستاذ أبي عمران موسى بن أحمد التدماوي:

«جئته أول دخولي لمدينة تارودانت سنة إحدى وتسعين وتسعمائة أو التي تليها، وأنا ذو ذؤابة أقرأ عليه لوحي في (مورد الظمآن) فأبطأ معي فيه حتى طلع النهار» (2).

وكما قال في ترجمة شيخه الأستاذ الزاهد الصالح إبراهيم بن سليمان الهشتوكي تلميذ محمد بن يوسف الترغي:

«قرأت عليه (مورد الظمآن) للخراز و(الضبط) (3) و (الدرر اللوامع) لابن بري، و(حرز الأماني) للشاطبي، قراءة سرد وبحث في بعض المواضع منها، وهو الآن بقيد الحياة» (4).

1 – نشر المثاني للقادري: 84/3 .
2 – الفوائد الجمة للتمنارتي: 143 .
3 – يعني عمدة البيان، وهي ذيل مورد الظمآن في الضبط.
4– الفوائد الجمة: 148-149 .



ومعنى هذا كله أن ما ذكرناه من (الكراريس) التي تخدم جوانب الرسم والضبط والتجويد وأصول الأداء، وتنطلق من اختيارات الأئمة كأبي عمرو الداني وأبي داود سليمان بن نجاح المؤيدي، وأبي القاسم الشاطبي وأبي الحسن بن بري وأبي عبد الله الخراز وأبي إسحاق التجيبي صاحب التبيان في الرسم والضبط وغيرها قد غدت منذ المائة الثامنة علما مستقلا، ومادة جديدة من مواد التخصص في المحضرة المغربية، بل أصبحت من الحوافز الطلابية التي تحفز على الضرب في الآفاق في شأنها ابتغاء أخذها عن مشيختها.

والملاحظ أن مراكزها في الشمال والجنوب كانت تتأثر بالقرب والبعد من كرسي الحكم، وذلك نتيجة وتبعا لمقدار التشجيع الذي كانت المشيخة تلقاه في الحواضر من السلطة القائمة، أو من الأوقاف التي كانت ترصد لذلك.

ومن هنا نجد الاهتمام بتدريس المورد وحرز الأماني والدرر اللوامع في قمة الإزدهار إنطلاقا من عهد المرينيين فالسعديين، وبتحول قاعدة حكم السعديين إلى تارودانت في صدر دولتهم انتعشت فيها هذه الدراسات، وبعودتها إلى فاس عادت إليها وإلى جهاتها هذه العناية، وهكذا أصبحت هناك جهات ومدارس ومحاضر مشهورة بهذا التخصص في (الكراريس) في قبائل جبالة وسوس حتى بعد ضعف العناية بها في الحواضر التي كانت في البداية منطلقا لها.

---

1 - هو الشيخ السيد امحمد العبادي شيخ الزاوية بأسفي رحمه الله.

## اعتماد المشارقة على مؤلفات المغاربة:

وأشير هنا إلى أنه مما ينبغي أن يسجل بمزيد من الفخر والاعتزاز للمدرسة المغربية في هذا المضمار، أن المصاحف القرآنية الشريفة التي تطبع بملايين النسخ في جميع أقطار العالم الإسلامي إنما يعتمد في رسمها وضبطها وعدد آيها على هذه الكراريس المتضمنة لاختيارات أئمة هذا الشأن في المدرسة المغربية ممن سميناهم، وخاصة منها اختيارات أبي عمرو الداني في كتابيه المقنع في الرسم، والمحكم في الضبط، والبيان في عد آي القران، واختيارات أبي داود سليمان بن نجاح في كتابيه: التنزيل في هجاء المصاحف، وذيله في ضبطها، وما جمعه الشاطبي في قصيدته الرائية: «عقيلة أتراب القصائد، في أسنى المقاصد» وقصيدته «حرز الأماني ووجه التهاني» التي نظم فيها «التيسير في القراءات السبع» وما نظمه أبو عبد الله الخراز الشريشي في «مورد الظمآن في الرسم» وذيله «عمدة البيان» في الضبط وما كتب عليها من شروح مغربية كالتبيان لابن أجطا، والطراز لأبي عبد الله التَّنَسي، وفتح المنان لابن عاشر الأنصاري وغيرها.

وللوقوف على هذه الحقيقة التي تعد من مفاخر المغرب يكفي أن نلقي نظرة على الملاحق المعتادة التي تذيل بها طبعات المصاحف في بلدان المشرق وغيرها كمصر والحجاز والشام والسودان وليبيا وتونس والمغرب وغيرها.

1 -الشيخ الأول الذي أقسم أن لا يغادر صاحبه حتى يقرئ ولده بالسبع هو السيد محمد بن ابراهيم القرمودي رحمه الله المعروف باسم «سي زروال» وهو من تلاميذ القارئ الشهير ابن العربي الصحراوي البوعطاوي، والتلميذ الذي حفظ عليه السبه وأصبح أستاذا فيها هو شيخ مدرسة الطاهر الراجي المشهور بابن الكونتري الشيظمي لزيل الصويرة حاليا شافاه الله تعالى وبارك في عمره.

2 - أنظر كتاب الدراسات القرآنية بالمغرب للأستاذ إبراهيم الوافي: 108 .

3 - هي المعروفة عندنا بقراءة البصري بطريق الإرداف.

4- ما زال هذا الشيخ بقيد الحياة -حفظه الله وبارك فيه- وقد زرته قبل أيام في منزله.



ومن هنا تبدو أهمية المحافظة على هذه المزية التي استقلت بها الحضرة المغربية، واختصت بها قرونا متطاولة، وذلك بإعادة تحقيق متون هذه الكراريس وطبعها، وطبع شروحها الكثيرة التي تعد بالعشرات، (1) وإدخالها ضمن برامج الدراسة الجامعية في المعاهد والمدارس والكليات.

## طريق الأخذ وترتيب الروايات في المدرسة القرآنية بالمغرب

ويجري الأخذ عندنا في جميع الأقطار والجهات المغربية في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه برواية أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش (ت 197 هـ) عن نافع بن عبد الرحن بن أبي نعيم المدني (ت 168 هـ) من طريق أبي يعقوب يوسف بن عمرو الأزرق المدني نزيل مصر (ت 224 هـ) من طريق أبي عمرو عثمان بن سعيد القرطبي الحافظ الشهير بالداني لطول تصدره بمدينة دانية في شرق الأندلس حتى توفي بها سنة 444 هـ.

والكتاب الذي كان عليه المدار عندهم في هذه القراءة من روايتها وطريقها المذكورة هو كتاب «التيسير في القراءات السبع» للحافظ أبي عمروا الداني المذكور، وكذلك في الأخذ بباقي القراءات السبع، وهي قراءة عبد الله بن كثير المكي (ت 120 هـ) وقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري (ت 154 هـ) وقراءة عبد الله بن عامر الشامي (ت 118 هـ) وقراءات

---

1 - مما يؤسف له أن هذه المتون ما تزال في معظمها حبيسة في الخزائن العامة والخاصة، وأن ما حقق منها في بعض الكليات لم يأخذ طريقه إلى المطابع، بما في ذلك أرجوزة الدرر اللوامع لابن بري التازي التي تعتبر عمدة المحاضر والمدارس المغربية في قراءة نافع، ولا أعلم لها نسخة مطبوعة بمتنها، بل حتى الشروح القيمة التي عليها، وهي أكثر من ستين شرحا، لا تزال الساحة العلمية خالية منها، إذ لا يتداول الطلبة إلا شرحها المعروف بالنجوم الطوالع للمارغني التونسي، وقد طبع مؤخرا شرح المنتوري عليها، وهو من أحسن الشروح.

الكوفيين الثلاثة: عاصم بن أبي النجود (ت 127 هـ) وحمزة بن حبيب الزيات (ت 156 هـ) وعلي بن حمزة الكسائي (ت 189 هـ)، ولكل قارئ من هؤلاء السبعة المذكورين راويان وروايتان يؤخذ بكل واحدة منهما على حدة في حال الإفراد، ويجمع بينهما في حال الجمع والإرداف.

وقد نظم الإمام أبو محمد القاسم بن فيره الشاطبي (ت 590 هـ) كتاب التيسير في قصيدة لامية تسمى بالشاطبية الكبرى أو بحرز الأماني ووجه التهاني، ورمز فيها للقراء السبعة ورواتهم بحروف أبي جاد، فكانت قصيدته إحدى آيات العلم، وأعظم إنجاز قام به هذا الإمام مما يعتبر مفخرة من مفاخر المدرسة المغربية ومما لم ينسج على منواله.

وجاء أبو الحسن علي بن بري التازي ( ت 730 هـ) فنظم قراءة نافع خاصة في أرجوزته المعروفة باسم «الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع» ضمنها طريق أبي عمرو الداني واختياراته في رواية ورش من طريق الأزرق، ورواية عيسى بن مينا قالون من طريق أبي نشيط المروزي، وعني الناس بحفظها وشرحها والقراءة بمضمنها.

وزاد أبو عمرو الداني فألف في قراءة نافع كتاب التعريف في اختلاف الرواة عن نافع وهو تأليف مختصر ضمنه أربع روايات عن نافع من عشر طرق، ولذلك يعبر عنه باسم «العشر الصغير» وهو أيضا مما تفرد به وبحفظه إلى اليوم قراء المغرب، ونظموا فيه الأراجيز والقصائد وتفننوا في شرحها وبسط مسائلها، كما أنهم رمزوا فيها للرواة وطرقهم برموز خاصة سيأتي بيانها.

وإلى جانب هذا التأطير العلمي فقد وضعوا سلما تدريجيا لجمع هذه القراءات والروايات، ورسموا للطالب منهاجا للتدرج في الأخذ فيها يتأتى له الحصول على إتقان هذه القراءات والروايات والطرق والقدرة على حفظ

وجوه الأداء فيها، ومسائل الخلاف بين أئمتها، بسلوك نظام للأخذ جرى عليه العمل في التعليم كما قال أحد كبار فحوله، وهو الإمام أبو الحسن القيجاطي في قصيدة التكملة المفيدة لقارئ القصيدة، وقد ذيل بقصيدته المذكورة على قصيدة الحرز للإمام الشاطبي: -

على الجيع بالحرف اعتماد شيوخنا ** فلم أرَ فيهم عنه رأى عنْه مَعدلا
لأن أبا عمرو ترقّاه سلّما ** فصار له مرقى إلى رتب العُلا (1)

يشير إلى أن أبا عمرو الداني هو الذي مهّد الطريق لأهل هذا الشأن في الجمع بين أكثر من قراءة ورواية جملة واحدة.

وقد درج المغاربة على تقديم رواية ورش في التعليم وجعلها أصلا، ثم البناء عليها، وفي بعض البلاد كتونس وليبيا ربما جعلوا رواية قالون هي الأصل ثم يردفون عليها رواية ورش، ثم بعد ذلك يأخذون لباقي السبعة بطريق الشاطبية.

وقد تحدث الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214 هـ) في كتاب الأقراط والشنوف، في الابتداء والوقوف، عن طريقة المغاربة في ذلك فذكر «أن طريق المغاربة في ذلك منذ عهد ابن غازي (ت 919 هـ) وأشياخه، أن الطالب إذا حفظ القرآن برواية ورش، جمع إليه رواية قالون في ختمة أو أكثر مما يتأتّى حفظه فيه.

فإذا حفظ حرف نافع جمع إليه حرف عبد الله بن كثير من روايتيه في ختمة أو أكثر.

---

1 – أنظر قصيدة التكملة المفيدة محققه في كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة 2/268-274 ».



فإذا حفظ حرفيهما جمع إليهما حرف أبي عمرو البصري من روايتيه أيضا في ختمة أو أكثر من ذلك.

فإذا حفظ الأحرف الثلاثة جمعوا إليها الأحرف الباقية من رواياتها الثمان دفعة واحدة.

وربما جمع قراء أهل السوس إلى الأحرف الثلاثة حرف ابن عامر الشامي من روايتيه كذلك، ثم جمعوا الثلاثة الباقية إلى الأربعة» (1).

قلت: وعلى ما ذكره ابن عبد السلام أولا أدركنا شيوخنا، وعليه يجري العمل حتى الآن، ولا أعلم أحدا اليوم يفرد ابن عامر عن الثلاثة الباقين (2).

## صورة عن مدرسة سوسية من مدارس القراءات في مطالع القرن 14

هذه المدرسة هي (المدرسة البوجرفاوية)، وأشهر من مر بها من الشيوخ المهرة في السبع: محمد بن عبد الله الضحاكي من تلاميذ أحمد النجاري (أنجار)، الذي تخرج على يده فيها عشرات المقرئين من أهل الروايات، وقد اشتهرت في مطالع القرن الرابع عشر الهجري بالمقرئ السبعي الشيخ محمد الضحاكي المذكور.

1 - أنظر الأستاذ سعيد أعراب في جريدة الميثاق السنة 9 العدد: 157 ص 74 .

2 - يعبر اليوم عن جمع القراءات السبع جملة واحدة بقراءة الشيخ، والمراد بالشيخ هو حمزة بن حبيب، وذلك أن من قرأ بقراءة حمزة على النظام المتبع في الجمع والإرداف عند المذكورة المغاربة على طريقة الشيخ ابن غازي التي أشار إليها ابن عبد السلام، يكون ضمنيا قد قرأ بجميع القراءات السبع المذكورة، في التيسير والشاطبية.



وممن تلقى عنه القــراءات في هذه المدرســة يومــئــذ الســيــد جــامع البعمراني الذي قال عنه: «كنا عنده من أصحاب القراءات خمسة وثمانين، وهناك أصحاب قالون والمكي والبصري، فكان يمر على ألواحهم أصحابُ حمزة من أصحابه، والمقصود بأصحاب حمزة: من أتقنوا السبع، وكان هو يمر على ألواح السبعيين فقط، تجعل أمام بيته الذي ينعزل فيه، فيأخذها مرة واحدة في الهاجرة إليه، فإذا مر بها وضعها في نافذة فيحركها، فيتناولها أربابها. وتوفي الضحاكي –رحمه الله– سنة 1323 هـ (1).

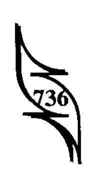
## استعمال الرمزيات المدونة

ويستعين المصححون لألواح الروايات من المشيخة فيما قد يشكل على بعضهم في الجمع والإرداف بما يعرف باسم «الرمزية» وهي نمط في التأليف ابتدعه المتأخرون، وألفوا فيه كتبا مشهورة منذ المائة الثامنة، واعتنوا بنظمه في منظومات تدخل ضمن «الكراريس» الخاصة بعلم الروايات.

وقد نبه على وفرة هذه الرمزيات بعض الباحثين فذكر أن مما يلفت انتباه الباحث في تراث المغاربة المخطوط من القراءات القرانية، وجود العديد من أنواع الرمزيات التي يصادفها هنا وهناك، وقد بذل فيها من الجهد والاعتناء بالكتابة ووضع الألوان ما يثير العجب، فالرموز تتخذ أشكالا وألوانا مختلفة تجعل الواقف عليها يقتنع بأنه أمام كتاب علمي لا سبيل إلى معرفة ما فيه إلا بالتلمذة والمشيخة، فلماذا هذه الرمزيات، وما سبب وضعها؟؟

---

1 – أنظر المعسول: 198/12 .



ما من شك أن هذه الرموز التي يعتمدها القراء المغاربة خاصة بهم، وضعوها واخترعوها تسهيلا منهم لعملية درجوا عليها في القراءات القرآنية أداء، وهي عملية الجمع والإرداف في القراءات.

فمن عادة أهل المغرب أن يدخلوا في القراءة الواحدة روايات جميع القراء البدور، بترتيب دقيق ومحكم، وليس من وسيلة تساعدهم على ضبط ذلك وإحكامه في قمة عالية من التجريد والاختصار سوى منطق الرموز الذي وظفوه أحسن توظيف، وتدربوا على استعماله، وصار طريقهم إلى الاختصار الذي لا مفر من اعتماده منهجا في عملية الجمع والإرداف، ولذلك نجدهم وضعوا لكل إمام في القراءة رمزية خاصة به تضبط قراءته: رمزية المكي، رمزية البصري، رمزية حمزة» (1).

وهذه الرمزيات المسهلة لطريقة الجمع والإرداف كثيرة ومتنوعة بحسب القراءات والروايات، فلا تكاد تجد قارئا سبق له أن (كَسَر) بالروايات إلا وجدت عنده رمزية أو أكثر، والعادة أن يكتبها بخطه، ويحرص على استعمال الألوان فيها لبيان الرموز، ولبعضهم في النسخ النادرة القديمة منها ضنانة بها عن أن تصل إليها الأيدي، كما أن منهم من سبق له أن اشتراها بثمن رفيع وقد رأيت منها عشرات في مختلف الروايات، وفي بعضها اختلاف عن بعض بحسب المناطق والجهات.

---

1 - الأستاذ إبراهيم الوافي الدراسات القرآنية بالمغرب: 47 .



## الرمز للقراءات بحروف أبي جاد (القراءات السبع)

والرمز للقراءات برموز من صنع المغاربة لا تعرفه المدرسة الشرقية، وإنما أخذه المحقق ابن الجزري ورمز به في قصيدته: طيبة النشر في القراءات العشر (1) تبعا للإمام الشاطبي الذي يعتبر رائدا في استعماله في القراءات السبع في المائة السادسة.

ولا أعلم أحدا سبق الإمام الشاطبي إليه، قال في الحرز:

جعلت أبا جاد على كل قارئ ** دليلا على المنظوم أولَ أوّلا (2)

وصورة ذلك: «أبجد - هوز - حطي - كلمن - صعفض - قرست - ثخذ - ظغش».

فرمز بها لأسماء القراء وأسقط منها الواو فجعله للفصل بين مسائل الخلاف في الذكر. فالحرف الأول من الرمز الثلاثي هو لأحد القراء السبعة والثاني والثالث، للراويين عنه، والرمزان الأخيران لما اتفق فيه بعض القراء، وهذه تفاصيل ذلك كما يجرى به العمل في المدارس القرآنية، وتصحح به ألواح طلبة الروايات، ويدون في الرمزيات المستعملة لذلك بأيدي شيوخ الإقراء.

---

1 - رمز ابن الجزري للقراء العشرة والرواة عنهم في أرجوزته المذكورة حيث يقول:

جعلت رمزهم على الترتيب ** من نافع كذا إلى يعقوب
أَبَجْ دَهَزْ حطِي كَلَم نَصَعْ فضق ** رست ثخذ ظغش على هذا النسق
والواو فاصل ولا رمز يَرِد ** عن خلف، لأنه لم ينفرد

2 - متن الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني - البيت: 45).



| | |
|---|---|
| أبج: | الألف لنافع، والباء لقالون، والجيم لورش. |
| دهز: | الدال لابن كثير، والهاء للبزي، والزاي لقنبل. |
| حطي: | الحاء لأبي عمرو بن العلا، والطاء للدوري، والياء للسوسي. |
| كلم: | الكاف لابن عامر الشامي، واللام لهشام والميم لابن ذكوان. |
| نصع: | النون لعاصم، والصاد لشعبة، والعين لحفص. |
| فضق: | الفاء لحمزة والضاد لخلف، والقاف لخلاّد |
| رست: | الراء للكسائي والسين لليث، والتاء للدوري. |
| ثخذ: | الثاء للثلاثة الكوفيين: عاصم وحمزة والكسائي |
| والخاء: | للقراء الستة غير نافع. |
| والذال: | للكوفيين الثلاثة مع الشامي. |
| ظغش: | الظاء للثلاثة الكوفيين مع المكي. |
| والغين: | لهم مع أبي عمرو البصري |
| والشين: | للكسائي وحمزة . |

## رمز العشر الصغير عند المغاربة في قراءة نافع وطرقها

ورمز المغاربة لقراء العشر الصغير ورواتهم برموز أخرى مأخوذة من أسمائهم، وأقدم من استعمل ذلك -فيما أعلم- الإمام أبو عبد الله محمد بن



إبراهيم الصفار التينمللي المراكشي دفين فاس (ت 762 هـ) في قصيدته اللامية «تحفة الأليف في نظم التعريف» (1).

وجملة رموزه: **جيتص، بمحق. سود. لفز.** فالحرف الأول للراوي والثاني والثالث والرابع للطرق إليه، وهذه تفاصيلها.

**جيتص:** الجيم: لورش، والياء: ليوسف الأزرق، والتاء: للعتقي، وهو عبد الصمد أبو الأزهر. والصاد: للإصبهاني، وهو محمد بن عبد الرحيم الأسدي المعروف بالإصبهاني.

**بمحق:** الباء لقالون، والميم: للمروزي وهو محمد بن هارون أبو نشيط، والحاء: لأحمد بن يزيد الحلواني، والقاف: للقاضي إسماعيل بن إسحاق البغدادي المالكي.

**سَوْد:** السين لإسحاق المسيبي، والواو: لولده محمد بن إسحاق، والدال لمحمد بن سعدان الضرير .

**لفز:** اللام: للأنصاري إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني، والفاء: لأحمد بن فرح (2) المفسر، والزاي لأبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس. ويزيد بعض المشيخة في طرق ورش وقالون الرمزين التاليين:

**سَةٌ:** السين: لأبي بكر بن سيف الراوي عن الأزرق عن ورش عن نافع.

---

1 – هي قصيدة على وزن الشاطبية ورويّها تقع في 196 بيتا وأولها قوله:

بدأت بحمد الله نظمي مصليا ** علي أحمد والآل والصحب أولا
وبعد فهذا نظم مقرإ نافع ** على ما روى ورش وقالون فاقبلا
والأنصاري إسماعيل يُعزي لجعفر ** وإسحاقهم أيضا، وكلٌّ ذوو علا

أنظر القصيدة بتمامها في كتابنا «قراءة الإمام نافع عند المغاربة» 3/354-364 .

2 – يذكره شيوخ القراءات عندنا تبعا للشيخ ابن غازي بالجيم، والصواب أنه بالحاء كما حققنا ذلك في دراستنا «قراءة الإمام نافع عند دالمغاربة».

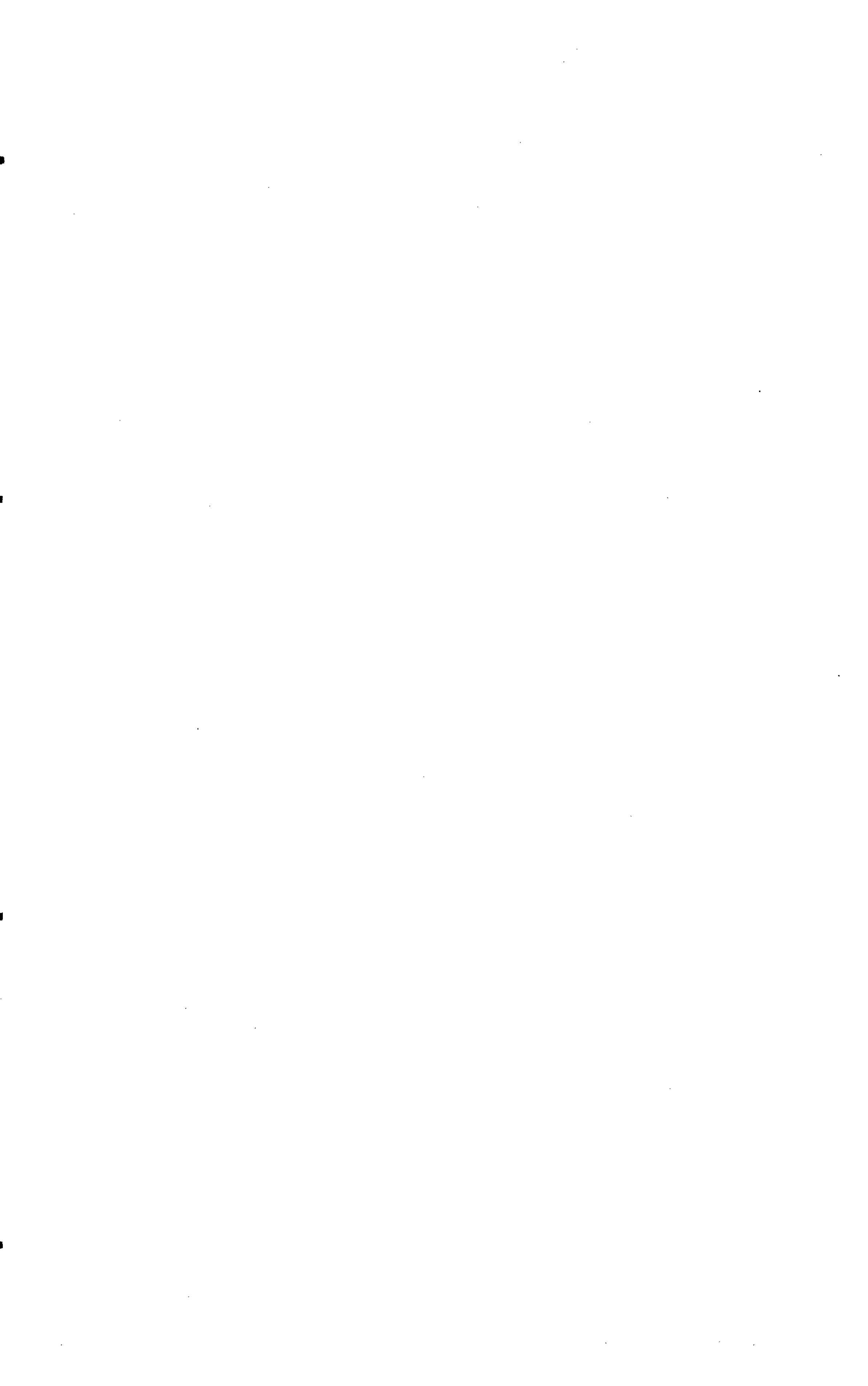
ســـــــــهٔ: والهاء: لأبي بكر بن سيف الراوي عن إسماعيل النحاس عن الأزرق عن ورش عن نافع.

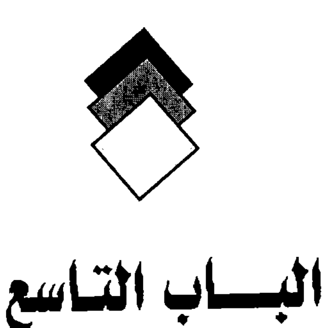
جـــــــــع: الجيم: للجمّال، وهو الحسن بن علي بن مهران صاحب رواية قالون عن نافع.

والعين: لأبي عون الواسطي عن قالون عن نافع.

وقد رتب علماء القراءة عندنا قراءة العشر الصغير مع القراءات العشر الكبرى من طريق الشاطبية والدرّة لابن الجزري، فقرأوا بها بطريق الجمع والإرداف، وهي آخر ما يقرؤه الطالب في هذا العلم ليكون قد حصل على «العشرين» وأصبح يحمل اسم «العشراوي» وقد يطلق على من يحفظ العشر الكبير فقط، وجمع كل ذلك اليوم لا يكاد يتحقق لأحد فيما نعلم.

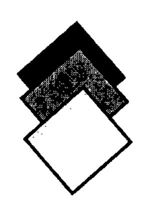






# الباب التاسع

## قراءة الأسوار وأهميتها في المحضرة
## ودور الحزب الراتب اليومي في ترسيخ الحفظ



# الفصل الأول

## قراءة الأسوار وأهميتها
## في المحضرة ودور الحزب الراتب في ترسيخ الحفظ

الأسوار: اسم محرف عن «السور» بضم ففتح جمع سورة، وقراءة الأسوار تعني مراجعة المحفوظ ودراسته حتى لا ينسى بعد تجاوزه باللوحة.

يقول صاحب كتاب المدرسة الأولى: «والأسوار عبارة عن الأحزاب، أي: أجزاء القرآن التي حفظها التلميذ، يقول (الطالب) للتلميذ تارة: اقرأ حزب لوحتك وتارة أخرى: اقرأ سورة لوحتك، ومعناهما عنده واحد، وهو الحزب الذي كان في أثنائه مكتوب لوحه (1).

ولقراءة الأسوار أهمية عظيمة في التعليم في جميع مراحله، وهي المعيار الأول البارز الذي يعرف به مدى حرص الشيخ ونصحه لتلاميذه ورغبته في تحفيظهم في أقرب وقت ممكن، لأنهم بقراءة الأسوار يتمكنون من الاستحضار الدائم لمحفوظهم، ومن المحافظة عليه من الذهاب من الذاكرة، كما أنها تمكنهم لا سيما المتقدمين منهم في التحصيل من ختم

1 - المدرسة الأولى: 57 .



القرآن كله كل ثلاثة أيام أو أربعة أو كل أسبوع حسب اجتهاد القارئ. وذلك من شأنه أن يجعل لسانه رطبا بالتلاوة، وأن يعينه على تمثل متشابهات القرآن والتغلب عليها والإحاطة بها إحاطة كافية.

وللطلبة في تعيين أوقات مخصوصة للأسوار أساليب مختلفة، وذلك بحسب الزمن المتاح لهم وللمتعلمين، وأغلبهم يخصص فترات من الصباح لذلك بعد محو الألواح، ومن المساء بعد صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وطرقهم في ذلك تختلف أيضا، فمنهم من يكتفي بالإنصات إلى كل تلميذ على حدة، ومنهم من يجمع بين أكثر من تلميذ إذا كانت الأسوار مشتركة فيستمع إلى الجميع جملة واحدة. ومنهم من يأمر الكبار بالاشتراك فيما بينهم في مثل ذلك على صورة مجموعات صغيرة من اثنين اثنين أو ثلاثة ثلاثة أو أكثر، وذلك في المساء خاصة. ومعظم الطلبة يحرصون على الأسوار ما بين العشاءين بعد قراءة أحزاب النوبة، ثم بعد صلاة العشاء إلى أن يمضي الهزيع الأول من الليل، ثم يستأنف العمل فيها قبل الفجر بساعة أو أكثر، لا سيما في ليالي الشتاء حيث يطول الليل ويتأتى معه الاستيقاظ المبكر. ولقد كنا أيام الطلب كثيرا ما نقرأ عشرين حزبا كل ليلة فنختم الختمة كل ثلاثة أيام.

## الأسوار في الشمال المغربي

ويتحدث بعض الباحثين عن هذه الأعراف كما يجري العمل بها شمال المغرب فيقول: «أما أيام السبت الأحد و الاثنين والثلاثاء فهي أيام العمل المستمر إلى ما بعد غروب الشمس بحوالي ساعة، وتستأنف الدراسة بعد المغرب في سائر الأيام عدا الأربعاء والخميس، وخلال الثلاثة



الأخرى الباقية التي يطلق عليها تلاميذ المدرسة القرآنية (الأيام السوداء) يقسم التلاميذ بعد العصر إلى ثلاث مجموعات: مجموعة الكبار، ويكررون أسوارهم تحت الإشراف غير المباشر للفقيه، نظرا للثقة التي يضعها المعلم فيهم، ومجموعة المتوسطين، ويكررون أسوارهم تحت إشراف الفقيه المباشر، حيث يجتمعون أمامه بالتناوب مجموعة تلو الأخرى، لسماع ما قد حفظوه خلال الأسبوع أو الأسابيع السابقة، ومجموعة الصغار. وهي فرقتان: فرقة المبتدئين ويتجهون إلى حفظ الحروف الهجائية المجردة من الإعجام تحت إشراف أحد التلاميذ يعيّنه الفقيه، وفريق المتقدمين منهم ويتجهون إلى حفظ الحروف الأبجدية بالتعجيم على صيغة ألف ما ينقط» (1).

## الأسوار في الجنوب المغربي

ويقول باحث آخر من جنوب المغرب:

«وتتم قراءة الأسوار أمام الطالب عن طريق التناوب، فمن دارت نوبته يتقدم أمامه، فيقعد مستوفزا ساكن الأعضاء، حتى إذا أكله رأسه لا يحكُّه إلا كحسو الطير، لأن عين الطالب نُصب وجهه، وبيده مقرَعَته أو حبْلُه المفتول من قوى وطاقات غليظة من مسد أو حلفاء، والتلميذ يحد النظر في المقرعة تارة. وفي وجه الطالب العبوس مرة أخرى، مستعدا للوثوب إذا رأى المقرعة تحركت، أو لاتّقائها بذراع يده اليسرى إن تعذر الوثوب.

ومن لم تدُرْ نوبتهم يقرأون أسوارهم بمرأى من الطالب، منهم من يقرأونها وحدانا وهم المتفقون، ومن ارتج عليه منهم استطعم الطالب فيطعمه.

---

1 - كتاب الأنصاص القرآنية: 1/45-46 .



ومنهم من يتلونها زرافات، كل واحدٍ في ناحية، وإن كانت هذه القراءة مما لا ينبغي أن يعوِّده الصبيان، لأنها ليست من فعل السلف -كما ذكره الشيخ كنون رحمه الله- ولأنها لا يحصل بها حذق من لم يحذق منهم، لأنه يعتمد على غيره، وفكره في غير ماهو بصدده.

وهذا دأبهم إلى الأصيل الذي يعودون فيه إلى ألواحهم، يُكبُّون على قراءتها حوالي ربع ساعة، ثم ينفرون إلى الوضوء استعدادا لصلاة المغرب خلف الإمام، ثم قراءة الحزب الراتب بعدها جماعة.

وبعد انتهاء الحزب والدعاء الذي يكون بعده يقوم التلاميذ أولا بعد تقبيل يد الطالب والحاضرين -لقراءة الأسوار في (المدراس) (1) إلى العشاء، ومعهم الطالب، وينهض الباقون أيضا، كل لشأنه.

وبعد صلاة العشاء ينصرف التلاميذ الصغار كذلك إلى الصباح، وأما الكبار - وهم الذين يكتبون ربع الحزب أو نصفه لختمهم القرآن مرة أو أكثر، فإنهم يرجعون بعد تعشيهم لقراءة ألواحهم التي يغسلونها صبيحة غدهم، فيقرأونها نحو ساعة أو أكثر على ضوء الوَقَد، أي: نار يسمونها «أغّاد» ويعدون لذلك حطبا كافيا بالتناوب قبيل الغروب.

ومن دارت عليه نوبة الأسوار يقرؤها أيضا أمام الطالب بعد فراغه من قراءة لوحه، ثم يقومون كل واحد ينصرف إلى مبيته، ولو إلى الكتاب نفسه، وذلك هو الغالب، والطالب إلى حانوته.

---

1 - المدارس : من زسماء المحضرة كما تقدم.



وقبل الفجر بنحو ساعة ينبهون من النوم، فيستديرون على «أغّاد» يقرأون ألواحهم التي يغسلونها قرب طلوع الشمس، ومن عنده نوبة الأسوار يقرؤها إن حذق لوحه أيضا (1).

قلت وبهذه الطريقة تماما قرأت على والدي - في مسجد سيدي بنور بجماعتنا بالشياظمة، ثم قرأت بذلك على شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري بمسجد البير الفايض أيضا.

## ديكودي طوريس البرتغالي يصف قراءة الأسوار في عهد السعديين

ويذكر ديكودي طوريس البرتغالي في رحلة له عبر الأطلس الكبير من مراكش إلى تارودانت في شهر ديسمبر سنة 1550 م في وصف قراءة التلاميذ للأسوار ما يلي:

«وخلال الليلة التي قضيتها هناك، شاهدت الكيفية التي يعلّم بها هؤلاء البربر أولادهم، فبدت لي معقولة جدا.

إذ بعد أن يرعى الأطفال قطعانهم طوال النهار، يجتمعون عند المساء في منزل معلم، وعلى ضوء نار عظيمة يوقدونها بالحطب الذي حملوه معهم، يستظهرون درسهم الذي حفظوه في النهار» (2).

1 -المدرسة الأولى: 58-59.

2 - تاريخ الشرفاء لديكودي طوريس. ترجمة إلى العربية: د. محمد حجي - د. محمد الأخضر: ص 165.



## من طرائف الوظائف تنصيب قارئ القبيلة قائدا عليها، كان يشرف على الأسوار.

ومن طريف ما نتوقف عنده في هذا المجال ما يحكى عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي أنه وصل في بعض أسفاره التفقدية إلى قبيلة «أحمر» من منطقة أسفي، وخرج ذات ليلة متنكراً لتفقد الأحوال، فرأى جماعات من القراء يرتلون القرآن (قراءة الأسوارَ) ورأى فقيها مشرفا على تلك الجماعات، ومربّيا لها، ومفسراً لبعض الآيات، فسره ذلك كثيرا.

وفي الغد جاء القواد والأعيان لاستقباله، وقدم إليه القراء كل باسمه ونسبه، وكان من بينهم ذلك الفقيه الذي رآه، فأمر بتنحية القائد، وعين ذلك الفقيه مكانه، وقال للناس:

إن أهل القرآن والمعرفة أولى بالولاية من غيرهم.

ثم قرر أن يرسل أولاده ومن يرافقهم عادة من أبناء المحاسيب وأعيان الجيش والمخزن للإقامة هناك سنوات لحفظ القرآن وتجويده، ودراسة العلوم الإسلامية.

واستمر الأمر على ذلك إلى زمن مولاي سليمان ومولاي عبد الرحمن بن هشام وسيدي محمد بن عبد الرحمن - والد المولى الحسن الأول (1).

وفي هذه القبيلة درس كل من السلطات مولاي الحسن الأول (ت 1311 هـ) ومولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ.

---

1 -كانت هذه المدرسة القرآنية في قرية الشماعية، وكانت الدار التي ينزل بها أبناء السلاطين لهذا الغرض تدعى دار السرسار، وما تزال معروفة هناك إلى يومنا هذا.



قال الأستاذ علال الفاسي بعد حكاية ما تقدم:

«وقد رأيت في مذكرات استقاها الأستاذ الحاج أحمد بناني من السيد إدريس ولد منو الذي كان طالبا مرافقا لمولاي عبد الحفيظ في مدة مقامه بأحمر تفاصيل عن هذه الدراسة وبرامجها والسلوك الواجب فيها» (1).

وقد تقدم لنا أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ألف كتابه «مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان» وكيف رسم فيه معالم السياسة التربوية والتعليمية للكتاتيب، هذه السياسة التي تزاوج بين تعليم علوم القرآن ومبادئ العربية والدين في آن واحد، لأنه كما ذكر في مقدمة رسالته لاحظ الجهل المشين الشائع بين حملة القرآن حتى أصحاب الروايات المتضلعين فيها، بمبادئ الدين والعلوم الفقهية، فكان بذلك مجدداً لمناهج التعليم في المدارس العتيقة.

## قراءة الحزب الراتب في العمل المغربي في عموم المساجد

وقراءة حزب من القرآن صباحا ومساء شعار مغربي تاريخي ما تزال العناية به موفورة في جميع أنحاء الوطن من أدناه إلى أقصاه، ويدخل الالتزام به عرفا ضمن متطلبات الشرط ولوازمه. والمراد به تلاوة جزء من القرآن من تجزئة ستين جزءاً بحيث يتأتى معه ختم القرآن الكريم مرة في كل شهر كما يجري عليه العمل في وقتنا في أكثر الحواضر.

1 -دعوة الحق العدد الرابع السنة الحادية عشرة ذو القعدة 1387 هـ 1968 ص 21 .



ويقرأ عادة في جماعة بلسان واحد يشترك فيه الشيوخ وتلامذتهم وطلبتهم وطلبة الحي وغيرهم ممن حضر، وقد جرى العمل بذلك، وجرى اعتماده وسيلة تعليميه ممتازة تساعد على استظهار القرآن الكريم واستذكاره خيفة الدثور والنسيان، إذ يتم فيه تعاهد المحفوظ بطول الزمن بكيفية ثابتة ومنتظمة، ولهذه المزية فيه أدرجه فقهاؤنا ضمن الأعراف الحسنة واعتبروه من الوسائل المساعدة على تحقيق المقاصد في إطار المصالح المرسلة.

وفي جريان العمل بهذه المعاني يقول الشيخ سيدي عبد الرحمن الفاسي في نظم ما جرى به العمل بفاس:

والذكر معْ قراءة الأحزاب ** جماعةً شاع مدى أحقاب (1)

وللاجتماع على القراءة بصوت واحد في حلقة واحدة أصل من السنة مضى عليه العمل في الإقراء والتعليم منذ زمن الصحابة، وكان في الصدر الأول يعرف باسم «الدراسة».

وأول ما ظهرت الدراسة في حلقة الصحابي الجليل أبي الدرداء عويمر بن زيد (ت 32 هـ) وكان -رضي الله عنه- معلم أهل الشام كما أشار إلى ذلك الحافظ أبو عمران الداني في أرجوزته المنبهة بقوله:

وقام بالشام أبو الدرداء ** عويمرٌ ذو الفضل والذكاء

وقد تقدم أنه هو وأبو موسى الأشعري بالبصرة أول من سن الحلق للتعليم، وكانت لأبي الدرداء حلقة حافلة في مسجد دمشق تضم ألفا وستمائة قارئ ونيفا (2).

---

1 -نظم ما به العمل: المجموع الكبير للمتون: 214 .

2 - ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: 2/49-50 طبعة دمشق: 1950 م.



ونقل الإمام الذهبي أن أبا الدرداء هو الذي سن الحلق للقراءة (1).

وقال الإمام يحيى بن شرف النووي: «كان يدرس القرآن معه نفرٌ يقرأون جميعا» (2).

وذكروا أنه كان من تلاميذ أبي الدرداء ممن كان يحضر هذه الدراسة عبد الله بن عامر اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة، وأنه كان أحد العرفاء المساعدين لأبي الدرداء في الدراسة (3).

كما ذكروا أن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر كان ممن يحضر هذه الدراسة، وقد ولي إمارة إفريقية لهشام بن عبد الملك (-125 105هـ) (4) فلا يبعد أن يكون قد أدخل إلى إفريقية أسلوب الدراسة ونظام الحلق التعليمية المذكور بعد المائة الأولى من الهجرة.

وفي المعيار للونشريسي عن أبي إسحاق الشاطبي صاحب الاعتصام، أن الإمام مالك بن أنس (ت 179) كره الإجتماع في القراءات بصوت واحد، وقال: «لا يجتمع القوم يقرأون في سورة واحدة كما يفعل أهل الاسكندرية، ذلك مكروه لا يعجبني» (5).

على أن في قول مالك: «لا كما يفعل أهل الإسكندرية» ما يدل على شيوع استعمال هذا الأسلوب من القراءة في زمنه في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، وقد تأول الشيخ أبو الحسن القابسي (ت 403 هـ) قول مالك بالكراهة حين سئل عن القوم المجتمعين بعد صلاة الصبح بإفريقية يقرأون (الحزب من القرآن) متفقين فيه، هل يجوز أم لا؟

---

1 - سير أعلام النبلاء للذهبي: 249/2 .
2 - التبيان في آداب حملة القرآن للنووي: 57 وقد روى ذلك عن أبي داود.
3 - تقدمت الإشارة إلى ذلك في الباب الأول.
4 - تاريخ دمشق: 50/2 .
5 - المعيار: 169/11 .



فأجاب: إن كان لما يجدون في ذلك من القوة والنشاط في الحفظ والدراسة، فلا بأس (1).

وهكذا حظيت القراءة جماعة بالقبول، ووجهت الفتوى في المذهب هذا التوجيه.

وبادر بعض فقهاء المالكية، وهو الشيخ الصالح أبو محمد محرز بن خلف المؤدب التونسي (ت 413 هـ) إلى ترسيم قراءة الحزب، فكان «أول من سن قراءة القرآن بعد الصبح بإفريقية» (2).

وهذا الفقيه المؤدب كما ذكر هو الذي طلب من الشيخ ابن أبي زيد في شبابه أن يؤلف رسالته الفقهية -كما قدمنا- لتكون ضمن الكراريس المعتمدة في تعليم الناشئة مبادئ العقيدة والفقه، فغير بعيد أن يكون إحساسه بالحاجة إلى تنظيم هذا الحزب الراتب وترسيمه قد لاحظ في إحداث كونه، كونه أحد أهم الوسائل التعليمية المساعدة على تحفيظ القرآن العظيم والمحافظة عليه من النسيان بعد حفظه، كما هو معلوم عند أهل هذا الشأن.

## قراءة الحزب في المغرب والأندلس

ولا يبعد أن يكون الحزب الذي سنه محرز المؤدب التونسي قد استعمل في التعليم بإفريقية قبل ظهور الموحدين بها في أول القرن السادس الهجري، إلا أن المعروف أن بداية الأخذ به رسميا قد بدأت مع

1 - أنظر المعيار: 169/11 .
2 - أنظر الفوائد الجميلة للشوشاوي: 238 .



داعية الموحدين محمد المهدي بن تومرت الهرغي (ت 524 هـ)، وربما قدم بها معه من رحلته إلى المشرق تأثرا بما رآه في بعض البلاد، يدل على احتمال ذلك ما ذكره الرحالة ابن بطوطة في أيام أبي عنان المريني أنه لما كان بمصر سافر من أخميم إلى مدينة (هو): مدينة كبيرة على ساحل النيل، وقال: نزلت منها بمدرسة تقي الدين ابن السراج، ورأيتهم يقرأون بها في كل يوم بعد صلاة الصبح حزبا من القرآن» (1).

ومهما يكن فقد انطلقت قراءة الحزب الراتب عندنا من مراكش بانطلاق دولة الموحدين المصامدة، فذكر المؤرخ ابن القطان أن الخيفة الموحدي عبد المومن «كان في تأديبه لبنيه يأخذهم بحضور الصلوات الخمس في الجماعات. و(بقراءة الحزب) من القرآن إثر الصلاة» (2).

وذكر ابن صاحب الصلاة من مآثر ابنه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أنه حين ولى أخاه السيد الأعلى أبا حفص الأوامر العلية السلطانية، فنفذ الأمر منه بكل تأنيس للناس... واشتد عليهم في لزوم الصلاة، وقراءة الحزب، واشتد عليهم في ملازمة ذلك بأعظم الاشتداد واللزْب» (3).

وقال الإمام أبو إسحاق الشاطبي في حديثه عما أحدثه مهدي الموحدين بالمغرب: «ونقل أيضا إلى أهل المغرب الحزب المحدث بالاسكندرية، وهو المعتاد في جوامع الأندلس وغيرها، فصار ذلك كله سنة في المساجد إلى الآن، فإنا لله وإنا إليه راجعون» (4).

1 - رحلة ابن بطوطة: 37 .
2 -نظم الجمان لابن القطان: 172 .
3 - كتاب المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة: 163-164 .
4 - الاعتصام للشاطبي: 331/2 .



وفي حديث المؤرخ ابن عذارى المراكشي عن مراسيم خلافة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن وهو يتهيأ للخروج بجيشه من مراكش قال: «أمر الناس بالحركة، فصلى أمير المؤمنين صلاة الصبح، وقرئ الحزب على العادة» (1).

وقد أصبحت قراءة الحزب الراتب في البلاط الموحدي من المراسيم الخلافية الرسمية، وكان لأصحابها ديوان يخصهم، وعليهم «مزوار» معين مكلف بهم، وكان لهم في البلاط جناح خاص يدعى برياض الحزب (2).

وذكر عبد الواحد المراكشي من مراسيم الموحدين في المواكب الملوكية الرسمية أنهم كانوا إذا سافروا لا يزال القرآن يقرأ بين أيديهم بالغدو والعشي ركبانا.. فإذا ركبوا.. افتتح القراءة طلبة الموحدين خلفه، فيقرأون حزبا من القرآن في نهاية الترتيل، وهم سائرون سيرا رفيقا» (3).

وفي مرسوم خلافي صدر في عهد المستنصر ابن الناصر ابن يعقوب المنصور سنة 617 وكتب به إلى البلاد المغربية والأندلسية عند توليه الخلافة يقول في رسالة من إنشاء الكاتب أبي جعفر بن عطية:

«واستحفظوا الكافة صلواتهم، فإنها الكتاب الموقوت على المؤمنين، وخذوهم باعتيار المساجد، فإنها الشاهد الأزكى بشهادة خاتم النبيئين وسيد المرسلين، واطلبوهم بقراءة الحزب والتوحيد (4) بالمساجد والأسواق، فإنه الخير المألوف، والشعار المعروف. والرسم الذي عليه العمل، والعهد الذي لا يجب فيه التغيير والخلل» (5).

---

1 – البيان المغرب لابن عذاري (قسم الموحدين: 156).

2 – نفسه: 313-465 .

3 – المعجب لعبد الواحد المراكشي: 415 .

4 – يقصد كتاب المرشدة، وهي عقيدة مختصرة جمعها داعيتهم المهدي بن تومرت أنظر نصها في رحلة ابن رشيد: 345-346/5 .

5 – البيان المغرب (قسم الموحدين 267-268).

# إنشاء الأوقاف على الحزب الراتب

وفي عهد المرينيين أنشئت أوقاف لقراءة الحزب خصص ريعها للحزابين.

ومن بقايا آثارهم في ذلك «ساباط موضع الحزابين» بالقرويين بفاس بشرقي الجامع، أمر بها المستعين -رحمه الله- فإنه أقامها على ساباط هنالك، ورتب فيها قراء القرآن يختمونه بطول سبعة أيام بطول الأزمان، وأجرى لهم على ذلك جرايات، وتم عمل الزاوية المذكورة في أواخر شهر رمضان سنة 762 هـ) (1) قال ابن القاضي:

«وأما قراءة الحزب فيه بعد صلاة الصبح والمغرب، فكان أمر به يوسف بن عبد المومن بن علي في سائر بلاده، واستمر ذلك إلى أيام أبي الحسن المريني، فأمر إذ ذاك فرتب عشرة أشخاص». قال ابن القاضي:

وأما «زاوية الحزابين» الكائنة بقرب الجامع، فالذي أحدثها هو الإمام عبد الله بن محمد الشريف الحسني، أحدثها بعد السبعين وتسعمائة، وأعد لها جرايات على ذلك، نفعه الله بقصده- وعيّن أن يقرأ بها ختمة في كل شهر على عادة المحراب (2)، وسورة الكهف في كل يوم جمعة بعد صلاة العصر..» (3).

1 -جذوة الاقتباس: 74/1 .
2 - يعني: على العادة الجارية في المساجد.
3 - جذوة الإقتباس: 75/1 .



# اشتراط قراءة الحزب
# على طلبة القرويين بفاس لسكنى المدرسة

ومن مظاهر العناية بالحزب الراتب والحرص على الالتزام به في المدارس، اشتراط ذلك في سكنى المدارس على طلبة جامع القرويين بفاس، منذ أيام المرينيين. وذلك ليمكنهم الاستفادة من أوقاف الحزب.

ففي سؤال ذكره الونشريسي في المعيار وجّه إلى الفقيه المفتى الشهير أبي محمد عبد الله بن محمد العبدوسي، وأجاب عنه بخطه في أواخر شوال عام 832 هـ عن حكم من سكن المدرسة، وهو يشتغل بصنعته ولا يقرأ – يعني في انتفاعه بالحبس بالسكنى في المدرسة..؟

كان من جوابه أنه:

«لا يجوز تركه، وإنما يسكن المدرسة:

1 – من بلغ عشرين سنة فما فوقها.

2 – وأخذ في قراءة العلم ودرسه بقدر وسعه.

3 – ويحضر قراءة الحزب صبحا ومغربا.

4 – ويحضر مجلس مقرئيها ملازما لذلك، إلا لضرورة من مرض وشبهه من الأعذار المبيحة لتخلفه.

فإذا سكن فيها عشرة أعوام ولم تظهر نجابته، أخرج لأنه يعطل الحبس» (1).

---

1 -المعيار: 7/7 .



# الأوقاف على الحزب أيام الأشراف العلويين

وفي عهد ملوك الدولة العلوية تزايدت العناية بتحبيس العقار على قراءة الحزب الراتب، وخاصة في المساجد الجامعة.

ومن أمثلة ذلك ما صدر من أمر المولى إسماعيل بن الشريف بمكناس لناظره على الأوقاف أبي القاسم المسطاسي في عقد تحبيس على الطلبة الذي يقرأون حزب القرآن العظيم صباحا ومساء بالرحبة الموالية لباب السادات: أحد أبواب المسجد الأعظم من الحضرة المكناسية، وذلك بتاريخ أواسط المحرم عام 1122 هـ» (1).

والجدير بالذكر أنه في عهد المولى إسماعيل، وربما بمباركة منه وإذن جرى ترسيم ما يسمى باسم «حزب الشيخ» وهو الحزب الذي رتبه الشيخ سيدي أحمد بن ناصر صاحب الزاوية الناصرية بتمكروت وشيخها، وكان يعطي أورادا للمتصوفة من أذكار وغيرها، ويقول لطلبة القرآن: «حزبكم وردكم».

وقد انتشر هذا الحزب في البوادي والحواضر، حتى شمل المغرب كله، وقد أدركناه في أواسط القرن الماضي وما بعده وليس معه غيره في جميع جهات المغرب، ثم أخذ يظهر «حزب الشهر» في بعض المساجد التابعة لوزارة الأوقاف، وبعض المساجد الصغيرة والخاصة، وما يزال «حزب الشهر» إلى يومنا يحل شيئا فشيئا محل الحزب الناصري «حزب الشيخ» والفرق بينهما: أن حزب الشهر يسير بمعدل حزبين في كل يوم،

1 -أنظر كتاب المنزع اللطيف ص 322 .



وتكون فيه ليلة الختمة في اخر يوم من الشهر القمري، وربما احتيج إلى قراءة حزبين صباحا ومساء في أول يوم من الشهر الموالي لتعديل العمل إذا كان الشهر المنصرم تسعة وعشرين يوما فقط.

وأما «الحزب الناصري» أو «حزب الشيخ» فيمضي على نفس الوتيرة بمعدل حزب في الصباح وحزب في المساء، إلا في مساء يوم الخميس فتقرأ سورة الكهف بعد المغرب، وفي صباح يوم الجمعة فتقرأ سور يس والدخان والواقعة والملك.

وبسبب قراءة هذه السور في هذين الوقتين لا تتم الختمة كل شهر، وإنما تحتاج إلى خمسة وثلاثين يوما، غير أنها تكون دائما في مساء يوم الأحد، وتبتدئ السلكة الموالية صباح يوم الاثنين بحزب، ﴿ألم ذلك﴾(1).

وقد استخرج بعض علماء سوس قاعدة في كيفية استخراج الحزب الراتب لمن خفي عليه حزب يومه، ووضع لذلك جدولا، ووصف كيفية العمل فيه، والمراد به الحزب الناصري (2).

## العمل في قراءة الأحزاب بالجنوب المغربي

فمما قال عن الكيفية المتبعة في منطقته:

«اعتدنا في منطقة سوس، أن نختم القرآن العظيم جماعة بالمساجد في كل خمسة وثلاثين يوما، لكل يوم حزبان: صباحي ومسائي، إلا يومي الخميس والجمعة، فليس لكل واحد منهما إلا حزب واحد، فمساء كل

1 -أنظر في تفاصيل ما عليه العمل بمناطق سوس كتاب المدرسة الأولي: 71-78 .
2- المرجع نفسه للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 79-84 .



خميس نقرأ سورة الكهف بدلاً من الحزب الراتب، وصبيحة كل جمعة نقرأ سورة يس والدخان والواقعة وتبارك، بدلاً من الراتب أيضا، وبعضهم يقتصر على يس وتبارك.

وخالفنا أولاد سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1052 هـ) ومنهم الأدوزيون، في الإبتداء والإنتهاء فقط، فهم يبتدئون من يوم الخميس لا يوم الإثنين، ويختمون يوم الأربعاء لا يوم الأحد، ويقرأون أيضا ليلة الخميس سورة الكهف، ويس مع ما معه صبيحة الجمعة، ويختمون كذلك في كل خمسة وثلاثين يوما، قال:

ومثلهم في ذلك - على ما قيل لي- الكرسيفيون، والحزب جزء من ستين جزءاً من المصحف الكريم، أولها حزب ﴿الم ذلك﴾ الذي يتلى بعد فجر يوم الإثنين، وآخرها حزب ﴿سبح﴾ الذي يختمون به بعد مغرب يوم الأحد الخامس والثلاثين من الاثنين مبدإ الحزب الراتب.

ففي كل يوم نقرأ حزبين، أحدهما بعد صلاة الصبح، والثاني بعد المغرب في غير رمضان، أما في رمضان فيقرأ المسائي بعد صلاة العصر مباشرة (1).

---

1 - المدرسة الأولى: 78 .

وعلى الطريقة التي وصفها أولا يجري العمل في الحزب الراتب في مدرسة سيدي الزوين بحوز مراكش، وقد قمت بزيارة هذه المدرسة مؤخرا فوجدتهم في يوم الاثنين 28 شعبان 1426 يقرأون حزب. «قالوا أنومن لك» وهذا دليل على أنهم يقرأون حزب الشيخ لا حزب الشهر الذي يختم فيه القرآن على رأس كل شهر، إذ لو كانوا يقرأون حزب الشهر لقرأوا حزب «يسبح» في تلك الليلة.



وقد جرى العمل عندنا في المساجد العامرة بالطلبة في بلاد الشياظمة وحاحة ومتوكة وما جاورها بقراءة ما يعرف باسم «أحزاب النوبة» وهي تعني إعادة الحزب الراتب اليومي مع الذي قبله والذي بعده صباحا ومساء، ما عدا مساء الخميس وصباح الجمعة، لأنهما يوما عطلة، ويحرص الطلبة المشارطون على قراءة المتعلمين لهذه الأحزاب والمواظبة عليها، وتفقد من يحضرها ممن لا يحضرها، وإذا كان عدد الطلبة كثيرا، أمرهم أن يكونوا مجموعات تتوزع في أركان الجامع.

ولا يخفى مالها من الأهمية في تعدد الختمات من القرآن التي تسير جنبا إلى جنب مع الحزب الراتب طوال وجود الطلبة في الجامع، إلا في أيام العطل التي تتوقف فيها الدراسة بصفة موقتة ريثما يرجع الشيخ وتلامذته في الغالب إلى استئناف العمل.

## الشيخ ماء العينين بن العتيق يحكي عن الحزب في مدرسة السمارة بالصحراء المغربية، ويؤلف في قراءة شيخه له ويصف طريقته

وذكر محققُ رحلته الأستاذ محمد الظريف أن الشيخ ماء العينين (الجد) كان يوليه عنايته الخاصة، ويرجو من الله تعالى أن يجعله له مثل أبيه العتيق، بل فوقه في العلم وغيره، قال: وقد تحققت فيه آمال جده فنبغ في مختلف علوم عصره... وأجازه مجموعة من العلماء، منهم الشيخ ماء العينين الذي أجازه في القرآن الكريم رسما وقراءة، وزين بن البكاي الذي أجازه في قراءة نافع ورواية ورش وقالون. قال: وقد نظم بعض



هذه الإجـــازات وأورد بعضـهــا فـــي رحلتـه، منها قـولـــه فـــي نظـــم إجازة العلامة زيـــن:

هـذا وذي سِلْسلـتي منـظومـــــة ** في سَنَدِ الإجـــــازة المعـلومـــــة

أُسنِدُها إلـى النـبي الـهــــادي ** روايـة مـــــوصــــــولة الإسـنـاد

فـــيـمـــا روى ورش وقـــالون عن ** شـــيـــخـــهـــمـــا أبي رُوَيْم المدني

أجـــازني في المَقـــرإ المذكـــور ** لـنافع بـأخـــــذه المشــــهــــور

أسـتـــاذي المدعـوّ زين المنتـمي ** إلى مـحـمـد الأمين القَـفْـقَـمي

وهْو عن الأسـتـاذ شـيخنا الكبـير ** مـاء العيـون القُدوةِ القطب الشـهـير

قال المحقق: ومنذ أن نال هذه الإجازة سنة 1319 هـ – 1902 م كلفه جده الشيخ ماء العينين بقراءة (الحزب) على يمينه، فداوم على ذلك إلى أن توفي سنة 1328 هـ (1) كمـا ولاه التدريس بمدرسة السـمـارة، فكان لذلك أثره في اختبار معارفه، وتعميق ما حصله من علوم» (2).

ومن الطريف أن الشيخ ابن العتيق ألف في موضوع الحزب تأليفا وصف فيه كيفية قراءة جده له، وسماه:

«تحفة المكاتب، بقراءة شيخنا الشيخ ماء العينين لحزبه الراتب».

وهو كتـاب استوعب فيه أحـوال الشيخ مـاء العـينين كلها العـادية والعبادية، وخاصة كيفية قراءته للحزب (3).

---

1 – المراد وفاة شيخه المذكور.

2 –الرحلة المعينية للعلامة ماء العينين بن العتيق: مقدمة التحقيق: 25-26 .

3 – نفسه: مقدمة التحقيق: 27 .



قلت: ولما في حزب الشيخ المذكور من الغرابة، وما فيه من المخالفة لنمط الحزب الشهري والحزب الناصري - الآنفي الذكر- أنقل للقارئ الكريم وصفا لطريقته فيه كما أثبتها ابن العتيق في كتاب الرحلة.

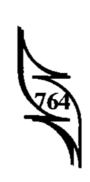
## كيفية قراءة الحزب الراتب على سنن الشيخ ماء العينين الصحراوي

قال الشيخ ماء العينين بن العتيق في حديثه عن رحلته، وواصفا للباخرة التي حملت الحجاج المغاربة من جزر الكناري تحت إمرة الشيخ مربيه ربه ابن الشيخ ماء العينين، وهو عم صاحب الرحلة:

«وفي الباخرة عدد مصليات، فمصلاها الكبير هو الذي في الدرجة العليا، وهو حسن يسع نحو ثلاثمائة من المصلين أو أكثر، وهو الذي يصلي فيه سيدنا الشيخ وأقاربه ومن في درجتهم العليا من سائر الحجاج، وأمر الشيخ أعز الله إمامه عبد الصمد المذكور بالتدريس فيه وتعليم الحجاج مناسك الحج بعد طلوع الشمس وبعد صلاة الظهر.. قال:

«ويقرأ (الحزب) فيه ما ينيف على المائة من الطلبة، فأولا يقرأ على سنن شيخنا الشيخ ماء العينين المعروف.

وهو أن يقرأه اثنان جهرا، وباقي الجماعة سرا، ويقرأ في كل لية ثلاثة أحزاب، فيقع الختم في ثلاث جمعات، ويقع الإبتداء في القراءة بعد صلاة العشاء ليلة الخميس. ثم لم يزل يقرأ بعد صلاة الصبح والمغرب والعشاء الحزب، وتقرأ معه بعد المغرب والصبح سورة يس وسورة الصفِّ، ثم سورة قريش ثلاثا.



ثم ترفع الجماعة أيديهم للدعاء، ويدعو أحد القارئين بعد أن يقرأ الفاتحة خمس مرات بهذا الدعاء، والجماعة تؤمن:

«اللهم صل وسلم على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات، من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات.. قال:

وأما في العشاء فلا يقرأ إلا الحزب فقط، والفاتحة خمس مرات، والدعاء المذكور، ويقرأ في صبح كل جمعة مكان الحزب سورة الكهف والدخان، فيقع الختم بعد صلاة المغرب ليلة الخميس في ثلاثة أسابيع، ثم يبتدأ في أول الختمة بعشائها كما قررنا» (1).

قال: وكان شيخنا الشيخ ماء العينين يرتب اثنين من أبنائه أو تلامذته لقراءته بإزائه على هذا السَّنَن، ويقرؤه هو أيضا -رضي الله عنه- وباقي الجماعة سرا، خشية التخليط، وقد كنت أحد اللذين يقرآنه حوله -رضي الله عنه- أمرني بذلك منذ حفظت القرآن وأعطيت فيه الإجازة بحمد الله، وأنا ابن اثنتي عشرة سنة» (2).

---

1 - الرحلة المعينية: 95-96 .
2 - نفسها: 96/1 .



## سَنن المغاربة في قراءة الحزب الراتب كما يصفها ابن العتيق

«وكان حزب مغرب ليلة الأحد المذكورة التي أقلعت فيها الباخرة من سبتة (يستبشرون بنعمة الله من الله وفضل) (1)، فتفاءلْنا به، لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يعجبه الفأل، ويكره الطيرة.

وقد كنت أنا الملازم لقراءته على السنن المذكور في رحلتنا هذه، وكثيرا ما يكون القارئ معي السيد يحجب بن خطري، وإلا فغيره ممن حضر وفدنا، فإذا أتممنا، قرأته طلبة الحجاج الذين معنا على (سنن المغاربة) المعروف عندهم، وهو أن يقرأوا كل يوم حزبين: أحدهما بعد صلاة المغرب، والثاني بعد صلاة الصبح، ويختمون القرآن في كل خمس جمعات ليلة الإثنين بعد صلاة المغرب.

وما زلنا -بحمد الله- ملازمين قراءة الحزب على الطريقين الموصوفين في المصلى المذكور مع إقامة الصلوات الخمس في أول أوقاتهن على الكيفية المشروعه...» (2).

ويعتبر كثير من المشايخ قراءة الحزب وما يتبعه من أحزاب النوبة والأسوار أهم فقرات البرنامج اليومي الذي لا يجوز للمشارط الإخلال به في محضرته، ولا التهاون به بين تلامذته وطلبته مهما كانت الدواعي والأسباب.

1 – سورة آل عمران: الآية: 171 .

2 – الرحلة المعينية: 100 .



وكثيراً ما يأتي طلبة الجماعة، وهم في الغالب من قدامى طلبة المحضرة، فيشاركون في قراءة الحزب الراتب، مما يعطيه أحيانا طابعا خاصا من الجودة والمنافسة فيه، وكلما كان العدد وفيرا، وكانت الأصوات بالقراءة مرتفعة يسمع صداها من بعيد، كان ذلك مدعاة لسكان الجماعة أن يحضروا للصلاة في الجماعة ولسماع الحزب، كما تكون هذه القراءة تأنيسا لأهل الموضع ممن يسمعها من بعيد كالنساء وغيرهم، مما يشعر الجميع بالغبطة والسرور بامتلاء المسجد بالطلبة، وإقبالهم على القراءة بحماسة وجد واجتهاد.

وإلى القارئ هذه الصورة التي يرسمها بعض الباحثين عن الحزب في ترجمة بعض المشيخة المعنيين بالمشارطة والاجتهاد، وهو أبو عثمان سعيد بن محمد بن الحاج علي التامري الحاحي حيث يقول:

«تقلب المترجم في مدارس شتى في حاحة في المشارطات، وهو يدرِّس جميع العلوم الإسلامية التي تروج في تلك الأوساط، وقد جمع أحيانا بين تدريس العلم وتدرير كتاب الله، فانتفع به جمهور من طلاب المعرفة لا يحصون أدركنا معظمهم... تربى وترعرع في مسقط رأسه المذكور، وهو إذ ذاك طافح بالمقرئين الكبار، أرباب القراءات والفقهاء الأجلة، قال:

ويحكى أن (الحزب الراتب) الذي يقرأ مساء الأربعاء والخميس فوق سطح مسجد «إذ الرايس» عند حضور جُلِّ القراء من مساجدهم رأس كل أسبوع، يسمع من مسافة بعيدة، وبعقيرة مرتفعة جدا، بل ويرتقب الناس ذلك بشوق شديد، إن دل ذلك على شيء فقد دل على اجتهاد تلك الأجيال...» ثم ذكر وفاته رحمه الله سنة 1347 هـ (1).

---

1 –المتعة والراحة للفقيه إذ إبراهيم إبراهيم التامري: 2/243-245 .



وكان ذلك قبل أن تعرف مكبرات الصوت في المساجد، أما في وقتنا هذا فأكثر المساجد الكبرى في البادية أمست تستعمل هذه المكبرات لنقل الحزب، فربما سمع على مسافة أميال من المسجد مما يشعر بعمارته ووفرة الطلبة فيه.

## ختمة سلكة الحزب و الاحتفاء بها وبعض الأوقاف الخاصة بها

«وتختم سلكة الحزب الراتب كرة كل شهر، أو كل خمسة وثلاثين يوما حسب «الحزب الناصري» الواسع الانتشار في المغرب كله، وما يزال العمل في البوادي وفي الجنوب المغربي وبوادي سوس ومراكش كما أدركناه تختم سلكة الحزب يوم الأحد، وتفتتح الأخرى صباح يوم الاثنين ويسمونه «حزب الشيخ» تمييزا له عن «حزب الشهر».

وقد جرى العمل في الحواضر والبوادي إلى عهد قريب بتحري ليلة الختمة والحفاوة بها، وهي عندنا مناسبة للاجتماع على الحزب «حزب سبح» بعد صلاة المغرب، بحيث يحضرها الكبار والصغار وأهل الحي من آباء التلاميذ وغيرهم، ويعدون لذلك العدة بالنهار، بتوفير أدوات الشاي وإطعام الطلبة والحاضرين للختمة.

وتتوقف الدراسة المعتادة ليلة الختمة، فتأخذ المحضرة والجامع جوا احتفاليا، فلا تقرأ الألواح ليلا، ولا الأسوار، وإنما يقرأ الحزب الراتب وأدعية الختم بعده، وسبع من قصيدة البردة في المديح للبوصيري، ثم يؤتى بأواني الشاي استعداداً لمجلس الختم الذي يبتدئ بعد صلاة العشاء أو قبلها أحيانا حيث تمد الموائد وتوزع الحلويات وتدور كؤوس الشاي على الحاضرين.

وللاعتناء بليلة الختمة أصل في الشريعة وعمل السلف، ففي الأثر عن قتادة قال:

«كان بالمدينة رجل يقرأ القرآن من أوله إلى آخره على أصحاب له، فكان ابن عباس يضع عليه الرقَباء، فإذا كان عند الختم جاء ابن عباس فشهده» (1).

وفي أثر عن ابن مسعود أنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله، ثم دعا وأمنوا على دعائه» (2). وكان أنس بن مالك يجمع أهله عند الختم (3).

وما يزال العمل على توقيف الدراسة ليلة الختمة وتسمية ذلك «سنة»، وبذلك أخذنا عند شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري بمسجد البير الفائض بنواحي الصويرة، كما جرى العرف المحضري بتقديم الأطعمة التي يأتي بها أهل القرية أو الحي بعد صلاة العشاء، وبعد ذلك يأخذ الطلبة مجالسهم، وتقدم أواني الشاي ويتبارى الطلبة في تلاوة أرباع من القرآن، وإنشاد بعض محفوظاتهم من الأراجيز الخاصة بمثل هذه المجالس التي يعتبرونها من مجالس الانبساط والأنس. وفي بعض المساجد يُنشد الطلبة قصيدة الهمزية في مدح خير البرية للبوصيري، وذلك عن طريق تداول الإنشاد بيتا بيتا، بحيث يترادون في ذلك بأصوات عالية وألحان متنوعة، وربما طال بهم المجلس إلى وقت متأخر من الليل.

---

1 –فضائل القرآن لأبي عبيد: 47 بتحقيق محمد نجاتي رسالة من جامعة أم القرى وانظر كتاب جمال القراء للسخاوي: 123-122/1 .

2 – فضائل القرآن لأبي عبيد: 47 وفضائل القران لابن الضريس: 90 وجمال القراء: 123/1 .

3 – فضائل القرآن لأبي عبيد: 48 وسنن الدارمي: 337/2 ، وجمال القراء: 123/1 .



## العمل في محاضر سوس ليلة الختمة

وقد وصف مؤلف كتاب «المدرسة الأولي» ما عليه العمل في جهات سوس وجنوب المغرب بعد ختم حزب «سبح» آخر من السلكة فقال:

«ثم ينتقلون مباشرة إلى سبع يوم الأحد من «البردة» الذي أوله:

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته ** قــــوم نيــــام تسلوا عنه بالحُلُم

ثم بعد الدعاء يقوم التلاميذ للاستراحة استنشاقا لروائح الخاتمة، ولأكل أو اقتسام ما أتاهم من صدقات الخاتمة، من نحو تمر أو مَقْلي حب أو خبز إن كان.

والمعتاد عندهم -كما تقدم- أن يبتدأوا الختمة الجديدة عند انتهاء الأولى..» (1) وبعضهم يقرأ أربعة أبيات في ختمة القرآن جماعة، ونصها:

بكتابك الأعلى وما فيه من هدى ** فــــامنن علينا بتـــوبة وقنا الردى

بمحـــمـــد وببنتـــه وبزوجـــهـــا ** وابنيْـهـمـا الحَـسنين أعـلام الهـدى

وبصـــحـــبـــه والتـابعين لهم فـــهم ** ســـــاداتُنا أهـل المكارم والـندى

فَــرِّج كــروب المسلمين وضُــرَّهـم ** يا خـيرَ من مـدَّ العـصـاةُ له اليـدا (2)

---

1 -المدرسة الأولى: 76-77

2 - نفسه: 77-78 وقد كتبتها على الصواب، وللطلبة فيها في المحاضر تحريف كثير.



وعلى أية حال فبسبب المحافظة على قراءة الحزب الراتب اتسع حفظ القرآن الكريم في الحواضر والبوادي المغربية، وشمل القراء والأميين، وبفضله كان أهل المغرب أكثر حفظا واستحضارا للقرآن، وبه أيضا تأتّي توحيد القراءة الرسمية في المغرب والأندلس على رواية واحدة وطريق واحدة، وهي رواية ورش من طريق أبي يعقوب الأزرق عنه عن نافع إمام أهل المدينة (1) .

ولاغتباط بعض المحسنين بما يجري يوم الختمة من اجتماع الطلبة وحملة القرآن من أهل الحي في المسجد، وأخذهم في التلاوة وإنشاد المديح النبوي وغيره، فقد تحركت فيهم الإريحية للتفكير في ضمان طريق للنفقة على هذه الليالي عن طريق الوقف على الحزابين الذين يحضرونها، أو على كل من يحضرها من الطلبة وغيرهم، وهذه أمثلة مما رصد لذلك في بعض المساجد بسوس وغيرها منذ القرن العاشر وقبله.

## نص استفتاء رفع إلى الفقيه المرغتي والجواب عليه عن التمر المحبس على ليلة الختم

ففي كتاب المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية لمحمد المختار السوسي نص اسْتفتاء رفع إلى العلامة الفقيه السيد محمد بن سعيد المرغتي السوسي صاحب كتاب المقنع «فيما حبس من التمر على ليلة ختم القرآن، فيما يستعمله أهل البوادي من تحبسيهم النخل على الليلة التي

---

1 – أنظر نظم الجمان لابن القطان: 172 .



يختم القرآن فيها، وهي ليلة استهلال الشهر (1)، وحبسوها على من حضر الختم قارئا أو غيره، ذكورا وإناثا (2)، ويأكل الجميع من ذلك التمر، هكذا عادة المتقدمين، قال صاحب السؤال:

«وقلت الطلبة فصارت العامة تنتظر استهلال الشهر، ويذهبون للتمر. ويأكلونها ويقطعونها في النخل إن بقيت، فهل يجوز لهم ذلك أم لا؟ وأيضا كيف يكون تقسيم ذلك، هل على عدة شهور السنة، أو يجوز أكلها في ليلة واحدة؟؟ وما يفعل بما بقي إن فضَلَ شيء؟

## جواب الشيخ المرغتي:

«إن التمر المحبس على قراءة الحزب يأكلونها عند الختمة، سواء كان على رأس الشهر أو في غيره جائز، ومراد المحبس أن يأكله كل من حضر الختمة على وجه الصدقة والمعروف، فيستوي في ذلك الطلبة الملازمون للحزب، والطلبة غير الملازمين له، والحاضرون للختمة من العامة والضيفان والصبيان، ولا حجر في ذلك ، لأن مقصود المحبس به الصدقة ونيل البركة من الختمة والحزب والدعاء لهم، وذلك يستوي فيه الجميع -والحمد لله- كما ذكرناه، وعلى ذلك أدركنا المتقدمين يفعلون ذلك في البلاد السوسية التي فيها التمر والعنب...

---

1 - قوله «في ليلة استهلال الشهر» يدل على أن حزب الشهر هو الأقدم في الوجود.

2 - قوله: « وإناثا» يدل على أن النساء أيضا كن يحضره صلاة الجماعة في مساجد البادية بسوس، أو على الأقل يحضرن ليلة ختمة القرآن.



«فإن الفضلة الباقية من العام الماضي تقسم على الطلبة الملازمين للحزب، ولا يشاركهم فيها غيرهم، إلا المؤذن المحتاج القائم بحق الأذان وحق المسجد، لأنه من جنس الحزّابين، فلا يجوز إعطاؤها للإمام وحده، ولا المساكين...

«فإذا تسوّس تمرُ الختمة وخيف عليه الفساد الذي يمنع الانتفاع به قبل رأس العام.. يجب على الجماعة أن يبيعوه، ويشتروا به تمرا آخر يصلح للحزب...

ولا يجوز لمن مرَّ بالنخلة أن يأكل ما يسقط منها بالريح أو المطر أو بالطير ، إلا إذا لم يوجد من يقوم به ويلقطه ويصلحه..

وأما من خزنوا عنده التمر فلا يجوز له أن يأكل منه تمرة واحدة هو ولا أولاده ولا زوجته، لأنه أمين، ولا يباح له ذلك بقول الحزّابين له: كل من تمرنا، لأنهم لا يملكونه، ولا يملك أحد منهم إلا التمرة التي أخذها ليأكلها» (1).

## نص استفتاء آخر من الأندلس في الاستفادة من وقف الحزب الراتب لأبي سعيد ابن لب بغرناطة

قال الإمام الونشريسي في كتاب المعيار:

«وسئل الأستاذ أبو سعيد ابن لب عن قوم مرتبين لقراءة الحزب، يقع منهم التفريط في الحضور لذلك على تفاوت كثير، حتى تمر على بعضهم الشهور والأعوام ولم يحضر، هل يجوز أخذ الجراية عليه أم لا؟

---

1 - المجموعة الفقهية: 117 .



## جواب ابن لب عن السؤال

«الواجب على من رسم في خطة شرعية، أو وظيفة دينية، وله عليها أجز أو بسببها رزق، أن يجتهد في إقامتها، وأن لا يقصر بها عن عادتها، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، ولابد للإنسان من عذر وشغل، فإن كان ذلك يقِلّ، وغالب الحال القيام بحق الوظيفة، فلا حرج في أخذ الجراية، وإن كان ذلك يكثر، والغالب عليه الإضاعة وعدم المبالاة في الارتباط إلى الوظيفة، فقد بعُد عن استحقاق الجراية» (1).

# استفادة طلبة المغرب من وقف الحزب بالأزهر الشريف بمصر

ومن الطريف اللافت للنظر أن الأوقاف على قراءة الحزب بالنسبة للمغاربة كانت حتى في البلدان التي كانوا يقيمون فيها خارج الوطن بكيفية عابرة أو موقتة.

ففي رحلة العلامة أبي العباس أحمد بن محمد الهواري القاضي بالمحكمة الشريفة (2) قال وهو يتحدث عن الجامع الأزهر بمصر:

«وللطلبة كغيرهم في الأزهر أوقاف يتناولون خَراجَها للاستعانة به على ضروراتهم، كما أن لهم على قراءة الحزب خراجا يعرف بـ«الرابعة» قدره من خمسين إلى ستين قرشا في الشهر» (3).

1 -المعيار : 8/367-368 .
2 - طبعت رحلته بالرباط سنة 1934 هـ .
3 - الرحلة: 71 .



قلت: وقد رأيت في جامع الأزهر رواق المغاربة عن يمين الداخل إليه من بابه الرئيسي، وبه قيل لي: كان مقام طلبة المغرب الملازمين للدراسة يومئذ به، ولهم به جرايات معلومة كانت تصرف إليهم من الأوقاف الخاصة بنزلاء هذا الرواق من الطلبة والغرباء.

## قراءة الحزب الراتب بالروايات في بعض المساجد الكبرى في فاس ومكناس والرباط

وقد عرفت قراءة الحزب بالروايات في عدد من مساجد المملكة في عهد الملك محمد الخامس -رحمه الله- واستمرت كذلك بدعم من وزارة الأحباس.

ففي مدينة مكناس كان الفضل في إعادة إحيائها إلى مؤرخ الدولة العلوية المولى عبد الرحمن، وذلك أنه تدخل لدى وزارة الأحباس بالرباط في شأن إحياء هذا الحزب الذي كان يتلى بالمسجد المحمول على صابة السبع، ويوجد مدخله في الصف الأول من المسجد الأعظم، وأن هذا المحل كان خاصا بالقراءات السبع، ومع توالي الأيام لم يعد يقرأه فيه أحد، وكان الشيخ الوقور الأستاذ أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدي، والأستاذ الشريف مولاي محمد -فتحا- العلوي المدعو الخبيزي يتطوعان بقراءة القرآن الكريم بقراءات السبعة في كل جمعة بكرسي سيدي الكلاعي بالمسجد الكبير، كما كان خمسة من الأساتذة يقومون بنفس العمل يوم الجمعة بمسجد باب البراذعيين بباب المنار، وهم



الفقيه محمد بن فضول السقاط، ومحمد بن البشير، ومحمد بن الطيب ابن الفقيه الفيلالي، والعدل الفقيه عبد القادر بن المعطي السفياني المدعو الصبيع، ومحمد بن أحمد ابن الفقيه الفيلالي، وكان الشيخ الوقور أبو عبد الله محمد بن أحمد الحميدي من جلساء المؤرخ ابن زيدان، فاقترح الشيخ الحميدي على ابن زيدان التدخل لدى وزارة الأحباس لجمع هؤلاء الأساتذة الخاصين بالقراءات السبع، وذلك في حزب رسمي، وهكذا استجابت وزارة الأحباس إلى رغبة المؤرخ ابن زيدان، فأسس هذا الحزب رسميا، وخصص له موضع العَنزة بالمسجد الأعظم، ولازال أساتذة هذه القراءة يتابعونها في العنزة» (1).

هكذا قال الأستاذ إبراهيم الهلالي، غير أنه في آخر كتابه عبر عن أسفه مما وقع من تراجع في هذا الشأن، حيث سجل أن حفظ القرآن في تراجع وذكر أننا نشاهد أن كل حافظ لكتاب الله انتقل إلى الرفيق الأعلى لم يعوض في الغالب، وأن المدارس والكليات ثانيا لا تأخذ بعين الإعتبار تحفيظ القرآن، وأن جل الأحزاب الحبسية بالمساجد يتلى فيها القرآن في المصاحف لقلة الحفاظ، ورابعا: ضم أحزاب في حزب واحد كما وقع في المسجد الكبير بمكناس بعدما كانت فيه خمسة أحزاب (2).

---

1 - أنظر الشيخ الأستاذ إبراهيم الهلالي في كتابه التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام ص 85 بالهامش رقم 35 .

2 - هذه الأحزاب كما سماها، هي : الحزب الكبير وحزب الخزانة وحزب سيدي يحيى، وحزب جناح سيدي البخاري، والحزب الفيلالي، وكان كل حزب يتلى بصيغته الخاصة، قال: هذه الأحزاب الأربعة ضمت إلى الحزب الكبير، وفي ذلك مخالفة للمحبس، لأن كل حزب له أوقافه الخاصة . التبيان: 148-149).



قال: ولا يخفى أن حفظ القرآن الكريم ورواياته المتواترة من فروض الكفاية إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقي، وإلا فالأمة كلها مؤاخذة.

فحزب السبع الذي كان يتلى بباب منار القرويين بفاس، كان آخر الأساتذة به الفقيه السيد محمد بن عبد الله، ومنذ أن فارق هذا الأستاذ الحياة -رحمه الله- ترك هذا الحزب ولم يعوض.

وفي مكناس حزب السبع الذي يتلى بالعنزة بالمسجد الكبير، قرأت فيه مع عشرين أستاذا، ولم يبق منهم إلا ثلاثة» (1).

هذا وقد نشأ عن قراءة الأسوار في جماعة كما نشأ عن قراءة الحزب الراتب في جماعة ظهور صيغ من الأداء الجماعي للقراءات تختلف من منطقة إلى أخرى، فهنالك صيغ شمالية وأخرى سوسية وأخرى حوزية وأخرى جبلية ريفية، وعرباوية، وفيلالية، وصحراوية، وغير ذلك مما يمكن التعرف عليه لمن جال وساح في هذه الجهات، أو كان له احتكاك ببعض الطلبة النازحين بالحواضر من أهل هذه الجهات.

ومن أشهر الصيغ المنتشرة في المغرب، وخاصة في بلاد سوس قديما وحديثا قراءة التحزيب، وتعرف باسم «تحزابت» وهي قراءة غالبا ما يخصص لها الربع الأخير من الحزب الراتب كما أدركنا أشياخنا يفعلون، ونظرا لاتصال هذه القراءة بالمجال المحضري وشيوعها في مناطق كثيرة، وربما بطرائق مختلفة، أخصها بمزيد من التفصيل في فصل خاص وأذكر موقف العلماء منها منذ ظهورها.

---

1 - أنظر الشيخ الأستاذ إبراهيم الهلالي في كتابه التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام ص 85 بالهامش رقم 35 .





# الفصل الثاني

## قراءة "تحزابت" وموقف الفقهاء منها:

كان من مشاهير القراء في زمنه في أواسط القرن الماضي (الرابع عشر الهجري) القارئ السبعي الشهير بأصقاع سوس وبلاد حاحة السيد ابن العربي الهواري، وكان له طلبة مشهورة بالمهارة والتفوق والتحقيق، وذاع له صيت ولطلبته ما يزال يذكر في تلك المناطق عند بعض المشايخ إلى اليوم. وكان هو ممن يناصر القراءة المذكورة، ويغضى على ما فيها من المثالب والمعايب جريا على ما جرى عليه غيره من مشايخ الإقراء والفقهاء.

حكى الشيخ الفقيه عمر بن الطيب النكنافي المولود بنكنافة من قبيلة حاحة بإقليم الصويرة عام 1300 هـ (1) قال:

«آوانا القدَرَ معشر طلبة «تالمست»، م (2)، مع أستاذنا الشيخ سيدي الحسين ندبيهي -رحمه الله- إلى دار القائد عبد الملك المتوكي، فأضافنا أحسن ضيافة على عادته مع الشيخ، وابتعدا عنا في إحدى زوايا الدار، واشتغلا بالحديث.

1 - كان هذا الشيخ، مشارطا بمدرسة سيدي أبي البركات العبدري من سنة 1365 هـ إلى سنة 1376 ثم بمدرسة سيدي عباس الناصري بنكنافة ثم في غيرها إلى أن توفي سنة 1390 هـ (أنظر كتاب المتعة والراحة: 2/192-204).

2 - مدرسة علمية شهيرة في قبيلة متوكة وهي اليوم من إقليم شيشاوة إيمنتانوت.



ولما اطمأن بنا المجلس دخل علينا لفيف من تلاميذ الأستاذ ابن العربي الهواري السبعي المقرئ الشهير (1)، فأثاروا في الحين ضجة بأصوات حسان، يحزّبون كتاب الله على عادتهم المتبعة إذ ذاك، فغضب الشيخ، وخرج علينا يجر رداءه مُغضبا، وقال: ما هذا؟ فأي يوم أمرتكم بالتلاعب بكتاب الله تعالى على هذا النحو؟ فأنا أبعد الناس عن هذه المراوغات!

وأسرع أحد نبهاء طلبته فأوعز إليه أن الذئب في الغنم، وأن المتمالئين علي هذه البدعة المقوتة مع فريق من تلامذة ابن العربي جاءوا تسللا ورغبة في المناجزة على عادة أمثالهم، ليقاومونا وليروا ما عندنا من التضلع في كتاب الله».

فلما رأى الشيخ أولئك الثوار لا زالوا في إثارة المناوشات أرسل إلى أستاذهم ابن العربي –رحمه الله– وهو رابض إذ ذاك بمدرسة «بوزگونن» بمتوگة، ومعه الجم الغفير من كبار السبعيين، لازموه لزوم الظل للأخذ والطلب، فحين وصله مبعوث الشيخ أسلس القياد. وذكر أن ابن العربيساير الشيخ نظراً لجلالته، وإن كان يؤمن بما لديه حول هذا الموضوع.

ثم إن ابن العربي رجع أدراجه فرجع تلاميذه معه كذلك، قال:

والشيخ سيدي الحسين ندبيهي لا يكاد يسامح طلبته ولا غيرهم فيما يسمى «تاحزابت» التي تشوّه جمال القرآن، بل التي لم تدل على شيء، فهي

1 –شارط في كثير من جوامع حاحة، ومنها في مدرسة سيدي أبو البركات العبدري فيما بلغني، وكان من كبار القراء، أخذ عن علي الخياطي وطبقته، ثم تصدر للقراءات وشارط في مدارس كثيرة بسوس وحاحة ومتوگه وقد اختل أخيرا إلى أن مات سنة 1345 هـ ودفن في مسكينة. أنظر ترجمته في رجالات العلم العربي في سوس: 229 ترجمة 44 لمحمد المختار السوسي.

إلى المعصية منها أقرب إلى الطاعة، تمطيط بدون حدود، وأصوات كأصوات الرعـاة، لا تأمُّل ولا خـشـوع، فـالابتـعـاد عنهـا أقـرب إلى الثـواب وإلى الصواب».

## موقف علماء «تيمگديشت» (1) من «تحزابت»

ثم قال الشيخ عمر بن الطيب المذكور:

«وكذلك علماء «تيمگديشت» قاموا ضدها منذ كانت في المهد، غير أن حَمَلَة القرآن إذ ذاك متوافرون، ولهم الغَلَبة والسطوة والزعامة، ولا سيما السبعيين منهم، فلا يكادون يسلّمون لأهل العلم، ويرونهم دونهم في التمكّن والاطلاع.

غير أن ابن العربي شارك في العلوم الإسلامية، لذا كان يَزْحَم العلماء نسبيا، وإن كان يرى مَراتب القراء فوق مراتب غيرهم» (2).

وقد أثارت هذه البدعة المحدثة أمواجا من الاعتراضات في عامة مدارس سوس منذ أن أخذت تنتشر، وقاومها عدد من الفقهاء سيأتي ذكر بعض أسمائهم في واحدة من أهم ما نظمه بعض الفقهاء المعاصرين في الإنكار والتشنيع عليهم.



1 - من المدارس العلمية بسوس التي تخرج منها عدد وفير من الفقهاء المتأخرين، أنظر سوس العالمة لمحمد المختار السوسي: 145 .

2 - المتعة والراحة: 199-200 .



ويظهر أن هذه الحملات قد استطاعت أن تقلّص من انتشارها، وأن تحد من استعمالها، وخاصة في الحواضر والمآدب، حيث حل محلها تجويد ما تيسر من القرآن، أو الاشتراك في قراءة أرباع أو سور من القرآن بطريقة (السلاكة) المعتادة حسب القراءة المستعملة في المنطقة في قراءة الحزب الراتب اليومي.

ونظرا لقلة هذه الأرجوزة في الأيدي والتداول، لأنها لم تطبع فيما أعلم أو ردُها بنصها الكامل نقلا عن نشرة نقلت من نسخة ناظمها حفظه الله.

وقد بلغني أنه فقيه متضلع في فنون العلم، متفتح على ثقافة العصر، يدرّس حاليا في بعض مدارس سوس، ويدعى باسم «سي الحنفي» ونسبه الكامل: محمد الحنفي بن محمد الطاطي نسبة إلى بلدة طاطا بسوس.

## رسالة التأنيب للقراء بالتحزيب
## للعلامة الفقيه السيد محمد الحنفي بن محمد الطاطي السوسي

الحمد لله العظيم المُنْزِلِ ** كتابَه على النبيِّ المرسَلِ
أفضلِ مُرسَلٍ بأفضلِ كِتاب ** يَهدي الخليقةَ إِلَى نَهْجِ الصَّواب
حَمداً له سبحانه تَكَفَّلا ** دَوْماً بحفظِهِ مِن أَن يُبَدَّلاَ
يَرْفَعُ قوما مُقرِئين ويَضَع ** بِهِ رِجالاً مِن سَرَاة المجتمع (1)

1 - سراة: سادة.



الحمد لله العظيم المُنْزِل ** كتـبَه على النبيّ المرسَل
أفضل مُرسَلٍ بأفضلِ كِتاب ** يَهدي الخليقةَ إلَى نَهْجِ الصَّواب
حَمداً له سبحانه تَكَفَّلا ** دَوْماً بحفظِهِ مِن أن يُبَدَّلاَ
يَرْفَعُ قوماً مُقرئِين ويَضَع ** بِهِ رجالاً مِن سَرَاة المجتمع (1)
ثم صِلاتُه على الدوام ** على النبيِّ صاحبِ المَقَام
سَنَّ لَدَى قِراءَة الآيات ** لِقَوْمِهِ إزَانةَ الأَصْوات
وقرأ القرآن بالترتيل ** كما به أُمِرَ في التنزيل
روى أبو داودَ أنَّ زوجته ** هِنْداً (1) تقول إذ حكت قراءَته:
كانت قراءته حَرفاً حَرْفا ** وذلك الترتيلُ حقًّا صِرْفاً (2)
وآلِهِ نَقَلَةِ القرآن ** نَقْلَ المُشَافهةِ والإتقان
والصَّحْبِ أَهْلِ الضَّبط والدِّرَاية ** لِكل ما صحَّت به الرواية
والتابعين وجميع من سَلَف ** وَمَن قَفا طريقَهم من الخلف
هذا وإن النُّصحَ للقُرآن ** من الفرائض على الأعيانِ
وكَفَّروا مَن زاد فيه أو جَحَد ** مِنْه ولو حرْفا، وهذا إن عَمَد
كذاك مَنْ بِه استَخَفَّ يَكْفُر ** كما عنِ القاضِي عياض يُؤثَر (3)
وقد رأيتُ غالبَ القُراءِ ** في سوسِنا يَلحَن في الأداء
ليْست لهمْ بالسَّند العِنَاية ** فدَخَل التحريف في الرواية
سواءٌ الشيوخُ والشَّبابُ ** كلٌّ يرى اللحن هو الصواب
وَمَعَ هذا المُنكَرِ المُبينِ ** سكَتَ جُلُّ عُلماءِ الدينِ

1 – هي أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية المحزومي رضي الله عنها توفيت سنة 59 وهي آخر أزواجه –ﷺ– وفاة.
2 – صرفا: خالصا.
3 – يشير إلى قول الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الخراز الشريشي في أصل نظمه «عمدة البيان»

قال عياضٌ إنه من غَيَّرَا ** حرفا من القرآن عمدا كفرا
زيادة أو نقصا أو إن بدلا ** شيئا من الرسم الذي تَأصَّلا



## آداب التــــــــــــــلاوة

إنَّ كــتــاب اللهِ ليْسَ يُتْلَى ** إلاَّ بما يَرْضى العَلِيُّ الأعْلَى (1)

مَعَ الوَقَار والسكينة كَما ** بزُبْدة المذهبَ قَطعاً عُلما

وبحضور القلب والتدَبُّر ** فيه وبالتخصيص والتأثر

وبالتَّبَرّي والترَقِّي والحَزَن ** والخوفِ والخشوع، والبُكا حسن

وبالطهارة وبالتعظيم ** للذكر مَعْ مُنْزِلِه العظيم

وكنَ إذا تلوْتَه مستقبِلا ** إذا تأَتَّى مُطْرِقاً مبْتهِلا

محترزاً من زَهْمةِ الدخَان ** والنظر المحظور للغلمان

مُجْتنبا للضحك واللَّغاطِ ** والنيْر والهِيَاط والمياطِ

## من المُهمّات تجويد القرآن

قراءة القرآن بالتجويد ** نَصَّ عليها القومُ بالتأكيد

والناس بينَ مُحسن مأْجور ** وجاهلٍ أثيم أو مَعْذُور

فمَن يطيقُ النُّطق بالفصيح ** العربيّ السَّلِس الصحيح

لَكِنَّه أَعْرض عنْه وعَدَل ** إلى القبيح العجَميّ واتَّكل

على الذي أَلِفَه من حِفظِه ** مستغنيا برأيه وحدْسه

وصدَّه الكِبْر عن الرجوع ** إلى شيوخ الفن بالخضوع

فإن هذا النوع دون رَيْب ** مُقصِّرٌ غاشٌّ عظيمُ الذنب

وَمَنْ يكن ذا لُكنةٍ لم يستطع ** فذاك معذور، والإثم مُرتفع

---

1 – في الأصل الذي نقلت منه: «إلا بما يرضى به تعالى» وفيه عيب من عيوب القافية فأصلحته بما يؤدي المعنى ويصح به العروض.



كـذاَكَ من على الـفـصـيح يَقـدِرُ ** ولـم يجـد مـعلّمـا فـيُـعـذَرُ
ولم يُحَنِّثْ بَعضـهم من ائتلَى ** فـقـال مَن بغيـر تجـويد تِلا (1)
لـيـسـتْ قـــراءته بالـقـــراءة ** إذ خـالف المرسـوم بالجَـراءة

## القــراءةُ سنَّةٌ مُــتَّــبَــعــة

فـيـا أخي اعلَمْ أنَّه جـاء الأثر ** عن ابنِ ثابت وجـاء عن عُـمَـر
وغـيـرِهم من صُـحـبـة النبيِّ ** وصحَّ عن عُـرْوَةَ والشَّـعـبي
الإقــتــراءُ سُنَّةٌ مُــتَّــبــعــة ** يأخـذُه الآخـر عَـمَّنْ تبـعَـه
فـــقـــارئ الـقـــرآن لا يزيدُ ** مـا شـاء أو ينقُصُ مـا يُريد
فكلُّ مـا ليس بمشـهـور لدَى ** أهلِ القـراءة أئمـةِ الـهـدُى
أيْ: ليس منقـولاً إلينا بالسنَد ** عنهم فَـذَاك باطلٌ لا يُعـتـمـد
لِذاكَ فـالحِـرْصُ على الأداء ** بالضَّـبط واجبٌ على القُـراءِ
وذَاك قِـدْمـاً عـادةُ القُـراءِ ** الحـامـلين رايةَ الإقْـــرَاء
قـد عَـرَفـوا المفـتـوح والممـالا ** واسـتـعْـملوا المقـصـورَ والمُطالا
وأتقنوا التـسـهيلَ والتـحـقيـقا ** وأحـسَنوا التـفـخـيم والتـرقيـقا
وغـيـر مـا ذكـرتُه ثم خلَفَ ** من بعدهم خَلْف بعكس من سلَف
قـد قـرأوا بأنكَر الأصـوات ** مـجـتـمـعين مـحكمَ الآيات
فـأفـرطوا في المدِّ والتـمـطيط ** وأشـبـعوا المقـصـورَ بالتـعـبيط
ويُرسلون نَبَـرات مُـذهلة ** مـرددين هَمْـهَـمَـاتٍ مـهْـولِة
وسَمَّـوا التـحـريفَ بالتـحزيب ** يا ليـتَـهم سَـمَّـوْه بالتـخـريب

---

1 - ائتلى: حلف .



## قـراءة الجـمـاعـة مـجـتـمـعين

قــراءَةُ الناس بصــوت واحــد ** مـجـتـمـعين مـثـلاً في المســجـد
أو غيره فيـهـاَ خِـلاف مسـتطَر ** بينَ رجــال العلم أَنجُم البَـشــر
فــمـــالكٌ إلى الكَراهَـة ذهب ** كـمـا حكاهُ النَّوَوي وابن رَجَب
وذاك مُـقـتـضَى كَـلاَم المُتَّـقي ** سَحْنون عن ذاك الإمام العتَقَى (1)
وهْو الذي شَـهَّره في المختصر ** أبو المَوَدَّة خليل المشـــتــهــر
والنووي مـال إلى اسـتـصـواب ** مـذهب من قـال بالاسـتـحـبـاب
وجـاء هذا القـول في التـبـيـان ** عن غـيـر مـا لك من الأعــيــان
قلت: وقـد جـرى بـهـذا المذهب ** عـملُنا مــعــشـر أهل المغــرب
من عــهـد مــهـدي الموحـدينا ** وهْو من أعظم المحــقــقــينا
لظاهر الأخـــبـــار والآثار ** وتبــعــا للسلف الأخـــيـــار
والمنعُ عن جميعهم إن تشـتمل ** علـى الـزيـادة أو الـنقـص نُـقل

## حكم القراءة بالتحزيب والصيغة

إذا علمتَ كل مـــا تقــدمـــا ** فصيغة التـحزيب قطعا حَرُما
لأنـهـــا قـــراءة مـــذمَّـــمـــة ** مـحـدثة قـبـيـحـة مـحـرَّمـة
قــد خــرقت بكثـرة الأخطاء ** قـــواعـــد الأئمـــة القـــراءِ
فكل من دعــا إلى التــحــزيب ** ناءٍ عن الصـواب والتـصـويب
لا تعتمد فيها على العموني ** من تَبَّلَ البــدعـــة بالكَمُّـــون
ولا تقلِّدْ صـاحب الإتحـاف (2) ** فـــإنه لم يُفِتْ بالإنصـــاف

---

1 - يقصد بالعتقي: عبد الرحمن بن القاسم صاحب الإمام مالك بن أنس.

2 - كتاب إتحاف القراء المتحزبين للحسن البعقيلي مقدم التيجانية بالدار البيضاء، وهو متداول بخط اليد في سوس.



وليس في الإتحــاف من دليل ** إلا على الضـلال والتـضليل
ألم يبْح بالكشف والوجــدان ** والذوق أن تزيد في القــرآن؟
فهل تعد شطح الصوفيـة ** أصـلا من الأدلة الشـرعيـة؟
وصيـغة التحـزيب بالألحـان ** مملوءة بالزيد والنقــصـان
ألا تراهم يقطعـون المتـصل ** من المدود، وكـذاك المنفـصل؟
وفصل الإشباع عن الأسباب ** يمنع إجـمـاعـا بلا ارتيـاب
أليس ذلك من النقـصـان ** يا أمـة الإسـلام في القـرآن؟
وبعـضـهم يزيد عند النَّعْق ** في الوقف إشباعا بغير الحق
فاشبعوا فتحة حاء الحق ** حـتى تصـيـر ألفـا بالزَّعْقِ
والضم فوق الدال من روح القُدس ** يصير بالصيحة واواً والسُّدُس
وجعلوا الكسـرة بالإشـبـاع ** ياء إذا صـاحـوا بلا ارتداع
ككسرة الباء لدى الوقف على ** ربك بالزعق الشـديد مـثـلا
ألـيس كـل ذاك بـالـزيـادة؟ ** بلى، ونحن من ذوي الشـهـادة
وأشـبعـوا الفـتحـة قبل اللين ** وقـفـا على خـوف وريْب دَيْن
والمد في الواو وفي اليـاء ورد ** ولا يمد الحـرف من قـبلُ أحـد
يُتلى بقـصـر الحـبْس مَدُّ اللين ** وصح بالإشــبـاع والتـمكين
لكن أهلَ الزيغ يَغْـمَـهـونا ** في الغي خـاء الخـوف يُشـبِـعـونا
وبعـضُـهم يزيد بعـد الوقف ** حرفا مُـجانسا لشكل الحَرفِ
وبعـضـهم يزيد بعـد الألف ** مثل «يشاءا» في «يشاء» إن يقف
وجـعلُ تا تأنيث الاسم ألفـا ** عند المحـزَّبين وقـفـا عُـرفـا
ولا يـرونـه مـن الأخـطـاءِ ** رغـمـا على النحـاة والقُـراءِ



ومـثلةُ تفـخـيمُ ذي الـتـرفـيق ** وعكسـه أيضـا على الـتـحـقـيق
كـــمـن يرقق لـورش ذِكْـــراً ** وزراً وصِـهراً سِتْراً إِمْرا حِجْرا
وهـكذا تحـقـيق نقطة البَـدل ** جـهل قـبـيح، فـانتبـه يا من غَـفل
واصغَ إلى قـرائنا الأقـحــاح هل يستـعيذون في الاسـتـفـتـاح
لم يسـتـعـيـذوا قَطُّ بالرحـمن ** قـبـل القــراءة من الـشــيطان
بل يتـبـركـون بالشـيطان ** إن فـتــحـوا تلاوة القــرآن
هـذا وأخـطـاء المحــــزّبينا ** كـثـيـرة أرْبَت على المئــينا
وإنما نـبَّــــهتُ بـالقـليل ** على الكثـيـر خـشـيـة التطويل
والزيد والنقـصـان في القـرآن ** مـحـرَّمٌ يا مـعـشـرَ الإخـوان
حَـرَّمــه في شـرحــه الكبـيـر ** العـــالم المعــروف بالدَّرديري
بل أجـمـعت مـذاهب الإسـلام ** بـأن ذلـك مـن الحــــــرام
إذ صحَّ عن نبـــيّنا الأواهِ ** من زاد حـرفـا في كـتـاب الله
لـعنـه الإلـه والـرســــولُ ** وهـو حـديث ثابت مـقـبـول
فـمن هنا يظهـر لِلَّبـيـب ** تحـريم مـا يسـمى بالتـحـزيب
وذاك مـا ورد في «المعـسـول» ** عن عـدد جَمٍّ من الفـحــول
كناصـر الدين أبي العـبـاس ** الجِـشـتِـميّ الزاهد الدَّرَّاس
وكـالفـقـيـه الصـالح المهـذب ** صـاحب شـرح المنهج المنتخب
العــالم العـلامــة المثــالي ** مـحـمـد بن علي الهـلالي
وكالفقـيه الرعد ذي التـحقـيق ** والفـهم والتـحـصـيل والتـدقـيق
وكــالأدوزي الأديب الأهيَبَ ** سـيِّدنا مـحـمـد بن العـربي
وهـكذا العــلامــة المخــتـار ** تحـريمهـا ومنعَـهـا يخـتـار



وفي كـتـابه «المدارس» يقـول: ** هـي بلا شك حـرام يا سـؤول
قُلت: وكم من عـالم فـهـيم ** جـزم في التـحـزيب بالتـحـريم
كالقاضي «أسلّي» بَفَمِّ الحِصْن ** وهو مـحـقق عـديم الحَـتْن (1)
والجَكَنِيِّ شـيـخـه «سِـداتي» ** ونجله وشـيـخِـه الهَـوتاتي
والسـيّـد البـركـة الأكناري ** ابن سـعـيـد خَلَفِ الأخـبـاري
ومـثلُه العـلامـة الربّاني ** مفـتي الجنوب السيد العثماني
وغـيـر هؤلاء من شـمـوس ** علم الشـريعـة بقُطر سـوس
فـمن أباحـهـا بجـد أو هَزَل ** بدعـوى أنهـا جـرى بـهـا العـمل
فـقل له: كـذلك الخُـمـور ** جـرى بـهـا العـملُ والسُّـفـور
كـذلك الزنى، فـمن يقـول ** هذا مُـبـاح غـافل وجـهـول
إذ ليس كل مـا جرى به العمل ** والعُرف مقبولا، فدع عنك الجدل
فـالعُـرف إمـا صـالحٌ فـيُقـبل ** شـرعـا، وإمـا فـاسـد فـيُهمل
ومن أباحـهـا بدعـوى أنهـا ** لهـجـة قـومِنا البـرابر سَـهَـا
إذ باللسـان العـربي قـد نَزَل ** دليلُنا لا العـجـميّ المسـتـذلَ
وعن رسـولنا الجليل الأشنب ** قـال: اقـرأوه بلحـون العَـرب
ومسـتـحلُّها بدعوى المصلحة ** كناصح الخرق بغير منْصحَة
إذ المناسبُ هنا مُلْغًى، فـلا ** يُسَمَّى مُرْسلاً كما قد أغفلا
فـزيُّ رادّة وأيُّ مـصلحـة ** في هذه القـراءة المشلحـة
أليس في قـراءة التـرتيل ** غنًى عن التـقـعُّـر الرذيل
وفتح باب اللحن والتصحيف ** مَـفْـسَـدَةٌ لديننا الحنيف
مـا وُضـعت قـواعـدُ التـجـويد ** والرسمِ منذ زمن بعـيـد

1 - الحتن بالفتح والكسر للحاء: المثل والقرن والمساوي (لسان العرب: 106/13).



إلا لحـــفظ ســـاحـــة القـــرآن ** عن الـزيـادة أو النقـــصـــان
هـذا ومن قـــواعـــد الأصـــول ** قـــاعـــدة تُدْرى لدى الفـــحـــول
درءُ المفـــاســـد مـــقـــدَّم على ** جَلْب المصـــالحِ كـــمـــا تـأصـَّلا
كـــيـــفـــيـــات القـــراءة ثلاث
ورتل القـــرآن ترتيـــلا كـــمـــا ** أمـــرنـا الله، وأمـــرهُ ســـمَـــا
إمـــا بتـحـــقـــيق، وهـذا مـــذهب ** ورش وحـــمـــزة، وقـــالوا: يُندب
للمـــتـــعلم به الأخـــذ بلا ** تـكلُّف، وهـو مَـنْـهـج جـــــلا
وإمَّـــا بـالحَـــدْر، وللمكي ** يُعْـزَى اخـتـيـاره، وللبـصـري
من غـيـر بَتْـر، وتُبـاح الزَّمْـزَمـة ** وبعض الأعـــلام يذُمُّ الـهـذرمـــة
وإمَّـا بالتـدوير، وهو المعتـمى ** عند جـمـيعـهم كمـا قد عُلِمَـا
ومن يزِغْ عمـا مضى فقد لحنَ ** لحنا خـفـيـا أو جليـا اعـتلَى
مِن ثَمَّ قـــام علمـــاء الدين ** بالنهي عن قـــراءة التـــحـــزين
ومـحَـدثات أخـرى بالتنصـيص ** كـبـدعـة التـرعـيـد والتـرقـيص
ونغـمـة التـحـريف والتطريب ** كـذاك مـا يُسـمَّى بالتـحـزيب
فـاحذَر من التقـعـيـر والتقطيع ** للمـــد والتـــهـــوُّع الفظيع
وكلِّ مـــا تمجُّـــه الأســـمـــاع ** أو نفَـــرتْ عن مـــثله الطبـــاع
وفـي كـــلام حـــمـــزة الزَّيَّات ** نصـيـحـة لسـائر الســادات
قـال لبـعـضـهم: دع التكلفـا ** إذا تلوت الذكـر والتـعـسـفـا
فـاللون فـوق سُحنَة البـيـاض ** يدعـونه بالبَـرص المُضـاض
ومـا عـداً الجُعـودَةَ المـدوحـةً ** يســمى بالقطاطة القـبـيـحـة
كـــذاك مـــا زاد على القـــراءة ** ليس يُسَـــمَّى عندنا القـــراءة



وفـــــقنـا الله إلى اتبـــاع ** سـنـة طه المرُشـــــــد المطاع

هـذا تمام نـظمنـا المُفـــيـــد ** والحـمـد للمـقـتـدر الحـمـيـدَ

صـلـى وسـلـم الإلـه الأعـلـى ** علـى النبي الـعـــربـي الأولى

وآله وصـــحـــبــه الثِـقَــاتِ ** من زيَّنوا القـرآن بـالأصـوات (1)

هذه أرجوزة العلامة الفقيه سيدي محمد الحنفي – وهو فقيه من قبيلة طاطا يشارط للتعليم، وقد بلغني أنه فقيه سني راسخ القدم في العلوم الشرعية، يقصده الطلبة لذلك، وله مواقف من كثير من التقاليد والعادات الشائعة في تلك الجهات، ومنها قراءة التحزيب المنتشرة هناك.

وقد أشار في الأرجوزة إلى ما ذكره العلامة محمد المختار السوسي في المعسول عن حكمها، وعن موقف عدد من علماء سوس منها منذ زمان.

وأضيف هنا إلى ما أشار إليه نقلا عن كتاب السوسي المذكور: «رجالات العلم العربي في سوس» حين تحدث عن القراء وفن الروايات، فإنه هنا لفت الأنظار إلى ما أحدثته هذه القراءة من شقاق، وأثارته من أسباب العداوة والبغضاء بفعل الضغائن والأحقاد التي تثيرها في التجمعات العامة قال رحمه الله:

---

1 – قال في النسخة الخطية تحت أبيات الخاتمة:

انتهى من «رسالة التانيب» وفقنا الله إلى تلاوة القران على الوجه الذي يرضيه عنا، وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. آمين والحمد لله رب العالمين.



«وفن الروايات مما كان مزدهرا في سوس، وله طلبة ربما يغمرون طلبة العلم، وبين الفريقين تدابُرٌ تظهر آثاره في المواسم، حين يجتمع الطلبة ثُبات في حلَق متجاذبين أذيال «تحزّابت» (1) والمجامع مكتظة، فويل لمن أفلت من يد أحدهم زمام فيعثر لسانه، وإذ ذاك تقوم القيامة عليه، وكثيرا ما يتحزب كل فريق لفريقه، وتلك أنباء مضت فمضى عصرها وبقيت في ذمة التاريخ» (2).

## ارتباط التحزيب بالمحضرة

وقد استمرت قراءة التحزيب في مناطق كثيرة، وارتبطت بالمحضرة، وحلت محلّ قراءة الجماعة بالترتيل، حتى أدخلها الشيوخ المشارطون ضمن الحزب الراتب اليومي، فصار أكثرهم إذا وصل إلى الربع الأخير من حزب المساء قطع التلاوة المرتلة، وابتدأ قراءة التحزيب إلى ختام الحزب، بدعوى تعليم المبتدئين للكيفية السليمة فيها.

كذلك سادت هذه القراءة في حفلات الطلبة في جميع المناسبات، واعتاد العامة سماعها، حتى إنهم صاروا ينكرون على الطلبة إذا استدعوا إلى منزل ولم يأخذوا في القراءة بها، وربما زاد صاحب الدعوة فصرَّح بأنه ما دعاهم إلا لأجل ذلك، وبعض الطلبة ممن استقروا في الحواضر صاروا ينقلون هذه القراءة إلى المناطق التي لم تكن سائدة فيها، وربما صار لهم فريق معروف كفريق المنشدين يستدعى لهذه الغاية في المناسبات.

---

1 - قال ناشره: راجع ما كتب عنها في الكتاب المنشور أخيرا «مدارس سوس العتيقة -نظامها- أساتذتها» ص 55-56 - الناشر.

2 - كتاب رجالات العلم العربي في سوس لمحمد المختار السوسي: 224 .

وقد ابتدع قراء بعض الجهات الساحلية نوعا آخر من قراءة التحزيب يخالف النوع المتقدم، ويسمى في جهات الصويرة «تحزَّابت العربية»، ويسميه بعضهم: «تاقديمت» أي: القراءة القديمة، ويسمى في قبيلة الكُرَيْمات بالقراءة «الكُرَيْمية» نسبة إلى القبيلة، وكان طلبة القبيلة إذا وفدوا على مدرسة سيدي الزوين على العادة عند نهاية «الدور» الطلابي (أدوال) في موسم الصيف، يطلب منهم طلبة الزاوية أن يُسمِعوهم (القراءة الكريمية) فيقرأون بها وحدها هناك.

وهذه الصيغة في القراءة يسميها أهل الشمال بقراءة «الصيغة».

وربما أطلقوها على النوع الأول، ويسميها الطلبة في جهات شيشاوة وأحمر باسم: «القراءة اليكوتية»، وفي جهة الرحامنة وما إليها: «القراءة البوشانية» نسبة إلى قبيلة «بوشّان» الرحمانية وقد سمعتها من طلبة الرحامنة في جهات مراكش، فإذا الخلاف بينها وبين «الكُرَيْمية» قليل، وقد اجتنبوا فيها أكثر المآخذ والآفات والعيوب التي في الصيغة السوسية، وخصوصا الزعق عند الوقف على مثل «بالحق» و«بالقسط» و«الحاقة» وما أشبهها. وقد نظم بعض فقهاء الشمال المغربي، وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد الورياغلي من تلاميذ الشيخ كنون قصيدة في قراءة الصيغة (تحزابت) سماها باسم «شفاء الصدور، في تحريم لحن الفجور» ونظمها كما قال في اللحن العجمي باقتراح الفقيه المقرئ حافظ السبع: محمد بن الحاج الشريف الورياغلي قال فيها:

إذا اجتمع القراء في محفلِ الغَدا ** لدى البعض يقرأون باللحن والدَّدا

يُسَمُّون ذا اللحن القبيح بصيغة ** به استوجبوا التقطيع والذبح بالمدى

قال الأستاذ سعيد أعراب بعد ذكر ما تقدم عن الناظم وقصيدته: وله عليها شرح (1).

1 - القراء والقراءات بالمغرب: 165



هذه نبذة عن هذه القراءة التي تشكل في الغالب إلى اليوم جزءا من مشاغل المتعلمين في المحاضر، كما أن طائفة كبيرة من الطلبة قد جعلوها رأس مال للحصول على لقمة العيش، بل ربما تعشقها بعضهم حتى إنه لا يصبر عنها، ولا يقبل فيها لومة لائم. عافانا الله من اتباع الأهواء والإلحاد في آيات الله وفي قراءة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد».

## من قصيدة شفاء الصدور في تحريم لحن الفجور لمحمد بن أحمد الورياغلي الريفي

وكما تقدم فقد أثارت قراءة (الصيغة) عند بعض طلبة شمال المغرب مثل ما أثارته أختها قراءة (التحزيب) في جنوبه، مما انبرى معه عدد من الفقهاء إلى التصدي لها حسب الاستطاعة، وبيان ما فيها من البشاعة والفظاعة ومخالفة المعهود من قراءة الجماعة.

وكان ممن نظم في ذلك وألف الشريف السيد محمد بن أحمد العزوزي الورياغلي شهيد حرب الريف (1) حيث يقول:

لك الحمد يا من أنزل الذكر والهدى ** على عبده المحرِّم النَّوْحَ والحُدا

عليه وآله وصحب صلاتُه ** تقارن بالسلام ما بقيت غدا

وبعد فترجيع جلا في زماننا ** به وعَد النبيُّ حقاً أما بدا

إذا اجتمع القراء في محفل الغَدا ** لدى البعض يقرأون باللحن والدَّدَا

1 - أنظر حرب الريف التحريرية ومراحل النضال للحاج أحمد بن عبد السلام البوعياشي: 1/418-420.



يَسَمُّون ذا اللحن القبيح (بصيغة) ** به استوجبوا التقطيع والذبح بالمُدى
لتغييرهم كُلَّ المُدود بطبعهم ** على عكس لحن العُرب حاذر من الردى
وقد قال بعضهم بأخرى قريبة ** إلى هذه وما يغيِّر كالعدا
ولكن وإن كانت كذي حرُمت لما ** تؤدّي من التغيير في البعض سَرْمَدَا
وفي آية التقوُّلِ الزجرُ قد سطا ** بهم صدرها ولو تدبر مع البدا
واما استوجب النقصان عمداً لواحد ** من المد والحروف دعه ودع عدّا
وقد قيد المحدّثون رواية ** معنعنة إلى النبي بها اقتِدا
كما في البخاريِّ المهدَّى وغيره ** يرجع (زيّنوا) (1) تغنى به اهتدى (2)

## كتاب إتحاف القراء المتحزبين للحاج الحسن الباعقيلي (ت 1368 هـ)

ومن أغرب ما أفرزته هذه المعركة كتاب ألفه في الدفاع عن (التحزيب) المدعو الحاج الحسن الباعقيلي السوسي، وكان مقدم الطريقة التيجانية بالدار البيضاء وجهات الشاوية. وقد سمى كتابه «إتحاف القراء المتحزبين» ودافع فيه دفاعا مستميتا عن صحة القراءة المذكورة، بل زعم أنه رأى الطلبة يقرأون بين يدي الله عز وجل برواية ورش في منامه، وأنه رآهم يحزّبون، ودعاهم إلى الاجتهاد في هذه القراءة، لأنهم يتنزهون بها كما قال ويفرحون بكتاب الله، وحشد الكثير من التخرصات التي اعتبرها أدلة على جواز التمسك بقراءة التحزيب والعمل بها.

1 - يعني حديث: زينوا القرآن بأصواتكم.
2 - أنظر الأستاذ إبراهيم الوافي في كتابه الدراسات القرآنية: 75-76 .

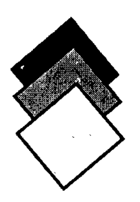


وكتابه هذا مخطوط، لكنه متداول بالنسخ والتصوير بين أتباع الشيخ الباعقيلي وغيرهم، ويتخذونه حجة على جوازها، وقد وقفت عليه بسوس.

ومهما يكن فإن من عرف هذه القراءة وعرف ما يدخل فيها من التغيير لكلام الله، لكثرة ما أدخل فيها أصحابها من أنواع الصنعة الخاصة بها لا يَسَعُه إلا أن يعتبرها من أعظم المنكرات التي يجب منعها والتصدي لمحاربتها، وذلك بنشر الوعي بين الطلبة والدعوة إلى القراءة بالتجويد وتشجيعها.

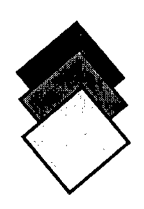
وقد أخذ الوعي بذلك ينتشر ويعم -بحمد الله- في المحاضر وبين مشيخة الإقراء، فأخذوا يتخلون عنها ويستبدلون بها القراءة الجماعية المرتلة أو القراءات الفردية المجودة، ولا سيما في الجلسات الخاصة، والتجمعات الطلابية في المناسبات والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.





# الباب العاشر

## روافد الشرط والتقاليد المحضرية المرتبطة بها
## ونظام الحذقات والفصال





# الفصل الأول

## روافد الشرط ونظام الحذقات في تقاليد المحضرة المغربية
## وما يقدم للمشارط من وجوه الهبات والإصرافات

وإذا كان الشرط المتعارف على دفعه للقائم بأمر التعليم والإمامة في المساجد يرتبط في الغالب بالموسم الزراعي، ويدفع إليه في أول الصيف من كل عام، وفي بعض الجهات التي لا يرتبط فيها به إنما يدفع إليه على رأس كل شهر، فقد اقتضت ضرورات العيش الملحة على أهل هذا الشأن اقتراح روافد وإمدادات مادية مساعدة يعطى أكثرها في المناسبات على سبيل المكارمة، ويدخل عدد منها بالعرف العام والعمل الشائع ضمن مفهوم الشرط، والغاية من إحداثها والإغضاء عنها هي إعانة الأئمة والمعلمين بصورة يومية أو أسبوعية أو دورية، وإعانة الصبيان والطلبة أحيانا بدعم التموين والتغذية، وتوفير فرص للاستفادة من أوقات الاستراحة واختيار بعض المناسبات للتنويه بجهود بعض المتعلمين، وإظهار الحفاوة بالمراحل التي قطعوها في الحذق والتحصيل.

ونقوم فيما يلي باستعراض نبذ من هذه الموارد الداعمة، وما يرتبط بها من أعراف محضرية عامة في جميع المناطق المغربية من حيث الباعث والفكرة، وإن اختلفت في بعضها في الكيفية والصورة، فمن هذه الروافد:



1 - **نظام النّوبة:**

والمراد به ما يقدم إلى المؤدب كل يوم من طعام، وقد قدمنا قول صاحب «المدرسة الأولى» واصفا لما عليه الحال عندهم في جهات سوس: «ويشارطهم أيضا على غذائه الذي يدور عليهم بالتناوب، قال: وهو على ما ألف في قريتنا الإلغية قديما: ما يتعشى به بعيد العشاء، وما يتغدى به عند ارتفاع النهار» (1).

قلت: وما يزال العمل عندنا جاريا على هذه الوتيرة، وقد يكون عدد سكان الجماعة وفيرا، فربما أعلم الطالب بالنوبة أهل منزلين حتى يزيد في التموين لحساب من عنده من «المسافرين» وحتى تدور «النوبة» في وقت أقل، كما جرى العرف في الجنوب أن يبعث مع الفطور مقدار من السكر والشاي يكفي لوجبة الصباح، وكثيرا ما يرسل الطالب بعض الصبية لإحضارها في أوقاتها المعلومة تسهيلا للمهمة على أهلها، ويرسل إلى من بلغهم الدور في مساء اليوم الذي قبل يومهم حتى يستعدوا لها، وإذا صادفت النوبة اليوم الموالي ليوم السوق الأسبوعية كثيرا ما يكون في النوبة لحم ومرق وخضر بحسب سعة الحال.

2 - **نظام الرتبية:**

وهي مؤنة يومية يتطوع بها بعض أهل السعة والرغبة في الخير من أهل الجماعة دعما للنوبة، وهي على صورتين:

إما رتبية تدفع إلى الفقيه المشارط، ويوكل إليه تصريفها حسب حاجة تلاميذه وطلبته، وغالبا ما تكون متعددة، فيبعث في طلب كل رتبية من يأتي بها في

1 - كتاب المدرسة الأولى للفقيه صالح الإلغي: 23 .



أوانها، حتى إذا حضر وقت الغذاء أو العشاء، وزّعها على المعنيين بها بالتساوي، وهذه هي الصورة الأكثر انتشاراً في منطقتنا إلى اليوم في الجوامع العامرة.

3 - **المعروف:**

هو اسم مرادف للرتبية مستعمل للدلالة على ذلك في الشمال المغربي، يقول في ذلك صاحب كتاب «الأنصاص القرآنية»:

«ومن مقومات الرحلة في طلب العلم أن يتكفل أهل القرية بمؤونة الطلاب الغرباء المقيمين بالمسجد، حيث تسلم لهم تلك المؤونة التي تسمى بـ« المعروف» احتراما لهم، فعلى الطالب الذي يتسلم هذه الوجبة أن يتجنب حرمة الدار وأهلها امتثالا لأوامر الله حيث يقول: ﴿**قل للمومنين يغضوا من أبصارهم**﴾(1) ولا سيما وقد أصبح شريكهم في الطعام، وواحدا من أفراد الأسرة، مطلعا على مأكلهم ومشربهم وأسرارهم. يقول سيدي العربي المساري:

ثُمَّتْ لا تنظر لمن بهــا أتى ** وغُضَّ طرفك وكن مستثبتا(2)

وفي موريتانيا والصحراء المغربية: «كان من العادات المرعية في الحواضر أن ينادى في المسجد بعد صلاة العصر على غداء الطلبة، فيتسابق الحاضرون، كل يتطوع بنفقة طالب أو طالبين أو أكثر خلال اليوم والليلة (3).

ومن استعمال اسم «المعروف» للدلالة على «الرتبية» ما نجده في المائة العاشرة في خبر عند أبي العباس أحمد المنجور (ت 995 هـ) في فهرسته حيث قال في ترجمة علي بن عيسى الراشدي من شيوخه: «وكان قدومه

1 - سورة النور: الآية: 30 .

2- منظومة سراج العلوم للعربي المساري وانظر الأنصاص القرآنية: 55/1 .

3 - بلاد شنقيط: المنارة والرباط للخليل النحوي: 143 .



على فاس سنة إحدى عشرة (1) وقال لي: إنه رأى أبا العباس بن زكريا المغراوي التلمساني، وأنه كان يأخذ «المعروف» من داره وهو صغير، ولم يأخذ عنه» (2).

وقال الشيخ الإلغي في بيان قدر الرتبية أو ما سماه «الراتبة»:

و«الراتبة: مرتب من الطعام، يأتي الطالب بمئكلته إلى محسن منهم وقت الأكل، فيملؤها له مما أعدوا لأنفسهم من الطعام بكل فرح، كل طالب بمحسن خاص يلازمه إلى أن يرتحل.

هذه حالة المدارس التي على وادي سوس أو الجوامع التي فيها الطلبة مثل أزرو (3) وغيره، وتلك السابقة حالة المدارس في «إلغ» وما يكتنفه، و﴿الله لا يضيع أجر من أحسن عملا﴾(4).

«ومن دارت عليه (نوبة الطالب) يرسل إلى المسجد من يأتيه بالمئكلة فيرجعها إليه ملأى أو قربى، أو يستدعي الطالب إلى داره ليؤاكله، فغذاؤه الواجب عليهم في ذلك العهد أكلتان لا غير، واحدة في الليل، وهي العشاء، وواحدة في النهار، وهي الغداء، يقوم بها صاحب (النوبة) ثم يؤذن من يليه من الجيران ليقوم بمثل ذلك.

والفطور يتبرع به من ابتغى الثواب من أهل القرية، كبعض أغنيائها، وهو إما حساء وحده أو مع تمر، وإما سخينة أو تلبينة، وقليل أن يكون خبزا أو نحوه مما يقوم بنفسه.

---

1 - يعني بعد التسعمائة من الهجرة.

2 - فهرس أحمد المنجور: 67-68 .

3 - جامع أزرو بقرب ايت ملول - اكادير على حافة وادي سوس، والمشارط فيه حاليا السيد محمد أمكور عضو لجنة جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية.

4 - المدرسة الأولى: 12-14 .

أمـا الغداء ويسـمى «التـصـبـيح» فـهـو في الـغـالب الكسكس، وقل أن يكون رغيفا وغريفا» (1).

وإرسال الطعام إلى المعلم من آباء التلاميذ صنيع قديم، ففي أواخر النصف الأول من كامل المبرد ما نصـه... وكان لقب الحجاج كليبا، قال الشاعر:

أينسى كُلَيب زمـان الـهـزال ** وتعليـمـه سـورة الكوثر؟

رغـيف لـه فلكة مـا تُرَى ** وآخـرُ كـالقـمـر الأزهر

يقـول: خبـز المعلمين يـأتي مـخـتلفـا، لأنه من بيـوت صـبـيان مـخـتلفي الأحوال، ومـا زال طعـام الطلبة بهذه الحـال يأتي صلفا مليـخـا، والحجاج معلم صبيان في أول أمره، وأنشد الجاحظ:

أمـا رأيت بني بحـر وقـد حَفَلوا ** كـأنهم خُـبْـزُ بقّـال وكُـتّـاب

هـذا طويل، وهـذا حَنْبلٌ جَـحِـدَ ** يمشـون خلف عُمَيْـر صـاحب البـاب (2)

ويتحدث صاحب الأنصاص القرآنية عن جاري العمل في الرتبية في شمال المغرب فيذكر لها أدبيات يجب الالتزام بها فيقول: «والطالب الذي يقصد فقيها مشهورا عليه أن يلتزم أدبيات المهنة والتي تتلخص في كلمة واحدة وهي «الرتبة» قال:

**«وللرتبة آداب عامة هي:**

1 – أن لا يطلبها من الفقيه إلا أثناء تصحيح ألواح الطلبة بعد الزوال.

2 – في حالة قبوله ضيفا «مرتبا» عليه أن يحترم النظام الداخلي للمدرسة التي تستضيفه.

---

1 – نفسه: 24-25 .

2 – نفسه: والفلكة: الدائرة، وجفلوا: اجتمعوا، والحنبل: القصير، والجحد: القصير والغليظ، وبنو بحر المذكورون في البيت قوم الجاحظ، فهو عمرو بن بحر، ولعله يعني بقوله عمير اسمه الشخصي، وانظر الأبيات في الكامل للمبرد: 255/1 .



3 – أن يكلف الفقيه مجموعة من التلاميذ الكبار لقصد بعض الدور التي يتوسم فيها الفضل لمنح الطالب الجديد «معروفا» يستعين به على قضاء حاجته اليومية.

4 – أن لا يشتغل إلا بما أتى من أجله، وهو تحصيل العلم أو القرآن.

5 – أن يلتزم الصلاة في أوقاتها، وقراءة الحزب الراتب مع الجماعة (1).

## أدبيات ارتبطت بالرتبيّة و المعروف.

وككل ما له ارتباط بحياة المحضرة فإن «الرتبية» لم تخل هي أيضا من أدبيات ارتبطت بها عبر فيها الطلبة عن شعورهم إزاءها أو تناولوا بعض قضاياها.

✓ فقد خصها بالتبويب الشيخ العربي المساري في أرجوزته «سراج طلاب العلوم، فقال:

والرُّتَبَ إن ألجأك الدهرُ لها ** فاعْنَ بها يا سَعْدَ مَن حصَّلها
وهي كالميْتة للمُضطرِّ ** مباحة الأكل لأجل الضُّر (2)
ورتبةُ الليل هي المؤكَّدة ** وإن تكن في حومة مستبعدة
وسر إليها باختفاء ليلا ** بقفة واسدُل عليها الذيلا
ثم الفَنارَ اصحَبْ، وقومٌ قد أبوْا ** صُحبة ذاك الضوءِ فارعَ ما رعَوْا
وقصِّر الخُطا وطوِّل في عَصاك ** واضرب إذا آذاك كلب وعَصاك
ثم إذا وصلت باب الدارِ ** فانْقُر كنقْر الديك ياذا القاري (3)

---

1 – كتاب الأنصاص القرآنية: 65/1.
2 – يعني: لأجل الضرورة.
3 – انظر شرحها الابتهاج لأحمد بن المامون البلغيثي: 17/2 وما بعدها.



✓ ومن المأثورات الشعبية المثيلة في موضوع «الرتبية» أرجوزة أخرى مطلعها، قوله: يا سائلا عن صفة «الرتبية». هزّ كتافك وزِدْ مْعَ الركيّة

ومنها البيت المشهور المتداول، وهو قوله:

وطوّل العُكّازَ للكلابِ ** واطلب لهم ما شئت عند الباب

وذكر صاحب الأنصاص القرآنية ما حدث لبعض الطلبة حين قرر صاحب المنزل أن يقطع عنه هذا «المعروف» اليومي، فنقر الباب وطال انتظاره، ولما رجع خاوي الوفاض واستفسر عن معروفه أجاب:

وكررّت خمس حزاب ** وعيني تراعى الباب
ولا واحد من الأحباب ** يأتيني بخبز رطاب (1)

✓ وفي هذا السياق أيضا ينقل لنا عن الفقيه سي الطاهر التسولي بعض القصص التي ترتبط بالرتبية فيقول:

«كان يقف أمام الفقيه يطلب منه «الرتبة» دون الدخول إلى محل جلوسه، فإن هو حرك رأسه بالموافقة أقام في المسجد، وإن هو -أي الفقيه- حرك رأسه بالنفي نعته بـ«الصبع» وذهب إلى حال سبيله (2).

✓ وذكر أيضا من غرائبه في هذا الصدد أنه:

«كانت له خصومة مع أحد الطلبة المخنشين، فأراد أن يؤدبه بطريقة غير مباشرة فقصد المنزل الذي يجلب منه الخصم «معروفه» قبل الوقت المحدد، ونقر الباب، فإذا بالطفلة التي تأتيه بالمعروف قد أقبلت على الطالب،

---

1 - الأنصاص القرانية: 65/1 .
2 - نفسه: 67 .



فصفعها بيده، فدخلت تبكي، فما كان من الأب إلا أن اتجه نحو المسجد لمعاقبة الطالب المعهود، ووجده يستعد للخروج «لمعروفه» فأشبعه ضربا، وطلب من الفقيه إبعاده نتيجة لتصرفه مع طفلته» (1).

## التموين للجامع و المدرسة في سوس

### 4 – المطبخ المحلّي والهُرْيُ لتخزين التموين وجمع الشرط

وفي بلاد سوس استحدث في العهود الأخيرة لهذه الغاية ما يشبه «المطعم الداخلي» في عدد من الجوامع والمساجد والمدارس، وفي ذلك يقول الشيخ الإلغي:

«إن بناء المدرسة – يعني القرآنية– يحتوي على جميع ما يحتوي عليه المسجد من المرافق الآتية.

ويزيد عليه بمطبخ يطبخ فيه طعام الطلبة، وبالمطحن (بيت الرحى) تطحن فيه الخادم أو الأجيرة ما تطبخه، كما يزيد عليه أيضا بيت حذاء المطبخ تسكنه الطابخة وبيوت الطلبة الوافدين على المدرسة للقراءة، وتسمى حوانيت الطلبة، كل واحد بحانوت، أي: دكّان إن أمكن، وإلاّ اجتمع اثنان أو أكثر في حانوت واحد للضرورة.

ويزيد عليه أيضا بهُرْي كبير تخزن فيه الحبوب التي يتزود منها الطلبة بأكل أو بيع إن احتاجوا معونة غير الأكل، كما تدفع منه أيضا نفقة الفقيه الشهرية، أو شرطه السنوي عند بعض القبائل، كآل تسريرت من قبيلة أمانوز.

1 – الأنصاص القرآنية: 67/1 .



وهذه الحبوب تأتي مما اتفقت القبيلة على أن تدفعه للمدرسة من أعشارها (ثلثها وهو الغالب، أو غيره من الأجزاء) على قول من أجاز دفع الزكاة للعلماء أو من في طريقهم، وهم الطلبة الذين يقرأون ويعمرون مساجد الله.

وإذا جمعت القبيلة الحبوب في الهُرْي أقفلت عليه، ووضعت مفتاحه عند أمين يدفع للفقيه وللطلبة نفقتهم رأس كل شهر، وربما تعددّت الأقفال والأمناء، كل أمين بمفتاحه، فلا يفتح الهُري إلا باجتماعهم، يجتمعون رأس الشهر لدفع المبلغ الشهري لمن في المدرسة، كل بمقداره بعد أن أكلوا وشربوا عند الفقيه ولابد» (1).

وهنالك طرق أخرى للتموين ذكرها، ومنها: «من يجرون الرواتب على الطلبة في وادي سوس ونواحيه، وهي عادة ألفوها قديما إلى الآن، يفرحون بها جدا، ولا يضجرون من تردد الطلبة الذين يأتونهم لأجلها كل صباح ومساء (2).

## 5 – نظام التويزة:

هو نوع من التكافل الاجتماعي أدركناه، وكان واسع الانتشار في البادية، وهو يقوم على مبدإ التعاون بين أفراد الجماعة المحلية لسد حاجة المستضعفين والعاجزين فيما يتعلق بحراثة أرضهم، وأحيانا في جمع البذور والحراثة معا، ويكون ذلك في العادة في صبيحة واحدة، أو في يوم

1 – المدرسة الأولى للشيخ الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 12-13 .
2 – نفسه: 12-14 .



كامل، سواء كان حراثة أو تنقية أعشاب من الحقل، أو كان حصادا، وحتى في بعض الخدمات عند النساء في غزل الصوف أو غسلها ونسجها.

والذي يهمنا في الموضوع هو «تويزة الطالب» وتكون في العرف في الغالب داخلة في (الشرط) بحيث يشترط (الطالب) على الجماعة أن تمده بالتويزة عند إعلامه لها بالحاجة إليها لحراثة الأرض أو جمع محصولها، وغالبا ما تكون في آخر موسم الزرع أو الحصاد، وبعد أن يكون أهل الجماعة قد أنجزوا معظم الخدمات الخاصة بهم، ومما عرفته من أنواع هذه التويزة ثلاثة:

1 - **النوع الأول**، وهو الأكثر، ويتعلق بحراثة الحقل أو الحقول التي يملكها الطالب إعانة له وكفاية، حتى لا يشغله همها عن القيام بأمر التعليم وشؤون المسجد.

2 - **النوع الثاني**، وهو دونه، أن يأخذ الطالب أرضا لغيره مشاركة أو بالكراء، فتقوم الجماعة بحراثتها وسائر تكاليفها عن طريق التويزة الجماعية.

3 - **النوع الثالث**، وهو الأولى والأهم، أن يكون للجامع أرض حبسية لحساب المشارط في المسجد، أو له مع طلبته، وهذه تدخل ضمن الاعتبار في الشرط، لأنها في الغالب من وسائل الإغراء للطالب على المشارطة في المسجد، كما أن الجماعة تتعهد بتقديم هذه الخدمات تشجيعا له على البقاء عندها، وعدم الانتقال عند غيرها.



وهذا النوع الثالث أكثر أهمية، لأنه يدر على الطالب رزقا قارا إلى جانب ما يتقاضاه من الشرط، لكنه حينما يكون الحبس المذكور عليه وعلى طلبة المسجد، يصبح ملزما بتموين الطلبة، إما بجعل نصيب الطلبة تحت يد أمين من الجماعة أو رئيس مقدم لذلك ليتولى الإشراف على التموين، وإما بتفويض الجماعة الشأن إليه فيتصرف في الحبس حسب ما يراه.

وحينما لا تكون التويزة داخلة في الشرط يلجأ الطالب إلى طلب العون من فلاحين مخصوصين لتقديم العون له في آخر موسم الحراثة، كما أنه في الغالب يستعين بطلبته في وقت الحصاد، لا سيما إذا كان الحقل تابعا لأحباس المسجد، وهذا هو الشائع في قبائل الجنوب المغربي.

ولقد شاركنا أكثر من مرة في مسجد بعض شيوخنا في النوع الأخير، وكان الحقل كبيرا جدا بحيث تستعمل الجماعة التويزة فيه لأكثر من يوم، كما يشتغل فيه الطلبة في وقت الحصاد أياما معدودات.

وقد تطورت التويزة في العقود الأخيرة فأصبح بعض من يملكون آلات الحراثة والحصاد يتطوعون من تلقاء أنفسهم بحراثة ملك المدرسة وحصاده في يوم يتواعدون فيما بينهم عليه.

هذه في الجملة هي أهم روافد الشرط التي يستفيد منها الطالب المشارط.

**8 – الاعشار:**

وهي الزكوات التي يخرجها بعض أفراد الجماعة، ويريد أن يدفعها إلى المدرسة القرآنية مساعدة لها على تموين الطلبة الغرباء النازلين بها،



وينتشر العمل بهذا في كثير من المدارس العتيقة بسوس، ويتولى القائم عليها تصريف هذه الأعشار في هذه الوجوه، ويدخر ما قد يفضل منها لوقت الحاجة، وربما اعتبر مؤونته ومؤونة أهله داخلة في مقصد المتصدق بها فيتصرف فيها على هذا الأساس.

7 - **الجمعية** (**جمع الزبدة**):

والمراد بها مخضة يوم الجمعة من الأسبوع في أيام شهر فبراير أو مارس في الغالب، وقد كنا ونحن صغار نتولى جمعها لبعض شيوخنا ممن يعلم أنهم يمخضون البقر من جماعته. والجمعية داخلة في الشرط عرفا، وليست إلزامية، ولكن نساء الجماعة يفرحن كثيرا بأدائها، وكثيرا ما يحتفظن بها على حدة حتى يبعث إليها الطالب، وتزداد غبطة إحداهن إذا كانت المخضة جيدة. وفي بعض القبائل يخرج الطالب إلى جمعها بنفسه، ولا سيما حين يكون شرطه على القبيلة كلها، ولذلك تجتمع عنده منها الخوابي العديدة، وقد يبيع منها مقداراً كبيراً كما حدثني بذلك بعض الطلبة (1) وقد تعرض الفقيه السيد إبراهيم إذ إبراهيم التامري لهذه العادة في سياق بعض تراجم فقهاء حاحة، فقال في رسم أحد أبناء عم والدي -رحمهما الله- وهو السيد سعيد بن أحمد حميتو إمام مسجد سيدي يعقوب بأفرني -أيت آمر قبيلة حاحة.

---

1 - أخبرني بذلك أحد تلامذة الشيخ الحسن إبّندو -رحمه الله- الذي كان يجمع له الجمعية حين كان مشار طا بمدرسة سيدي أبي البركات بنواحي الصويرة.



«ويرجع اتصالي به إلى سنة 1383 هـ وأنا في الرابعة عشرة، أيام كنت بمدرسة سيدي عبد الرحمن لدى أبي العباس سيدي أحمد إيمحي كتلميذ، قمنا بجولة ربيعية معه لجمع (الزبدة) على عادة تلك الأجيال، ومررنا بالمترجم، وهو مدرس بمدرسة سيدي يعقوب» (1).

وقال في رسم سيدي عبد الله الجيد من كتابه:

«وكنت في معية الأستاذ أبي العباس سيدي أحمد إيميحي آخذ عنه بزاوية سيدي عبد الرحمن تجويد القرآن، وهو إذ ذاك يتجول عبر قبيلة آيت آمر في فصل الربيع لجمع الزبدة على العادة المتواترة» (2).

على أن في قوله: «على عادة تلك الأجيال» ما يدل على أن هذا التقليد الحضري قد أصبح اليوم في خبر كان أو كاد، وذلك لتغير الأحوال، وقلة الأبقار بسبب توالي أعوام الجفاف في هذه الجهات، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد أشار الفقيه الإلغي في كتابه «المدرسة الأولى» إلى هذا التقليد الحضري، واعتبره داخلا في الشرط بحكم العرف فقال عن مقدار الشرط ونوعه:

و«زبدة أو زبدتان في فصل الربيع على من يستعمل ممخضته» (3).

والدليل على دخول هذه العادة في الشرط قدم العمل بها، فقد ذكرها صاحب المعيار، وذكر وجود خلل فقهي في اشتراط الطالب لها يقضي بالمنع فقال في المعيار:

---

1 -المتعة والراحة: 2/278-279 .

2 - نفسه: 1/510 .

3 - المدرسة الأولى: 23، والمخضة: هي المعروفة بالشكوة، وهي مثل السقاء وعاء من جلد المعز في الغالب يشد بثلاثة حبال بين ثلاثة قوائم ويمخض فيه الحليب الرائب حتى تنفصل الزبدة عن اللبن.

# فتوى فيما يأخذه المعلم في البادية من الزبد من كل خيمة في الربيع

«وسئل – يعني المذكور قبله وهو سيدي علي بن عثمان– عما يأخذه المعلم من الزبد في البادية في فصل الربيع، يجعلون له مخضة زبد على كل بيت من بيوت الحلة، على من عنده الولد ومن لا ولدَ عنده، ويسمونه (خميس الطالب).

فأجاب:

«ما يأخذه المعلم ممن لا ولد له من الزبد سائغ له، إن قصد المعطي التبرك بما يقبل منه حملة القرآن، لما خُصُّوا به من الكمال في حفظ كتاب الله.

ويأخذه من آباء الأولاد إن كانوا متبرعين به فكذلك.

وإن كان شرط عليهم في عقد الإجارة لم يَسُغْ، لأن الإجارة مجهولة للجهل بالعوض، إذ لا يعرف قدر غلة الخميس، والواجب في هذه الإجارة الفسخ والرجوع إلى إجارة المِثل فيما مضى وفات من التعليم» (1).

وجامع هذه الفتاوي الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي توفي سنة 914 هـ وهو ينتمي إلى عصر الوطاسيين، وصاحب الفتوى المنقولة في السؤال والجواب عنها أقدم وجودا من هذا التاريخ، وهذا كله يفيد

1 -المعيار: 8/260-261 .



أن عمل أهل المحاضر والطلبة المشارطين على أخذ (خميس الطالب) المسؤول عنه من (الزبدة) قديم العهد يرجع إلى عصر المرينيين في المائة الثامنة والتاسعة، إلا أنه تطور بعد ذلك عند من قبلنا، فنقلوا الأخذ ليوم الجمعة، وأطلقوا على المأخوذ (الجمعية) أو (جمعية الطالب).

والعمل كما أدركناه على أخذ ثلاث جمعيات متتابعة في ثلاثة أيام جمعة من شهر فبراير أو شهر مارس بحسب ما يرى الطالب من الخصب والجدب في هذا الوقت من السنة.

### 8 - الاربعاوية:

هي ما يعرف عندنا باسم «الربعية» بفتح الراء وسكون الباء، وهي عطية يوم الأربعاء بعد الظهر يأتي بها الصبيان خاصة، ويعفى منها الطلبة الكبار، ويتناسب قدرها بحسب سن التلميذ، ومستواه في السلكة، وحسب وسع أهله وقوة رجائهم في تعليمه، وهي داخلة أيضا في التعاقد في الشرط من جهة العرف دون تقدير قيمة محددة، إلا أنها في الجملة عطية زهيدة تبتدئ من نصف الدرهم، إلى الدرهم، إلى خمسة دراهم، وقلما تتجاوزها، إلا أن يتعدد الصبيان في المحضرة من البيت الواحد، فيشتركون فيها على مضض منهم، إذ أن الصبي يكون في العادة شديد الحرص على أن يعطى ربعيته مستقلة، وأن يدفعها بنفسه للطالب حين منقلبه من تناول غدائه يوم الأربعاء بعد تقبيل رأسه أو يده، وقد يحدث أن لا يكون الوالد حاضرا في الوقت، أولا يكون عنده ما يعطيه، أو ليس عنه صرف صغير، فيمتنع الطفل من الذهاب إلى الطالب خاوي الوفاض، وقد تبادر الوالدة إلى



مـحـاولـة حل الإشكال عن طريق «بيض الدجـاج»، وعلى الـصـبي فـي هذه الحـال أن يكون فـي غـاية الاحـتـيـاط في أثناء الطريق إلى الجـامع حـتى لا يكسر ما أعطيه من البيض.

والربعية من أهم الموارد المالية الأسبوعية التي قد تغطي نفقة الطالب يوم السوق. كما توفر له الكثير من البيض للأكل، ويبيع فضلته يوم السوق إن فـضل عن حـاجـتـه، وهي المورد الأسـاسـي عنده «لأن الدراهـم لا تقع في يده، إلا إن باع شيئا من (شـرطه) أو مما أعطيه من المقومات، اللهم إلا ما يأخذه من (أربعاوات) التلاميذ أو (عواشرهم) (1).

### 9 – الاحدية:

ويقال لها: «الحدِّيه) وهي في مقابل (الربعية) وقد جعلت بديلا عنها في العقود الأخيرة إلى اليوم، في غالب الكتاتيب القرآنية في الحواضر وما قاربها، نظرا إلى غلبة أبناء الموظفين الذين لا يتأتى للطفل عادة أن يحصل منهم على هذه العطية في غير يوم العطلة الأسبوعية، وهي في العادة أعلى قيمة من الربعية، لأنها قد تكون هي القدر الوحيد الذي يدفعه الطفل لمعلمه إذا لم يكن هناك تعاقد شهري مع أوليائه، وهم قلما يلتزمون بالأداء.

ويجري في شمال المغرب اعتماد استخلاص عطية إضافية وهي:

### 10 – الاثنينية:

وهي أعطية مساء الاثنين، وقد ربط صاحب كتاب «الأنصاص القرآنية» هذه الأعطية بالتحريرة، وهي التحرر من قراءة الألواح للاستراحة، فقال:

---

1 -المدرسة الأولى: 23 .



«فهناك ما بعد عصري الجمعة والاثنين تحريرة بالمقابل، وما بعد عصر الأربعاء وظهر يوم الخميس وصباح الجمعة بدون مقابل، وهي العطلة الأسبوعية» (1).

ولا أعلم لهذا التقليد وجودا في غير الشمال المغربي.

**11 - أعطية الخميس وأعطية الاحد**

ولا أعلم عندنا في المغرب وأقطاره وجهاته أعطية مادية كانت تدفع للمؤدب يوم الخميس، إلا أن يكون بعض الأطفال لم يقدم أعطية الأربعاء (الربعية) فيأتي بها إليه صباح يوم الخميس أو ظهر يوم الجمعة، أو في يوم غيرهما، أو يعطيها والده للفقيه في السوق الأسبوعي.

والذي عرفناه في أثناء وجودنا في الكتاب متعلمين ثم مساعدين في التكتيب لمدة طويلة، أن الصبيان يبعثون يوم الخميس إلى منازل الآباء لإحضار (الفطور) إلى الصبيان أو السكر والشاي ، حتى إذا اجتمع ذلك تناول منه (الطالب) حاجته، ودقع بعضه للأطفال، وادخر الباقي لوقت الحاجة إليه، وذلك بعد فراغ الأطفال من قراءة (أسوارهم) بعد الضحى العالي. من يوم الخميس.

لكننا نقرأ عند بعض علماء المشرق عن وجود أعطية ليوم الخميس تقدم لشيخ الكتّاب عندهم، وقد جاء أنه: «كان في جامع الأزهر -بمصر- نحو ستة وعشرين كُتابا لتحفيظ القرآن الكريم منتشرة حول صحن المسجد. وفي الكتاب الواحد ما بين عشرين إلى ثلاثين طالبا، كل طالب يذهب إلى المعلم الذي يختاره، وعليه أن يدفع (الخميس).

1 - الأنصاص القرانية: 61/1 .



و(الخميس): هو ما كان يدفع للفقيه الذي يحفِّظ القرآن الكريم كل يوم خميس، فكان الطالب يدفع خمسة وعشرين مليماً تقريبا (1).

ويقول الشيخ حسنين مخلوف في مذكراته - وهو من شيوخ الأزهر الشريف:

«وأمضيت أربع سنوات أقطع كل يوم نفس الطريق في الصباح الباكر بعد الشروق، وأعود منه بعد صلاة العصر، بعد هذه السنوات الأربع صحبني الشيخ إلى والدي ليقول له:

مبروك يا شيخ محمد ... إبنك حسنين أتم حفظ القران الكريم.

وأقام والدي احتفالا كبيرا بهذه المناسبة الهامة والسعيدة، وبهذه المناسبة الهامة والسعيدة بدأت مرحلة جديدة من حياتي» (2).

وأما أعطية الأحد (الحدّية) فقد أحدثت في الحواضر المغربية بسبب وجود طائفة من أبناء الموظفين العصريين في الكتاتيب على عهد الاستعمار، ثم استمر ذلك بعد الاستقلال أيضا، نظراً لأن الأطفال في الغالب لا يتأتى لهم الحضور إلى الكتاب يوما كاملا إلا يوم الأحد، وذلك بسبب متابعتهم الدراسة في المدارس العصرية، فكان استيفاء (الفقيه) لواجبه الأسبوعي لا يتأتى له إلا في اليوم الذي يكون فيه والد الطفل في عطلة، والتلميذ متفرغ للكتاب، وغالبا ما تكون (الحدّية) بديلا عن (الربعية) وفي بعض الكتاتيب يتقاضاهما المؤدب جميعا من أطفال كتابه عملا بالتقليدين القديم والحديث. وهكذا كان عملنا في كتاب والدي -رحمه الله- بالحي المحمدي بالدار البيضاء في السنوات الأربع بعد الاستقلال حين كنت أعمل مساعدا له في العطل الصيفية وغيرها.

---

1 - مذكرات الشيخ حسنين مخلوف (الشرق الأوسط، عدد: 1408) وانظر الأستاذ محمد بن عبد الله في موضوع: نظرا لوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي: (مجلة دعوة الحق: العدد: 272 ربيع الأول والثاني نوفمبر - دجنبر: 1988م الصفحة: 125).

2 - نفسه.

12 - **العواشــــر:**

وهي اسم للعطلة الموسمية التي ترتبط بالعشر الأواخر من رمضان والأوائل من ذي الحجة، وقد تلحق بها عواشر المحرم الحرام والمولد النبوي في ربيع الأول.

وتطلق في المحضرة على الهبات التي جرت العادة بتقديمها إلى المؤدبين بمناسبة الأعياد يأتون بها قبل عطلة العيد، أو تبقى دينا عليهم إلى حين العودة بعدها، وتقدر بحسب الوسع أيضا والسن. ومن الطريف أن العمل بها قديم يرجع إلى الصدر الأول، وتسمى أحيانا (إصرافة الإحضار) (1).

ففي المدونة لابن القاسم عن مالك قال: لا بأس أن يشترط مع أجره شيئا معلوما في كل فطر وأضحى» (2).

وقال القابسي: قيل لسحنون: عطية العيد، أيقضى بها؟ قالك لا، ولا يُعرف ما هي؟ (3). قلت: لعله يعني أنه لم يشترطها عند التعاقد، وإلى مثل هذا أيضا ذهب عبد الملك بن حبيب، لكنه عاد فحكّم العرف فقال:

«لا يجب للمعلم الحكمُ (بالإحضار) الذي يأخذه من الصبيان في الأعياد، ذلك تطوع من شاء فعل، وهو حسن، وله الترك، وهو تكرم من آباء الصبيان في الأعياد، ولم يزل فاشيا، فإذا فشا في العامة وصاروا يرونه واجبا، وهو كذلك، وعليه جلس المعلمون، فذلك واجب كالهبة للثواب» (4).

---

1 - صحفت في المعيار: بالإفطار» بالفاء والطاء، والتصويب من جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي ص 79 .
2 - أنظر المعيار للونشريسي: 254/8 .
3 - نقله في المعيار: 254/8 .
4 - نفسه: 254/8 .



قال صاحب المعيار: يظهر من هذا الكلام، القضاءُ بالشمع للمعلمين على آباء الصبيان في ميلاد النبي - ﷺ- لأنه فاش معتاد ببلاد المغرب الأوسط والأقصى، ولا نزاع في انتصاب المعلمين لأجله، ولا سيما وهو موسم عظيم عند أهل ملة الإسلام. يعتنون به في الحواضر تعظيما لنبينا ﷺ» (1).

ونص عبارة ابن حبيب كما هي عند الإمام المغراوي: «ولا يقضى بالإحضار في الأعياد، وإن كان مثله مستحبا في أعياد المسلمين، ويكره في أعياد النصارى كالنيروز والمهرجان، ولا يجوز لمن فعله، لأنه من تعظيم الشرك. قال ابن رشد: ووجه تفرقة ابن حبيب بين الإحضار والحذقات وإن كان القياس أن لا فرق بينهما إذا جرى بهما العُرف، وهو أن الحذقة إنما بلغها الصبي بتعليم المعلم واجتهاده، وبلوغُه عنده العيد لا عمل له فيه» (2).

وعلى أية حال، فإن العمل يجري إلى اليوم بفرض العواشر على جميع المتعلمين من أهل البلد، كان بحسب وسعه وحاله، وهي داخلة عرفا في استحقاقات الطلبة المشارطين، لا يعترض عليهم أحد في ذلك، ويدفعها جميع أبناء الجماعة المشارطة وغيرهم، من غير الآفاقيين الغرباء، فهؤلاء لا تفرض عليهم فرضا، ولكن من أحب منهم أن يهدي إلى الطالب فعل، وخاصة عند عودته بعد العواشر، فغالبا ما يصطحب معه هدية يقدمها إلى الفقيه عند السلام عليه.

---

1 - نفسه: 8/254-255 .

2 - نقله المغراوي. أنظر كتاب أبو العباس المغراوي وكتابه جامع جوامع الإختصار: 80 .



13 - **الفتــوح:**

ويطلق على إطلاقين:

أشـهرهما: ما يعطى على الرقية بالقرآن، إذ ليس لها مقابل محدد، وإنما يأخذ ما بذل له قبل الرقية أو بعدها، وكان هذا عملا معروفا بين أهل الحاضر، وقد ذكر أبو العباس المغراوي جملة من الرقى التي كان يستعملها لصالح صبيان الكتاب أنفسهم إذا حصل لأحدهم وجع أو صداع (1).

كما يطلق اسم (الفتوح) على ما يأتي به الصبي عند ولوج الكتاب لأول مرة، أو عند انتقاله من كتاب أو محضرة أو جامع إلى غيرها، وتقدير قدره يرجع إلى أولياء التلاميذ من حيث الرغبة والسعة والأرْيَحيّة.

وقد أشار صاحب أرجوزة «نكتة المعلمين» إلى ذلك بقوله:

ثم الفتوح لدخول المكتب ** من غير تكليف على أبي الصبي (2)

وغالبا ما يكون الفتوح في هذه الحالة مصحوبا بطعام فطور، أو سكر وشاي أو تمر أوتين أو غير ذلك من التحف بحسب الجدة وعادة البلاد.

وكثيرا ما نسمع الطلبة يرتجزون بهذين البيتين للحث على الإنفاق في إكرام المشيخة والعناية بهم، وهما:

أكرم طبيبك إن أردت دواءه ** وكذا المعلم إن أردت تعلُّما

إن المعلم والطبيب كلاهما ** لا يَنصحَان إذا هُما لم يُكرَما

1 -أدرجها المغراوي في مهام معلم الكتاب وعقد لها فصلا خاصا. أنظر كتابه جامع جوامع الإختصار والتبيان: 107

2 - أرجوزة نكتة المعلمين لمحمد بن عزوز كرضيلو: تقدمت في أراجيز المنظرين.





# الفصل الثاني

## الحذقات والإصرافات (1) والتقاليد المحضرية فيها

الإصرافات هي إحدى الموارد التي ترد منها على المكتب والمؤدب بعض المداخيل المالية، وخاصة في وقت الصيف والمناسبات الاجتماعية، ووجوهها كثيرة ومتعددة، وكثير منها مرتبط بالعادات والتقاليد الشعبية، إذ يعتبرون مشاركة الطلبة فيها ومحاضيرهم جزءا من الغبطة بها وتمام الأنس بإقامتها.

وتدخل ضمن مجالات الإصرافة أي: طلب «التحريرة» جميع الحفلات والمآدب التي يدعى الناس إليها دعوة عامة أو خاصة، بل حتى التي تخص الأهل وحدهم كطعام النساء مثلا.

وقد عني بعض الأدباء من أهل اللغة بحصر أسماء المناسبات التي تقدم فيها الأطعمة وتقترن في مجرى العادة بالذبيحة والدعوة إليها فقال:

تسمية الأطعمة الشهيرة ** وليمة مأدبة وكيرة
خُرْسٌ وإعذَار وقل عقيقة ** عَتيرةٌ نقيعةٌ تحقيقه
وليمةٌ: للعرس ياذا الشأن ** مأدبةٌ: تصنع للإخوان
وكيرةٌ، لدارِكَ الجديدة ** والخُرس: ما يذبح للولادة

1 - الإصرافة: اسم قديم مرادف للحذاقة أو الحذقة -بفتحتين- نقل صاحب كتاب المدرسة الأولى عن الشيخ الخفاجي في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل قوله: «إصرافة: صرف المعلم للصبيان في المكتب في رأس سنة أو شهر أو جمعة لحلوان معتاد، وهي عامية مبتذلة» المدرسة الأولى للفقيه صالح الإلغي: 101 بالهامش: 138 .

وإعـــذارُ : طعـــامٌ للخـــتـــان ** فـــافـــهـم -هداك الله- للبـيـــان
عَـــقـــيـــقـــةٌ: لســـابع المولود ** عـــتـــيـــرةٌ: للمـــيْـت يا مُـــريدي
نقـــيـــعـــةٌ: لقـــادم من الســـفـــر ** فافـهمَ نصوصـــهم وحصِّل الدرر
حـــذقـــةٌ: لحـــافظ القـــرآن ** زِدها كـمـا قـد زادها البناني (1)

وسـمـى الشـيـخ ناصف اليـازجي هذه المطاعم وفسـرها في المقـامـة الخزرجية وزاد عليها فقال:

للنفسـاء: الخُرس، والعـقـيـقـة ** للطفل عند عـارف الحـقـيـقـة
كـــذلك الإعـــذار: للخِـــتـــان ** وذو الحِـــذَاقِ حـــافظُ القـــرآن
للخطبـــة: المِلاكُ، والوليـــمـــة ** للعُـــرس، والميْتُ له الوضـــيـــمـــة
وللبناء: جـــعلوا الوكـــيـــرة ** ولهـــلال رجبَ: العـــقـــيـــرة
وقـــيل: تحـــفـــةٌ: لزائر يَردْ ** وشُنْدُخٌ: لما يَضِلّ إذْ وُجِـــد
كذا نقـيـعـةٌ: القـدومِ من سـفـر ** ثم القِرَى: للضيف عندما حضَر
وحـينمـا لم يك من ذاك سـبَب ** فـــإنَّهـــا مَـــأدُبةٌ عند العـــرب
وإن تـعُـمَّ دعـــوةٌ فـــالجَـــفَلى ** تُدعَى، وإن خَصَّت فتلك النَّقَرى (2)

وقد عرف المنظرون منذ القديم وجود صلة بين المحضرة وبين القائمين بهذه المناسبات عن طريق التلاميذ أنفسهم الذين قد يحملون آباءهم على دعوة الفقيه ومحاضيره، أو يرغبون في إرساله إليهم من المحاضير من يتعرضون في هذا الوقت لنائلهم، ولذلك فقد عنوا بمناقشة مشروعية بعض هذه الوجـوه التي يخـرج فـيـهـا صـبـيـان المكاتب لهـذا الغـرض،

1 – أنشدنيها المقرئ الحاج الطاهر الحريري من شيوخ الإقراء بمدرسة سيدي الزوين.
2 – مجمع البحرين للشيخ ناصف اليازجي: المقامة الخزرجية: 36 وقال الشاعر:

نحن في المشـــتـــاة ندعـــو الجَـــفَلى ** لا ترى الآدِبَ منا ينتـــقِـــرْ



فاختلف الفقهاء في ذلك ما بين مبيح ومانع، إذ منهم من راعى جريان العرف بها وتلقيها من العاسة بالقبول، ومنهم من سعى إلى سد الذرائع خوفا من التطرق بذلك إلى أكل أموال الناس بالباطل، أو التعرض إلى إراقة ماء الوجه بالسؤال، أو مراعاة لما يؤدي إليه ذلك من عطالة الصبيان. قال الشيخ أبو العباس المغراوي في جامعه:

«وما يأتي به الأولاد من الأعراس إن جرت به عادة في البلد، ولم يكن فيه كبير عطلة عليهم، ولا مضرة في الخروج، وعلم طيبُ نفس معطيه به جاز، وما لم يكن على هذه الوجوه فممنوع، يجرح به فاعله، وقيل لا يجوز له شيء من ذلك، إلا إذا رُغب إليه فيه، ويستأذن آباءهم عند وقوعه، أو يشرط عند العقدة، زاد الشوشاوي: وذلك في أجوبة القرويين وقال: وأن يخرجهم في وقت لا يضرهم كالخميس والجمعة» (1).

وقال الشوشاوي (ت 899 هـ): وأما ما الحكم فيما يأخذه المعلم من النفيسة والعروسة؟ فيجوز ذلك بشروط وهي: أن لا يكون في خروجهم إذاية لهم، وأن لا يخرجهم حتى يستأذن آباءهم إما عند الوقوع وإما عند المشارطة أولا، وأن يكون ذلك بطيب نفس المعطي، وأن لا يبعثهم حتى تبعث إليه العروس والنفساء، وأن يخرجهم في وقت لا يضر بهم كالخميس والجمعة، فإن انخرم شرط منها كان ذلك حراما مجرّحاً فاعله» (2).

1 - جامع جوامع الاختصار: 80 .
2 - الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة للشوشاوي: 295 .



## فقيه يرشح للخطابة فيطعن فيه بإرسال صبيانه إلى النفساء

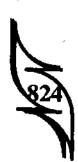
وإرسال المؤدبين إلى الأعراس وإلى النفساء قديم العهد في المغرب يرجع إلى أيام الموحدين، وربما إلى ما قبل ذلك، فقد ذكر ابن القاضي في الجذوة أن خطيبا من خطباء جامع القرويين بفاس توفي يوم الأحد الحادي عشر لرجب سنة 611 هـ، فخطب بعده الفقيه عبد الله، وقيل: قاسم القضاعي، وهو معلمه المشار إليه باستخلافه هُوَ لَه، فانتقد عليه وطُعن فيه بأن قال الناس: إنه يبعث صبيان مكتبه للنفساء، وطولع بذلك من له النظر، فقال: إن الذي قدمه للصلاة أقر بين يدي الخليفة الناصر أنه خير منه، فاتركوه على حاله، فترك التعليم، واعتكف بالجامع، وسكن الدار المحبسة على أئمة الجامع، إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين لرمضان سنة 615 هـ » (1).

## وصف عادة خروج الصبيان للنفاس بفاس قديما

قال محققه تعليقا على قوله: «يبعث صبيان مكتبه للنفساء»:

«كان من العادات المتبعة أن فقهاء المسايد (الكتاتيب القرآنية) يبعثون المحضرية (التلاميذ) عندما يتعسر الوضع على الحامل، فيطلقون رداء

1 – جذوة الاقتباس: 59-60 وأصله في روض القرطاس (الأنيس المطرب) 74-75 .



يمسكون بأطرافه، ويسيرون به منشورا في طرق المدينة، وهم يرددون بصوت مرتفع:

النفيسة طال بها النفاس ** يارب اعطها الخلاص

حرمة طه ويس ** والقرآن الكريم

وأصحاب الدكاكين والمارون يلقون التين والتمر والدراهم والبيض في وسط الرداء، ويزور الصبيان أشهر أضرحة الصالحين بالمدينة، ويغطسون الرداء بما في سقاياتها وخساتها، ولا يزالون يفعلون ذلك إلى أن تنكسر بيضة واحدة أو عدد من البيض الموجود في الرداء، فيعتقدون حينئذ أن الحامل وضعت حملها أو ألقت سَلاها إن كان الأمر يتعلق بالسَّلا (الخلاص)، وحينئذ يعودون إلى (المسيد)، ويحوز الفقيه ما تجمع في الرداء من فلوس ومواد، وقد استمرت هذه العادة إلى سنين متأخرة، ولكنها الآن في طريق الانقراض (1).

## مفهوم الإصرافة وجواز العمل بها وبيان ذلك

والإصرافة تعني: صرف الصبيان عن القراءة، وتعرف في الجنوب المغربي باسم «التحريرة» وعادة ما يحصل عليها الصبيان من (الطالب) على سبيل المسامحة والتبرع في مساء يوم معين، إما بسبب زائر محترم يزور (المحضرة) فيريد أن يتفرغ لاستقباله وضيافته وإيناسه، وإما بسبب

1 -نفسه: 59-60 بالهامش رقم 88، وفي هامش الأنيس المطرب: 74 .



هدية من زائر أو عابر على المحضرة للفقيه أو لصبيانه، فيأمرهم بوضع الألواح في بقية يومهم. أو لوقت معين من أجل إدخال البهجة والسرور عليهم بالاستراحة لبعض الوقت.

ويظهر من كتاب المعيار للإمام الونشريسي أن عمل المؤدبين بها قديم، كما يظهر أن العمل بمقتضاها كان يثير بعض الاعتراضات، مما اقتضى سؤال العلماء عن حكمها الشرعي.

فهذا أبو محمد بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة 386 هـ «سُئل عن معلم الصبيان سَنة، فيشترط عليهم أنه إن جاءته دراهمُ من ختم، أو نكاح، أو ولادة، أو قدوم غائب، (صَرَف الصبيان) يوما أو بعضه، أو قال لهم: إن وقع هذا في الجمعة مرتين أ.خلّيهم اليوم ونحوه بشرط، وكيف إن كان سنة البلد تخليتُهم من غير شرط؟ وكيف لو قال: لي يومٌ في الجمعة (1) نُخلي الصبيان فيه فعيّنه أم لا، ولم يُسَمّه أو سمّاه؟ هل ترى بهذا بأسا؟ وهل يرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض؟ وكيف إن شرط ذلك؟

فأجاب:

«إن شرَط إن جاءته دراهم ختمة أو نكاحٍ أو ولادة أو قدوم غائب، صرف الصبيان، فإن كان يكثرُ مدة ويقلّ أخرى، فلا يجوز»، وإن كان يقع ولا يكثر وقوعه، فلا بأس به.

وإن شرط تخليتهم في الجمعة مرتين، يعني: غير يوم الجمعة والخميس، فهذا معلوم، وإرساله الصبيان بعضهم خلف بعض فجائز بعد إذن آبائهم» (2).

---

1 – يعني بالجمعة: الأسبوع.

2 – أنظر المعيار: 242/8-243 .

وقال في موضع آخر من المعيار:

وسئل هل يُحكم له بالختمة إن كانت جارية بالبلد، ولابد من إجابة أبي الصبي لذلك، إلا أن العطاء مختلف؟ وهل يجوز له تخليتُهم إذا أهدوا له في قدوم غائب أو مولود أو شبهه، وهو عادة بلدهم، أم لا؟

«وأما الخِتم، فإن كان العُرف جرى بها، فلا يحكم له إلا بختمة البقرة.

وإن كان عُرفهم تخلية الصبيان في هدية الغائب والمولود فلا بأس بذلك، ويُكرَه له الإرسال في مثل هذا يستجيز في ذلك من أهله شيئا يأخذه (1).

وقال سحنون: من عمل الناس بطالة الصبيان في (الختمة) اليوم وبعضه، ولا يجوز أكثر من ذلك إلا بإذن أولياء الصبيان » (2).

## التداخل بين الحذقة و الإصرافة

وقال الفقيه سيدي صالح بن عبد الله الإلغي:

«ومن المنح ما يسمى عند الفقهاء بالحذاقة أو «الإصرافة»، والحذاقة قد تؤخذ من حذق الصبي القرآن حِذقا وحِذاقة أي: حفظه حفظا، فسمي ذلك الطعام باسم سببه مجازا مرسلا أيضا.

قال في اللسان: ويقال لليوم الذي ختم فيه الصبي القرآن: هذا يوم حذاقة، وأما الإصرافة التي يذكرها الفقهاء كشراح خليل، فلا أدري من أين سرت إليهم؟

1 – نفسه: 256/8 .

2 –أنظر المعيار الجديد للوزاني: 226/8 .



قال الشيخ الدردير عند قول الشيخ خليل: «وأخذها المعلم» أي: يأخذ الحذاقة أو (الإصرافة) أي: يُقْضى بها للمعلم على ولي الطفل، أو على القارئ الرشيد، ومحلها ما تقررت فيه عرفا من السور، مثل «سبّح» و«عمّ» و«تبارك» وغيرها، وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان، أو باختلاف الأشخاص فقرا أو غنى».

وقال الدسوقي بعد هذا:

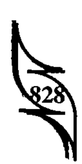
«والحاصل أنه يقضى بها إذا اشترطت أو جرى بها عُرف، وإلاّ فلا» وعرف بلادنا أن تعطى عند رؤوس الأحزاب، وهي في الغالب طعام مأدوم بلحم أو سمن، خبزا غليظا كان أو رقاقا، أو كتلة من لبيكة، أو بكيلة، وهي البسيسة، أو غير ذلك مما يكفي من في (المكتب) أو يقارب ويستنكفون جدا أن يأتوا به قفارا غير مأدوم، وربما اكتفوا بقِنْدير، وهو قطعة كبيرة من تمر مكتنز.

والغالب على من ولدت له البقرة -لا سيما من صادفت ولادتها يوم حذاقة، أن يرسل للطالب من لبئها مع رقاقات يُتحفه بها، ويفعل ذلك مع جيرانه أيضا (1).

## فتاوى لأبي زيد التمنارتي الجزولي جوابا لبعض الدرارين

وقد ظلت هذه الوجوه التي تصل منها بعض المكاسب المادية للمعلمين في الجوامع والكتاتيب محل انتقاد ومثار أسئلة إلى ما بعد المائة العاشرة.

1 - المدرسة الأولى للإلغي: 101-102 .



فهذا الشيخ أبو زيد التمنارتي يذكر استفتاء في الموضوع في فهرسته وجه إليه، ومعه استفسارات في عادات أخرى جارية في جوامع البوادي تدعو إليها الحاجة، كجمع الحطب للتدفئة أو الإدخار إلى وقت البرد، وهذا أمرٌ كنا ونحن غلمان في الجامع نخرج إليه من حين لآخر قبل مغيب الشمس بقليل. قال التمنارتي (ت 1060 هـ).

«ومن المهم تعليم الصبيان، وتفقد الولدان، وقد ورد علي سؤال من بعض (الدرّارين) أُثبته وجوابه للنفع به نصه:

جوابكم في مسائل من (الحضار) منها: ما يأخذه معلم الصبيان منهم عند ختمات الأحزاب، ومنها: ما يأخذه ممن ولدت في الحومة، ومنها: الحطب في كل يوم أربعاء أو في كل يوم: عود أو أكثر لكل واحد، ومنها: (الفتوح) حين دخوله، يكلف عليهم عشرة دراهم لكل واحد أو أكثر أو أقل، ومنها، هل يأخذ ذلك من يد الصبي أو لابد من حضور وليه؟ ومنها: هل يطلقهم في كل ختمة يوما أو ليلة أو أقل أو أكثر أو لا يجوز مطلقا؟؟ ومنها: إن كان يأخذ منهم عدة معروفة في كل يوم أو في بعض الأيام كدرهم أو عشرة أو ما جرت به عادة بلد من أخذ شيء؟ ومنها هل يجوز أن يكون ما ذكر عادة، أو لا يجوز إلا بشرط؟ ومنها: ما يأخذه منهم في الأعياد: هل يسويهم في ذلك أو كل واحد على قدر طاقته؟ وهل يشترط هذا على آبائهم أم لا؟ ومنها: كم يطلقهم في العيدين وعاشوراء ومولد النبي ﷺ؟ ومنها: كم يضربهم على التخلف عن اللوحة وعليها وعلى (الأسوار)؟؟ ومنها: هل يطلقهم ليستريح أو لعذر أم لا؟ ومنها: هل له أجر ما مكث في المرض أو الغيبة بإذن بعضهم أم لا؟ ومنها: هل يجوز التهاون



(بالحضار) إن وافقوه علي ذلك، بمعنى تارة يمكث عندهم، وتارة يشتغل بأسبابه، أو يمشي لأولاده بمكان آخر؟ أجيبوا لنا وأجركم على الله.. فهذه عادة (الدرارين) والناس يقتدون بهم في كل أمر (وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعا) ولا يدرون ما الحلال من الحرام في ذلك والسلام» (1).

قال الشيخ التمنارتي في مواضع الحذقة:

«أما جواب الأولى. فمواضع الحذقة معروفة عند أهل ذاك الشأن:

أولها: إذا عرف الصبي الكَتْب وأخذ آية من القرآن فله حذقته، وشرطها أن يعرف الصبي شيئا، وأما إذا لم يعرف الصبي شيئا لا حروفا ولا هجاء ولا غير ذلك، فلا حذقة له، قاله سحنون في «أجوبة القرويين».

الموضع الثاني: إذا بلغ سورة الملك.

الموضع الثالث: إذا بلغ سورة الفتح.

الموضع: الرابع: إذا بلغ سورة مريم.

الموضع الخامس: إذا ختم القرآن. هكذا عينها القابسي في أجوبته.

ثم قال التمنارتي عن المقدار المستحق في مواضع كل حذقة:

«والحذقة غير محدودة على المشهور، بل يفوض فيها الأمر إلى عرف الناس وعادتهم ومروءاتهم وما ليتهم، وقيل محدودة بثمانية دراهم في الأولى، وأربعة دنانير في الثانية، وثمانية دنانير في الثالثة، وباثني عشر دينارا في الرابعة، وبستة عشر دينارا في الختم» (2).

---

1 –الفوائد الجمة: 503-504 .

2 – الفوائد الجمة: 504-505 .



وأما أنها عند ختم كل حزب فلم أقف عليه لأحد، ومن طالعه فليفدنا وإياكم به، ولعله من المستحدثات التي تحيّل بها الشيطان في سد باب التعليم الذي هو ملاك الدين وعنوان السعادة، فإن الآباء ربما استثقلوا ذلك فيردهم عن تعليم أولادهم كما شوهد ذلك في كثير، والأخذ بالورع في هذا ومثله من وظائف الدين أحسن.

ومما قاله عن أخذ (الفُتوح) عند أول دخول الصبي الكتّاب:

«وأما الفتوح فإنما يقصد به التيمن والتبرك، فلا ينبغي فيه التكليف كما ذكرتم، لأنه فتح لباب الخير، فلا تصلح فيه المشاحّة، والناس في ذلك على قدر رغبتهم في الخير وحرصهم عليه» (1).

## ما يأخذه في عواشر الأعياد

ثم قال التمنارتي: والتاسعة والعاشرة: وهو ما يأخذه المعلم في الأعياد والمواسم، فاعلم أن ذلك عطية وتطوع ممن شاء، وهو إحسان وتكرم من آباء الصبيان، ولم يزل هذا يستحسن في أعياد المسلمين» (2).

وقال عن تسريح الصبيان: هل يطلقهم ليستريح، أو لعذر، أولا؟ أما التسريح لمجرد الاستراحة فهو في يوم الخميس ويوم الجمعة، حسبما جرى به العرف في جميع البلاد شرقا وغربا» ثم ذكر أن أصله أن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام عام فتحها فغاب فيها شهورا ثم رجع إلى المدينة

1 - نفسه: 506 .
2 - نفسه: 507 .



وقد استوحش الناس منه، فخرج الناس للقائه، فأول من سبق إليه الصبيان لسرعتهم ونشاطهم، فلقوه على مسيرة يوم، وكان ذلك اليوم الخميس... ثم ذكر قوله عن يومي الخميس والجمعة: إنهما وقت تسريح وراحة لكم ولمن بعدكم إلى يوم القيامة» (1).

### إصرافة الحذقة:

قال الونشريسي في المعيار: الحذقة بالذال المعجمة والحاء المهملة، نقله في مختصر العين (2) في بابه، قال القابسي: والحذقة: حفظ كل القرآن، ونظرا: قراءة في المصحف (3).

وقد تقدم لنا من أقوال العلماء المنظرين عند سحنون والقابسي والغازي بن قيس وابن حبيب ما يتعلق بوجوبها وذكر المواضع من القرآن التي تستحق عندها، وما يكون القضاء فيها إذا تنازع فيها أكثر من مؤدب بسبب اشتراكهما في الختمة، وما يعتبر من ذلك وما لا يعتبر.

ويهمنا منها كونها أحد الموارد المالية المهمة الداخلة ضمن مسمى (الشرط)، بل قد تكون نوعا من أنواعه فيما يسمى عند أهل التأديب باسم الشرط على الحذاق (4)، فتكون حقا للمؤدب يأخذه من الولي أو من الصبي الذي له مال إن كان شرطه على الحِذاق.

1 - نفسه: 509-510 .

2- مختصر العين هو لمحمد بن الحسن الزبيدي صاحب كتاب طبقات النحويين، إشبيلي نزل قرطبة ونال بها جاها ورياسة، واستأدبه المستنصر بالله لولي عهده وتوفي سنة 389 هـ (تاريخ علماء الأندلس) لابن الفرضي: 768/2-769 ترجمة 1355 .

3 - المعيار: 248/8 .

4 - جمع حذقة: وهي مواضع معينة من القرآن يعين العرف عليها استحقاقات مالية.

ولقد اقترنت بحذقة المبادئ الأولى من القرآن قِصص رويت عن أكابر الفقهاء تدل على مقدار غبطة الآباء ببلوغ أبنائهم الحذقة ولو كانت على المستوى الأول الأقل، وأنهم كانوا يبالغون في المكافأة عليها إلى الحد الذي يفاجأ به المؤدبون أحيانا.

فقد حكى العلامة ابن الحاج في المدخل عن الشيخ الفقيه أبي محمد ابن أبي زيد القيرواني (ت 386 هـ) أنه «لما أن أدخل ولده (المكتب) وقرأ (الحمد لله رب العالمين) جاء ولدُه إلى والده بـ (لوح الإصرافة) فأعطاه مائة دينار يعطيها للفقيه.

فلما أن حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ ابن أبي زيد وقال له:

يا سيدي، وأي شيء عملته حتى تقابلني بهذا العطاء؟

فقال له ابن أبي زيد: والله لأقرأ عليك ابني شيئا بعد اليوم، فقال له: ولِمَ ذلك؟

فقال: لأنك استعظمت ما حقّر الله تعالى، وهو الدنيا، واستصغرت ما عظم الله تعالى، وهو القرآن» (1).

هكذا كان سخاء الشيخ ابن أبي زيد، ولكنه في نظري قد قسا وغلّظ على مؤدب ولده، وربما حرم الولد أيضا من حسن تأديبه، وكان الأجدر والأقرب إلى كرمه سلوك طريق الرفق به على نحو سلفه القاضي بإفريقية عبد الله بن غانم (2).

---

1 -المدخل لابن الحاج: 210/2 .

2 -هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل الإفريقي من أصحاب مالك بن أنس، وعليه اعتمد، وسمع بالعراق من سفيان الثوري وأبي يوسف القاضي وجماعة، ويقال: إن مالكا عرض عليه أن يزوجه ابنته وأن يقيم عنده بالمدينة المنورة، ولي قضاء إفريقية لبني الأغلب سنة 171 هـ في حياة مالك، فسر مالك بذلك، وكان الخليفة هارون الرشيد يكاتبه، وتوفي سنة 190 هـ، أنظر ترجمته بتوسع عند القاضي عياض في ترتيب المدارك: 3/65-79 .

قال الونشريسي:

حكى ابن الرقيق (1) أن عبد الله بن غانم القاضي كان له ابن، فجاء من عند معلمه فسأله عن سورته وحفظه؟ فقرأ عليه أم القرآن فأحسن في قراءته، فدفع إليه عشرين دينارا.

فلما جاء بها الصبي للمعلم أنكر ذلك، وظن ظنا بالصبي، فأخذها وجاء بها إلى ابن غانم فقال له ابن غانم: رددتها! استقللتها؟

فقال المعلم: ما أتيت من هذا، وإنما ظننت ظنا.

فقال له: لحرفٌ واحد مما علمته يعدل الدنيا وما فيها» (2).

قلت: القصة بتمامها أيضا في ترتيب المدارك، وفيها: فدفع إليه عشرين دينارا أو نحوها» (3).

## التهرب من دفع الإصرافة من طرف بعض الآباء

وعلى خلاف من قدمنا ذكرهم، فإن هنالك من الآباء من كان يتخلص من دفع إصرافة الختمة بطرق ملتوية أشار إلى بعضها الإمام العبدري في المدخل فقال:

«وينبغي لوالد الصبي، بل يتعين عليه أن يجتنب ما يفعله بعض الناس في هذا الزمان، وهو أن الصبي إذا ذهب أكثر التعب به، وقرب من أن يختم القرآن نقله والده إلى كتاب آخر، حتى يفوّت على الأول ما استحقه من

1 -هو صاحب تاريخ إفريقية والمغرب أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق بصيغة التصغير مات سنة 425 هـ. ويوجد طرف من كتابه مطبوعا وليس فيه ذكر هذه القصة، انظر لائحة المصادر.

2 - المعيار: 246/8.

3 - ترتيب المدارك: 75/3.

(الإصـرافـة). وقـد قـال مـالك -رحـمـه الله- في الصـبي إذا دخل سـورة الأعراف عند مـؤدب ،ثم انتقل إلى غيره، فـإصرافة البقرة قد استـحقـهـا المؤدب الأول. واخـتلف قـوله فـيـمـا إذا دخل سـورة يونس عليـه الصـلاة والسلام، هل يستحقها الأول أو الثاني؟ قولان.

ولا يختص هذا بإصـرافـة سورة البقـرة ليس إلا، بل هو عـام في كل إصرافة من القرآن قرب إليها الصبي، فإن المؤدب الأول يستحقها» (1).

## ومن ذكريات الكتاب عند العلماء والأدباء في الحذقة

قـال العـلامـة أبـو عبـد الله بن عسكر في كـتـابه «أعـلام مـا لقـة» في ترجمة شيخه

محمد بن يوسف بن عمار المُكتب أبو عبد الله (ت حول سنة 624 هـ).

«هو أول من أدبني وعلمني القرآن رحمه الله ونفعه به. كان -رحمه الله- فاضل الخلق، حسن العشرة، موطأ الأكناف، مشفقا.

فـقـد كنت أقـرأ عليـه القـرآن في الصـغـر، وأنا يومـئـذ ابن نحـو ست سنين، فربما كان النوم يغلبني، فكان يضمّني إلى نفسـه، ويغطيني بردائه- جـزاه الله خـيـرا وأسكنه الجنة بمنه- وكـان -رحـمـه الله- فـاضـلا ورعـا، منزويا عن الناس، حـسـن الخط، مـجـودا للقـرآن، حـسن الإيراد له، كـاتبـا بليغا، وشاعرا مطبوعا.

---

1 - المدخل لابن الحاج العبدري: 333/2 .



لما حذقت عنده -رحمه الله- في سورة فاطر (1) وجّه خالي -رحمة الله عليه- الحذقة إليه، وكتب معها أبيات شعر يستعذر له فيها [مَجزوء الكامل].

عــذرا أبا عــبــد الإلـــــــــــــه فــإنه نَزْر يســيــر

واقـــــــبـل قـلـيـل أخ لـه ** في وده الـعـــدد الكـثــيـــر

لو كـــان يهــدي قــدر مـــا ** يخـفي من الود الضـمـيــر

لـم يَرضَ ثـهــــــلانا ولـم ** يقنـع بوزنتـــه ثبـيـــر(2)

دامت بكم تحــيـــا النفـــو ** سُ هدًى فــتنشـرح الصــدور

ثـم الســـلام عليك مـــا ** لاحـت بـآفــــــاق بـدور

فأجابه أبو عبد الله المذكور:

لـــــــــه درك مـــــن أخ ** قـــد جلّ قـــدرا عن نظيــر

أكـــتـبت مـعــتــذرا وقــدً ** أفــحــمت بالبــر الشُكور؟

وبذلت مـــا يســخـــو به ** فـي الجــود أرباب الدُثور (3)

حَـيِّت ســحـــاعتك (4) التي ** في كـتـبـهـا منك الضـمـيــر

من خـــــالص الـود الـذي ** مـــا مـثله الـعــذب النمـيــر

فــلـك الـتـطـوُل والـنَّـدى ** ولك الســيـــادة والظهـــور

لازلت في ســـعـــد يدو م مـــدى الليـــالي والدهور

مـــا لاح نجم في الدُجُنَّة أو ســـرى قــمـــرٌ منيـــر

وعليك من مـحض التـحـيـة ** مـــا نَمَى المسك النثـيـــر (5)

1 - يعني عند أول سورة يس وأخر سورة فاطر قبلها.
2 - نهلات وثبير: جبلان في الجزيرة العربية يضرب بهما المثل في العظم والثقل
3 - الدثور: الأموال الكثيرة.
4 - السحاعة: الورقة.
5 - أعلام مالقة: 158-159 ترجمة رقم 42..

# وصف الإصرافة وما جرى العرف به فيها في المحاضر إلى اليوم

والإصرافة في معناها العام: صرف الصبيان عن القراءة في نصف يوم أو نحوه في مقابل هدية يهديها الزائر للصبيان في الكتاب أو للمؤدب ويسأله الإذن لهم بوضع الألواح دون الانصراف عن موضع التعليم، وإنما يأذن لهم أن يقيموا حفل شاي أو أن يخرجوا إلى الساحة للعب الكرة أو نحو ذلك مما يدخل السرور والبهجة عليهم.

وقد تكون الاصرافة في زمن «العواشر» أي قرب الأعياد حينما تتعطل القراءة، فيخرج الصبيان من (الكتاب) جماعة، ومعهم لوح مكتوب مزخرف على كيفية معلومة من أجل جمع ما يتيسر من الهبات من المنازل المجاورة، ولهم في دخول المنازل زجل شعبي يختلف من منطقة إلى أخرى، وينشده الصبيان عند الوصول إلى باب المنزل، وهم في العادة الجارية في بوادي الجنوب لا يستأذنون أهل المنزل قبل الدخول، وإنما يكون الصوت المرتفع بهذا النشيد عوضا عن الاستئذان على ما جرى العرف به.

وأحيانا تكون الإصرافة (التصراف) بسبب وصول تلميذ بلوحه إلى موضع حذقة صغرى أو كبرى، والحذقة الصغرى: رأس كل حزب جديد، وربما جعلت هي: حزب ﴿الرحمن علم القرآن﴾ وهو الحزب السابع في سلكة التعليم الأولى، وقد تكون (الحذقة الصغرى) الموالية هي عند سورة الشورى ﴿حم عسق﴾ والموالية لها عند سورة ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ وهكذا إلى ﴿طه﴾ ثم ﴿ألمص﴾ إلى الحذقة الكبرى، وهي الختمة في آخر سورة البقرة.



وإرسال المعلمين لصبيان المحاضر إلى المنازل بمناسبة هذه الحذقات معروف، شائع منذ القديم، وإن كان من العلماء المنظرين من عابة على المعلمين ومَن قبله بشرط.

قال أبو الحسن القابسي (ت 403 هـ) في الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين:

«وأما وصفك لما جرى عندكم من صنيع معلميكم إذا تزوج رجل أو ولد له، فيبعثون صبيانهم، فيصيحون عند بابه، ويقولون: أستاذنا –بصوت عال– فيعطون ما أحبوا من طعام أو غير ذلك، فيأتون به معلمهم، فيأذن لهم يتبطّلون بذلك نصف يوم أو ربع يوم بغير أمر الآباء، فيكفيك فيما سألت عنه قول سحنون:

ولا يحلّ للمعلم أن يكلّف الصبيان فوق أجرته شيئا من هدية أو غير ذلك... (1).

ثم قال عن تخليتهم بسبب هذه الخدمة التي يؤدونها للمعلم فيصرفهم عن الألواح إلى اللعب:

«وأما إن كان يهددهم –التلاميذ– أو يخلّيهم إذا أهدَوا إليه، فلا يحلّ له ذلك، لأن التخلية داعية إلى الهدية، وهو مكروه (2)، فإذا كان هذا كما وصف سحنون في ما يأتي به الصبيان، فالذي سألت عنه أشد وأكره، لعل

1 –الرسالة المفصلة: 320 .

2 – قد يعمد بعض أصحاب الكتاتيب إلى مثل هذا السلوك من ذوي الأهداف المادية أو بسبب الحاجة الماسة، ولذلك يوعز إلى بعض صبيانه أن يأتي بالتحريرة في بعض الأوقات ليأذن لهم في وضع الألواح، وقد أدخلها بعض الباحثين ضمن العطل المعتبرة فقال: «فهناك ما بعد عصري الجمعة والإثنين تحريرة بالمقابل، وما بعد عصر الأربعاء وظهر يوم الخميس وصباح الجمعة، بدون مقابل»: كتاب الأنصاص القرانية: 61/1 .



صاحب التزويج أو أبا المولود لا يعطي ما يعطي، إلا تقية من أذى المعلم أو أذى صبيانه، أو من تقريع بعض الجهال، فيصير المعلم من ذلك إلى أكل السحت، ولا يفعل هذا إلا معلم جاهل» (1).

## نشيد الإصرافة ونشيد عاشوراء في بعض الجهات المغربية

ومن التقاليد المرتبطة بالحذقة أو الختمة أو العواشر إعداد لوحة خاصة مزخرفة تتضمن الختمة أو رأس الحزب أو الجزء الذي تتعلق به الحذقة.

ويأخذ الصبيان هذا اللوح فيخرجون به معهم، وهو بيد واحد منهم يكون في الغالب مقدّمهم أو أكبرهم سنا، ليتولى تقديمه لمن يصادفونه في طريقهم أو بباب الجامع والكتاب، وهم في أيام العواشر قبل الأعياد يأخذون هذا اللوح، وكذلك عندما يبلغ أحدهم موضع الختمة أو الحذقة فيتقدمون به إلى منازل أهل القرية والقرى المجاورة منزلا منزلا، وهم يرددون بعض الأناشيد المحفوظة، فإذا فرغوا من النشيد أخذ مقدَّمُهم يدعو لأهل المنزل وسط الساحة، أو على أعتاب البيوت، فيقدم إليه أهلها ما جادت به أريحيتهم من نقود وسكر وبيض ودجاج ونحو ذلك.

وأشهر الأناشيد المستعملة في جميع جهات المغرب اليوم وقبله قولهم:

---

1 -الرسالة المفصلة: 320 .



بيْـــضَـــهْ بيـــضَـــهْ لله ** باش نْبَـــيَّضْ لَوْحَـــتي (1)
ولـوحــــتي عند الطالب ** والــطـــالــب فــي الجَـنــة
والجـنَّـه مــــحــلـولَـه ** حَلَّـلهـــــا مــــولانا
مــــولانا مــــولانا ** لا تـقـطـعْ رجـــــانا
مُــحــمــد وصْــحــابوا ** في الجنة يَتْـــصـــابُوا
ويزيدون في بعض الجهات زيادة أولها:
طـــالــب طـــالــب يــا أيُّــهْ ** سَــعْــدَاتْ أمُّــو وْبُـوهْ
وفي بلاد الشياظمة يسمون هذا بالتصراف إذا كان في الأعياد، فإذا كان في غيرها لم يسموه به، ويخصون التصراف بدل ما تقدم بقولهم:

يا رب صل وسلم دائمـا أبداً ** على حبيبك خير الخلق كلهم
وآله وعلى أصحابه السعدا ** أولي الهدى والتقى والمجد والكرم (2)
ويذكر صاحب كتاب (الأنصاص القرآنية) صورة مشابهة لما يجري عندنا في الجنوب المغربي، فيذكر عن عادات التلاميذ في الشمال أنهم في عطلة عاشوراء من فاتح محرم إلى يوم 11 منه يخرج الأطفال فيها (لطلب عاشوراء) جماعات بالقُرى المجاورة حاملين كيسا يجمعون فيه الحبوب المصدقة عليهم، ويطرقون أبواب المنازل بترديد مجموعة من الأدعية المخصوصة بصوت مرتفع حتى يسمعهم أهل الدار.

1 – في جهات تافيلالت يقولون: «باش نبيص لوحي ولوحي عند الطالب». وفي جهات الصويرة يقولون: بيضا بيضا لألَّهْ» وفي بلاد عبدة: باش نزوق لوحتي.

2 – وهذان البيتان عندهم تفتتح بهما قصيدة بردة المديح للإمام البوصيري، وتختتم بهما أيضا عند قراءتها بعد حزب المساء.

يرددها قائد الفوج، ويكررها الآخرون بعده.

وصيغة هذه الكلمات المتفق عليها في المناطق الشمالية هي:

عـــاشـــورا، عـــاشـــورا ** لـلـبــــاب جـــــيـنـاكـم
بَـرَكـــــــةْ عـطـيـنـاكـم ** بـــايــطـــا بـــايــطـــا (1)
اعطيني واحــــد البــــيطا ** نبــــيط بـهــــا لـوحِي
لـوحــي عـنـد طـالـب، طـالـب ** فـي الجنه، جنه مـــحـلـولـه
جـنـة مـــــحـلـولـة ** حـلـهـــا مـــــولانا (2)
مــــــولاة الـدار أعـطـيـنـي ** واحــــد الـبـــــيـطـا

الـلـه يـبــــــيّط زمـــــــانـك (3)

والاحتفال بعاشوراء في اليوم العاشر من المحرم، وقد وردت في التوسيع فيه على الأهل في النفقة بعض الآثار، وقد خاطب الفقيه المالكي عبد الملك بن حبيب سلطان الأندلس يذكره بهذه المناسبة وما تتطلبه من نفقات زائدة فقال:

لا تنس لا يُنسِكِ الرحمن عاشورا ** واذكره لازلت في التاريخ مذكورا
قال النبي صلاة الله تشمله ** قولا وجدنا عليه الحق والنورا
فيمن يوسِّع في إنفاق موسمِه ** أن لا يزال بذاك العام ميسورا ( 4)

1 -كتبها في جميع الكلمات بالطاء، ولعلهم هكذا ينطقونها، ولعل المراد بيضة الدجاج، ثم أخذت مفهوم العطية بصفة عامة فيقال: اعطيني البياض أي: عطية ما.

2 – هكذا تتقارب الألفاظ في هذه الأنشودة في جميع أنحاء المغرب.

3 – الانصاص القرانية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي: 62/1 .

4 – نفح الطيب للمقري: 218/2 .



# إصَرافة «بيضا» في أوائل العواشر ببلاد سوس وجنوب المغرب

يصف الشيخ الإلغي ما عليه العمل في إصرافة العواشر في بلاد سوس فيقول:

«في ابتداء عطلة الأعياد «العواشر» يقوم التلاميذ بجمع ما يسمونه «بيضا» -بكسر الباء مقصورا- ففي اليوم الأول من العواشر يرسل (الطالب) أحدهم إلى داره فيأتيه ببرقع جديد مزوق من خز يستوقف الناظر يسمى «السبنية» ثم يعمد إلى لوحة أحدهم فيلفّها فيه، ويؤتى بقصبة طويلة نحو مترين، فيشق من أعلاها مقدار طول اللوحة، فيدخلها طولا في ذلك الشق، ويشد ما تحتها بخيط كي لا يزداد الشق، كما يشد ما فوقها كي ترتسخ فيه ولا تسقط، ثم يمسكها أحد الصبيان مرتفعة على رؤوسهم كالراية، وهم يدورون على الديار يجمعون عند أبابها ما تطيب به نفوسهم، من شعير وشمع وسكر وبيض ونحو ذلك، ويسمون ذلك الفعل وذلك المجموع «بيضا» يمثلون أمام الدار، فينشدون بصوت مرتفع واحد نشيدا كأنه على وزن: فعولو فعولو (يمدون عين ولام فعولو الثاني مداً طويلا خصوصا لامه)، وأول هذا النشيد:

بيـــضـــا بيـــضـــا للّواح ** ياتْ «تگلايْت تِيـــسـّنات (1)

1 -تاكلايت: اسم بيضة الدجاجة وغيرها بالبربرية. و«يات تگلايت» معناها بيضة واحدة، و«تيسنات»: بيضتان.



إلى آخر النشيد.

وبمجرد أن يسمع أهل الدار نغمة هذا النشيد، يخرجون مسرعين، وبأيديهم ما قدروا عليه مما ذكره يتبركون بالتلاميذ - ويسمونهم (إيمحضارن)- طالبين منهم الدعاء، يسكنون إلى دعائهم، ويستشعرون أن له وقعا كبيرا وتأثيرا بليغا.

وبعد جمع «بيضا» يباع منه ما يصلح للبيع، ويشترى بثمنه لحم يكفيهم وكل من انضم إليهم عند الأكل من طلبة القرية.

أما الخبز فإنهم يأتون به من دورهم كل واحد يأتي بطلمته (1)، ولا تكون غالبا إلا من فطير العجين، فيجتمعون على أكله في (المكتب) مع حفظة القرآن من القرية -كما سلف- ثم يدعون بعد الفراغ لأنفسهم ولأشياخهم ووالديهم ولجميع المسلمين كما هو الشأن في دعائهم. (2).

## الاحتفال بعاشوراء في كتاتيب مدينة فاس

ليست لعاشوراء خصوصية تذكر في الجنوب المغربي فيما يتعلق بالكتاتيب القرآنية، إذ يكتفي الطلبة المؤدبون بعد فاتح المحرم بأيام، بالتوقف عن الإقراء، وإعطاء عدة أيام راحة لتلاميذهم قد تصل إلى أسبوع أو عشرة أيام أو أكثر احتفالا بعاشوراء، وقبل حلول يوم عاشوراء في العاشر من المحرم قد يجمع صاحب الكتاب صبيانه كل صباح، ثم يرسلهم إلى المنازل

1 - فسر الطلمة بالخبزة تجعل في الملة، وهي الرماد الحار، أو الخبزة مطلقا. (أنظر كتاب المدرسة الأولى: 104 الهامش رقم 143).

2 - المدرسة الأولى: 104 .



القريبة من أجل (التصراف) أي: الحصول على هبات يصرف بها أهل تلك المنازل من يقصدهم من صبيان (الجامع) لحساب فقيه (الكتاب أو الجامع).

أما في شمال المغرب فهناك حفاوة زائدة في الكتاتيب بحلول عاشوراء

ويحدثنا المؤرخ الفرنسي روجي لوطورنو الذي كان يعيش في فاس في عهد الحماية منذ عام 1930 م عن الاحتفاء بعاشوراء في الكتاتيب بفاس في كتابه «فاس قبل الحماية» فيقول:

«وبالنسبة لتلاميذ الكتاتيب القرآنية على الخصوص، كانت عشوراء كذلك (عيد النور)، فقبل أسبوع كان كل تلميذ يحمل إلى (معلم القرآن) قدحا من الزيت، ثم يهيئون كلهم إنارة قاعة الدرس خلال الأيام التالية تحت إشراف المعلم، كانوا يذهبون إلى مراقب أحباس القرويين ليتسلموا الثريات والمصابيح، فيملأونها زيتا، ويعلقونها في السقف، وكان التلاميذ يأتون من بيوتهم ليلة العيد باللحافات والزرابي، فتتحول قاعة الدرس إلى بهو، وبعد صلاة المغرب توقد المصابيح، ويحضر الضيوف، ويقدَّم الشاي، ويُقْضَى الليل هكذا».

«يقال: إن كل هذه الأضواء تسطع تخليدا لذكرى الشمعة التي أوقدت عند رأس النبي، وهو في الاحتضار...»

«وهناك عادات أخرى كانت تزيد أيضا في هذا الشعور بتأثير العوائد الغريبة عن الإسلام».

---

1 - فاس قبل الحماية للمؤرخ روجي لوطورنو: 2/854-855 .



«كان أطفال (الكتاب القرآني) عقب (الليلة المضيئة) التي وصفناها منذ قليل، يحفظون درسا قصيرا، لتكون بداية السنة جيدة» (1).

## مظاهر تكريم صبيان الكتاب وتلاميذ المحضرة

ومن التقاليد المحضرية التي كانت تقضي بها الأعراف في عامة الحواضر والجهات التي ينتشر فيها التعليم القرآني أن نزلاء الكتاب والمحضرة والمدرسة القرآنية يعاملون من الجميع معاملة الأولاد، ولذلك فهم:

1 - يستقون الماء من المنابع أو «النطافي» الخاصة لا يحتاجون إلى استئذان أهلها.

2 - يأكلون من ثمار أشجار أهل البستان من كرم وعنب ونحوه بشرط عدم الإفساد.

3 - يركبون دواب أهل القرية، ويحملون عليها عند الحاجة بالمجان.

4 - إذا مست الحاجة بأحدهم إلى طعام زائد لنزول ضيف أو نحو ذلك طرق أي منزل فأخبرهم بحاجته، فأسعفوه بما حضر أو التمسوا له.

5 - إذا بدأ موسم الفاكهة كالتين والعنب والمشمش والرمّان، فأول من يصيب من باكورته هم صبيان «المسيد» التماسا للأجر وعملا بالسنة.



6 - إذا ولدت بقرة في القرية أهدى أهلها اللبأ إلى صبيان الكتاب.

7 - إذا كان قرب المدرسة القرآنية حمّام خصص صاحبه لطلبته مساء يوم الأربعاء أو صباح الخميس أو الجمعة فيغسلون فيه بالمجان.

8 - من الأعراف التي كانت معروفة بمدينة أسفي، ولعلها أيضا في غيرها تقديم الصبيان للاستفادة من الغسل بالمجان في الحمام الجديد (1).

9 - إذا أعرس أحد من أهل الحومة أو القرية، فلابد له من استدعاء الطلبة إلى منزل العرس، والتبرك بإطعامهم وقراءتهم للقرآن فيه، وإذا لم يتمكن من ذلك بعث إليهم بالطعام أو السكر أو الشمع ونحو ذلك ملتمسا منهم الدعاء.

---

1 - في مجلة كلية الآداب بالرباط في بحث للأستاذ الطاهر وعزيز - عدد 21-22 ص 247 بعنوان «صفحات من تاريخ أسفي» نقل عن مذكرات بعض علمائها ما يلي:
- وفي يوم الخميس 29 رجب 1342 هـ (6 مارس 1924 م) كمل بناء حمام القائد السيد حمزة بنهيمة المجاور لسور الرباط، وفي اليوم المذكور فتح للعموم بعدما اغتسل فيه الصبيان مجانا».
- وفي ذي الحجة متم عام 1342 (يوليوز 1924) كمل بناء حمام السيد الطاهر بن الحكيم بدرب أولاد الخواجة برباط الشيخ، وفتح للعموم بعدما اغتسل فيه الصبيان مجانا».

# الفصل الثالث

## نظام المفاصلـــــة

## وعدد الختمات المطلوبة للفصال (وضع اللوح نهائيا)

وليس هناك عدد متفق عليه من الختمات اللازمة للمفاصلة والشهادة للطالب أو التلميذ بأنه حصَّل على الأهلية المطلوبة، ولكن ذلك يختلف باختلاف القدرة على التحصيل، كما يختلف باختلاف مراد التلميذ أو الطالب في درجة الحذق والإتقان: إذ من التلاميذ أو أولياء أمورهم من يهمُّه فحسب أن يحفَظ التلميذ القرآن، حتى يتمكن من قراءته كله غيباً بقطع النظر عن حِذقة أو قصوره في قواعد الرسم والضبط والتجويد، ومنهم من يطلب تحصيل أقصى ما عند شيخه أو مجموعة شيوخه، فلا يهمه عدد الختمات وطول المدة في الطلب، وإنما يهمه الحصول على الغاية الممكنة في الإتقان، ولذلك نحد في أخبار بعض الأئمة، لا سيما حفاظ القراءات منهم من ختم القرآن باللوح عشرات المرات، إما لتردُّده الطويل على مختلف المشايخ زيادة في التحصيل، وإما رغبة في ترسيخ الحفظ والاستيعاب. لا سيما أصحاب الروايات (1).

1 - نهاية حفظ القران بالكتاب والبدء بالكراريس (دعوة اللحن العدد: 272 ص 140-141).



وهذا الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصْري الضرير يقول عن نفسه في رائيته في قراءة نافع متحدثا عن شيوخه من أهل القيروان كما قدمنا:

وأذْكُر أشياخي الذين قرأتها ** عليهم فأَبْدَا بالإمام أبي بكر
قرأت عليه السبعَ تسعين ختمةً ** بدأت ابنَ عشر ثم أتممتُ في عشر

فهو إذن حفظ القراءات السبع على شيخه أبي بكر القصري القيرواني في تسعين ختمة في عشر سنين، أي: بمعدل تسع ختمات في السنة، وهذا أمر عجيب، إلا أنه ممكن، لأنه لم يكن في الظاهر يستعمل الكتابة في اللوح، لأنه ضرير البَصر، وإنما كان يقرأ بالتلقين لا غير، فحفظ القراءات السبع في عشر سنوات.

* ومما يذكر من قصص النابغين في الحفظ ما جاء في فهرسة الإمام أبي العباس المنجور الفاسي حيث ذكر في ترجمة شيخه الأستاذ الحافظ لكتاب الله الحفظ المتقن متنا وسماً وضبطاً وأداءً أبي عبد الله محمد بن علي العِدِّي المعروف بابن عدّة الأندلسي من تلاميذ شيخ الجماعة أبي عبد الله بن غازي أنه «درس القرآن العظيم الدَّرس البالغ، اشتهر عنه أنه كان يدرس اللوحَ من القرآن ألف مرة حتى حفظه ذلك الحفظ العجيب بحيث لا يقف ولا يتتَعْتَع، يضرب به المثل في الحفظ» (1).

---

1 - فهرس المنجور: 66 .



# صفاء اللوحة قبل الفصال

وأهم ما هو مطلوب قبل الفصال بعد الحفظ:

**صفاء اللوحة**: يعني عند أهل هذا الشأن بلوغ التلميذ والطالب درجة من الحفظ والإتقان والحذق في الرسم والضبط والوقف إلى الغاية، بحيث لا يجد شيخه ولا غيره في لوحته شيئا يمكن له تعقبه وإصلاحه واستدراكه عليه عن طريق «الجبذ» المعتاد عند غيره ممن قصروا عن درجته.

ويعلم ذلك من قراءته على الشيخ بلوحه ختمة كاملة أو أكثر دون أن يقف له على خطإ في ذلك، ومن ثم فإنه يشهد له بأنه قد (صفت لوحته).

وهي عبارة شائعة في وصف نجباء الطلبة المهرة، وقد تكون أهم السمات التي يحتاج الطالب إلى إثباتها والشهادة له بهاحتى ينضوي في عِدادِ المهرة المعتبرين. وحتى يلحق أيضا بأهل هذه المرتبة ممن يوظف لهم عطاء خاص ومزيد إكرام.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في وصف إنعام أنعم به السلطان المولى سليمان بن سيدي محمد بن عبد الله العلوي عام 1231 هـ على الشرفاء والطلبة بالمغرب الشرقي وقبائل لملطة والرشيدية من أنه «جعل للفقيه المدرس أربعة أسهم، ولغيره سهمين، وللطالب الذي يحفظ القرآن برسمه (حتى صفا لوحُه) سهمين. ولغيره سهم.. وأمر القاضي أن يعين عشرة



من الطلبة وعشرة من العوام للقيام على تفرقة ذلك، وأعطى (الطلبة المدرّرين) زيادة على ما تقدم، وكذلك الأئمة والمؤذنين» (1).

ويقول العلامة عبد الله الجراري في ترجمة شيخه المقرئ الشهير محمد المهدي متجنْوش الرباطي: «والمؤلف -يعني نفسه- درس عليه القرآن كتصفية - يعني (تصفية اللوح) (2).

## صفة الامتحان وإجراءات شهادة تمام الأهلية واستحقاق الإجازة بالقرآن الكريم أو الروايات

وكانت تتميز مرحلة طلب إجازة التأهل من الشيخ وشهادته للطالب بتمام التحصيل بما يتقدمها من امتحان طويل الأمد، صعب التحضير، لينال الطالب بعد ذلك إجازة من أستاذه مكتوبة في الغالب على الرق أو على الورق عند المتأخرين في مضمون مستوعب وشكل يديع مذيَّل بشهادات العدول أو غيرهم على الشيخ المجيز بتلك الإجازة.

وقد عُرفت هذه الإجازة بالأندلس من أيام المرابطين. يقول ابن عبد الملك المراكشي، خلال ترجمة بعض قراء الأندلس وقراءته على شيخين له: «وقفت على إجازتيهما له في رَقّين، وقد ذكرا أنه تلا عليهما بالسبع، وقرأ غير ذلك، وقد شهد عليهما بذلك حسب جاري العادة في مثله» (3).

1 - الجيش العرمرم الخماسي للكنسوسي: 302/1 والاعلام للمراكشي: 80-81 .
2 - أنظر كتابه التأليف ونهضته في القرن العشرين: 269 .
3- الذيل والتكملة لابن عبد الملك: 635/5



* وتوجد في كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد لأبي الحسن علي بن محمد السخاوي؛ وهو شرحه لقصيدة شيخه القاسم بن فيره الشاطبي نصوص كاملة لإجازات شيوخ الشاطبي وهم أبو الحسن بن هُذيل البلنسي وابن اللاية وأبو عبد الله النفزي، وتعتبر من أقدم الإجازات المفصلة في القراءات التي تمثل كيفية الإجازة في القرن السادس الهجري (1).

* وقد وقف العلامة محمد المنوني على كتاب الرسالة المجازة في أحكام الإجازة لأبي الحسن علي بن ميمون الإدريسي الغماري نزيل لبنان ودفينها عام 917 هـ وفيه وصف مفصل للإجراءات المعتادة في امتحان الإجازة في المائة التاسعة على عهد أبي عبد الله الصغير وتلميذه ابن غازي قال أبو الحسن بن ميمون:

* وذلك أن القارئ يكون أولا قرأ القرآن كله وحفظه كأم القرآن سواء، ويكون حفظ من الكتب عليه ما يحتاج إلى ذلك من رسم وضبط وتلاوة، وتكون هذه الكتب كلها محفوظة نصب عينيه لفظا ومعنى، ويكون الطالب قرأ على غير هذا الأستاذ -أعني على من دونه في المقام من الأساتذة، فلا يأتي إِمَامَ الإجازة إلا بالدَّرج من قارئ إلى قارئ فوقه، فإذا أتى إلى الأستاذ المجيز -وهو أعلمُ وقته في هذا الشأن، وأكملهم وأفضلهم، وأورعهم وأصلحهم - أمرَه بما هو مُصْطلَح عندهم».

وذلك أن القرآن لا يقرأ عندهم - يعني في المغرب كله- إلا في اللوح.. فبعد أن يكتب على ما وصف ويجوِّد كذلك، يختلي بنفسه، ويتأهَّب لدرس

1 - فتح الوصيد للسخاوي: 1/8-50 .



ذلك بالتلاوة يومه وليلته، ويعيّن لنفسه عدداً يقرؤه في لوحه على قدر الاجتهاد، فلا يمكن مَحْيُه للوحه حتى يُتم فيه العدَّة المحدودة عندهم، يختم القرآن كله مرارا على هذه الصفة، فإذا حصل له حِفظُه وقراءته على أستاذه بالكتب المذكورة قبل، المحتاج إليها، وصوَّرها وفَهِمَها، وعرف أحكامها، ينتقل إلى من فوق أستاذه ، ثم إلى من فوقه كما ذُكر قبل...

إلى أن يأتي إلى أستاذه.. فيأمره بكتابة ربع حزب أو ثمنه كل يوم، ويرسمه على رسم المصحف المعلوم المشهور، ويضبطه على قاعدة الضبط المعلوم، ويأتي إلى الشيخ فيقعد معه بين يديه، يعطف رجلا ويقيم الأخرى، وينصب اللوح مقابلة وجه الأستاذ ويشرع في التلاوة.

فأول ما ينطق به الطالب التعوذ ثم البسملة في محلها على قاعدة القراء في ذلك، حسبما هو مطلوب عند أهله، وأول ما يبدؤه الأستاذ بالسؤال على ما يتلفظ به عنده، وهو التعوّذ والبسملة، يقول له: ما تقرأ على هذا التعوذ وهذه البسملة من الكتب المصنفة في ذلك كما تقدم ؟ فيأتي الطالب بالنص على ذلك، وحينئذ يتحول إلى ما بعده، والشيخ... يجوّد معه، وعينُه للرسم والضبط، فما يراه من الحذف والإ ثبات والضبط يسأله عن النص عن ذلك من كتب أهله، فيأتيه به، وما يسمع في التلاوة من تخفيف الهمز أو إبداله أو تسهيله، أو المد المشبع أو المتوسط أو المقصور، أو تغليظ أو تفخيم أو ترقيق، أو غير ذلك من سائر آداب التلاوة، يسأله عن ذلك فيأتيه بالنص، والمشهور من ذلك وغيره، هكذا حتى يفرغ ما يكتبه في اللوح: إما ربع حزب أو ثمنه على حسب ما يأذن له به أستاذه».



فإذا فرغ على هذه الصفة يأمره بالإعراب بعد تجويده معه، ليتعلم صفة تجويد أستاذه، ثم يأمره بإعادته مرة واحدة على انفراده، لينظر في أحواله في التلاوة في جميع الصفات المتقدمة وغيرها، فما كان على الأصل أقره عليه، وما كان على غير الأصل نبهه عليه، وعلمه كيف يتلفظ به...

فإذا ختم القرآن على هذه الصفة، وظهر للأستاذ أنه ممن ينبغي أن يجاز يجيزه، ويأمر كاتبا يكتب الإجازة على ما هي عندهم معلومة، ويقول: أذنت لفلان بن فلان الفلاني في قراءة القرآن العزيز وتعليمه لغيره على نحو ما قرأ علي وسمعته منه. وقرأت أنا علي شيخي فلان، وشيخي على شيخه فلان، ثم كذلك إلى المنتهى، إن كان قرأ عليه برواية واحدة يكتب له بها، وإن كان بأكثر أو بالجمع يكتب له كذلك، ويشهد الأستاذ بعد كتب الوثيقة على نفسه شهوداً عدولاً، ويرفع الشهود الإجازة إلى القاضي وخطوطهم عليها، فيضع القاضي اسمه بعد خطوط الشهود مُعْلِماً بثبوت الإجازة على المجيز، فبعد هذا يسلم الأستاذ الإجازة لتلميذه، فيأخذها ويذهب حيث يشاء. هذا هو المصطلح عليه في مدينة فاس المذكورة الآن - يعني في آخر القرن التاسع (1).

## مراسيم الإجازة بتمام أهلية طالب القرآن في شنقيط

ويصف بعض الباحثين المعاصرين من موريتانيا في بحث له تحدث في أوله عن البيئة الثقافية في شنقيط، والمواد التي يشتغل الطلاب عليها، فكان مما قال عن طالب المحضرة الذي يدرس علوم القرآن.

1 - ورقات عن حضارة المرينيين للمنوني: 281-282 .



«إن الطالب يشتغل إلى جانب حفظ القرآن بإتقان الرسم وحفظ متونه (الكراريس)، وذكر منظومة في الرسم مشهورة هناك، وهي «بصائر التالين» للعلامة محمد بن مولود بن أحمد فال اليعقوبي، وذكر منها قوله

والذاريات وصحابُها اعطِفا ** صُوَرَها إلا ثلاثة بفا

ثم قال:

«ولا ينال (الطالب) الإجازة بالسند المتصل من شيخه إلى الإمام نافع، إلا بعد أن يقرأ القرآن بروايتي ورش وقالون عن نافع، ويكتب بيده عشرة أحزاب عن ظهر قلب دون أن يلاحظ عليه خطأ في اللفظ ولا في الرسم، ويكون شيخه قد استمع إلى قراءته للقرآن من أوله إلى آخره.

أما إذا كان يرغب في الإجازة بالقراءات السبع، فعليه أن يدرس (الشاطبية) على شيخه ويحفظها. قال:

وتكفي أربع سنوات في المتوسط بعد حفظ نص القرآن الكريم ليحصل الطالب على الإجازة في قراءة الإمام نافع، ثم قال:

وكان الإقبال على مدارس القرآن عظيما، حتى قيل: «إن مدرسة القارئ الفقيه محمد بن أحيد بن سيدي عبد الرحمن المسومي كان يجتمع فيها القرآن في الألواح» (1).

1 - رسالة جامعية نوقشت بدار الحديث بعنوان: الوضع الجديد لفن المخارج والصفات مع ما والاه من فني الفواصل والتجويد للشيخ سيدي أحمد بن اسمه الموريتاني الديماني تحقيق محمد بن أحمد مسكة بتاريخ: 1396-1976 م: ورقة: 1211 .



# نموذج للتخرج في رواية القراءات والكراريس العلمية المتعلقة بها

## كما أخذ بذلك أبو عبد الله المجاري (1) في مدينة غرناطة

قال المجاري في برنامجه متحدثا عن شيوخه:

«ومنهم الشيخ الكبير العلامة إمام الأئمة في إقراء القرآن، الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الكِناني القيجاطي (الحفيد. ت 811 هـ).

قرأت عليه القرآن العظيم بالقراءات الثمان (2) المتداولة المشهورة، والروايات الست عشرة المسطورة، وبالإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء في روايته المأثورة، في اثنتي عشرة ختمة: ختمة لورش عن نافع، ثم ختمة لقالون عنه، ثم ختمة جمعت فيها بين روايتي ورش وقالون، لورش بترك الإمالة في ذوات الياء، ولقالون بضم ميم الجمع وقصر المنفصل، وختمة ختمة لكل إمام من الأئمة الستة الباقين من السبعة المشهورين، جمعا بين روايتي راوييه، ثم ختمة لأبي محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي بالجمع كما ذكر، ثم ختمة جمعت فيها بين القراءات السبع، ثم ختمة بقراءة قالون من طريق أبي نشيط وقفت فيها على رؤوس الآي في حين القراءة، وذلك على عدد أهل المدينة الأخير (3)، وكل ذلك عن طريق الإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني رضي الله عنه.

1 -هو محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد المجاري الأندلسي صاحب البرنامج، توفي سنة 862، انظر مقدمة تحقيق برنامجه للأستاذ محمد أبو الأجفان: 9-10 .

2 - المراد: القراءات السبع المشهورة وقراءة يعقوب الحضرمي حسب رواية أبي عمرو الداني رحمه الله.

3 - وهو العدد الذي قرأ به قالون رواية له عن نافع بن أبي نعيم. انظر كتاب البيان عن عد أي القرآن لأبي عمرو الداني: 67-68 .

وأخذت عنه حروف السبعة من طريق الإمام أبي محمد مكي، وطريق الإمام أبي عبد الله بن شريح، وطريق الإمام أبي علي الأهوازي، على ما تضمنه كتاب «الإقناع».

ولما أكملت هذه القراءات على حسب ما ذكرت، سألت من شيخي وبركتي أبي عبد الله -رضي الله عنه- أن يكتب لي كتابا يشتمل على ما قرأته عليه، وينطوي على صحة ما أسنده إليه، فأجابني إلى ما سألت...

ثم ذكر أنه أجازه وكتب له أسانيده فيما قرأ به عليه، وذكر أنه أخذ عنه أيضا كتاب الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر بن الباذش، والشاطبية الكبرى لأبي القاسم الشاطبي، ورجز ابن بري في قراءة نافع وقال: قرأت جميعه عليه تفقها بلفظي، وسمعته مرة ثانية تفقها بقراءة غيري، وحدثني به عن الشيخ المسن الراوية أبي الحجاج يوسف بن علي السدوري المكناسي قراءة عليه عن ناظمه سماعا عليه بالجامع الأعظم من مدينة فاس.

ثم ذكر سماعه أيضا لرجز ابن مالك -يعني الألفية في النحو- وكتاب التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، وذكر سنده به إلى مؤلفه، وكتاب جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو أيضا، وكتبا أخرى في النحو والفقه وقال: وأجازني -رحمه الله- أن أحدث عنه بما ذكر، وبكل ما يصح عندي أنه في روايته عن جميع شيوخه بأي وجه حمل ذلك عنهم، إجازة عامة بعد التزام الشرط المعروف عند أهل الحديث، وكتب خط يده، وأشهد على نفسه بصحة ذلك» ثم قال:



لازمته نحو الثلاثين سنة، إلى أن توفي -رحمه الله وجزاه أفضل جزاء- يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من عام 811 هـ ودفن بعد العصر من اليوم بعده بباب الفخارين -رحمه الله- (1).

## مواضع الحذقات وحفلات الختمة في الشمال المغربي في نهاية (السلكة)

يحدثنا أحد الأساتذة الأفاضل عن المستويات الدراسية في المدرسة القرآنية المغربية من خلال ما عليه العمل في منطقته، وهي لا تختلف كثيرا عن باقي المناطق المغربية الأخرى فيقول: «المقصود بالمستوى الدراسي، مجموعة من المهارات العلمية التي ينبغي للتلميذ (المحاضر) أن يتقنها لينتقل إلى مرحلة أخرى أعلى من سابقتها، وإذا كان منهاج المدرسة القرآنية في المغرب يختزل هذه المستويات من أجل الوصول إلى هدف واحد هو حفظ القرآن عن ظهر قلب بكل ما يحيط به من إتقان رسم حروفه والضبط والتجويد، فإن التلميذ لا يصل إلى تحقيق هذا الهدف إلا على مراحل:

✓ **المرحلة الأولى**: مرحلة الاستئناس مع المجتمع الجديد الذي يجده في (المعمرة) من مختلف أعمار التلاميذ، وإن كانوا بصفة عامة أبناء شريحة واحدة من المجتمع، وأثناء مرحلة الاستئناس يتعلم الحروف بطريقة تلقينية مصحوبة بحفظ السور القصار من القرآن ابتداء من فاتحة

1 -برنامج المجاري: 92-104 ترجمة 2 .



الكتاب فسورة الناس.. وبدء القراءات بهذه الطريقة–وإن كانت مخالفة للترتيب التوقيفي للسور القرآنية– جائز في المرحلة التربوية الأولى، ذلك لأن انتقال الطفل من سورة قصيرة إلى أخرى في أقرب الآجال يجعله يشعر بنوع من الراحة أولا، ويشعر بتقدمه في الدراسة ثانيا، ولاسيما إذا كان ممن يحفظ هذه السور بسهولة، مع الإشارة إلى أن في هذا الترتيب التصاعدي محطات يطالب التلميذ فيها أسرته بإقامة حفلات تكريمية للفقيه المعلم والتلاميذ عندها.

ومن هذه المحطات: عند سورة ألم نشرح نصف الحزب (1) الذي يمر منه الطفل.

- وعند سورة سبح (2) حيث تهيئ أسرة الطفل عندها أطباقا من الطعام المبلل بالسمن.

✓ وعند سورة عم (3)، وهي بداية الحزب الثاني، وعندها تهيئ أسرة الطفل أطباقا من الطعام (الكسكس) بلحم الغنم.

✓ وعند سورة قل أوحي، وهي بداية الحزب الثالث، وعندها تذبح أسرة الطفل جديا بالغا (4) تكريما للفقيه والطلبة والتلاميذ.

✓ وعند سورة الرحمن وسورة يس، وهي السورة الموجودة في آخر الحزب 44، وهي أشهر سور القرآن على المستوى الشعبي (5).

---

1 – يعني نصف الحزب الأول: (والتين والزيتون)

2 – يعني : سورة الأعلى أول الحزب الأول.

3 – يعني سورة النبأ.

4 – يعني تيسا من المعز.

5 – ربما كانت سورة طه أشهر منها عندهم، ولذلك يقولون: «طه والحولي مربوط حذاها» يشيرون إلى ارتباطها بحفل الحلقة.

✓ وعند قال ألم أقل: نصف القرآن الكريم، وهو المعبر عنه بـ (البقرة الصغيرة)... إلى نهاية (السلكة) المعبر عنها بـ (البقرة الكبيرة). وتقيم الأسرة عندها حفلة (الختمة) يستدعى لها طلبة القرية وفقهاء المساجد المجاورة (1).

✓ **المرحلة الثانية** في القراءة بالوقف بعد أن يكون قد تدرب على القراءة المسترسلة بالوصل، أي: المعروفة باسم «السرّابية» بتشديد الراء.

✓ **المرحلة الثالثة**: مرحلةضبط الرسم والضبط بالأنصاص النظمية والحطيات (2).

## زخرفة الألواح بمناسبة الحَذَقة أو الختمة أو (الإصرافة)

وهي تقليد محضري جار في جميع الأقطار المغربية منذ القديم، والمراد بها التنويه بالمتعلمين والتشجيع لهم، والحض على الغبطة والمنافسة لهم من أقرانهم من صبيان المكاتب.

وقد تحدث العلامة ابن الحاج العبدري (ت 737 هـ) في العصر المريني عن هذا التقليد المحضري في فصل خاص في كتابه المدخل تحت عنوان: «فصلل في تزويق الألواح» فقال:

1 - كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي: 48-48/1

2 - الأنصاص القرآنية: 51-49/1 .



«وأما تزويق الألواح في (الإصرافات) والأعياد في بعض البلاد، فهو من المباح الجائز، وفيه إدخال السرور على الأولاد، وإدخال السرور فيه من الأجر ما قد عُلم، وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء بالمواظبة على القراءة.

لكن يتعين عليه أن يتجنب ما أحدثوه من المفاسد في (الإصرافات)، وهي كثيرة متعددة، فمنها:

تزيين المكتب في الأعياد و(الإصرافات) بالحرير وغيره أرضا وحيطانا وسقفا، وقد تقدمت شناعة ذلك وقبحه في زينة الأسواق للمحمل(1) أو غيره، سيما إذا انضاف إلى ذلك أن يكون فيه صور مما له روح، فيكون في ارتكاب ذلك نقيضُ ما جلس المؤدب إليه، فإذا كان السوق يُمنع فيه ذلك، فمن باب أولى موضع يُتلى فيه كلام الله عز وجل. فمنعه منه أوجب، قال:

ثم بقيت أفعال يفعلها بعضهم في (الإصرافات)، وهي قبيحة مستهجنة.

فمنها أنهم يجعلون لوح (الإصرافة) مكفتا بالفضة في خرقة من حرير، واستعمال الحرير لا يجوز إلا للنساء حيث أجيز لهن ذلك..

وبعض هؤلاء يأخذون الصبي الذي له (الإصرافة) فيزينونه كما يزينون النساء، فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير، ويحلونه بالقلائد من الذهب وغيره ومع قلائد العنبر كأنه عروس تجلى (2)، ويركبونه على فرس

---

1 – المحمل: ركب الحجاج.

2 – لم يعد هذا التقليد موجوداً اليوم فيما أعلم، غير أن بعض الجهات في إقليم الصويرة بالجنوب المغربي ما زالوا يلبسون الصبيان في التصراف في أيام العواشر لباس النساء فيطوفون على المنازل من دشر إلى أخر وهم جميعا على هذه الهيئة من لباس الدفائن والفساتين والأزياء المزركشة، مع التوشح بسكين طويل أو التقلد بخنجر محلى بالفضة، وقد أخذت هذه التقاليد العتيقة في الاختفاء منذ أول الاستقلال، وأصبح الأطفال يأنفون من المساعدة على ذلك وكذلك بعض المعلمين الفضلاء

أو بغلة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما... ثم هم يختلفون فيما يفعلون بين يديه.

✓ فمنهم من يمشي بين يديه صبيان المكتب وينشدون في طريقه إلى أن يوصلوه إلى بيته (1).

ومنهم من يضيف إلي ذلك القراء يقرأون كتاب الله بين يديه (2).

✓ ثم يضيفون إلى ذلك فعلا قبيحا، وهو أن بعض المؤدبين يدخلون مع صاحب (الإصرافة) البيت، ويجلسون مع النساء، وهن متبرجات على ما يعلم من عادتهن في بيوتهن، ويعطون اللوح لأم (صاحب الإصرافة) أو لأخته أو لخالته أو لعمته أو لجارته إلى غير ذلك من أقارب الولد ومعارفه حتى تنقّط كل واحدة منهن من الفضة بما أمكنها، وذلك محرّم لا يجوز، لأنه أجنبي عنهن» (3).

## المحضرة وحفلات الختمة بفاس في القرن العاشر وما قاربه

وصف الرحالة المغربي الحسن بن الوزان الفاسي المعروف في الغرب باسم (ليون الإفريقي) في كتابه (وصف إفريقيا) ما كان عليه (الكُتاب الفاسي) في القرن العاشر الهجري فقال: «توجد بفاس مائتا مدرسة لتعليم

1 - ما تزال هذه العادة في الجنوب المغربي بوجه عام.
2 - ما تزال عادة معروفة إلى اليوم.
3 - المدخل لابن الحاج: 2/331-333.



الأطفال، وهي عبارة عن قاعات واسعة داخلُها محاط بالدكاكين لجلوس التلاميذ، والمعلم يعلم القراءة والكتابة على ألواح واسعة يكتب التلاميذ فيها جزءاً من القرآن في كل يوم، ويسيرون على ذلك فيختمون القرآن في سنتين أو ثلاث، ويعيدون ختمه مرات عديدة حتى يحفظوه عن ظهر قلب، وأقصى ما يقضون في ذلك سبع سنين».

ويتعلمون مع ذلك مبادئ من قواعد الرسم، وهذا الفن يدرس بسائر المدارس العلمية مع النحو، وله نظامه هناك.

وأجرة هؤلاء المعلمين طفيفة، ولكن كلما بلغ التلميذ إلى قسم من القرآن قدم أبوه صلة للمعلم، وإذا ختمه أقام الأب حفلة لسائر رفقاء ابنه، فيأتي ابنه محفوفا بهم في أثواب فاخرة، راكبا على جوادٍ رفيع يُعيره عاملُ المدينة بسلاحه الثمين لكل من ختم القرآن، ويركب حوله سائر رفقائه على الأفراس، ويأخذون في إنشاد أشعار في تمجيد الله ومدح نبيه -ﷺ-.

ثم يقبلون إلى محل الاحتفال الذي يحضره سائر أحِباء الأب بقصد أن يقدموا جميعا هدايا للمعلم (1) ويظهر سائر الأطفال بهذا الاحتفال في أثوابهم الرفيعة كما تقتضيه العادة... (2) قال أستاذنا محمد المنوني رحمه الله:

«ومن المرجح أن هذه الأنظمة في غالبها إنما هي امتداد لواقع «الكتاب المغربي» في العصر المريني الأول، قال:

1 - مازال بعض هذا معروفا، إلا أن الهدايا تقدم بصورة طلب الدعاء من الفقيه وطلبته (الفاتحة) فيأخذ في الدعاء لكل مهد على حدة والطلبة يؤمنون على أدعيته.

2 - أنظر حياة الوزان الفاسي وآثاره تأليف محمد المهدي الحجوي: 86-87.



ومن الجدير بالذكر أن هذه العادة استمرت (بالكتاب المغربي) حتى السنين الأخيرة - يعني زخرفة الألواح وتزويقها في الختمة ورؤوس الأحزاب- وبواسطتها صار أفراد من التلاميذ يتجهون إلى الاهتمام بالزخرفة في الكتب والألواح الحائطية» (1).

قال كاتب البحث: وقد طالما عملت على كتابة الختمات، وعملت في تزويق أسافل ألواح الصبيان عندما كان والدي -رحمه الله- يشتغل في تأديب الصبيان بالشياظمة من إقليم الصويرة في عدد من (الجوامع) التي شارط فيها، ثم في الحي المحمدي بمدينة الدار البيضاء حيث عمل في التكتيب لعدة سنوات (2). وأنا يومئذ أتابع دراستي في التعليم الأصيل وأساعده في العطل المدرسية.

## صورة حفل الختمة في التقليد المغربي الرسمي في الحواضر

«يجتمع التلاميذ بدار الطفل المحتفل به وتخرج أطباق (الكسكس) محمولة على أكتاف التلاميذ وسط الزغاريد... وتهدى للفقيه بالمناسبة بقرة مع قدر من المال والثياب حسب إمكانيات الأسرة».

«وكان لسلاطين المغرب عطاءات سخية (للفقهاء) في الموضوع» (3).

وقد تحدث أستاذنا الفقيه الرحالي الفاروقي رحمه الله عن رعاية الدولة العلوية الشريفة لهذه المهام في الحواضر الكبرى بصورة رسمية لا سيما في مثل فاس ومكناس ومراكش فقال:

---

1 - الأستاذ محمد المنوني في كتابه ورقات عن حضارة المرينيين: 278 .

2 - كان كتابه في بلوك - الكدية قرب المسجد الكبير الحالي من عام 1957 م إلى 1961 م.

3 — أنظر تاريخ تطوان لمحمد داود: 79/2 مطبعة كريماديس - تطوان وكتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي: 48/1 .

«وفي عهد المولى إسماعيل (ت 1139 هـ) توافرت (المكاتب) وتكاثرت المدارس في المدن والقرى، يتعلم فيها الناس القراءة والكتابة، ويحفظون القرآن الكريم، وكانت العادة جارية في هذا العهد وفيما بعده بالاحتفال بحفظة القرآن الكريم على وجه خاص، حيث كان الآباء برعاية الدولة يشترون أفراسا كهدية لأولادهم عندما يجمعون القرآن العظيم.

ويتناول الطفل الحافظ للقرآن المصحف بيده، ويركب الفرس يتفسح عليه، وسائر (صبيان المكتب) تذهب للتفسح مع المحتفل به، وتأتي إليهم أجواق الطرب فترافقهم من الدار إلى المسجد» (1).

وقال الأستاذ محيي الدين المشرفي:

«وكان السلاطين يراقبون مؤدبي أولادهم، كما يبذلون لهم العطايا تشجيعا لهم على قيامهم بالواجب، ففيما يرجع لحفظ القرآن كانت هذه العطايا تقدم على مراحل: الأولى عندما يحذق الطفل سورة الإخلاص، والأخيرة عندما يحفظ سورة البقرة، فإن الملك قد يأمر بإقامة حفلة شيّقة تسمى (حفلة ختم القرآن) يُرفع بالمناسبة لوح المحتفل به على مِنصة، ثم يؤتى من القصور بالهدايا الثمينة توضع على ذلك اللوح، وتقدم للأمام، كما يخرج من القصر عدد من قطع (الكسكس) للمسجد المعدّ للصلاة، وقوارير من ماء الزهر والورد، ومجامير الطيب، ويُستدعى الأستاذ المقرئ لتناول ذلك....» (2).

---

1 – الأستاذ العلامة الرحالي الفاروقي في بحث العناية بالقرآن الكريم في عهد الدولة العلوية مجلة دعوة الحق: العدد 4 السنة 11-1968 م ص 27 .

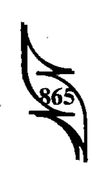
2 – نفس العدد من المجلة: ص 69، وانظر كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي: 1/48-49



# الختمة وصورة الاحتفال بها في الجنوب المغربي

عندمـا يبلغ المتـعلم بلوحـه في (السلكة) الأولى النصف الأخـيـر من حـزب (تلك الرسل) يأمـر (الطالب) في الغـالب أحد تلامـذته المسـاعـدين له من ذوي الخطوط الجيدة، فيقوم بكتـابة لوح التلميذ من جـهتيه، فيخـصص الجهة الأولى لكتابة ربـع (ليس عليك هداهم) وأول ربع (وإن كنتم على سفر) ويخصص الجـهة الثانية لكتابة (الختمة) بعد أن يكون قد هيأ القصـبة التي يستعملها لتدويرها. وطريقة ذلك أن يأخذ اللوح ويضع قصبة مسواة معدلة كالقلم، ولـها جذر مرتفع حاد، فيغرز إبرة في رأسـها المسوّى، ويغرزها في وسط اللوح، ثم يأخذ بيده القـصبـة المسـواة فيـديرها على الإبرة التي في مـركزها ويدور بـها مع الضـغط عليـها والإمسـاك بالإبرة حتى لا تتحول عن المركـز فـتـحـدث من ذلك دائرة مـثل الشكل الدائري الذي يرسم بـواسطة (البـركار) في علم الهندسـة، ثم يغير موضـع الإبرة قليلا ويدير القـصبـة مرة أخرى أو مرار،ا فتحدث دائرة أصـغر من الأولى قليـلا إلى داخلهـا، وبذلك يتحدد موضـع كتابة (الختمة) وتسمى أحيانا (التخريجة).

ثم يأخـذ الكاتب قلمـا دقـيـقـا مناسـبـا، ويكتب قـوله تـعـالى في سـورة البـقـرة ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ إلى نـهـاية السـورة بحيث يجتـهد فـي أن تتسـع لـها الدائرة الداخليـة دون استكراه. وكذلك يفعل في الـخـتـمـة الثـانية في آخـر (السلكة) إلا أنه يكتب من سـورة **قريش** إلى ختام سورة **الناس**.



وهنا يأخذ (الفقيه) لوح الختمة فيمر عليه بقلمه متفقدا للرسم والضبط والوقف في الوجه الأول من اللوح، ثم في الوجه الثاني، وغالبا ما يعيد بيان علامات الوقف وبعض حركات الضبط بقصد التأكيد، فإذا فرغ من ذلك أخذ في كتابة أبيات متعارف عليها، تنوه بخاتم القرآن العظيم وفضيلة الختم.

وقد كان شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري -حفظه الله- يكتب أحيانا الوجه الذي فيه الختمة بخطه الجميل، ثم يكتب على محيط الدائرة بشكل دائري ما يلي:

وإن للخاتم في الجنان ** شجرة كثيرة الأغصان
ولو طار الغرابُ حتى يَهْرَما ** في ظل ورْقةٍ منها ما تمّما

ثم يُربِّعُ جهات الدائرة بكتابة: **ق والقرآن - ص والقرآن - يس والقرآن - طه ما أنزلنا عليك القرآن**، ثم يكتب في أعلى اللوح بشكل أفقي:

ومن مات يكتب **القرآن** في لوحه ** فلا شك أنه شهيد في موته
**ولا يأكل التراب شيئا من عظمه** ** ولا تأكل الديدان شيئا من لحمه

**ثم يكتب:**

ختمت كتاب **الله جل جلاله** ** طلبت من المولى يزيدني من الفهم
فيارب **مِتِّعني بسرّ** حروفه ** ونوّر به قلبي، واشرح به صدري

**ويكتب في كل جانب من** تربيعة اللوح بيتين من قصيدة الإمام **الشاطبي ابتداء من قوله:**

**وإن كتاب الله أوثقُ** شافع ** وأغنَى غَناء واهبا متفضّلا
وخيرُ جليسٍ **لا يُملُّ** حديثه ** وترداده يزداد فيه تجمُّلا
وحيث الفتى يرتاع في ظلماته ** من القبر يلقاه سناً متهلا
هنالك يهنيه مقيلا وروضة ** ومن أجله في ذروة العِزِّ يجتلى

ويكتب أسفل الختمة إذا وجد متسعا قول الشاطبي:

فيا أيها القارئ به متمسكا ** مُجِلاً له في كل حال مُبجّلا

هنيئاً مريئاً والداك عليهما ** ملابس أنوار من التاج والحُلا

فما ظنكم بالنجل عند جزائه ** أولئك أهلُ الله والصفوة المَلا

أولو البر والإحسان والصبر والتُّقَى ** حُلاهم بها جاء القرآن مفصلا

وقد رأيت بعض شيوخنا يكتب حول دائرة الختمة نحوا مما تقدم ويزيد قوله:

وروي أن القاري إذا تختّما ** تقبلت الأملاك وجه المختّم

ومعناه أن القارئ إذا ختم بلوحه القرآن، قبلت الملائكة وجهه، وفي قريب من هذا المعنى جاء الأثر عن إبراهيم التيمي قال:

«كان يقال: إذا ختم الرجل القرآن في أول النهار، صلت عليه الملائكة بقية يومه، وإذا ختم أول الليل، صلت عليه الملائكة بقية ليلته، قال: فكانوا يحبون أن يختموا في أول النهار، أو في أول الليل» (1).

هذا وإن كان الختم هنا المراد به ختم القرآن بالقيام لا باللوح، فإنه مع ذلك لا يبعد عن هذا المعنى (2).

---

1 - جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي 123/1 .

2 - زرت مؤخرا في آخر يوم من شعبان 1426 هـ مسجدا بأسرسيف بايت ميلك عمالة هشتوكة ايت باها بنواحي أكادير، فوجدت فقيهه السيد إبراهيم قد صحح لوحة ختمة بطريقة جميلة فلاحظت انه اتبع فيها نفس الطريقة التي يأخذ بها شيخنا في كل ما وصفته، إلا في زيادته لبعض الأبيات، وربما لأنه وجد سعة في اللوحة.



# صورة حفلة الختمة في بلاد سوس

قال الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي في حديثه عن بعض الهبات التي تصل إلى المكتب: «ومنها أيضا (إصرافة ختمة القرآن)، وهي أعظم ما يعطيه الولي، لا سيما الختمة الأولى، فإنها قد تكون دعوة جفلى (1) يقام لها احتفال كبير يذبح فيه ثور أو كبش أو ما يعاد لهما، فيطهى اللحم، ويدعى إليه الناس، خصوصا (الطالب والتلاميذ) وحفاظ القرآن في القرية وما حواليها لقراءة «التفريق»، والتفريق: المصحف المجزأ على اثني عشر جزءا، كل جزء على حدته، يأخذ كل واحد من الحاضرين جزءا منها يقرؤه قراءة هَذذ، أي: هذرمة، وإن لم يبلغوا الاثني عشر، يأخذ من أكمل منهم جزءه جزءاً آخر يتعاونون على إتمام التفريق، وإن عن ظهر قلب، يقول من أكمل منهم جزءه لمن بقي له شيء: كم بقي لك؟ فيقول مثلا: حزبان، فيقول ذلك المكمل: أقرأ الحزب الأخير منهما، أو نصفه ونحو هذا، وعادتهم إذ ذاك أن يقرأ كل واحد منهم جهرا، يسمع صخبهم أو ضجيجهم من كان بعيدا عن الدار التي هم فيها، وكثير من الناس اليوم يقرأون سرا، أو يعبرون التفريق عبرا مخافة التخليط أو التحريف، لأن حفظ القرآن اليوم قليل، ويوجبون القراءة سرا، وليس الأمر كذلك على الإطلاق.

وبعد الفراغ من الأكل والشرب يختمون السلكة ولابد، يقول أحدهم: اختموا (السلكة)، فينبعث آخر مفتتحا بصوت مرتفع -وهم يقرأون معه بعد التعوذ والبسملة (الإخلاص) (2) وما بعدها إلى

1 -الجَفلي: بفتحات ثلاث: الدعوة العامة كقول الشاعر طرفة بن العبد من شعراء المعلقات:

نحن في المشتاة ندعو الجَفَلى ** لا ترى الآدب منا ينتقر

وينتقر: يدعو النقرى، وهي الدعوة الخاصة التي يختار لها من شاء دعوته فقط.

2 – عادة أهل الشياظمة وحاحة ومتوكة ختم التفريق ابتداء من سورة قريش، وهي أيضا التي تكتب مع ما بعدها إلى سورة الناس في لوحة حنقة الختمة الثانية.

الصلاة على النبي – ﷺ– كما يفعلون في ختمة (الحزب الجماعي) سواء، ثم يدعون بالخير للمطعم ولوالديهم والمسلمين أجميعن (1) ثم ينصرفون، ولا يعطوْن الدراهم في مقابلة قراءة التفريق، بل يستغنون بذات البطن عن ذات اليد، بخلاف ما عليه الناس اليوم من الجمع بينهما معا بأبلغ ما أمكن»(2).

## حفلة الفصال في بلاد دكالة وما جاورها

والفصال: هو اسم لانتهاء التلميذ من حفظ القرآن، وسموه بالفصال تشبيها له بفصال الرضيع وفطامه عند تمام مدة الرضاع. والفصال عندهم بمنزلة الإجازة من الشيخ للتلميذ بتمام الأهلية في حفظ القرآن وما يتعلق به من خط ورسم وضبط، ومن حق التلميذ (المفاصل) منذ الحصول من شيخه على هذا الاعتراف أن يحضر مجامع الطلبة، وأن يطالب بنصيبه معهم في قسمة الهبات التي يحصلون عليها، كما أنه يمتلك الحق في (المشارطة) بعد استئذان شيخه أو على يده في الغالب، وهو غالبا يشارط بعيدا عن منطقة نفوذ شيخه حتى لا يزاحمه في المجالس والمناسبات، وتجنبا أيضا لمضايقة شيخه في تلامذة الجهة الذين قد يفارقون الشيخ ليقرأوا على التلميذ لبعض الأسباب كالاكتظاظ أو قرب المكان أو غير ذلك.

1 – يعني: ينشدون أبياتا محفوظة في ذلك تبتدئ هكذا:

وأكرم اللهم من أكرمنا ** وكثر الخير لديهم والغنى
وأعطهم مما رجوا فوق الرجا ** واجعل لهم من كل هم فرجا
وارزق لهم درجة في الجنة ** لنا ولهم وجميع الأمة
وجُد علينا بضياء النور ** يارب في ظلمة القبور
أمين أمين استجب دعانا ** ولا تخيب سيدي رجانا

2 – المدرسة الأولى: 102-103 .



وحفلة الفصال يتهيأ لها أهل التلميذ لمدة كافية بحيث يشعرهم (الطالب) باقتراب الموعد من حين ابتداء (السلكة الأخيرة) كما يحفز التلميذ والديه لإعداد العدة لذلك، ولهذه المناسبة نُكهة خاصة واعتبار عظيم في بعض القبائل إلى الآن كجهات دكالة وعبدة، بحيث يعلن عن موعد (الفصال) بمدة كافية، ويختار له الوقت الذي يناسب الشيخ وأولياء التلميذ، ثم يكتب اللوح كتابة خاصة، إذ ربما احتفظ به التلميذ طول حياته، يتذكر فيه شيخه، ويتبرك بخطه وتجويده بقلمه (1).

فإذا حان موعد (حفل الفصال) أشعر به (الطالب) في سوق القرية أو في مسجده، وهو الذي يستدعي إلى حفل الفصال من يشاء من طلبة القبيلة أو الجهة، والحضور قد يكون بالعشرات، وربما دُعي إليه حفاظ القراءات بصفة مؤكدة، وخاصة إذا كان المفاصل قد حفظ بعض الروايات.

وأما أهل المفاصل فيدعون من أحبوا من رجال القبيلة، وقد تكون الدعوة الجَفَلَى يحضرها من شاء، وغالبا ما تنصب الخيام لذلك في ساحة أمام المنازل، ويدعى خيالة القبيلة للمشاركة في الحفل، ويكون في هذه الحالة ابتداء من أول الضحى، فيقرأ الطلبة ويجوّدون، ويتبارون في الأراجيز والأنصاص بأنغام حسنة يتفقون فيها، وهم على أكمل حلية وأبهى حلة، وكؤوس الشاي وأطباق الفطائر والحلويات الشهية تدار عليهم إلى أن يحين موعد الغداء،

---

1 - يحتفظ عدد من الطلبة الذين قرأوا بعدي على شيخي سيدي محمد بن إبراهيم في جامع البير الفايض بالكريمات من إقليم الصويرة بلوحة الختمة وعليها تصحيح الشيخ على الكيفية التي اعتادها في الختمة.
ورايت في زيارتي لمدرسة أكلو (مدرسة وجاج الجزولي قديما) عند فقيهها الشيخ السيد محمد بن المكي حفيد المقرئ الشهير الشيخ أحمد بن إبراهيم النجاري (انجار) لوحا مكتوبا مصححا بقلم جده.
ويذكر أن أحد تلامذة أنجار وهو محمد بن أحمد بن التيمولاتي الأخصاصي قرأ عليه بقراءة ابن كثير وما تزال عند أسرته لوحة فيها ختمة للقران وفيها أثر تصحيح قلم أنجار رحمه الله، وتوفي أنجار سنة 1286 وتوفي التيمولاتي سنة 1352 هـ. أنظر كتابنا قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 4/452-453 .

فتقدم الأطعمة المنتخبة المهيأة لمثل هذه المناسبة، وتصلى الصلوات، ويقرأ الطلبة ختمة أو أكثر من القرآن عن طريق التوزيع على الطلبة، فإذا تناولوا الغداء وفرغوا ركب الخيالة، وخرج الطلبة إلى أول الميدان، فحف بهم الخيالة من يمين وشمال، وجاء (التلميذ المفاصل) بلوح الختمة في زيه البلدي، وقد لبس أفخر ما قدر عليه، فتقدم أمام الطلبة، وتقدم الجميع نحو السرادق المقام عند باب المنزل بحركة بطيئة، وقد رفع الطلبة أصواتهم بالأناشيد المعهودة في المناسبة، وأجاب الخيالة بإطلاق دفعات من البارود تعبيراً عن بالغ الفرحة، إلى أن يصلوا إلى البيت، فيقدم التلميذ إلى والديه ونسائه اللوحة التي معه، فيأخذ الجميع في تقبيلها والتبرك بالنظر فيها (1). ويقدم للتلميذ أحيانا التمر والحليب وبعض الهدايا النقدية وغيرها.

وفي أثناء سير هذا الموكب نحو المنزل يتقدم الوالد أو الولي إلى شيخ ولده يقود وراءه هدية قد أعدها للمناسبة، وهي عبارة عن ثور أو بقرة أو عجل بحسب يسر الحال وعسره. ويدفع ذلك للفقيه، ومعه رزمة كسوة كاملة له وربما أضيف إليها في العهود الأخيرة كسوة لأهله من آخر طراز زيادة في إكرامه، كما يشفع ذلك بهدية نقدية داخل غلاف.

وأما الطلبة الحاضرون فبعد انتهاء هذه المراسيم يأخذون في الأدعية لأهل المنزل والمشاركين في الحفل، ويقدّم هؤلاء الهبات فرادى، حتى إذا اجتمع لهم ذلك تقاسموه بينهم في نهاية الحفل، ويستمر الخيالة في الفرجة إلى آخر النهار، وتستمر حفلات الشاي ومظاهر الفرح والحبور لعدة أيام، وفي عهود

---

1 - يعلق هذا اللوح عادة في صدر بيت الوالدة كزينة من تحف البيت، ويحرص الطالب المفاصل على بقاء اللوح هناك إلى أن يستقل عن والديه فينقله إلى بيته فيجعله في مكتبته كما فعل الشيخ محمد ابن المكي النجاري في مدرسة أكلو قرب تيزنيت، وكما رأيته عند عدد من المشايخ، ويذكر بعض الباحثين من شمال المغرب أن هذه الظاهرة عامة فيقول: «وملازمة القران وقراءته والاحتفاظ بذكريات أيام تحصيله من لوح مكتوب وأقلام إلى غير ذلك من الأشياء التي يحتفظ بها الطلبة والفقهاء، لاعتقادهم أن من مات وهو ملازم لذلك يكون شهيدا»، كتاب الأنصاص القرانية: 73 وفهرسة اليوسي: 116 .

خلت كان بعض الأقارب أو الجيران يعرض على (الطالب المفاصل) عروس المستقبل إذا كانت له رغبة في الزواج.

ومن الأناشيد المستعملة في بلاد دكالة وما جاورها في (حفل الفصال) عندما يتقدم المفاصل بين أيديهم ويتناوبون على ترددها بحسب الصفوف التي خلفه أن يقولوا:

يـــارب عَـلِّـــــــــــمْ ** وأنـــتَ الـعـــــــــــالـم

حـــــامِلَ الـقـــــرآن ** بجــــاه مـــــحـــمـــد

كـــــتـــــابُ رَبِّـي ** ربـــيـــع قَـــلـــبـــي

هــو الـشـــــفــــيـع ** يـوم الحــــســـــابِ

ويقولون إذا كان في بداية التعليم.

يـارب يـا مـــوجـــود ** عـــلّـــم هـــذا المــولـــود

بـجـــــاهِ المُـدَثِّـر ** الـبـــشـــيـــر النذير

الســــراج المنيـــر ** مـــولانا مـــحـــمـــد

صـلـى الـلـه عـلـيـــــه

أما في بعض بلاد الشاوية، فيقدمون الطفل صاحب الحذقة أو الفصال، ويقرأ الطلبة من ورائه بالتناوب بين الصفوف قوله تعالى في سورة آل عمران بصوت واحد: **﴿ربنا آمنا بما أنزلت، واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾**

ثم يرددها من خلفهم وهكذا إلى أن يبلغوا بصاحب الحذقة المنزل، وهم يتناوبون صفا صفا.



# آخر ما بلغني من صور الاحتفال بالفصال بمدينة آسفي

وكان آخر ما بلغني من صور الحفاوة والاحتفال بحفلة بلوغ تلميذ مرحلة (الفصال) بحفظه الكامل لكتاب الله بشهادة معلمه له بذلك، وقيام أهل بيته باستدعاء طلبة الحي والأحياء المجاورة، (حفل فصال) أقيم لتلميذ صغير السن من (كتاب) فقيه يدعى بـ (ولد سي ياسين).

وقد حدثني من حضره في مساء يومه بأواخر شهر رجب الحرام عام 1426 هـ فذكر أن الحفل كان في غاية البهجة، وأن طلبة القرآن المرموقين قد تم استدعاؤهم إليه، لشهرة (الكُتاب) وولوع صاحبه بالتنويه بالمناسبة، واغتباط والدي الطفل بها.

وسألته عن الكيفية التي مر عليها الحفل، فأخبرني أن الطلبة أقبلوا عند الزوال، وبعد تناول طعام الغداء الحافل، قدمت إليهم الفواكه المتنوعة، ثم بعد الفراغ دعوهم إلى الاستعداد للاحتفال بتكريم التلميذ (المفاصل). فجيء به في أبهى حلة، وقدم إليه فرس مطهّم أعدّ للمناسبة فركبه، وسار به من موضع (الكتاب) والطلبة صفوف يسيرون خلفه، وقد علت أصواتهم بتلاوة بعض آي القرآن الكريم المعتادة في المناسبة، وبعض الأدعية المحضرية المحفوظة، وقاموا بجولة على هذه التعبئة في عدد من الشوارع القريبة، ثم اتجهوا مرة أخرى نحو (الكتاب) ومنه زفُّوا التلميذ (المفاصل) على جواده الفارهِ إلى منزل أهله، في جو من الفرحة والحبور والغبطة.



وسألته عن الآية التي كان الطلبة يردّدونها، فأخبرني أنهم كانوا يرفعون أصواتهم بقراءة قوله تعالى في سورة آل عمران على لسان الحواريين:

﴿ربنا آمنا بما أنزلت، واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾

وسألته عن الدعاء المصاحب لها، فقال: كانوا يرددون:

يا ربِّ لا تعَذّب ** حَمَلَةَ القرآن

واجعلْهم نجومْ ** تْضَوِّي للعبادِ

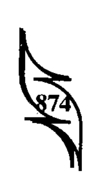
## صورة الحفاوة بصاحب الختمة بالصحراء وشنقيط

ولأهل الصحراء المغربية وما وراءها من قبائل شنقيط تقاليد زائدة في تكريم صاحب الختمة والحذقة، عبر عنها بعض المفتين من علمائهم في سياق الانتقاد لبعض مظاهرها فيما يبدو، فقال:

«فصل منهم من يقرأ الصبيان، فإذا ختم واحد أو بلغ النصف أو الثلث، حمله المعلم على درقة من فوق رؤوسهم، أو على فرس أو جمل، ويجتمع عليه القراء، ويطوفون به البلد كله، يقرأون عليه آيات ومدائح رسول الله –ﷺ– فيعطيهم الناس طعاما وشرابا وغنما وثيابا فيتركونه للفقيه» (1).

وهكذا تتشابه الأعراف والتقاليد الشعبية، وتتقارب الآداب المحضرية، في صور العناية بصاحب الختمة والحفاوة بهذه المناسبة، وتتفنن من جهة ثانية في كيفية التعبير عن بالغ البهجة والغبطة الغامرة بهذا الحدث الجليل، وتكريم صاحبه وتشجيعه على المضي قُدُما في طريق الأخذ

1 –بلاد شنقيط – المنارة والرباط للخليل النحوي: 118 .



والطلب، إلى أن يحقق غايته في الحذق والتحصيل، ويبلغ آخر ما كتب له في حفظ كتاب الله وتحقيق رواياته وحروفه وسائر علومه، وينتهي إلى تحقيق ما كان يصبو إليه في هذا المضمار من رفيع المنزلة، والشفوف على الأقران، كما يتجسد ذلك في شهادة المشيخة له عن طريق الإجازة المكتوبة، وذيوع الصيت عند أهل جهته فمن فوقهم، مما قد يكون مرشحا له عند الأكابر لاقتعاد المرتبة التي تناسب أمثاله في الإفادة والتصدر.

وبذلك تستكمل الدورة التعليمية أخرى حلقاتها التأهيلية ليأخذ المتعلم دوره مرة أخرى في بث ما عنده من العلم، ويحل محل المشيخة فينهض من جانبه بهذه الرسالة تجاه الأجيال الحاضرة والمستقبلة.

## من تقاليد المحضرة في الاحتفاظ بلوحة الختمة في جملة الذخائر

وقد أشرنا سابقا إلى هذا التقليد المحضري المتمثل في احتفاظ كثير من نبلاء الطلبة بذكرى تخرجهم وفصالهم، متجسدة في آخر لوحة كتبوها في طور الطلب، ويفخر بعض هؤلاء الطلبة بامتلاكهم لهذه الألواح، وعليها آثار أقلام بعض مشايخهم من الأعلام، وكلما كان هؤلاء المشايخ أكثر شهرة أو أقدم موتا، كان أولئك الطلبة أكثر اغتباطا بآثارهم، وأحرص على بقائها حتى يرثها عنهم أبناؤهم.

وقد رأيت عددا من هذه الألواح الأثرية عند بعض قراء العصر أو أبنائهم، وقرأت عن آخرين ظلت آثار أقلام أشياخهم على ألواحهم شاهدة على مبلغ تضلعهم ونبل مشيختهم تلك، وتوارثها الأبناء من بعدهم بأسمى ما يكون من الاعتزاز. ومما وقفت عليه من ذلك:

1 – لوحة المقرئ السيد عبد الله بن محمد حميتو خال والدي، وكان حافظا لقراءة أبي عمرو البصري، رأيت لوحته بخطه البارع وعليها تصحيح شيخ له بهذه القراءة، وذلك في منزله. بأولاد سعيد بالشاوية حول عام 1962 م وأحسب أنها ما تزال عند ولده إلى اليوم. وكان قد شارط هناك حتى توفي رحمه الله.

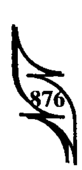
2 – لوحة ختمة بقراءة المكي للقارئ السيد مسعود بن محمد بن الحاج بروك بالكريمات من الشياظمة يحتفظ فيها بآثار قلم شيخنا السيد محمد بن إبراهيم الزغاري –حفظه الله– إمام مسجد البير الفائض سابقا، وقد قرأ عليه بعدنا، وغادره عام 1967 م وعهدي بلوحته في منزله.

3 – لوحة ختمة أيضا بقراءة المكي، وعليها ختمة سورة البقرة مصححة بقلم شيخنا سيدي محمد المذكور، رأيتها عند صاحبها الطالب السيد مصطفى بن بوجمعة بن امحيند الكريمي من مسجد البير الفائض، وقد رأيتها قبل شهور من هذه السنة في مسجده الذي هو مشارط فيه بالعكارطة من إقليم أسفي ببلاد عبدة في شهر ماي عام 2005 م.

4 – لوحة بقراءة حمزة –فيما أذكر– وقفت عليها عند الشيخ المسّن الفقيه السيد محمد بن المكي حفيد المقرئ الشهير أبي العباس أحمد بن إبراهيم البوجرفاوي النجاري المشهور بأنجّار، شيخ مدرسة القراءات بقرية أكلو بضواحي تيزنيت وعليها آثار قلم الشيخ أنجار (ت 1286 هـ) .

5 – لوحة بقراءة المكي للسيد محمد بن أحمد التيمولائي الأخصاصي السوسي (ت 1352 هـ) «وما تزال عند أسرته لوحة فيها ختمة القرآن عليها آثار تصحيح قلم شيخه أنجار» (1).

1 – أنظر كتابنا: قراءة: قراءة الإمام نافع عند المغاربة: 4/451-453 وانظر المعسول: 12/207-210 .



6 – لوحة الأميرة لاله حفصة بنت السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام العلوي. يذكر مؤرخ الدولة العلوية الشهير مولاي عبد الرحمن بن زيدان في ترجمة الأميرة المذكورة أنها كانت تقرأ القرآن برواية البصري، وأن اللوح الذي كانت تقرأ فيه السيدة حفصة ما يزال محفوظا محتفظا به إلى يومنا هذا تبركا به» (1).

## فضيلة من مات وفي لوحه القرآن

وقد ارتبطت بهذا أدبيات في تمجيد طالب القرآن وفضيلة من مات وهو يكتب القرآن في لوحه، وينوه الشيوخ عادة بهذه الفضيلة في تخريجة الختم. فمن الأبيات المتداولة في جميع أنحاء المغرب مما يكتب على حذقة الختم:

ومن مات يكتب القرآن في لوحه ** فلاشك أنه شهيد في موته
ولا تأكل الديدان شيئا من لحمه ** ولا يأكل التراب شيئا من عظمه(2)

وقد علق على هذين البيتين بعض الباحثين من أهل الشمال بقوله:

«وملازمة القرآن وقراءته والاحتفاظ بذكريات أيام تحصيله من لوح مكتوب وأقلام إلى غير ذلك من الأشياء التي يحتفظ بها الطلبة والفقهاء لاعتقادهم أن من مات وهو ملازم لذلك يكون شهيدا» (3).

1 – أنظر الأستاذ محمد محيي الدين المشرفي في موضوع ملوك الدولة العلوية في خدمة كتاب الله: مجلة دعوة الحق العدد الرابع السنة الحادية عشرة ذي القعدة 1387 – فبراير 1968 ص 70 .
2 – مما كان يكتبه لنا جميع من قرأنا عليهم. وانظرهما أيضا في كتاب الأنصاص القرانية 73-74 .
3 –الأنصاص القرانية: 72 .



وفي تراجم بعض الاعلام ما يؤكد هذه الملاحظة.

✓ فقد ذكر المراكشي في الإعلام في ترجمة الفقيه الأديب محمد بن عزوز الرباطي المراكشي أنه «كان يشهد في سماط عدول مراكش في دولة المولى عبد الرحمن العلوي قال:

«وكان يجوّد قراءة القرآن في اللوح بعد كبره» (1).

✓ وذكر مثل ذلك الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102 هـ) في فهرسته فقال عن شيوخه: «ومنهم أبو محمد الحسين بن أحمد المدوري، قرأت عليه القرآن العظيم... وكان من حفاظ القرآن، وكان لم يتركه قط، بل يكتب اللوح ويقرأ فيه شيئا ويمحوه حتى يختم ويرجع، ويقول: إنما أفعل هذا رجاء أن يأتيني الموت والقرآن في لوحي...» (2):

✓ ويحتفظ الكثير من القراء بخطوط مشايخهم على الألواح وفي الإجازات رجاء بركتها وحفاوة بها. ويذكر الإمام أبو العلاء إدريس بن محمد المنجرة الشريف الفاسي (1137 هـ) أنه قرأ على الشيخ الإمام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وسمع منه، وقيد عنه، وأجاز له في سابع رجب عام 1114 هـ في داره المباركة بوادي الشرفاء من فاس، كما أدرك والده الشيخ الإمام سيدي عبد القادر الفاسي (ت 1091 هـ) وتبرك به ودعا له، وكتب له بخطه في لوحه آيات من القرآن العزيز عندما ختمه على السادة، وكذلك أدرك الشيخ سيدي الحسن اليوسي (ت 1102 هـ) وتبرك به وأجازه بخطه في ذي الحجة سنة 1099 » (3).

---

1 - الإعلام للمراكشي: 88/7 .

2 - فهرسة اليوسي: 116 .

3 -الإعلام للمراكشي : 19/3-20 .



وإلى جانب هذه الحفاوة بالختمة واللوحة الأخيرة، أو اللوحة بوجه عام وأدوات الكتابة، بحيث يحرص المولعون من الطلبة بتخليد الذكريات على الاحتفاظ بها أو ببقاياها كما أدركنا طرفا من ذلك عند آبائنا، فهناك حفاوة أخرى أعم، تدخل ضمن الثقافة الشعبية التي تُعتَبَر أثرا من آثار المحضرة ووجودها الملتحم مع الحياة في المنازل والقرى، وتتمثل هذه الحفاوة في رواية طائفة من القصص ذات مضمون ديني وتربوي، لحمته وسَداه تمجيد حامل القرآن الكريم، ورجاء شفاعته عند الله عز وجل في أبيه وأمه وأهله.

وهذه القصص ذات طابع غيبي، ونسيج تمثيلي، لا يخلو من حوار ومناجاة تتم في سبيل الحصول على الشفاعة الإلهية مع بعض ملائكة الجنة والنار.

وقد كنا ونحن في سن الصبا، نسمع بعض المداحين في المواسم ينشدون واحدة من هذه القصص التي تصور دخول الصبي الصغير الذي يموت ولوحه في (الجامع) - منازل الفردوس الأعلى في الجنان، ولكنه لا يطيب له بها قرار، حتى يذهب إلى خازن الجنان فيسأله عن والديه، حتى إذا أعياه أن يجد عنده خبرا عنهما، ذهب إلى خازن النار -أعاذنا الله منها- فإذا به يرى والديه يصليان بحرها وسعيرها، فيبكي الصبي (المحضار) على الله عز وجل، ويسأله الشفاعة لوالديه بحق القرآن، فيأمره ربه بأن يدخل النار فيخرجهما، حتى إذا هم بدخول النار وجد أن النيران



تفر من وجهه، وتعود بردا وسلاما عليه، فيدخل دركات السعير، فيأخذ بأيدي أبويه حتى يخرجهما، فيأمر الله بهما إلى الجنة بفضل إقرائهما لولدهما القرآن، إكراما لحامل القرآن بشفاعة القرآن.

وهذه القصة لها شواهد من الأحاديث والآثار يمكن أن تكون أصلا لها (1) وفي معناها الحديث الذي أشار إليه الإمام الشاطبي -رحمه الله- بقوله في أول الحرز:

فيا أيها القاري به متمسِّكا ** مُجِلاًّ له في كل حال مبجَّلا
هنيئاً مريئاً والداك عليهما ** ملابسُ أنوار من التاج والحُلا
فما ظنُّكم بالنَّجل عند جَزائه ** أولئك أهلُ الله والصَّفوة الملا (2)

قال الحافظ أبو شامة المقدسي في شرح هذه الأبيات من الحرز:

«والمنظوم في هذا البيت حديث أخرجه أبو داود وغيره من حديث سهل بن معاذ الجهني عن أبيه -رضي الله عنهم أن رسول الله - ﷺ - قال:

من قرأ القرآن وعمل بما فيه، أُلْبِس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءُه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم، فما ظنكم بالذي عمل بهذا» (3).

---

1 -ومن ذلك الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: من قرأ القرآن فاستظهره ، فأحل حلاله وحرم حرامه، أدخله الله الجنة، وشفعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار» انظر جمال القراء للسخاوي: 101/1

2- متن الشاطبية: الأبيات من 15-17 .

3 - إبراز المعاني من حرز الأماني للحافظ أبي شامة: 133/1-134 والحديث المذكور في سنن أبي داود: 229/1 باب في ثواب قراءة القرآن، وانظر جمال القراء السخاوي 119/1 .



قال أبو شامة:

وفي مسند بَقِيّ بن مَخْلَد عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ-، قال: ويُكسى والداه حُلة لا تقوم لها الدنيا وما فيها» (1).

قلت: وما ذكرته من قصة شفاعة (المحضار) لوالديه مما كنت أسمعه في المواسم من المداحين يحكى مثله في بلدان أخرى مجاورة، وربما بلهجة أخرى مع الاحتفاظ بالسياق والمضمون مما يدل على فشو القصة وانتشارها.

فقد حكى الأستاذ الحسن أبندو الحاحي -رحمه الله- في مذكراته، وهو يتحدث عن ذكريات صباه أنه كان يعجبه أن يجلس كل مساء مع أفراد من أهل بيته إلى جدته المسنة في سمر ليلي، فكانت تقص عليه بالأمازيغية، فذكر من قصصها المختارة التي «كانت تحفظها حفظا جيدا، وتقصها بصوت موزون رنان، فتقبل عليها البنات الصغار والأوانس وحتى النساء إذا حضرن لغياب أزواجهن، - قصة (أمحضار)، وموضوعها ثبوت الشفاعة للطفل القارئ، فيشفع في والديه إذا استحقا دخول النار، فيخرجان منها ويدخلان الجنة بشفاعته» (2).

ومن القصص المشابهة ذات المضمون التربوي المعبر قصة أخرى حكاها بعض الباحثين، فذكر أن «للمغاربة في التسابق إلى تعلم القرآن وحفظه حكايات وقصائد شعبية نظمت في فضل القرآن وحفظه، وتروى قصيدة تحكي قصة رجل وزوجته أعطاهما الله ولدا، فاختلفا في توجيهه،

---

1 - إبراز المعاني: 134/1، وبقي بن مخلد هو أبو عبد الرحمن القرطبي صاحب التفسير والمسند وغيرهما، توفي سنة 276. أنظر ترجمته في الصلة لابن بشكوال: 116/1.

2- المتعة والراحة للفقيه إبراهيم إذ إبراهيم التامري: 313/1.



فالأب يقترح أن يساعده الطفل على نوائب الدهر ومشاكل الحياة، بينما الأم تلح على بعثه لقراءة القرآن في (المسيد)، فتخاصما إلى القاضي الذي حكم للزوج بأن يشغل ولده يومين، وللأم أن تبعثه (للمسيد) يوما واحدا، قياسا على آية المواريث: (للذكر مثل حظ الأنثيين)، واستمر الطفل في ازدواجية العمل إلى أن حقق الله أمنية أمه» (1).

## من أشهر الأراجيز في فضل القرآن العظيم ومنزلة حامله مما ينشده طلبة المحاضر

أفضلُ ما يتلى وما يقال ** وخير ما ينفق فيه المالُ
قراءة القرآن عند الناس ** كذا روى أئمة القياس
ليس يرى على الأرض كمثله ** سبعين ألفا يشفعن من أهله
ولا يحاسب ولا يُسأل ** أهل الرواية جميعا قالوا
يا من يريد القرب من مولاه ** فليقرإ القرآن لا ينساه
جاء لكل حرف عشر حسنات ** كذاك تمحى عنه عشر سيئات
ومن قراه يا أخي بالطهر ** لكل حرف (كة) فافهم وادر (2)
ومن قراه في الصلاة قائما ** خمسون للحرف، فكن معلّما
بفهم أو بغير فهم يا فتى ** هذا هو الفضل من الله أتى
رواه من تعلمه يا صاحبي ** عن الحسن بن علي عن النبي

---

1 - كتاب الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي: 21/1 .
2 - رمز: «كه» يعني: خمسا وعشرين حسنة بحساب الجمل.



وفــي روايــة أنــت عــن خـلــف ** يشــفـع في ســبــعين ألف ألف
وقــيل أيضـــا: حـــامل القـــرآن ** يشـفع في القـربى وفي الجيران
أولْ مـــا يشــــفـع في أبيـــه ** وأمـــه والأخت مـع أخــــيـــه
مَــقـــامـــه في منزل النبـــوءة ** يـكون بـين الخلـق والـنبـــوءة
يكون في القـــبـــر عليـــه نوره ** وهيـــبــــة وقـــبــــة مـــبــــرورة
ســتـون حـزبا مـا لـهـا من قيـمـة ** أجــورها كــبـيـرة عظيـمـــة
هــي لــنــا فـــي الـحـق رأس المــال ** وبعـــدهـا عـــبــادة في الحـــال
أعنًا يا ربي على إدراكــــهــــا ** وافـتح لنا يا رب في إمســاكـهـا
واعطنا يا رب القلوب الراجـحــة ** بعـز الذكـر وبفـضل الفـاتحـة
بســـورة البكر وبالعــــمــــران ** انصـــرنا يا رب على الشـيطان
بســــورة الأنفـــال والأعـــراف ** مـــيــــزاننا غـــداً يكون وافي
وصـــل يـــا رب وســـلـــم أبـــدا ** على مـحـمـد ومن به اقـتـدى
نور الـوجـــود صـــفـــوة الإلـه ** من جـمـلة الكون عظيم الجـاه
وآله وصـــحـــبـــه الأخـــيـــار ** مـــا دام ملك ربنا الـغـفـــار (1)

1 - عن كتاب مجموع القصائد والأدعية في التوسل للشريف محمد بن عبد الرحمن: 14-15 .



# حرص الآباء وتشجيعهم أولادهم على حفظ كتاب الله

لقد قال أحد شعراء الإسلام قديما ذلك البيت السائر الذي يمجد نبوغ الأبناء وحصول كثير من الآباء على مراتب الشرف بسبب نجابة من أنجبوا من الأبناء، وهو قوله:

وكم أب قد علا بابن ذُرى شرفٍ ** كما علَت برسول الله عدنانُ (1)

وكذلك الشأن في كثير من البيوت الخاملة التي لولا بروز من برز فيها من علية أبنائها ما كان لها شأن، ولا طار لها صيت ولا ذكر، ولا سيما في البوادي القاحلة والأصقاع النائية، حيث تنعدم الحوافز، وتفتر الهمم عن الطلب، ويرضى الساكن بواقع الحال.

لكن نافذة واحدة هي عند أهل البادية قديما كانت مطلع النور وطالع السعد عليهم، وذلك حين ينبغ فيهم حامل للقرآن، أو يظهر فيهم فقيه من الفقهاء، لا سيما في بعض الأوساط التي يندر أن يحدث فيها مثل هذا الحدث الجليل.

ولقد أخبرني (طالب) من نيجيريا في إحدى مسابقات التجويد بمصر أن حامل القرآن في هذه البلاد إذا أقام له شيخه ووالده (حفلة الفصال) لم تكد تنتهي هذه الحفلة حتى تنصبّ على أهله الطلبات والعزمات من كل الجهات، يعرضون على حامل القرآن الزواج من بناتهم بالمجان، بل يتعهدون له بمؤونة العيش، ويكفونه همها إكراما له وتنويها بمنزلته.

---

1 - هو للشاعر ابن الرومي. انظر الديوان.



وكذلك أدركنا الناس في منتصف القرن الماضي على كثرة أهل هذا الشأن عندنا–والحمد لله.

وقد نوّه بعض الباحثين عندنا بهذه الظاهرة الشعبية التي تمثل رسوخ جذور الإيمان عند شعبنا، ومقدار تشبثه واعتزازه بكتاب الله فقال:

«وقد كان الناس في تعليم القرآن وتعلمه في حرص شديد وشوق زائد، وكثيرا ما يتمنى إنسان منهم أن يرى من أولاده الذين خرجوا من صلبه، من يستظهر القرآن الكريم، ثم إذا عاينه، فإنه يجعله سيد إخوته، ويتصدق عليه بشيء من ماله يوم الحذقة» (1).

والعادة المألوفة عند العائلات إلى زمن قريب، وخاصة في البوادي تعيين الولد الأول الذي ترزقه الأسرة ليكون أول ثمرات الشكر على وجودها بإدخاله للكتاب، والحرص على تحفيظه كتاب الله، وكثيرا ما يؤثر ذلك على إخوته من بعده فيصحبهم معه إلى الكتاب أو الجامع، فلا يمر وقت يسير حتى يكون الاثنان والثلاثة أو أكثر في متابعة الحفظ ومواصلته (2).

# كيف تدرج المولف في المحاضر

وقد سلك بي والدي –رحمه الله– وبأخي هذه الطريقة، فقد ولد له أخي الأكبر، فدفعه إلى الجامع، ثم ولدت بعدَه فسلك بي السبيل نفسه، وقد اختار –رحمه الله– من أجلنا أن يشارط في جامع جماعتنا علي

---

1 – الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للأستاذ إبراهيم الوافي: 20-21

2 – بهذا ومثله كان لوالدي –رحمه الله– ثمانية أعمام، سبعة منهم كلهم قرأ القرآن، ووالده إبراهيم هاجر من نواحي أكادير بسبب الشرط، فاستقر بأسرته حيث ولد أبي بالشياظمة من إقليم الصويرة ثم ولدت أنا وأخي الأستاذ عبد الحميد شقيقي، فمن الله علينا بما من على الوالد ووالده وجده وأعمامه بحفظ كتابه تقبل الله من الجميع وتغمدهم بواسع رحمته، وبارك في الأحياء منهم.

ضعفها، فكان يحملني إلى الجامع في ذراعه لصغر سني، فابتدأت حروف الهجاء عند طالب كان مشارطا في الجامع كبير السن، لا يعرف إلا باسم (الطالب الشيباني) وهو غريب عن البلد، ثم شارط خال والدي، واسمه الحسين بن محمد ، فقرأت عليه -رحمه الله- من حزب سبح إلى سورة الشورى، فشارط والدي، فقرأت عليه منها إلى قريب من الختمة الأولى، فشارط طالب من الجماعة يدعى السيد بوجمعة بن صدّيق، فختمت عليه -رحمه الله- وبلغت في الثانية إلى أول سورة الأعراف، فشارط طالب يدعى السيد محمد بن البوهالي، وكان يعرف باسم (الطالب الأعور) لخزر في عينيه، فقرأت عليه خمسة أحزاب ، فماتت الوالدة -رحمها الله تعالى- فنقلني أبي إلى جامع بعيد عن جماعتنا، فكنا أنا وأخي نبقى فيه الأسبوع كله، وكان المشارط فيه خال أبيَ الآنف الذكر- ولم يكن مواظبا، فكنا قلما نمحو الألواح، فلما تزوج أبي مرة أخرى أصهر إلى حامل قرآن كان أولاده يقرأون عليه، فلما مضى زمن العرس حملنا الوالد أنا وأخي وأحد أولاد صهره، وكان جامعا للأسوار أكثر منا، فحططنا رحال «التخنيشة» بمعنى الكلمة عند شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري بجامع البير الفايض بالكريمات من إقليم الصويرة، فابتدأت من قوله تعالى في سورة يونس: (واتل عليهم نبأ نوح) وكان هذا الشيخ قد شارط في هذا الجامع قبل عام واحد وذلك سنة 1369 هـ - 1949 م فلازمناه سنوات، ثم فارقناه قبل تَمام التحصيل بعد أن هرب أخي إلى شيشاوة ليقرأ على طالب من قبيلة امتوكة مشارط هناك، وكان من أهل العلم، فرجع أخي حتى اصطحبني معه، فأقمنا عنده نحو السنة، وفي هذه المدة حفظت منظومة ابن عاشر والجُمل في النحو، وأول لامية الأفعال، وأرجوزة الزواوي، وحفظت الكثير من



الأدبيات، ثم رجعت إلى البلاد مع أخي، فعدنا مرة أخرى إلى شيخنا الزغاري، وابتدأ أخي برواية قالون ثم المكي، والتحق بنا طلبة آخرون من أهل الرواية، فكنت أحفظ كل ما يرسمه الطالب في ألواحهم، ولزمت هذا الجامع إلى أن جاء الاستقلال فشارط أبي مرة أخرى في جامع غير بعيد من جماعتنا، فجاء بي لأقرأ عليه، وأنا في سن الثالثة عشرة، ثم انتقل إلى مسجد ثالث بعيد، فانتقلت معه لمدة شهر فقط، ثم هربت من البيت، والتحقت بجامع في طريق مراكش فأقمت فيه أقرأ وأصحح ألواح الطلبة، وكان شيخه فقيها قد درس في مدرسة السعيدات الشهيرة بقبيلة أولاد ابن السبع. فقرأت عليه تمام الختمة السادسة، وحفظت الكثير من الأدبيات.

ثم كانت زيارة زعيم حزب الإستقلال يومئذ الأستاذ علال الفاسي للمنطقة، فحضرت مع والدي في سوق القبيلة حيث تم استقباله، فالقى - رحمه الله- كلمة توجيهية دعا الناس فيها إلى تعليم أولادهم العلم الشريف، وقرأ قول الله تعالى في سورة التوبة: **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾** وفسرها، فما كان من والدي: عبد الله ابن إبراهيم حميتو- إلا أن قرّر النزوح من البادية بسببي، والتحق بمراكش وسجلني من الغد في مدرسة ابن يوسف للتعليم الأصيل، وذلك في 20 يناير 1957 م وتلك هي بداية دراستي في المعاهد الأصلية.



## صورة من تضحية الوالد -رحمه الله-

كنت وما أزال أتذكر هذه التضحية من والدي -رحمه الله- وتتمثل في اقتحام هذا المجهل الجديد بلا عدة، وهو سُكنى الحاضرة وتحمل أعباء الكراء وتكاليف المعيشة مع الفقر المُدقع والخَصاصة المتناهية، إذ لم يكن عنده غير آلة خياطة صغيرة يعمل بها بياض يومه في بعض قيساريات مراكش، يخيط قمصان الجملة بثمن لا يكاد يسد الرمَق، هذا إذا فتح الله في ذلك فوجدها.

وكان ما كان مما لست أذكره ** فظن خيرا، ولا تسأل عن الخبر

وتتابعت السنون إلى أن أصبح كاتب هذه السطور أستاذاً جامعيا له راتب محترم -بحمد الله- فبينما أنا مرة جالس قرب منزل الوالد في مسقط الرأس حول عام 1984 م جاءني شيخ كبير كان من خلصان الوالد، وكان ضعيف الحال جدا، على الرغم من وجود أبنائه الذكور والإناث، وكان والدي يومئذ مقيما بالدار البيضاء مع إخوتي، وقد بسط الله له في الرزق مما كان بمرأى ومسمع من هذا الشيخ الزائر المتحدث إليَّ.

وأذكر أنه قال لي يومئذ بمرارة: لقد كان أبوك رجلا حكيما، فسألته عن ذلك؟ فقال: لقيته قبل ثلاثين سنة في هذا المكان -وأشار إلى قطعة أرض فلاحية- وهو ممسك بيده المحراث، وزوج الحمير الذي يحرث به في أشد الهُزال، والبردُ قارس، والسنة شديدة، وهو في غاية الضعف والمسكنة، يعالج المحراث فلا تستقيم في يده، فأردت أن أساعده وأسليَّه، فقلت له: يا سيدي عبد الله، أنت رجل عاقل لا تحتاج إلى ناصح مثلي،

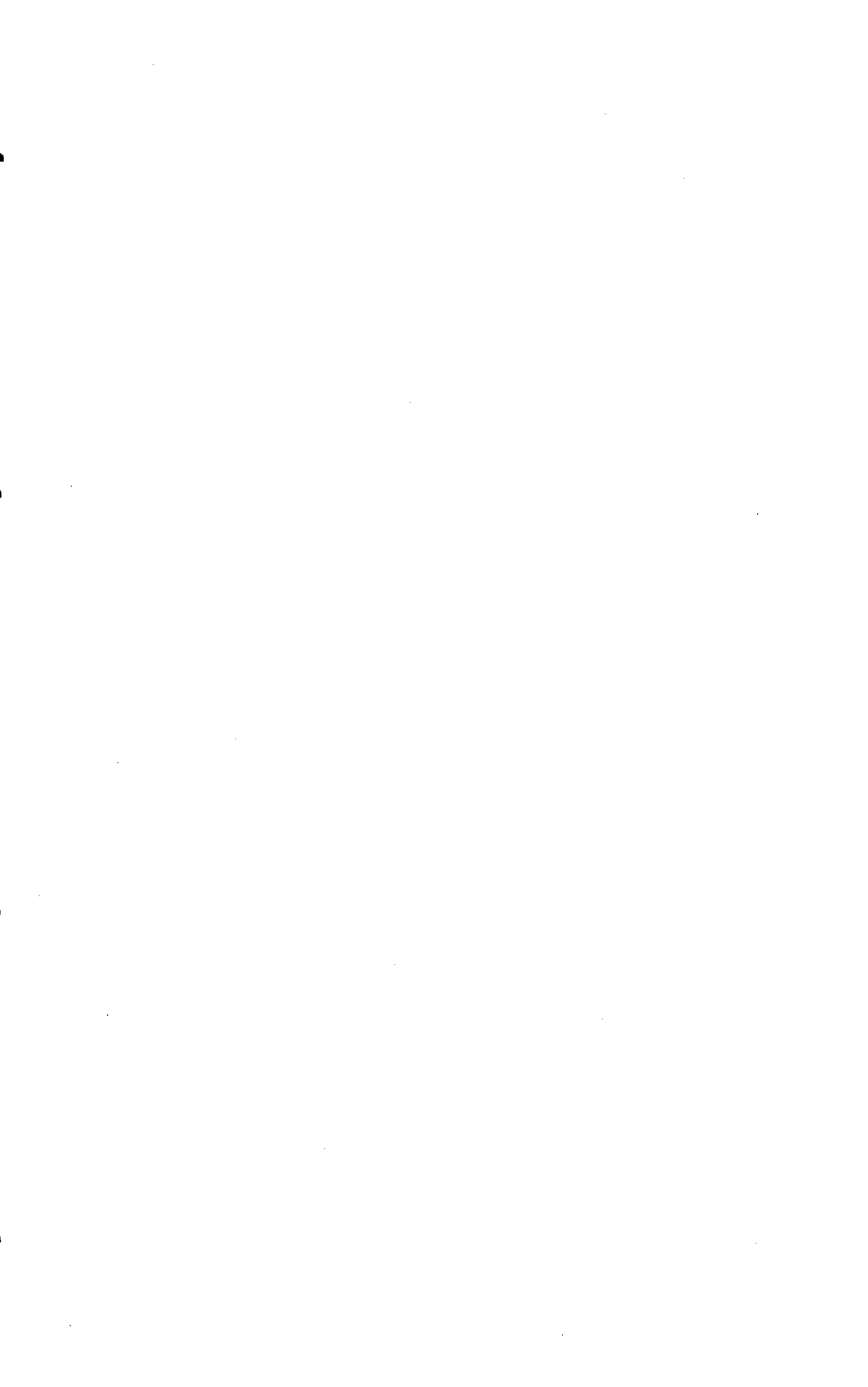


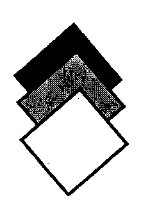
ولكني رأيتك على هذه الحال فأشفقت عليك، ولم تطب بها نفسي، وأنت طالب قرآن! قال: قال لي: وما هذه الحال التي لم تعجبك؟ فقلت: حالك وأنت تُمسك المحراث بيدك، وزوج الحراثة لا يطاوعُك، قال: فقال لي: وماذا ترى؟ قال: فقلت له: إن لك ولدين تركتهما مستريحيْن في (الجامع) وتحملت أنت هذه المحنة! قال: فماذا تقترح؟ قال: أقترح عليك ما اخترته لأولادي، إن لي من الأولاد كذا وكذا، دفعت هذا إلى فلان ليسرح له الغنم، وهذا إلى فلان ليخدم عنده.. فلو أنك دفعت ولديك إلى بعض الناس، لأمكنك بما تقبضه من أجرتهما كل أسبوع أن تستأجر من يحرث لك أرضك، ويبقى لك ما تستعين به على المصاريف الأخرى مثلي. قال: فأجابني بجواب لم أدرك حكمته إلا اليوم، حين أنظر إليه وأنظر إليك وإلى أخيك في هذه الحال الحسنة. فقلت: وما قال لك في الجواب؟

قال: قال لي: أنت بنصيحتك هذه لا تريد المحنة لي فقط، وإنما تريدها لي ولأبنائي! قال: فأبقاني الله حتى رأيت ما صار إليه أولادي، وأنت تعرفهم، وصار إليه أولاده اليوم، فلا أزال أتذكر كلمته التي أجابني بها وأعجب منها.

فرحم الله تعالى هذه النفوس الطيبة، والهمم الرفيعة العالية، وضاعف لها الأجر والمثوبة على هذه التضحيات الجسام من أجل راحتنا، وأدخل عليها الرَّوح والريحان، وتغمدها بواسع الرحمة وعميم الغفران، إنه عز وجل سميع مجيب.

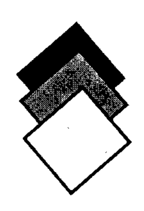






# البـــاب الحادي عشر

## الدور التربوي للمؤدب ونظام التعزيرات
## وأوقات العطل والأنشطة الموازية
## وما يتعلق بها من أدبيات ومراسيم محضرية





# الفصل الأول

## الدور التربوي للمؤدب في الكتاب والطالب في المحضرة وما قام عليه من أدبيات

على الرغم من الطابع السلطوي الذي قد يصطبغ به دور (المؤدب) في (الكتاب) و(الطالب) في (المحضرة)، وعلى الرغم من الشحنة العدائية التي ربما تطغى على تصور العلاقة بين الوليد الصغير وبين هذا الشيخ الغريب السحنة عنه الذي يساق إليه سوقا، ويترك بين يديه لا يملك لنفسه خلاصا من نظراته الشاخصة، ودرته المتربصة، وحركاته المريبة، وجديته التي لا تعرف للهزل طريقا.

على الرغم من كل ذلك، فإن النظرة العقلانية إلى هذه العلاقة بعيدا عن هذا التصور المبالغ فيه، تكشف عن خيوط وشائج عاطفية عميقة تصل بين هذا الولد وبين المتمرس بالتربية والتلعليم، وهي في باطنها علاقة حميمة لا تختلف كثيرا عن العلاقة الأبوية ورابطة اللحم والدم، إن لم تفقها أحيانا.

ومخطئ كل الخطإ من ينظر إلى المظاهر ويغفل عن الجوهر، ذلك أن دور المؤدب في الكتاب والطالب في المحضرة والأستاذ في المدرسة ليس دائما دورا تعليميا محضا ينحصر فقط في شحن أذهان المتعلمين بالمعارف، ويقوم عمله على التلقين والإقراء والتكتيب والتحفيظ، وإنما يتعدى ذلك إلى التأثير التربوي في طلبته بسلوكه الشخصي، وأخلاقه المتميزة،



وسَمْته المنسجم مع وظيفته التهذيبية، وإيثاره وحسن هديه في تعامله مع المتعلمين ومع الناس.

ومن ثم فإن حقائق نفسه سرعان ما تنطبع في تلامذته، وسيرته معهم سرعان ما تخلف أثرها في سيرهم، فيعتادون على الأدب والحياء والتواضع، وترتسم شخصيته أمامهم في التصرف، وإذا هو قدوتهم في الحال والمآل. ولذلك يحرص العديد من مشايخ المحاضر وأساتيذ المقارئ على تكوين طلبتهم الذين يتوسمون فيهم مخايل النجابة وبوادر الخير، فيقدمون إليهم تكوينا مزدوجا، يجمع بين العلم والعمل، فيحثونهم على التحلي بالآداب ومكارم الأخلاق، ويربون فيهم مشاعر التقوى والصلاح والخوف من الله عز وجل، ويدربونهم على الطاعات، والمحافظة على الصلوات والجماعات، ويعودونهم على الانضباط في مواقيت الأعمال، ويغرسون في أنفسهم حب التضحية براحة الجسم، والصبر على شظف العيش، وعدم الإخلاد إلى الكسل. ومن عاد إلى تراجم المشايخ في كتب الرجال وجد فيهم هذه الخلال والشمائل، والثناء عليهم بها قرين الثناء عليهم برسوخ القدم في العلم والتمكن فيه.



# أنماط من تربية المشايخ على الحياء والاستقامة

أذكر من هذه الأنماط أمثلة كثيرة من سيرة شيخنا سيدي محمد بن إبراهيم الزغاري مع طلبته وتلامذته، وأتذكر منها حدثين يتعلقان بي:

**الأول**: وقد بلغني أنه كان يستعمله مع كثيرين غيري ويكرر الاختبار مرات فيه، وصورته، أنه كان له حانوت في داخل (الحضار) فيه كتبه وأمتعته وسائر ما يحتفظ به من الذخائر، وهو حانوت يفضي إلى حجرة أخرى داخلية فيها ما يدخره لوقت الحاجة من الطعام والسمن والعسل والزيت وغير ذلك.

وكان ربما احتاج أثناء وجوده في (الحضار) بين طلبته إلى شيء في هذا المخزن أو في القسم الخارجي من الحانوت، فيريد من يأتيه به، فلا يبعث في ذلك بالمفتاح إلا من يثق بأمانته، وهو لا يثق بأمانته إلا بعد اختبار وتجربة متكررة.

وكان أبسط ما يفعله مثلا: أن يضع في طاقة هناك آنية فيها حبات من اللوز أو تمرات، وهي في متناول اليد في العادة، ويكون قد أحصى عددها، وربما وضع بدلا من ذلك قطعا من الخبز في طبق أو في منديل، أو ترك بعض الشأي في إبريق، ويكون في كل ذلك قد عرف القدر أو العدد، فيرسل التلميذ أو الطالب الجديد المرة بعد المرة، حتى إذا وجده قد أصاب مما أمامه شيئا وغلبته نفسه، لم يعد يطمئن إليه في شيء، ولا يستعمله بعد ذلك في قضاء حاجته، وقد فطن لذلك طلبته فأصبحوا يتواصون بتوقير



حانوت الطالب، ثم تربوا على توقير كل ما هو في المسجد وعدم مدّ اليد إلى شيء لم يؤذن لهم فيه، ونشأوا على الأمانة وحفظها.

**الأمر الثاني**: ويتعلق بالحياء من الشيخ وتوقيره أمام الناس. وقصته باختصار أن الشيخ -حفظه الله- كان يوم سوق القبيلة قد دخل مسجد السوق، وفي المسجد بيت طويل يجلس فيه طلبة القبيلة يوم السوق، ويشربون فيه الشاي، فبينما الشيخ في هذا المجلس مع طائفة من طلبة القبيلة ممن هم في مثل سنه وغيرهم، دخلت البيت المذكور، وأنا لا أتوقع وجوده فيه، فلما وجدته هناك دخلت إلى جهة غير مواجهة له، وجلست مع بعض الطلبة، ولم أر في هذا شيئا لصغر سني، فلما لقيته من الغد في مجلس الدرس قال لي: ما هذا الذي فعلته أمس؟ فقلت: أين؟ قال: عندما دخلت المجلس وأنا فيه! قلت: وماذا فعلت؟ قال: كان عليك أن تتأكد من عدم وجودي هناك أوّلا، وإذا فوجئت بوجودي كان عليك أن تتقدم إلي وحدي، فتقبل رأسي بين الحاضرين، فإذا أذنت لك جلست، وإلا انصرفت بأدب، وإلا فما يؤمنك وأنت معي في نفس المجلس أن يقول بعض الحاضرين أو يفعل شيئاً بمحضر شيخك يخدش الحياء الذي يجب أن يكون بينك وبينه؟ فإياك أن تعود إلى مثلها.

هكذا هي التربية في رفق وأدب جم.

نعم قد يضطر المؤدب في كتّابه، والطالب في محضرته، إلى نوع من الصرامة التي تحفظ الهيبة، وتصون الحُرمة، وربما احتاج معها إلى اتخاذ إجراءات زجرية، وسن عقوبات محددة، تساعد على تحقيق قدر كاف من الانضباط والاحترام، وتوفير مستوى من الجدية والاستقامة في السلوك، وتتناسب مع ما قد يبدُر من بعض العناصر التي تفتقر إلى الرعاية



والتقويم، وهي عناصر لا يكاد يخلو منها زمان ولا مكان، و«إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن»، كما جاء في الأثر عن سيدنا عثمان.

من هنا كان لابد من غضّ الطرف، والتغاضي عن بعض ما اعتاد الناس أن يوجهوه إلى حياة المحضرة من انتقاد»، وما يسمونها به أو يَسِمُون القائمين عليها بالقساوة وغلظة الأكباد. تعميما منهم لهذه الأنباز التي قد يرسلونها بغير حساب.

لهذا عُني المنظرون من علمائنا منذ القديم بدراسة نظام التعزيرات، ووضعوا له ضوابط وتقديرات، فمنعوا من ذلك ما منعوا، وسمحوا منه بما سمحوا، وفق معيار تربوي، وبميزان شرعي، لا إفراط فيه ولا تفريط، وسارت المشيخة في ذلك على هذا النظام الوسط في الغالب، إلا في حالات محدودة شاذة، وإلاَّ عند أناس يَغلب على طباعهم نوع من الإنفعال والغضبية، فإن لهم في ذلك أساليب وتصرفات أساءت إلى هذا المنصب، وحُسِبت عليه، بل جرى تعميمها في التصور عند كثير من الناس على هذا النوع من التعليم، وهذه الفئة من المعلمين.

ونظرا لما أفرزته هذه الأوضاع الشاذة في طائفة من الكتاتيب والمحاضر قديما وحديثا من كراهية تمثلت في مواقف بعض الأدباء منها، فعبروا عن جو المعاناة التي تعرضوا لها أو شاهدوها، وفي تراجم آخرين من المشايخ الذين اشتهروا بنوع من الفظاظة في التأديب، ولهذه الصلة التي لهذه الأدبيات بالكتّاب والمحضرة، أقف بالقارئ الكريم عند صور من تلك المعاناة المعبر عنها في تلك الأدبيات، لنرى كيف كانت تلك التصرفات الغليظة مثارا للسخط عند جمهور المتعلمين، وكيف ظلت ذكرياتها عالقة بالأذهان، لا يمحوها تطاول الزمان، وتعاقب الحدثان.



## الدِّرَّة ونظام التعزيرات في الكتاب والمحضرة

وقد اقترن اسم الكتاب في الأذهان منذ القديم باسم (الدِّرة) وهي بكسر الدال: قضيب متوسط يستعمل للزجر والتخويف، وأحيانا للعقوبة والتأديب عند الاقتضاء.

وقد تقدم أن اسم (المدرر) بمعنى (المؤدب) مأخوذ من استعمال (الدرّة) في الكتاب. ولهذا التلازُم في الأذهان بين الكُتاب وبين الدرّة تساءل المنظرون عن عدد الدرر التي يستحقها الصبي حسب نوع المخالفة كما وقع تحديدُ ذلك في النصوص المأثورة عن بعض المنظرين المتقدمين فيما رأيناه.

ولم ينسوا منذ القديم أن يبحثوا ويتساءلوا من الذي يشتري هذه الأدوات بعد أن حسموا مسألة (الحضار) ومن الذي عليه أن يتخذه. وعلى من كراؤه إذا كان مأخوذاً بالكراء؟؟؟ فقال أبو الحسن القابسي في رسالته مُبيّنا لذلك ومستدلاً له ومقدراً:

«وشراءُ الدِرة والفلقة على المعلم، ليس على الصبيان، وكذلك كراء الحانوت» (1).

وقال الشيخ أبو العباس المغراوي في «جامع الإختصار والتبيان» في تحديد العقوبة:

«وأما المضروب عليه فالصلاة واللوح والشتم والهروب من المكتب والكذب وعقوق الوالدين ومخالطة أقران السوء وغير ذلك من المصالح.

---

1 – الرسالة المفصلة: 323، وانظر مثله في جامع جوامع الاختصار للمغراوي: 91.



فعلى الصلاة ثلاثة أسواط، وعلى اللوح خمسة، وعلى الشتم سبعة، وعلى الهروب عشرة أسواط.

وقال ابن أبي زيد: يضرب على البطالة (1) بعشر دِرَّات أي: أسواط، ومنه سُميَّ (الدرّار) وعلى القراءة بثلاث دِرات، فإن تجاوز اقتُصَّ منه... وفيما حكاه ابن أبي زيد أنه قد يجمع دِرات ويضرب بهن ضربة واحدة» (2).

وقال المغراوي في موضع آخر من كتابه في استعمال كلمة (درّار) بمعنى: معلم:

«وقد حكى لنا بعض الناس أنه تداعى درّاران حذقة بفاس -أبقاها الله دار إسلام - في دولة أميرها الأزرق، فلم يجد عالم الوقت ترجيحا، إلا أن يكون أحدهما يأمر الصبي بكتب الصلاة على النبي - ﷺ- عقب البسملة أو إلحاقها له حين تصحيح لوحه، والآخر يترك ذلك، فحكم بها لكاتب التصلية، فليكن المعلم مهتما بها، فإنها (3) نافعة دافعة شافعة.

---

1 - البطالة: عدم حفظ لوحه في يومه ليمحوه من الغد.

2 - أنظر كتاب المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه «جامع جوامع الختصار والتبيان، فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان: 86 .

3 - يعني كتابة: « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما» في أعلى اللوح بعد البسملة. ومازال العمل جاريا بذلك، وبه قرأنا على جميع شيوخنا رحمهم الله.



## فتاوى العلماء عن التأديب وقدره

### إذا أخطأ المعلم وعاقب بريئا من الصبيان

«وسئل ابن أبي زيد عن المعلم ربما أراد أن يضرب صبيا فتقع يده على آخر، أو حذف (1). (الدرة) على صبي فجاءت في آخر، وربما ضرب الصبي على شيء ثم تبين خلافُ ما اعتقد، فهل يتحلل من ذلك الصبي أو الأب، أم لا يجب عليه تحلّلٌ؟

فأجاب:

«إذا فعل ذلك على وجه الخطإ فلا شيء عليه في الحكم، ما لم يكن جرحا. ومن جهة التنزُّه فإنه يتحلّل الصبيَّ من ذلك، وهو حسن وليس بلازم» (2).

### إذا جاوز المعلم الحد في ضرب الصبي

«وسئل أبو الحسن القابسي عما إذا جاوز المؤدب على ضرب الأدب؟

فأجاب:

هذا معلوم ما فيه جهل، لأني قدّمت: لا يضرب الصبي وهو غضبان. وضرْبُ الصبي إنما هو [بالدرة الرطبة] المأمونة، لئلا يؤثر أثر سوء، ويجتنب ضرب الرأس والوجه».

---

1 - حذف: رمى.

2 - المعيار للونشريسي: 2/276-277 وكذا: 8/242 .



وفي كتاب سحنون: لو ضرب صبيا ففقأ عينه أو كسر يده، فإن ضربه (بالدرة) على الأدب وأصابه بعودها فالدية على العاقلة (1)، إذا فَعَل ما يجوز له، فإذا مات الصبي فالدية على العاقلة بقسامة (2) وعليه الكفارة.

وإن ضربه (باللوح) أو بعصا فقتله فعليه القصاص، لأنه لم يؤذن له أن يضربه بِعَصاً ولا لوح» (3).

## هل يضرب المعلم الصبي ثلاثا على خطإ في أحرف القرآن؟

قال أبو العباس الونشريسي:

«وسئل عن الصبي هل يضربه المعلم (ثلاث دِرر) على خطئه في أحرف القرآن؟

فأجاب:

« في الصبيان القوي والضعيف، فيضرب كلا على قدر طاقته وجُرمه، فليس الإجرام منهم سواء» (4).

وقال القابسي: ومن اتصف من الصبيان بأذى أو لعب أو هروب من الكُتاب، استشار وليه في قدر ما يرى من الزيادة في ضربه قدر ما يطيق» (5).

---

1 - هم الجماعة الذين ينتمي إليهم من عشيرته وأهل حيه ممن يعقلون عنه ويعقل عنهم في ديات الخطإ.
2 - القسامة: هي الحلف خمسين يمينا.
3 - المعيار: 269/2
4 - المعيار: 256-255/8
5 - نفسه: 257/8 .



## مؤدب ولد ابن أبي زيد يُسيل عينه في الكتاب خطئا

وقال أبو زيد الدباغ في معالم الإيمان في رسم الفقيه ابن أبي زيد بعد أن حكى إحدى كرامات المؤدب الشهير محرز بن خلف التونسي المعاصر لابن أبي زيد:

ومثل هذه سمعت ممن يوثق به أن مؤدب أولاد الشيخ أبي محمد ضرب واحداً منهم بسوط فأخطأ السوط، فجاء على عينه فسالت: فبادر ورد العين كما كانت، وكان أبو محمد ينظر من طاق وهو جالس في علوّ له شارف على (المكتب)، فوقع بصره على جميع ذلك، فبادر إلى دواة وقلم وورق، وأتى إلى المؤدب، فأخذ المؤدب يعتذر، فقال أبو محمد: كُلُّ ذلك رأيته، ولكن أمْلِ علي الدعاء الذي دعوت به لئلا تنساه لأدعوَ به لنفسي.

فقال: يا شيخ، لما رأيت مصيبتي عظمت دعوت الله تعالى، فقلت: اللهم ببركة والده رُدَّ عينَه كما كانت» (1).

وعلى أية حال فالتجربة الميدانية أثبتت أنه لابد من الحزم وفرض الهيبة، بإحداث قدر من العقوبات بحسب الجرائر مع الاقتصاد في استعمالها، ومعنى ذلك أن اتخاذ الآلة والتخويف من استعمالها، أنفع وأبلغ أثرا في النفوس من استعمالها بالفعل، والذين قالوا: «إن ضرب المعلم للصبي كالماء للزرع» (2) إنما أرادوا حدّاً معينا، والذين قالوا بضرورة

---

1 - معالم الإيمان: 116/3 .

2 - مقالة مشهورة: انظر الدكتورة عصمت دندش في دعوة الحق: العدد: 259 ص 98 .



استعمال الشِّدة في تعليم الصغار حتى يتعودوا من صغرهم على العلم، قد ذهبوا إلى أن ذلك إنما يكون عند الاقتضاء، وأنه يكون على قدر احتمالهم، وذلك لأن إرهاف الحد مضر بالمتعلم -كما يقرر ابن خلدون- لا سيما أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة، ولأن من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضيقَ على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها، ودعاه إلى الكسل، وحَمَله على الكذب والغش والخُبث، وعلّمه المَكر والخديعة، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، فصار له ذلك عادة وخلقا، وفسدت معاني الإنسانية فيه، فارتكس وعاد أسفل سافلين (1).

## الغلو في العقوبة ودواعيه

ولقد تحدث بعض الأدباء عن دواعي الغلو في عقوبة المتأدبين على غير جرم اقتضاه، فشبه حال المؤدب في ذلك ابتداء وانتهاء بحال المنشئ للكتاب أو النص الأدبي، فقال:

«وقد يعتري القلم ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه، فما أكثر ما يعزم على عشرة أسواط، فيضرب مائة، لأنه ابتدأ الضرب وهو ساكن الطباع، فأراه السكون أن الصواب في الإقلال، فلما ضَرَب تحرك دمُه، فأشاع الحرارة فيه، وزاد في غضبه، فأراه الغضب أن الرأي في الإكثار، وكذلك صاحب القلم، فما أكثر من يبتدئ الكتاب، وهو يريد مقدار سطرين، فيكتب عشرة» (2).

---

1 - مقدمة ابن خلدون: 537-540 .
2 - المحاسن والمساوئ للبيهقي: 20 .



# بعض ما جاء في تأديب الولد برفق

كان لشريح القاضي ابن يكثر البطالة، فنظر إليه شريح يوما وهو يهارش بكلب له، فكتب معه رقعة إلى معلمه يغريه بتأديبه على الصلاة، وفيها هذه الأبيات:

ترك الصلاة لأكلُب يَسعَى بها ** طلبَ الهراش مع الغُواة الرُّجَّس

فإذا أتاك فعضّه بملامة ** وعِظَنْه موعظة الرفيق الأكيس (1)

فإذا هممت بضربه فبدِرَّة ** وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحبِس (2)

ولَيَحْمِلَنْ مني إليك صحيفةً ** نكراء مثل صحيفة المتَلمِّس (3)

واعلم بأنك ما أتيتَ فنفسه ** مع ما يُجَرِّعُني أَعَزُّ الأنفس (4)

وقال صالح بن عبد القدوس الشاعر العباسي:

وإن من أدبته في الصِّبَا ** كالعُود يُسقى الماء في غَرسه

حتى تَراه مورقا ناضرا ** بعد الذي أبصرتَ من يُبسِه

والشيخ لا يترُك أخلاقه ** حتى يُوارَي في ثرى رَمسِه

إذا ارعوَى عاد إلى جهلِهِ ** كذي الضَّنَا عاد إلى نُكسِه

ما يبلُغ الأعداءُ من جاهل ** ما يبلُغ الجاهلُ من نفسه

---

1 - في بعض المصادر تقديم هذا البيت على الذي يليه، وهو أنسب، وفي بعضها: فإذا خلوت.

2 - في شرح المقامات للشرشي: «وإذا بلغت به ثلاثا» (شرح المقامات: 215/5).

3 - سقط هذا البيت من كثير من مصادر القصة، والمتلمس: صاحب القصة مع الملك عمرو بن هند الذي أمر عامله بقتله إذا ورد عليه بكتابه المختوم، وكان معه الشاعر طرفة بن العبد، وهو ابن أخته، فارتاب المتلمس بالكتاب الذي معه فدفعه إلى غلام من أهل الحيرة ليقرأه، فقال له: أنت المتلمس؟ قال: نعم، قال: فالنجاء فقد أمر بقتلك، فنبذ الصحيفة في نهر الحيرة، ومضى طرفة بكتابه وأبى الرجوع فقتله العامل، وضرب المثل بصحيفة المتلمس لمن يحمل حتفه في يده. أنظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: 104-107. وفي العقد الفريد: 254/2-255 جاء بلفظ: فليأتينك في غدٍ بصحيفة كُتبتْ له كصحيفة المتلمّس/

4 - القصة في المحاسن والمساوئ للبيهقي: 643 وعيون الأخبار لابن قتيبة: 167/2 والعمدة لابن رشيق: 17 وشرح المقامات للشريشي: 215/5 والعقد الفريد: 254/2-255 .

وقال شاعر المعرّة أبو العلاء:

لا يستوي ابناك في خَلق وفي خُلُق ** إن الحديدة أمُّ السيف والجَلَم
فاضرِب وليدكَ وادلُله على رَشَد ** ولا تقل هو طفلٌ غيرُ محتلم
فرُب شِقٍّ برأس جَرٌّ منفعةً ** وقسْ على نفع شق الرأس بالقلم (1)

وقال آخر في تدريج الصبي برفق:

سدد مرامي الطفل في شأنه ** بلفظة تشدُدْ بها أَزْرَه
واغتنم اللمحةَ من فهمِه ** إن المبادئَ أبدا نَزرة
كما تربى النار من شعلة ** والدوحة الغناء من بذرة (2)

وقال ابن خفاجة الشاعر الأندلسي:

نبه وليدك في صباه بزجرة ** فلربَّما أغفى هُناك ذَكاؤه
وانهَرْه حتى تستهلَّ دموعُه ** في وجنتيْه وتلتظي أحشاؤُه
فالسيف لا تزكو بكفك نارُه ** حتى يسيل بصفحتيه ماؤه (3)

وقال غيره، وهو من الأبيات الشائعة:

لولا التعلم كان الناس كالحُمُرِ ** وأي فضل بغير العلم للبشر؟
لا ترحمنَّ وليدا قد أضَرَّبهِ ** ضربُ المعلم والتغليس في البُكَرِ
فالمرء كالسَّيف لولا ضَرْبُ قُمعته ** ولذعُ نارٍ وعقلٌ كان كالحجر(4)

---

1 – نفسه: 214/5 .

2 – الأبيات غير منسوبة في شرح المقامات للشريشي: 214/5 وفي الابتهاج للبلغيثي: 14/1 أنها لابن خفاجة، وقال فيها:

أما ترى النيران من شعلة ** والدوحة اللفّاء من بزرة

3 – الإبتهاج بنور السراج للبلغيثي: 14/1 .

4 – المغرواي وفكره التربوي للدكتور عبد الهادي التازي: 82-83 بالهامش: 5 .



وقال آخر:

لا تندمَنَّ على الصبيان إن ضُربوا ** فالضرب يبْرا ويَبقَى العلم والأدب

الضرب ينفَعُهم، والعلم يرفعهم ** لولا الإخافة ما خَطُّوا وما كتبوا

وزاد بعضهم:

لا تضربَنَّ بسيف صارم حَجَراً ** ولا تُؤَنِّب فتىً قد فاته الأدب

علِّمْ بنيك صغارا قبل كَبْرَتهم ** فليس ينفع بعد الكَبرة الأدب

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ** ولن تلين إذا قومتها الخُشُب (1)

وقال آخر:

إن الكبير إذا تناهى سنه ** أعْيَتْ رياضتُه على الرّوّاض

فإذا دُفِعت إلى الصغير فإنما ** تكفيك منه إشارة الإيماض (2)

وقال إبراهيم بن شكلة:

من لم يؤدبه والداهُ ** أدَّبه الليل والنهارُ

كم قد أذلاَّ كريم قوم ** ليس له منهما انتصار

من ذا يدُ الدهر لم تَنَله ** أو اطمأنت به الديار

كلٌّ عن الحادثات مُغْضٍ ** وعنده للزمان ثار (3)

---

1 -اورد منها البيت الأخير في شرح المقامات: 213/5 وانظر بقيتها في جامع جوامع الاختصار والتبيان للمغراوي: 82 .

2 – شرح المقامات: 213/5.

3 – العقد الفريد: 259/2 .



وقال آخر:

إذا المرءُ أعيته المروءةُ ناشئا ** فمطلبها كَهْلا عليه شديد (1)

وقد كان بعض الآباء على إدراك تام بأنه لابد من شيء من الصرامة في التعليم، وأن الأمر في ذلك كما قال القائل:

فقسا لتزدجِروا ومن يكُ حازما ** فليقسُ أحياناً على مَن يرحم (2)

ولذلك نجدهم، وهم يشفقون على أبنائهم من هذه القسوة يحسون في قرارة أنفسهم بأنه لابد من شيء منها كما قال الآخر:

ويَنشأ ناشئ الفتيان منا ** على ما كان عوَّده أبوه

ومادان الفتى بحجاً ولكن ** يعوّده التديّن أقربوه (3)

ولقد أثر عن عبد الملك بن مروان أنه سمع ابنه الوليد يلحن في منطقه فقال:

«أضرَّ بالوليد حبُّنا له، فلم نوجهّه إلى البادية» (4) وفي رواية: «أضرَّ بنا في الوليد حبنا له فلم نؤدبه» (5).

وقال القاضي عياض في ترجمة القاضي أبي بكر بن السليم القرطبي:

قال ابن الهندي: كان ابن السليم شديد المحبة لبنيه والإشفاق عليهم، وكان يوصي مؤدبهم أن لا يضربهم، فقال له مؤدبهم يوما:

---

1 - نفسه: 254/2 .

2 - البيت للشاعر أبي تمام من قصيدته التي مطلعها:

أرضٌ مصرّدة وأخرى تُثجم ** منها التي رزقت وأخرى تُحرَم

3- أنظر تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان: 672/2 .

4 - البيان والتبيين لأبي عثمان الجاحظ: 205/2 .

5- العقد الفريد: 258/2



كيف يتعلمون بلا ضرب؟ فقال له: «الرحمن علَّم القرآن».

أوصى مؤدبي أبي أن لا يضربني، فما ضربني قط غير مرة واحدة، فلذلك لم أتعلم» (1).

ومما أوصى به بعض الفقهاء المتأخرين من فقهاء جزولة، وهو أبو زيد عبد الرحمن الجِشتيمي مخاطبا بعض المؤدبين:

كل ذنب كـان فـيـمـا بيننا ** قـد غَـفـرناهُ سـوى ضـرب الـولد
فـإذا مـا شـئت أن ترضـيَنا ** فـارحمِ الـولدان يا شـيخَ البلد

وأوصى العلامة المقرئ محمد المهدي متجنوش بالرفق بالصبيان والبعد عن استعمال الشتائم والألفاظ النابية في حقهم فقال في أرجوزته:

أيا مـعـلم كـتـاب الله ** فـاسـمع نصـيحـتي لوجـه الله
لا تشـتُـمن ولداً فـتندمـا ** إذ حكمُه التحريم عند العلما (2)

ورحم الله الأستاذ العالم بدر من المعاصرين من أهل المشرق بما أوصى به المربين من ملاطفة ولين في معاملة الولد حين قال:

إن المربِّي في شـرع الهـدَى رحِمٌ ** بَرٌّ بِمَـرْعِـيِّـه لا سـيِّئُ الخُلُق

يُدْمِي بِسَوْط الأذَى القُطعان وهو يَرَى

في نفسه ضَيْغَماً قد صال في غَسَق

---

1 - ترتيب المدارك: 286/6 .
2- أرجوزة هدية المؤدب لمحمد المهدي متجنوش: 253/2 .



أطفالُنَا يا رُعاةَ الجيل عِندكمُ

وديعةٌ، لا دُمَى حَطْمٍ لدَى النَّزَقِ (1)

ومن هذه العاطفة الأبوية كان منطلق الشاعر العربي الذي يقول:

وإنما أولادُنا بينَنا ** أكبادُنا تمشي على الأرض

إن هبّت الريح على بعضهم ** امتنعت عيني عن الغمض(2)

وقال أعرابي وهو يرقّص ولده الصغير:

كأنما ريحُ الوَلَد ** ريحُ الخُزَامَى بالبلد

أهكذا كل ولد؟ ** أم لم يَلِدْ قبلي أحد؟(3)

ومن غرائب العقوبات التأديبية وأظرفها ما ذكره الحافظ أبو العلاء الهمداني في كتاب التمهيد بسنده إلى أبي بكر محمد بن عبد الرحيم الإصبهاني صاحب الرواية عن ورش قال: سمعت علي بن القاسم بن محرز المقرئ يقول:

قال أبي: قرأت على اليزيدي بمصر، فلحنت في سورة الزمر في حرف، فقال، والله لا أقرأتك حتى تغتسل في البحر وتعود إلي!

فانحدرت إلى دمياط في أربعة أيام، فاغتسلت في البحر، وعدت إلى الفسطاط (4)، فأقرأني» (5).

---

1 – نقله الشيخ عبد الله علوان في كتابه: تربية الأولاد في الإسلام: 771/2

2 – أنظر المحاسن والمساوئ للبيهقي: 608 .

3 – نفسه: 608 .

4 – يعني المدينة المعروفة، وكانت يومئذ عاصمة مصر. وتوفي أبو محمد اليزيدي سنة 202 هـ.

5 – التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار (ت 569 هـ) ص 220 .



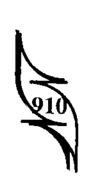
# ما جاء في الرأفة بالصبيان والمنعِ من ضربهم أكثر من عشر. ونهي سحنون لمعلم ولده عن ضربه

ومن اللطيف أن نجد بعض الفقهاء الذين أفتوا بجواز ضرب الصبيان على التعليم، وتأديبهم على التقصير في العمل أو إحداث الشغب أو نحو ذلك، كان منهم من تدركه الشفقة والرحمة الأبوية، فيفتي أو يأمر بغير ذلك في شأن تأديب ولده.

فهذا محمد بن سحنون ينقل عن أبيه فقيه القيروان وإمامها (ت240هـ) حديثا بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله - ﷺ -«شرار أمتي معلمو صبيانهم، أقلّهم رحمة لليتيم، وأغلظهم على المسكين» وهو حديث موضوع لاشك في وضعه، مخالف لأصول الشريعة والأحاديث الصحيحة، وقد اعتمده محمد بن سحنون وقال: «وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب، وليس على منافعهم، ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ولا يجاوز بالأدب ثلاثا، إلا أن يأذن الأدب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدا، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب عشرة، وأما على قراءة القرآن فلا يجاوز أدبه ثلاثا» ثم قال:

«قلت: لم وقّت عشرة في أكثر الأدب في غير القرآن، وفي القرآن ثلاثة؟

فقال: لأن عشرة غاية الأدب، وكذلك سمعت مالكا يقول. وقد قال رسول الله - ﷺ - لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد».



ثم أسند عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: بلغني أن رسول الله – ﷺ– قال:

أَدَبُ الصبي ثلاث دِرَر، فما زاد عليه قوصِصَ به يوم القيامة، وأدب المسلم في غري الحد عشر إلى خمس عشرة، فما زاد عنه إلى العشرين يضرب به يوم القيامة» (1).

وقال أبو الحسن القابسي تلميذ ابن أبي زيد القيرواني:

«وأما سؤالك عما يتعدى به المعلم في ضرب الصبي فيرقى إلى ما هو أكثر في الضرب، فهذا إنما يقع من المعلم الجافي الجاهل، وقد قدمت لك نهي المعلم عن ضرب الصبي وهو غضبان، والضرب على التعليم إنما هو لخطإ الصبيان، فما يصلح أن يضربهم به إنما هو (الدرة) وتكون أيضا رطبة مأمونة لئلا تؤثر أثر سوء، وقد أعلمتك أنه يتجنب ضرب الرأس والوجه، فما لهذا يضرب بالعصا واللوح»؟ (2).

وعلى نقيض هذا فقد نقل صاحب الابتهاج عن الإمام سحنون بن سعيد أنه لما أراد أن يدخل ولده المكتب، اشترط على المؤدب أن لا يضربه أصلا مهما صدر منه شرود أو لعب. قال: وقد سئل الشيخ السنوسي عن حكمة منع سحنون من ذلك؟ فعلل ذلك بأن كثرة الضرب والزجر مما يؤثر في نقص العقل، وأيضا رأى سحنون أن لا تأثير لضرب ولا زجر في حفظ ولا اجتهاد عقلا، وأن الأمر بيده تعالى في جلب نفع ودفع ضر، فسلم ابنه واستودعه الله تعالى» (3).

1 –رسالة ابن سحنون: 356-357 .

2 – الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين للقابسي: 342 .

3 – الابتهاج بنور السراج لأحمد بن المامون البلغيثي: 106 .



## حديث موضوع

## في الطعن على المعلمين بسبب ضرب الولد

أما الحديث الذي استدل به سحنون -رحمه الله- فيما قدمنا فهو من الأحاديث الموضوعة التي إنما تذكر لبيان حالها وللتحذير منها ومن الأخذ بموجبها اغترارا بروايتها. قال الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب الموضوعات:

## حديث آخر في ذم المعلمين

أنبأنا منصور بن خيرون، قال: أنبأنا إسماعيل بن أبي الفضل الإسماعيلي، قال أنبأنا أبو أحمد بن عبدي، قال: أنبانا مصبح بن علي بن مصبح البلدي، قال: حدثنا ميمون بن الأصبغ، قال: حدثنا عبيد بن إسحاق، قال: حدثنا سيف بن عمر التيمي، قال: كنت جالسا عند سعد بن طريف الإسكاف، إذ جاء ابن له يبكي، فقال: يا بني، مالك؟ فقال: ضربني المعلم، فقال: والله لأخزِيَنَّهم اليوم.

حدثني عكرمة عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«شراركم معلموكم، أقلُّهم رحمة على اليتيم، وأغلظهم على المسكين».

قال ابن الجوزي:

ورواه إبراهيم بن عبد الله بن الجُنيد عن عبيد بن إسحاق فقال فيه:

«معلمو صبيانكم شرارُكم»



ورواه إسحاق بن الحسن الحربي عن عبيد فقال فيه:

«شرار أمتي معلموها.

قال ابن الجوزي:

هذا حديث موضوع بلاشك، وفيه جماعة مجروحون، وأشدهم في ذلك سيف وسعد، فكلاهما متهم بوضع الحديث، وسعد هو في هذا الحديث أقوى تهمة، قال ابن حبان: كان يضع الحديث على الفور» (1).

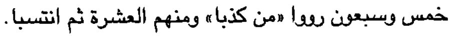
قلت: هذا الوضع للحديث بسبب ضرب الولد، هو من شؤم الضرب وجنايته، فإن هذا الواضع قد أراد الانتصار لنفسه أو لولده وشفاء ما في نفسه من الغيظ على المعلم لضربه لولده، فحمله ذلك على الكذب على رسول الله - ﷺ- ونسبة القول إليه، ونسي الوعيد الشديد في ذلك في قوله - ﷺ- في الحديث المتفق عليه المتواتر اللفظ والمعنى: «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(2).

وقد بين ابن الجوزي -رحمه الله- أنه موضوع على رسول الله ﷺ بلا شك، وإنما يذكر العلماء هذا الحديث وأمثاله للتحذير منها، وذكرناه هنا لأن الفقيه سحنون استدل به على علاته، وهو غير صالح للاستدلال، وباطل أشد البطلان.

---

1 - كتاب الموضوعات لابن الجوزي: 1/222-223 (دار الفكر) - لبنان.

2- قال السيوطي في ألفية الحديث: ص44 :


خمس وسبعون رووا «من كذبا» ومنهم العشرة ثم انتسبا.



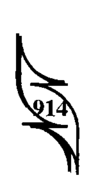
# ظاهرة النفور من الكتاب عند الأطفال و الذكريات المريرة عنه

ومن الظواهر الطبيعية المعتادة نفور كثير من الصبيان من الحضور إلى الكتاب، سواء في أول يوم أو في أثناء الإرسال به إليه خلال مدة التعليم الأولي، وأسباب هذا النفور والفرار كثيرة، ومنها: الحد من حرية الطفل الذي يكون قد اعتاد في بيت أهله على اللهو والعبث ورفع الصوت وإثارة الشغب وكثرة الحركة هنا وهناك.

ومنها: هيبة (الفقيه) ومنظره في جلسته على دكته والصبيان متحلقون حوله، وفي يده سوطه أو حوله، وهو لا يفتأ يزجر هذا وينتهر هذا ويضرب ذاك.

ومنها الخوف من الفشل في حفظ اللوح خلال الوقت المحدد لذلك، أو الخوف من عدم استحضار حزبه أو ما محاه من لوحه، إلى غير ذلك من الأسباب.

وأكثر من تحدثهم من الطلبة يذكرون عن أنفسهم صورا من هذه المعاناة، ويحتفظ بعض الأكابر لها بذكريات مريرة تتحدث عن ممارسات في غاية الغلظة والقسوة أحيانا على بعض المتعلمين، بالإفراط في عقوبتهم على أفعال لا تتناسب مع مقدار العقوبة عليها وسن فاعلها، وربما كان مثل هذا العقاب سببا في انقطاع بعض الأطفال بصفة نهائية عن المتابعة، ولا سيما عندما يتدخل الوالدان، ويخرج التأديب عن حد الاحتمال، ولقد شهدنا من صور ذلك كثيرا من هذه الرعونات، وعرفنا منها نماذج كانت تنتهي



بوضع الكبل الحديدي أحيانا في رجلي الطفل الذي يتكرر منه الشرود عن (الجامع) حرصا من (الفقيه) وولي الطفل على ضبطه والسيطرة عليه، وهذه المعاملة نادرا ما تكون ناجعة، وأكثر من تعرضوا لهذه المحنة لم يحلوا بطائل من ورائها، وإنما بقيت عندهم من أسوإ الذكريات وأحلكها. ومن هنا نجد عند كثير من المتقدمين والمتأخرين نفورا من الكتاب وحياته وذكريات أليمة يدونونها في برامجهم ومذكرات حياتهم.

ولا بأس أن نسوق هنا للعبرة والتمثيل قصصا عن هذه الذكريات المريرة المرتبطة بالكتاب.

## عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضي الله عنه ومعلم كتاب

ومن الطريف أن نجد أن تأديب الصبيان قد اقترن بهذا النوع من التصرف منذ أوائل ظهوره.

فقد ذكر أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي الشريشي الأندلسي في شرحه لمقامات الحريري أنه: «شكي إلى معلم عبد الرحمن بن حسان بصبيان فضربهم، حتى انتهى إلى عبد الرحمن فهدده، فقال عبد الرحمن:

الله يعلم أني كنتُ معتزلا ** في دار حسّان أصطاد اليعاسيبا



فتركه (1)

وبلغ حسان فضمه إليه وقال: أنت والله ابني حقا، فداك أبي وأمي» (2).

## هارون الرشيد يُعفي ولده من الكُتَّاب فينشأ أميا

وبسبب إحساس بعض الآباء بعمق المعاناة ربما حملهم الإشفاق على فلذات أكبادهم على صرفهم نهائيا عن الكتاب. فقد حكى أبو عمر بن عبد ربه الأندلسي في العقد الفريد قال:

«قال هارون الرشيد لابنه المعتصم (ت 227 هـ): ما فعل وصيفك (3) فلان؟

قال: مات فاستراح من الكُتّاب!

قال: وبلغ منك الكتاب هذا المبلغ؟! والله لا حضرته أبدا. ووجهه إلى البادية فتعلم الفصاحة، وكان أميا» (4).

---

1 – يعني أنه نظم شعرا منتصلا من تهمة مشاركته للصبيان في الفعل الذي استحقوا عليه العقوبة.

2 – شرح المقامات: 35/5 .

3 – الوصيف: الخادم

4 – العقد الفريد: 258/2 ويعني بكونه أميا: أنه كان لا يقرأ ولا يكتب، وكان مع ذلك من أفصح الناس، وهو ممدوح الشعراء الثلاثة أبي تمام والبحتري وابن الرومي، وفيه قال أبو تمام قصيدته البائية في فتح عمورية التي أولها قوله: السيد أصدق أنباء من الكتب».

# أبو محمد اليزيدي يضرب ولي عهد الرشيد (المأمون) بالدرة

وحكى الشريشي في شرح المقامات أن «أول ما ظهر من نجابة المأمون وسداده فيما حكاه عنه أستاذه أبو محمد اليزيدي المقرئ قال:

«كنت أؤدبه فوجهت إليه يوما ليخرج فأبطا، فقلت لسعيد الجوهري وهو في حجرهِ: إن هذا الفتى قد اشتغل بالبطالة، فقال سعيد: قوِّمه بالأدب، فلما خرج ضربته ثلاث دِرر، فإنه لَيبكي إذا بجعفر بن يحيى (1) قد استأذن عليه، فوثب إلى فراشه مسرعا وهو يمسح عينيه، فجلس ثم قال: ليدخل، فدخل، فقمت من المحل وخشيت أن يشكوني إلى جعفر فألقى منه ما أكره، فأقبل عليه بوجه طلق، وحادثه وضاحكه، فلما هم بالحركة قال: يا غلام، دابتَه.

ورجعت فقال: ما حملك أن قمت عنا ؟

فقلت: خفت أن تشكوني إليه فيوبخني، فقال: إنا لله يا أبا محمد! ما كنت اطلع الرشيد على هذا، فكيف أطلع جعفرا على أني أحتاج إلى أدب؟ يغفر الله لك! فكنت أهابه بعد ذلك» (2).

---

1 - هو البرمكي وزير أبيه الرشيد المشهور

2 - شرح المقامات للشريشي: 5/34-35 والمحاسن والمساوئ للبيهقي: 641 .



# الفقيه أبو علي اليوسي يفِرُّ من الكُتاب

ويقول العلامة الفقيه أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102 هـ) في فهرسته في ترجمة شيخه الأول أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف الحداد اليوسفي رحمة الله عليه:

«على يده دخلت المكتب، وكنت قبله نفورا عن التعلم، وذلك في حياة والدتي -رحمة الله عليها- حتى كنت إذا أرسلني أهلي إلى المكتب أتنكّب عنه، وربما أحتال في ذلك فأكمنُ في طريق الصبيان، حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي كأني قد قرأت معهم، ولم أقرأ.

وسبب ذلك أني كنت شديد الحياء في صغري، حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي أن أتناولها أو أتحرك فيها عند الناس، فكان مما ألقي في وهمي أن من دخل المكتب كيف يتأتي له أن يخرج لقضاء حاجة الإنسان، وكيف يمكنه أن يذكر ذلك أو يشاور عليه المؤدب أو غيره؟ فلم يمكنني إلا الهرب، فمكثت على ذلك مدة.

ثم توفيت والدتي -رحمة الله عليها- فلما توفيت تنكرت علي الأرض وأهلها.

وكان ذلك سبب الفتح، فألقى الله في نفسي قبول العلم، فدخلت أتعلم، ولم ألبث إلا قليلا حتى جعلت أطلب والدي -رحمه الله- أن يغربني إلى الأمصار طلبا للقراءة، فغرّبني -رحمه الله- لناحية القبلة (1) بعد أن قرأت حزبين من القرآن، وكان لوحي في سورة (والمرسلات عرفا) (2).

---

1 - يعني : ناحية بلاد المغرب الشرقي، وهي في شرق قبيلة أيت يوسي.

2 - فهرسة اليوسي: 110-111 .

# الشيخ التهامي الوزاني والذكريات المريرة عن الكتاب

ويقول الشيخ التهامي الوزاني المذكور في مذكراته «لما تكلم عن حالة الكتاب (المسيد) والعقبات التي يكابِدها تلميذه قال:

«إنها عقبة من أشق الأعمال التي قاسيتها في حياتي، وليس عندي ما يعادلها في العناء والقسوة» (1).

# من ذكريات الخوف عند الفقيه الحاجي الشيخ الحسن بن محمد إبندو (ت 1403 هـ)

فقد قال في مذكراته:

«حقا لقد كنت تلميذاً نجيبا في هذا المسجد (2)، فأنا التلميذ الوحيد الذي لم يضربه الطالب ضربة قط، وأنا التلميذ الوحيد الذي لم يُرتَجْ عليه عند «الإحصاء» (3) سوى يوم واحد طوال تلك السنوات، وهو اليوم الذي وصلت فيه «وما أبرئ» (4) وهو يوم أربعاء، لقد كثرت الحصة حتى بلغت أزيد من ثمن الحزب، ولكن الطالب لم يضربني، أما أنا فبمجرد ما توقفت

---

1 - نقل عنها عن المجلد الأول من مذكراته العلامة عد الله الجراري، أنظر كتابه «التأليف ونهضته في القرن العشرين من 1900 إلى 1972 م ص 290»

2 - يعني مسجد تاسيلا بأيت آمر التابعة لإقليم أكادير.

3 - يعني العرض على الشيخ.

4 - يعني من سورة يوسف، وهو الحزب 25 .



أجهشت بالبكاء لا خوفا من الضرب، ولكن من ضحك التلاميذ وشماتتهم بي، ومن وصول الخبر إلى والدي في أكادير فيلومني إذا حضر أو يضربني أو ماذا؟ ولما رآني الطالب بتلك الحالة رثى لي، ثم صرفني إلى المنزل بدون إحصاء أي: عرض ولا حفظ في ذلك الصباح» (1).

ثم قال: أما التلاميذ فمنهم أبناء عماتي، وهم أبلد خلق الله، لا يقدرون على حفظ آية واحدة، بل إن الكثير منهم لا يحسنون التهجي، يضربهم (الطالب) كل يوم ضربا فادحاً، فيهربون ويختفون في الشعاب والتلال في الغابات المجاورة نصف يوم أو يوما كاملا، يبحث عنهم آباؤهم كما يبحث الصائدون الماهرون عن الغزال وبقر الوحوش، فإذا عثروا على واحد منهم أشبعوه ضربا وتنكيلا، ثم يعيدوه إلى المسجد ليعيد هو الدوْر السابق من جديد، وهكذا دواليك.

فإذا أعيا أمرُ أحدهم والديه بعد سنوات سمحوا له بمغادرة المسجد لرعي المعز (2).

ثم يقول -رحمه الله:

«لما كبرت بعض الشيء أمر والدي أن أروح أي: أبيت في المسجد للقراءة الليلية تحت إشراف (الطالب) الذي هو صديق والدي الملاطف، ورغم أن هذا الأمر قد أقض مضجعي وأزعجني كثيرا، إلا أنه لا يسعني إلا تنفيذه، وأنا الذي لم أخالف لوالدي أمرا قط، فأنام في «أخربيش» الذي يعيش فيه ما لا يقل عن مليار من حشرات البق، فضلا عن البراغيث والقمل، فلا يصل عصر الأربعاء الذي أروح فيه إلى المنزل حتى يتآكل

1 -أنظر المتعة والراحة: 309/1 .

2 - مذكرات الشيخ الحسن إبندو: المتعة والراحة: 309/1-310.

جلدي كله... بلسعات الحشرات المذكورة كأنما عدت من معركة حامية الوطيس طويلة الأمد.

فقد كنت أمضي في المسجد خمسة أيام قبل العودة إلى المنزل، ولكنها بالنسبة إلي كخمس سنين أو أكثر.

وفي يوم الخميس إذا يسر الله تغسل والدتي أو أختي الكبرى ثوبي (قميصي) الوحيد غالبا، وفي المساء تفليه (1) ولكن لا باليد، بل بواسطة النار -الجمر-.

وفي عصر الجمعة أستعدّ لرواح المسجد، وكأنما أستعد لنزول القبر» (2).

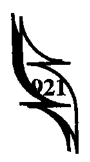
**ثم يقول عن مرحلة تالية:**

«وهذه السنوات الأربع أو الخمس قد قضيتها كلها في القيام بالأشغال الشاقة، فأنا الذي أستيقظ في الثلث الأخير من الليل لإشعال النار وقراءة الأسوار وأذان الصبح وأنصب الطاجن، وأعجن «الزمّيطة» «تُمِّيت» وأنا الذي أكتب لوحي بيدي، وأضعه بحذاء (الطالب) ليصححه، وأنا الذي أقرئ له بقية التلاميذ، أكتب لصغارهم، وأجمع (الأسوار) مع كل واحد أو مع طائفة منهم، فقد كنت أقرأ أكثر من عشرين حزبا كل يوم من الصباح إلى منتصف النهار، وأنا الذي يرسلني (الطالب) إلى الدار التي في سفح جبل مقابل للتل الذي بُني عليه المسجد، وبينهما نحو «كلم»، وهذه المسافة أقطعها كل يوم مرة أو مرتين أو أكثر، أذهب بالحصة اليومية من

---

1 - يعني: تزيل منه القمل.

2 - المتعة والراحة: 314/1 .



السكر والأتاي وما أشبه ذلك إلى زوجته وأولاده في الدار، وولده الكبير يقرأ معي، ولكنه ولد (الطالب) يجب احترامه من الجميع» (1).

وأخيرا شعرت بالملل والضجر والنفور من هذا المسجد الذي عشت فيه كسجين محكوم عليه بالأشغال الشاقة ظلما، فجعلت أفكر كيف أتخلص من هذا العذاب المهين؟ فاقتربت من والدي يوم خميس، وهو مستند إلى حائط خارج الدار، فقلت له: أطلب منك يا والدي أن تنقلني من هذا المسجد، وادّعيت له أن الطالب لا يأمرنا بالصلاة، فنحن لا نصلي.

وبدون مراجعة قبل والدي عذري، ووعدني بتحقيق رغبتي، لا تصديقا لادعائي، ولكن ربما خشية أن أفكر في الهروب أو العصيان، أو الخروج من المسجد والانقطاع عن القراءة، فارتكب أخف الضررين كما يقول الفقهاء» (2).

## رأي الفقيه إذ إبراهيم التامري في شيخه إبنّدو -رحمه الله- وغلظته في التأديب

وهكذا نلمس من الفقيه السيد الحسن إبّندو الحاحي ما عاشه في فترة التعليم الأولى من هذه المعاناة الأليمة، والمعاملة الفظة القاسية، التي كان يلقاها هو ومن معه من تلاميذ (المحضرة) وطلابها الغرباء، وكان المفروض أن يكون الشيخ ابندو أول من يثور على هذا السلوك القاسي الذي وجدناه يُدينه فيما قدمنا، ويقدر أيامه فيه بمنزلة السنين الطوال، وبالتالي فهو يبدو في غاية الكراهية والنفور منها ومن الممارسات الجافية فيها.

---

1 – المتعة والراحة: 317/1 .

2 – نفسه: 318/1 .

ولكن التلميذ السابق له وناقل مذكراته تلك إلينا يفاجئنا بأن الشيخ قد سار على ذات الدرب، وسلك نفس المنهج أو أشدّ يوم تولّى من تلاميذه ما كان يتولى منه الشيوخ بمدرسته.

وهاهو يترجمه ويقول عنه بعد قوله: « إن الأستاذ إبندو -رحمه الله- مجد في ميدان التعليم، وقد أخذ عنه عشرات من طلبة حاحة وسوس، لأنهم يجدون عنده رغباتهم، فهو يبقى بياض النهار بين طلبته لا يمل، وقد جمع بين تعليم كتاب الله وتدريس العلوم الإسلامية بنشاط عديم النظير» يقول عنه:

«كل ما يؤخذ به -رحمه الله- القساوَة على الطلبة، فمن أَخَلَّ بقانون أو نظام يمسي للجلد والضرب بدون حساب رهيناً، إلى حدّ أنه مشهور في الأوساط بذلك، وقد حفظه الله من دسائس حيكت حوله مرات من جراء ذلك، غير أنه لم يسلُس قيادُه أبدا رُبع قرن، مما جعله من المتصلبين على المبدإ إلى آخر نفس من حياته العلمية النشيطة» (1).

وتعال معي لتقف على أزكى الشواهد على هذه القسوة الجافية وكيف أصبحت عنده تغطي بطابعها وتطغى على (الحياة المحضرية)، وتجعل من المحضرة نظام سجن قاس ومقنّن، الأصل فيه هو هذه الغلظة المتناهية، والصرامة التي ما بعدها صرامة، والرَّهبة التي ليس فيها نسمة سماحة، وتأمل معي هذا الدستور الذي يصوّر كيف هي شاقة هذه الحياة المحضرية بمفاهيمها التقليدية عند بعض مشيخة الإقراء إلى وقت قريب، وفي بعضها إلى يومنا هذا، وكيف هي ظلت أشبه بمعسكرات الاستنطاق منها بمدارس للتربية والتعليم.

1 - المتعة والراحة: 365/364/1 .



# زواجر للطلبة أو (قانون العقوبات الزجرية)

## عند الفقيه الحسن إبندو بمدرسة (سيدي أبو البركات العبدري) بقبيلة حاحة - إقليم الصويرة

قال الفقيه: قد وضعت طائفة من العقوبات الزجرية تخويفا للطلبة الذين لا يحترمون الأوامر، ولا يهتمون بأداء الواجبات الدراسية أو الدينية، أو يخلون بالنظام المدرسي العام، أو يثيرون الفوضى والتشويش أو يميلون أكثر للكسل والإهمال واللامبالاة وضعا مجردا، أي: دون أن أطبقها عليهم تطبيقا، وقد نظمتها في قولي:

الحمد لله رب العالمين قضى ** بالعدل في الحُكم لا يبغي به عوضا
سن العقوبات ضد المجرمين لإصلاح العباد من الشر الذي بهضا
وبعد فالقصد نظم لزواجر تر ** دع المخلَّ بها من نُظُم فُرضا
في معهد العبدري وقت كان به التمري، وهْو الذي لسنِّها نهضا
من كان لا يحفظ الدرس الذي كتبا ** يُضربُ عشرا إذا لم يُفِت الغرضا
فإن أفات يزاد مثلها أسفا ** على الجهود التي ضيَّعها ومضى
وإن يكن مهملا كل الدروس فقد ** أمسى بخمسين بعد عشرة غَرضاً
ومن يكن لا يعي اللوح الذي كتبا ** فليستعدَّ لضرب مُحدِث أرَضا (1)
ومن لما قد وعى من سور من أحـــزاب يضيّع بالنسيان فانتقضا
يُشبَع ضربا بلا عدٍّ لضَيْعته ** محفوظه، ولحبل الجد قد قرَضا
من نام عن درسه يُضرَب خمسة عشر أدبا وعقابا ضِعفُه فُرضا

1 - الأرض - بفتحتين - التلف والفساد .

لكل من لم يُصلِّ الصبح وهو فتى ** لا يشتكي جسمه في ليله مَرضا
ينقص عشرا لدى صيف الخريف إذا ** قصُرُ ليلٌ وقهر النوم قد عَرضا
ومن تخلّف عن صف الصلاة فذا ** يضرب عشرا، وإن من ذاك قد مَعَضا
من كان يضحك عند الحزب سوى يرَى ** في جلده أثرا للبُرء قد رفَضَا
وكل من لا يبالي بالنظافة أو ** يوسّخ الأفْنيات وسخا حُمِضا
يضرب عشرين بعد أن يصح لد ** يَّ أنه تلك للتوسيخ قد عَرَضَا
ومن يُصلِّ بلا طهر سيضرب حتى يغتدي جلده كأنه بُعِضا (1)
ومن يكن قد أخل بالنظام فذا ** لا يكتفى منه إلا بالمئين قضا (2)
حسب جُرم أتاه وهو منتهك ** لحرمة الأمنِ بالفوضى التي فرضا
ومن يسافرْ بلا إذن فحُقّ له ** أن لا يعود إذا ما عقلُه مرضا
أما إذا عادَ غير مظهر أسفاً ** ولا اعتذارا صحيحا أنه ما مضى
إلاّ لأمر مُهم، فالعقاب له ** يشتد، وهو الذي لسيف ذاك نَّضا
ومن تعدَّى على الجيران فهْو إلى السلطة يبعث ما عليه عندي قضا
كذاك من بجروح أو كسور أتي ** لا قدَّر الله في غير بها حَرِضا (3)
ومن غدا سارقا شيئا ولو تفِها ** فالغُرم والضرب والطردُ ولو بغِضا
ومن بدا كاذبا يوما وقد سُئلا ** أن يصدق القولَ فليُرَ وقد غَمِضا:
ومن تعاطَى دخان التِّبغ يُطردُ إن ثبتَ ذاك عليه ولو امتعضَا
كذاك مَنْ يتصدَّى للقمار وما ** شابهه من أمور فعلها بُغضا

1 – بعض: لسعة البعوض
2 – تأمل معي كيف يضرب مئين لا حد لها؟!
3 – الحرض: الفساد في البدن والعقل.



ولعبُ الكرة المشــؤوم قــد حُظلا ** هنا إلى أبد لجلبــه الحَــرَضــا
إلا بإذن خُـصــوصـيّ لمن قَــصــدا ** رياضــة وبشــرطهــا أبان رضــا
تلك قــوانين للزجــر وضــعن لمن ** لم يكن القلب منه بالحــيــاء أضــا
فــلا عــقــاب ولا زجــرعليــه إذا ** فؤاده بالحياء كان قد غَرِضـا (1)
والله يهدي الجميع للمحـجـة حتــــــى لا يرى أحد للزجر قد عرضـا
ثم الصــلاة على خــيــر الورى وعلى ** أصحابه الآخذين عنه عَلِم قضـا (2)

# صور أخرى من التعزيرات و أنواع العقوبات كما يصفها صاحب « المدرسة الأولى »

قال الشيخ الفقيه صالح الإلغي في حديثه عن المدرسة الأولى:

«وأما التعزيرات وأنواع العذاب التي يسامها التلميذ ويجرّعها، فهي أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر وتنشر، وحميم هذا العذاب الشديد يصب على التلاميذ قديما. وكان الشيخ الإمام السنوسي -رضي الله عنه- كثيرا ما ينهى عن الضرب، لا سيما المؤدبين للصبيان، ويقول:

«كثير من المؤدبين لا رحمة ولا شفقة فيهم للأولاد -والعياذ بالله- فتجده إذا رأى شيئا من الصبيان كأنه مجنون، لسوء خُلقه وقساوة قلبه، فيضربهم ضربا عنيفا، ولا يبالي أيَّ موضع ضرب، وربما يغاضب امرأته فيردّ غضبه على الأولاد، فتجده كالمجنون أو الحرسيّ الذي يقيم الحدود، ويضربهم بأي آلة، فهذا وأمثاله لا يجيء من قِبَله شيء من القراءة للأولاد، ولا ينفعهم الله

---

1 -غرضا: مُليء
2 - المتعة والراحة: 1/362-364.

بشيء مما قرأوا على هذا المؤدب الخبيث، لأنه يعتقد بجهله أن بالضرب يقع الفهم والتعلم، ولولاه ما حفظوا، فيصير كاعتقاد المعتزلة في نسبة التأثير لغير المولى تبارك وتعالى:

فمن أنواع ما يعذّب به الصبي كثرة القَرص، بأن يأخذ (الطالب) جلد الصبي من بطنه أو ظهره أو جنبه أو ما يواجهه أيًا كان، بإبهامه وجنب سبابته أخذا مولما، ربما يرفع الطفل عن الأرض بذلك الأخذ ويعيده إليها مرارا، حتى يكشط جلده عندما يلقيه على قفاه، وقد يخضّر بطنه أو ظهره كله من أثر قروت الدم تحت جلده.

ومن القرص نوع آخر يكون تحت الذقن وجانبي العُنق، يأخذ بظفرَي السبابة والإبهام أيضا قليلا من الجلد في ذلك الموضع فيقطعه، ثم يأخذ، ثم يأخذ، ثم يأخذ، حتى يسيل عنق الطفل كله دما. ومنهم من يتأمل تلك الجلدة مليا قبل أن يلقيها كأنه شك فيها هل هي هي أو غيرها؟ ولذلك الغرض لا يبالغ في قلم أظفار تينك الأصبعين، ولا يقلمهما إلا أن تطولا طولا فاحشا، فعند ذلك يأخذ منهما، وقد يفرش على سبّابته عند القرص الأول شيئا عريضا كرأس المفتاح المفرطح أو رأس القلم العريض، فيضغط جلده بكل ما أوتيه من القوة، ثم يجذب جذبا، وقد يحرّق أسنانه كالفحل الهائج، أو يعضّ على الجلد إذا أعياه القرص فكلّتْ أصابعه، أو يعتاض من كليهما الركض أو الركل أو اللكز أو الرفس.

ثم ذكر أنواعا أخرى، ووصفها وهي «الزّركا» ووضع «الكبل» في الرجلين إذا كان يهرب من الكتاب... (1).

---

1 - المدرسة الأولى للفقيه صالح الإلغي: 104-108 .



# أبو شعيب الدكالي ومحنة الضرب في الكتاب

حكى بعض الباحثين الذين كتبوا عن حياة الشيخ المحدث أبي شعيب الدكالي -رحمه الله- أنه «بعد أن حفظ القرآن بتمامه شرع في حفظ القراءات السبع على أستاذه السيد محمد بن المعاشي. قال:

«ويصادفه في هذه المرحلة من دراسته حادث فظيع يعكس حقيقة ما كان يسود الكتاتيب القرآنية في ذلك العهد من قسوة وعنف، يتجاوب مع شعار آباء الأطفال وأوليائهم: (اقتل وأنا أدفن) أو (اذبح وأنا أسلخ).

وذلك أنه بينما كان أبو شعيب ذات يوم يقرأ سورة طه، ووصل إلى قوله تعالى: (وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) (1) قرأها: (وإنا اخترتك) بالكسر، فما كان من أستاذه الذي كان يستمع إليه، إلا أن هوى عليه بلوحته، وشق جبينه عند حاجبه الأيمن، فانفجر الدم من الصبي بغزارة، مما كانت نتيجته أن أغمي عليه.

ولما عولج وأفاق من غيبوبته، وجد عمه وكافله السيد محمد بن عبد العزيز الدكالي يقول لمن حوله:

«إن مات في سبيل العلم، فلا بأس أن يكون موته موتة شريفة.

ثم التفت إلى الصبي الجريح قائلا: لو قرأت العربية الفصحى: النحو وتوابعه، لما وقع لك هذا الخطأ الفاحش» (2).

---

1 -سورة طه الآية 13 .

2 - أنظر كتاب قبيلة زعير قديما وحديثا لمحمد بن عمر بن سودة التاودي: 221/2 وكتاب المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي للأستاذ عبد الله الجراري: 17-18 .



قلت: إن قوله له: لو قرأت العربية الفصحى يشير به إلى أهمية العربية في تصحيح قراءة القرآن والمساعدة للقارئ على إدراك الفروق بين وجوه القراءة والأداء، ومراده أنك لو قرأت النحو والصرف لما أمكنك أن تقع في هذا الخطإ، وذلك أن التلميذ أبا شعيب -كما يظهر من السياق- كان يقرأ بقراءة حمزة، ولذلك كسر الهمزة ظنا منه أن يقرأ (وإنَّا) -بفتح الواو وكسر الهمزة وتشديد النون - على أنه يقرأ الفعل بعدها (اخترناك) بالنون لا (اخترتك) بالتاء وذلك لأن حمزة، يقرأ بضمير المعظم نفسه، ولعل التلميذ زاد على ذلك أنه قرأ اخترتك بالتاء لا بالنون كما هي قراءة حمزة (1) فلذلك قال له عمه ما قال:

## قارئ حاحي يحكي عن محنة الكُتاب والمحضرة وما عاناه

ويقول الفقيه الحاحي السيد أحمد بن محمد بن سعيد التامري المولود سنة 1362 هـ يحكي عن شيوخه الحاحيين بعد أن سماهم:

«وهؤلاء الأساتذة كلهم لم أعقل أن أحدا منهم ضربني أو نهرني لتحفُّظي وشدة اهتمامي بلوحي، ولا أجد صعوبة في الحفظ، بالرغم من أن المعلمين في ذلك الزمان ضرابون للتلاميذ، وتقاس مهارة الأستاذ عند العامة بكثرة الضرب والركل والشجّ والسهر والضرب بالدواة والقرص بالقلم، إلى آخر المغامرات التي رأينا بعضا منها وسمعنا الكثير. قال:

1 - أنظر قراءة حمزة في كتاب الإقناع لابن الباذش: 698/2 والكافي لابن شريح: 156 .



والواقع أن حكم الأستاذ في تلك الأوساط ينفذ ولا يقبل الطعْن ولا الإستئناف، ولا حتى المؤاخذة، وحتى إذا اشتكى التلميذ المسكين فإنما يزيد الطين بلة، إلا مرة حيثُ اختلطت علي بعض الآيات من سورة المائدة، ساطني سيدي محمد بلعيد بثلاثة أسواط.

وبالرغم من مرور أكثر من خمس وأربعين سنة على ذلك، لا زلت أتصور ذلك الضرب وأتخيله (1) ومهما نسيت فلا أنسى ما كان يتعرض له ابن عم الوالد... من الضرب والركل والشج من قبل (المدرّر) سيدي الحسن السوسي المشارط بدوار «إذ الرايس» آنذاك، ورأيته مرارا يجري وراءه، والسوط في يده، ويسوطه كما تساط الدابة عند محاولة الفرار، ومع هذا فلم يحصل هذا التلميذ على شيء.

ولما وصل الخبر إلى مسامع عمي سيدي محمد أفرياض قال كلمته المشهورة: «قلنا له قَرِّيهم ما شي اضْرَبْهم» (2).

قلت: ما أكثر ما عشنا هذه الحالات الشاذة، ورأيناها من بعض الشيوخ، لكنها كانت إنما تقع نادرا، وذلك حين يطفح الكيل، ويبالغ التلميذ في التحدي والاستخفاف بالعقوبة، وفي الحقِّ أننا ما رأينا أحدا ممن تعرض لهذه الحالات الشاذة قد استمر في القراءة حتى حفظ القرآن أو قارب ذلك، والنادر من ذلك لا حكم له.

---

1 -كتب هذا عام: 1417 هـ كما ذكره في المتعة والراحة: 263/2 .

2 - المتعة والراحة: 261/2-262 .



## من معاناة بعض المعاصرين مع الفلقة بفاس

ومن الطريف أن بعض علمائنا ناقشوا موضوع (الفلقة والدرة) لا من جهة المشروعية فقط، ولكن من جهة القيمة المادية أي: قيمة الشراء، وعلى من تحسب؟

فهذا الإمام ابن عرفه التونسي (ت 803) يقول في بيان المسؤول عن القيام بها: «وشراء (الفلقة والدرة) وكراء موضع التعليم على المعلم، فإن استؤجر على صبيان معلومين سنة معلومة، فعلى أوليائهم كراء الموضع» (1).

قال أبو العباس المغراوي بعد نقل كلام ابن عرفة: «الفلقة جمع فلق يجلسون عليه» (2) ولم يرتض محققه الدكتور عبد الهادي التازي هذا التعبير في قوله «يجلسون عليه»، فقال في تعليقه عليه:

«تفسير غريب للفلقة التي عشنا مع التهديدات بها شهورا وأعواما، إنها عبارة عن عصاً يُربط بحبل من أحد طرفيها إلى آخر، وتجعل رجلا التلميذ المعاقَب داخل ذلك الحبل، وتشدّ فيضرب على أسفل قدميه. قال: ولعل هناك تحريفا لكلمة (يجلسون عليها) التي كانت في الأصل ما يشبه (يُحبَسون عليها)، وقد تبعه ابن عرضون الذي كان ينقل عنه في هذا التفسير... لقد شرح الفلقة شرحا يتلاءم والحصير الذي يجلس عليه التلاميذ» (3).

---

1 -جامع جوامع الاختصار والتبيان للمغراوي: 91

2 - نفسه: 91.

3 - نفسه بالهامش رقم 2، ص 91 .



فقول الدكتور التازي عن الفلقة «التي عشنا مع التهديدات بها شهورا وأعواما» يصف واقعاً تاريخيا طويل الأمد يكدر صفاء حياة المحضرة حقا، ولكنه من جهة أخرى يمثل صورة من الجدية الكاملة والصرامة التامة في تسيير هذه المؤسسة بطريقة تحفظ للقائم عليها هيبته وتمكنه من بسط سلطانه على من تحت يده بسطا كاملا لاهوادة فيه، لا سيما حين يكثر عددهم، وتكون من بينهم بعض العناصر التي تثير الشغب، وتحتاج إلى التقويم والعلاج الدائم.



# الفصل الثاني

## العطل وأوقات الاستراحة والاستجمام

لكل عامل فترة -كما يقول المثل- ومن ثم فلا بد لكل جاهد من متنفّس يجدد فيه نفسه، ويسترد فيه حيويته، ويستعيد نشاطه، وأوقات العطل والاستراحة هي نوع من هذا القبيل، فهي فرص للاستجمام وتجديد النشاط، ولذلك أنشدوا في المعنى:

أفد طبعك المكدود بالجد ساعة ** يُجَمَّمْ وعلِّله بشيء من المزْحِ
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن ** على قدر ما يعطى الطعام من الملح (1)

والعمل في التأديب والتكتيب والإقراء عمل مرهق لا يعرفه إلا من تمرس به فاعلا ومنفعلا، إذ يكاد يستوعب الزمان اليومي كله، بل قد يستغرق معظم الليل أيضا، فلا تبقى مع الجد فيه فسحة للراحة، سواء بالنسبة للشيوخ المؤدبين أم بالنسبة للأطفال والمتأدبين.

ومن هنا دعت الحاجة بل الضرورة إلى مجموعة من الوقفات الاستجمامية في أثناء المسيرة، كما دعت إلى تنظيمها وفق مقاييس محددة ومعتبرة، تحقيقا للمصلحة، وحفاظا على الوقت والجهد من التسيب والانفلات، وتوحيدا للعمل أيضا في المؤسسات المشابهة مراعاة للنظام.

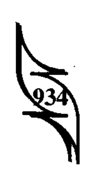
1 - نسبه في زهر الآداب: 207/1 لأبي الفتح البستي، ورأيته في الشطر الأخير بلفظ: «بمقدار ما يعطى»



وقد استقرت عند المعلمين والمتعلمين أعراف في هذا التنظيم، بعضها كان بفعل تدخل السلطان، كما تقدم من تعيين يومي الخميس والجمعة للاستراحة في خلاقة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وبعضها من إملاء ظروف المؤدبين وحاجتهم في المناسبات الدينية إلى التفرغ لقضاء ماربهم الخاصة، وزيارة من يحتاجون إلى زيارتهم، أو نحو ذلك مما لا يتمكنون منه أثناء العمل الراتب المستمر، كما أملت العلاقات والمناسبات الاجتماعية والوطنية مجموعة أخرى من الحاجيات إلى بعض الوقفات تضطر معها (المحضرة) إلى التوقف، ويتخذها المؤدبون أحيانا مناسبات للحصول على بعض المكاسب والهبات تساعدهم على تحقيق مقدار من الدخل المادي الذي يحتاجون إليه في التفرغ لما هم بصدده من العمل المتواصل الدائب، وبعض هذه الوقفات منظور فيه أيضا إلى حال المتعلمين، لا سيما الصبية الصغار الذي يحسون بكثير من الإرهاق بسبب حبسهم عن الحركة في الكتاتيب، وحرمانهم الطويل من اللعب وتفريغ النشاط الزائد، وهذا الإحساس بالحاجة إلى الترفيه عن النفس أمر مشترك بين الصغار والكبار، لكنه عند الصغار أبعد أثرا وأبلغ.

واعتبر بحال وفد الحبشة ضيوف النبي - ﷺ- الذين قاموا، وهم في مسجده الشريف، يلعبون بحرابهم، وانظر كيف تفرج عليهم النبي - ﷺ- ومعه زوجه أم المؤمنين عائشة وهي طفلة صغيرة، وكيف كان يستحثهم على ذلك بقوله: «دونكم يا بني أرفِدة» (1).

1 -أنظر في فتح الباري باب قصة الحبش وقول النبي -ﷺ- يا بني أرفدة: 553/6 .



ولهذا نبه المربون على وجوب توفير وقت للصبيان للترفيه واللعب «لأن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم يميت قلبه ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الخلاص منه رأسا» (1).

## العطل الأسبوعية والموسمية والطارئة

ولهذا الغرض من الترويح عن الناشئة وعن المؤدبين في آن واحد، تعارف أهل هذا الشأن على تعيين أوقات من الأسبوع واليوم والعام والأحداث الطارئة لأخذ قسط كاف من الراحة، تعارف المعلمون عليه في عامة البلاد، وإن تفاوتوا في تقدير مقدار الراحة فيه من الأيام.

فأما الاستراحة اليومية فهي على فترات:

أولاها تكون في آخر الضحى العالي بعد أن يكون الأطفال قد فرغوا من عمل الصباح، ويتلخص العمل في قراءة (حزب اللوحة) في انتظار جفاف اللوحة، ثم كتابة جزء من اللوحة إما بواسطة استفتاء (الطالب) أو غيره من مساعديه، وإما من حفظه إذا كان قد بلغ أن يحضّر ما يكتبه ثم يكتبه (من رأسه) ثم عرض ما كتبه على (الطالب) لتصحيحه وإتمام ما بقي من لوحه، والشروع في (السلاكة) بين يديه، ثم حفظ لوحته تدريجيا ونسبيا حسب مقدرته استعدادا لعرضها غيبا أو ظاهرا بحسب قدرته، فإذا حان موعد الإفطار في وقت الضحى الأعلى دعا (الطالب) التلاميذ إلى (العرض) عليه، فمن عرض لوحه «أمره (الطالب) أن ينوط لوحته بوتد في الحائط معدٍّ لذلك، بأن يأخذ خيط لوحته الذي في ثقبة بأعلى وسطها قرب حرفها

1 - نقله الشيخ عبد الله علوان في كتابه: تربية الأولاد في الإسلام: 1/123-2/1017



الأعلى معقوداً طرفاه عقداً متينا بحيث لا ينحل أثناء التعليق، فيدخله في رأس الوتد، ثم يصرفه (الطالب) من المكتب ليتناول غداءه وينقلب إلى أهله مسروراً، يقطع طريقه بالحجْل والعفد والقـزل أو بالخرطفة والطفور والطمور (1)، وإن صادف جحشاً اطَّفَره (2) بلا إكاف (3) إلى باب الدار، وتلقاه أهله بالبشر والطلاقة، لحذقه لوحه، بآية انقلابه في الوقت المحدّد لغدائه.

وإن لم يحفظ لوحه يبق في الكتاب إلى أن يقوم قائم الظهيرة أو يكاد، فيصرفه (الطالب) يمشي متباطئا، كأنما يرسُف على وحَل، وينقلب إلى أهله كئيبا واجما، فيتلقّونه بالعبوس واللوم، ويقرعونه بتفوق لدَاته (4) عليه، كل ذلك كي لا يعود مرة أخرى لمثل هذا الفعل.

وأما من يكتب الربع أو النصف من التلاميذ فإنه يذهب لغدائه بعد الكتابة وتصحيح (الطالب) وقراءة لوحه مرات يسيره، ولو لم يعرض حفظه على (الطالب) (5).

وبعد أذان الظهر يرجع التلاميذ إلى مكتبهم يعكفون فيه على قراءة الوجه القديم من ألواحهم المكتوب قبل يومهم، وهو الذي يغسلونه في غدهم إن حفظوه حفظا محكما.. وهكذا دأبهم إلى أن يقرب العصر فيستدعيهم (الطالب) واحدا تلو الآخر ليحذقوا عليه ألواحهم، وفي هذه الحالة يوجه

---

1 - كل هذه أنواع من السير مع العبث بحركات الجسم والمرح الطفولي المعروف.
2 - ركبه بالطفر عليه، وقيل: أدخل قدميه في رفغيه حال عدوه.
3 - الإكاف: البرذعة.
4 - اقرانه وأترابه.
5 - المدرسة الأولى للشيخ الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 56-57 .



التلميذ الوجه الذي يقرؤه من اللوحة تجاه (الطالب) لئلا يسرق منه بنظره - واضعا يده اليمنى على اللوحة، واليسرى على أسفلها، فإذا قرأها ولو لم يبالغ علقها بالوتد، ثم بعد العصر ينصرف الصغار، ويبقى الكبار لقراءة الأحزاب والأسوار إلى المساء (1).

## الأسبوع الدراسي واليوم المدرسي وبرنامج العمل

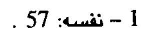
ويذكر الأستاذ سعيد أعراب ما عليه العمل في الكتاب في المناطق الشمالية من المغرب، وهو عمل لا يكاد يختلف عما يجري في سائر المناطق المغربية فيقول:

«يحدد منهج الكتاب القرآني الأسبوع الدراسي ابتداء من يوم السبت، وينتهي عند زوال يوم الخميس، وكل يوم الجمعة عطلة.

وهناك عطلة عيد الفطر، وعيد الأضحى - ثلاثة أيام إلى خمسة، يضاف إليها عطلة الختم والحذق وسواهما من المناسبات التي يفرضها قانون الكتاب لكل بلد.

أما اليوم المدرسي، فبرنامج العمل فيه:

- ✓ من الصباح الباكر إلى وقت الضحى لعرض القران واستظهاره.
- ✓ عند الضحى استراحة لتناول الفطور - بعد محو الألواح.



1 - نفسه: 57 .



✓ من الضحى إلى ما قبل الظهر للكتابة وسلك الألواح (إصلاحها وتجويدها).

✓ وقبيل الظهر ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء.

✓ بعد الظهر يعود التلاميذ لقراءة الألواح وحفظها.

✓ وعند العصر استراحة خفيفة تختلف حسب قصر النهار وطوله يوسع عليهم في طوله، ويضيق عليهم في قصره» (1).

## عطلة الأسبوع من عصر الأربعاء إلى يوم السبت

### وما يقترن بها من أدبيات تمثل الابتهاج بها والغبطة

وقال الفقيه الإلغي يحكي عن جو المحضرة وما يرتبط به من جد واجتهاد وأيّام الأسبوع:

«هذه هي الحال طوال أيام السبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء، أو علي الأصح إلى عصر الأربعاء الذي تستنشق فيه الراحةُ من تعب التعلم، وينهمكون في ألعابهم المتنوعة إلى صبيحة الخميس التي يعاودون فيها قراءة ألواحهم بعض الوقت، ثم ينصرفون إلى عصر يوم الجمعة الذي يستقبله التلميذ بما لا يوصف من كآبة وقلق بال لا يقاومُهما سرور عصر الأربعاء» (2).

---

1 - القرآن والقراءات بالمغرب: 12 .

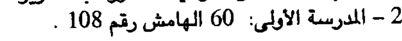
2 - كتاب المدرسة الأولى للإلغي: 60

وقد لا حظ بعض الباحثين أن المغاربة مع تصرفهم نوعَ تصرف في هذه السنّة العمرية إذ أدخلوا عليها بعض التعديل، قد حافظوا على روحها من أجل مصلحة التعليم، وذلك لأن التعطيل لمدة يومين متتاليين من شأنه أن يوفر للتلميذ فُرَصا من الشرود عن الكتّاب، ونسيان ما حفظه من الأسوار، و بل يؤدي إلى بطلان محو لوحه في اليوم الموالي لليومين، ومن ثم فقد حافظ المغاربة على القراءة يوم الأربعاء إلى صلاة العصر حتى يحفظ الأطفال ما سوف يمحونه صباح يوم الخميس. كما حافظوا على عطلة الخميس، لكن بعد كتابة الألواح وقراءتها في الصباح» (1).

هذا ولا تزال أسماء أيام الأبعاء والخميس والجمعة تقترن في أذهان التلاميذ والطلبة منذ القديم بمظاهر الفرحة والابتهاج ومشاعر الغبطة والامتنان، على الرغم من انصرام زمنها بسرعة وحلول ما يكدر صفاءها من بعدها بحلول ظهر الجمعة أوصباح السبت، وهذه نماذج من الأدبيات المحضرية التي أوحت بها هذه الأيام وما فيها من المسرات لطائفة من الأدباء منها قول الشاعر:

يا للرجال ليوم الأربعاء أما ** ينفكّ يبعث لي بعد النُّهَى طربا؟ (2)

وهذا البيت من شواهد الاستغاثة في علم النحو، ومعناه أن يوم الأربعاء كان حلوله مبعث طرب عظيم له وهو في ميعة الصبا وباكورة الشباب، ثم ها هو ما يزال على حاله يريد أن يحمله على مثل ذلك حتى بعد أن تقدمت به السن، وبعد أن ذهب الموجب الذي كان يبعث على المرح والابتهاج أو ضعف.



1 - كتاب الأنصاص القرانية للدكتور عبد العزيز العيادي: 1/61-62.
2 - المدرسة الأولى: 60 الهامش رقم 108 .



وقال آخر في هذا المعنى:

مـا زال يومُ الأربعـاء يميل بي ** نحـو الصبا ويَهيجُ لي أفـراحـا
يبقى الفتى المكدود في أشغاله ** بالجـدِّ يدرُس كـتـبـا أو ألـواحـا
وعـوامل الأفكار فـيـه نواصبُ ** إذ هب ريحُ نسـيـمـه فـارتاحـا
واهتـزّ روض نشـاطه لِهـبـوبه ** فتـهاديا في ذاك: عِمْتَ صباحا(1)

وقال غيره في اليومين القرينين: الأربعاء والخميس:

اليـــومَ يومُ الأربعــــا ** وبعـــدهُ يومُ الخـــمـــيس
هيِّئ له مـــا تشـــتـــهي ** واخـــتـــر له نـعم الأنيس (2)

قال أبو عبد الله محمد الإفراني بعد ذكر هذين البيتين:
ولما أنشد تهما صاحبنا الأديب الفقيه المشارك سيدي صالح بن معطي نسأ اللهُ في أجله- ذيّل عليهما فقال:
وخـــيــرُ مـــا أعـــددتَه ** لذاك قِـدْرٌ من حـمـيس (3)
قال: فقلت أنا:
والكسكســـون حُـــبُّـــه ** في خـــاطري حُبٌّ رســـيس

---

1 - الأبيات في كتاب إتحاف الخل المواطي ببعض مناقب الإمام السكياطي: لوحة 23 (مخطوط). لمحمد التهامي الأوبيري
2 - البيتان متداولان بهذا اللفظ عند طلبة المحاضر والمدارس العتيقة وقد ذكرهما أبو عبد الله الإفراني في المسلك السهل : 428-429.
إلا أن عنده في البيت الثاني:
فـــاخـــتـــر له مـــا تشـــتـــهي ** واجـــــعل لـه نـعم الأنـيس
3 - الحميس والحميسة: القلية، وحَمّس اللحم: (القاموس المحيط: حمس) والحماس بتشديد الميم في الجنوب المغربي: القِدر الخاص بالمرق (الطنجية).

قال: وزاد صاحب لي:

وفـي الـزُّلال غُـنْـيـــــــــــةٌ ** عن شُـرب كـأس الخَندريس (1)

فــــــــاغـنَـم نـزاهـةً عـلـى ** وادي الجـــواهـر النفـــيس (2)

أو المُصَلَّى فـــاقـــصـــــدْنْ ** من قـبل أن يحْـمَى الوطيس (3)

قال الإفراني: وبيت شيخنا المذكور من قول محمد بن علي الخطيب القصري أحد أشياخ ابن غازي ذكره صاحب الجذوه وأنشد له:

إذا أتيت الخـميس افـعل تَوَابِلَه ** من الخـمـيس وإتيـان لدولاب (4)

قال الإفراني: ويتعلق بذيل الأبيات ما كتب به بعضهم يستدعي صاحبه:

اليـــومَ يومُ الجُـــمـــعـــة ** يـوم سـكـون ودَعَـــــــــــة

وشــــملُنا مُــــفــــتِــــرق ** فــــهل تَرَى أن نجــمــعــه

فأجابه:

اليـــومَ يومُ الجُـــمـــعـــة ** وربُّنَا قـــــد رَفَـــعَـــه

والشـــرب فـــيـــه بِدعـــةٌ ** فــــهل تـرَى أن نَدَعَـــه (5)



1 - من أسماء الخمر، والزلال: الماء العذب الصافي.

2- وادي الجواهر: هو المعروف اليوم بوادي فاس، ويتفرع من نهر سبو على بعد بضع كيلو مترات من فاس. أنظر كتاب المغرب: تأليف الأستاذ الصديق بن العربي: 244.

3 - يعني قبل أن يشتد حر المصيف.، أنظر المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل لمحمد الإفراني 428-429 .

4 - المسلك السهل: 429-430 وما ذكره في جذوة الإقتباس لأحمد بن القاضي: 245/1 ترجمة 237 وعنده أنه هو الآخذ عن ابن غازي، وقد قال البيت في سوق خميس فاس.

5 - المسلك السهل: 431 .



وفي يوم الخميس يقول الشيخ أبو حامد العربي بن عبد الله المسّاري -بتشديد السين- نسبة إلى بني مسّارة قبيلة بالشمال المغربي - في أرجوزته المسماة: سراج طلاب العلوم وقد نوهنا بها في أراجيز المغاربة في التربية والتعليم في النماذج السالفة:

يومُ الخميس هو عيد الطَّلبة ** خُذ فيه راحتك يا ذا المرتبة
واخرج به واللحظَ سرِّح في رياض ** من تحتِه تجري جداولُ حِياض
والطيرُ تشدو والغُصون في مَرَح ** والأُنْس يجري في ميادين الفرح
والزَّهرُ أكمامَه شَقٌّ من طرَب ** وابتسمت ثغوره من ذا العجب
ولتخْرُجَنَّ لفسيح مُتَّسِع ** أو موضعٍ عالي الفجاج مرتفع
واجعل خروجَك على أكمل حال ** مع رُفقةٍ ذات جمال وكمال
وروِّحوا الخاطر بالمُباح ** فما عليكم فيه من جُناح
ولتنشدوا الأشعارَ فيه بالنغَم ** فإنه صفوٌ لذائذ النِّعم
ولعب الكرة ليس مذهبي ** إذ فيه للقتال أقوى سبب (1)

وقال الشيخ محمد بن عزوز قاضي مدينة أسفي المدعو كرضيلّو (ت بعد 1125 هـ) في أرجوزته «نكتة المعلمين» مشيراً إلى عطلة الخميس والجمعة:

وإثر كَتْب اللوح قلْ بالثبْت ** يومَ الخميس لصباح السبت
قد سنّ ذلك أبو حفصٍ عُمَر ** فمن أماتها فلا شك افتقر
كما دعا به وَمَنْ أحياها ** يكون في الأمة من أغناها (2)

---

1 - أنظر كتاب الإبتهاج في شرح ارجوزة السراج لأبي العباس أحمد بن المامون البلغيثي.

2 - نكتة المعلمين: (مخطوطة) تقدمت في أراجيز المغاربة في تعليم الولدان.

وقال الشيخ محمد المهدي متجنّوش الرباطي من أهل القرن الرابع عشر الهجري في أرجوزته «هدية المؤدب مشيراً إلى وجوب إعطاء الفرصة للعب الصبيان:

يؤمَر باللَّعِب من بعد الأدب ** ليستريح فكرُه من التعب
فإنّ إرهاقَه بالتعليم ** يُبطل فكره عن التجزيم (1)

وقال صاحب الأقنوم في مبادئ العلوم:

وفي الخميس وصباح الجمعة ** إراحَةٌ لسُنَّةٍ متبعة
قال الجزولي طَلَب الغِنَى عُمَرْ ** لتابع سُنته ذا في الخبر
ولِمْيتها افتقاراً ورَدا ** كَتبَ صبيحةِ الخَميس قيّدا
وبعدَ ظُهْرِ جُمْعةٍ للعصر ** عن عُمرٍ هذا رَوَوْا بأمر(2)

ومما قيل في يوم الخميس قول الأديب السوسي علي بن عبد الله الإلغي مرحبا بوفد من أدباء سوس نزل به هذا اليوم:

لله يومُ الخيس جادَ لي بلقَا ** مَنْ كنت من بينه قبل اللقاء لَقىً (3)
حَيَّوا فأحيوا نفوساً طالما قُبِرت ** واستأصل البُعدُ من أرواحها الرَّمقا
وفى لي الدهرُ مُذْ وافَوْا وجدَّد لي ** من وَشْي بُرد التهاني كلَّ ما خَلَقَا
ما كنتُ أقضيهم الحقَّ الذي لهم ** وإن فرشت لهم مِنْ جَفْنيَ الحَدَقَا (4)

---

1 – هدية المؤدّب المبينة لأحكام المؤدب والصبيان في المكتب: 232/2 للشيخ محمد المهدي متجنوش تحقيق سعيدة إدريس تفراوتي – مجلة فضاءات تربوية تصدرها وزارة التربية الوطنية بالرباط العدد: 2 مارس : 1965 م ص 233

2 – الأقنوم في مبادئ العلوم لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي: 113/2-114 (علم اداب القراءة) مخطوط وتقدم نص ما نظمه في هذا اللفصل.

3 – لقًى: طريحا مهملا.

4 – سوس العالمة: لمحمد المختار السوسي: 110-111 .



# ما ينغص فرحة يوم الخميس

ومع كل هذه الذكريات الجميلة التي تشيد بيوم الخميس وما يثيره عند تلاميذ الكُتاب والمحضرة من نشوة الفرح ومظاهر الغبطة والارتياح، فإنه ربما تنغص على بعض الأطفال، فلم تكتمل لهم فيه الفرحة بسبب من الأسباب، مما يدل على أن جمال هذا اليوم ليس صفة ذاتية فيه لا ترتفع بوجود ما ينغصها، فقد حكى أبو عبد الله الإفراني في كتاب المسلك السهل بيتين في ذم أيام الخميس لشريح قاضي الكوفة في عهد التابعين قال فيهما:

عجبت لأيام الخميس وجَوْرها ** ومن ضُحْكَةٍ فيها تُسَدُّ المسامع

إذا أذنبت أيْدٍ تُعاقب أرجل ** كذى العُرِّ يْكوى غيره، وهْو راتع (1)

قال الإفراني:

وسبب قول القاضي للبيتين أن ولده جاء من المكتب يوم الخميس مضروب الرجلين، فقال له أبوه: ما السبب؟ فقال له: تخاطت مع تِرب لي، فغلبني في الخط، فضربني المعلم على رجلي» (2).

---

1 - العُرّ: الجرب، وهو مضمن شطر بيت للنابغة الذبياني في قوله:

فحمّلتني ذنب امرئ وتركته ** كذي العُرّ يكوى غيره، وهو رائع

ذكر في اللسان وقال: «والعُر بالضم: قروح مثل القوباء تخرج بالإبل متفرقة في مشافرها وقوائمها يسيل منها مثل الماء الأصفر، فتكوى الصحاح لئلا تعديها المراض» (اللسان - عرر: 555/4 )

2 - المسلك السهل لمحمد الإفراني: 197 .

ومما ينغص فرحة هذا اليوم تذكر مجيء يوم السبت بعد الغد منه لأنه موعد استئناف العمل المضني طوال الأسبوع، قال الشيخ الإلغي في وصف المعاناة التي يُعانيها طلاب المحضرة: «وهكذا دأبهم في الأيام الخمسة التي أولها السبت وآخرها عصر الأربعاء الذي يستنشق فيه التلاميذ الراحة من تعب التعلم، وينهمكون في ألعابهم المتنوعة إلى صبيحة الخميس... ثم ينصرفون إلى عصر يوم الجمعة، الذي يستقبله التلميذ بما لا يوصف من كآبة وقلق بال لا يقاومهما سرور عصر الأربعاء. قال:

وأثقل شيء على التلميذ، لا سيما البليد الفَدْم، بُزوغُ طلعة الشمس من يوم السبت، ولعل هذا عام في جميع الأقطار الإسلامية من قديم، فقد قال شاعر قديم:

أثقل من طلعة يوم السبت ** على ابن كُتّاب بليدٍ هبت (1) (2)

قلت: وأصل ما ذكره في البيت من قول الشاعر ابن الرومي:

أثقل من طلعة يوم السبت ** على ابن خَمس وعلى ابن سِتِّ (3)

وفي كتاب المقامات في المقامة الدينارية لبديع الزمان الهمداني فيما عيّر به أبو الفتح الأسكندري صاحبه حين تباريا في الشتائم أنه قال له:

«يا بول الخِصيان، يا مؤاكلة العميان، يا شفاعة العريان، يا سبت الصِّبيان» قال شارحه الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد:

1 - الهبت: الضعيف الذليل (اللسان - هبت: 102/2).
2 - المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 60 نقلا عن محاضرات الراغب الأصفهاني.
3 - البيت في كتاب التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي.



يوم السبت يأتي دائما بعد يوم عطلة، وهو يوم الجمعة، ولذلك يستثقله الصبيان، لأنهم يذهبون فيه إلى دور التعليم» (1).

ومما كنا نتداوله في الكتاب ترتيبا لفضائل أيام الأسبوع بالنسبة إلينا:

«السبت سَبُّوت، والأحد نَبُّوتْ، والاثنين عْمارة، والثلاثاء بْشارة، والأربعاء نْفَرْحوا، والخميس نْسرْحوا، والجمعة نْقَرْحوا» (2).

والإشارة بقوله «عمارة» إلى كونه يوم جد وعمل، وبقوله «بشارة» إلى ما فيه من المسرة بقرب يوم الأربعاء، وبقوله «نفرحوا» إلى حلول وقت الراحة من تعب القراءة ومعاناة الكتابة واللوح، وبقوله: «نسرحوا» إلى ممارسة الحرية والإنصراف إلى المرح ورعي الأغنام مع الرعيان، واللعب مع اللدات والأقران، وبقوله «نقرحوا» إلى حصول النكدِ وتكدر الفرح بحلول ظهر يوم الجمعة الذي هو في الغالب بداية المعاناة.

وفي بعض الجهات من جنوب المغرب يقولون: «والخميس نْسرحوا جْذَيْواتنا» جمع جَذي – بصيغة التصغير – وهي صغار المعز، والجمعة – وبعضهم يقول «والسبت يتْجبْذوا أُذَيْنَاتْنا» بصيغة التصغير – جمع أذن، وذلك كناية عن الشعور بقرب وقت عرض اللوح على الطالب، وقراءة الأسوار بين يديه، وذلك مظنة حصول الخوف من تعرض الصبي للعقوبة والنكال، حين يبدو منه تقصير في الحفظ والاستظهار، فيجبذ له الطالب أذنيه.

1 – شرح مقامات بديع الزمان الهمداني – المقامة 43 ص 381-382 .

2 – ما يزال هذا التقويم المحضري لأيام الأسبوع محفوظا في نواحي مراكش وآسفي عند الطلبة.



# التأصيل الشرعي لعطلة يوم الخميس وجناحيها

قال الشيخ العلامة العربي بن عبد الله بن أبي يحيى المساري في أرجوزته:

قال شارح الأرجوزة الشيخ أحمد بن المأمون البُلغَيثي العلوي الحسني في الإبتهاج:

«والمعنى: أن يوم الخميس هو عيد للطلبة يأخذون فيه راحتهم من جَهد القراءة في أيام الأسبوع، أي: لأن الدأب على الطلب من عوائق العلم، فإن النفس تَكِلُّ عند الإكثار عليها. ثم قال:

واعلم أن أصل البطالة يوم الخميس هو من أمر سيدنا عمر -رضي الله عنه- ففي أجوبة الولي الصالح سيدي المختار الكنتي -رضي الله عنه- ما نصه:

«وأما قولك: ما الأصل في ترك المتعلم من صبي وغيره قراءة الخميس والأربعاء من كل جمعة؟

فالجواب: أن لذلك أصلاً كبيراً، وذلك أن سيدنا عمر -رضي الله عنه- أمر باتخاذ المكاتب، ونصب الرجال لتعليم الصبيان وتأديبهم، وكانوا يسرمدون القراءة في الأسبوع كله، فلما بعث أهل إيلياء لعمر -رضي الله عنه- في القدوم إليهم ليفتحوا بيت المقدس وإيلياء على يده، وليتوثقوا منه، ففعل بعدما شاور أصحاب النبي - ﷺ- فمنهم من أشار عليه بالذهاب، ومنهم من أباه، وكان سيدنا علي -رضي الله عنه- ممن استحسن الذهاب،

فأطاعه عمر. فلما رجع قافلا، وكان أهل المدينة قد اشتاقوا إليه واستوحشوا لغيبته، فلما بلغهم أنه قد أظلهم (1) تلقّوه، ومعهم الصبيان. وكان اليوم الذي لَاقَوْهُ فيه يوم الأربعاء، فظلوا معه عشية يوم الأربعاء ويوم الخميس وصدراً من يوم الجمعة، فجعل ذلك لصبيان المكاتب، وأوجبه لهم، وسنه للاستراحة، ودعا على من عطّل هذه السُّنة، ثم اقتدى به بعد ذلك علماء السلف في الاستراحات المشروعة إلى يومنا هذا. قال:

وقد ألف السيوطي -رحمه الله- في هذا النمط كتابا نفيسا حضّ فيه على تفريح الصبيان، وتسريحهم عند سور معروفة، ويؤمر أهل الصبي بإطعام الطعام عند ذلك تعظيما لكتاب الله تعالى، وإكراما للعلم كما يشهد لذلك قوله-عليه الصلاة والسلام- أعطوهم ولا تؤاجروهم فتحرجوهم. قال:

وأما قولك: «هل يجوز العدول عن ذلك أم لا؟ فالجواب: أنه لا يجوز العدول عن هذه السنن، لأنه -عليه الصلاة والسلام- جعل سنة الخلفاء الراشدين من بعده سنته، وأنت تعلم ما في من أمات سنة من سنتي أمات الله قلبه يوم تحيا القلوب، ومن أحيا سنة قد أميتت أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب، وهذه سنة حسنة قد سنها عمر -رضي الله عنه- انتهى باختصار كثير» (2).

ونقل الشيخ المغراوي في كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان قول الإمامين الزناتي والجزولي في تأصيل عطلة يوم الخميس أنهما قالا:

---

1 - أي قارب بظله البلد، وهو كناية عن القرب.

2 - الابتهاج بنور السراج للبلغيثي: 1/259-261 والقصة مذكورة عند الشوشاوي أيضا في كتاب الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة: 287 وعند المغراوي في جامع الإختصار: 92 .



«وإطلاقهم يوم الخميس إذا كتبوا ألواحهم ومحّصوها وجوّدوها، وليس عليهم رجوع إلى المكتب إلا صبيحة السبت. قال:

وأصله ما رواه الواقدي أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- افتتح الشام وأطال الغيبة، فلما رجع خرج الناس شوقا إليه للقائه على بُعد مسافة، وكان خروجهم يوم الخميس غدوة، فأول من اتصل به الأولاد، لنشاطهم وفرحهم به، فبات الناس معه ليلة الجمعة في بقية سفره، فأصبح على مرحلة من المدينة قبل صلاة الجمعة، فقال للأولاد:

أنتم خرجتم وتعبتم يوما في الخروج ويوما في الرجوع، فقد جعلت لكم يوم الخميس والجمعة وقت راحة، وكذلك لمن بَعدكم إلى يوم القيامة.

زاد الجزولي: ودعا بالغنى لمن أحيا سنته، وبالفقر لمن أماتها» (1).

وفي المعيار الجديد للوزاني:

والأصل في بطالة الخميس والجمعة ما قاله الخرشي في كبيره والنفزاوي على الرسالة، والشوشاوي في الفوائد الجميلة، والزناتي في حُلل المقالة قالوا:

أول من جمع الأولاد في المكتب عمر بن الخطاب، وأمر عمر عبد الله الخزاعي (2) أن يلازمهم للتعليم، وجعل رزقه في بيت المال، وكان منهم البليد والفهيم، فأمره أن يكتب للبليد في اللوح، ويلقن الفهيم من غير كتب. وكان عمر -رضي الله عنه- يُشهدهم على الأمور التي يخاف عليها

1 - جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي: 92 .
2 - المشهور أنه عابد، وفي بعض المصادر: عامر.



الانقطاع بطول الأزمان كالنسب والحُبُس والوَلاء، فسأله الأولاد أن يشرع لهم التخفيف، فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح إلى الضحى العالي، ومن صلاة الظهر إلى صلاة العصر، ويستريحون بقية النهار، إلى أن خرج إلى الشام عام فتحه، فمكث شهراً، ثم رجع إلى المدينة وقد استوحش الناس منه، فخرجوا للقائه، فتلقاه الصغار على مسيرة يوم، وكان ذلك يوم الخميس (1) فباتوا معه، ورجع بهم يوم الجمعة، فتعبوا في خروجهم ورجوعهم، فشرع لهم الاستراحة في اليومين المذكورين، فصار ذلك سنة إلى يوم القيامة، ودعا بالخير لمن أحيا هذه السُّنة، ودعا بضيق الرزق لمن أماتها» (2).

ومازال عمل معلمي الصبيان جارياً في جميع البلاد الإسلامية علي هذه السنة العمرية، وبذلك أخذنا عن شيوخنا ومعلمينا من أهل القرآن.. وكانت أمسيات الأربعاء في بعض الجوامع التي قرأنا فيها مناسبات لحفلات الشاي ومجالس الأنس التي كنا نتناشد فيها الأشعار والأنصاص فننسى فيها أتعاب الأسبوع والسهر المتواصل في مجالس (الأسوار).

وقال أبو العباس المغراوي في كتابه الجامع:

«وقد بقي العرف بتلمسان وأنحائها على عدم إقرائهم عشية يوم الجمعة، فأما أهل بلدنا (3) فيجعلونه تفكيرا للألواح لئلا يتعذر المحو على جلهم صبيحة يوم السبت» (4).

---

1 - تقدم أن ذلك كان عشية الاربعاء.
2 - المعيار الجديد: 229/8 .
3- يعني مدينة فاس وما إليها.
4 - جامع جوامع الاختصار والتبيان لأبي العباس المغراوي تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي: 93 .

وهذه الحبوب تأتي مما اتفقت القبيلة على أن تدفعه للمدرسة من أعشارها (ثلثها وهو الغالب، أو غيره من الأجزاء) على قول من أجاز دفع الزكاة للعلماء أو من في طريقهم، وهم الطلبة الذين يقرأون ويعمرون مساجد الله.

وإذا جمعت القبيلة الحبوب في الهُرْي أقفلت عليه، ووضعت مفتاحه عند أمين يدفع للفقيه وللطلبة نفقتهم رأس كل شهر، وربما تعددّت الأقفال والأمناء، كل أمين بمفتاحه، فلا يفتح الهُري إلا باجتماعهم، يجتمعون رأس الشهر لدفع المبلغ الشهري لمن في المدرسة، كل بمقداره بعد أن أكلوا وشربوا عند الفقيه ولابد» (1).

وهنالك طرق أخرى للتموين ذكرها، ومنها: «من يجرون الرواتب على الطلبة في وادي سوس ونواحيه، وهي عادة ألفوها قديما إلى الآن، يفرحون بها جدا، ولا يضجرون من تردد الطلبة الذين يأتونهم لأجلها كل صباح ومساء (2).

### 5 - نظام التويزة:

هو نوع من التكافل الاجتماعي أدركناه، وكان واسع الانتشار في البادية، وهو يقوم على مبدإ التعاون بين أفراد الجماعة المحلية لسد حاجة المستعضعفين والعاجزين فيما يتعلق بحراثة أرضهم، وأحيانا في جمع البذور والحراثة معا، ويكون ذلك في العادة في صبيحة واحدة، أو في يوم

---

1 - المدرسة الأولى للشيخ الفقيه صالح بن عبد الله الإلغي: 12-13 .

2 - نفسه: 12-14 .



كامل، سواء كان حراثة أو تنقية أعشاب من الحقل، أو كان حصادا، وحتى في بعض الخدمات عند النساء في غزل الصوف أو غسلها ونسجها.

والذي يهمنا في الموضوع هو «تويزة الطالب» وتكون في العرف في الغالب داخلة في (الشرط) بحيث يشترط (الطالب) على الجماعة أن تمده بالتويزة عند إعلامه لها بالحاجة إليها لحراثة الأرض أو جمع محصولها، وغالبا ما تكون في آخر موسم الزرع أو الحصاد، وبعد أن يكون أهل الجماعة قد أنجزوا معظم الخدمات الخاصة بهم، ومما عرفته من أنواع هذه التويزة ثلاثة:

1 - **النوع الأول**، وهو الأكثر، ويتعلق بحراثة الحقل أو الحقول التي يملكها الطالب إعانة له وكفاية، حتى لا يشغله همها عن القيام بأمر التعليم وشؤون المسجد.

2 - **النوع الثاني**، وهو دونه، أن يأخذ الطالب أرضا لغيره مشاركة أو بالكراء، فتقوم الجماعة بحراثتها وسائر تكاليفها عن طريق التويزة الجماعية.

3 - **النوع الثالث**، وهو الأولى والأهم، أن يكون للجامع أرض حبسية لحساب المشارط في المسجد، أو له مع طلبته، وهذه تدخل ضمن الاعتبار في الشرط، لأنها في الغالب من وسائل الإغراء للطالب على المشارطة في المسجد، كما أن الجماعة تتعهد بتقديم هذه الخدمات تشجيعا له على البقاء عندها، وعدم الانتقال عند غيرها.



وهذا النوع الثالث أكثر أهمية، لأنه يدر على الطالب رزقا قارا إلى جانب ما يتقاضاه من الشرط، لكنه حينما يكون الحبس المذكور عليه وعلى طلبة المسجد، يصبح ملزما بتموين الطلبة، إما بجعل نصيب الطلبة تحت يد أمين من الجماعة أو رئيس مقدم لذلك ليتولى الإشراف على التموين، وإما بتفويض الجماعة الشأن إليه فيتصرف في الحبس حسب ما يراه.

وحينما لا تكون التويزة داخلة في الشرط يلجأ الطالب إلى طلب العون من فلاحين مخصوصين لتقديم العون له في آخر موسم الحراثة، كما أنه في الغالب يستعين بطلبته في وقت الحصاد، لا سيما إذا كان الحقل تابعا لأحباس المسجد، وهذا هو الشائع في قبائل الجنوب المغربي.

ولقد شاركنا أكثر من مرة في مسجد بعض شيوخنا في النوع الأخير، وكان الحقل كبيرا جدا بحيث تستعمل الجماعة التويزة فيه لأكثر من يوم، كما يشتغل فيه الطلبة في وقت الحصاد أياما معدودات.

وقد تطورت التويزة في العقود الأخيرة فأصبح بعض من يملكون آلات الحراثة والحصاد يتطوعون من تلقاء أنفسهم بحراثة ملك المدرسة وحصاده في يوم يتواعدون فيما بينهم عليه.

هذه في الجملة هي أهم روافد الشرط التي يستفيد منها الطالب المشارط.

**8 – الاعشار:**

وهي الزكوات التي يخرجها بعض أفراد الجماعة، ويريد أن يدفعها إلى المدرسة القرآنية مساعدة لها على تموين الطلبة الغرباء النازلين بها،



وينتشر العمل بهذا في كثير من المدارس العتيقة بسوس، ويتولى القائم عليها تصريف هذه الأعشار في هذه الوجوه، ويدخر ما قد يفضل منها لوقت الحاجة، وربما اعتبر مؤونته ومؤونة أهله داخلة في مقصد المتصدق بها فيتصرف فيها على هذا الأساس.

7 - **الجمعية** (**جمع الزبدة**):

والمراد بها مخضة يوم الجمعة من الأسبوع في أيام شهر فبراير أو مارس في الغالب، وقد كنا ونحن صغار نتولى جمعها لبعض شيوخنا ممن يعلم أنهم يمخضون البقر من جماعته. والجمعية داخلة في الشرط عرفا، وليست إلزامية، ولكن نساء الجماعة يفرحن كثيرا بأدائها، وكثيرا ما يحتفظن بها على حدة حتى يبعث إليها الطالب، وتزداد غبطة إحداهن إذا كانت المخضة جيدة. وفي بعض القبائل يخرج الطالب إلى جمعها بنفسه، ولا سيما حين يكون شرطه على القبيلة كلها، ولذلك تجتمع عنده منها الخوابي العديدة، وقد يبيع منها مقداراً كبيراً كما حدثني بذلك بعض الطلبة (1) وقد تعرض الفقيه السيد إبراهيم إذ إبراهيم التامري لهذه العادة في سياق بعض تراجم فقهاء حاحة، فقال في رسم أحد أبناء عم والدي -رحمهما الله- وهو السيد سعيد بن أحمد حميتو إمام مسجد سيدي يعقوب بأفرني -أيت آمر قبيلة حاحة.

---

1 - أخبرني بذلك أحد تلامذة الشيخ الحسن إبّندو -رحمه الله- الذي كان يجمع له الجمعية حين كان مشار طا بمدرسة سيدي أبي البركات بنواحي الصويرة.



«ويرجع اتصالي به إلى سنة 1383 هـ وأنا في الرابعة عشرة، أيام كنت بمدرسة سيدي عبد الرحمن لدى أبي العباس سيدي أحمد إيمحي كتلميذ، قمنا بجولة ربيعية معه لجمع (الزبدة) على عادة تلك الأجيال، ومررنا بالمترجم، وهو مدرس بمدرسة سيدي يعقوب» (1).

وقال في رسم سيدي عبد الله الجيد من كتابه:

«وكنت في معية الأستاذ أبي العباس سيدي أحمد إيميحي آخذ عنه بزاوية سيدي عبد الرحمن تجويد القرآن، وهو إذ ذاك يتجول عبر قبيلة آيت آمر في فصل الربيع لجمع الزبدة على العادة المتواترة» (2).

على أن في قوله: «على عادة تلك الأجيال» ما يدل على أن هذا التقليد المحضري قد أصبح اليوم في خبر كان أو كاد، وذلك لتغير الأحوال، وقلة الأبقار بسبب توالي أعوام الجفاف في هذه الجهات، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد أشار الفقيه الإلغي في كتابه «المدرسة الأولى» إلى هذا التقليد المحضري، واعتبره داخلا في الشرط بحكم العرف فقال عن مقدار الشرط ونوعه:

و«زبدة أو زبدتان في فصل الربيع على من يستعمل ممخضته» (3).

والدليل على دخول هذه العادة في الشرط قدم العمل بها، فقد ذكرها صاحب المعيار، وذكر وجود خلل فقهي في اشتراط الطالب لها يقضي بالمنع فقال في المعيار:

---

1 - المتعة والراحة: 2/278-279.

2 - نفسه: 1/510.

3 - المدرسة الأولى: 23، والممخضة: هي المعروفة بالشكوة، وهي مثل السقاء وعاء من جلد المعز في الغالب يشد بثلاثة حبال بين ثلاثة قوائم ويمخض فيه الحليب الرائب حتى تنفصل الزبدة عن اللبن.

# فتوى فيما يأخذه المعلم في البادية من الزبد من كل خيمة في الربيع

«وسئل – يعني المذكور قبله وهو سيدي علي بن عثمان– عما يأخذه المعلم من الزبد في البادية في فصل الربيع، يجعلون له مخضة زبد على كل بيت من بيوت الحلة، على من عنده الولد ومن لا ولدَ عنده، ويسمونه (خميس الطالب).

فأجاب:

«ما يأخذه المعلم ممن لا ولد له من الزبد سائغ له، إن قصد المعطي التبرك بما يقبل منه حملة القرآن، لما خُصُّوا به من الكمال في حفظ كتاب الله.

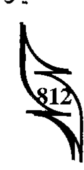
ويأخذه من آباء الأولاد إن كانوا متبرعين به فكذلك.

وإن كان شرط عليهم في عقد الإجارة لم يَسُغْ، لأن الإجارة مجهولة للجهل بالعوض، إذ لا يعرف قدر غلة الخميس، والواجب في هذه الإجارة الفسخ والرجوع إلى إجارة المِثل فيما مضى وفات من التعليم» (1).

وجامع هذه الفتاوي الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي توفي سنة 914 هـ وهو ينتمي إلى عصر الوطاسيين، وصاحب الفتوى المنقولة في السؤال والجواب عنها أقدم وجودا من هذا التاريخ، وهذا كله يفيد

---

1 -المعيار: 8/260-261 .



أن عمل أهل المحاضر والطلبة المشارطين على أخذ (خميس الطالب) المسؤول عنه من (الزبدة) قديم العهد يرجع إلى عصر المرينيين في المائة الثامنة والتاسعة، إلا أنه تطور بعد ذلك عند من قبلنا، فنقلوا الأخذ ليوم الجمعة، وأطلقوا على المأخوذ (الجمعية) أو (جمعية الطالب).

والعمل كما أدركناه على أخذ ثلاث جمعيات متتابعة في ثلاثة أيام جمعة من شهر فبراير أو شهر مارس بحسب ما يرى الطالب من الخصب والجدب في هذا الوقت من السنة.

8 - **الاربعاوية:**

هي ما يعرف عندنا باسم «الربعية» بفتح الراء وسكون الباء، وهي عطية يوم الأربعاء بعد الظهر يأتي بها الصبيان خاصة، ويعفى منها الطلبة الكبار، ويتناسب قدرها بحسب سن التلميذ، ومستواه في السلكة، وحسب وسع أهله وقوة رجائهم في تعليمه، وهي داخلة أيضا في التعاقد في الشرط من جهة العرف دون تقدير قيمة محددة، إلا أنها في الجملة عطية زهيدة تبتدئ من نصف الدرهم، إلى الدرهم، إلى خمسة دراهم، وقلما تتجاوزها، إلا أن يتعدد الصبيان في المحضرة من البيت الواحد، فيشتركون فيها على مضض منهم، إذ أن الصبي يكون في العادة شديد الحرص على أن يعطي ربعيته مستقلة، وأن يدفعها بنفسه للطالب حين منقلبه من تناول غدائه يوم الأربعاء بعد تقبيل رأسه أو يده، وقد يحدث أن لا يكون الوالد حاضرا في الوقت، أولا يكون عنده ما يعطيه، أو ليس عنه صرف صغير، فيمتنع الطفل من الذهاب إلى الطالب خاوي الوفاض، وقد تبادر الوالدة إلى



محاولة حل الإشكال عن طريق «بيض الدجاج»، وعلى الصبي في هذه الحال أن يكون في غاية الاحتياط في أثناء الطريق إلى الجامع حتى لا يكسر ما أعطيه من البيض.

والربعية من أهم الموارد المالية الأسبوعية التي قد تغطي نفقة الطالب يوم السوق. كما توفر له الكثير من البيض للأكل، ويبيع فضلته يوم السوق إن فضل عن حاجته، وهي المورد الأساسي عنده «لأن الدراهم لا تقع في يده، إلا إن باع شيئا من (شرطه) أو مما أعطيه من المقومات، اللهم إلا ما يأخذه من (أربعاوات) التلاميذ أو (عواشرهم) (1).

### 9 - الاحدية:

ويقال لها: «الحدِّيه) وهي في مقابل (الربعية) وقد جعلت بديلا عنها في العقود الأخيرة إلى اليوم، في غالب الكتاتيب القرآنية في الحواضر وما قاربها، نظرا إلى غلبة أبناء الموظفين الذين لا يتأتى للطفل عادة أن يحصل منهم على هذه العطية في غير يوم العطلة الأسبوعية، وهي في العادة أعلى قيمة من الربعية، لأنها قد تكون هي القدر الوحيد الذي يدفعه الطفل لمعلمه إذا لم يكن هناك تعاقد شهري مع أوليائه، وهم قلما يلتزمون بالأداء.

ويجري في شمال المغرب اعتماد استخلاص عطية إضافية وهي:

### 10 - الاثنينية:

وهي أعطية مساء الاثنين، وقد ربط صاحب كتاب «الأنصاص القرآنية» هذه الأعطية بالتحريرة، وهي التحرر من قراءة الألواح للاستراحة، فقال:

---

1 -المدرسة الأولى: 23 .



«فهناك ما بعد عصري الجمعة والاثنين تحريرة بالمقابل، وما بعد عصر الأربعاء وظهر يوم الخميس وصباح الجمعة بدون مقابل، وهي العطلة الأسبوعية» (1).

ولا أعلم لهذا التقليد وجودا في غير الشمال المغربي.

### 11 - أعطية الخميس وأعطية الأحد

ولا أعلم عندنا في المغرب وأقطاره وجهاته أعطية مادية كانت تدفع للمؤدب يوم الخميس، إلا أن يكون بعض الأطفال لم يقدم أعطية الأربعاء (الربعية) فيأتي بها إليه صباح يوم الخميس أو ظهر يوم الجمعة، أو في يوم غيرهما، أو يعطيها والده للفقيه في السوق الأسبوعي.

والذي عرفناه في أثناء وجودنا في الكتاب متعلمين ثم مساعدين في التكتيب لمدة طويلة، أن الصبيان يبعثون يوم الخميس إلى منازل الآباء لإحضار (الفطور) إلى الصبيان أو السكر والشاي، حتى إذا اجتمع ذلك تناول منه (الطالب) حاجته، ودقع بعضه للأطفال، وادخر الباقي لوقت الحاجة إليه، وذلك بعد فراغ الأطفال من قراءة (أسوارهم) بعد الضحى العالي. من يوم الخميس.

لكننا نقرأ عند بعض علماء المشرق عن وجود أعطية ليوم الخميس تقدم لشيخ الكتّاب عندهم، وقد جاء أنه: «كان في جامع الأزهر -بمصر- نحو ستة وعشرين كُتابا لتحفيظ القرآن الكريم منتشرة حول صحن المسجد. وفي الكتاب الواحد ما بين عشرين إلى ثلاثين طالبا، كل طالب يذهب إلى المعلم الذي يختاره، وعليه أن يدفع (الخميس).

---

1 - الأنصاص القرآنية: 61/1.



و(الخميس): هو ما كان يدفع للفقيه الذي يحفِّظ القرآن الكريم كل يوم خميس، فكان الطالب يدفع خمسة وعشرين مليماً تقريبا (1).

ويقول الشيخ حسنين مخلوف في مذكراته – وهو من شيوخ الأزهر الشريف:

«وأمضيت أربع سنوات أقطع كل يوم نفس الطريق في الصباح الباكر بعد الشروق، وأعود منه بعد صلاة العصر، بعد هذه السنوات الأربع صحبني الشيخ إلى والدي ليقول له:

مبروك يا شيخ محمد ... إبنك حسنين أتم حفظ القران الكريم.

وأقام والدي احتفالا كبيرا بهذه المناسبة الهامة والسعيدة، وبهذه المناسبة الهامة والسعيدة بدأت مرحلة جديدة من حياتي» (2).

وأما أعطية الأحد (الحدّية) فقد أحدثت في الحواضر المغربية بسبب وجود طائفة من أبناء الموظفين العصريين في الكتاتيب على عهد الاستعمار، ثم استمر ذلك بعد الاستقلال أيضا، نظراً لأن الأطفال في الغالب لا يتأتى لهم الحضور إلى الكتاب يوما كاملا إلا يوم الأحد، وذلك بسبب متابعتهم الدراسة في المدارس العصرية، فكان استيفاء (الفقيه) لواجبه الأسبوعي لا يتأتى له إلا في اليوم الذي يكون فيه والد الطفل في عطلة، والتلميذ متفرغ للكتاب، وغالبا ما تكون (الحدّية) بديلا عن (الربعية) وفي بعض الكتاتيب يتقاضاهما المؤدب جميعا من أطفال كتابه عملا بالتقليدين القديم والحديث. وهكذا كان عملنا في كتاب والدي -رحمه الله- بالحي المحمدي بالدار البيضاء في السنوات الأربع بعد الاستقلال حين كنت أعمل مساعدا له في العطل الصيفية وغيرها.

---

1 – مذكرات الشيخ حسنين مخلوف (الشرق الأوسط، عدد: 1408) وانظر الأستاذ محمد بن عبد الله في موضوع: نظرا لوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي: (مجلة دعوة الحق: العدد: 272 ربيع الأول والثاني نوفمبر – دجنبر: 1988م الصفحة: 125).

2 – نفسه.

12 - **العواشـــر:**

وهي اسم للعطلة الموسمية التي ترتبط بالعشر الأواخر من رمضان والأوائل من ذي الحجة، وقد تلحق بها عواشر المحرم الحرام والمولد النبوي في ربيع الأول.

وتطلق في المحضرة على الهبات التي جرت العادة بتقديمها إلى المؤدبين بمناسبة الأعياد يأتون بها قبل عطلة العيد، أو تبقى دينا عليهم إلى حين العودة بعدها، وتقدر بحسب الوسع أيضا والسن. ومن الطريف أن العمل بها قديم يرجع إلى الصدر الأول، وتسمى أحيانا (إصرافة الإحضار) (1).

ففي المدونة لابن القاسم عن مالك قال: لا بأس أن يشترط مع أجره شيئا معلوما في كل فطر وأضحى» (2).

وقال القابسي: قيل لسحنون: عطية العيد، أيقضى بها؟ قالك لا، ولا يُعرف ما هي؟ (3). قلت: لعله يعني أنه لم يشترطها عند التعاقد، وإلى مثل هذا أيضا ذهب عبد الملك بن حبيب، لكنه عاد فحكّم العرف فقال:

«لا يجب للمعلم الحكمُ (بالإحضار) الذي يأخذه من الصبيان في الأعياد، ذلك تطوع من شاء فعل، وهو حسن، وله الترك، وهو تكرم من آباء الصبيان في الأعياد، ولم يزل فاشيا، فإذا فشا في العامة وصاروا يرونه واجبا، وهو كذلك، وعليه جلس المعلمون، فذلك واجب كالهبة للثواب» (4).

---

1 - صحفت في المعيار: بالإفطار» بالفاء والطاء، والتصويب من جامع جوامع الإختصار والتبيان للمغراوي ص 79 .

2 - أنظر المعيار للونشريسي: 254/8 .

3 - نقله في المعيار: 254/8 .

4 - نفسه: 254/8 .



قال صاحب المعيار: يظهر من هذا الكلام، القضاءُ بالشمع للمعلمين على آباء الصبيان في ميلاد النبي - ﷺ- لأنه فاش معتاد ببلاد المغرب الأوسط والأقصى، ولا نزاع في انتصاب المعلمين لأجله، ولا سيما وهو موسم عظيم عند أهل ملة الإسلام. يعتنون به في الحواضر تعظيما لنبينا ﷺ» (1).

ونص عبارة ابن حبيب كما هي عند الإمام المغراوي: «ولا يقضى بالإحضار في الأعياد، وإن كان مثله مستحبا في أعياد المسلمين، ويكره في أعياد النصارى كالنيروز والمهرجان، ولا يجوز لمن فعله، لأنه من تعظيم الشرك. قال ابن رشد: ووجه تفرقة ابن حبيب بين الإحضار والحذقات وإن كان القياس أن لا فرق بينهما إذا جرى بهما العُرف، وهو أن الحذقة إنما بلغها الصبي بتعليم المعلم واجتهاده، وبلوغُه عنده العيد لا عمل له فيه» (2).

وعلى أية حال، فإن العمل يجري إلى اليوم بفرض العواشر على جميع المتعلمين من أهل البلد، كان بحسب وسعه وحاله، وهي داخلة عرفا في استحقاقات الطلبة المشارطين، لا يعترض عليهم أحد في ذلك، ويدفعها جميع أبناء الجماعة المشارطة وغيرهم، من غير الآفاقيين الغرباء، فهؤلاء لا تفرض عليهم فرضا، ولكن من أحب منهم أن يهدي إلى الطالب فعل، وخاصة عند عودته بعد العواشر، فغالبا ما يصطحب معه هدية يقدمها إلى الفقيه عند السلام عليه.

---

1 - نفسه: 8/254-255 .

2 - نقله المغراوي. أنظر كتاب أبو العباس المغراوي وكتابه جامع جوامع الإختصار: 80 .



13 - **الفتــوح:**

ويطلق على إطلاقين:

أشـهرهما: ما يعطى على الرقية بالقرآن، إذ ليس لها مقابل محدد، وإنما يأخذ ما بذل له قبل الرقية أو بعدها، وكان هذا عملا معروفا بين أهل المحاضر، وقد ذكر أبو العباس المغراوي جملة من الرقى التي كان يستعملها لصالح صبيان الكتاب أنفسهم إذا حصل لأحدهم وجع أو صداع (1).

كما يطلق اسم (الفتوح) على ما يأتي به الصبي عند ولوج الكتاب لأول مرة، أو عند انتقاله من كتاب أو محضرة أو جامع إلى غيرها، وتقدير قدره يرجع إلى أولياء التلاميذ من حيث الرغبة والسعة والأرْيَحيّة.

وقد أشار صاحب أرجوزة «نكتة المعلمين» إلى ذلك بقوله:

ثم الفـتـوح لدخـول المكتب ** من غير تكليف على أبي الصبي (2)

وغالبا ما يكون الفتوح في هذه الحالة مصحوبا بطعام فطور، أو سكر وشاي أو تمر أوتين أو غير ذلك من التحف بحسب الجدة وعادة البلاد.

وكثيرا ما نسمع الطلبة يرتجزون بهذين البيتين للحث على الإنفاق في إكرام المشيخة والعناية بهم، وهما:

أكـرم طبـيـبك إن أردت دواءه ** وكـذا المعلم إن أردت تعلُّما

إن المعلم والطبـيب كلاهما ** لا يَنصحَان إذا هُما لم يُكرَما

---

1 -أدرجها المغراوي في مهام معلم الكتاب وعقد لها فصلا خاصا. أنظر كتابه جامع جوامع الإختصار والتبيان: 107

2 - أرجوزة نكتة المعلمين لمحمد بن عزوز كرضيلو: تقدمت في أراجيز المنظرين.





# الفصل الثاني

## الحذقات والإصرافات (1) والتقاليد المحضرية فيها

الإصـرافـات هي إحـدى الموارد التي ترد منهـا على المكتب والمؤدب بعض المداخيل المالية، وخاصـة في وقت الصيف والمناسبات الاجتماعية، ووجوهها كثيرة ومتعددة، وكثير منها مرتبط بالعادات والتقاليد الشعبية، إذ يعتبرون مـشاركة الطلبة فيها ومـحاضيرهم جزءا من الغبطة بها وتمام الأنس بإقامتها.

وتدخل ضـمن مـجالات الإصـرافـة أي: طلب «التـحـريرة» جـمـيع الحفلات والمآدب التي يدعى الناس إليها دعوة عامة أو خاصـة، بل حتى التي تخص الأهل وحدهم كطعام النساء مثلا.

وقد عني بعض الأدباء من أهل اللغة بحصر أسماء المناسبات التي تقدم فيها الأطعمة وتقترن في مجرى العادة بالذبيحة والدعوة إليها فقال:

تسـمـيـة الأطعـمـة الشـهـيرة ** وليـمـة مـأدبة وكـيـرة
خُـرْسٌ وإعـذَار وقل عـقـيـقـة ** عَـتـيـرةٌ نقـيـعـةٌ تحـقـيـقـه
وليـمـةٌ: للعـرس ياذا الشـأن ** مـأدبةٌ: تصـنع للإخـوان
وكـيـرةٌ، لدارِكَ الجـديدة ** والخُـرس: مـا يذبح للولادة

1 – الإصرافة: اسم قديم مرادف للحذاقة أو الحذقة –بفتحتين– نقل صاحب كتاب المدرسة الأولى عن الشيخ الخفاجي في كتابه شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل قوله: «إصرافة: صرف المعلم للصبيان في المكتب في رأس سنة أو شهر أو جمعة لحلوان معتاد، وهي عامية مبتذلة» المدرسة الأولى للفقيه صالح الإلغي: 101 بالهامش: 138 .

وإعـــذارُ : طعـــامٌ للخـــتـــان ** فـــافـــهـم -هداك اللـه- للبـيـــان
عَـــقـــيـــقـــةٌ: لســـابع المولـود ** عـــتـــيـــرةٌ: للمـيْت يا مُـــريدي
نقـيـعـــةٌ: لقــادم من الســفــر ** فافـهمَ نصوصـهم وحصِّل الدرر
حـــذقـــةٌ: لحـــافظ القـــرآن ** زِدها كمـا قـد زادها البناني (1)

وسـمـى الشـيخ ناصف اليـازجي هذه المطاعم وفسـرها في المقـامـة الخزرجية وزاد عليها فقال:

للنفـسـاء: الخُرس، والعـقـيـقـة ** للطفل عند عـارف الحـقـيـقـة
كـــذلك الإعـــذار: للخِـــتـــان ** وذو الحِـــذَاقِ حـــافظُ القـــرآن
للخطبـــة: المِلاكُ، والوليـــمـــة ** للعُـــرس، والميْتُ لـه الوضـــيـــمـــة
وللبناء: جـــعـلوا الـوكـــيـــرة ** ولهـــلالِ رجبَ: العـــقـــيـــرة
وقـــيل: تحـــفـــةٌ: لزائر يَردْ ** وشُنْدُخٌ: لما يَضِلّ إذْ وُجِـــد
كذا نقـيـعـةُ: القـدومِ من سـفـر ** ثم القِرَى: للضيف عندما حضَر
وحـينمـا لم يك من ذاك سـبَب ** فـــإنَّهـــا مَـــأدُبَةٌ عند العـــرب
وإن تعُمَّ دعـــوةٌ فـــالجَـــفَلى ** تُدعَى، وإن خَصَّت فتلك النَّقَرى (2)

وقد عرف المنظرون منذ القديم وجود صلة بين المحضرة وبين القائمين بهذه المناسبات عن طريق التلاميذ أنفسهم الذين قد يحملون آباءهم على دعوة الفقيه ومحاضيره، أو يرغبون في إرساله إليهم من المحاضير من يتعرضون في هذا الوقت لنائلهم، ولذلك فقد عنوا بمناقشة مشروعية بعض هذه الوجـوه التي يخـرج فـيـهـا صـبـيـان المكاتب لهـذا الغـرض،

1 - أنشدنيها المقرئ الحاج الطاهر الحريري من شيوخ الإقراء بمدرسة سيدي الزوين.
2 - مجمع البحرين للشيخ ناصف اليازجي: المقامة الخزرجية: 36 وقال الشاعر:

نحن في المشـتـاة ندعـو الجَـفَلى ** لا ترى الآدِبَ منا ينتـقِـرْ



والأخرى المنسوبة إلى الشافعي

دع الأيام تفعلُ ما تشاء **وطب نفسا بما حكم القضاء

هذا بالإضافة إلى المقتطفات من المنظومات في أصول الأداء، وخصوصا الشاطبية، وابن بري، وتحفة المنافع لميمون الفخار، ويتأكد ذلك عندهم إذا أرادوا القراءة السوسية المعروفة باسم «تحزّابت» وكانت هي السائدة لعشرات من السنن، ثم قلّت اليوم في غير مواضع من بلاد سوس، كما أنهم يتبارون في الحكايات المرتبطة بالمحضرة وأخبار البلداء.

## نماذج مما يرتجز به أبناء المحاضرِ في المناسبات و المجالس

✓ سلام على أهل الحمى حيثما حلُّوا ** هنيئا لهم يا حبذا ما به حلُّوا

لهم أظهر المْولَى شموسَ بَهائه ** فياليتَ خدِّي في التراب لهم نَعْلُ

✓ إذا نظرتْ عيني وجوه أحبتي ** فتلك صلاتي في ليالي الرغائب

وجوهٌ متى ما أسفَرتْ عن جمالها ** أضاءت لها الأكوان من كل جانب

✓ لو علمنا قدومكم لفرشنا ** مُهْجة القلب مع سوادِ العيون

وبَسطْنا خدودَنا للقاكم    وجعلنا المسير فوق الجُفون

ولما نأيتم ولم أستطع    أسير لحَضْرتكم بالقَدَمْ

سَعَيْت إليكم برِجْل الرسول    وخاطبتُك بلسان القلم (1)

1 -البيتان في أزهار الرياض للمقري: 166/4.



✓ ولما دَخَلنا في ظلال بيـوتكم ** أمِنًا، ونِلْنا الخِصبِ في زَمن المَحْل

ولو لم يَزِدْ إحسَانُكم وجميلُكم ** على البِر من أهلي حسبتُكُم أهلي (1)

✓ ولما دخَلناه أضـفنا ظهـورنا ** إلى كل حارِيٍّ جديدٍ مُشطب (2)

**

✓أمنزلتَيْ مَيٍّ ســلامٌ عليكمـا ** وهل أزمُنُ اللائي مضيْنَ رواجِعُ (3)

**

✓ سلامٌ وما التسليمُ يَكْفي عن اللقا       ولكنْ لأجل البُـعـد نَقنَع بالكُتُب

✓ سلامٌ سلام الله ألف سلامة ** وألفُ بركـة وأزكى تحـيـة

✓ سلامٌ عليكم لا تقولوا نسيناكم ** وأكبـادنا من شـوقكم تتـقطع

✓ سلامٌ كمثل المسك يُهديه خاطري ** إليكم، وأشواقي على البُعد أكثرُ

✓ سلامٌ ورَيْحَانٌ ورَوْحٌ ورحمةٌ ** عليكم وممدودٌ من الظل سَجْسَجُ (4)

✓ سلامٌ على السادات في كل مجلس ** يفـضلكم ربي بفـضل مـحـمـدِ

✓ ســلام الله يا مطَرٌ عليـهـا ** وليس عليك يا مطرُ السلا مُ (5).

✓ وما القصد إلا أن يكون اجتماعنا ** ومـا الأكل والشراب إلا مـقـسم

✓ ولله قـوم كلمـا جـئت زائرا ** وجـدت قلوبا كلهـا ملئتْ حِلْمـا

إذا اجتمعوا جاؤوا بكل فضيلة ** ويزداد بعض القوم من بعضهم علما (6)

---

1 – إتحاف أعلام الناس: 353/5 .

2 –من قصيدة بائية لامرئ القيس الكندي شاعر المعلقات.

3 – ينشده أكثر طلبة القرآن عندنا بهذا اللفظ المحرف فيقولون كما كنت حفظته منهم:

منازلَ الحـيِّن الســلام عليكمُ ** وهذا زمَانُ الذي مضينا رواجع

والشعر معروف من قصيدة للشاعر ذي الرمة في صاحبته مي يشبب بها وبمنازلها.

4– من قصيدة لدعبل الخزاعي في رثاء آل البيت.

5 – من شواهد النحويين، أنظر شرح المكودي على الألفية – باب النداء: 215 .

6 – ينسب البيتان للقاضي عياض، وقد ذكر المقري أنهما لابن دقيق العيد. أنظر أزهار الرياض: 247-248 ولمزيد من التحقيق في قائل البيتين أنظر كتاب الذيل والتكملة: 4/107-108 ترجمة رقم 229 .



إلى غير هذا مما كنت أسمعه في مجالس طلبة القرآن المتمرسين من هذا النمط المختار بالقياس إلى غثاء كثير يرتجز بعضهم به لا وزن له ولا معنى ولا إعراب، والميدان فسيح يتسع للجميع.

## أشعار وأدبيات في نزه الطلبة

تضاف إلى ذلك حكايات ترتبط بهذا الموضوع.

فمن ذلك ما ذكره الإمام أبو عبد الله بن رشيد في ترجمة شيخه أبي بكر بن حبيش قال: حكى لنا أبو بكر أيضا من ملحه قال:

حضرنا معه – أبي علي الرَّفاء الشاعر الأندلسي – في نزهة، وكان في الجِنان مَقاثٍ من الخيار، فأكلنا منه في النهار ما قدرنا عليه، فلما كان العشي جمع الجنّان جُملة منه وضمّه في قُفف، وجعلها في جنبة حنيّة كانت في جانب البيت، يريد حمله للبيع بالغُدُوّ، فتناوله الطلبة بطول الليل حتى أتوا عليه.

فلما كان بالغدو وجاء الجنّان، وجد القُفف فارغة، فسأل: أين الخيار؟ فقال له الشيخ:

أو ما سمعت قول الشاعر؟ فقال: يا سيدي، وما قال؟

فأنشده الشيخ:

ولكن لا خيارَ مع الليالي (1).

1 -رحلة ابن رشيد (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة): المجلد 6 (مصورة).



يعني بذلك أنه لا خيار يبقى مع الظلام، لا سيما مع وجود طلبته، ومحل الطرافة في الحكاية أن الجنّان المذكور لم يناقش الشيخ بعد أن أنشده البيت، لأنه ظن (الخيار) المذكور فيه يعني: القِثاء المعروف الذي يؤكل أخضر، ومن المعلوم أن البيت من الأدبيات المشهورة، وأوله:

ولو نعطي الخيار لما افترقنا ** ولكن لا خِيار مع الليالي (1)

فذهب الجنان وخياره ضحية هذا الاشتراك اللغوي بين الخيار بمعنى القثاء وبين الخيار بمعنى امتلاك القرار.

## الأستاذ أبو عبد الله بن جابر وطلبته بمكناس

وقال الشيخ أبو عبد الله بن غازي في الروض الهتون في ترجمة الشيخ المعمر الحاج محمد بن عزوز الصنهاجي. وكان زوجا لأم الشيخ ابن غازي: رحمة بنت الجنان - قبل زواج أبيه منها بعد وفاة الشيخ المذكور بالمشرق-: جوّد القرآن العزيز على الأستاذ ابن جابر المذكور.. قال: حدثني الشيخ المعمر محمد بن الأستاذ ابن جابر قال:

خرج أبي مرة بتلامذته لينزّههم بعرصة كانت له بوادي أبي عمائر (2)، وأغفل تلميذه محمد بن عزوز فلم يدْعُهُ فيهم، فقال يعاتبه في ذلك:

1 - أنظره في أبيات في كتاب المدخل إلى تقويم اللسانين لابن هشام اللخمي: 228 وانظر رحلة ابن رشيد:: 276/5

2 - وادي «أبو عماير» كان يعرف في الماضي بوادي الفلفل قال ابن غازي في الروض الهتون: 8 ويعرف الآن بأبي عمائر قال: وفيه يقول شيخ شيوخنا الأستاذ محمد بن جابر الغساني في أرجوزته المسماة بنزهة الناظر لابن جابر.

فلن ترى في سائر العمائر ** مثل محاسن أبي عمائر

ويفصل اليوم ما بين المدينة القديمة والجديدة بمكناس، ويسمى إلى الآن وادي بو عماير ووادي بوفكران.

ليت شعري وذاك ليس بمغْني ** ما يرُدُّ الفَواتَ حرف تَمَنِّي
أيُّ ذنب قرفتُه ياعمادي ** فحُرمنا من قربكم قرب عدن؟
ومُنحنا الإعراض إذ عُرض النا ** سُ، فأعظِمْ بذلك الذنب مِني
وهَب الذنب فيه يعظُم هلاّ ** منكُم كان حسن عفو وظن

في أبيات كثيرة. قال:

فأجابه الأستاذ بقصيدة علق بحفظي منها

يا بديعاً فاق البديعَ بنظم ** في عروض من الخفيف ووزن

يعني: بديع الزمان، وعلامة همدان (1).

# من ذكريات الطلبة في المواسم بجهات حاحة وسوس

تعرف البلاد المغربية في جميع جهاتها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ظاهرة إقامة مواسم شعبية، منها التجارية المحضة، ومنها المرتبطة ببعض الزوايا والأعياد والمناسبات الدينية، والذي يهمنا منها أنها كانت منذ قرون خلت ملتقى لطلبة المدارس القرآنية يحضرونها غالبا مع فقيه المدرسة، ويكون لهم موضع خاص بهم، أو ينزلون مع غيرهم من طلبة المدارس في مقصورة المسجد والساحات القريبة منه، وهنالك يُتاح لهم الإعلان عن وجودهم هناك بالتناوب مع غيرهم في قراءة القرآن الكريم حسب القراءة

1 – الروض الهتون: 62-63 .



المحلية المتعارفة في الجهة، وقد ترتفع وتيرة «المشادّة» والمنافسة بينهم وبين غيرهم بحيث لا تنقطع ليلا ونهارا طوال أيام الموسم.

وقد سجل لنا بعض من تحدثوا عن منطقة الجنوب أصداء بعض هذه المواسم السنوية في سياق بعض التراجم تدل على باقيها، وتقربنا من الصورة التي تتم فيها هذه اللقاءات الموسمية التي تعتبر عند طلبة القرآن إلى يومنا هذا بمثابة أعياد يحسبون لها الحساب وينتظرونها بأحر الأشواق.

يقول صاحب كتاب المتعة والراحة في ترجمة القارئ التامري سيدي الحاج الحسن بن أحمد المعديزي:

«سبعي ذو نكت عجيبة... أدركناه وجالسناه، وهو من أكابر القراء الحاحيّين الذين حصلوا الروايات السبع بما لها وما عليها، وقد شهد له بالتفوق في هذا الميدان جماعة من فرسان هذا الفن... والواقع أن هذا السيد آخر السبعيين الحاحيين المتأخرين، أدركته يصاول أقرانه في حرف حمزة بموسم الولي الصالح سيدي الحاج يعقوب المتقدم» (1).

قلت: وقد حضرت الموسم المذكور عام 1980 م في أيام انعقاده بعد المولد النبوي بآيت أفرني بقيادة آيت آمر بنواحي أكادير، فرأيته يشارك شيوخ الطلبة في قراءة القرآن بطريقة «التحزيب» وهي الطريقة السوسية التي تكاد تعم في جميع مواسم سوس، ولا سيما في موسم «تاوعلات» الشهير بآيت باها من نواحي أكادير بالجنوب المغربي.

---

1 -المتعة والراحة للفقيه الحاج إبراهيم التامري: 2/85-86 وهو أي: المترجم من مواليد عام 1303 ومات رحمه الله عام 1389 هـ وكان إمام مسجد سيدي يعقوب يومئذ الفقيه المقرئ سيدي سعيد بن أحمد بن الحاج عبد الله حميتو وهو ابن عم أبي يشترك معه في الجد رحمهم الله.

ومن هذه الذكريات ما ذكره المؤلف أيضا في ترجمة رفيقه السيد إبراهيم بن محمد السليماني قال:

«كنا أيام الطلب نتلاقى أحياناً في مواسم سنوية وفي نزهات الطلاب، فتتسامر على تلاوة كتاب الله، ولا نفتر عنها مدى أسبوع بحسب المواسم المتتابعة، فيغبط بعضنا بعضا في الزعامة والإقدام، وكنا كفرسي رهان في مجال تناوب الأجزاء القرآنية، وتحزيبها على عادة ذلك الجيل، بأصوات مشوقة ومسلية، وإن كانت في الحقيقة قد تخرج بنا عن آداب التلاوة المشروعة، نُعدّ لذلك العدة الكاملة، ثم ويل لمن كبابه جوادهُ أثناء التلاوة، أو أخل بحرف أو مد أو صيغة، وعلى هذا كان تلاقينا صغارا ومراهقين» (1).

# أديب من تلاميذ المحضرة

وهذا أديب وفقيه معاصر هو الأستاذ الخطيب العدل محمد بن عمر الخطاب الحاحي نزيل أولاد تايمة بهوارة من سهل سوس، يزور طلبة بعض المدارس المجتمعين في بعض هذه المناسبات فينظم هذه القطعة المليحة يستحث فيها من ذكر على تذكيره بأيام الصبا، والنصح في تقديم نموذج من قراءة أهل سوس لربع من القرآن، ويذكر لفظ «التُّقُّوس» الذي يدل على وجود منافسين يتبادلون الدور في القراءة وإنشاد الأراجيز، فيقول مخاطبا لهم وداعيا إلى القراءة بـ «تحزّابت» لقوله: «أقيموا وغى القراء».

1 -المتعة والراحة: 2/153-154 .



تجمَّعتُمُ مثل الفواكِهِ في «المَرْشي» ** فحيّاكم أزكى التحيّات ذو العرش
دعوا عنكمُ أهل العلوم وعلمَهم ** ولا تذكروا «الحطاب» عني ولا «الخرشي» (1)
فما قصدنا إلا (التقوُّس) وحده ** ومن أجله جئنا ومن أجله نمشي
فيا حافظي ورش بكل تجمُّع ** أقيموا وغَى القراء يا حافظي ورش
ومَنْ غشّنا في رفعه الصوت تاليا ** فإن نصوص الشرع تنهى عن الغش
ورُشّوا على مَن جفّ ماءً مثلَّجا ** لعل جَفافَ الصدر يذهب بالرَّش
فإن جَفاف المرء عند الأُلى مضَوا ** قبيحٌ، وقد عدُّوه من أفحش الفُحْشِ (2)

ويقول من قطعة أخرى في الحَث على الإجادة في «الرجز» وتهييج اللواعج بالإنشاد:

ألا أيها الأحباب عودوا إلى الذِكَرْ ** لنقرأ من سِفر الشبيبة ما غَبَر
لنتلوَ من ذاك الكتاب صحائفاً ** معَسّلَةَ الأحزاب والآي والسُّوَر
ويا أحمدُ الميمون هل أنت ذاكرٌ ** زماناً لنا كالورد أو فاتح الزَّهَر؟
فيا أيها الصدَّاح في قِمَمِ الرُّبَى ** لك الخير رجّعت الغناء فلم تذَرْ
لك الخيرُ سكَّنتَ الصبابة ساعةً ** وأنجدت جمع العاشقين على السهر
تلوتَ لنا من لحن شعرك قطعةً ** بعثتَ بها الوجدان حتى من الحجر
فلله ذاك اللحنُ كم كان مُطرباً ** ولله ذاك الشِعرُ يُتلى على الشجر (3)

1 - الحطاب والخرشي: من شراح مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي.
2 - المتعة والراحة في تراجم أعلام خاصة للأستاذ إبراهيم إذ إبراهيم التامري: 389/2 نقلا عن ديوان الأستاذ ابن عمر الخطاب.
3 - نفسه: 388-389 .



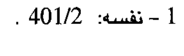
ويقول في أخرى يدعو الطلبة إلى «الرجز» وإنشاد المزيد من الأشعار المستملحة:

أخلاي أسباب النشاط توفرت ** فهاتوا أناشيد السرور ولا تألْوا
فكل امرئ عابَ النشدَ فحسبُه ** بليدٌ ولا فكرٌ لديْه ولا عَقل
ألا إنّ هذا اليومَ في يُمْنِ طيْرِه ** وتحقيقه الآمالَ يومٌ له فضل (1)

## نُزهة الدور و المملكة الرمزية لسلطان الطلبة

الدور أو (أدوال) كما يسمى في الجنوب المغربي هو تجمع محضري أو طلابي ينعقد في كل عام في زمن الصيف في الغالب ، أو في زمن الربيع بحسب الحال والهدف ومراد القائمين به في ذلك الوقت. ويسمى دورا لأن طلبة المحضرة والمدارس القرآنية وطلاب القبيلة بصفة عامة يدورون على مساجد الناحية مسجداً مسجداً، فيقيمون فيها يوما وليلة، أو يوما فقط بحسب العادة والعرف. وهو في سائر الجهات معروف، إلا أنه في بعضها قد توقف منذ عقود، وفي بعضها توقف ثم عاد، وينتظره طلبة المحاضر وغيرهم بشوق لأهميته عندهم، وكونه فرصة يتاح لهم فيها الاستجمام والترويح عن النفس، إلى جانب إتاحته الفرصة للتعارف مع طلبة المحاضر الأخرى، والتعرف على المشايخ والمقرئين النابهين، والطلبة المتفوقين في الناحية، بالإضافة إلى تحريكه للهمم وخلق الحوافز لدى النائشين من أجل المنافسة في القراءة، والجد في التحصيل، والاحتكاك

---


1 - نفسه: 401/2 .



بطلبة المقارئ والمحاضر الأخرى، وربط العلاقات بين طلاّبها، كما أن في هذا الدور تحقيقا لمقاصد أخرى، منها تعريف كل صاحب محضرة بطلبة محضرته، ودرجة حذقهم، ومستوى تحصيلهم، وقدرتهم على المنافسة والمشادّة مع أقرانهم عند احتدام التباري في القراءة و(الرجز)، واستعراض المحفوظ، وكيفية أدائه، مع ما يتبع ذلك من إتقان الإنشاد للأنصاص وقصائد المديح والسيرة النبوية كقصيدتي البردة والهمزية للإمام البوصيري التي يتفننون في إنشادها.

ويعتبر الدور أيضا بمثابة دورة تدريب للطلبة الناشئين على القراءة المتزنة النموذجية، لأن المنافسة تكون على الإجادة، لا على مجرد القراءة والحفظ، والغالب أن يكون ذلك بمحضر المهرة من طلبة القبيلة، ومشايخ الإقراء، وأئمة الجوامع، مما يوفّر جواً من المنافسة البريئة بين المحاضر، كما أنه يساعد على شيوع الغبطة عند رجال القبيلة وعوامهم، مما يشجعهم على الدعم المادي للمحاضر والمدارس والإنفاق عليها، كما ينشئ عندهم مزيداً من الإطمئنان على فلذات أكبادهم الذين يتابعون فيها، وقد تتأتى لهم الفرصة في الدور ليبصروا بأعينهم كيف حال أبنائهم في المشاركة إذا كانوا قد تقدموا في الأخذ والتحصيل.

والغالب أن يصاحب هذا الدور من مسجد إلى آخر جَوٌّ من المرح المحضري البعيد عن الرتابة المألوفة، وعن السلطة المباشرة للفقيه والطالب، ولا سيما في جلسات المساء حيث تستمر القراءة بالتداول بين المجموعات من الطلبة إلى وقت متأخر من الليل.



وبالجملة فإن (الدور الطلابي) يقوم بمثل المهمة التي تقوم بها المعارض الصناعية في الحواضر في عرض أنواع المنتوج، أو تقام لأجلها الأيام الثقافية للتعريف بنشاط بعض المؤسسات العلمية، وذلك لأنه يوفر لكل صاحب محضرة فرصة لعرض ما في محضرته من نوابغ الحفاظ، والمجودين للقراءة، والمتقنين للرجز وإنشاد الأشعار والأنصاص والمدائح. كما أنه يعرف به وبطلبة محضرته طائفة من المحسنين الذين يرغبون في الدعم المادي لحملة كتاب الله، حتى يتوفروا على تحصيله، ويتفرغوا لما هم بصدده، وكثيرا ما يحضر بعضهم من المدن والحواضر للمشاركة في ذلك أو للزيارة والدعم المادي والمعنوي.

## أنواع الدور ( أدوال)

ومن الدور ما هو عام يشمل جميع طلبة القبيلة، ومنه ما هو خاصّ بمحضرة أو مدرسة معينة، فمن الخاص المشهور:

1 - **دور سيدي الزوين في الحوز المراكشي**، ويرجع في نشأته إلى عهد مؤسس المدرسة سيدي محمد -فتحا- الزوين الشرادي الحوزي (ت 1311 هـ)، ويصل عدد طلبة مدرسته الآن المسجلين رسميا إلى نحو 350 وكانوا يصلون في بعض الأحيان إلى نحو الأربعمائة (1) وقد قيل: إن القرآن الكريم كان يجتمع كله في ألواح الطلبة كل يوم، كما كان يختم بتوزيع أجزائه عليهم عدة مرات كل يوم في أوقات معينة.

1 - زرت هذه المدرسة في آخر شعبان سنة 1426 هـ فسألت مدير المدرسة عن عدد الطلبة فأخبرني بما ذكرته.



وقد بلغني أن مؤسس المدرسة كان في وقت الصيف بعد فتور وقدة الحرارة قليلا يتفقد القدامى من تلاميذه من الطلبة المشارطين، كما كانوا يتفقدون مدرسته في مثل ذلك، فمن هنا نشأت فكرة الخروج للدور في فصل الصيف إذا نضجت الفواكه وجمعت المحاصيل، فكان يتبادل لهذا الغرض الزيارة مع طلبته، فيأتيهم مع طائفة من طلبته، أو يرسل بهم مع مقدَّم لهم يمثله، فربما خرجت الأفواج إلى مختلف قبائل الحوز ودكالة وعبدة والشياظمة باسم (أدوال سيدي الزوين)، فإذا اجتمع عند الطلبة ما تحصل من الصدقات على المدرسة أخذوا منه نصيبا لها، واقتسموا الباقي فيما بينهم، أو استودعوا الجميع خزانة المدرسة إذا اختلفوا عليه كما كان يحدث أحيانا لكثرة الطلبة وارتفاع عددهم بحيث تعسر القسمة.

وفيما أدركته منذ خمسين سنة وإلى اليوم توجد ثلاثة أنماط من هذا الدور كلها يحمل اسم (أدوال سيدي الزوين): أحدها يكون في الصيف في مدينة مراكش، فينزل الطلبة في المساجد الكبرى المعينة لنزولهم، يوما وليلة في كل حومة منها، ويبعثون من الطلبة المكلفين من يوصل بطاقات خاصة إلى أهل هذه الحومات لإشعارهم بوقت النزول في مسجدهم، وقد حضرت معهم في إحدى ليالي سنة 1965 أو التي قبلها، فكان عدد الطلبة هائلا يفوق المائة في وقت العشاء، وبعد الصلاة قدمت إليهم الأطعمة المتجمعة من بيوت أهل الحي، فتناولوها في نظام محكم، ثم جلسوا في مجموعات على شكل حلق، ودفعت إلى كل حلقة صينية، وبدأت القراءة بالتداول بين الحلق على العادة إلى وقت متأخر من الليل.



2 - ونمط ثان من الدور يحمل اسم طلبة سيدي الزوين، وهذا عبارة عن مجموعات متعددة من الطلبة الآفاقيين الذين طال وجودهم في المدرسة في العقود الماضية، أو كانوا ينتسبون إليها في وقت ما، ثم انقطعوا، فأخذ كل واحد منهم يختار مجموعة من أمثاله في حدود سبعة أو ثمانية ويقصد القبيلة التي ينتمي إليها ويعرف طلبَتَها المشارطين، فيتَتبع مساجدها واحداً واحداً بعد أن يرسل إلى كل مسجد بطاقة باسم أدوال طلبة سيدي الزوين فيقيمون في كل مسجد ليلة فقط في الغالب، وتجمع الجماعة لهم الزيارة سلفا، وتقوم بتموينهم واستقبالهم، وقد عرفت في إحدى المجموعات نفس الأشخاص لأزيد من خمسين سنة حتى توفي مقدَّمهم رحمه الله، وما يزال بقيتهم في كل موسم صيف يأتون في جميع مساجد قبيلة الشياظمة، كما علمت عن وجود مجموعة أخرى مماثلة تتجول في قبيلة دكالة في نفس الوقت.

3- وأما النمط الثالث، وهو الأكثر والأوسع جمهوراً من الطلبة، ويحمل أيضا اسم (أدوال سيدي الزوين) فهو الذي أدركته ببلاد الكريمات: إحدى قبائل الشياظمة الكبرى، وهذا الدور يقام في هذه القبيلة في شهر شتنبر وربما تقدمه بقليل.

وسأخص هذا الدور بشيء من التفصيل لأني شاركت فيه أعواماً لا أحصيها، ولذلك ظل له مكان في نفسي، ولارتباطه عندي بذكريات كتلك التي حببت الأوطان إلى ابن الرومي الذي يقول:



وحـــبَّب أوطان الرجـــال إليـــهم ** مـآربُ قـضـَّـهـا الشـبـاب هنالكا
إذا ذكـــروا أوطانـهم ذكَّـــرتـهم ** عُـهودَ الصِبَـا فيـها فحنُّوا لذلكا

وهذا النمط من الدور العام الذي يشمل جميع طلبة القبيلة يزيد عمره على مائة عام، ولوالدي رحمه الله– معه قصة تتصل بوجودي، فقد أخبرنا أنه بعد أن قرأ القرآن الكريم احترف مهنة الخياطة، وغادر البادية إلى الدار البيضاء، فنزل مع فقيه في مسجد بها فكان يساعده – وأحسبه كان صاحب محضرة– وكان في أوقات الفراغ يخيط الجباب، إلى أن اشتاق إلى والديه في موسم الصيف فجاء لزيارتهما، وكانت أمه قد أتت إحدى بناتها المتزوجات زائرة، فرأت عندها أمي، وسألت عنها فأخبروها، وكانت تتمناها لوالدي لو كان حاضرا لتخطبها له رجاء أن يستقر في البادية، قال: فلأول ما دخلت وسلمت عليها أخبرتني بعزمها وألحّت علي، فقلت دعيني حتى أرجع من (أدوال الطلبة) وكان ليلتها في جامع سمّاه، قال: فذهبت حتى حضرت معهم تلك الليلة وصبيحتها، فلما حان وقت الزيارة دفعت لهم عشرين فرنكا، وهو مبلغ كان يومئذ له بال، وسألتهم الدعاء أن يختار الله سبحانه لي فيما عزمت الله عليه، فلما رجعت إلى أمي طاب لي المقام ووافقتُ على التأهل والاستقرار، قال: وكان مما دعوت به عند الطلبة أن ييسرها لي وأن يرزقني منها حملة للقرآن الكريم، فرزقني الله أخاك الأكبر وهو حامل قرآن بحمد الله، ورزقني إياك.

وقد عرفت هذا الدور لأول مرة عام 1950 م في مسجدنا ثم في المسجد المجاور لنا، ورأيت مقدم الطلبة يومئذ طالبا كان يقال له الحاج عمر، وكان فيما قيل لنا في سن تتجاوز العشرين بعد المائة، وقد رأيته مع ذلك يركب بغلته، إلا أنهم عند الركوب حملوه كما يحمل الغلام، فوضعوه على ظهرها، ووكلوا به من يسير إلى جانبه ويكون في خدمته.



كان عدد النزلات يومئذ في الدور اثنتين وعشرين نزلة في اثنين وعشرين مسجدا، وكان عدد الطلبة يقارب المائة أحيانا، ولهم مقدم دائم، وحاملُ لواء أبيض، يدعى «علم سيدي الزوين» يحمله عاليا إذا سار الطلبة من مسجد إلى غيره، ثم يثبته في مكان عال يرفرف على الباب، فإذا حضر وقت الدعاء عند الختم جاء به حامله المعين له، فوضعه على وجه كل من طلب الدعاء، وتبدأ مجالس الطلبة في الدور حين يصلون إلى المسجد بعد صلاة المغرب وقراءة الحزب الراتب، والعادةُ أنهم إذا قاربوا المسجد بنحو مائتي متر، ترجّلوا عن دوابهم، وسلموها إلى من يتعهّدها، وانتظموا في عدة صفوف، وتقدم مقدَّمُهم فدعا بحامل اللواء، وبدأ برفع عقيرته بالصلاة على رسول الله قائلا: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم» يقولها بلحن وإيقاع صوتي مجوّد، والجماعة من الطلبة كلها معه بلسان واحد، وتترادّها الصفوف خلفهم إلى باب المسجد حيث يجدون أعيان الجماعة وطلبتهم وتلاميذ المسجد وإمامه في استقبالهم والترحيب بهم، ويقوم المقدم بالدعاء وطلب الضيافة من الجماعة، ويجيب أعيان الجماعة مرة أخرى بالترحيب، فإذا وصلوا صلوا المغرب، وقرأوا الحزب وسُبُعَ البردة، فإذا صلوا العشاء قدم لهم الطعام، ثم وضعت أواني الشاي، وتفرق الطلبة إلى مجموعات كل مجموعة تأخذ صينيَّتها وتنهض بنوبتها في القراءة حين يأيتها الدور، ويتبارى طلاب المحاضر في تقديم العروض من القراءة، وهكذا إلى وقت متأخر من الليل.

وقد تستمر قراءة هذه التجمعات بالتداول إلى طلوع افجر، حتى إنهم ربما حزبوا في المسجد الواحد نحو العشرين حزبا على هذه الشاكلة، الأمر الذي يجعل من هذا الدور فرصة لقراءة الأسوار يوميا بكيفية غير



مباشرة، كما يمكن طلبة المحاضر من استثمار هذه الأيام من الاستجمام فيما يتناسب مع المناخ الذي يعيشونه في تلك المحاضر، مع فارق كبير يتمثل في موفور الكرم الذي ينصب عليهم مغداقا خلال أيام الدور، كما يتمثل في جو المرَح والبهجة والتنوع في الحياة اليومية طوال هذه الأسابيع الثلاثة، مع تحدُّد الوجوه، ولقاء المشايخ، والتعرف على جهات البلاد ومحاضرها.

وتزداد هذه المجالس نشاطا في جلسات الضحى حيث جرت العادة أن تختم فيها قصيدة الهمزية للبوصيري بأصوات شجية ونغمات وألحان مختارة يترادُّ فيها جمهور الطلبة من كل جهة على طريقة التناوب في إنشاد كل صف من الصفين بيتا إلى ختامها.

وبعد صلاة الظهر وتناول الطعام يستأنف الطلبة القراءة على نفس النمط الذي تقدم إلى صلاة العصر، وبعدها تتم الزيارة من لدن الجماعة والأفراد، وتختم المجالس، ويتجه الجميع إلى المسجد الموالي على هذا النظام والترتيب السابق.

ولقد طرأ على هذا الدور بعد التقسيم الإداري الذي حلّ كل قيادة إلى اثنتين وكل مشيخة إلى أكثر، ما أدى إلى تقسيمه هو أيضا بحسب كل مشيخة، ثم زاد فانقسم داخل كل مشيخة، وربما اقتصر فيه الطلبة على جلسات نهارية ففقد الكثير من طابعه والإقبال الذي كان عليه، والحماس الطلابي الذي كان يعرفه، ولكنه مع ذلك ما زال يحافظ على الأعراف التي ظلت متبعة فيه، كما أن القائمين عليه من كبار طلبة القبيلة ظلوا محافظين على فكرة انتماء هذا الدور في أصله إلى سيدي الزوين،



ولذلك فإنهم بعد انقضائه يوفدون وفدا منهم بطرف مما جمعوه من الزيارة، فيأتي بها إلى مدرسة سيدي الزوين كل عام، كما يمضي طائفة منهم إلى زيارة مدرسة سيدي عبد الله بن الحفيظ بتالمست في إقليم الصويرة، باعتبار مؤسسها أحد تلاميذ سيدي الزوين، هذا ما أدركنا عليه الحال في أول عهد الاستقلال، ثم ضعف الأمر، وتوقف في كثير من السنوات.

وأهم ما كان وما يزال يتحقق في الدور، هو ذلك التعارف والتلاقح بين أجيال من الطلبة، بالإضافة إلى كونه يبعث على التنافس بين المتعلمين، ويعرف بالمقارئ والمحاضر النشيطة، ويتدرب فيه الناشئون على القراءة، وقد استطاع عدد من طلبة المدارس والمعاهد العدول بالقراءة -بحمد الله- في سنوات كثيرة وإلى يومنا عن طريقة «تحزابت» المحرفة للقرآن، إلى التلاوة العادية المقبولة في الجملة، وهذا مكسب جيد أمكن به تفادي ما كان يوجه إلى الدور وطلبته من انتقاد شديد، وحملة كتاب الله فيهم بحمد الله خير كثير، واستعداد لإصلاح ما انحرف، والتخلي عما لا يليق، الأمر الذي يبشر بالمستقبل الطيب للدور، ويساعد على المحافظة عليه باعتباره جزءاً من حياة المحضرة وتراثا من تراث الأسلاف.



## المشارطة الرمزية عند صغار الطلبة

ومما يرتبط بالموضوع، ويدخل في الطرائف أيضا ما أدركت صغار طلبة المحاضر يفعلونه في الجلسات الخاصة في ليالي الأربعاء ويوم الخميس أو في (الدور) الذي يجتمع فيه طلاب المحاضر من مختلف الجهات في بعض المساجد.

وذلك أنهم يعمدون إلى تقديم عرض عام لمن يرغب في (الشرط) عند جماعة الطلبة، ممن يأنس من نفسه التمكن في الرسم والضبط ومعرفة المتشابهات من القرآن، فيترشح للشرط بحسب مستواه وثقته من نفسه، وهذا (الشرط) إنما هو (شرط رمزي) لأنه لا يأخذ فيه من جماعة الطلاب أجرة، وإنما يتلقى أسئلة كثيرة يمطرونه بها من كل جهة في مسائل الرسم والضبط والمتشابه، فإن شارط مثلا بخمس (عبرات) فإنه كلما أخطأ في مسألة يخصم له من شرطه عبرة، فإذا أخطأ فيها جميعا واحدة واحدة، خلعوه من (الشرط) وشارطوا غيره، وإذا استمرّ في أجوبته بشكل صحيح يبقى محافظا على منصبه، والأسئلة تنصب عليه، ومحاولات التلبيس عليه لا تتوقف، إلى أن يوقعوه فيخصموا من حصته، وكلما كان المرشح للشرط أكثر حذقا طلب شرطا أقلّ، كأن يشارط على (عبرة) واحدة، ومع ذلك لا يقدرون على التخلص منه، فيظل في موضعه إلى أن يملوا وينقطعوا دونه، فيخرج منتصرا مرفوع الرأس ليفسح المجال لغيره.

وممن أدركته وعشت معه زمانا ممن عرفوا في جهتنا بالتمكن في هذا الشأن. طالب كان يدعى (سي بلعيد القوري) وكان -رحمه الله- طالبا



ضعيف الحال، لا يكاد يستقر في مسجد عند جماعة، لمسكنته وعدم انضباطه مع الأعراف الطلابية والمحضرية وآداب المجالس، وقد حضرته مرة في (دور الطلبة) وإمام المسجد يومئذ فقيه من العدول الموثقين، وهو شيخ من شيوخنا يدعى السيد عمر بن امحمد الكريمي، فكنا معه في مجلس بعد صلاة الظهر، فأخذ الشيخ في موعظة دينية، وطلبة الدور والجماعة كأن على رؤوسهم الطير، يستمعون إليه. ففي سياق الحديث عن سعة رحمة الله، وعدم تعجيله العقوبة على الذنوب، ليتوب منها من يتوب، استدل الشيخ لذلك بقوله تعالى في سورة الكهف: (لو يواخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) فلما سمعها (سي بلعيد القوري) من بعيد، قال للشيخ: افتحْ: يعني: بيّن حركة الباء من (العذاب) التي وقفت عليها بالسكون، حتى نعلم: هل أنت عارف ماهر في الرسم والضبط؟ فأعرض عنه الفقيه، وكاد طلبة المجلس ينفجرون من شدة كظمهم لأنفاسهم حياءً من الفقيه، وقد غلبهم الضحك من مفاجأة (سي بلعيد) لهم بمثل هذا السؤال، إذ كان يعيش في واد آخر غير الوادي الذي يعيش فيه الفقيه وأهل مجلسه كما هي عادته، وكان شيخاً مسنّاً مقبولاً.

وقد حضرته -رحمه الله- مرات يشارطه الطلبة هذه (المشارطة الرمزية) فيعييهم أمره طول اليوم، إلا أن بعض الطلبة كان من حين لآخر يلبّس عليه حتى يوقعه، فيُصفقون عليه، فحينئذ ربما ينفجر غاضبا، فلا يزالون به يترضونه حتى يعود إلى مزاجه رحمه الله.



# مهرجان سلطان الطلبة أو المملكة الرمزية للطلبة

ومن التقاليد المحضرية العتيقة الجارية هذا المجرى مهرجان سلطان الطلبة، أو ما يمكن أن نسميه بالسلطنة أو المملكة الرمزية لسلطان الطلبة.

وترجع انطلاقة هذا التقليد المحضري إلى ما يقارب أربعة قرون من الزمان، كما أنها ترتبط بقصة تاريخية أشار إليها المؤرخون، وإن شكك بعض المعاصرين في مصداقيتها، وقد أثبتها مؤرخو الدولة العلوية وإن لم يذكروا ارتباط القصة بهذا التقليد.

ففي ترجمة المولى الرشيد بن الشريف مؤسس الدولة العلوية في المغرب، أنه بعد استيلائه على فاس سنة 1076 هـ رحل مسرعا فوفد على رئيس بنواحي أنگاد يدعى الشيخ اللواتي ، فبالغ في إكرامه، فبينما هو مقيم عنده إذ رأى رجلا بهيئة من خيل وأتباع ومماليك، وهو يصطاد كهيئة الملوك، فسأل من هو؟ فقيل له ابن مشعل من يهود تازة، فذكروا أنه دبر على اليهودي المذكور واحتال عليه حتى اتصل به في خلوته، فبطش به وقتله، واستولى على داره، وأخذ منها أموالا كثيرة وذخائر نفيسة، وكانت لهذا اليهودي صولة على المسلمين، واستهزاء بالدين وأهله مما نقض به عهد الذمة، ولم يعد لدمه ولا لماله ما كان له من الحرمة (1).

1 - أنظر إتحاف اعلام الناس : 3/33-35 وتاريخ الضعيف: 42-44 . .



ومن الشائع على الألسنة أن ابن مشعل هذا كان قد عتا في هذه الجهة وتمول وفرض على أهلها أنواعا من التعسُّف حتى كانوا يهدون إليه في الأعياد كما يهدى إلى الأمراء والملوك، فذكروا أن المولى الرشيد قد اغتنم فيه الفرصة حيث تظاهر بالوفادة عليه، ومعه هدية هي عبارة عن جملة من الصناديق يوهمه أنه يهديه فيها من الأموال والتحف، وإنما فيها عدد من طلبة القرويين ومعهم السيوف حتى إذا استقبله وأطمأن به المجلس عنده، دعا بالصناديق، فخرج عليه الطلبة منها فأجهزوا عليه، وتخليدا لهذا الحدث، ومكافأة للطلبة إذن المولى الرشيد أن يقام بالمناسبة في كل ربيع عيد أو مهرجان يحمل اسم «سلطان الطلبة»، ثم استمر هذا التقليد إلى عصرنا (1).

وقد أشار صاحب كتاب المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى الدكتور محمد منير سعد الدين: ص 82-83 من كتابه إلى هذا التقليد تحت عنوان: حكومة الطلبة أو سلطان الطلبة وقال:

«لعل أعجب وأطرف العادات والتقاليد في المدارس الإسلامية، تلك العادة الممتازة التي برزت في جامع القرويين ومدارسها بفاس بالمغرب الأقصى دون غيرها من المدارس، وأعني بها عادة (سلطان الطلبة) التي ابتكرها مولاي الرشيد سلطان المغرب الأقصى (ت 1082 هـ / 1631 م) من ملوك الأشراف السجلماسيين التي لا تزال تحكم مراكش (المغرب) حتى

1 - ادركت بفاس بكلية الآداب بظهر المهراز آخر حفل أقيم لذلك عام 1967 هـ في شهر مارس، وكان المترشح للسلطنة هو الذي تنزل عليه في المزاد العلني الذي يقام لذلك، وقد حضرت المزاد، فكان الفوز من نصيب الطالب أحمد القانت من مراكش. وفي اليوم الموالي ركب في موكبه السلطاني الرمزي، وسافرت في عطلة الربيع فلم أحضر المهرجان، وبلغني بعد رجوعي أن الإجراءات توقفت فجأة، وذلك بسبب المطالب التي جرت العادة أن يتقدم بها سلطان الطلبة إلى جلالة الملك عند استقباله له، فبلغنا أنها كانت تتعلق بالإفراج عن المسجونين في قضية الزيت المسمومة والتجار المتورطين فيها بطنجة، فرفضت المطالب، وتوقف المهرجان والعمل بهذا التقليد إلى اليوم.

اليوم، ولو أن هذه العادة من نتاج العصور المتأخرة، إلا أن إيرادها هنا، لطرافتها وفكرتها التربوية والاجتماعية الرائعة، ولدلالاتها على سمو الفكرة الجامعية عند المسلمين بصفة عامة» (1).

وذكر بعض الباحثين أن المولى الرشيد لما خلف أخاه المولى محمد الأول، أعلى منار العلم بجامعة القرويين فأكرم العلماء وحضر مجالسهم، كما أنه أكرم الطلاب إكراما، إذ ابتكر لهم عادة (سلطان الطلبة) وهي من العادات الجامعية العجيبة.. وكانت عبارة عن (حكومة صغيرة) تقام في ربيع كل عام، وتدوم سبعة أيام» (2).

وذكر بعضهم أننا «قرأنا كثيرا عن مهرجانات (سلطان الطلبة) وهي مهرجانات تشغل جيزا بارزا في تاريخ المغرب، وفي تاريخ مدينة فاس بوجه خاص التي ظلت (قاعدة لسلطان الطلبة) كما أنها أصبحت تشكل تراثا تاريخيا تطبعه الطرافة، ويندرج بحكم نوعيته فيما يمكن تسميته بلغة اليوم ترفيها، وتختزن صفحات بعض المصادر التاريخية أوصافا وريبورتاجات بلغة اليوم عن (بلاطات سلطان الطلبة) وما يجري فيها من أصول الحكم وكيفية إنزال العقوبات و(قانونها الدَّمْغِي) الذي يحدد تلك العقوبات، ويوجد من بين سلاطين الطلبة عدد من الأسماء اللامعة، أو التي لمعت من خلال حكمها السلطاني الذي ما فتئت مُدَدُهُ تتقلص وتختزل، حتى لم تتجاوز أياما معدودات» (3).

---

1 – المدرسة الإسلامية: 82-83 .

2 – أنظر جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي: 366/2 .

3 – الأستاذ أحمد زياد في موضوع: أهو سلطان الشعراء؟ دعوة الحق العدد: 7-8 السنة 18 شعبان – رمضان: 1397 هـ – غشت – شتنبر : 1977 .



هذا حديث المعاصرين عن سلطان الطلبة بفاس بجامع القرويين.

ويظهر أن كلية ابن يوسف، وهي منافسة للقرويين بمراكش -كانت هي أيضا تأخذ بهذا التقليد، وربما اشتهر فيها أكثر حين انتقلت قاعدة الحكم إليها منذ أيام السلطان محمد بن عبد الله العلوي (ت 1204 هـ) ومن ثم فقد كان مهرجانه يقام فيها في أيام فصل الربيع.

وقد أشار بعض الباحثين إلى اشتراك المدينتين في الأخذ بهذا التقليد فقال:

«في مراكش وفاس هناك عادة شهيرة لاختيار (سلطان الطلبة) وخروجه للنزهة في فصل الربيع في موكب رسمي له عاداته وتقاليده، ويضرب المثل بسلطان الطلبة للشخص الذي ملك سلطة ضعيفة موقتة، لأن سلطنة (سلطان الطلبة) شكلية موقتة لا تتجاوز أياما معدودات» (1).

وأشار باحث آخر إلى المضمون الأدبي لمهرجان (سلطان الطلبة) وموضع إقامة منتزهاته بفاس، فقال: «فيوم الخميس كان يوم العطلة الأسبوعية الرسمي للطلبة، فهو عيد كبير للطلبة، تقام فيه الاحتفالات خاصة على ضفاف وسهول (وادي الجواهر) بفاس، إذ تقام أعياد (سلطان الطلبة) وما يصاحب ذلك من أفراح وإظهار للبهجة، حيث تعم مظاهر الفرح والحبور والسرور مختلف الأرجاء، ويتغنى بالأشعار، وتتبادل التهاني وتنظم المساجلات بين الشعراء» (2).

---

1 -الأستاذ عبد القادر زمامة: الأمثال المغربية دراسة ونماذج مشروحة مجلة البحث العلمي -المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط- العدد السادس السنة الثانية جمادي الاولى -شعبان 1385 هـ شتنبر - دجنبر : 1965 م ص 138.

2 -الأستاذ محمد العلمي في «منظومة العربي المساري (سراج العلوم) نموذج حي لنظام التربية والتعليم الديني بالمغرب: «دعوة الحق: العدد 362 السنة 42 شعبان ورمضان 1422 هـ ص 120 .

# مهرجان سلطان الطلبة بفاس
# كما وصفه بعض المؤرخين الفرنسيين (1)

**قال روجي لوطورنو** في كتابه «فاس قبل الحماية» وهو يتحدث عن طلبة فاس:

«كان طلاب فاس على غرار جميع طلاب العالم، يجدون بين دراساتهم والبحث عن قُوتهم، مزيدا من الوقت للتسلية، فكانو يجتمعون ليلا فيما بينهم في حجيراتهم على الضوء المرتعش لشمعة أو مصباح زيتي، وهم يتحدثون ويتناولون الشاي.. وكانت هناك احتفالات جامعية يساهم فيها جميع الطلبة، الفاسيون وغيرهم على السواء.

«فإذا ختم أحد الأساتذة شرح (مختصر سيدي خليل) كان الطلبة يرفعونه على أكتافهم، ويحملونه بافتخار إلى القاعة الكبرى للمدرسة المصباحية، حيث يأتي الجمهور لتهنئته، بعد أن يكون قد قدم إليه تلاميذه بالباب هدية التمر والحليب مثلما تقدم للسلطان عند دخوله إلى المدينة».

ومن جهة أخرى، عندما يكون أستاذ قد أنهى شرح كتاب هام، كان ينظم حفلة استقبال تسمى (الختمة)، وبعد تناول الطعام يلقي على تلاميذه محاضرة حول المادة التي ختمها، فيقدم له التلاميذ وأعيان المدينة هدايا».

1 - صاحب هذا الوصف هو المؤرخ الفرنسي المهتم بتاريخ المغرب وتاريخ مدينة فاس: روجي لوطورنو ( 1907-1971 م). وقد قضى في فاس فترة طويلة، التحق بها سنة 1930 م فعمل أستاذاً بثانوية مولاي إدريس، ثم صار مديرا لهذه الثانوية، ولم يغادرها إلا في أثناء الحرب العالمية اثانية حيث رحل إلى تونس، ثم انتقل إلى الجزائر، وألف عن المغرب ونشر أبحاثا كثيرة، ومنها كتابه: فاس قبل الحماية نشره باللغة الفرنسية سنة 1949 بالدار البيضاء. وقد ترجم كتابه «فاس قبل الحماية» إلى العربية الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر، ونشرته في مجلدين دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان : 1412 هـ - 1992 م، ومن هذه الترجمة والتحقيق اقتبست هذا الوصف المفصل لمهرجان سلطان الطلبة. أنظر ترجمة المؤلف في مقدمة التحقيق: 1/5-7 .

«وأكبر احتفال طلابي كان بلا مراء، وهو حفل (سلطان الطلبة) الذي كان ينظم في ربيع كل سنة. لا فائدة في الرجوع إلى أصل هذا الاحتفال الذي كتب عنه الراحل: ب دوسينڤال مقالا نهائيا (1).

ويرجع هذا الأصل إلى ما قبل النصف الثاني من القرن السابع عشر، فجل الذين كتبوا عن فاس تحدثوا قليلا أو كثيرا عن هذا الحفل الذي يثير مجرد اسمه حب التطلع، ويذكّر بمشاهد رائعة».

وقد حضرته بنفسي عدة مرات، لكن في عهد كان قد فقد -حسب قول من يستطيعون القيام بمقارنات- الكثير من بهائه» (2).

لم تكن الإعدادات بأقل أهمية من الحفل ذاته، ففي بداية الربيع حوالي منتصف أبريل، بعد إشعار المخزن بلهجة سلطوية مضحكة، يعزم الطلبة على تنظيم عيدهم».

# كيف يجري اختيار (سلطان الطلبة)

**قال روجي لوطورنو:**

«كانت وظيفة السلطان تعرض للبيع بالمزايدة، ومن العادة أن يرغب فيها طلاب المدارس فقط، ولا يشارك الطلاب الفاسيون في المسابقة».

---

1 -قال المحققان في الهامش 56 من الجزء الثاني ص 671: ب دوسينڤال، أسطورة اليهودي ابن مشعل وحفل سلطان الطلبة بفاس في هيسبريس عدد 5، 1925 الثلاثة أشهر الثانية ص 137-218 توجد بهذا المقال بيلوغرافيا كاملة عن الموضوع».

2 - نشر المحققان صورتين فوتغرافتين لحفلة سلطان الطلبة أثناء ممارسة السلطة، الأولى هي اللوحة رقم 82 وتمثل وصول الموكب إلى ضريح سيدي علي بوغالب، وفي المقدمة يظهر السلطان ممتطيا فرسه ومظللا بمظلته ومحاطا بخدمه، وحوله جمهور من المتطفلين ، من بينهم كثير من النساء، وفي المؤخرة من الصورة حي العيون وبرج الشمال وفي اللوح رقم 83 يظهر المنظر العام لموقع سلطان الطلبة خارج فاس (أنظر فاس قبل الحماية: 2/976-977 .



«لكن أعيان فاس يحضرون، وهم الذين يوصون السلطان الوقتي، إذ من المتفق عليه منذ زمن قديم جدا، أن هذا الأخير بإمكانه أن يطلب من العاهل (الحقيقي) أن يمن على هذا أو ذاك، أو أن يعفو أيضا عن أحد المحكوم عليهم أو المعتقلين».

«فإذا كان لبعض أعيان فاس قريب أو محمي في هذه الحالة، كانوا يعملون على تحقيق انتخاب (سلطان الطلبة) الذي يطلب في مقابل ذلك العفو المرجوّ. لذلك كانت المزايدات تتغير من سنة إلى سنة حسب عدد وثروة من كان في صالحهم أن يضمنوا نجاح مرشح ما، فقد بلغت المزايدة سنة 1889 حتى إلى 100 ريال، ولم تبلغ سنة 1886 إلا 50 ريالا (1)».

«كان المبلَغ المحصل عليه يشكّل مالا أوّلياً لتنظيم الحفلة، لكنه لم يكن كافيا، فكان الطلبة ينتشرون في المدينة لجمع التبرعات، وهم يقلدون جباة الأسواق والقاضي أو شيخ التجار».

1 - ذكر المحققان بالهامش أن وظيفة سلطان الطلبة اشتريت ب 22500 فرنك سنة 1923 م وبـ 13500 فرنك فقط في 1924 م.

قلت: هذا التفاوت مرجعه إلى وجود المنافسين الأقوياء في بعض السنوات دون بعض في حضور المزاد العلني المذكور. وقد حضرت المزاد أنا عام 1967 م فكان في البداية عاديا حتى كاد يتوقف عند مليونين ونصف من الفرنكات، وفجأة دخل بعض العناصر من طلبة الشمال فكان يتزايد مع طالب من مراكش يدعى أحمد القانت، فكان الطالب الشمالي يزيد بالمليون دفعة واحدة والمراكشي يزيد بخمسين ألف ريال لكن المزاد في النهاية بلغ إلى ثلاثة عشر مليونا، فكانت من نصيب المراكشي أو على الأصح من نصيب جماعة من التجار المراكشيين الذين كان لهم غرض في استصدار عفو ملكي في قضية الزيت المسمومة المشهورة بطنجة.

«كان التجار والأعيان يتبرعون عن طيب خاطر، كما كان الطلبة يطلبون من الشخصيات المخزنية وقواد القبائل على شكل رسائل شريفة تُلزمهم بدفع مبلغ كذا، وكان الطلبة يلجأون أحيانا إلى مباريات خارجية: يستأجرون أحد الفاسيين المعروفين بفصاحتهم ويجعلون منه المنشِّط لمهزلتهم».

«وكانوا يجمعون المال، ويعدون جهاز التخييم في نفس الوقت، إذ كان لابد من التخييم بضعة أيام على ضفاف (وادي فاس) في عالية المدينة، على مرآى من أسوار دار المخزن، وكانت المصالح الإقتصادية للقصر وعامل فاس يضعون عادة رهن إشارة الطلبة الخيام الضرورية والدواب التي تنقلها».

وفي هذه الأثناء يكون السلطان الجديد قد اختار وزراءه وأعيان حاشيته من بين زملائه بالمدرسة، ما عدا صاحب الصندوق الذي كان تقريبا دائما رجلا جِدِّيّاً ومحنكا تاجرا أو موظفا».

# موكب (سلطان الطلبة) ومخيَّمه للنزهة

«وكان (سلطان الطلبة) يتلقى يوم الجمعة الموالي لانتخابه من المخزن شعائر سلطنته، أي: المظلة، والمِنَشّة، والفرس، والحرس، فيقوم إذ ذاك؛ بخروجه الأول، مصحوبا بموسيقى الموكب بمزاميرهم وطبولهم ونفافيرهم، وسط جمهور غير منظم، يذهب إلى (جامع الأندلس) ثم يخرج من المدينة عبر (باب فتوح) ويصعد إحدى ربوات روضة (باب فتوح) ويستجمّ أمام

1 – يعني أنهم يصبون عليه أسطال المياه بعد أن تزول عنه السلطنة الرمزية.

2 – الحي اللاتيني: حي قديم وشهير بباريس بفرنسا.

3 – فاس قبل الحماية: 2/671-677 .



(ضريح سيدي حرازم) مولى الطلبة، حيث أقبر كذلك حسب الرواية التقليدية مولاي رشيد منشئ الحفلة».

«وكان الموكب يشكل مرة ثانية يوم الغد السبت بنفس النظام، ويتوجه هذه المرة نحو (باب محروق) ليلتحق بسهل (واد فاس) عبر (باب الساكمة)».

«ويكون المخيم قد نُصب هنالك، فيضاف إلى أخبية الطلبة (خباء عامل فاس الجديد) المكلف بالسهر على النظام، وأخبية الفاسيين العديدين الذين كانوا يأتون للاستراحة والتسلية لبضعة أيام برفقة الطلبة، في مقابل هدايا كما لا يخفى. كانوا يقضون هناك أسبوعا على الأقل وهم يأكلون ويشربون الشاي، ويستقبلون الأصدقاء، ويمرحون ويستمعون إلى الموسيقى، وكانت فاس كلها تتقاطر على هذا المخيم، إذا كان الطقس جميلاً ولو قليلاً.

«وفي اليوم الثالث أو الرابع يقدم شخص من الأسرة الشريفة حاملا (هدية السلطان) وهي عبارة عن مؤن ونقود، كما يرسل اليهود هدية، لكنها هزلية، إذ تكون البقر والغنم المعلن عنها في الواقع قططا وفئرانا في أقفاص».

«وأخيرا في اليوم السادس، كان السلطان (الحقيقي) إن وجد بفاس، يزور (سلطان الطلبة)، وفي هذا الاحتفال الذي يمتزج فيه البروتوكول بالسخرية امتزاجاً شديدا يلتمس خلاله (سلطان الطلبة) المن والعفو التقليديين والإذن باستمرار الحفلة أسبوعا، وفي أثناء الليلة الأخيرة



للمخيم، كان على (سلطان الطلبة) أن يتخلص دون أن يراه أحد ويلتحق بمدرسته بدون أبّهة، وإلا تعرض من طرف أصحابه إلى لطمات عنيفة واستحمام إجباري (1) وغير ذلك من الكوارث من هذا النوع.

**قال لوجي لوطورنو:**

«إننا لا نستطيع أن نلحّ كثيرا على الطابع الهزلي المتصنع لهذه الحفلة التي كان الطلبة فيها لا يخشون تقليد أكبر أصحاب الرتب المخزنية العليا حتى بمحضرهم، لكن مع مراعاة المراسيم المعمول بها في الحاشية الشريفة بكل دقة».

«وهكذا كانت تسليتهم تتخذ طابعا متصنّعا غريبا جدا، لا يشبه في أي شيء الخشونة وتجاوز آداب الحياة في (الحي اللاتيني) (2).

«ويؤكد التاريخ انطباع الشباب الذي يتركه حفل (سلطان الطلبة)، إذ لم يُسمع قط أن طلبة فاس تسبّبوا في اضطراب خطير بالحاضرة...»

«فالعقيدة والامتثالية هما الخاصيتان الغالبتان للقرويين، وعندما كان النَّزق ورغبة الشباب في الانفجار يتجليان، فإن المسالك المرسومة جيداً لحفلة الطلبة كانت منصوبة أمامهم لتوجيههم».

«فمنذ ثلاثمائة سنة كان شباب فاس يشفي غلته بمحاكاة المخزن الساخرة التقليدية، وبالدعابات حول البراغيث والبق والفئران، وبجوّ البهجة الشعبية المتَّزنة الذي يكتنف كل ذلك» (3).



وهكذا كانت حفلات مهرجان (سلطان الطلبة) مناسبة للتنفيس عن النفوس من ضغوط الحياة الطلابية الجادة، ونوعاً من التسلية الأدبية والاجتماعية التي تتيح لسلطان الطلبة وحاشيته من الطلاب ممارسة نوع من السلطة الصورية، واصطناع حكومة رمزية تتمتع بكثير من الصلاحيات في إخراج الجد مخرج الهزل، وابتداع أساليب متعددة، ومظاهر شعبية ساذجة أحيانا، بقصد الفرجة والترويح عن النفس، وقد لاحظ هذا المؤرخ الفرنسي مقدار احترام الطلبة مع ذلك للمراسيم المعمول بها بكل دقة، كما لاحظ أن طلبة فاس منذ ثلاثمائة سنة قد وجدوا في حفلات سلطان الطلبة متنفّساً لهم، ولذلك لم يعرف عنهم أنهم تسببوا في اضطراب يُخِلُّ بالنظام.

## نموذج من رسائل (سلطان الطلبة)
## إلى بعض رعاياه

من الحسين الغماري -سلطان الطلبة- رعاه الله.

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه.

إلى خديمنا الأرضي العالم العلامة سيدي أحمد البدوي، أمنكم الله ووقاكم من كل شر، وحفظكم من كل ضرر.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته من قِبَل مولانا -أيده الله ونصره-.



وبعد، فإن مولانا (سلطان الطلبة) الحائز لكل الفضائل والموزّع لكل الخصائل الحميدة، يأمركم بأن تبلغوا هذا الكتاب إلى السيادات الكريمة المؤيدة بالدين الإسلامي، المسافرة برفقتكم أي: الآتية معكم من الجزائر؟

أبلغوهم بأن جيشنا السعيد سيعسكر نهار يوم السبت -إن شاء الله- على ضفتّي (وادي الجواهر) بين سكان (بني برغوث) و(بني بَقّ) و(بني فار)».

وقد فرضنا عليهم لمؤونة جيشنا المحروس بالله إتاوةً لا تُعدّ ولا تُحصى، فضلا عن الإتاوة التي فرضت لصالح مولانا نصره الله..»

«وأُمروا بالطاعة والإستسلام، حتى يبعثوا إلينا بألف فحل من جنس الخيل يمتطيها البعوض، وتسرح بقشور البلوط، وكذلك بألف خنزير سمين جدّا لأتباع السلطان.

«وأكرموا حامله حتى لا يستطيع حمل ما ستهبون له، وأصحبوه بحرس حتى يصل إلينا بأمان، بسبب كثرة قطاع الطريق في بلاد (غريّبة) (1) والفتن التي يقوم بها سكان (كعب غزال) (2).

«يجب أن لا يقع تأخير في إرسال هذه الهدايا، والسلام.

وحرر في شهر اللبن عام السكر والشاي وما شابههما

«وإن لم يمتثلوا لأوامرنا، أرسلنا عليهم قبائل البعوض التي لا تتركهم في راحة، إلا إذا أعطوا ما ذكر في رسالتنا والسلام».

---

1 - يعني الحلوى المعروفة.
2 - حلويات مشهورة



عام 1622 م (1)، وكانت تحمل هذه الرسالة الجميلة كتوقيع، طابعا أشبه ما يكون بطابع الملك» (2).

## سلطان رمزي يستمرئ السلطنة و السلطة

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد من (سلطان الطلبة) بمراكش ما جاء في كتاب المتعة والراحة في ترجمة الحاج محمد بن حامد من ذرية الشيخ سعيد بن عبد المنعم الداودي الحاحي قال:

«فقيه حسن، كان أخذه في بلده ، ثم التحق بمراكش ليستتم بها، فكان (سلطان الطلبة) فيقول أهله -والله أعلم بصحة ذلك- أن بعض الحسدة وشى به إلى السلطان مولاي الحسن الأول (ت 1311 هـ) بأن يحيي سلف هذا كان طمع في السلطنة، فهل نأمن أن يدّعيها هذا بعد أن ذاق (التبنديقة) أي: التحية الملوكية؟ قالوا: فأمر السلطان القائد عبد الملك المتوكي أن يكفيه مؤونة الرجل المتسلطن، فناوله في مجلس كأسا دِهاقا كانت سبب القضاء عليه.

---

1 - كذا بالتاريخ الميلادي، ولعل الناقل، وهو كاتب مغربي من بعثة فرنسا، وهو الذي كان توصل بهذه الرسالة - هو الذي قام بتحويل تاريخها من الهجري إلى الميلادي، وهو يقابل عام 1043 هـ وهذا تاريخ لا يصح أن يكون وقت كتابة هذه الرسالة، لأن المولى الرشيد الذي يقترن باسمه سلطان الطلبة إنما ولد سنة 1040 هـ أي قبل تاريخ الرسالة بثلاث سنوات أو أربع.

2 - انتهى بنصه من نقل المحققين بهامش رقم 59 من كتاب فاس قبل الحماية: 673/2 .



**قال المؤلف.**

هذا ما قالوا، ثم زاد الحاكي أن تحت يده الظهير الذي أعطاه له السلطان لما اشترى السلطنة، وياليتنا توصلنا به لنودعه هنا للتاريخ، لنتعرف كيف ذلك الظهير، لأن من أدركناهم من سلاطين الطلبة لم نسمع بأنهم يتوصلون بظهائر.. (1).

قلت: الذي أدركته وأنا أدرس في كلية الآداب بفاس أن مهرجان (سلطان الطلبة) كان قد أصبح مهرجانا وطنيا رسميا، وأنه يقام بفاس، ويشترك فيه المشاركون من الكليات التابعة لجامعة القرويين من مراكش وسوس وغيرها. ومن ترتيبات مراسم السلطنة المذكورة ركوب السلطان الرمزي طوال أيام الأسبوع الملكي في موكبه الفخم المكون من الطلاب على صهوات الخيول إلي أن يأتي أهم ساحات المدينة، فيقوم بزيارة ضريح المولى إدريس الأزهر بجامع القرويين. وأهم المراسيم الرسمية هي يوم استقبال السلطان رسميا لسلطان الطلبة وأعضاء حكومته الرمزية، ويتم هذا الاستقبال في المشور السعيد بفاس، وتقدم له ولحكومته المشروبات والحلويات والأطعمة الفاخرة، كما يتقدم هو وحكومته بتقديم الولاء للسلطان، والتقدم بالطلبات الشخصية، فيقوم السلطان بتسلم طلباته مكتوبة والنظر فيها، كما يقوم بإهداء هدايا سنية له ولحكومته الرمزية، فإذا وافق السلطان على طلباته كاملة أو على بعضها وصلته البشارة بذلك، واستمرت الحفلات إلى آخر أيام الأسبوع، وبذلك تنتهي مهمته.

---

1 - المتعمة والراحة: 1/170-171



# الحكومة الطلابية ومراسيمها

ويحكى الدكتور عبد الهادي التازي عن طلبة القرويين في المغرب أنه كان لهم (سلطان) هو عريفهم المتحدث باسمهم، وكان لهم نزهة سنوية يخرجون إليها في فصل الربيع، تموّلها الدولة، ويشارك في تمويلها المحسنون بهباتهم وبما يسددونه من (الضرائب) التي يَجبيها (سلطان الطلبة) من وجوه البلاد وتجارهم، بمراسيم تصدر بإمضائه، يؤديها هؤلاء عن طيب خاطر، وكان السلطان -يعني من الطلبة- يبعث رسائل إلى أعيان البلد، ويحدد فيها (الضرائب) المفروضة عليهم، مهددا بأنه إذا لم يؤدِّ المبلغ المفروض، فإنه يسلِّط عليهم أسراب الجراد وكتائب الجُرذان، فعليهم إذا أرادوا النجاة أن تجود أرْيَحيَتُهم (1).

# وفي شنقيط (الرسالة المفتوحة)

وفي شنقيط أيضا الذي كان إلى ما قبل أقل من خمسين عاما جزءاً من المملكة المغربية، وامتدادا لجناحها الصحراوي في الجنوب المغربي، كان هذا التقليد الطلابي في إقامة سلطان رمزي للطلبة أمراً شائعا، مع نوع من الاختلاف في الصورة.

وقد حدث أحد أدباء شنقيط عما كان يجري هناك في المحاضر لهذه الغاية فقال:

1 - جامع القرويين للدكتور عبد الهادي التازي: 747-720/3 .



« فقد تواطأ المجتمع على أن يفسح للطلاب مجال التفكه، وأن يغفر زلاتهم، ويتجاوز عن هفواتهم، ويمنحهم من رجابة الصدر ما يعوّض عن ضيق ذات اليد، وهكذا كان الطلبة يروّحون عن القلوب المكدودة بالجد إلى المجون والعدول عن عزائم الأخلاق، إلى رُخص العادات، دون أن يغلوا في ذلك أو يعتدوا، وفي هذا الإطار قبل غيره تندرج (الرسالة المفتوحة) التي تشكل أحد (موارد المحضرة).

فللطلبة (رسالة) يجتهدون في تحريرها، فيضمنونها وصف ما هم عليه من فقر وفاقه، ويمجدون العلم، ويسردون فوائده، ويذكرون ما أعد الله للمحسنين من حسن الخلف وجميل الثواب، ويهددون من غُلت يده إلى عنقه، وينذرونه عاقبة البخل والشُّح، وهي رسالة يمتزج فيها الجد بالهزل، يستمتع الناس بقراءتها ويتسلُّون، ولكنهم لا يستطيعون إلا أن يأخذوها مأخذ الجد، فيستجيبوا لما فيها بما تيسر من الهبات.

يدور الطلبه بهذه (الرسالة المفتوحة) في الحي، وربما في الأحياء المجاورة، يقرأونها على الناس أو يبعثونها مع الركبان والمسافرين فتؤتي أكلها، إنها صيغة عتيقة من النداءات التي توجهها الدول الفقيرة اليوم لاستدرار هبات الدول الغنية، وتوجد من هذه الرسالة -النداء- نماذج كثيرة، فالمحاضر تتبارى في تحريرها كما تتبارى في قرض الشعر وتطرير المتون. وهذا نموذج ينسب تحريره إلى سيدي عبد الله بن محمد بن رازكة:

«الحمد لله الذي جعل وجود الجود، عصرة النابع والمنجود، وأنعش بذوي المآثر، كل جد عاثر، وفجر من أكفِّهم ينابيع الندى، فأغنت المُسنتين عن صوب الندى، والصلاة والسلام على محمد الذي قال وأصدق بمقاله: الناس كلهم عيال الله، وأحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله:



وبعد، فمن كل أروعَ شبوب، راكب من جياد الفهم كل سابق يعبوب.

سلام كعَرف المسك هبت به الصَّبا ** وكالروض فاحت بالعشي أزاهرُه

إلى من اقتنوا قنن المجد والعلاء، وعمروا دمن الكرم والسخاء، موجبه أن لا وِطاء لنا سوى الغبراء، ولا رواق سوى الخضراء، ولا كفاء سوى صرصر النكباء، أو صوب ديمة هطلاء. فتلقوا كتابنا بالبشاشة والطلاقة، والبذل لما بلغت وما لم تبلغه الطاقة، ظفرت بالخير أكفكم وبُلّت، ورحبت عليكم البلاد وطُلّت، ورزقكم الله عيشا تلين لكم مثانيه ومعاطفه، وتدنو لكم مجانيه ومقاطفه، لا زلتم بحور المؤملين، وبدور المتأملين، غائصين عيالم البحور الزاخرة، لدرر العلوم الفاخرة، ولا كانت ساحتكم بعد خصبها صاحة، ولا زالت روايا المزن تحسد من أحدكم الراحة، هذا ونحت معدون لِسَدِّ المفاقر، وتجديد آثار المآثر:

كلَّ بيضاءَ ذات دَلٍّ مليح ** تُخجل البدر بالجبين الصبيح

ولها فاحمٌ أثيث، وقدٌّ ** كدُجى الليل والقضيب المروح

ولها كلَّ نظرة وابتسام ** طرْفُ أحوى وضوءُ برق لموح

«ولْتعلموا أنّا كفلاء لمن أعطانا بآجل الثواب وعاجل الخلف. ولمن حرمنا بآجل العقاب وعاجل التلف، وانظروا إن شئتم مصداق ذلك في الوعيد الوارد في الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل».

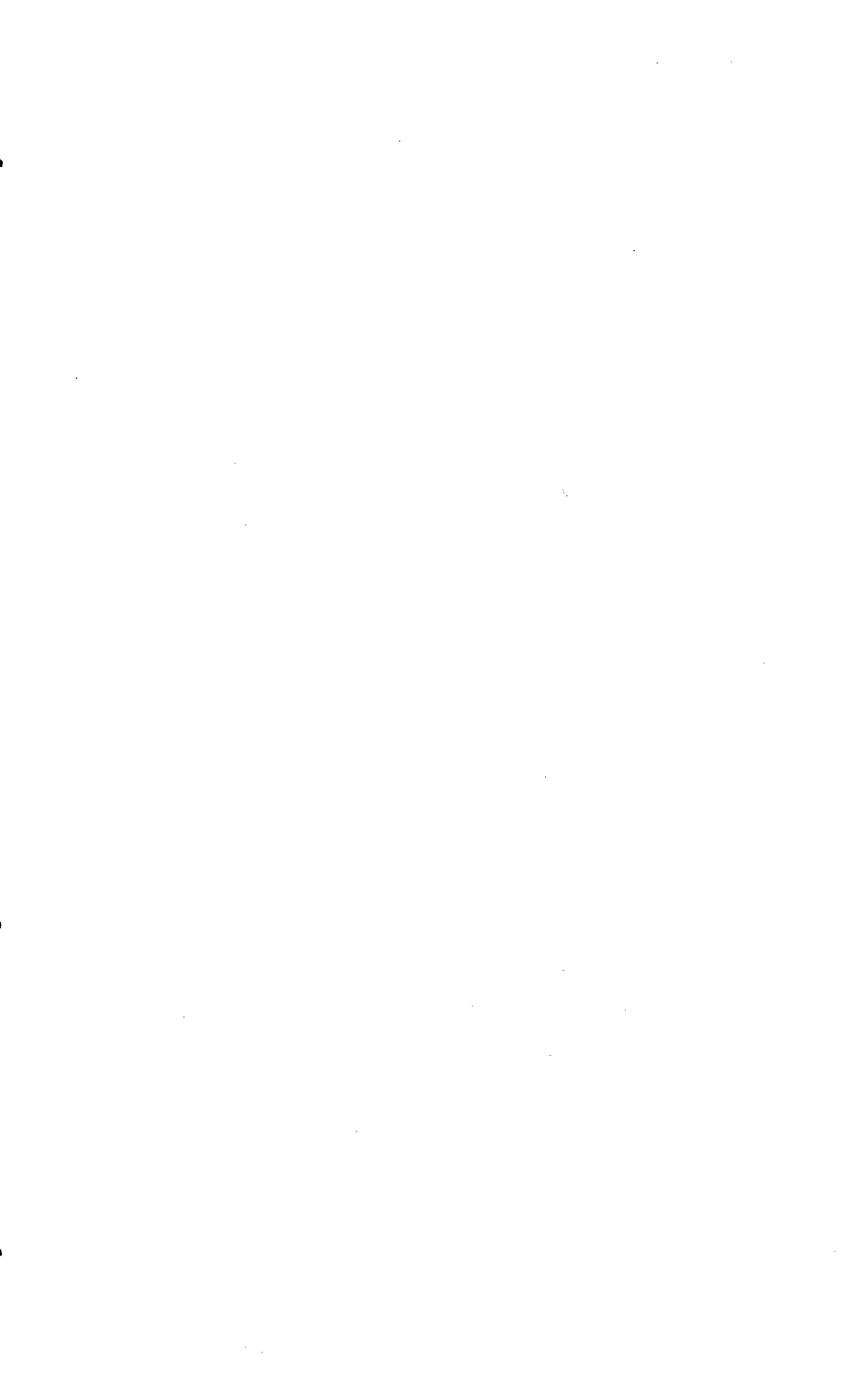


والمتعلمون أحق من أنفق عليهم مُهَج النفوس وسواد العيون، لولاهم ما عرف الهِجَانُ من الهجين، ولا فُرِّقَ بين اللُّجين واللَّجين، وبهم قامت السموات والأرض، وأنارت العرصات يوم الحساب والعرض.

من أمَّكم لرغبة فيكم ظفر ** ومن تكونوا ناصريه ينتصر
خير العطية ما كانت معجلة ** وأكرم الناس من يعطي على عجل
فما رجعت بخائبة رِكابٌ ** حكيم بن المسيَّب منتهاها (1)

1 - كتاب بلاد شنقيط – المنارة والرباط للخليل النحوي: 145-164 .





# الفصل الرابع

## الأنشطة الموازية: تنظيم المسابقات في الحفظ والتجويد بين الكتاتيب والمحاضر

في العقود الأخيرة وبفعل الاحتكاك والتأثر الإيجابي بالحياة الثقافية العصرية، أخذت الكتاتيب والمحاضر في الحواضر تشارك بصورة فعالة في معظم الأنشطة الوطنية، وتسجل حضورا واضحا على مستوى التلاميذ والطلبة في البداية، ثم على مستوى المؤسسات، الأمر الذي عمل على مد الجسور بينها وبين المجالات الثقافية في الساحة، وكثف من مشاركتها المتميزة، وخاصة في المناسبات الدينية والوطنية.

كما أن الإقبال الذي عرفته الكتاتيب والمحاضر في دراسة علم التجويد وتعاطي التلاميذ له قد خلق فرصا جديدة للاستفادة من عطاء الكتاب والمحضرة في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، بحيث تمكن هذا الجيل من التلاميذ من الوصول إلى قنوات البث المختلفة، كما تمكن من الإسهام الفعال في تطوير العلاقات بين المؤسسات التقليدية في التعليم العتيق وبين مثيلاتها على مستوى التعليم العصري، وأزال الحواجز الصلبة التي كانت قائمة بينهما في هذا المجال.

وهكذا أمكن تجنيد كثير من الطاقات المنحدرة من الكتاب والمدرسة القرآنية في إغناء الميدان بطائفة من المجودين الناشئين على المستوى الوطني.



كما أمكن أيضا التأثير على أئمة المساجد، فأخذوا ينافسون في الميدان، ويعملون على تحسين أدائهم، ويستفيدون من هذه العطاءات في تطبيق القواعد في تلاوتهم، وخاصة في تراويح رمضان، أو في جلسات المناسبات الشعبية، التي يتم فيها عادة التواصل بينهم وبين المتخرجين الجدد من هذه المؤسسات المحضرية والمدرسية.

وقد ساعد الشريط المسجل على وصول هذا التأثير إلى كل بيت، وازداد الحماس أيضا بين الأطفال والشباب حينما أخذت وسائل الإعلام الوطنية تفتح صدرها لبعض المتميزين من هذه الفئات الناشئة، وتنظم مسابقات جهوية ووطنية لذلك وتسجل مصاحف مرتلة.

كما أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ساعدت على المضي بعيدا في تشجيع هذا الصنيع، وتمثل ذلك على مستويات عديدة، وفي مجالات كثيرة، كانت فيها أسبق من غيرها، وأكثر فاعلية في قيادة هذا النشاط منذ سنوات كثيرة.

ولا يتسع المجال لتقويم عمل هذه الوزارة في تشجيع الكتاتيب ودعمها، وإعطائها الرخص لممارسة عملها، وتخصيص المنح الشهرية والسنوية لمساعدتها، وتنظيم المسابقات العديدة المحلية والمركزية، وتخصيص الجوائز القيمة للفائزين فيها، وترشيح المتميزين للمشاركة أيضا في المسابقات الدولية، وغير ذلك من مظاهر دعمها وتشجيعها (1)، ولإعطاء القارئ الكريم نظرة موجزة عن جانب من نشاطها هذا، أعرض عليه هذه البيانات الصادرة عن وزارة الأوقاف التي تسجل حضورها،

---

1 - ومن أهم إنجازات الوزارة: المسيرة القرآنية الرمضانية وإحداث قناة إذاعة محمد السادس.



وتجسّد حيوية دورها في السنوات الأخيرة في تشجيع الكتاتيب وروادها والمدارس القرآنية، والقيام بتنظيم عدد من المسابقات لفائدتها. وهذه طائفة من تلك البيانات نختم بها هذا العرض.



## كشف مختصر يجسد الدور الحيوي

## لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

في تشجيع الكتاتيب والمدارس القرآنية، ويشتمل على ما يلي:

1 ✓ نشرة عن التعليم العتيق ومؤسساته، ومنها الكتاتيب القرآنية.

✓ وفي ضمنها شروط الحصول على رخصة فتح كتاب جديد.

✓ وبيان القدر الإجمالي المالي السنوي لدعم الكتاتيب من الميزانيتين العامة والخاصة.

✓ وعدد الكتاتيب المرخصة حتى الآن من طرف نظارات الوزارة وتوزيعها.

2 ✓ جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية بفروعها الثلاثة، وفي كل فرع جائزة سنوية قيمة تنظم بمناسبة عيد العرش.

3 ✓ الظهير الملكي الشريف لإحداث الجائزة بفروعها الثلاثة.

4 ✓ بيانات عن الترشيح والاستمارة الخاصة به.

5 ✓ جائزة محمد السادس لحفظ وتجويد القرآن الكريم، تشرف المجالس العلمية المحلية على تنظيمها بتنسيق مع مندوبيات الوزارة، وتجرى الإقصائيات بجامع السنة سنويا بالرباط، ويقام لهذه الغاية مهرجان كبير ابتداء من منتصف شهر رمضان المعظم، وتخصص في آخرها ليلة للقرآن يكرم فيها الفائزون، وتجري فيها عروض عن الحياة المحضرية في الكتاتيب والمدارس القرآنية على المنصة في عين المكان، كما



تقدم تلاوات مختارة من القراءة المغربية الجماعية، وقراءات مجودة يدعى إليها من الفائزين في المسابقة وغيرهم من قراء المملكة توسيعا لمجال الفائدة وتشجيعا للنابغين، كما يتوج الحفل بتكويم قارئ من حفاظ القراءات ممن أبلى البلاء الحسن في الميدان، وتخرج على يده عدد من الأجيال في حفظ وتلاوة وتجويد القرآن.

وتقد م مكافآت تقديرية وتشجيعية مالية لجميع المترشحين الذين شاركوا في مباراة الحفظ والتجويد بفرعيه المغربي والمشرقي (الطريقة المغربية والطريقة المشرقية).





المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مديرية الدراسات والشؤون العامة

قسم تكوين الأطر الدينية والشؤون الاجتماعية

## التعليم الأولي العتيق

التعليم الأولي العتيق هو ما يلقن للأطفال بالكتاتيب والمدارس القرآنية من طرف المدرر الحافظ لكتاب الله العزيز.

والكتاتيب القرآنية والمدارس العتيقة بصفة عامة هي مؤسسات شعبية أصيلة متجذرة في التاريخ المغربي، حافظت منذ ظهورها على اللغة العربية وأدبها والعلوم الشرعية وخصائصها، وقد كان إحداث الكتاتيب القرآنية وبناء المدارس وتمويلها مثار تنافس بين القبائل المغربية، بحيث لن تجد قبيلة بدون مدرسة أو كتاب قرآني، بل إن بعض القبائل لها أكثر من مدرسة عتيقة تسعى إلى بنائها والسهر على رعايتها وتمويلها بثلث أعشارها، وتتولى تزويدها بالتناوب بالطعام لفائدة الطلبة، كما تقدم لفقيه المدرسة أو معلم الكتاب القرآني نفقته الشهرية وأجرته السنوية، وتشرف بالإضافة إلى ذلك على رعاية بنايتها وصيانة مرافقها وتعهدها بالمراقبة والتوسعة.

وتبرز الغايات والأهداف من إحداث هذا النوع من المؤسسات التعليمية والعناية بها ورعايتها ماديا ومعنويا، في تحفيظ كتاب الله العزيز وتفقيه طلبة العلم في أمور دينهم وتلقينهم مختلف العلوم اللغوية والشرعية باعتبارها إحدى دعائم المعرفة لما تشتمل عليه من فوائد علمية نافعة.

ويمكن تصنيف مؤسسات التعليم الأولى العتيق إلى صنفين: مدارس قرآنية وكتاتيب قرآنية.

**أولا: المدارس القرآنية**

تهتم المدارس القرآنية بالدرجة الأولى بتحفيظ كتاب الله العزيز كاملا وإتقان رسمه وضبطه، مع الإلمام بقواعد اللغة العربية اعتمادا على بعض المؤلفات والشروح في الموضوع، كمتن الأجرومية بشرح الأزهري ونظم ابن مالك بشرح ابن عقيل وغيره، إضافة إلى تدريس مادتي العقيدة والفقه اعتمادا على نظم المرشد المعين لابن عاشر بشرح ميارة الصغير ورسالة ابن أبي زيد القرواني بشرح أبي الحسن.

ويلج هذا النوع من المدارس الأطفال الذين يتجاوز عمرهم السنة الرابعة فما فوق حيث يتم في البداية تعليمهم القراءة والكتابة بواسطة الألواح الخشبية على الطريقة الأصلية، يشرعون على إثرها في حفظ كتاب الله العزيز، وذلك بكتابة السور القصيرة على الألواح، وحفظها خلال النهار ومحوها في صباح اليوم الموالي لكتابة وحفظ غيرها، ويكون البدء بسورة الفاتحة فسورة الناس فسورة الفلق فسورة الإخلاص... وهكذا إلى سورة البقرة، بعدها يقوم الطالب بكتابة ثمن أو ربع حزب من القرآن الكريم

حسب مقدرته على الحفظ والإستيعاب، ويكون البدء بسورة الفاتحة فسورة البقرة فسورة آل عمران فسورة النساء... إلى سورة الناس.

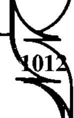
وبعد استخراج أربع أو خمس سلك يكون الطالب في الغالب قد استظهر كتاب الله العزيز وحفظه عن ظهر قلب رسما وضبطا، وقد تستغرق مدة الحفظ ما بين ست أو ثمان سنوات حسب اجتهاد الطالب ومستوى ذكائه.

بعدها يتفرغ لدراسة علوم اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وعروض وأدب وبلاغة وغيرها، إضافة إلى دراسة العلوم الشرعية من حديث وتفسير وفقه وأصول وعقيدة وغيرها.

**ثانيا: الكتاتيب القرآنيـــة:**

إن مرحلة الكتاب هي مرحلة يتعلم فيها التلميذ حفظ القرآن الكريم بإشراف الفقيه «المدرر»، ابتداء من تعليم القراءة والكتابة، والتدريب على كتابة السور القصيرة في لوح من الخشب بقلم من القصب، تمحى كلما حفظ التلميذ درسا ليكتب فيه درسا جديدا، ويجلس الأطفال بالكتاب على حصر مفروشة على ألواح خشبية، ويجلس المعلم أمامهم لمراقبتهم.

ويحفظ التلميذ على هذا النحو أجزاء من القرآن الكريم إلى أن يتم حفظه، ويتعلم أثناء الدراسة شيئا من الرسم القرآني، وتستغرق القراءة بالكتاب النهار كله إلى غروب الشمس، وجرت العادة بتمتيع الأطفال بعطلة يوم الخميس وصباح الجمعة وأيام الأعياد .



ورغم انتشار المدارس والمؤسسات التعليمية العتيقة والحديثة في البادية والحاضرة، فإن الكتاتيب القرآنية لا زالت تؤدي دورها في إطار التعليم الأولي، الذي يعنى بتربية ناشئتنا التربية الصالحة المبنية على الأخلاق الفاضلة والتعاليم الإسلامية، حيث إن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية انطلاقا من الدور المنوط بها والمتعلق بالإشراف على تسيير الكتاتيب القرانية وتطويرها لتعليم الأطفال المبادئ الأولية للقراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم، وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وحرصاً منها على استمرار هذا النوع من التعليم الأصيل وانتشاره فإنها ترخص لكل من يرغب من حفظة كتاب الله في فتح كتاب قراني، سواء بالبادية أو المدينة وفق شروط وهي:

- ✓ أن يكون حاصلا على شهادة حفظ القرآن الكريم.
- ✓ صلاحية المحل المعد لذلك بشهادة مسلمة من لدن المصالح الصحية المختصة بالإقليم.

وتمنح هذه الوزارة سنويا عددا كبيرا من رخص فتح الكتاتيب القرآنية، كما أنها تحتضن مجموعة مهمة منها، حيث تخصص مكافآت لبعض المدررين تصل في مجموعها إلى: 543303,84 درهما، كما يستفيد مئات المدررين من محلات حبسية لاستعمالها كتاتيب قرآنية.



**المملكة المغربية**
**وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**
مديرية الدراسات والشؤون العامة
قسم تكوين الأطر الدينية والشؤون الاجتماعية

# الكتاتيب القرآنية

الكتاب القرآني هو ذلك الفضاء الذي يلقن فيه الأطفال القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة من طرف مدرر حافظ لكتاب الله العزيز.

والكتاتيب القرآنية والمدارس العتيقة بصفة عامة هي مؤسسات شعبية أصيلة متجذرة في التاريخ المغربي، حافظت منذ ظهورها على اللغة العربية وآدبها والعلوم الشرعية وخصائصها، وقد كان إحداث الكتاتيب القرآنية وبناء المدارس وتمويلها مثار تنافس بين القبائل المغربية، بحيث لن تجد قبيلة بدون مدرسة أو كتاب قرآني.

ويلج هذا النوع من التعليم الأطفال الذين يجاوز عمرهم السنة الرابعة فما فوق حيث يتم في البداية تعليمهم القراءة والكتابة بواسطة الألواح الخشبية على الطريقة الأصيلة، يشرعون على إثرها في حفظ كتاب الله العزيز وذلك بكتابة السور القصيرة على الألواح وحفظها خلال النهار



ومحوها في صباح اليوم الموالي لكتابة وحفظ غيرها، وبعد استخراج أربع أو خمس سلك يكون الطالب في الغالب قد استظهر كتاب الله العزيز وحفظه عن ظهر قلب رسما وضبطا، وقد تستغرق مدة الحفظ ما بين ست أو ثمان سنوات حسب اجتهاد الطالب ومستوى ذكائع.

وقد خص جلالة المغفور له الملك الحسن الثاني طيب الله ثراه الكتاتيب القرآنية بفائق عنايته ورعايته، حيث أصدر رحمه الله أوامره السامية لتعميم الكتاتيب القرآنية على المدن والقرى المغربية حتى تحافظ بلادنا على تلقين القران الكريم للأجيال الصاعدة بالطريقة المغربية الأصيلة.

وحرصا من الوزارة على الإستمرار في هذا النهج القويم وانتشار هذا النوع من التعليم الأصيل، فإنها ترخص لكل من يرغب من حفظة كتاب الله في فتح كتاب قراني سواء بالبادية أو المدينة وفق شروط وهي:

- ✓ أن يكون حاصلا على شهادة حفظ القرآن الكريم.
- ✓ صلاحية المحل المعد لذلك بشهادة مسلمة من لدن المصالح الصحية المختصة بالإقليم.

وتمنح هذه الوزارة سنويا عددا كبيرا من رخص فتح الكتاتيب القرآنية، كما أنها تحتضن البعض منها، حيث تخصص مكفآت لبعض المدررين، كما يستفيد مئات المدررين مجانا من محلات حبسية لاستعمالها كتاتيب قرآنية.

**عدد الكتاتيب القرآنية:**

وقد بلغ عدد الكتاتيب القرآنية المحصية من طرف نظارات الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة إلى حد الآن حوالي: 16400 كتابا قرآنيا.

**جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية:**

واتباعا لنهج والده المنعم في تشجيع الكتاتيب القرآنية للقيام بدورها في تعليم الأطفال وتطوير أساليب التلقين والتدريس فيها مع المحافظة في نفس الوقت على خصوصياتها، أصدر أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس نصره الله ظهيرا شريفا تحت عدد: 1.02.204 بتاريخ 23 يوليوز 2002 بإحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية تتضمن.

- ✓ جائزة محمد السادس على التسيير.
- ✓ جائزة محمد السادس على التلقين.
- ✓ جائزة محمد السادس على المردودية.
- ✓ وقد تفضل صاحب الجلالة أعزه الله منذ تاريخ إحداث هذه

الجائزة بتسليمها للفائزين بها من المشرفين على الكتاتيب القرآنية، وذلك بمناسبة عيد العرش المجيد من كل سنة.

**جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية:**

وتشجيعا للكتاتيب القرآنية في القيام بدورها في تعليم الأطفال وتطوير أساليب التلقين والتدريس فيها من المحافظة في نفس الوقت على خصوصياتها، قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية باستصدار ظهير شريف رقم: 1.02.204 بتاريخ: 23 يوليوز بأحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية تتضمن:

- ✓ جائزة محمد السادس على التسيير.
- ✓ جائزة محمد السادس على التلقين.
- ✓ جائزة محمد السادس على المردودية.

**عدد الكتاتيب القرآنيـــة**

وقد بلغ عدد الكتاتيب القرآنية المحصية من طرف نظارات الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة حوالي: 16400 كتابا قرآنيا وذلك حسب البيان التالي:

| النظارة | عدد الكتاتيب للأوقاف | عدد الكتاتيب غير التابعة | المجمـــــوع | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| الحسيمة | 168 | 118 | 286 | |
| العيون | 10 | 97 | 107 | |
| البيضاء– آنفا | 0 | 32 | 32 | |

| القنيطرة | 0 | 940 | 940 | |
|---|---|---|---|---|
| درب السلطان الفداء | 66 | 38 | 104 | |
| بولمان | 0 | 56 | 56 | |
| الحرم الإدريسي | 0 | 0 | 0 | |
| عين الشق -ح - الحسني | 6 | 129 | 135 | |
| طنجة | 34 | 286 | 320 | |
| عين السبع -ح- المحمدي | 26 | 8 | 34 | |
| خريبكة | 32 | 78 | 110 | |
| تاونات | 243 | 105 | 348 | |
| زاكورة | 186 | 2 | 188 | |
| فاس الجديدة | 20 | 13 | 33 | |
| تازة | 44 | 804 | 848 | |
| أكادير | 10 | 22 | 32 | |
| بني ملال | 66 | 731 | 797 | |
| إفران | 5 | 4 | 09 | |
| العرائش | 6 | 33 | 39 | |
| صفرو | 4 | 98 | 102 | |
| الصويرة | 16 | 26 | 42 | |
| الجديدة | 9 | 60 | 69 | |
| تطوان | 0 | 647 | 647 | |
| وجدة | 5 | 116 | 121 | |
| المحمدية | 9 | 215 | 224 | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| تارودانت | 140 | 107 | 247 | |
| مراكش | . | 235 | 603 | |
| زواغة | 08 | 191 | 199 | |
| سلا | 23 | 494 | 517 | |
| سطات | 2 | 660 | 660 | |
| القلعة السراغنة | 15 | 903 | 903 | |
| القرويين والمارستان | 103 | 94 | 197 | |
| آسفي | 05 | 151 | 156 | |
| تزنيت | 131 | 1898 | 2029 | |
| شفشاون | 638 | 369 | 1007 | |
| ورزازات | 229 | 201 | 430 | |
| الرشيدية | 295 | 246 | 541 | |
| الناظور | 37 | 210 | 247 | |
| ابن مسيك | 7 | 144 | 151 | |
| زرهون | 0 | 44 | 44 | |
| القصر الكبير | 09 | 359 | 368 | |
| مكناس | 19 | 663 | 682 | |
| الخميسات | 2 | 172 | 174 | |
| خنيفرة | 18 | 188 | 206 | |
| وزان | 496 | 539 | 1035 | |
| الرباط | 32 | 274 | 306 | |
| المجموع: | **3600** | **12800** | **16400** | |





**المملكة المغربية**

**وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**

مديرية التعليم العتيقة

# الكتاتيب القرآنية المحتضنة
# من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
# إلى غاية سنة 2004

| | |
|---|---|
| عدد الكتاتيب القرآنية التي تستفيد من | |
| مكافأة الأوقاف ---------------------- | ------ 93 |
| عدد المدررين بهذه الكتاتيب القرآنية -- | ------- 102 |
| من الميزانية العامة ------------- | ------- 30 |
| من الميزانية الخاصة ------------- | ------- 72 |
| ما يصرف على هذه الكتاتيب سنويا --- | ------- 574.980,00 |
| من الميزانية العامة ------------- | ------- 176.400,00 |
| من الميزانية الخاصة ------------- | ------- 398.580,00 |



# نسخة من الظهير الملكي الشريف
# لإحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية



## نصوص عامة

ظهير شريف رقم 1.02.204 صادر في 12 من جمادي الأولى 1423 (23 يوليو 2002) بإحداث جائزة محمد الخامس للكتاتيب القرآنية.

الحمد لله وحده،

الطابع الشريف – بداخله

(محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف الله وليه)

يعلم من ظهيرنا الشريف هذا، أسماه الله وأعز أمره أننا:

بناء على الدستور ولا سيما الفصل 19 منه،

ووعيا بدور الكتاتيب القرانية في تكوين الناشئة المسلمة، وتثبيت القيم الإسلامية لديها، وتربيتها التربية الإسلامية الصحيحة المتسمة بالإستقامة والصلاح والإعتدال والتسامح؛

وسعيا لتشجيع الكتاتيب القرآنية وتحفيزها على تطوير أدائها، مع المحافظة في نفس الوقت على خصوصياتها باعتبارها من مؤسسات التعليم العتيق،

أصدرنا أمرنا الشريف بما يلي:

### الباب الأول

### مقتضيات عامة

### المادة الأولى

تحدث جائزة تحت إسم «جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية».

### المادة الثانية

تشتمل جائزة محمد السادس للكتاتيب القرانية على الأصناف التالية:

- ✓ جائزة محمد السادس على منهجية التلقين.
- ✓ جائزة محمد السادس على التسيير
- ✓ جائزة محمد السادس على المردودية

### المادة الثالثة

يمكن أن تمنح كل جائزة من الجوائز المنصوص عليها في المادة الثانية أعلاه سنويا لشخص واحد أو عدة أشخاص معنويين أو طبيعيين تتوفر فيهم الشروط الواردة.



## الباب الثاني

## نظام الجائزة

### المادة الرابع

تمنح جائزة محمد السادس على منهجية التلقين لمكافأة الأشخاص الذين أبدعوا مناهج وأدوات ووسائل تربوية جديدة وفاعلة في تلقين كتاب الله العزيز بالكتاتيب القرآنية. وتعتبر المناهج والوسائل والأدوات التربوية جديدة وفاعلة في مفهوم هذا الظهير إذا كانت مبتكرة، وأدت إلى تحسين قدرة الأطفال على حفظ القرآن الكريم.

### المادة الخامسة

تمنح جائزة محمد السادس على حسن التسيير لمكافأة الأشخاص الذين طبقوا نظما وأساليب تمكن من تطوير إدارة الكتاتيب القرآنية والمحافظة في نفس الوقت على خصوصياتها باعبتارها مؤسسات للتعليم العتيق.

### المادة السادسة

تمنح جائزة محمد السادس على المردودية لمكافأة الكتاتيب القرآنية التي تثبت قيامها بتلقين القرآن الكريم لأكبر عدد من الأطفال في وقت قياسي، وتثبيت القيم الإسلامية وتنمية الوعي الديني لديهم، وخلق بيئة إسلامية نموذجية داخل الكتاب القرآني.

### المادة السابعة

تمنح الجائزة من طرف لجنة للتحكيم تعينها السلطة الحكومية المكلفة بالأوقاف والشؤون الإسلامية كل سنة، ويراعى في تعيين أعضاء هذه اللجنة، حفظ القران الكريم، والإلمام التام بالدراسات القرآنية وأساليب التدريس.

ولا يجوز لأي عضو من أعضائها الحصول على هذه الجائزة.

### المادة الثامنة

تتكون لجنة التحكيم من اثنى عشر عضوا، وتتفرع إلى ثلاث لجن حسب أصناف الجائزة على أن لا يقل عدد أعضاء كل لجنة عن ثلاثة أعضاء

### المادة التاسعة

تنتخب اللجن الفرعية رئيسا ومقررا من بين أعضائها.

### المادة العاشرة

تضع لجنة التحكيم نظامها الداخلي والجدول الزمني لأشغالها في أول اجتماعاتها وتحدد الأسس ومعايير انتقاء الفائزين.

### المادة الحادية عشرة

تجتمع لجنة التحكيم بكيفية سرية بحضور ثلثي أعضائها على الأقل لتحديد الفائزين، وتتخذ قراراتها بالإتفاق وإلا عن طريق التصويت السري وبأغلبية الأصوات، وفي حالة تعادل الأصوات يرجح جانب الرئيس.



## الباب الثالث

## قيمة الجائزة

### المادة الثانية عشرة

يمنح الفائزون في الأصناف الثلاثة لجائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية المنصوص عليها في المادة الثانية أعلاه مبلغا ماليا قدره خمسون ألف (50.000 درهم) لكل واحد منهم.

## الباب الرابع

## شروط نيل الجائزة

### المادة الثالثة عشرة

يشترط لنيل جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية ما يلي:

أن يكون المرشح مغربيا مسلما؛

أن يشارك في صنف واحد من الأصناف الثلاثة للجائزة؛

أن يقدم ترشيحه بصفة انفرادية.

### المادة الرابعة عشرة

توجه الترشيحات إلى السلطة الحكومية المكلفة بالأوقاف والشؤون الإسلامية ويتضمن ملف الترشيح الوثائق التالية:

✓ نسخة من بطاقة التعريف الوطنية.

✓ نسخة من عقد الإزدياد بالنسبة لصغار السن.

✓ مذكرة توضيحية مطبوعة مع اثنتي عشرة نسخة منها، لا تتجاوز خمسة عشر صفحة، تتضمن ماهية عمل المرشح، وكيفية تنفيذه، وأثره في تطوير أداء الكتاب القرآني؛

✓ سيرة ذاتية عن المرشح.

## الباب الخامس

## مقتضيات مختلفة

### المادة الخامسة عشرة

تفتتح لائحة الترشيحات لمدة ثلاثة أشهر تبتدئ من تاريخ الإعلان عن الجائزة

المادة السادسة عشرة

تسلم جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية بمناسبة عيد العرش.

### المادة الثامنة عشرة

ينشر ظهيرنا الشريف هذا في الجريدة الرسمية

**وحرر بطنجة في 12 من جمادي الأولى 1423**

**(23 يوليو 2002 )**



**المملكة المغربية**

**وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**

# إعلان بخصوص
# جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية

سعيا إلى تشجيع الكتاتيب القرآنية وتحفيزها على تطوير أدائها والمحافظة على خصوصيات مؤسسات التعليم العتيق، تعلن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية عن منح جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية بمناسبة عيد العرش المجيد (30 يوليوز 2004)، وذلك في الأصناف التالية:

- جائزة محمد السادس على منهجية التلقين.
- جائزة محمد السادس على التسيير.
- جائزة محمد السادس على المردودية.

تسحب ملفات الترشيح من نظارات الأوقاف والشؤون الإسلامية، وتبعث إليها بعد تعبئتها من طرف المرشحين، ابتداء من تاريخ نشر هذا الإعلان إلى غاية يوم 20 مارس 2004 مصحوبة بالوثائق التالية:

- نسخة من بطاقة التعريف الوطنية.
- نسخة من عقد الإزدياد بالنسبة لصغار السن.
- سيرة ذاتية عن المرشح.

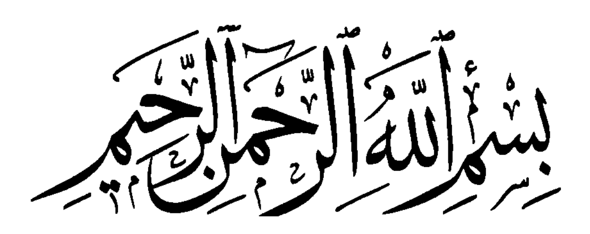


✓ مذكرة توضيحية مطبوعة مع اثنتي عشرة نسخة منها، لا

تتجاوز خمس عشرة صفحة، تتضمن ماهية عمل المرشح وكيفية تنفيذه، وأثره في تطوير الكتاب القرآني.

ويشترط في المرشح لنيل الجائزة في أصنافها الثلاثة ألا يكون قد سبق له أن تقدم إلى المسابقة في السنة الماضية.

للمزيد من المعلومات يرجى الإتصال بنظارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الأقرب إلى الكتاب القرآني.




**المملكة المغربية**

**وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**

## جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية

## لعام 1425 هـ - 2004 م

## استمارة تملأ من قبل المرشح

الإسم الشخصي:........................................................................................................

الإسم العائلي: .........................................................................................................

تاريخ الميلاد :........................................................................................................

رقم البطاقة الوطنية:.................................................................................................

المهنة الأساسية:......................................................................................................

مهن أخرى: ...........................................................................................................

اسم الكتاب:...........................................................................................................

مكانه:...................................................................................................................

مساحته:................................................................................................................

مرافقه:.................................................................................................................

هل يقوم المعلم نفسه بالتعليم؟..................................................................................

هل له نائب عنه في التعليم؟.................................................................................

متى شرع الكتاب في العمل؟.................................................................................

من المسير للكتاب؟.................................................................................

هل له مساعد؟.................................................................................

هل له مشرف؟ ............... فرد ..................... جماعة.................. جهة أخرى.................

هل له رخصة؟.................................................................................

تاريخها:.................................................................................

هل سبق أن توقف المعلم عن تعليم القرآن؟.................................................................................

إذا كان التوقف قد حصل فما سببه؟ .................................................................................

.................................................................................

.................................................................................

.................................................................................

.................................................................................

المعلم يحفظ القرآن كاملا ويرسمه ويضبطه ويؤديه وفق رواية ورش؟

.................................................................................

.................................................................................

.................................................................................

.................................................................................

مؤهلات علمية أخرى يتوفر عليها المعلم:

.................................................................................

.................................................................................

.................................................................................



..........................................................................................................................

طريقته في تلقين القرآن:

يستعمل الألواح؟..........................................................................................

يملى الشيخ من حفظه؟ ....................................................................................

هل يكتب التلاميذ وفق الرسم العثماني؟..............................................................

يصحح الشيخ الألواح؟ ....................................................................................

يتابع الشيخ بعد تصحيح اللوح التلاوة مع الطالب؟...................................................

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................

كيف يراجع الشيخ ما حفظه طلبته؟

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................

هل يعتمد الشيخ في عملية التعليم وسائل جديدة وفاعلة في تلقين كتاب الله العزيز بالكتاب القرآني؟

ماهي؟ ..................................................................................................................

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................

دور الشيخ في التربية الإسلامية للمتعلمين: ...........................................................

..........................................................................................................................

..........................................................................................................................



..........................................................................................................................................

هل يعتمد الشيخ نظما وأساليب تمكن من تطوير إدارة الكتاب القرآني؟

........................................ مـــــــــــــــاهـي؟..............................................................

..........................................................................................................................................

..........................................................................................................................................

..........................................................................................................................................

كم عدد الأطفال في الكتاب؟ ....................................................................................

..........................................................................................................................................

..........................................................................................................................................

..........................................................................................................................................

المتفرغون:................................................................................................................

غير المتفرغين: .........................................................................................................

الداخليون: ...............................................................................................................

الخارجيون:................................................................................................................

هل حفظ بعض الطلبة القرآن كله في الكتاب؟ ...............................................................

كم عددهم؟ ...............................................................................................................

ماهي المدة الزمنية التي تم فيها حفظ كل واحد منهم؟.........................................................

إذا لم يكن قد حفظ بعضهم القرآن كله فما عدد عدد الذين يحفظون أحزابا منه؟

(يبين محفوظ كل طالب)

هل سبق لبعض طلبتكم أن شاركوا في مسابقات قرآنية؟

ما هي الجوائز المحصل عليها؟

..........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

ما هو فرع الجائزة الذي سيشارك فيه المرشح؟

- ✓ جائزة محمد السادس على منهجية التلقين.
- ✓ جائزة محمد السادس على التسيير.
- ✓ جائزة محمد السادس على المردودية.

معلومات أخرى لم تذكر في السيرة الذاتية:

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................

.........................................................................................................................................



للمزيد من المعلومات الاتصال:
بالكتابة الخاصة لرئاسة لجنة جائزة
محمد السادس للكتاتيب القرآنية.
الهاتف: 037-76-56-51
الفاكس: 037-76-55-58
العنوان: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- المشور السعيد- الرباط

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

# اللجنة التحكيمية لجائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية

| الإسم | الصفة | العنوان | الهاتف |
| --- | --- | --- | --- |
| ذ. محمد بالوالي | أستاذ جامعي متخصص في القراءات | | 061-26-17-28 |
| ذ. محمد جميل مبارك | أستاذ جامعي | | |
| ذ. عبد الهادي حميتو | أستاذ متخصص في القراءات | تجزئة سعيدة 2 مجموعة 68 رقم 19 أسفي | 024-62-88-69 |
| ذ. محمد التمسماني | عضو المجلس العلمي<br>أستاذ بكلية أصول الدين<br>مشرف على مدرسة قرآنية بطنجة | | |
| ذ. التهامي الراجي<br>ذ. عبد العزيز العيادي | أستاذ جامعي<br>أستاذ جامعي متعاقد | زنقة 14 رقم 9 حي البوغاز طنجة | 068-64-82-42 |
| ذ. محمد أمكور | مدرس بمدرسة أزرو العتيقة | بسايس | 067-39-70-63 |



| | | | |
|---|---|---|---|
| ذ. عبد الله بن الطاهر | مدرس بمدرسة الإمام البخاري بأكادير | مسجد الإمام البخاري بوركان أكادير | 066-33-44-47 |
| ذ. ابراهيم الوافي | أستاذ حاصل على دكتوراه الدولة في التفسير | بلوك 3 رقم 176 زنقة ميمون الرموكي آيت ملول أكادير | 048-24-42-32 |
| ذ. محمد صفا (*) | إمام مسجد التجمعتي بفاس | | |
| ذ. أحمد البوشيخي (*) | خطيب مسجد الكتبية بمراكش | | |
| ذ. عبد القادر كركيش (*) | إمام مسجد محمد الخامس بتطوان | | |

(*) السادة أعضاء اللجنة الجدد المقترحون الذين عوضوا السادة: محمد السوسي – عبد العزيز – محمد حمدان





المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الكتابة العامة

مديرية التعليم العتيق

# جدول أعمـــــال

## الاجتماع الثالث للجنة جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية

**الثلاثاء 5 يوليوز 2005**

**الساعة الثانية والنصف بعد الزوال**

✓ كلمة السيد الوزير؛

✓ الإستماع إلى تقارير السادة رؤساء اللجان الثلاث للجائزة؛

✓ تحديد الفائزين بالجائزة لهذه السنة في فروعها الثلاثة:

(منهجية التلقين – التسيير – المردودية).



المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مديرية الشؤون الإسلامية

قسم التوجيه الديني

مصلحة تنظيم ومتابعة نشاط المجالس العلمية

# مباراة نيل جائزة
# محمد السادس في حفظ وتجويد القرآن

لعام 2002/1423

**فرع الحفظ الكامل مع الترتيل:**

## بطاقة التنقيط

| إســـم المشارك | الحفظ | الترتيل | المجموع | الرتبة |
|---|---|---|---|---|
| | | | | |

| ملاحظـــات | إسم عضو لجنة التحكيم | الإمضاء |
|---|---|---|
| | | الرباط في: |

المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

مديرية الشؤون الإسلامية

قسم التوجيه الديني

مصلحة تنظيم ومتابعة نشاط المجالس العلمية

# المباراة الوطنية لنيل جائزة محمد السادس
# في حفظ وتجويد القرآن

لعام 2000/1421

**فرع التجويد على الطريقة الشرقية:**

**بطاقة التنقيط**

| اسم المشارك | الحفظ | التجويد | الصوت | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| | | | | |

| ملاحظات: | اسم عضو لجنة التحكيم | الإمضاء<br>الرباط في يوم |
|---|---|---|
| ............<br>............<br>............ | | |





المملكة المغربية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الكتابة العامة

مديرية الشؤون الإسلامية

قسم التوجيه الديني

مصلحة تنظيم ومتابعة نشاط المجالس العلمية

| المجلس العلمي | اسم الطفل الحافظ | تاريخ الإزدياد | ملاحظات |
|---|---|---|---|
| الرباط | عبد الكريم المشروحي | 1990 | |
| القنيطرة | يوسف أمطاش | 1993 | |
| الدار البيضاء | حسن الشمسي | 1992 | |
| سطات | الإسماعيلي الزهراوي | 1991 | |
| طنجة | عثمان أمارير | 1991 | |
| الحسيمة | هشام حمدوني | 1991 | |
| الناظور | محمد العثماني | 1991 | |
| مراكش | محمد بن عمر شوران | 1995 | |
| تزنيت | عبد العزيز بوقسيم | 1991 | |
| بني ملال | اسماعيل الزهراوي | 1991 | |

المملكة المغربية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
مديرية الشؤون الإسلامية
قسم التوجيه الديني

## خطة موحدة لعمل أعضاء لجنة التحكيم في المباراة بتنسيق مع القسم

1 – الالتزام بإعطاء كل ذي حق حقه اعتمادا على ما تستحقه تلاوته من التنقيط.

2 – توفير الجو النفسي المناسب لاختبار المتسابقين.

3 – كل عضو يضع للمتسابق درجة دون اطلاع العضو المشارك في الإختبار على ذلك حتى يكون أكثر استقلالا في إعطاء الدرجة المناسبة.

4 – تقدر النقط في فرع الحفظ والترتيب على 20:14 للحفظ و6 للترتيل على أن يختبر كل مشارك في ستة مواضيع كل موضع في 10 أحزاب.

5 – بالنسبة لفرع التجويد يطرح على كل قارئ سؤال اختياري يجود فيه الطالب أي موضع يختاره من خمسة أحزاب يحددها وسؤالان إجباريان من الأحزاب نفسها، (وتكون مدة الإختبار نحو 8 د)، والدرجة تقدر على 20: للحفظ 6، للتجويد 8 وللصوت 6.

6 – مما يراعى في الحكم على التلاوة:



### أ- الحفظ والترتيل:

1 – المحافظة في التلاوة على الصوت العربي.

2 – المحافظة على رواية ورش من طريق الأزرق.

3 – تجنب الوقف الذي يفسد المعنى

4 – التمهل والتؤدة من غير غلو.

5 – الإسترسال بيسر وسهولة.

6 – للطالب أن يقرأ بالحدر أو التدوير أو أية مرتبة من المراتب المعروفة.

### ب- الحفظ والتجويد:

1 – المحافظة في التلاءة على الصوت العربي.

2 – المحافظة على رواية ورش من طريق الأزرق.

3 – تجنب الوقف الذي يفسد المعنى.

4 – المحافظة على مخارج الحروف وصفاتها من دون تكلف يخرج التلاوة عن اللغة التي نزل بها القرآن.

5 – صفاء الصوت ووضوحه وما فيه من زخارف صوتية تسمح بها طبيعة القارئ من غير تعسف.

---

1 – ومن أهم إنجازات الوزارة: المسيرة القرآنية الرمضانية وإحداث قناة إذاعة محمد السادس.



**قصيدة في تكريم المؤلف بمناسبة توزيع الولاية لجوائز الفائزين في مسابقة في تجويد القرآن الكريم بمدينة آسفي بمقر الولاية بتاريخ 26 رمضان 1419 هـ الموافق 14 يناير 1999 م**

# شكـــــر وتحيـــــة

أمـــل بـــاســـم ويـــوم بـــهـــي ** رف منه الندى وفـــاح النديّ

التـــهـــاني حـــوافل والأمـــاني ** مسـعفات والجمع جمع حفي

والروابي روافل وقـــلاع المجـــد تزهو والأخـــضـــر الأطلسي

هللي يا بطاح عـــبـدة بالبـــهـــجـــة ها قـــد دنا اللقـــاء الرضيّ

أنتم الأنس ليس يَبـــرحُ حـــتى ** يلتقي بالصباح فيه العشي

هذه آسفي الأصالة والعصـــــرُ جـميعا والمحتد اليعْرُبي

الحـصـون التي تراهنّ والأســـــوار فـيـهن من «مَـرِينَ» دَويُّ

والقلاع الشِداد في منتهى الطـــــرف على هامها الغمام الرَّخِي

ماثلات من عهد عقبةَ أو من ** عقد يعقوب والهتافُ العلي

يتناغى الله أكـــبـــر حـــتى ** يملأ الأفق ســـرها الأبدي

واشـــرأبت مـــاذن وتناجى ** بالمثـــاني من كل أفق نجي

في ثرى آسفي عبادلة الفر ** قـان، فـيـهـا ابن ثابت وأُبَيّ

والرواة الوُعـاة ورش وقـالو ** ن وشـــيخ المشـــايخ المدني



وبهـا عـاصم وحـمـزة والمكي وابن العـلاء واليَـحْـصُـبِي
والـكـسـائـي كلٌّ بـدر لـه نجم، ولـلـنـجـم تـابـع وتَـلـيّ
الجُـثـومُ الجُـثـيِّ في غـسق الليل على اللوح والسـجـود البُكِي
كل فـحـل تراه فـي كل فـنٍّ ** وهـو فـيـه المبـرز اللوذعي
قِـمَمٌ قـد ولعن بالسـبع فـيـهن يشب الفـتى ويربو الصـبي
أشرقت بالبدور منها المغاني ** والتـقى الشـاطبي والماجـري
تلكمُ أنجم الهـداية لا مـا ** يدَّعي للنجـوم فـيـه الرقيِّ
المضـيـئـات في الدياجي المنيـرات إذا أشكل الصـراط السـوي
وبها يحـمـد السُّرى كل سـار ** في سناها، وهو البـهـيج البـهي
قمم من مـشـارف العز أفراد ** إذا زاحـم الـكـفـيَّ الـكـفـيُّ
سـادة فَـوَّقـوا سـهـام المعـالي ** للأمـاني فَـلان منهـا العَـصي
وأجـالوا المطيَّ في كل أرض ** تعبت في السُّرى إليـهـا المَطِيُّ
أيهـا الطفل أيهـا الناشئ اليـافع بادر والعـود غضٌّ طري
فـاطلب العلم من مـصـادره وانهض به للعلى، وأنت فـتي
وخـذ الذكـر والتـلاوة بالتـجـويد فـهـو لبـاسـهـا السندسي
وإذا مـا قـرأت لفظ المثـاني ** لا يكُنّ للسـان لَوْكٌ ولـيٌّ
أعط للحـرف حـقـه إن إيفـاء الحـقـوق بكل تال حـري
وتدبر إذا قـرأت المعـاني ** واتلُه مـثلمـا تلاه النبي
ثم أبشـر فـأنت من صـفـوة الخلق بما قـد حـبـاك منه العلي
درجات في الخلد ترقى على قد ** ر الذي أنت قـارئ وتَقِـي
فاحمد الله أيها القارئ الناشئ ** واسلم يا أيهـا الآسـفـي



فلقـد نلت من رعـاية واليك ووواليك سـيـد وسـريُّ
الحسيب النسيب مـفـخرة الحضـرة روض المكارم الأوحدي
والشـريف المنيف والصـالح المصلح والمتـصـرف الألمعي
والهـمـام الذي إذا وجـه الهـمـة لم يفـر فـرْيَة عـبْـقـري
بـأبيـه اقـتـدى «عـدي» وهل في منتـمـاه الشـريف إلاّ عَـديّ
شـرفٌ لديارنا أن يحل الفـضل في سـاحـهـا وفـخـر سني
لو نظمنا النجـوم أقـواس أفـراح وزان دروبنا السـابري
ونظمنا الطيـوب في ليلة القـدر فـسـال بما تجـيش الأتي
لرأينا التقصير في جانب الـوالي وقد يعذر الصفّي الصفي

أهل ودي الكرام طوقـتـمـوني ** بجـمـيل أرعـاه مـا أنا حي
أنـا نبت رباكم وابن واديكم ولي فـيكم قـبـيل وحي
أنا فـيكم مكرم قـبل تكريمي ** ولي منكم الجناب الحـفي
غـمـرتني منكم مـواهب شـتى ** وكـسـاني نداكم الحـاتمي
أنتم الناس أيهـا الآسـفـيـون ** وفي آسـفي يطيب الثـوِى
أنتم في مـواسم الجدب أقـوات ** وفـي زمـن المحـولـة ري
أنتم أنـتم وإلا فـمـا يطمـح للمكرمـات إلاّ دَعي
كـان لي فـيكم وداد خَـفِيٌّ ** هـاهـو اليـوم ظاهر وجلي
فـالتـحـيـات أيُّهـذا الندي ** أنتم المنتـمـى وإني البُنَـيٌّ

آسفي د. عبد الهادي حميتو



# خاتمة

وبعد، فإلى ههنا يتوقف القلم عن الجريان، وأتوقف معه عن مزيد من الإفاضة والحديث في هذا الموضوع، وهو موضوع كما رأيت يختلط فيه الجد بالهزل، وتتساوق الفائدة في قالب الطرفة والدعابة، ويلتقي عنده السرد التاريخي بالطابع الأدبي والمحتوى الشعبي، والجانب العلمي المحضري بالجانب الترفيهي والعُرف الاجتماعي.

وقد جمعت مادته مما توافر لدي من مصادر قليلة، وكان في الإمكان لو زادت الإمكانيات واتسع الزمان، أن يأتي أكثر حبكة، وأوفى مادة، وأحفل تصويرا للحياة المحضرية، وأوسع جمعا للأدبيات المتعلقة بها. ولعلي مع هذا قد جمعت من المادة في كل باب ما يكفي في تقديم تصور عام عن ذلك الجانب الذي توقفت عنده، مما يمثل جزءا من حياة الكتاب، ونمطا من الأدبيات المحضرية في كل باب.

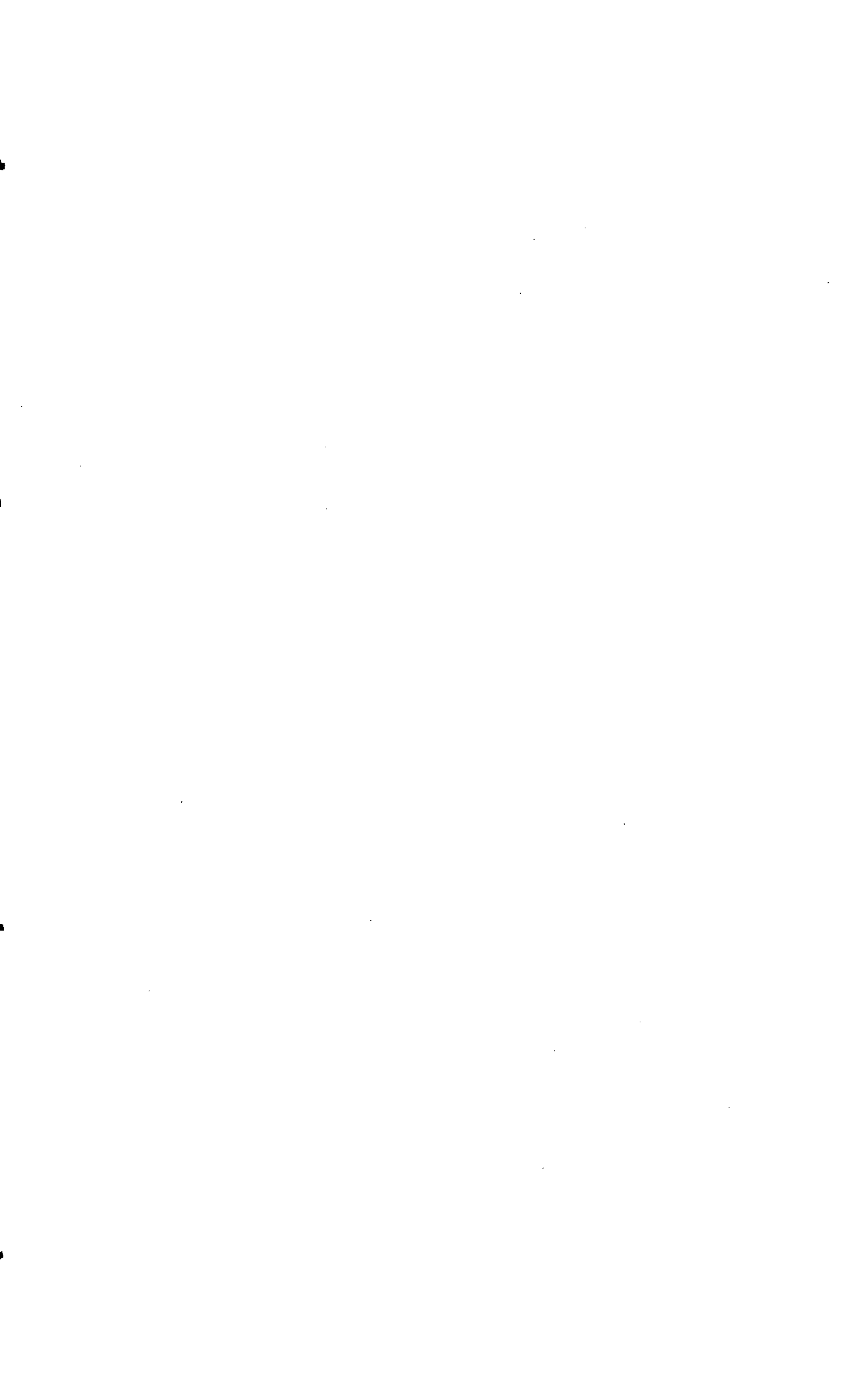
ولقد رأيت غير واحد ممن تقدموني إلى الكتابة في هذا الموضع قد حاموا حول الحمى، وألّموا إلماما بكثير من جوانبه، وذلك مما ساعدني، وفتح أمامي آفاق الحديث لاستكمال التصور، ولكني لم أجد أحدا منهم عُني بجمع الأدبيات المتعلقة به، وأحسب أني مع ذلك إنما مددت الرجل على قدر العباءة، وأرخيت العنان، على حسب الإمكان.

فاسأل الله عز وجل، أن ينفع بهذا الجهد الذي بذلناه، ويحقق المقصد فيما رمينا إليه، ويعتده لنا في خدمة كتابه وخدمة أهله، إنه سميع قريب.

آسفي د. عبد الهادي حميتو

10، رمضان 1426 هـ





# الفهـــارس

# فهرسة المصادر والمراجع


✓ آداب المعلمين لمحمد بن سحنون القيرواني ضمن كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي (الجزء الثاني) للدكتور محمد ناصر، جامعة الكويت -نشر وكالة المطبوعات بالكويت الطبعة 1 السنة 1977 م.

✓ آسفي وما إليه قديما وحديثا تأليف الفقيه محمد بن أحمد العبدي الكانوني- المكتبة التجارية الكبرى- مصر1353.

✓ الابتهاج بنور السراج لأحمد بن المأمون البلغيثي شرح سراج العلوم أرجوزة للعربي للساري مطبعة محمد أفندي بمصر 1901 م.

✓ إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع لأبي زيد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة الدمشقي طبع بتحقيق إبراهيم عطوة عوض - نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر 1349 هـ الطبعة الأولى. والطبعة الثانية 1402 هـ - 1982 م.

✓ ابن سينا والنفس الإنسانية للدكتور محمد خير عرقسوس وحسن ملا عثمان، طبع ونشر مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى: 1402 هـ 1982 بيروت - لبنان.

✓ إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لعبد الرحمن بن زيدان (5 مجلدات) ط. 2: 1410 هـ - 1990 م.

✓ إتحاف البررة بالمتون العشرة (مجموع يشتمل على عشر منظومات في القراءات وعلومها) جمع الشيخ الطباع: 1354 هـ 1935م.




✓ إتحاف الخِل المواطي ببعض مناقب الإمام عبد الله بن علي السكياطي تأليف تلميذه الشيخ محمد التهامي الأوبيري الحمري (مخطوط).
✓ إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ لمحمد بن الفاطمي السلمي -دار الطباعة- الدار البيضاء.
✓ إتحاف القراء المتحزبين المعانقين تلاوة كتاب الله المجودين للحسن البعقيلي (مخطوط).
✓ الأحكام لأبي عمران موسى بن أبي حاج الغفجومي المشهور بأبي عمران الفاسي، مخطوط خزانة ابن يوسف بمراكش برقم 547 .
✓ الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي -دار الفكر- لبنان.
✓ أحكام القرآن للقاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، تحقيق علي البجاوي -الطبعة 1 بدار إحياء الكتب العربية - 1957 م لبنان.
✓ الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية للشيخ محمد المكي الناصري -نشر وزارة الأوقاف- الرباط : 1412 هـ - 1992 م.
✓ الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين ابن الخطيب السلماني الأندلسي، تحقيق محمد عبد الله عنان.
✓ أخبار الحمقى والمغفلين من الفقهاء والمفسرين والرواة والمحدثين والشعراء والمتأدبين والكتاب والمعلمين للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي -نشر دار الكتب العلمية- لبنان.
✓ أخلاق العلماء لأبي بكر الحسين بن عبد الله الآجرّي: الطبعة الثانية: 1401 هـ - 1981 - دار الكتب العلمية - لبنان.



✓ أخلاق حملة القرآن لأبي بكر الحسين بن عبد الله الآجري - دار الكتب العلمية - لبنان.
✓ أدب الفقهاء للعلامة عبد الله كنون الطنجي، نشر دار الثقافة - الدار البيضاء: 1988 م.
✓ الأرجوزة المنبهة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقود الديانات بالتجويد والدلالات للإمام المقرئ الحافظ أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، تحقيق محمد بن مجقان الجزائري -دار المغني- الرياض. الطبعة 1: 1420 هـ - 1999 م.
✓ الأدب المفرد للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق كمال يوسف الحوت: عالم الكتب - ط4: 1404 هـ- 1984 م.
✓ أرجوزة سراج العلوم للعربي المساري ضمن شرح الابتهاج بنور السراج لأحمد بن المأمون البلغيثي.
✓ أرجوزة محمد بن العربي الأدوزي في مدح أتاي - ضمن كتاب المعسول لمحمد المختار السوسي، المجلد الخامس.
✓ أزهار الرياض في أخبار عياض لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق سعيد أعراب - محمد بن تاويت - نشر اللجنة المشتركة بين وزارة الأوقاف وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة -مطبعة فضالة - المحمدية: 1398 هـ - 1978 م.
✓ الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام لعباس بن إبراهيم المراكشي، نشر المطبعة الملكية بالرباط 1974 م.
✓ أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن (نثير الجمان لأبي الوليد إسماعيل ابن الأحمر). تحقيق الدكتور محمد رضوان نشر مؤسسة الرسالة الطبعة 2: 1407 هـ-1987 م.



✓ أعلام مالقة لأبي عبد الله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، تقديم وتخريج وتعليق الدكتور عبد الله المرابط الترغي -دار الأمان- دار الغرب الإسلامي.
✓ أعلام المغرب العربي للأستاذ عبد الوهاب بن منصور -المطبعة الملكية: 1399 هـ - 1979 م.
✓ أضواء على تعليم القرآن من خلاوي السودان للأستاذ عبده غالب أحمد عيسى - دار الجيل-بيروت لبنان.
✓ إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي الطبعة الخامسة جمهورية مصر العربية- وزارة الأوقاف- القاهرة: 1420 هـ - 1999 م.
✓ الإنسان في الإسلام ماهيته وحقيقته للدكتور عباس الجراري .
✓ الاعتصام للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تقديم محمد رشا رضا -مطبعة الحلبي- القاهرة.
✓ الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر أحمد بن علي بن الباذش الغرناطي، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش طبعة دار الفكر بدمشق - الطبعة 1: 1403 م.
✓ الأقنوم في مبادئ العلوم أرجوزة لعبد الرحمن الفاسي : م خ ع عدد 15 حرف ك.
✓ الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول ﷺ والثلاثة الخلفا، لأبي الربيع سليمان ابن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق محمد عبد القادر عطا -دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان.
✓ الأنصاص القرآنية للدكتور عبد العزيز العيادي العروسي: الطبعة الثانية 1999 م.
✓ أليس الصبح بقريب للعلامة محمد الطاهر بن عاشور التونسي -الطبعة التونسية.




✓ ألواح جزولة للأستاذ محمد العثماني، رسالة دبلوم بدار الحديث الحسنية بالرباط: 19701 م طبع وزارة الأوقاف - الرباط.

✓ إينولتان (المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر 1850-1912 م) للأستاذ الدكتور أحمد التوفق، منشورات كلية الآداب بالرباط: مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء: 1978-1980 م الطبعة 2 .

✓ الأمثال المغربية دراسة ونماذج مشروحة للأستاذ عبد القادر زمامة --مجلة البحث العلمي نشر المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط -العدد 6: السنة الثانية جمادي الأولى سنة 1388 هـ شتنبر: 1965 م.

✓ إسعاف الإخوة الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين لمحمد بن الفاطمي السلمي الشهير بابن الحاج الطبعة 1412:1 هـ - 1992 م مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.

✓ الاستقصا بأخبار دول المغرب الأقصى لأحمد بن خالد الناصري - دار الكتاب- الدار البيضاء.

✓ إنشاد الشريد من ضوال القصيد لشيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن غازي المكناسي (مخطوط خاص).

✓ اشتراكية الإسلام للدكتور مصطفى السباعي، طبعة القاهرة.

✓ أوقاف المغاربة في القدس للدكتور عبد الهادي التازي -مطبعة فضالة - المحمدية- المغرب.

✓ برنامج شيوخ الرعيني. تحقيق إبراهيم شبوح، طبعة دمشق: 1381 هـ - 1962 م.

✓ برنامج أبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان -نشر دار الغرب الإسلامي ط 1982:1 م.



✓ برنامج القاسم التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور -نشر الدار العربية للكتاب -ليبيا- تونس 1981 م.
✓ بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس لأحمد بن يحيى بن عميرة الضبي - دار الكتاب العربي : 1967 م.
✓ بلاد شنقيط - المنارة والرباط، تأليف الخليل النحوي، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة -تونس: 1967 م.
✓ بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيما كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب، لمؤلف مجهول - تحقيق عبد الوهاب بن منصور للطبعة الملكية - الرباط 1404 هـ - 1984 م.
✓ البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ -تحقيق عبد السلام هارون - ط 4 لجنة التأليف والنشر بمصر.
✓ البيان عن عدّ آي القرآن للحافظ أبي عمرو الداني تحقيق الدكتور غانم قدوري الحمد -ط 1: 1414 هـ - 1994 م الكويت.
✓ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشي - دار الثقافة بيروت بتحقيق ليفي بروفنصال.
✓ البيان المغرب (قسم الموحدين) تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت وعبد القادر زمامة - نشر دار الغرب الإسلامي ط.1: 1406 هـ - 1985 م.
✓ بيوتات فاس الكبرى لإسماعيل بن الأحمر ومن معه، نشر دار المنصور للطباعة بالرباط: 1982 م.
✓ البعد الثقافي والمجتمعي للوقف الخيري في الإسلام للأستاذ السعيد بوركبة: مجلة دعوة الحق العدد: 263 .



✓ تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر - 1391 هـ - 1971م.

✓ تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد طبعة دمشق 1954م مطبعة المجمع العلمي 1964 .

✓ تاريخ المدينة المنورة لعمر بن شبة النمري البصري تحقيق فهيم محمد شنتوت نشر دار الإصبهاني بجدة.

✓ تاريخ الشرفا لديكودي طوريس، تعريب د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، نشر الجمعية المغربية للنشر والتوزيع - الدار البيضاء.

✓ تاريخ قضاة الأندلس ( المرقبة العليا ) لأبي الحسن عبد الله بن الحسن النباهي، دار الآفاق لبنان 1400 هـ.

✓ تاريخ تطوان للأستاذ محمد داود التطواني، طبعة تطوان دار كريماس (د.ت)، طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان.

✓ تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي، تحقيق إبراهيم الأبياري - نشر دار الكتاب اللبناني.

✓ تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين لعبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي، نشر دار الأندلس - بيروت ط 1: 1383 هـ - 1964م.

✓ تاريخ الضعيف لمحمد الضعيف الرباطي، تحقيق أحمد الغماري -دار المأثورات - الرباط : 1404هـ - 1985 .

✓ التبيان في آداب حملة القرآن للإمام يحيى بن شرف النووي -ط3: 1374 هـ - 1994 م.

✓ التبيان لمعركة ماء أبي فكران مع وجوب اتباع رسم الإمام للشيخ الأستاذ إبراهيم الهلالي - مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء: ط 1: 1406 هـ - 1985 م.




✓ تبيين البَلَه ممن أنكر وجود حديث : ومن لغا فلا جمعة له للشيخ أحمد بن محمد ابن الصديق الغماري، نشر دار البصائر- دمشق: الطبعة 1: 1403 هـ 1982 م.
✓ تحفة المؤذنين أرجوزة للدكتور عبد الهادي حميتو، لم تطبع بعد.
✓ تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط للأستاذ الحسين أسكان - الرباط- مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.
✓ التأليف ونهضته في المغرب في القرن العشرين للأستاذ عبد الله الجراري.
✓ تاريخ النحو العربي للدكتور محمد المختار ولد أباه.
✓ تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والتاريخ للأستاذ عمر أفا.
✓ تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان طبعة دار السلام الطبعة 2 حلب - سوريا.
✓ تثقيف اللسان لعلي بن جعفر السعدي المشهور بابن القطاع الصقلي.
✓ التعريف بابن خلدون له، تحقيق محمد بن تاويت: 1370 هـ - 1951 القاهرة.
✓ التعريف في اختلاف الرواة عن نافع لأبي عمرو الداني لأبي عمرو الداني، تحقيق الدكتور التهامي الراجي الهاشمي طبع اللجنة المشتركة بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة لنشر التراث الإسلامي - مطبعة فضالة المحمدية: 1403 هـ - 1982 م.
✓ التعريف في اختلاف الرواة عن نافع تحقيق الأستاذ السحابي -سلا- المغرب.
✓ تقييد وقف الهبطي، تحقيق الدكتور الحسن وكاك الطبعة الأولى -مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء: 1411 هـ - 1991 م.
✓ التنزيل في هجاء التنزيل (مختصر كتاب التبيين في هجاء التنزيل).
✓ تطوان الحاضرة الأندلسية المغربية تأليف جون لوي مييج - امحمد بن عبود- نادية الرزيني ترجمة مصطفى غطيس. ط1: 2002 م.



✓ تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع للشيخ أبي زكريا يحيى بن سعيد الكرامي الجزولي السملالي السوسي - دراسة وتحقيق الأستاذ الحسن طالبون - المطبعة والوراقة الوطنية مراكش.
✓ التمهيد في معرفة التجويد لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار. تحقيق الدكتور غانم قدور الحمد - دار عمار للنشر - الأردن.
✓ التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي، تحقيق الدكتور أحمد التوفيق منشورات كلية الآداب - الرباط: 1404 هـ - 1984 م.
✓ التوثيق والإثبات بالكتابة في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي للدكتور محمد جميل مبارك مطبعة النجاح - الدار البيضاء.
✓ التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق لأبي الفيض أحمد بن الصديق- نشر مكتبة الخانجي 1336 هـ. مطبعة السعادة - مصر: 1366 هـ.
✓ تلخيص الأرقام والأعداد لما وجد في القرآن من الأعداد لمحمد الطاهر التليلي التونسي (مسائل قرآنية).
✓ التيسير في القراءات السبع للحافظ أبي عمرو الداني، نشر دار الكتاب العربي- الطبعة: 1404:2 هـ- 1984 م.
✓ التوضيح والبيان في مقرإ الإمام نافع بن عبد الرحمن للدني لأبي العلاء إدريس ابن عبد الله الودغيري البكراوي- طبعة حجرية بفاس غير مؤرخة.
✓ ثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي تحقيق الدكتور عبد الله العمراني نشر دار الغرب الإسلامي. ط 1: 1403 هـ - 1983م.
✓ الثقافة المغربية في عصر السعديين للأستاذ الحسن السايح - مجلة دعوة الحق العدد الثالث السنة السابعة شهر رجب 1383 هـ - 1963 م.



✓ جامع بيان العلم وفضله وما جاء في روايته وحمله للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري - دار الكتب العلمية - بيروت.

✓ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لمحمد بن جرير الطبري، مطبعة البابي الحلبي 1373 هـ - 1954 م.

✓ الجامعة اليوسفية في تسعمائة سنة (المجلد الأول) لمحمد بن عثمان المراكشي - المطبعة الاقتصادية لمصطفى عبد الله: 1356 هـ - 1937 م.

✓ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس لمحمد بن فتوح الحميدي، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة 1966 م.

✓ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لأحمد بن القاضي المكناسي - دار المنصور- الرباط الطبعة 1: 1974 م.

✓ جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين علي بن محمد السخاوي تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة التراث -مكة المكرمة- الطبعة 1: 1408 هـ - 1987 م.

✓ جواهر الكمال في تراجم الرجال لمحمد بن أحمد العبدي الكانوني، علال ركوك - الرحالي الرضواني- محمد السعيدي- تقديم الدكتور محمد بنشريفة- جمعية البحث والتوثيق والنشر -ربانيت- الرباط.

✓ جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان لأبي العباس أحمد شقرون للمغراوي تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي تحت عنوان: المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه جامع جوامع الاختصار والتبيان، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج: الطبعة الأولى 1407 هـ - 1986 م.

✓ جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، تأليف الدكتور عبد الهادي التازي- نشر دار الكتاب اللبناني .



✓ الحركة العلمية في سبتة خلال القرن السابع للأستاذ إسماعيل الخطيب: منشورات جميعة البعث الإسلامي بتطوان.

✓ الحسبة: كتاب أمر بتأليفه جلالة الملك الحسن الثاني، نشر المطبعة الملكية - الرباط: 1402 هـ - 1982 م.

✓ الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعَدٍّ بعض مفاخرها لمحمد المشرفي، تحقيق إدرايس بوهليلة - نشر وزارة الأوقاف - الرباط.

✓ حرز الأماني ووجه التهاني (القصيدة الشاطبية) للقاسم بن فيرة الرعيني الشاطبي ضمن مجموع إتحاف البررة بالمتون العشرة، جمع وتصحيح الشيخ الطباع: (1354 هـ- 1935 م).

✓ خطبة منبرية للسلطان محمد الخامس رحمه الله ألقاها بالمسجد الأعظم بتطوان.

✓ الدراسات القرآنية بالمغرب في القرن الرابع عشر الهجري للدكتور إبراهيم الوافي -مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء.

✓ الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع أرجوزة لأبي الحسن علي بن بري التازي ضمن شرح النجوم الطوالع للمارغني.

✓ الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة للمولى عبد الرحمن بن زيدان - المطبعة الاقتصادية بالرباط: 1356 هـ- 1937.

✓ درة الحجال في أسماء الرجال لابن القاضي، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور طبعة 1: 1390 هـ- 1970 م دار التراث- القاهرة .

✓ الدرة الجلية في نقط المصاحف العلية، أرجوزة لأبي وكيل ميمون بن مساعد المصمودي (مخطوطة).

✓ دليل مؤرخ المغرب الأقصى للأستاذ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة. دار الكتب، الطبعة 2:1960 م.

✓ دور الأوقاف للغربية في التكافل الاجتماعي عصر بني مرين (657-869هـ) للأستاذ محمد المنوني (ندوة البحوث بالرباط: 1403هـ - 1981 م).

✓ دور الوقف في الحياة الثقافية بالمغرب في عهد الدولة العلوية للدكتور السعيد بوركبة نشر الأوقاف والشؤون الاسلامية -الرباط- مطبعة فضالة: 1417 هـ - 1996 م.

✓ دوحة الناشر لمن كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر لمحمد بن عسكر الشفشاوني تحقيق د. محمد حجي- مركز التراث- الدار البيضاء .

✓ الدولة العلوية في خدمة كتاب الله الأكبر: مجلة دعوة الحق، العدد 4 السنة 11، ذو القعدة 1387 هـ - فبراير 1968 م.

✓ دليل الحيران في شرح مورد الظمآن لإبراهيم بن أحمد المارغني التونسي - الطبعة التونسية: 1325 هـ.

✓ ديوان الشافعي تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي- طبعة دار الفكر - الطبعة 1-1406 هـ - 1986 م.

✓ ديوان سيدي عبد الرحمن للجذوب (القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن للجذوب) دون ذكر دار الطبع.

✓ الديباج للذهب في معرفة أعيان المذهب لإبراهيم بن فرحون -طبعة مصر1351 هـ- دار الكتب العلمية - لبنان.

✓ دلالة التعليم في رسم حروف القرآن العظيم أرجوزة الشيخ محمد الغنيمي في رسم الإمام نافع، في مجموع نشر للطبعة التونسية بنهج سوق البلاط: 1351 هـ.

✓ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق الدكتور إحسان عباس -دار الثقافة- بيروت: 1399 هـ - 1979 م.

✓ ذكريات مشاهير رجال المغرب للأستاذ عبد الله كنون - نشر دار الكتاب اللبناني- لبنان.



✓ الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصفة لمحمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي، تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد بن شريفة - نشر دار الثقافة- بيروت- لبنان.

✓ الذيل على الروضتين في تاريخ الدولتين لشهاب الدين أبي شامة المقدسي - طبعة دار الجيل. ط 2: 1974 م.

✓ الرحلة المغربية (رحلة العبدري) لمحمد بن محمد بن سعود العبدري الحيحي، تحقيق الأستاذ محمد الفاسي نشر وزارة الدولة المكلفة بشؤون الثقافة والتعليم الأصيل - الرباط.

✓ الرحلة العياشية (ماء الموائد) لأبي سالم العياشي، إعداد محمد حجي: الطبعة 21397 هـ - 1989 م.

✓ رحلة ابن بطوطة الطنجي، طبعة دار إحياء العلوم وطبعة دار الشرق العربي- بيروت لبنان.

✓ رحلة ابن جبير لمحمد بن جبير الكناني الأندلسي، نشر دار الشرق العربي - بيروت - لبنان.

✓ رحلة ابن رشيد (ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة من الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة) لمحمد بن عمر بن رشيد السبتي. تحقيق الدكتور محمد الحبيب بلخوجة -الدار التونسية للنشر- دار الغرب الإسلامي.

✓ الرحلة المعينية لماء العينين بن العتيق.

✓ رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر لمحمد المختار السوسي -نشر رضا الله، الطبعة الأولى: 1409 هـ - 1989 م طريق تطوان.



✓ الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين والمعلمين لأبي الحسن علي بن خلف القابسي، نشر الدكتور محمد ناصر ضمن كتاب الفكر التربوي العربي الإسلامي، الطبعة الأولى 1977 م وكالة المطبوعات - الكويت.
✓ الرسالة (متن الرسالة) لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط 1987م.
✓ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة لأبي محمد بن أبي طالب، تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات - طبعة دار المعارف بدمشق 1393 هـ - 1973 م وطبعة دار عمار تحقيق المحقق نفسه، ط 2، عمان الأردن 1404 هـ- 1984 .
✓ الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لمحمد بن غازي المكناسي، تحقيق عبد الوهاب بن منصور - المطبعة الملكية.
✓ رياض النفوس في طبقات علماء القيروان للمالكي، تحقيق بشير الكوش ومحمد العروسي نشر دار الغرب الإسلامي: 1403 - 1983 م.
✓ الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي لمحمد حجي، المطبعة الوطنية بالرباط: 1384 هـ - 1964 م.
✓ زهر الآداب وثمر الألباب لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، تحقيق الدكتور زكي مبارك - دار الجيل - ط 4: 1972 م.
✓ طبقات علماء إفريقية وتونس لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم - دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بلبنان.
✓ الطبقات الكبرى لابن سعد -طبعة دار صادر بيروت - لبنان.
✓ كراسي لها أوقاف للأستاذ محمد المنوني - مجلة دعوة الحق، العدد الرابع، السنة 9، وزارة الأوقاف - الرباط.
✓ الكراسي العلمية للدكتور يوسف الكتاني: مجلة الاعتصام العدد الثامن السنة 9 - جمادي الثانية.



✓ الكتاتيب القرآنية في المغرب بين الأمس واليوم لمحمد بوطالب، كلية الآداب – الرباط.

✓ الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد.

✓ كنز المعاني (شرح الشاطبية في القراءات السبع) تحقيق الدكتور أحمد اليزيدي.

✓ الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة للوزير لسان الدين ابن الخطيب السلماني الأندلسي.

✓ لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد لأحمد بن القاضي، ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات تحقيق محمد حجي.

✓ لسان العرب لابن منظور الإفريقي -طبعة دار صادر- بيروت – لبنان.

✓ المدرسة الأولى للفقيه صالح بن عبد الله الإلغي.

✓ مدرسة أبي محمد صالح نموذج تأسيس ركب الحاج المغربي للأستاذ محمد المنوني (آسفي دراسات تاريخية) أعمال الملتقى الفكري الأول لمدينة آسفي، يوليوز 1988.

✓ مدرسة لوتش للتهامي الوزاني تقديم د. نادية الرزيني، نشر جمعية تطاون - أسمير- الطبعة 2002:1 م.

✓ متعة المقرئين في تجويد القرآن المبين للأستاذ عبد الله الجراري، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء ط1: 1401 هـ – 1981 م.

✓ مفتاح الأمان في رسم القرآن لأحمد مالك حماد الفوتي الأزهري، نشر الدار السينيغال وطبع بالدار البيضاء 1395 هـ – 1975 م.

✓ مؤسسات التعليم في الحضارة العربية للأستاذ الزبير مهداد. مجلة دعوة الحق العدد: 262 ، السنة 42، شعبان رمضان: 1422 هـ – أكتوبر 2001 م.



- مؤسسة الأوقاف أهميتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية في مدينة فاس خلال القرن الثامن الهجري للأستاذ السعيد لمليح -مجلة دعوة الحق، العدد 263، ذو القعدة 1422هـ يناير 2002 .
- المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسية لمحمد المختار السوسي، تقديم محمد المنوني.
- المحاسن والمساوئ للإمام البيهقي.
- مواهب المنان فيما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان للسلطان محمد بن عبد الله، تصحيح أحمد العلوي عبد اللوي، نشر وزارة الأوقاف الرباط 1417 هـ - 1996 م.
- مدارس سوس العتيقة نظامها - أساتذتها للعلامة محمد المختار السوسي، مطبعة طنجة 1407 هـ - 1987 م.
- المعهد الإسلامي بتارودانت للأستاذ المتوكل عمر الساحلي، طبع دار النشر المغربية: 1986 م.
- مدارس سوس العتيقة للأستاذ محمد المختار السوسي -منشورات كلية الشريعة- أكادير: 1995 م.
- المقتبس من أخبار بلاد الأندلس لابن حيان القرطبي، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي -دار الثقافة- بيروت: 1965 م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد-دار الكتب العلمية لبنان.
- مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستي، نشر دار الكتب العلمية، تصحيح فلايشهمر.
- المعسول لمحمد المختار السوسي، نشر مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء.




✓ المعيار المعرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط.
✓ المعيار الجديد (نوازل العلمي)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط.
✓ المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات لابن رشد - الطبعة الأولى - السعادة - دار صادر - بيروت.
✓ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للإمام الذهبي، تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة - القاهرة.
✓ المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لأبي عبد الله بن مرزوق التلمساني طبعة الجزائر: 1981 م.
✓ المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي، تقديم ممدوح حقي، نشر دار الكتاب - الدار البيضاء.
✓ المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحقيق الدكتور عزة حسن - دار الفكر: ط 2: 1407 هـ - 1986 .
✓ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لعبد الرحمن بن محمد الدباغ- المطبعة الرسمية العربية - تونس: 1920 م.
✓ مجموع القصائد والأدعية والتوسل للشريف محمد بن عبد الرحمن - الدار البيضاء.
✓ معجم السفر للحافظ أبي طاهر السلفي، تحقيق عبد الله عمر البارودي - دار الفكر: 1414 هـ 1993 م.
✓ ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت للفقيه يوسف بن عابد الحسني الفاسي، تحقيق الدكتور أمين توفيق الطيبي نشر الجمعية المغربية 1988 م.



✓ المدرسة القرآنية في الصحراء المغربية للأستاذ سعيد أعراب، مجلة دعوة الحق، العدد 9 السنة: 17: 1396 هـ.

✓ مظاهر الثقافة المغربية من القرن 13 إلى القرن 15 لمحمد بن أحمد بن شقرون – رسالة دبلوم – باريس : 1966 م.

✓ مجموع وثائق تتعلق بالحسبة على المساجد في الأندلس (الوثيقة السادسة)، تحقيق الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف، نشر كلية الآداب بجامعة الكويت (حوليات الكلية: الحولية الخامسة: 1404 هـ - 1984 م).

✓ مجمع البحرين للشيخ ناصف اليازجي- نشر دار صادر - بيروت - لبنان.

✓ المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل الشريف لمولاي عبد الرحمن بن زيدان، تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ط 1: 1413 هـ - 1993 م مطبعة إديال - الدار البيضاء.

✓ المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي الأندلسي، دراسة وتحقيق مامون بن محيي الدين الجنان- مكتبة دار الباز-مكة المكرمة.

✓ المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون -نشر دار الفكر- الطبعة 2:1408 هـ - 1988م.

✓ مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق لعبد السلام بن الطيب القادري، تحقيق الدكتور أحمد العراقي - الطبعة 1: 2006 - فاس.

✓ من الشاي إلى الأتاي- العادة والتاريخ لعبد الأحد السبتي -عبد الرحمن لخصاصي-منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- سلسلة بحوث ودراسات رقم 25: الطبعة الأولى 1999 م.



✓ المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل تأليف محمد الإفراني، تحقيق وتقديم الأستاذ محمد العمري 1418 هـ- 1997 م).
✓ المغرب تأليف الأستاذ الصديق بن العربي، نشر دار الغرب الإسلامي - دار الثقافة. ط 3: 1404 هـ 1997 م.
✓ معاهد العلم والتعليم بالأندلس في عهد المرابطين، للدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش، دعوة الحق، العدد: 259 .
✓ مساجد مراكش.
✓ المقنع في اختصار نظم أبي مقرع لمحمد بن سعيد المرغتي، ضمن (المجموع الكامل للمتون) دار الفكر: 1421هـ - 2001 .
✓ المطلع على مسائل المقنع لمحمد بن سعيد المرغتي وبهامشه المنقع، بتحقيق المطلع للشيخ صالح بن عبد الله الإلغي -مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء: 1420 هـ - 1999 م.
✓ المدخل لابن الحاج العبدري الفاسي نشره دار الفكر، الطبعة 2: 1397 هـ - 1977 م.
✓ منظومة الفقيه الزموري في مدح أتاي (المجموع الكامل للمتون) دار الفكر: 1421هـ- 2001 م.
✓ المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة للفقيه إبراهيم إذ ابراهيم التامري - مطبعة المعارف- الرباط
✓ مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، طبعة حجرية بفاس 1324 هـ - 1906 م لمحمد العربي الفاسي.
✓ مناقب الحضيكي لمحمد بن أحمد الحضيكي، المطبعة العربية - الدار البيضاء ط1: 1355 هـ.



✓ المحاضرات للحسن اليوسي إعداد محمد حجي: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر: الرباط 1396 هـ- 1976 م.
✓ المحدث الحافظ أبو شعيب الدكالي للأستاذ عبد الله الجراري: دار الثقافة ط2: 1399 هـ- 1979م.
✓ الموطأ للإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.
✓ المدهش لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي.
✓ المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى للدكتور محمد منير سعد الدين.
✓ المغراوي وفكره التربوي للدكتور عبد الهادي التازي - نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى 1407 هـ - 1986 م.
✓ ناظر الوقف وتعامله مع حركة التعليم الإسلامي للأستاذ محمد بن عبد الله - دعوة الحق، العدد: 272، نونبر - دجنبر 1988 م.
✓ نظام المشيخة وموضع القدوة فيه في تعليمنا العتيق للمؤلف عبد الهادي حميتو، بحث قدم للدورة التكوينية للأئمة والمدرسين في التعليم العتيق بمدينة الجديدة بتنظيم وزارة الأوقاف بالرباط بتاريخ 28-30 أبريل 2006 م.
✓ نفاضة الجراب في علالة الاغتراب تأليف لسان الدين ابن الخطيب، نشر وتعليق الدكتور أحمد مختار العبادي - مراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني - دار النشر المغربي - الدار البيضاء.
✓ نظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) لعبد الحي الكتاني، نشر دار الكتاب العربي -بيروت- لبنان.



✓ النضال الجبلي: الأنظمة الاجتماعية الجبلية -النظام الاقتصادي تأليف العربي العياشي، نشر مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال، طنجة: 1988.
✓ النجوم الطوالع في شرح الدرر اللوامع في أصل مقرإ الإمام نافع لابن بري، تأليف الشيخ إبراهيم بن أحمد المارغني، طبع ونشر دار الطباعة الحديثة- الدار البيضاء.
✓ نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري، تحقيق الأستاذ محمد حجي وأحمد التوفيق، نشر وتوزيع مكتبة الطالب - الرباط: 1402هـ-1982م مطبوعات دار المغرب.
✓ النشر في القراءات العشر للحافظ ابن الجزري، تصحيح علي بن محمد الطباع - مطبعة مصطفى محمد -مصر.
✓ نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك لأبي فارس عبد العزيز اللزوري - المطبعة الملكية- الرباط: 1382 هـ- 1963 م.
✓ النبوغ المغربي في الأدب العربي للأستاذ عبد الله كنون، نشر دار الكتاب اللبناني، الطبعة 2.
✓ النصرة في رسم القرآن الكريم لمحمد التهامي بن الطيب الغرفي المسيفي (نصرة الكتاب المبنية لمختار الأصحاب) طبعة حجرية بفاس.
✓ نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا السوداني التمبوكتي، نشر دار الكتب العلمية -لبنان.
✓ نهاية حفظ القرآن بالكتاب والبدء بالكرليس: دعوة الحق، العدد 272 .
✓ صحيح الإمام البخاري بحاشية السندي -دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان.
✓ الظهير الملكي الشريف لإحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية: جمادى الأولى 1423 هـ- 2002م.



✓ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأبي العباس أحمد المقري التلمساني -طبع دار الرشاد الحديثة - الطبعة الأولى: 1406 هـ- 1986م.

✓ نكتة المعلمين (أرجوزة) لمحمد بن عزوز كرضيلو نزيل آسفي، (مخطوطة).

✓ النهج للتدارك في شرح دالية الهمز لابن المبارك لأبي العلاء إدريس المنجرة، (مخطوطة) بالخزانة الملكية بالرباط برقم 1064.

✓ العقد الفريد لأبي عمر بن عبد ربه: دار إحياء التراث العربي -بيروت- لبنان.

✓ علماء المغرب المعاصرون للأستاذ محمد الفاطمي السلمي بن الحاج -مطبعة النجاح- الدار البيضاء: 1412 هـ.

✓ عاشوراء عند المغاربة: عباس الجراري -منشورات النادي الجراري ط1: مطبعة ومكتبة الأمنية.

✓ على رأس الأربعين (مذكرات) للأستاذ محمد داود -تقديم وتعليق حسناء داود- تطوان 1421 هـ- 2001 م.

✓ العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين للأستاذ محمد المنوني، ط 2، الرباط: 1397 هـ- 1977 م.

✓ العناية بالقرآن الكريم في عهد الدولة العلوية للعلامة الرحالي الفاروقي: مجلة دعوة الحق، العدد الرابع، السنة 1968:11 م.

✓ عيون الأخبار لابن قتيبة - نشر دار الكتاب العربي - لبنان.

✓ علماء جامعة ابن يوسف في القرن العشرين لأحمد متفكر- المطبعة والوراقة الوطنية- الداوديات، مراكش، الطبعة الأولى 2006 م.

✓ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية للغبريني -ذخائر التراث العربي- بيروت ط 1: 1969 م.



✓ غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري -دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط 1400:2 هـ - 1980 م.
✓ الغنية في شيوخ عياض تحقيق ماهر زهير جرار، نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت- لبنان ط 1402:1 هـ.
✓ فتح الباري على صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني.
✓ الفكر التربوي العربي الإسلامي للدكتور محمد ناصر - الطبعة 1 : الكويت 1977 م.
✓ الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن الحجوي - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط1: 1396هـ.
✓ فهرسة أبي بكر بن خير الإشبيلي منشورات دار الآفاق الجديدة-بيروت-لبنان.
✓ فهرسة ابن غازي، تحقيق محمد الزاهي، مطبوعات دار المغرب - الدار البيضاء: 1399 هـ- 1970 م.
✓ فهرسة ابن عطية عبد الحق بن عطية المحاربي الأندلسي، تحقيق محمد أبو الأجفان ومحمد الزاهي - نشر دار الغرب الإسلامي - بيروت: 1400 هـ - 1980م.
✓ فهرسة اليوسي للإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، تقديم وتحقيق د. حميد حماني اليوسي: 1425 هـ - 2004، مطبعة دار الفرقان- الدار البيضاء.
✓ فهرس أحمد المنجور تحقيق محمد حجي -نشر دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر - الرباط : 1396 هـ - 1976م.
✓ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس - نشر دار الغرب الإسلامي- بيروت. ط 2: 1402 هـ - 1982 م.



✓ فهارس الخزانة الحسنية، إعداد محمد الخطابي - الفهرس الوصفي لعلوم القرآن- الرباط: 1407 هـ - 1987 م.

✓ فهرس مخطوطات خزانة تطوان (قسم القرآن وعلومه)، إعداد المهدي الدليرو ومحمد بوخبزة- تطوان: 1401 هـ - 1981 م.

✓ الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة لحسين بن علي الرجراجي الشوشاوي، تحقيق عزوزي إدريس - نشر وزراة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط : 1409 هـ- 1989 م.

✓ فتح الوصيد في شرح القصيد للإمام علي بن محمد السخاوي (شرح الشاطبية).

✓ فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد نجاتي، رسالة جامعية بجامعة أم القرى - مكة المكرمة.

✓ الفتاوي لمحمد كنوني المذكوري - دار الطباعة الحديثة- الدار البيضاء.

✓ فاس قبل الحماية، تأليف روجي لوطورنو، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر- دار الغرب الإسلامي: 1412 هـ - 1992 م.

✓ الفواكه الدواني في شرح الرسالة لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني، لأحمد بن غنيم النفزاوي- دار المعرفة - لبنان.

✓ الفوائد الجمة في إسناد علوم الأمة تأليف أبي زيد عبد الرحمن التمنارتي، تحقيق اليزيد الراضي-مطبوعات السنتيسي- الدار البيضاء: 1420 هـ - 1999 م.

✓ القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع المدني.

✓ قراءة الإمام نافع عند المغاربة للمؤلف عبد الهادي حميتو: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1412 هـ - 2003 م.



- القانون في أحكام العِلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم لأبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق وتعليق حميد حماني- مطبعة شالة- الرباط: 1419 هـ - 1998 م.
- قراءة الأعمش وخصائص القراءة الكوفية للدكتور صاحب أبو جناح - مجلة المورد العراقية، المجلد 17، العدد الرابع، السنة 1988 م.
- القرآن والقراءات بالمغرب لسعيد أعراب، نشر دار الغرب الإسلامي ط1: 1410 هـ- 1990 م.
- القرآن وعلومه في مصر للدكتور عبد الله خورشيد البري - دار المعارف بمصر: 1970 م.
- قضاة قرطبة لمحمد بن حارث الخشني، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة دار الكتاب اللبناني ط1: 1402 هـ 1982 .
- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ط 2: 1345 هـ.
- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي.
- السبعة في القراءات لأبي بكر بن مجاهد البغدادي تحقيق الدكتور شوقي ضيف دار المعارف، الطبعة 2 - القاهرة: 1400 هـ - 1980 م.
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للشيخ أحمد بن خالد الناصري، تحقيق ولديه جعفر الناصري ومحمد الناصري، نشر دار الكتاب -الدار البيضاء- 1956 م.
- سوس العالمة لمحمد المختار السوسي - مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر -ط2: 1404 هـ - 1984 م
- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس لمحمد بن جعفر الكتاني الفاسي طبع على الحجر - فاس.
- سنابل الخريف لمحمد بريكي بلقايد (ديوان شعر زجلي)، الطبعة 2-2005 م.

✓ شرح مقامات الحريري لأبي العباس بن عبد المومن الشريشي القيسي -دار الكتب العلمية - بيروت: 1399 هـ - 1979 م.

✓ شرح الدرر اللوامع لابن بري للحلفاوي (مخطوط) بالخزانة الحسنية بالرباط: رقم 6064 .

✓ شرح المكودي لأبي زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي على ألفية ابن مالك في علمي النحو والصرف ضبط إبراهيم شمس الدين نشر دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان.

✓ شرح منظومة أتاي للفقيه عبد السلام الزموري تأليف المكي البطاوري.

✓ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية تأليف محمد بن مخلوف التونسي نشر دار الكتاب العربي -بيروت.

✓ شعر الفقهاء بمنطقة جبالة ( الفقيه محمد بن العربي البقالي المساري نموذجا ) للأستاذ عبد السلام البكاري وعبد السلام الطاهري.

✓ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي.

✓ هدية المؤدب المبينة لأحكام المؤدب والصبيان في المكتب لمحمد المهدي متجنوش، تحقيق سعيدة إدريس تفراوتي - مجلة فضاءات تربوية- العدد 2: 1965 م.

✓ وثائق في شؤون العمران في الأندلس ( المساجد والدور) مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف: ط1: 1983 م.

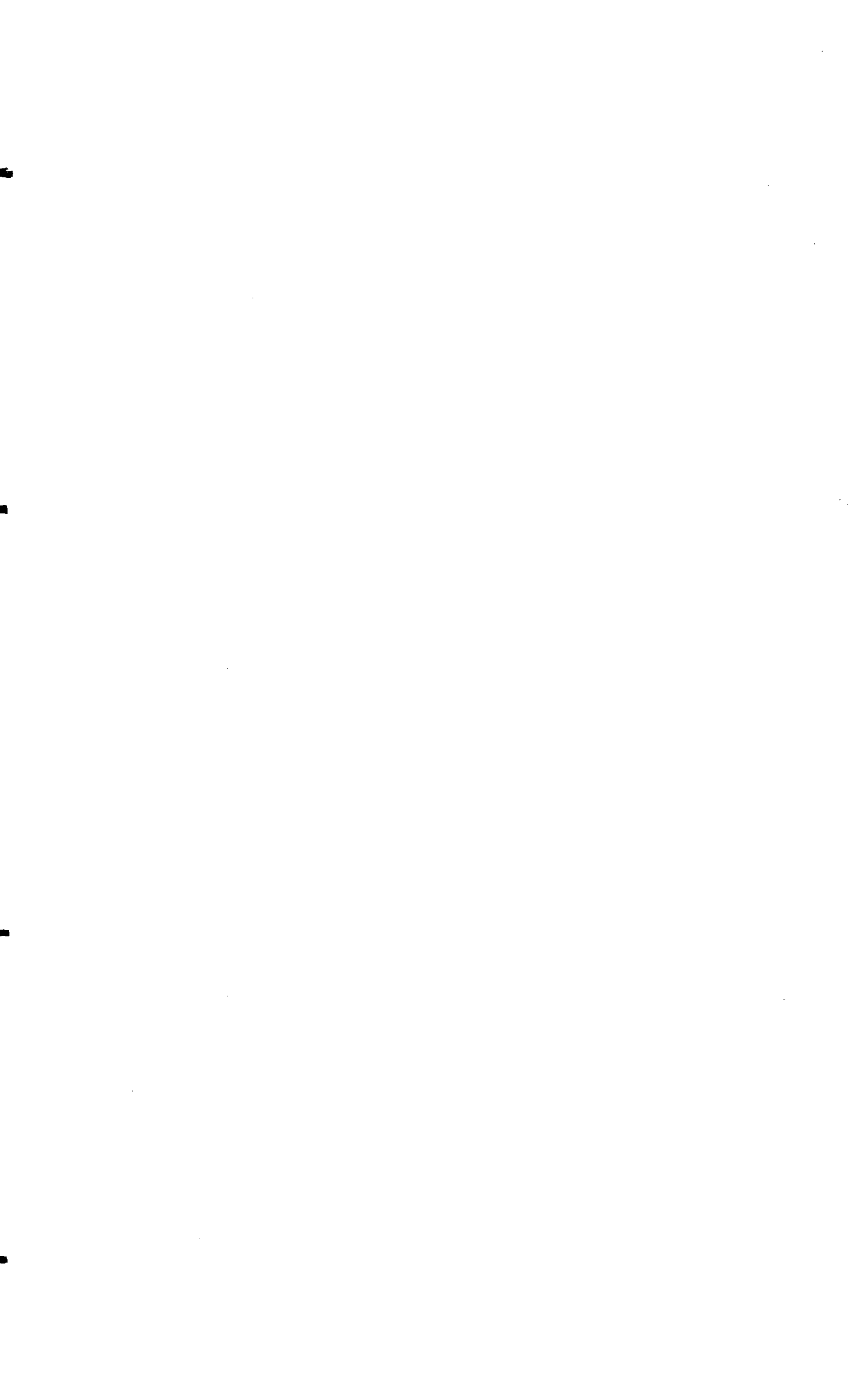
✓ الوقف في الفكر الإسلامي لمحمد بن عبد الله.

✓ ورقات عن حضارة المرينيين للأستاذ محمد المنوني.



- ✓ وصية الشيخ الفقيه الحافظ أبي الوليد الباجي الأندلسي لولديه -تقديم وتحقيق عبد اللطيف بن محمد الجيلاني -مكتبة أضواء السلف السعودية.
- ✓ الوضع الجديد لفن مخارج الحروف والصفات لسيدي أحمد بن لسمه الموريتاني الديماني، رسالة بدار الحديث: 1396 هـ- 1976 م.
- ✓ وصية محمد بن علي مفتي الجزائر يوصي الأستاذ بولده: كتاب مجموع القصائد والأدعية.
- ✓ الوفيات للونشريشي ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات، تحقيق الدكتور محمد حجي.





# فهرسة المحتويات

الصفحة


| | |
|---|---|
| ✓ تقديم: | 5 |
| ✓ بين يدي الموضوع | 9 |
| ✓ مقدمة: الحياة في الكتاب والمحضرة | 11 |
| **الباب الأول: أوليات التعليم في الصدر الأول ونشأة الكتاتيب القرآنية** | 17 |
| **الفصل الأول: أوليات التعليم في الصدر الأول ونشاة الكتاتيب القرآنية** | 19 |
| ✓ مشاهير المعلمين من قراء الصحابة: | 20 |
| ✓ مشاهير معلمي الكتابة من الصحابة | 23 |
| ✓ إنشاء دار للقراء بالمدينة: | 24 |
| ✓ دور المسجد النبوي في تكوين أهل الصفة | 25 |
| **الفصل الثاني: الكتاتيب القرآنية بالمدينة النبوية وغيرها في الصدار الأول** | 29 |
| ✓ نشأة نظام الحلق والدراسة القرآنية في زمن الراشدين | 34 |
| ✓ حلقة أبي موسى الأشعري | 34 |
| ✓ أقدم محضرة في مسجد بدمشق لأبي الدرداء | 35 |
| ✓ حلقة أبي عبد الرحمن السلمي بالكوفة: | 36 |
| ✓ حلقة أبي جعفر المدني بالمدينة | 38 |
| ✓ الحاجة إلى المؤدبين وحكم الأجرة على التعليم | 39 |
| **الباب الثاني: أوليات الكتاب القرآني** | 47 |
| **الفصل الأول: أوليات الكتاب القرآني في الأقطار المغربية** | 49 |




✓ تفوق المغاربة في حفظ القرآن ودواعيه واستئثارهم بذلك عبر القرون 51
✓إحداث المكاتب بأجنحة المساجد: ........ 54
✓ متى دخل القرآن إلى المغرب؟........ 56
**الفصل الثاني: محضرة الغازي بن قيس الأندلسي وأوليات الكتاب بالأندلس** ........ 63
✓أبو محمد الغازي بن قيس شيخ المؤدبين بقرطبة وأول من أدخل قراءة نافع........ 64
✓من خريجي محضرة الغازي بن قيس........ 71
نص تربوي لابن حبيب........ 73
✓ أعلام المؤدبين بالأندلس لهذا العهد:........ 74
✓ عدد كتاتيب قرطبة........ 78
✓ نص المرسوم الخلافي بالعهد إلى فقيه بتأديب ولي العهد بقرطبة (الحكم)........ 81
**الفصل الثالث: محضرة أبي الحسن الأنطاكي بقرطبة ورجالها في القرن الرابع.**........ 85
✓مكانة الأنطاكي وأثره في ميدان التأديب........ 86
✓ أهم خريجي محضرته:........ 92
✓ فحول المحضرة المغربية وتبلور إطار التأديب........ 104
**الباب الثالث:كتاتيب ومحاضر نموذجية رائدة في سبتة ومراكش وفاس في عهد الوحدة**........ 111
**الفصل الأول: مكتبون أعلام ورؤساء محاضر في مدينة سبتة**........ 115



✓ محضرة الإمام الحصري ........ 116
✓ محضرة ابن دريّ ........ 126
✓ محضرة محمد بن أحمد الأموي ........ 127
✓ محضرة المروري ........ 128
✓ كتاب ابن الغمّاد الضرير ........ 128
✓ كتاب ابن سهل المقعد ........ 129
✓ كتاب أبي عبد الله الأشقر الداني ........ 130
✓ كتاب ابن المعذور ........ 130
✓ كتاب ابن الطويل الزقاق ........ 131
✓ كتاب أبي القاسم القراق ........ 131
✓ كتاب المرجيقي شارح الحصرية ........ 132
✓ كتاب الهوزني ........ 133
✓ محضرة أبي القاسم بن الطيب الضرير ........ 135
✓ كتاب ابن جوبر الأنصاري ........ 138
✓ كتاب ابن الخضار ........ 139
✓ كتاب ابن صاب رزقه القصري ........ 140
**الفصل الثاني: الكتاتيب والمحاضر بمراكش في عهد المرابطين والموحدين** 143
✓ مكتبون أعلام في مراكش وكتاتيب رائدة في الجنوب ........ 143
✓ محضرة الفقيه وجاج صاحب «دار المرابطين» ........ 145
✓ محضرة عبد الله بن ياسين الجزولي ........ 146
✓ كتاب أبي عبد الله الأشقر الداني في أغمات ........ 148



✓ التكتيب والتأديب في عهد المرابطين والموحدين ........ 150
✓ محضرة أبي الحسن نجبة: ........ 158
✓ محضرة السرقسطي: ........ 160
✓ محضرة اليابري (كتاب للنساء) ........ 165
✓ كتاب ابن الخلوف ........ 166
✓ كتاب ابن علوش ........ 167
✓ من أصحاب الكتاتيب بمراكش ........ 167
**الفصل الثالث :التدرير وأهم المحاضر والمدررين في مدينة فاس وما إليها** ........ 193
**الباب الرابع: محاضر وكتاتيب رائدة في عهد الدولة العلوية المجيدة** 235
**الفصل الأول: صور من تشجيع الملوك العلويين لأكابر المقرئين** ........ 241
**الفصل الثاني: موقف الاستعمار الفرنسي من الكتاتيب والمدارس القرآنية** 273
**الباب الخامس: التأطير التربوي وأدبيات الكتاب والمحضرة عند المغاربة في مجال التآليف والفتاوي الفقهية** ........ 297
**الفصل الأول: مؤلفات مغربية قروانية** ........ 301
رسالة ابن سحنون : آداب المعلمين ورسائل أخرى ........ 301
أجوبة القرويين ........ 307
مختارات من مسائل ابن أبي زيد ........ 310
**الفصل الثاني: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين للقابسي وكتب أخرى** ........ 319
**الفصل الثالث: مؤلفات أندلسية في آداب الكتاب وطرق التعليم** ........ 339
**الفصل الرابع: مؤلفات وفتاوي فقهية في المدرسة المغربية** ........ 359
**الفصل الخامس: أراجيز مغربية في آداب التعليم وأحوال المحضرة** ........ 379



الباب السادس: الكتاب والمحضرة في الذاكرة والواقع ونظام الشرط 405

**الفصل الأول: الكتاب والمحضرة ومرادفاتهما والفقيه المشارط** ........ 411

**الفصل الثاني: ألقاب المعلم في المحضرة والكتاب** ........ 445

✓ ألقاب تجري مجرى الصفات الغالبة ........ 464

✓ ألقاب قدحية ........ 465

✓ أعوان المؤدب ومساعدوه ........ 466

✓ ألقاب وأسماء المتعلمين ........ 470

**الفصل الثالث: نظام الشرط لتمويل عملية التاديب وعمل الفقيه المشارط:** .. 471

**الفصل الرابع: أدبيات من وحي الشرط والمشارطة:** ........ 483

**الفصل الخامس: حكايات شعبية مرتبطة بادبيات الشرط** ........ 533

الباب السابع: ولوج الكتاب والمحضرة ومنهاج العمل: ........ 551

**الفصل الأول: تلميذ الكتاب وطالب المحضرة وسلم التدرج في التاديب:** 555

**الفصل الثاني: برنامج العمل وأدوات الكتاب وآليات المحضرة:** ........ 575

**الفصل الثالث: قدسية اللوح في الحياة المحضرية ورمزيته وما يرتبط به من أدبيات** ........ 593

الباب الثامن: نظام تصحيح الألواح، وأهم المصطلحات المحضرية فيه: 653

**الفصل الأول: سلم التدرج في تصحيح الألواح عند المشايخ:** ........ 655

**الفصل الثاني: النظائر والحطيات والعدد في المحضرة المغربية والرموز المستعملة في التصحيح:** ........ 687

**الفصل الثالث: عناية المغاربة بكراريس الرسم والضبط والروايات:** ........ 703



الباب التاسع: قراءة الأسوار ودور الحزب الراتب في ترسيخ الحفظ 743

**الفصل الأول: قراءة الأسوار وأهميتها في المحضرة ودور الحزب الراتب في ترسيخ الحفظ** ........................................ 745

**الفصل الثاني: قراءة تحزابت وموقف الفقهاء منها:** ........................................ 779

الباب العاشر: روافد الشرط والتقاليد المحضرية المرتبطة بها، ونظام الحذقات والفصال: ........................................ 797

**الفصل الأول: روافد الشرط ونظام الحذقات في تقاليد المحضرة المغربية وما يقدم للمشارط من وجوه الهبات والإصرافات** ........................................ 799

**الفصل الثاني: الحذقات والإصرافت والتقاليد المحضرية فيها:** ........................................ 821

**الفصل الثالث: نظام المفاصلة وعدد الختمات المطلوبة للفصال (وضع اللوح نهائيا)** 847

الباب الحادي عشر: الدور التربوي للمؤدب ونظام التعزيرات، وأوقات العطل والأنشطة الموازية وما يتعلق بها من أدبيات ومراسيم محضرية ........................................ 881

**الفصل الأول: الدور التربوي للمؤدب في الكتاب والطالب في المحضرة وما قام عليه من أدبيات** ........................................ 893

**الفصل الثاني العطل وأوقات الاستراحة والاستجمام** ........................................ 933

**الفصل الثالث: الأنشطة الموازية في المحضرة وأوقات الاستجمام ومهرجان سلطان الطلبة** ........................................ 965

**الفصل الرابع: من الأنشطة الموازية: تنظيم المسابقات في الحفظ والتجويد بين الكتاتيب والمحاضر:** ........................................ 1005

1 – كشف مختصر يجسد الدور الحيوي لأنشطة وزارة الأوقاف في تشجيع الكتاتيب ........................................ 1008



2 – نشرة عن التعليم الأولي العتيق ودعم الوزارة له وللمدارس القرآنية 1010

3 – نشرة عن الكتاتيب القرآنية وعددها في المملكة حسب إحصاء الوزارة 1014

4 – نشرة عن الكتاتيب القرآنية المحتضنة من طرف الوزارة إلى غاية 2004 م ........ 1020

5 – نسخة من الظهير الملكي الشريف المتعلق بإحداث جائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية ........ 1021

6 –إعلان عن الجائزة وفروعها وشروط الترشيح لها ........ 1024

7 – استمارة الترشيح ومكوناتها ........ 1026

8 – اللجنة التحكيمية لجائزة محمد السادس للكتاتيب القرآنية ........ 1032

9 –جائزة محمد السادس في حفظ القرآن وتجويده ........ 1035

خاتمة ........ 1043

فهرس المصادر والمراجع ........ 1047

فهرس المحتويات ........ 1075